

اكتاف الأصفهاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

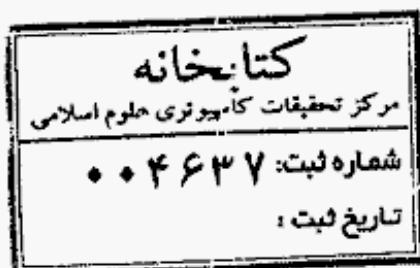
المتوفى سنة ٣٥٦ هـ

إعداد

مكتب تحقيق دار أحياء التراث العربي

جدید بایں
jadidpdf.com

الجزء السابع عشر



طبعة كاملة ومجربة، مصححة، ملونة
محققة على تسع مخطوطات ومزيرة بفهارس شاملة

دار أحياء التراث العربي

طبعة مصححة وملونة



جميع الحقوق محفوظة
دلائل عمياء التراث العربي

طبعة جديدة مصححة
الطبعة الأولى

١٩٩٤ م / ١٤١٥/١٤ هـ

/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَذْكَرُ الْكُمَيْتِ وَنَسَبِهِ وَخَبْرَهُ

نسبه

هو الكُميت^(١) بن زيد بن خُنيس^(٢) بن مُجَالِد بن وَهَب بن عَمْرُو بن سُبَيْع. وقيل: الكُميت بن زيد بن خُنيس بن مجالد بن ذؤيب بن قيس بن عمرو بن سُبَيْع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزَيْمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. شاعر مقدّم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مُضَر والسُتَها، والمتعصّبين على القحطانية، المقارنين المقارعين لشعرائهم، العلماء بالمثالب والأيام، المفاخرين بها. وكان في أيام بني أمية، ولم يدرك الدولة العبّاسية، ومات قبلها.

تشيعه لبني هاشم

وكان معروفاً بالتشيع لبني هاشم، مشهوراً بذلك، وقصائده الهاشميات من جيّد شعره ومختاره.

مناقضة دَعْبِل وابن أبي عيّنة لقصيدته المذهبة

ولم تزل عصبيته للعدنانية ومهاجاته شعراء اليمن متصلةً، والمناقضة بينه وبينهم شائعة في حياته وبعد وفاته، حتى ناقض دَعْبِلُ وابنُ أبي عَيّنة قصيدته المذهبة^(٣) بعد وفاته، وأجابهما أبو البَلقاء^(٤) البَصْرِيُّ مولى بني هاشم عنها، وذلك يذكر في موضع آخر يصلح له من هذا الكتاب إن شاء الله^(٥).

/ كان معلّم صبيان

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد عن أبي حاتم، عن الأصمعيّ، عن خلف الأحمر: أنه رأى الكُميت يعلم الصبيان في مسجد بالكوفة.

(١) من يقال له الكُميت ثلاثة من بني أسد بن خزيمة؛ هم: الكُميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقّس. والكُميت بن معروف بن الكُميت الأكبر. والكُميت بن زيد هذا. (المؤتلف والمختلف للامدي ٢٥٧).

(٢) وكذا في تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٢٧، وفي المؤتلف والمختلف، والآل، والخزانة: الأخنس، وفي تجريد الأغاني: حبيش، بالحاء المهملة، تصحيف.

(٣) المذهبات التي في جمهرة أشعار العرب ليس من بينها قصيدة الكُميت.

(٤) في هب: «أبو البلقاء»، وفي ب، س، والمختار: «أبو الزلفاء».

(٥) هذا الموضع هو ترجمة دَعْبِل في الجزء الثامن عشر ص ٢٩ (بولاقي).

مودته للطرماح مع اختلاف المذهب والعصية

قال ابن قتيبة في خبره خاصة: وكانت بينه وبين الطرماح خلطة ومودة وصفاء لم يكن بين اثنين^(١)، قال^(٢): فحدثني بعض أصحابه عن محمد بن سهل راوية الكُميت، قال: أنشدت الكُميت قولَ الطرماح:

إذا قُبِضَتْ نفس الطرماح أخلقت عُرا المجد واسترخت عِنان القصائد

قال: إي والله وعِنان الخطابة والرواية. قال: وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصية والذيانة؛ كان الكُميت شيعياً عصبياً عدوانياً من شعراء مضر، متعصباً لأهل الكوفة، والطرماح خارجي صُفري قحطاني عسبي لقحطان، من شعراء اليمن، متعصب لأهل الشام، فليل لهما: فقيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء^(٣)؟ قالوا: اتفقنا على بُغض العامة.

علمه بأيام العرب وأشعارها

أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن سعد الكُراني، قال: حدثنا أبو عمر العمري، عن لقيط، قال: اجتمع الكُميت بن زيد وحماد الراوية في مسجد الكوفة، فتذكرا أشعار العرب وأيامها، فخالفه حماد في شيء ونازعه، فقال له الكُميت: أنظرن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها؟ قال: وما هو إلا الظن! هذا والله هو اليقين. فغضب الكُميت ثم قال له: لَكُم شاعر بصير، يقال له عمرو ابن فلان، تَرَوِي؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى^(٤) اسمه فلان ابن عمرو، تَرَوِي؟ فقال حماد قولاً لما يحفظه: فجعل الكُميت يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف، ويسأل حماداً: هل يعرفه؟ فإذا قال: لا، أنشده من شعره جزءاً منه حتى ضجرنا.

مسأله حماداً عن شيء من الشعر وتفسيره

ثم قال له الكُميت: فإني سائلك عن شيء من الشعر، فسأله عن قول الشاعر^(٥):

طَرَحُوا أَصْحَابَهُمْ فِي وَرْطَةٍ قَذَفَكَ الْمَقْلَةَ شَطَرَ الْمُعْتَرِكِ^(٦)
فلم يعلم حماد تفسيره، فسأله عن قول الآخر:

تَدَرَيْتُنَا بِالْقَوْلِ حَتَّى كَأَنَّمَا تَدَرَيْنَ وَلَدَانَا تَصِيدُ الرَّهَادِنَا

فأفحِم حماد، فقال له: قد أَجَلْتُكَ إلى الجمعة الأخرى، فجاء حماد ولم يأت بتفسيرهما، وسأل الكُميت أن يفسرهما له، فقال: المَقْلَةُ: حصاة أو نواة من نوى المُقْل يحملها القوم معهم إذا سافروا، وتوضع في الإناء ويصب عليها الماء حتى يَغْمُرَهَا، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء. والشَطَر: النصيب. والمُعْتَرِك: الموضع الذي يختصمون فيه في الماء، فيلقونها هناك عند الشَّرِّ. وقوله: «تَدَرَيْتُنَا»، يعني النساء، أي خَتَلْنَا فَرَمَيْنَا. والرهادن: طير بمكة كالعصافير.

(١) الخبر في الشعر والشعراء ٥٦٢.

(٢) الخبر في الشعر والشعراء ٥٦٧.

(٣) في أ: «مع سائر اختلاف».

(٤) في المختار: «لكم شاعر أعمى يقال له فلان ابن عمر».

(٥) هو يزيد بن طعمة الخطمي. اللسان «مقل»، مجالس العلماء ٢١٦.

(٦) في أ: «وسط المعترك».

سبب حفيظة خالد القسري عليه

وكان خالد بن عبد الله القسري - فيما حدثني به عيسى بن الحسين الوزاق، قال: أخبرنا أحمد بن الحارث الفزاري عن ابن الأعرابي، وذكره محمد بن أنس السلمي عن المستهل بن الكميت، وذكره ابن كنانة عن جماعة من بني أسد - [قد بلغه] أن الكميت أنشد قصيدته التي يهجو فيها اليمن، وهي:

* أَلَا حُيِّتِ عَنَّا يَا مَدِينَا ^(١) *

[٤/١٧]

/ احتيال خالد لإثارة هشام عليه

فأحفظته عليه، فروى جارية حسناء قصائده الهاشميات، وأعدّها ليُهديها إلى هشام، وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بني أمية، وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها:

فيا رب هل إلا بك التضرُّ يُتَغَى ويا رب هل إلا عليك المَعُولُ ^(٢)

حبسه وكتاب أبان بن الوليد إليه بطريقة هروبه

وهي طويلة يرثي فيها ^(٣) زيد بن علي، وابنه الحسين بن زيد، ويمدح بني هاشم. فلما قرأها أكبرها وعظمت عليه، واستنكرها، وكتب إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده. فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره، فأخذ وحبس في المخيس ^(٤)، وكان أبان بن الوليد عاملاً على واسط، وكان الكميت صديقه، فبعث إليه بغلام على بغل، وقال له: أنت حر إن لحقته، والبغل لك. وكتب إليه: قد بلغني ما صرّت إليه، وهو القتل، إلا أن يدفع الله عز وجل، وأرى لك أن تبعث إلى حبي - يعني زوجة الكميت وهي بنت نكيف بن عبد الواحد، وهي ممن يتشيع أيضاً - فإذا دخلت إليك تنقبت نقابها، ولبست ثيابها وخرجت، فلاني أرجو إلا يؤبه لك.

فأرسل الكميت إلى أبي وضاح حبيب بن بدليل، وإلى فتيان من بني عمه من مالك بن سعيد، فدخل عليه حبيب فأخبره الخبر، وشاوره فيه، فسدد رأيه، ثم بعث إلى حبي امرأته، فقص عليها القصة، وقال لها: أي ابنة عم، إن الوالي لا يقدم عليك، ولا يسلمك قومك، ولو خففت عليك لما عرضت لك له. / فألبسته ثيابها وإزارها [٥/١٧] وخمرته ^(٥)، وقالت له: أقبل وأدبر؛ ففعل، فقالت: ما أنكر منك شيئاً إلا يساً في كتفك، فاخرج على اسم الله.

امراته حبي مكانه في السجن

/ وأخرجت معه جارية لها، فخرج وعلى باب السجن أبو وضاح، ومعه فتیان من أسد، فلم يؤبه له، ومشى ^{١١٥}

(١) عجزه:

* وَهَلْ بَأْسٌ يَقُولُ مُسْلِمِينَا *

الخزاة ١: ٨٦، وقوله: «يا مدينا» أراد: «يا مدينة» فرخم.

(٢) الهاشميات ٧٠.

(٣) في هامش أ: «هذا غلط من وجهين: أحدهما إيفاد خالد إلى هشام بمروية زيد، وزيد إنما قتل في إمارة يوسف بن عمر بعد خالد.

والثاني في جعله الحسين بن زيد مريضاً أيضاً والحسين لم يقتل، وكان ممن يرى الخروج».

(٤) المخيس، كمعظم ومحدث: السجن.

(٥) خمرته: ألبسته خمارها.

والفتيان بين يديه إلى سكة شبيب بناحية الكناسة^(١)، فمرّ بمجلس من مجالس بني تميم، فقال بعضهم: رجل وربّ الكعبة. وأمر غلامه فاتّبعه، فصاح به أبو الوضّاح: يا كذا وكذا، لا أراك تتبّع هذه المرأة منذ اليوم. وأوماً إليه بتعلّه، فولى العبدُ مُدبراً، وأدخله أبو الوضّاح منزله.

كشف أمره

ولما طال على السجان الأمر نادى الكميث فلم يُجِبْ، فدخل ليعرف خبره، فصاحت به المرأة: وراءك، لا أم لك! فشقّ ثوبه، ومضى صارخاً إلى باب خالد، فأخبره الخبر، فأحضر حُبَيّ فقال لها: يا عدوة الله، احتلت على أمير المؤمنين، وأخرجت عدوه، لأمثلن بك ولأضعنن ولأفعلنن. فاجتمعت بنو أسد إليه، وقالوا: ما سبيلك على امرأة منا خدعت. فخافهم فخلّى سبيلها.

خبرته بجزر الطير

قال: وسقط غراب على الحائط فنعب، فقال الكميث لأبي وضّاح: إني لماخوذ، وإن حائطك لساقط. فقال: سبحان الله! هذا ما لا يكون إن شاء الله. فقال له: لا بد من أن تحوّلني. فخرج به إلى بني علقمة - وكانوا يتشيّعون - فأقام فيهم ولم يصبح حتى سقط الحائط الذي سقط عليه الغراب.

[٦/١٧] / خروجه إلى الشام

قال ابن الأعرابي: قال المستهل: وأقام الكميث مدة متواريّاً، حتى إذا أيقن أن الطلب قد خفّ عنه خرج ليلاً في جماعة من بني أسد، على خوف ووجل، وفيمن معه صاعد غلامه، قال: وأخذ الطريق على القطقطانة^(٢) - وكان عالماً بالنجوم مُهتدياً بها - فلما صار سحيراً^(٣) صاح بنا: هوّموا^(٤) يا فتیان، فهوّمتنا، وقام يصلي.

أطعم ذنباً فهداه الطريق

قال المستهل: فرأيت شخصاً فتضعضعت له، فقال: مالك؟ قلت: أرى شيئاً مُقبلاً، فنظر إليه فقال: هذا ذنب قد جاء يستطعمكم، فجاء الذنب فربض ناحية، فأطعمناه يد جزور، فتعرّقا، ثم أهوينا له بإناء فيه ماء فشرب منه، وارتحلنا، فجعل الذنب يغوي، فقال الكميث: ما له ويّله! ألم نُطعمه ونسقه! وما أعرفني بما يريد! هو يُعلمنا أنا لسنا على الطريق؛ تيامنوا يا فتیان، فتيامنا فسكر عواؤه.

تواريه وسعي رجالات قريش في خلاصه

فلم نزل نسير حتى جئنا الشام، فتوازي في بني أسد وبني تميم، وأرسل إلى أشراف قريش - وكان سيدهم يومئذ عبسة بن سعيد بن العاص - فمشت رجالات قريش بعضها إلى بعض، وأتوا عبسة، فقالوا: يا أبا خالد، هذه مكربة قد أتاك الله بها، هذا الكميث بن زيد لسان مضر، وكان أمير المؤمنين كتب في قتله، فنجا حتى تخلص إليك

(١) في ب والمختار: «الكناس»، والكناسة: محلة بالكوفة، وكناس: موضع في بلاد غني. (ياقوت).

(٢) القطقطانة: موضع بالكوفة، كان به سجن للنعمان بن المنذر.

(٣) صار هنا تامة.

(٤) هوّموا: ناموا نوماً خفيفاً يريد: استريحوا، وأغفوا إغفاء.

والينا. قال: فمروه أَنْ يَعُوذَ بِقَبْرِ معاوية بن هشام بَذِير^(١) حَنِينَاء. فمضى الكُمَيْتُ، فضرب فُسْطَاطَه عند قَبْرِهِ، ومضى عَنَسَةً فَأَتَى مَسْلَمَةَ بن هشام، فقال له: يا أبا شاكر، مكرمة أتيْتُكَ بها تبلغُ الثَّريَّا إنْ اعتَقَدْتَهَا، فَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّكَ تَفِي بها وَإِلَّا كَتَمْتُهَا. قال: وما هي؟ فأخبره الخبر، / وقال: إنه قَدْ مَدَحَكُمْ عَامَّةً، وإِيَّاكَ خَاصَةً بما لم يُسَمَّعْ [٧/١٧] بمثله. فقال: عليَّ خَلَاصَةٌ.

مسلمة بن هشام يطلب الأمان له

فدخل على أبيه هشام وهو عند أمِّه في غير وقت دخول، فقال هشام: أجيْتُ لحاجة؟ قال: نعم، قال: هي مَقْصِيَّةٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الكُمَيْتُ. فقال: ما أَحْبُّ أَنْ تَسْتَنِيَّ عَلَيَّ في حاجتي، وما أنا والكميت! فقالت أمُّه: والله لتَقْضِيَنَّ حاجته كائنة ما كانت. قال: قد قضيتها ولو أحاطت بما بَيْنَ قُطْرَيْهَا. قال: هي الكميت يا أمير المؤمنين، وهو آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَانِي، وهو شاعر مضر، / وقد قال فينا قولاً لم يَقُلْ مثله، قال: قد أَمَنْتُه، وأَجَزْتُ^{١١٦} أَمَانُكَ له، فاجلس له مجلساً يُثَبِّدُكَ فيه ما قال فينا.

هشام يعقد له مجلساً يسمع فيه مدائحه في بني أمية

فَعَقِدَ له، وعنده الأبرش الكلبي، فتكلَّم بخطبة ارتجلها ما سُمِعَ بمثلها قطَّ، وامتدحه بقصيدته الرائية، ويقال: إنه قالها ارتجالاً، وهي قوله:

* قَفَّ بِالْدِيَارِ وَقُوفَ زَائِرٍ^(٢) *

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله:

مَآذَا عَلَيْكَ مِنَ الْوُقُوفِ فِ بِهَا وَأَنْكَ غَيْرُ صَاغِرٍ
دَرَجَتْ عَلَيْهَا الْغَادِيَا تُ الرَّائِحَاتُ مِنَ الْأَعَاصِرِ

وفيها يقول:

فَالآنَ صِرْتُ إِلَى أُمِّيَّةَ وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَائِرِ

وجعل هشام يغمز مسلمة بقصيب في يده، فيقول: اسمع، اسمع.

[٨/١٧]

/ ثم استأذنه في مَرِيَّةَ ابنه معاوية، فَأَذِنَ له، فأنشده قوله^(٣):

سَأَبْكِيكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ إِنَّنِي رَأَيْتُ يَدَ الْمَعْرُوفِ بَعْدَكَ شَلَّتِ
فَدَامَتْ عَلَيْكَ بِالسَّلَامِ تَحِيَّةُ مَلَائِكَةِ اللَّهِ الْكَرَامِ وَصَلَّتِ

فبكى هشام بكاءً شديداً، فوثب الحاجب فسكته.

ثم جاء الكُمَيْتُ إلى منزله آمناً، فحشدت له المَضْرِيَّةُ بالهدايا، وأمر له مَسْلَمَةُ بعشرين ألف درهم، وأمر له

(١) دير حنيناء: من أعمال دمشق. (ياقوت).

(٢) صدر بيت، وعجزه:

* وَتَأَيَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرٍ *

وتأَي: تلبث وأمكت.

(٣) الهاشميات ٩٣.

هشام بأربعين ألف درهم. وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته، وأنه لا سلطان له عليهم.
قال: وجمعت له بنو أمية بينها مالا كثيرا. قال: ولم يجمع من قصيدته تلك يومئذ إلا ما حفظه الناس منها
فألف. وسئل عنها، فقال: ما أحفظ منها شيئا؛ إنما هو كلام ارتجلته.
فقال: وودع هشاماً، وأنشده قوله فيه:

* ذكر القلب إلفه المذكورا *

سببه الشعراء إلى معنى في صفة الفرس

قال محمد بن كُناسة: وكان الكميت يقول: سبقتُ الناس في هذه القصيدة من أهل الجاهلية والإسلام إلى
معنى ما سبقتُ إليه في صفة الفرس حين أقول:
يَبْتَغِي الثَّرْبَ عَنْ كَوَاسِرِ فِي الْمَشْرِ
رَبِّ لَا يُجْشِمُ الشَّقَاةَ الصَّفِيرَا
هذه رواية ابن عمار. وقد روى فيه غير هذا.

رواية أخرى في سبب المنافرة بينه وبين خالد

وقيل في سبب المنافرة بين خالد والكميت غير هذا، نسخته من كتاب محمد بن يحيى الخزاز، قال: حدثني
أحمد بن إبراهيم الحاسب، قال: حدثني عبد الرحمن بن داود بن أبي أمية البلخي، قال:
[٩/١٧] / كان حكيم بن عيَّاش^(١) الأعور الكلبي ولعاً بهجاء مُضَرٍّ، فكانت شعراء مُضَرٍّ تهجُّوه ويحييهم، وكان
الكميت يقول: هو والله أشعرُ منكم. قالوا: فاجب الرجل. قال: إن خالد بن عبد الله القسري محسن إلي فلا أقدر
أن أردَّ عليه، قالوا: فاسمع بأذنك ما يقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء، وأنشده ذلك؛ فحمي الكمي
لعشيرته، فقال المذَّهبة^(٢):

* أَلَا حَيَّتْ عَنَّا يَا مَدِينَا *

فأحسن فيها، وبلغ خالداً خبرها. فقال: لا أبالي ما لم يَجْرِ لعشيرتي ذكر، فأنشده قوله:
وَمِنْ عَجَبٍ عَلَيَّ لَعَمْرُ أُمٍّ
تَجَاوَزَتِ الْمِيَاءَ بِلَا ذَكِيلٍ
فَلِإِنَّكَ وَالتَّحَوُّلُ مِنْ مَعَدٍّ
تَخَطَّلتْ خَيْرُهُمْ حَلَباً وَنَسَاءً^(٥)
/ كَعَنَزَ السَّوءُ تَنْطَحُ عَالِفِيهَا
غَدَّتْكَ وَغَيْرَ هَاتِيَا يَمِينَا^(٣)
وَلَا عَلَسَمَ تَعَشَّفَ مَخْطُونَا
كَهَيْلَةَ قَبْلُنَا وَالحَالِيْنَا^(٤)
إِلَى الْمَوَلَى الْمَغَادِرِ هَارِيْنَا^(٦)
وَتَرْمِيهَا عِصِيَّ الذَّابِحِيْنَا^(٧)

١١٧
١٥

(١) في أ: «حكيم بن عباس».

(٢) المذَّهبة: لقب هذه القصيدة، وانظر حاشية ٣ ص ٣.

(٣) في ما: «تَيَامِينَا»، وفي أ: «تَيَامِينَا».

(٤) في أ، ب: «والجاليْنَا».

(٥) النساء: اللين الرقيق الكثير الماء، وفي ب: «ومسناً».

(٦) في ما: «إلى الوالي»، والمثبت في أ، ب.

(٧) في أ: «وترضيا» تحريف.

فبلغ ذلك خالدًا، فقال: فعلها! والله لأقتلنه. ثم اشترى ثلاثين جارية بأعلى ثمن، وتخيرهن نهايةً في حُسن الوجوه والكمال والأدب، فرواهن / الهاشميات، ودسهن مع نخاس إلى هشام بن عبد الملك، فاشتراهن جميعاً، [١٧/١٠] فلما أنس بهن استنطقهن، فرأى فصاحةً وأدباً، فاستقرأهن القرآن، فقرأن، واستنشدن الشعر، فأنشدنه قصائد الكميت الهاشميات. فقال: ويلكن! من قائل هذا الشعر؟ قلن: الكميت بن زيد الأسدي. قال: وفي أي بلد هو؟ قلن: في العراق، ثم بالكوفة. فكتب إلى خالد وهو عامله على العراق: ابعث إلي برأس الكميت بن زيد، فبعث خالد إلى الكميت في الليل، فأخذه وأودعه السجن. ولما كان من الغد أقرأ من حضره من مضر كتاب هشام، واعتذر إليهم من قتله، وأذنهم في إنفاذ الأمر فيه في غد، فقال لأبان بن الوليد البجلي - وكان صديقاً للكميت -: انظر ما ورد في صديقك. فقال: عز عليّ والله [ما] به، ثم قام أبان، فبعث إلى الكميت فأنذره، فوجه إلى امرأته.

مسلمة بن هشام يجيره ويحتال في خلاصه

ثم ذكر الخبر في خروجه ومقامها مكانه، كما ذكر من تقدمه. وقال فيه: فأتى مسلمة بن عبد الملك فاستجار به، فقال: إني أخشى ألا ينفعك جوارِي عنده، ولكن استجر بابنه مسلمة بن هشام. فقال: كُن أنت السفير بيني وبينه في ذلك، ففعل مسلمة، وقال لابن أخيه: قد أتيتك بشرف الذهر، واعتقاد الصنيعة في مضر، وأخبره الخبر؛ فأجاره مسلمة بن هشام. وبلغ ذلك هشاماً فدعاه به، ثم قال: أتجبر على أمير المؤمنين بغير أمره؟! فقال: كلا، ولكنني انتظرتُ سكون غضبه. قال: أحضرني الساعة، فإنه لا جوار لك. فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهل، إن أمير المؤمنين أمرني بإحضارك. قال: أسلمني يا أبا شاكر؟ قال: كلا، ولكنني احتالُ لك، ثم قال له: إن معاوية بن هشام مات قريباً، وقد جزع عليه جزعاً شديداً، فإذا كان / من الليل فاضرب رواقك على قبره، وأنا أبعث إليك نبيه [١٧/١١] يكونون معك في الرواق، فإذا دعا بك تقدمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بشياك، ويقولوا: هذا استجار بقبر أبينا، ونحن أحق من أجاره.

فأصبح هشام على عادته مُتَطَلِّعاً من قصره إلى القبر، فقال: من هذا؟ فقالوا: لعله مُسْتَجِيرٌ بالقبر! فقال: يُجَارُ مَنْ كَانَ إِلَّا الْكُمَيْتُ؛ فإنه لا جوار له. فقيل: فإنه الْكُمَيْتُ، قال: يُحْضِرُ أَغْتَفَ إِحْضَار. فلما دُعي به ربط الصبيان ثيابهم بشياكه. فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر، وهم يقولون: يا أمير المؤمنين، استجار بقبر أبينا، وقد مات، ومات حفظه من الدنيا، فأجعلهُ هبةً له ولنا، ولا تفضحنا فيمن استجار به. فبكى هشام حتى انتحب، ثم أقبل على الكميت فقال له: يا كُمَيْت، أنت القاتل:

وإلا تقولوا غيرها تتعرفوا نواصيها تزدِي بنا وهي شُرْبُ^(١)

خطبته بين يدي هشام وإنشاده بعض مدائحه في بني أمية

فقال: لا، والله، ولا أتان من أثن الحجاز وخشيته، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال: أمّا بعد فإني كنتُ أتدهّد^(٢) في غمرة، وأعوم في بحر غواية، أخنى عليّ خطلها، واستفزني وهله^(٣)؛ فتحيّرتُ في

(١) ردى يردى، إذا رجم الأرض رجماً بين العدو والمشي الشديد. والشاذب: الذي فيه ضمور، وجمعه شُرْبُ.

(٢) أتدهّد: أتقلب وأتلو.

(٣) الوهل: الغزع.

١١٨ الضَّلَالَة، وتسكمت في الجهالة، مُهرِعا^(١) عن الحق، جائراً عن القصد، / أقولُ الباطلَ ضلالاً، وأفوه بالبهتان
وبالآ، وهذا مقامُ العائذِ مُبصرِ الهدى، ورافضِ العمى^(٢) فاغسل عني يا أمير المؤمنين الحوبة^(٣) بالتوبة، واضفح
[١٢/١٧] / عن الزلة، واغف عن الجريمة^(٤)، ثم قال^(٥):

كَمْ قَالَ قَائِلُكُمْ: لَعَا
وَعَفَرْتُكُمْ لِذَوِي الذُّنُو
أَبْنِي أُمِيَّةً إِنْتُكُمْ
ثَقَّتِي لَكُلِّ مُلَمَّةٍ
أَنْتُمْ مَعَادِنُ لِلْخِلَا
بِالشَّعَةِ الْمُتَتَابِعِ
وَالِى الْقِيَامَةِ لَا تَزَا
لك، عند عَثَرَتِهِ لَعَائِرُ^(٦)
ب من الأكابر والأصاغر
أهل الوسائل والأوامر
وعشيرتي دون العشائر
فَعِ كَابِرًا مِنْ بَعْدِ كَابِرِ
ن خلائفاً وبخير عاشر^(٧)
لُ لِشَافِعٍ مِنْكُمْ وَوَاتِرُ

ثم قطع^(٨) الإنشادَ وعاد إلى خطبته، فقال: إغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته، ومناط المتتبعين
بحيله، مَنْ لَا تُحَلُّ حَبْوَتُهُ لِإِسَاءَةِ الْمَذْنِبِينَ، فضلاً عن استنشاط غَضَبِهِ بِجَهْلِ الْجَاهِلِينَ.

محاورة بينه وبين هشام في شعر قاله في بني أمية

فقال له: وَيْلَكَ يَا كُمَيْتُ! مَنْ زَيْنَ لَكَ الْغَوَايَةِ، وَدَلَّكَ فِي الْعَمَايَةِ؟ قال: الذي أخرج أبانا من الجنة، وأنساه
العهد، فلم يجد له عزماً. فقال: إِيهَ أَنْتَ الْقَاتِلُ:

فِيَا مُوقِداً نَاراً لَغَيْرِكَ ضَوْءُهَا
وَيَا حَاطِباً فِي غَيْرِ حَبْلِكَ تَحْطِبُ
فقال: بل أنا القاتل^(٩):

/ إِلَى آلِ بَيْتِ أَبِي مَالِكٍ
نَمُوتُ بِأَرْحَامِنَا الدَّاخِلَا
بِزُورَةٍ وَالنُّضْرِ وَالْمَالِكِي^(١٠)
مناخ هو الأزحَبُ الأشهلُ
ت مِنْ حَيْثُ لَا يُنْكَرُ الْمَدْخَلُ
مَنْ رَهْطُ هَمِّ الْأَنْبِلِ الْأَنْبِلُ

[١٣/١٧]

(١) مهرعاً: منصرفاً.

(٢) في أ: «العماية».

(٣) الحوبة: الخطيئة والإثم.

(٤) الجريمة، مثل كلمة: الذنب.

(٥) الهاشميات ٩٢.

(٦) يقال للعائر: لعاً لك، دعا له بالإقالة والابتعاد.

(٧) لم يرد في الهاشميات.

(٨) في أ: «وقطع».

(٩) الهاشميات ٩٣.

(١٠) في أ و المختار: «بمرة»، والمثبت من ج، قال في هامشه: برة بنت مرّ، أخت تميم، كانت عند خزيمة، فولدت له أسداً ثم مات، فخلف عليها ابنه كنانة، فولدت له النضر، وهو قريش، أبو مالك. فبنو أسد يتنمون إلى قريش لهذا السبب. والبيت ليس في

وَيَا بَنِي خَزِيمَةَ بَذَرِ السَّمَاءَ^(١) وَالشَّمْسُ مِفْتَاحُ مَا نَأْمُلُ
وَجَدْنَا قَسْرِيشاً قَرِيشَ الْبَطَاحِ عَلَى مَا بَنَى الْأَوَّلُ الْأَوَّلُ
بِهِمْ صَلَحَ النَّاسُ بَعْدَ الْفَسَادِ وَحِصَصَ مِنَ الْفَتْقِ مَا رَغَبُوا^(٢)
قَالَ لَهُ: وَأَنْتَ الْقَاتِلُ^(٣):

لَا كَعَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ كَوَلِيدِ أَوْ سُلَيْمَانَ بَعْدُ أَوْ كَهَشَامِ
مَنْ يَمُتْ لَا يَمُتْ فَقِيداً وَمَنْ^(٤) يَخُ سَيَ فَلَا ذُوَ إِلَّا^(٥) وَلَا ذُو ذِمَامِ
وَيْلَكَ يَا كَمِيَّةَ! جَعَلْتَنَا مَعَّنَ لَا يَرْقُبُ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ، فَقَالَ: بَلْ أَنَا الْقَاتِلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٦):

فَالآنَ صِرْتُ إِلَى أَمِيٍّ وَالْآنَ صِرْتُ بِهَا الْمُصِيبِ
/ يَا بَنَ الْعَقَائِلِ لِلْعَقَا بِلِ وَالْجَحَاجِحَةِ الْأَخَايِرِ^(٧)
مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَالْأَكَا بِرِ مِنْ أُمَيَّةَ فَالْأَكَايِرِ
إِنَّ الْخُصْلَافَةَ وَالْإِلَا فَ بِرَغَمِ ذِي حَسَدٍ وَوَاعِرِ^(٨)
دَلَفَا مِنْ الشَّرَفِ الثَّلِي سِدَ إِلَيْكَ بِالرُّفْدِ الْمُوَافِرِ
فَحَلَلْتُ مُعْتَلِجَ الْبَطَا حَ وَحَلَّ غَيْرَكَ بِالظُّوَاهِرِ^(٩)
/ قَالَ لَهُ: إِيهَ، فَأَنْتَ الْقَاتِلُ^(١٠):

فَقُلْ لِبَنِي أُمَيَّةَ حَيْثُ حَلُّوا وَإِنْ خِفْتَ الْمُهَيَّدَ وَالْقَطِيعَا^(١١)
أَجَاعَ اللَّهُ مَنْ أَشْبَعْتُمُوهُ وَأَشْبَعَ مَنْ بَجَّزَكُمْ أَجِيعَا
بِمَرْضِي السِّيَاسَةِ هَاشِمِيٍّ يَكُونُ حَيًّا لَأُمَّتِهِ رِبِيعَا

فَقَالَ: لَا تَثْرِبَ^(١٢) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَمَحُو عَنِّي قَوْلِي الْكَاذِبَ. قَالَ: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِقَوْلِي الصَّادِقِ^(١٣):

- (١) فِي س: «وَبَارِي»، وَفِي الْمَخْتَارِ: «وَبَا بَنِي خَزِيمَةَ وَبِلَ السَّمَاءِ». وَالْبَيْتُ سَاقِطٌ مِنْ أ، ب، وَلَمْ يَرِدْ فِي الْهَاشِمِيَّاتِ أَيْضاً.
- (٢) حِصَصَ: رَتَقَ وَأَصْلَحَ. وَرَجَلَ الثَّوبَ: قَطَعَهُ وَمَزَقَهُ، أَيْ حَفِظَ مِنَ الْفَتْقِ مَا مَزَقُوا.
- (٣) الْهَاشِمِيَّاتِ ٢٦، ٢٧.
- (٤) الْهَاشِمِيَّاتِ: «وَأَنَّ».
- (٥) الْإِلَ: لِلْمُهْدِ وَالْحَلْفِ. وَالذِّمَامُ، بِكسْرِ الدَّالِ: الْحَقُّ وَالْحَرَمَةُ. وَفِي ب: «آل».
- (٦) الْهَاشِمِيَّاتِ ٩١.
- (٧) الْجَحَاجِحَةُ: جَمْعُ جَحَاجٍ؛ وَهُوَ السَّيِّدُ الْعَظِيمُ.
- (٨) الْوَاعِرُ: الْحَاقِدُ.
- (٩) الْبَطَاحُ: جَمْعُ بَطَحَاءٍ وَأَبْطَحَ، وَهُوَ الْمَسِيلُ الْوَاسِعُ فِيهِ دِفَاقُ الْحَصَى.
- (١٠) الْهَاشِمِيَّاتِ ٨٢.
- (١١) حَاشِيَةُ أ: «الْقَطِيعُ»: السَّوْطُ.
- (١٢) التَّثْرِبُ: اللَّوْمُ.
- (١٣) الْهَاشِمِيَّاتِ ٩٣.

أورثكُ الحصانُ أمْ هشام
وتعاطى به ابنُ عائشة البد
وكساه أبو الخلائف مَرَوَا
لم تجهنم له البطاح ولكن
حسباً ثاقباً ووجهاً نضيراً
رفأسمى له رقيياً نظيراً
نُ سني المكارم المأثورا
وجَدْنها له مغاراً^(١) ودورا

[١٥/١٧] / إصجاب هشام بشعره ورضاقه عنه

وكان هشامٌ مُتَكِناً فاستوى جالساً، وقال: هكذا فليكن الشعر - يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر، وكان إلى جانبه - ثم قال: قد رضىبتُ عنك يا كُمَيْتُ؛ فقبِّل يده، وقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تزيد في تشريفي، ولا تجعل لخالد عليّ إمارة! قال: قد فعلت. وكتب له بذلك، وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هشامية. وكتب إلى خالد أن يخلي سبيل امرأته ويُعطيها عشرين ألفاً وثلاثين ثوباً. ففعل ذلك.

خالد يضربه مائة سوط

وله مع خالد أخبارٌ بعد قدومه الكوفة بالعهد الذي كُتب له، منها أنه مرَّ به خالد يوماً، وقد تحدث الناس بعزله عن العراق، فلما جاز تمثل الكميّ:

أراها - وإن كانت تُحبُّ - كأنها
سحابةٌ صيفٍ عن قليل تقشعُ

فسمعه خالد، فرجع وقال: أما والله لا تنقشعُ حتى يغشاك^(٢) منها شُؤبوب برّد. ثم أمر به فجرّد، فضربه مائة سوط، ثم خلى عنه ومضى. هذه رواية ابن حبيب.

ينذر هشاماً بخالد

وقد أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمار قال: حدثنا الثؤفليّ عليّ بن محمد بن سليمان أبو الحسن، قال: حدثني أبي، قال:

كان هشام بن عبد الملك قد اتهم خالد بن عبد الله - وكان يُقال - إنه يريد خلْعك - فوجد بيباب هشام يوماً رقعةً فيها شعر، فدُخل بها على هشام فقرأت عليه، وهي^(٣):

تألّق برقٌ عندنا وتقابلتْ
فدونك قذر الحرب وهي مُقرّة
/ ولن تنتهي أو يبلغ الأملُ حدّه
فتنجّس منها ما جشمت من التي
تلاف أمور الناس قبل تفاقم
أثافٍ لقذر الحرب أخشى أقبالها
لكفّيك واجعل دون قذر جمالها^(٤)
فقلّها برّسل قبل الأتالها^(٥)
بُوراء هرت نحو حالك حالها^(٦)
بعقده حزم لا تخاف انحلالها

[١٦/١٧]

(١) في س والهاشميات: «معاناً».

(٢) في أ: «يتغشاك».

(٣) الهاشميات ٨٩.

(٤) الجمالة: خرقه تنزل بها القدر.

(٥) الرسل، بكسر الراء: الرفق والتؤدة.

(٦) في س: «بسوراء أهدت»، والمثبت من أ، ب، وهرت: صوتت. وسوراء: موضع؛ يقال: هو إلى جنب بغداد. والبيت لم يرد في الهاشميات.

فما أبرم^(١) الأقوامَ يَوْمًا لِحِيلَةٍ مِنْ الْأَمْرِ إِلَّا قَلْدُوكَ احتيالها^(٢)
وقد تُخَيِّرُ الْحَرْبُ الْعَوَانَ بِسَرِّهَا - وإن لم تُبَخْ - مَنْ لَا يُرِيدُ سَوَالَهَا

فأمر هشام أن يجمع له مَنْ بحضرته من الرِّوَاة، فجمعوا. فأمر بالأبيات فقرئت عليهم، فقال: شعْرُ مَنْ تُشَبِّه هذه الأبيات؟ فأجمعوا جميعاً مَنْ ساعتهم أنه كلام الكميث بن زيد / الأسدي، فقال هشام: نعم، هذا الكميث ^{١٢}/_{١٥} يُنْذِرُنِي بِخَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. ثم كتب إلى خالد بخبره، وكتب إليه بالأبيات، وخالد يومئذ بواسط.

هاشميته اللامية

فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمره بأخذ الكميث وحَبْسه، وقال لأصحابه: إنه بلغني أن هذا يمدح بني هاشم ويهجو بني أمية، فأتوني من شعره هذا بشيء. فَأَتَنِي بِقَصِيدَتِهِ اللَّامِيَةِ الَّتِي أَوَّلُهَا^(٣):

أَلَا هَلْ عَمِ فِي رَأْيِهِ مُتَأَمِّلٌ وهل مُذِيرٌ بَعْدَ الْإِسَاءَةِ مُقْبِلٌ!
فكتبها وأدراجها في كتابٍ إلى هشام، يقول: هذا شعْرُ الكميث؛ فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذلك.

[١٧/١٧]

/ فلما قرئت على هشام اغتاض، فلما قال^(٤):

فيا ساسةَ هاتوا لنا مِنْ جَوَابِكُمْ^(٥) ففِيكُمْ لَعَمْرِي ذُو أَفَانِينَ مِقْوَلٌ
اشتدَّ غَيْظُهُ. فكتب إلى خَالِدٍ يأمره أَنْ يَقْطَعَ يَدَيِ الْكَمَيْثِ وَرِجْلَيْهِ، وَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَيَهْدِمَ دَارَهُ، وَيَصْلِبَهُ عَلَى تَرَابِهَا.

ابن عنبسة ينذره ليتخلص من الحبس

فلما قرأ خالد الكتابَ كره أن يَسْتَفْسِدَ عَشِيرَتَهُ، وأعلن الأمرَ رجاءً أن يتخلص الكميث، فقال: لقد كتب إليَّ أميرُ المؤمنين، وإني لأكرهُ أن أَسْتَفْسِدَ عَشِيرَتَهُ، وسَمَاهُ، فعرف عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ما أرادَ، فأخرج غلاماً له مولداً ظريفاً، فأعطاه بغلةً له شقراءَ فارهةً من بغال الخليفة، وقال: إِنَّ أُنْتَ وَرَدْتَ الْكُوفَةَ، فَأَنْذَرْتُ الْكَمَيْثَ لَعَلَّهُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ الْحَبْسِ، فَأَنْتَ حُرٌّ لَوَجْهِ اللَّهِ، وَالبَغْلَةُ لَكَ، وَلَكَ عَلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِكْرَامُكَ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْكَ.

فركب البَغْلَةَ وسارَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ مِنْ وَاسِطٍ إِلَى الْكُوفَةِ فَصَبَّحَهَا، فدخلَ الْحَبْسَ مُتَنَكِّراً، فَخَبَّرَ الْكَمَيْثَ بِالْقِصَّةِ، فَأَرْسَلَ إِلَى امْرَأَتِهِ وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّهِ يَأْمُرُهَا أَنْ تَجِيثَهُ وَمَعَهَا ثِيَابٌ مِنْ لِبَاسِهَا وَخُفَّانِ، ففعلت، فقال: أَلَيْسَ لِي نِسَاءٌ، ففعلت، ثم قالت له: أَقْبِلْ، فَأَقْبِلْ، وَأَدْبِرْ، فَأَدْبِرْ. فقالت: مَا أَرَى إِلَّا يُسَاءُ فِي مَنْكَبِكَ، اذْهَبْ فِي حِفْظِ اللَّهِ.

(١) في أ، ب: «فما برم»، والمثبت يوافق ما في الهاشميات.

(٢) في ب: «احتيالها».

(٣) الهاشميات ٦٦.

(٤) الهاشميات ٦٨.

(٥) في الهاشميات: «من حديثكم».

فخرج فمرّ بالسّجان، فظنّ أنه المرأة، فلمّ يعرض له فنجا، وأنشأ يقول^(١):

/ خرجتُ خروجَ القذحِ قذحِ ابنِ مُقْبِلٍ / على الرّغمِ من تلكِ النّوايحِ والمُشْلِي^(٢)

[١٨/١٧]

عليّ ثيابُ الغانياتِ وتحتّها / عزيمةُ أميرٍ أشبهتْ سَلّةَ النّضْلِ

ورود كتاب خالد على والي الكوفة يأمره فيه بما كتب به إليه هشام، فأرسل إلى الكميّ ليؤتّى به من الحبس فيُفدّ فيه أمر خالد، فدنا من باب البيت فكلّمهم المرأة، وخبرتهم أنها في البيت^(٣)، وأن الكميّ قد خرج؛ فكتب بذلك إلى خالد فأجابته: حرّة كريمة آست ابن عمها بنفسها، وأمر بتخلّيتها، فبلغ الخبر الأعور الكلبي بالشام، فقال قصيدته التي يرمي فيها امرأة الكميّ بأهل الحبس، ويقول: أسودين وأحمرينا^(٤).

هجاؤه أحياء اليمن

فهاج الكميّ ذلك حتى قال:

* أَلَا حَيَّيتِ عَنَّا يَا مَدِينَا^(٥) *

وهي ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حيّا من أحياء اليمن إلا هجاهم. وتوازي، وطلب، فمضى إلى الشام، فقال

شعره الذي يقول فيه:

* قَفْ بِالذِّبَارِ وَقُوفَ زَائِرِ *

/ في مسلمة بن عبد الملك، ويقول:

[١٩/١٧]

يَا مَسْلَمُ ابْنَ أَبِي^(٦) الْوَلِيدِ لَمَيّتِ إِنْ شَتَّ نَاشِرُ

/ الْيَوْمَ صَرْتُ إِلَى أُمَيَّةٍ وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَايِرِ

١٢١
١٥

قال أبو الحسن: قال أبي: إنما أراد اليوم صرت إلى أميّة والأُمُورُ إلى مصايرها؛ أي بني هاشم. وبذلك

احتج ابنه المستهمل على أبي العباس حين عيّره بقول أبيه هذا الشعر.

فأذن له ليلاً، فسأله أن يُجيره على هشام، فقال: إني قد أجرت على أمير المؤمنين فأخفر جوّاري، وقبيح

برجل مثلي أن يُخفّر في كلّ يوم، ولكني أدلك، فاستجز بمسلمة بن هشام وبأُمّه أمّ الحكم^(٧) بنت يحيى بن

الحكم؛ فإن أمير المؤمنين قد رشحه لولاية العهد.

(١) الهاشميات ١٧.

(٢) يضرب المثل بقذح ابن مقبل؛ لأنه وصفه بقوله:

خَرُوجُ مِنَ الْغُمَى إِذَا صَكَ صَكَا / بِدَا وَالْعِيُونَ الْمُسْتَكْفَاةَ نَلْمُجُ

(٣) كذا في الأصول، والمراد بالبيت هنا حجرة السجن وهو مراد الكميّ هنا، ومراد عبد الملك فيما كتب به إلى الحجاج.

(٤) البيت كما في الخزائن ٨٦/١:

فَمَا وَجَدْتُ بَنَاتِ بَنِي نِزَارِ / حَلَالِ اسْوَدَيْنَ وَأَحْمَرَيْنَا

(٥) هامش أ: «مدينة»، أراد به «مدينة»، والعرب تقول لابن الأمة: «ابن مدينة»، قال الأخطل:

رَبْتُ وَرَبَا فِي كَرْمِهَا ابْنُ مَدِينَةٍ / يَظْلِلُ عَلَى مَسْحَاتِهِ يَتَرَكُّلُ

(«اللسان» - مدن).

(٦) في س: «وبابن أبي الوليد»، والبيت ليس في الهاشميات.

(٧) حاشية أ: «حكيم» وعليها علامة الصحة.

فقال الكميث: بش الرائي! أضيع دمي بين صبي وامرأة! فهل غير هذا؟ قال: نعم، مات معاوية ابن أمير المؤمنين وكان يحبّه، وقد جعل أمير المؤمنين على نفسه أن يزور قبره في كل أسبوع يوماً - وسمّي يوماً بعينه - وهو يزوره في ذلك اليوم، فامض فاضرب بناءك عند قبره، واستجرب به، فلاني سأحضر معه وأكلّمه بأكثر من الجوار.

استجارته بقبر معاوية بن هشام

ففعل ذلك الكميث في اليوم الذي يأتيه فيه أبوه، فجاء هشام ومعه مسلمة، فنظر إلى البناء، فقال لبعض أعيانه: انظر ما هذا، فرجع فقال: الكميث بن زيد مُستجير بقبر معاوية ابن أمير المؤمنين. فأمر بقتله، فكلّمه مسلمة وقال: يا أمير المؤمنين، إن إخماد الأموات عارٌّ على الأحياء، فلم يزل يعظّم عليه الأمر حتى أجاره.

/ خروج الجعفرية على خالد وهو يخطب وتحريفهم

فحدثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شَيْخ، قال: حدثنا حَجَر بن عبد الجبار، قال: خرجت الجعفرية على خالد بن عبد الله القسري وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلمُ بهم، فخرجوا في التباين^(١)، ينادون: لبيك جعفر، لبيك جعفر! وعرف خالد خبرهم، وهو يخطب على المنبر، فدهش فلم يعلم ما يقول فزعاً، فقال: أطعموني ماءً، ثم خرج الناس إليهم فأخذوا، فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويؤخذ طُن^(٢) قصب فيطلى بالنفط، ويقال للرجل احتضنه، ويُضرب حتى يفعل، ثم يحرق، فحرقهم جميعاً.

تعريضه بخالد

فلما قدم يوسف بن عُمر دخل عليه الكميث وقد مدحه بعد قتله زَيْد بن علي، فأنشده قوله فيه:

خَرَجْتَ لَهُمْ تَمْشِي الْبَرَاخَ وَلَمْ تَكُنْ كَمَنْ حِصْنُهُ فِيهِ الرُّتَاجُ الْمَضْبَبُ^(٣)
وَمَا خَالِدٌ يَسْتَطِيعُ الْمَاءَ فَاغْرَأَ يَعْذِلُكَ وَالذَّاعِي إِلَى الْمَوْتِ يَنْعَبُ

الجنود يقتلونه تعصباً لخالد

قال: والجنود قيامٌ على رأس يوسف بن عمر، وهم يمانية، فتعصبوا لخالد، فوضعوا ذُبابَ سيوفهم في بطن الكميث، فوجئوه^(٤) بها، وقالوا: أتنشدُ الأميرَ ولم تستأمره! فلم يزل ينزفه الدّم حتى مات.

اعتذاره لهشام من ذنبه

وأخبرني عمي، قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحي عن محمد بن سلمة بن أرتبيل، قال:

/ لما دخل الكميث بن زَيْد على هشام، سلّم ثم قال: يا أمير المؤمنين، غائب آب، ومذنب تاب، مَحَا [٢١/١٧]

(١) التباين: جمع تبا، وهو سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين، وتشبه أن تكون البيانيين وهم أتباع بيان، فقد ورد في «الطبري» حوادث سنة ١١٩ خروجهم على خالد وتحريقه لهم.

(٢) طن القصب، بضم الطاء: الحزمة منه.

(٣) الرتاج: الباب العظيم؛ والمضرب: المغلق.

(٤) وجئوه: ضربوه.

بالإنابة ذنبه، وبالصّدق كذبه، والتوبة تُذهب الحَوْبَة، ومثلُك حَلُمٌ عن ذي الجريمة، وصفح عن ذي الرّيبة.

فقال له هشام: ما الَّذِي نَجّاك من القَسْرِي؟ قال: صدّق النّية في التوبة. قال وَمَنْ سَنَّ لك الغي وأورطك فيه؟ قال: الَّذِي أغوى آدم فَنَسِيَ ولم يَجِدْ له عَزْماً، فإن رأيت يا أمير المؤمنين - فدتك نفسي - أن تأذن لي بِمَحْوِ الباطل بالحق، بالاستماع لما قلته! فأنشده^(١):

١٢٢ / ذَكَرَ الْقَلْبُ إِلْفَهُ الْمَذْكُورَا^(٢) وتلافى مِنَ الشَّبَابِ أَخِيرَا ١٥

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار، قال: حدثنا الحسن بن عَلِيلِ الْعَنْزِي، قال: حدثني أحمد بن بَكِيرِ الْأَسَدِي، قال: [حدثني محمد بن أنس، قال^(٣)]: حدثني محمد بن سهل الْأَسَدِي، قال:

ابنه المستهل وعبد الصمد بن علي

دخل المستهل بن الكميت على عبد الصمد بن علي، فقال له: مَنْ أنت؟ فأخبره؛ فقال: لا حَيَّاكَ اللهُ ولا حَيَّا أَبَاكَ، هو الَّذِي يقول:

فَالآنَ صَرْتُ إِلَى أُمِّيَّةٍ وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَائِرِ

قال: فأطرفتُ استحياء مما قال، وعرفتُ البيت. قال: ثم قال لي: ازقِعْ رَأْسَكَ يا بُنَيَّ، فلئن كان قال هذا، فلقد قال:

بَخَاتِمِكُمْ كَرِهًا تَجُوزُ أُمُورُهُمْ فَلَمْ أَرْ غَضَبًا مِثْلَهُ حِينَ يُغْصَبُ^(٤)

قال: فسلى بعض ما كان بي، وحادثني ساعة، ثم قال: ما يعجبك من النساء يا مستهل؟ قلت:

٢٢/١٧ / غَرَاءَ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ فَرْعَهَا جَفَلًا يُزَيِّتُهُ سَوَادُ أَسْحَمِ^(٥)
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَكَأَنَّهَا لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ

قال: يا بُنَيَّ؛ هذه لا تصابُ إلَّا في الفردوس، وأمر له بجائزة.

شعره يصلح بين هشام وجارته صدوف

أخبرني عَمِّي قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله الخَصَّافُ الطَّلْحِيُّ، عن محمد بن أنس السَّلَامِيِّ، قال:

كان هشامُ بن عبد الملك مشغولاً بجارية له يقال لها صَدُوفُ مَدِينَةٍ^(٦) اشترى له بمال جزيل، فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها، وحلف ألا يبدأها بكلام، فدخل عليه الكميث وهو مغموم بذلك، فقال: ما لي أراك

(١) الهاشميات ١٨.

(٢) في الهاشميات: «إلفه المهجورا».

(٣) زيادة تقتضيها صحة السند، وانظر ص ٢٩.

(٤) الهاشميات ٤٠، وفي س: «لخاتمكم».

(٥) الشعر لبكر بن النطاح. الحماسة ٢: ٧٠ (طبعة الرافعي).

(٦) كذا في س، وهو الوجه في النسبة إلى مدينة الرسول تفرقة بينها وبين مدينة المنصور، فالنسبة إليها مديني، وفي أ: «مدينة».

مغموماً يا أمير المؤمنين، لا غمك الله! فأخبره هشام بالقصة، فأطرق الكميّ ساعةً ثم أنشأ يقول^(١):
 أَعْتَبْتُ أُمَّ عَتَبْتُ عَلَيْكَ صَدُوفُ وَعِتَابُ مِثْلِكَ مِثْلَهَا تَشْرِيفُ
 لَا تَقْعُدَنَّ تَلُومُ نَفْسِكَ دَائِباً فِيهَا وَأَنْتَ بِحُبِّهَا مَشْغُوفُ
 إِنَّ الصَّرِيمَةَ لَا يَقُومُ بِثِقَلِهَا^(٢) إِلَّا الْقَوِيُّ بِهَا، وَأَنْتَ ضَعِيفُ

فقال هشام: صدقت والله، ونهض من مجلسه، فدخل إليها، ونهضت إليه فاعتنقته. وانصرف الكميّ، فبعث إليه هشام ألف دينار، وبعثت إليه بمثلها.

/ وفوده على يزيد بن عبد الملك

قال الطلحي: أخبرني حُبَيْش بن الكميّ أخو المستهلّ بن الكميّ بن زيد، قال:

وفد الكميّ بن زيد على يزيد بن عبد الملك، فدخل عليه يوماً وقد اشترت له سلامة القس، فأدخلها إليه والكميّ حاضر فقال له: يا أبا المستهلّ، هذه جاريةٌ تُباع، أفترى أن نبتاعها؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين؛ وما أرى أن لها مثلاً في الدنيا فلا تفوتك، قال: فصفاها لي في شعرٍ حتى أقبل رأيك؛ فقال الكميّ^(٣):

شعره في سلامة القس

هِيَ شَمْسُ النَّهَارِ فِي الْحُسْنِ إِلَّا أَنَهَا فَضُلْتُ بِقَتْلِ الظُّرَافِ
 غَضَّةٌ بَقِيَّةٌ رَخِيمٌ لَعُوبُ وَغَتَّةُ الْمَتْنِ شَخْتَةُ الْأَطْرَافِ^(٤)
 زَانَهَا دَلَّهَا وَتَغَرَّرَ نَقِي وَحَدِيثُ مُرْتَلٍ غَيْرَ جَافِي
 / خُلِقَتْ فَوْقَ مُنِيَةِ الْمُتَمَنِّي فَاقْبَلِ الثُّصَحَ يَا بَنَ عَبْدِ مَنَافِ

فضحك يزيد، وقال: قد قبلنا نضحك يا أبا المستهلّ، وأمر له بجائزة سنّة.

لقاؤه بالفرزدق وهو صبي

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن ابن قُتيبة، قال:
 مرّ الفرزدق بالكميّ وهو ينشد - والكميّ يومئذ صبيّ - فقال له الفرزدق: يا غلام، أيسرُّك أني أبوك؟ فقال:
 لا، ولكن يسرني أن تكون أُمِّي! فَحَصِرَ^(٥) الفرزدق، فأقبل على جلسائه وقال: ما مرّ بي مثل هذا قط.

إنشاده أبا عبد الله جعفر بن محمد

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانيّ بن عَقْدَةَ، قال: أخبرنا عليّ بن مُحمَّد / الحسيني، قال: حدثنا [٢٤/١٧] جعفر بن محمد بن عيسى الحمّال، قال: حدثنا مصبّح بن الهَلِقَام، قال: حدثنا محمد بن سهل صاحب الكميّ، قال:

(١) الهاشميات ٩٤.

(٢) في ب: «بمثلها» والمثبت ما في الهاشميات.

(٣) الهاشميات ٩٤.

(٤) المتن: الظهر. ووعثة: سميّة. شخنة الأطراف: ضامرتها لا هزاً.

(٥) الحصر، بالتحريك: العي في المنطق.

دخلت مع الكميت على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، فقال له: جعلت فداك! ألا أنشدك؟ قال: إنها أيام عظام، قال: إنها فيكم، قال: هات - وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب - فأنشده، فكثر البكاء حتى أتى على هذا البيت^(١):

يُصِيبُ بِهِ الرَّامُونَ عَنْ قَوْسٍ غَيْرِهِمْ فَيَا آخِرَ سَلْدَى لِهَ الْغَسِيِّ أَوَّلُ^(٢)
 فرفع أبو عبد الله - عليه السلام - يَدَيْهِ فقال: اللهم اغفر للكميت ما قَدَّمَ وما أَخَّرَ، وما أَسْرَّ وما أَعْلَنَ، وأعطه حتى يَرْضَى.

إنشاده أبا جعفر محمد بن علي.

أخبرني حبيب بن نصر المَهَلِّي، قال: حدثنا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قال: قال محمد بن كُنَاسة: حدثني صاعد مولى الكميت، قال:

دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي - عليهما السلام - فأنشده الكميت قصيدته التي أولها:

* مَنْ لَقَلْبٍ مَتِّمٍ مُسْتَهَامٌ؟ *

فقال: اللهم اغفر للكميت، اللهم اغفر للكميت.

قبوله كسوة أبي جعفر ورده المال

قال: ودخلنا يوماً على أبي جعفر محمد بن علي، فأعطانا ألف دينار وكسوة، فقال له الكميت: والله ما أحببتكم للدنيا، ولو أردت الدنيا لأتيت مَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ، ولكني أحببتكم للآخرة؛ فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتهما، وأما المال فلا أقبله، فردّه وقَبِلَ الثياب.

[٢٥/١٧] / فاطمة بنت الحسين تحتفي به

قال: ودخلنا على فاطمة بنت الحسين - عليهما السلام - فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت، وجاءت بَقْدَحٍ فِيهِ سَوِيقٌ، فحركته بيدها وسقت الكُمَيْتَ، فشربه، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب، فهَمَلَتْ عَيْنَاهُ، وقال: لا والله لا أقبلها؛ إني لم أحبكم للدنيا.

احتجاج بني أسد على المستهل بن الكميت ببيت لأبيه

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: أخبرني عمي، عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن ابنِ كُنَاسة، قال:

لما جاءت المُسَوَّدَةُ سَخَرُوا^(٣) بِالْمُسْتَهْلِ بْنِ الْكُمَيْتِ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِ حَمَلًا ثَقِيلًا، وَضَرَبُوهُ، فَمَرَّ بِبَنِي أَسَدٍ، فَقَالَ: أَتَرْضُونَ أَنْ يُفْعَلَ بِي هَذَا الْفِعْلُ؟ قَالُوا لَهُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُ أَبُوكَ فِيهِمْ^(٤):

(١) الهاشميات ٧١.

(٢) في الهاشميات: أسدى.

(٣) أ: «سجروا» تحريف.

(٤) الهاشميات ٢٢.

والمُصَيِّبونَ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّاسُ مِثْلَ مُرْشُو قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ^(١)

قد أصابوا فيك، فلا تكذب أباك.

المستهل وأبو مسلم

قال: ودخل المستهل على أبي مسلم، فقال له: أبوك الذي كفر بعد إسلامه، فقال: كيف وهو الذي يقول:

بخاتمكم كَرِهًا تَجُوزُ أُمُورُهُمْ^(٢) فلم أَرَّ غَضَبًا مِثْلَهُ حِينَ يُغْصَبُ

فأطرق أبو مسلم مستحيًا منه.

المستهل يشكو إلى أبي جعفر

أخبرني عمي، قال: حدثنا محمد بن سعد الكرائي، قال: حدثنا الحسن بن بشر السعدي، قال:

/ أخذ العَسَّسُ المستهل بن الكميت في أيام جعفر، وكان / الأمر صَغْبًا، فحبس، فكتب إلى أبي جعفر يشكو [٢٦/١٧] حاله، وكتب في آخر الرُّقعة:

لِئِنْ نَحْنُ نَخْفَا فِي زَمَانِ عَدُوِّكُمْ وَخَفْنَاكُمْ إِنَّ الْبَلَاءَ لَسَارِكِدُ

فلما قرأها أبو جعفر قال: صدق المستهل، وأمر بتخليته.

خبر لدعبل في رؤياه النسبي

حدثني علي بن محمد بن علي إمام مسجد الكوفة، قال: أخبرنا إسماعيل بن علي الخزاعي - ابن أخي دعبل -

قال: حدثني عمي دعبل بن علي قال:

رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فِي النَّوْمِ، فَقَالَ لِي: مَا لَكَ وَلِلْكَمَيْتِ بْنِ زَيْدٍ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا كَمَا

بَيْنَ الشَّعْرَاءِ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، أَلَيْسَ هُوَ الْقَاتِلُ:

فَلَا زِلْتُ فِيهِمْ حَيْثُ يَتَهَمُونَنِي وَلَا زِلْتُ فِي أَشْيَاعِهِمْ أَتَقَلَّبُ

فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ بِهَذَا الْبَيْتِ. قال: فأنتهيت عن الكميت بعدها.

خبر لسعد الأسدي في رؤياه النبي

حدثني علي بن محمد، قال: حدثني إسماعيل بن علي، قال: حدثني إبراهيم بن سعد الأسدي، قال:

سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ:

أَعْلَمُ، فَمِنْ أَيِّ الْعَرَبِ؟ قُلْتُ: مِنْ بَنِي أَسَدٍ، قَالَ: مِنْ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ لِي: أَهْلًا لِي أَنْتَ؟ قُلْتُ:

نَعَمْ، قَالَ: أَتَعْرِفُ الْكَمَيْتَ بْنَ زَيْدٍ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَمِّي وَمِنْ قِبَلَتِي، قَالَ: أَتَحْفَظُ مِنْ شَعْرِهِ شَيْئًا؟ قُلْتُ:

نَعَمْ، قَالَ: أَنْشِئْنِي^(٣):

* طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ *

(١) في الهاشميات: «والمصبيين... ومرسي».

(٢) في ط: «لخاتمكم»، والمثبت من أ، ب والهاشميات.

(٣) الهاشميات ٣٦، وبقية البيت:

* وَلَا لَعِبًا مِنِّي وَذُو الشُّوقِ يَلْعَبُ *

/ قال : فأنشدته حتى بلغت إلى قوله^(١) :

فمَالِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةً وَمَالِي إِلَّا مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبُ
فقال لي : إذا أصبحتَ فاقْرَأْ عليه السلام ، وقل له : قد غفر الله لك بهذه القصيدة .

نصر بن مزاحم يراه في نومه ينشد بين يدي النبي

وَجَدْتُ فِي كِتَابٍ بِخَطِّ الْمُزْهَبِيِّ الْكُوفِيِّ : حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنُ هِشَامٍ النَّهْدِيُّ^(٢) الْخِرَازِيُّ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ مُزَاحِمٍ الْمِنْقَرِيُّ ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ يَنْشُدُهُ :
* مِنْ لِقَابِ مُتَيْمٍ مُسْتَهَامٍ ؟^(٣) *

قال : فسألت عنه ، فقل لي : هذا الكميثُ بن زَيْدِ الْأَسَدِيِّ ، قال : فجعل النبي ﷺ يقول له : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا !
وَأَتْنِي عَلَيْهِ .

نقد الفرزدق شعره

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَافُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنْزِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ بَكْرِ الْأَسَدِيِّ ،
قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَنَسٍ السَّلَامِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ رَاوِيَةُ الْكَمَيْتِ ، قَالَ :
جَاءَ الْكُمَيْثُ إِلَى الْفَرَزْدَقِ لَمَّا قَدَّمَ الْكُوفَةَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ قُلْتُ شَيْئًا فَأَسْمَعُ مِنْكَ يَا أَبَا فِرَاسٍ . قَالَ : هَاتِهِ ،
فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ^(٤) :

/ طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرُبُ وَلَا لِعِبَاءٍ مَنَسِي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ^(٥)
وَلَكِنْ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالنُّهَى وَخَيْرِ بَنِي حَوْاءَ وَالْخَيْرِ يُطَلَّبُ

فقال له : قد طرِبْتُ إلى شيءٍ ما طَرِبَ إِلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلَكَ ، فَأَمَّا نَحْنُ فَمَا نَطْرِبُ ، وَلَا طَرِبَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَّا إِلَى
مَا تَرَكْتَ أَنْتَ الطَّرِبَ إِلَيْهِ .

يعرض شعره على الفرزدق قبل إذاعته

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ النَّوْفَلِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ :
لَمَّا قَالَ الْكَمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ الشَّعْرَ كَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ الْهَاشِمِيَّاتِ ، فَسَرَّهَا ، ثُمَّ أَتَى الْفَرَزْدَقَ بْنَ غَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ :
يَا أَبَا فِرَاسٍ ، إِنَّكَ شَيْخٌ مُضَرٌّ وَشَاعِرٌ ، وَأَنَا ابْنُ أَخِيكَ الْكَمَيْتُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ . قَالَ لَهُ : صَدَقْتَ ، أَنْتَ ابْنُ أَخِي ،
فَمَا / حَاجَّتُكَ ؟ قَالَ : نَفَثْتُ عَلَى لِسَانِي^(٦) فَقُلْتُ شِعْرًا ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْرِضَهُ عَلَيْكَ ؛ فَإِنْ كَانَ حَسَنًا أَمَرْتَنِي بِإِذَاعَتِهِ ، وَإِنْ
١٥

(١) الهاشميات ٣٩ .

(٢) في ب : « السمرى » .

(٣) في أ : مشتاق ، وبقية : .

* غَيْرَ مَا صَبْرٌ وَلَا أَحْلَامُ *

(٤) الهاشميات ٣٦ .

(٥) حاشية أ : « وذو الشوق » ، وعليها علامة الصحة ، وهي رواية الهاشميات .

(٦) نفث على لساني : أوحى إليّ بالشعر .

كان قبيحاً أَمَرْتَنِي بِسْتَرِهِ، وَكُنْتُ أُولَى مَنْ سَتَرَهُ عَلَيَّ. فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ: أَمَّا عَقْلُكَ فَحَسَنٌ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شِعْرُكَ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ، فَأَنْشِدْنِي مَا قُلْتَ، فَأَنْشِدْهُ:

* طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً إِلَى الْبَيْضِ أَطْرِبُ ^(١) *

قال: فقال لي: فِيمَ تَطْرِبُ يَا بَنَ أَخِي؟ فقال:

* وَلَا لِعِبَاءٍ مِنِّي وَذُرِّ الشَّيْبِ يَلْعَبُ *

فقال: بلى يَا بَنَ أَخِي، فَالْعَبُ، فَإِنَّكَ فِي أَوَانِ اللَّعِبِ، فَقَالَ:

وَلَمْ يُلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنْزِلٍ وَلَمْ يَتَطَرَّبْنِي بَنَانٌ مَخْضَبُ /
فقال: مَا يُطْرِبُكَ يَا بَنَ أَخِي؟ فقال:

وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةً أَمْرٌ سَلِيمُ الْقَرْنِ أَمْ مَرٌّ أَعْضَبُ؟
فقال: أَجَلٌ، لَا تَتَطَيَّرُ، فَقَالَ:

وَلَكِنْ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالْهَيْ وَخَيْرِ بَنِي حَوْاءَ وَالْخَيْرِ يُطَلَّبُ
فقال: وَمَنْ هَؤُلَاءِ؟ وَنَحْكَ! فَقَالَ:

إِلَى الثَّقَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ
قال: أَرِحْنِي وَنَحْكَ! مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قال:

بَنِي هَاشِمٍ رَفِطِ النَّبِيِّ فَإِنَّنِي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضَى مِرَاراً وَأَغْضَبُ
خَفَضْتُ لَهُمْ مَنِّي جَنَاحِي مَوْدَةً إِلَى كَنَفِ عِطْفَاءِ أَهْلِ وَمَرْحَبُ
وَكُنْتُ لَهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَمَوْلاً مُحِبّاً ^(٢)، عَلَى أَنِّي أَذْمُ وَأَقْصَبُ ^(٣)
وَأُزِمِّي وَأُزِمِّي بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا وَإِنِّي لَأُوذِي فِيهِمْ وَأُوْتَسَبُ
فقال له الْفَرَزْدَقُ: يَا بَنَ أَخِي، أَذْعَ ثُمَّ أَذْعَ؛ فَأَنْتَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ مَنْ مَضَى، وَأَشْعَرُ مَنْ بَقِيَ.

معارضته قصيدة لذي الرمة

أخبرني الحسن، قال: حدثنا الحسن بن عُلَيْلِ الْعَنْزِي، قال: حدثني أحمد بن بَكِيرٍ، قال: حدثني محمد بن أَنَسٍ، قال: حدثني محمد بن سهل راوية الكميث عن الكميث، قال:

لَمَّا قَدِمَ ذُو الرُّمَةِ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي قَدْ قُلْتُ قَصِيدَةً عَارِضْتُ بِهَا قَصِيدَتَكَ:

* / مَا بِالْغَيْنِ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ ^(٤) *

فقال لي: وَأَيُّ شَيْءٍ قُلْتَ؟ قال: قُلْتُ:

(١) الهاشميات ٣٦.

(٢) الهاشميات: «مجنأ».

(٣) في س: «وأعضب». وقصبه، أي عابه وشتمه، والمثبت ما في الهاشميات.

(٤) ديوانه أ، وتماه:

* كَانَهُ مِنْ كُلِّ مَقَرَّةٍ سَرِبُ *

هل أنت عن طلب الأيقاع^(١) مُنْقَلِبٌ أم كيف يحسن من ذي الشَّيْبَةِ اللَّعِبُ؟!

حتى أنشدته إياها، فقال لي: وَيَحْك! إنك لتقول قولاً ما يقدرُ إنسانٌ أن يقول لك أصبت ولا أخطأت، وذلك أنك تصفُ الشيءَ فلا تجيء به، ولا تقعُ بعيداً منه، بل تقع قريباً. قلت له: أو تدري لِمَ ذلك؟ قال: لا، قلتُ: لأنك تصفُ شيئاً رأيته بغيرك، وأنا أصفُ شيئاً وُصِف لي، وليست المعايضة كالوصف. قال: فسكت^(٢).

علمه بالبادية عن وصف جدتيه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني إسماعيل بن عبد الله الطلحي، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل، عن حماد الراوية، قال:

كانت للكميت جدتان أدركتا الجاهلية، فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتُخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية، فإذا شك في شغل أو خبر عرضه عليهما فيخبرانه عنه، فمن هناك كان علمه.

أخبرني الحسن بن القاسم البجلي / الكوفي، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن المَعْلَى، قال: حدثنا محمد بن فضيل - يعني الصيرفي - عن أبي بكر الحضرمي، قال:

/ استأذنت للكميت على أبي جعفر محمد بن علي - عليهما السلام - في أيام التشريق بمي، فأذن له، فقال له الكمي: جُعِلَت فِدَاكَ! إنني قلتُ فيكم شِعْراً أحبُّ أن أنشدك. فقال: يا كمي، اذكر الله في هذه الأيام المعلومات، وفي هذه الأيام المعدودات، فأعاد عليه الكمي القول، فرق له أبو جعفر - عليه السلام - فقال: هات، فأنشده قصيدته حتى بلغ^(٣):

يُصِيبُ بِهِ الرَّاْمُونَ عَنْ قَوْسٍ غَيْرِهِمْ فَيَا آخِرًا سَدَى لَهُ الْغَيَّ أَوَّلُ^(٤)

فرجع أبو جعفر يديه إلى السماء وقال: اللهم اغفر للكميت.

استثذانه أبا جعفر في مدح بني أمية

أخبرني جعفر بن محمد بن مروان الغزال الكوفي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أرطاة بن حبيب، عن فضيل الرِّثَّان، عن ورد بن زيد أخي الكمي، قال:

أرسلني الكمي إلى أبي جعفر، فقلت له: إن الكمي أرسلني إليك، وقد صُنِعَ بنفسه ما صُنِعَ، فتأذن له أن يمدح بني أمية؟ قال: نعم، هو في حلٍّ فليقل ما شاء.

أخبرني محمد بن العباس، قال: أخبرني عمي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن ابن كُنَّاسَة، قال: مات وَرَدُّ أَخُو الْكَمِي، فقيل للكمي: ألا ترثي أخاك؟ فقال: مَرَّتِيهِ وَمَرَّتِيهِ عِنْدِي سَوَاءٌ، وَإِنِّي لَا أَطِيقُ أَنْ أَرْتِيَهُ جَزَعاً عَلَيْهِ.

(١) الأيقاع: يريد بالأيقاع الكواكب التي شارفت البلوغ.

(٢) الموشع ٣٠٧، والأغاني ١: ٣٤٨.

(٣) الهاشميات ٧١.

(٤) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٤.

روايته للحديث

وقد روى الكميت بن زيد الحديث، ورؤي عنه.

أخبرني جعفر بن محمد بن عبيد بن عتبة في كتابه إليّ، قال: حدثني / الحسين بن محمد بن عليّ الأزديّ، [٣٢/١٧] قال: حدثني الوليد بن صالح، قال: حدثني محمد بن سعيد بن عمير الصيداويّ، عن أبيه، عن الكميت بن زيد، قال:

حدثني عكرمة أنّ عبد الله بن عباس بعثه مع الحسين بن عليّ - عليهما السلام - فجعل يهلّ^(١) حتى رمى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، أو حين رمى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، فسألتُه عن ذلك، فأخبرني أنّ أباه فعَلَهُ، فحدثتُ به ابنَ عباس، فقال لي: لا أمّ لك! أتسألني عن شيء أخبرك به الحسين بن عليّ عن أبيه! والله إنها لَسُنَّةٌ.

أخبرنا أبو الحسن بن سراج الجاحظ، قال: حدثنا مسروق بن عبد الرحمن أبو صالح، عن الحسن بن محمد بن أعين، عن حفص بن محمد الأسديّ، قال: حدثنا الكُمَيْت بن زيد عن مذكور مولى زينب، عن زينب، قالت:

دخل عليّ النبي ﷺ وأنا فضّل^(٢)، قالت: فقلت بيدي هكذا - واستترت - قالت: فقال لي: إنّ الله عزّ وجلّ زوّجَنيك.

روايته للتفسير

حدثني أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، قال: حدثني أحمد بن سراج، قال: حدثني الحسن بن أيوب الخثعميّ، قال: حدثنا قُرّات بن حبيب الأسديّ قال: حدثني أبي حبيب بن أبي سليمان، قال: حدثني الكُمَيْت بن زيد، قال: سألتُ أبا جعفر عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾^(٣). قال: دخلتُ أنا وأبي إلى أبي سعيد الخُدْريّ، فسأله أبي عنها، فقال: مَعَادُ آخِرَتِهِ: الموت.

يعتذر إلى أبي جعفر محمد بن عليّ

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني إسحاق بن محمد بن أبان، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مهران، قال: حدثني ربيع بن عبد الله بن الجارود بن أبي سبرة، عن أبيه، قال:

دخل الكميت بن زيد الأسديّ على أبي جعفر محمد بن عليّ، عليهما السلام، فقال له: يا كميّ! أنت القائل:

/ فَالآن صِرْتُ إِلَى أُمِّيَّةٍ وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَائِرِ

١٢٧
١٥

قال: نعم، قد قلْتُ، ولا والله ما أردتُ به إلّا الدنيا، ولقد عرفتُ فضلُكم، قال: أما أن قلت ذلك فإنّ التقيّة لتحلّ.

(١) يهلّ: يرفع صوته.

(٢) فضّل، أي في ثوب واحد؛ وفي أ: «اصلي».

(٣) سورة القصص ٨٥.

رأي معاذ الهراء في شعره

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الرعي، قال: حدثنا أحمد بن بكير الأسدي قال: حدثنا محمد بن أنس السلامي الأسدي قال: سئل معاذ الهراء: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: أَمِنَ الجاهليين أم من الإسلاميين؟ قالوا: بل من الجاهليين. قال: امرؤ القيس، وزهير، وعبيد بن الأبرص. قالوا: فمن الإسلاميين؟ قال: الفرزدق، وجري، والأخطل، والرّاعي. قال: فقليل له: يا أبا محمد، ما رأيك ذكرت الكميت فيمن ذكرت. قال: ذاك أشعر الأولين والآخرين.

لم يخرج مع زيد بن علي

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، قال: حدثنا العباس بن بكار، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، قال:

/ لما خرج زيد بن علي كتب إلى الكميت: اخرج معنا يا أعيمش، ألسن القائل (١):

ما أبالي - إذا حُفِظَت أبا القا - سم - فيكم ملامة اللوام

فكتب إليه الكميت:

تجوّد لكم نفسي بما دون وَبِقِيَّةٍ تَظَلُّ لها الغربان حَوْلِي تَخْجَلُ

أخبرني محمد بن العباس البزدي، قال: حدثني عمي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن محمد بن كناسة، قال:

لما أنشد هشام بن عبد الملك قول الكميت (٢):

فَبِهِمْ صرْتُ للبعيد ابنَ عَمٍّ واتهمت القريبَ أيّ اتهام

مُبْدِيًا صفحتي على الموقف المُعَلَّم، بالله قوَّتِي واعتصامي (٣)

قال: استقتل المرائي.

مدحه خالد القسري

قال: ودخل الكميت على خالد القسري، فأنشده قوله فيه (٤):

لو قيل للجود: مَنْ حَلِيفُكَ؟ ما
أنتَ أخوه وأنتَ صُورُوه
أحرزتَ فضلَ النُضالِ في مهلٍ
لو أن كُفْبًا وحامًا نُشِرَا
إن كان إلا إليك يَنْسِيبُ
والرأسُ منه، وغيرُكَ الذَّنْبُ
فَكُلٌّ يَؤُومُ بِكَفِّكَ الْقَصَبُ
كانا جميعاً مِنْ بَعْضِ ما تَهَبُ

(١) الهاشميات ٣٣.

(٢) الهاشميات ٣٣.

(٣) الهاشميات: «عزتي».

(٤) الهاشميات ٩٠.

[٣٥/١٧]

/ لا تَخْلِفُ الرَّعْدَ إِنْ وَعَدْتَ وَلَا
ما دُونَكَ الْيَوْمَ مِنْ نَوَالٍ، وَلَا
أَنْتَ عَنِ الْمُغْتَفِينَ تَحْتَجِبُ
خَلْفَكَ لِلرَّاعِبِينَ مُنْقَلِبُ^(١)
فَأَمْرٌ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

المستهل وعيسى بن موسى

قال: وحضر المستهل بن الكميت باب عيسى بن موسى - وكان يكرمه - فبلغه أنه قد غلب عليه الشراب، فاستخفت به، وكان آخر مَنْ يدخل إلى عيسى بن موسى قومٌ يقال لهم الرّاشدون يؤذّن لهم في القعود، فادخل المستهل معهم، فقال:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي لَمَّا حَضَرْتُ
فَقَزْتُ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِمْ
دُعِيتُ فَكُنْتُ مَعَ الرَّاشِدِينَ
وَأَقْبَحُ مَنْزِلَةِ الدَّاخِلِينَ

إنشاده مخلد بن يزيد بن المهلب

أخبرني حبيب بن نصر المهلب، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال:

دخل الكميت على مخلد بن / يزيد بن المهلب، فأنشده^(٢):

قَادَ الْجِيُوشَ لَخْمَسَ عَشْرَةِ حِجَّةٍ
قَعَدَتْ بِهِمْ هِمَاتُهُمْ وَسَمَتْ بِهِ
وَلِدَاتُهُ عَنِ ذَاكَ فِي أَشْفَالِ^(٣)
هَمَمُ الْمُلُوكِ وَسُورَةُ الْأَبْطَالِ

قال: وقُدّام مخلد دراهم يقال لها الرّويجة، فقال: خُذْ وَفَرِّكْ^(٤) منها. فقال له: البغلة بالباب، وهي أجلد مني، فقال: خُذْ وَفَرِّهَا، فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم، فقليل لأبيه في ذلك، فقال: لا أَرُدُّ مَكْرُمَةً فَعَلَهَا ابْنِي.

إذا قال أحب أن يحسن

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني أبو بكر الأموي، قال: حدثنا ابن فضيل، قال:

/ سَمِعْتُ ابْنَ شُبْرُمَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِلْكَمَيْتِ: إِنَّكَ قُلْتَ فِي بَنِي هَاشِمٍ فَأَحْسَنْتَ، وَقُلْتَ فِي بَنِي أُمَيَّةٍ أَفْضَلَ، [٣٦/١٧]
قَالَ: إِنِّي إِذَا قُلْتُ أَحَبُّتُ أَنْ أَحْسَنَ.

طويل أصم لا يجيد الإنشاد

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن عمران الصيرفي، قالا: حدثنا الحسن بن عُلَيْلِ الْعَنْزِي، قال: حدثنا محمد بن معاوية، عن ابن كُنَاسَةَ، قال:

كَانَ الْكَمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ طَوِيلًا أَصَمًّا، وَلَمْ يَكُنْ حَسَنَ الصَّوْتِ وَلَا جَيِّدَ الْإِنْشَادِ، فَكَانَ إِذَا اسْتَشْدَّ أَمْرُ ابْنِهِ الْمُسْتَهْلِ فَأَنْشَدَ، وَكَانَ فَصِيحًا حَسَنَ الْإِنْشَادِ^(٥).

(٢) الهاشميات ٨٨.

(١) في أ: «مطلب».

(٣) لداته: أنداده.

(٤) الوقر، بالكسر: الحمل الثقيل.

(٥) انظر الأغاني ١٠: ٣٢١، والمختار ٦: ٢٨٧.

سبب هجائه أهل اليمن

أخبرني عمي وابن عمار، قالوا: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحي، عن محمد بن سلمة بن أرثبيل:

أن سبب هجاء الكميّ أهل اليمن، أن شاعراً من أهل الشام يقال له حكيم بن عياش الكلبي كان يهجو عليّ بن أبي طالب - عليه السلام - وبني هاشم جميعاً، وكان منقطعاً إلى بني أمية، فانتدب له الكميّ فهجاه وسبه، فأجابه ولجّ الهجاء بينهما، وكان الكميّ يخاف أن يفتضح في شعره عن عليّ - عليه السلام - لما وقع بينه وبين هشام، وكان يظهر أن هجاء إياه في العصبية التي بين عدنان وقحطان، فكان ولد إسماعيل بن الصباح بن الأشعث ابن قيس ووَلَدَ علقمة بن وائل الحضرميّ يزوون^(١) شِعْرَ الكلبيّ، فهجأ أهل اليمن جميعاً إلا هذين، فإنه قال في آل علقمة:

ولولا آل علقمة اجتدغنا بقايا من أنوف مُصلّمين^(٢)

/ وقال في إسماعيل: [٣٧/١٧]

فإن لإسماعيل حقاً، وإننا له شاعبو الصّدع المُقارب للشُعْبِ
وكانت لآل علقمة عنده يد؛ لأنّ علقمة آواه ليلة خرج إلى الشام، وأمّ إسماعيل من بني أسد، فكفّ عنهما لذلك.

قال الطلحي: قال أبو سلمة: حدثني محمد بن سهل، قال: قال الكلبي:

ما سرّني أن أمي من بني أسد وأن ربي نجاني من النار
وأنهم زوجوني من بناتهم وأن لي كل يوم ألف دينار

فأجابه الكميّ:

يا كلب مالك أم من بني أسد يا كلب فاحترق يا كلب بالنار
لكنّ أمك من قوم سُتِنت بهم قد قُتّعوك قنّاع الخزي والعار

قال: فقال له الكلبي:

/ لن يبرّح اللؤم هذا الحي من أسد حتى يفرّق بين الثبّت والأحد^(٣)

١٢٩
١٥

قال محمد بن أنس: حدثني المستهل بن الكميّ، قال: قلت لأبي: يا أبت، إنك هجوت الكلبيّ، فقلت:

ألا يا سلّم يا تريّ^(٤) أفي أسماء من ترّب؟

وغمزت عليه فيها، ففخرت ببني أمية، وأنت تشهد عليها بالكفر، فألا فخرت بعليّ وبني هاشم الذين

(١) في أ: «يردون».

(٢) الشعر والشعراء ٥٠٩، ٥١٠.

(٣) في أ: «حتى أفرق».

(٤) انظر «م».

تَتَوَلَّاهُمْ! فقال: يا بني، أنت تعلم انقطاع الكلبي إلى بني أمية، وهم أعداء علي عليه السلام، فلو ذكرت علياً لترك / ذكري، وأقبل على هجائه، فأكون قد عرضتُ علياً له، ولا أجد له ناصراً من بني أمية، ففخرت عليه ببني أمية، [٣٨/١٧] وقلت: إن نقضها علي قتلوه، وإن أمسك عن ذكرهم قتلته غمًا وغلبته؛ فكان كما قال، أمسك الكلبي عن جوابه، فغلب عليه، وأفحم الكلبي. وفي أول هذه القصيدة غناء نسبه.

هـ

أَلَا يَا سَلَمَ يَا تَرْيَسِي^(١) أَلَا يَا سَلَمَ يَا تَرْيَسِي
أَلَا يَا سَلَمَ حُيَّيْتِ أَلَا يَا سَلَمَ حُيَّيْتِ
أَلَا يَا سَلَمَ عَنِينَا أَلَا يَا سَلَمَ عَنِينَا
عَلَى حَادِثَةِ الْأَيَا عَلَى حَادِثَةِ الْأَيَا

الغناء لابن سريج ثقیل أول بالنصر عن عمرو.

يحاول إطلاق سراح أبان بن الوليد البجلي

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: أخبرني أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب، عن إبراهيم بن عبد الله الطلحي، قال: قال محمد بن سلمة:

كان الكميث مذاحاً لأبان بن الوليد البجلي، وكان أبان له مُحِبّاً وإليه مُخَسِناً، فمدح الكميث الحكم بن الصلت، وهو يومئذ يخلف يوسف بن عمر، بقصيدته التي أولها:

* طربتَ وهاجك الشوقُ الحثيثُ *

فلما أنشده إياها وفرغ، دعا الحكم بخازنه ليُعطيهِ الجائزة، ثم دعا بأبان بن الوليد، فأدخلَ إليه وهو مكبَّلٌ بالحديد، فطالبه بالمال، فالتفت الكميثُ / فرآه، فدمعت عيناه، وأقبل على الحكم، فقال: أصلح الله الأمير! [٣٩/١٧] اجعل جائزتي لأبان، واحتسب بها له من هذا النجم. فقال له الحكم: قد فعلتُ، ردُّوه إلى السجن. فقال له أبان: يا أبا المستهل، ما حلَّ له علي شيء بعدُ. فقال الكميث للحكم: أبي تسخرُ أصلح الله الأمير! فقال الحكم: كذب، قد حلَّ عليه المال، ولو لم يحلَّ لاحتسبنا له مما يحلّ.

تعريضه بحوشب بن يزيد الشيباني

فقال له حوشب بن يزيد الشيباني - وكان خليفة الحكم -: أصلح الله الأمير، أنشفع حمارَ بني أسد في عبد بَجيلة؟ فقال له الكميث: لئن قلتُ ذاك فوالله ما فرَزنا عن آبائنا حتى قُتلوا، ولا نكحنا حلائلَ آبائنا بعد أن ماتوا - وكان يقال إنَّ حوشباً فرَّ عن أبيه في بعض الحروب، فقتل أبوه ونجا هو، ويقال: إنه وطيءَ جاريةً لأبيه بعد وفاته - فسكت حوشب مُفَحِّمًا خجلاً، فقال له الحكم: ما كان تعرضك للسان الكميث!

(١) انظر «م».

(٢) غناء يشبه الهداء إلا أنه أرق منه.

قال: وفي حَوْشِبٍ يقول الشاعر:

نَجَّى حُشاشَتَه وأَسْلَمَ شَيْخَه
لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسِنَّةَ حَوْشِبُ

ابنته رياء وفاطمة بنت أبان بن الوليد

/ قال الطَّلْحِيّ في هذا الخبر: وحدثني إبراهيم بن علي الأسديّ قال:

١٣٠
١٥

التَقْتُ رِيًّا بنت الكميّ بن زيد، وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكة، وهما حاجتان، فتساءلنا حتى تعارفنا، فدفعت بنتُ أبان إلى بنتِ الكميّ خَلْخَالِيّ ذَهَبَ كانا عليها، فقالت لها بنت الكميّ: جزاكم الله خيراً يا آل أبان، فما تتركون بركم بنا قديماً ولا حديثاً! فقالت لها بنت أبان: بل أنتم، فجزاكم الله خيراً؛ فإننا أعطيناكم ما يبيدُ ويقتلُ، وأعطيناكم من المجد والشرف ما يبقى أبداً ولا يبيدُ، يتناشده الناس في المحافل فيُحسي مَيِّتَ الذِّكْرِ، ويرفع بقية العقب.

[٤٠/١٧] / مولده وموته ومبلغ شعره

أخبرني عمي وابن عمّار، قالوا: حدثنا يعقوب بن نعيم، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن زيد الخصاف الطَّلْحِيّ، قال: قال محمد بن سلمة بن أرتبيل:

وُلِدَ الكميّ أيامَ مَقْتَلِ الحسين بن عليّ سنة ستين، ومات في سنة ستّ وعشرين ومائة، في خلافة مروان بن محمد، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً.

وقال يعقوب بن إسرائيل في رواية عمّي الخاصة عنه: حَدَّثْتُ عن المستهّل بن الكميّ أنه قال: حضرتُ أبي عند الموت وهو يحدّث نفسه، ثم أفاق ففتح عينيه، ثم قال: اللهم آل محمد، اللهم آل محمد، اللهم آل محمد - ثلاثاً - ثم قال لي: يا بني؛ وددت أني لم أكن هجوتُ نساء بني كلب بهذا البيت:

مَعَ الْمُضْرُوطِ وَالْعُسْفَاءِ أَلْقَوْا
بَرَادِعَهُنَّ غَيْرَ مُحَصَّنِينَ^(١)

وصيته لابنه في دفنه

فعممتهم قَدْفاً بالفجور، والله ما خرجتُ بلبيل قط إلا خشيتُ أن أُرْمَى بنجوم السماء لذلك. ثم قال: يا بني؛ إنه بلغني في الروايات أنه يُخَفَّرُ بظَهْرِ الكوفة خندق يُخْرَجُ فيه الموتى من قبورهم ويُنْبَشُونَ منها، فيحوّلون إلى قبورٍ غير قبورهم، فلا تدفني في الظهر، ولكن إذا مت فامض بي إلى موضع يقال له مَكْرَان، فادفني فيه. فدفن في ذلك الموضع وكان أول مَنْ دُفِنَ فيه، وهي مقبرة بني أسد إلى الساعة.

قال المستهّل: ومات أبي في خلافة مَرْوَانَ بن محمد سنة ستّ وعشرين ومائة.

/ صوت

[٤١/١٧]

شعر لعمر بن أبي ربيعة:

أَسْتَعِينُ الَّذِي بِكَفِّهِ نَفْعِي
وَرَجَائِي عَلَى الْتِي قَتَلْتَنِي
وَلَقَدْ كُنْتُ قَدْ عَرَفْتُ وَأَبْصُرُ
تَ أُمُوراً لَوْ أَنَّهَا نَفَعْتَنِي

(١) المضروط: الخادم على طعام بطنه، والعسفاء: الأجير أو العبد المستعان به، وجمعه عسفاء، وفي أ: «براذعهن». وهما بمعنى.

قلت: إني أهوى شفا ما ألقى من خطوب تتابعت فسدختني

عروضه من السريع^(١)، يقال: إن الشعر لعمر، والغناء لابن سريج ثقیل أول بالوسطى، عن حماد عن أبيه، وفيه لحن للهذلي. وقيل: بل لحن ابن سريج للهذلي، ذكر ذلك حبش. وقيل: بل هو مما نسب من غناء ابن سريج إلى الهذلي.



مركز بحوث تاريخ الأدب العربي

(١) كذا في أصول الأغاني، والبيت عروضه من البحر الخفيف.

/ خبر ابن سريج

مع سكينه بنت الحسين عليهما السلام

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن مصعب الزبيري، قال: حدثني شيخ من المكيين، ووجدت هذا الخبر أيضاً في بعض الكتب مرويّاً عن محمد بن سعد كاتب الواقدي، عن مصعب، عن شيخ من المكيين، والرواية عنهما متفقة، قال:

امتناعه من الغناء وقدمه المدينة للاستشفاء

١٣١ / كان ابن سريج قد أصابته / الریح الخبيثة، وآلى يميناً ألا يغني، ونسك ولزم المسجد الحرام حتى عوفي. ثم خرج وفيه بقية من العلة، فأتى قبر النبي ﷺ وموضع مصلاه.

فلما قدم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل الشك والقراءة، فكان أهل الغناء يأتونه مسلمين عليه، فلا يأذن لهم في الجلوس والمحادثة، فأقام بالمدينة حوْلاً حتى لم يُحس من عِلته بشيء، وأراد الشخوص إلى مكة.

سكينه ترغب في الاستماع منه

وبلغ ذلك سكينه بنت الحسين، فاغتمت اغتماماً شديداً، وضاق به دزْعها، وكان أشعب يخدمها، وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره، وقالت لأشعب: وَيْلَكَ! إِنَّ ابْنَ سُرَيْجٍ شَاخِصٌ، وقد دخل المدينة منذ حَوْلٍ، ولم أسمع من غِنائه قليلاً ولا كثيراً، ويعزُّ ذلك عليّ، فكيف الحيلة في الاستماع منه، ولو صوتاً واحداً؟ فقال لها أشعب: جُعِلْتُ فِدَاكَ! وَأَنْتِ لَكِ بِذَلِكَ وَالرَّجُلُ الْيَوْمَ زَاهِدٌ وَلَا حِيلَةَ فِيهِ؟ فَارْفَعِي طَمَعَكَ، وَالْحَسْبُ تَوَزُّكَ^(١) تنفعك حلاوة فَمَك.

٤٣/١٧ / فأمرت بعض جواربها فوطِئْنَ بَطْنَهُ حتى كادت أَنْ تَخْرُجَ أَمْعَاؤُهُ، وَخَنَقَنَّهُ حتى كادت نَفْسُهُ أَنْ تَتَلَفَ، ثم أَمَرَتْ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُخْرِجَ مِنَ الدَّارِ إِخْرَاجاً عَنِيفاً. فَخَرَجَ عَلَى أَسْوَأِ الْحَالَاتِ، وَاغْتَمَّ أَشْعَبُ غَمّاً شَدِيداً، وَتَدِمَ عَلَى مَمَازِحَتِهَا فِي وَقْتٍ لَمْ يَنْبَغْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَتَى مَنْزَلَ ابْنِ سُرَيْجٍ لَيْلاً فَطَرَقَهُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَشْعَبُ، فَفَتَحُوا لَهُ، فَرَأَى عَلَى وَجْهِهِ وَلِخِيَةِ التُّرَابِ، وَالدَّمُ سَائِلاً مِنْ أَنْفِهِ وَجَبْهَتِهِ عَلَى لَحْيَتِهِ، وَثِيَابُهُ مَمْرَقَةٌ، وَبَطْنُهُ وَصْدْرُهُ وَحَلَقُهُ قَدْ عَصَرَهَا الدُّوسُ وَالْخَنْقُ، وَمَاتَ الدَّمُ فِيهَا، فَنَظَرَ ابْنُ سُرَيْجٍ إِلَى مَنْظَرِ فُطَيْحِ هَالِهِ وَرَاعَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا وَيْحَكَ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ.

امتناعه من الذهاب إليها

فقال ابن سريج: إنا لله وإنا إليه راجعون! ماذا نزل بك؟ والحمد لله الذي سلّم نفسك، لا تعودن إلى هذه

(١) في بعض النسخ: وامسحي بوزك. والمثبت في (ج) والتؤر بالفتح: إناء يشرب فيه.

أبدأ. قال أشعب: فديتك هي مولاتي ولا بد لي منها، ولكن هل لك حيلة في أن تصير إليها وتغنيها؛ فيكون ذلك سبباً لرضاها عني؟ قال ابن سريج: كلا والله لا يكون ذلك أبداً بعد أن تركته.

قال أشعب: قد قطعت أمني ورفعت رزقي، وتركنتي حيران بالمدينة، لا يقبلني أحد. وهي ساخطة عليّ، فالله الله فيّ، وأنا أنشدك الله إلا تحملت هذا الإثم فيّ، فأبى عليه.

حيلة أشعب لإرغامه

فلما رأى أشعب أن عزم ابن سريج قد تمّ على الامتناع قال في نفسه: لا حيلة لي، وهذا خارج، وإن خرج هلك، فصرخ صرخة أذن أهل المدينة لها، ونبه الجيران من رقادهم، وأقام الناس من فرشهم، ثم سكّت، فلم يدر الناس ما القصة عند خفوت الصوت بعد أن قد راعهم.

فقال له ابن سريج: ويلك! ما هذا؟ قال: لئن لم تصبر معي إليها / لأضرحن صرخة أخرى لا يبقى بالمدينة [٤٤/١٧] أحد إلا صار بالباب، ثم لأفتحنه ولأريتهم ما بي، ولأعلمتهم أنك أردت فعل كذا وكذا بفلان - يعني غلاماً كان ابن سريج مشهوراً به - فمعتك، وخلصت الغلام من يدك حتى فتح الباب ومضى؛ ففعلت بي هذا غيظاً وتأسفاً، وأنت إنما أظهرت الشك والقراءة لتظفر بحاجتك منه، وكان أهل مكة والمدينة يعلمون حاله معه. فقال ابن سريج: اغرب، أخزأك الله. قال أشعب: والله الذي لا إله إلا هو، وإلا فما أملك صدقة^(١)، وامراته طالق^(٢) ثلاثاً، وهو نجير^(٣) في مقام إبراهيم، والكعبة، وبيت النار، والقبر قبر أبي رغال^(٤) إن أنت / لم تنهض معي في ليلتي هذه $\frac{١٣٢}{١٥}$ لأفعلن.

مراجعة تكملة طريق سري

قبوله الذهاب إلى منزل سكيته

فلما رأى ابن سريج الجِدَّ منه قال لصاحبه: وَيَحَكَ! أما ترى ما وقّعنا فيه؟ وكان صاحبه الذي نزل عنده ناسكاً؛ فقال: لا أدري ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث. وتذمّم ابن سريج من الرجل صاحب المنزل فقال لأشعب: اخرج من منزل الرجل. فقال: رجلي مع رجلك، فخرجا.

/ فلما صارا في بعض الطريق قال ابن سريج لأشعب: امض عني. قال: والله لئن لم تفعل ما قلت لأصيحن [٤٥/١٧] تساعة حتى يجتمع الناس، ولأقولن: إنك أخذت مني سواراً من ذهب لسكيته على أن تجيئها فتغنيها سرّاً، وإنك كابرتني عليه وجحدتني، وفعلت بي هذا الفعل.

فوقع ابن سريج فيما لا حيلة له فيه. فقال: أمضي، لا بارك الله فيك. فمضى معه.

(١) هي أ: «أصدقه».

(٢) في أ: «وامراته الطلاق ثلاثاً».

(٣) نجير، أي مذبوح؛ والكلمة محرفة في الأصول.

(٤) في القاموس: رغال، ككتار. وفي سنن أبي داود، ودلائل النبوة وغيرهما عن ابن عمر، سمعت رسول الله ﷺ حين خرجنا إلى الطائف، فمررنا بقبر، فقال: هذا قبر أبي رغال، وهو من ثقيف، وكان من ثمود، وكان بهذا الحرم يدفع عنه، فلما خرج منه أصابته النقرة التي أصابت قومه بهذا المكان، فدفن فيه. وقول الجوهري: «كان دليلاً للمبشة حين توجهوا إلى مكة فمات في الطريق، غير جيد. وكذا قول ابن سيده: «كان عبداً لشعيب، وكان عشاراً جائراً» (رغل).

استعفاؤه وإبائه سكينه

فلما صار إلى باب سكينه قرع الباب، فقبل: مَنْ هذا؟ فقال: أشعب قد جاء بابن سريج، ففتح الباب لهما، ودخلا إلى حجرة خارجة عن دار سكينه، فجلسا ساعة، ثم أذن لهما فدخلتا إلى سكينه، فقالت: يا عبيد، ما هذا الجفاء؟ قال: قد علمت بأبي أنت ما كان مني. قالت: أجل، فتحدثنا ساعة، وقصص عليها ما صنع به أشعب، فضحكت، وقالت: لقد أذهب ما كان في قلبي عليه، وأمرت لأشعب بعشرين ديناراً وكسوة. ثم قال لها ابن سريج: أتأذنين بأبي أنت؟ قالت: وأين؟ قال: المنزل، قالت: برئت من جدّي إن برحت داري ثلاثاً، وبرئت من جدّي إن أنت لم تُغنّ إن خرجت من داري شهراً، وبرئت من جدّي إن أقمت في داري شهراً إن لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عسراً، وبرئت من جدّي إن حشيت في يميني أو شفعتُ فيك أحداً.

فقال عبيد: واسخنة عيناه واذهاب دُنياها وافضيحتاه! ثم اندفع يُغني:

أستعينُ الذي بكفّيه نفعي ورجائي على التي قتلتني

دملج سكينه في يده

الصوت المذكور آنفاً. فقالت له سكينه: فهل عندك يا عبيد من صبر؟ ثم أخرجت دُمْلَجاً^(١) من ذهب كان في عَصْدِهَا وَزَنَهُ أربعون مثقالاً، فرمته / به إليه، ثم قالت: أقسمتُ عليك لما أدخلته في يدك، ففعل ذلك.

استدعاء عزة الميلاء

ثم قالت لأشعب: اذهب إلى عزة^(٢) فاقرئها مني السلام، وأعلمها أن عبيداً عندنا، فلئاننا مُتَعَصِّلَةٌ بالزيارة. فاتاهها أشعب فأعلمها، فأسرعت المجيء، فتحدثوا باقي ليلتهم. ثم أمرت عبيداً وأشعب فخرجوا فناما في حُجْرَةِ مَوَالِيهَا.

مجلس غناء

فلما أصبحت هَيْئَةً لهم غداؤهم، وأذنت لابن سريج فدخل فتغذى قريباً منها مع أشعب ومواليها، وقعدت هي مع عزة وخاصّة جواربها، فلما فرغوا من الغداء قالت: يا عَزّ، إن رأيت أن تُغَنِّينا فافعلي. قالت: إي وعيشك. فتغنّت لحنها في شعر عَتْرَةِ الْعَبْسِيِّ^(٣):

حَيَّتْ مَنْ طَلَّلَ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرُ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ
إِنْ كُنْتَ أَزْمَعْتَ الْفِرَاقَ فَإِنَّمَا زُمْتُ^(٤) رِكَابُكُمْ بِلَيْلٍ مُظْلِمِ

فقال ابن سريج: أحسنت والله يا عزة! وأخرجت سكينه الدُمْلَجَ الآخر من يدها فرمته إلى عزة، وقالت: صبري هذا في يدك، ففعلت. ثم قالت لعبيد: هات غننا. فقال: حسبك ما سمعت البارحة. فقالت: لا بُدَّ أن تغنينا في كل يوم لحنًا. فلما رأى ابن سريج أنه لا يقدر على / الامتناع مما تسأله غنى:

(١) الدملج: السوار يلبس في العصد.

(٢) هي عزة الميلاء.

(٣) ديوانه: ١٢٩.

(٤) زمت، زمعت البعير: خطسته وعلقت عليه الزمام.

قالت: مَنْ أَنْتَ؟ - على دُكْرِ - فقلت لها: أنا الذي ساقَهُ لِلْحَيْنِ مَقْدَارُ^(١)
قد حَانَ مِنْكَ - فلا تَبْعُدْ بِكَ الدار - يَنْ وَفِي الْبَيْتِ لِلْمَتَّبُولِ إِضْرَارُ

/ ثم قالت لعزّة في اليوم الثاني: غَنِّي، فغنّيت لحنها في شعر الحارث بن خالد - ولابن محرز فيه لحن -، ولحن عزّة [٤٧/١٧] أحسنهما:

وقرّث بها عَيْنِي، وقد كنتُ قَبْلَهَا
وَبِشْرَةِ خَوْذٍ مِثْلِ تَمْثَالٍ بَيْعَةٍ
كثيرَ البكاءِ مُشْفِقاً مِنْ صُدُودِهَا
تظُلُّ النصارى حوله يَوْمَ عِيدِهَا
قال ابن سريج: والله ما سمعت مثل هذا قط حُسناً ولا طيباً.

ثم قالت لابن سريج: هاتِ، فاندفع يغني:

أرقتُ فلم أنم طَرَباً
لَطِينِ أَحَبِّ خَلَقِي اللهُ إِنْسَاناً وَإِنْ غَضِبَا
ولم أَرُدْ مَقَالَتَهَا
ولكن صرّمتُ حَبْلِي
وَبِتْ مُسَهَّداً نَصِيبَا
فَأَمْسَى الْحَبْلُ مُنْقَضِيبَا^(٢)
فَأَمْسَى الْحَبْلُ مُنْقَضِيبَا^(٣)

فقالت سكينه: قد علمتُ ما أردت بهذا، وقد شفّعناك، ولم نردك. وإنما كانت يميني على ثلاثة أيام، فاذهب في حفظِ الله وكَلَامِهِ.

ثم قالت لعزّة: إذا شئت. ودعّث لها بحلّة، ولابن سريج بمثلها. فانصرفت عزّة، وأقام ابن سريج حتى انقضت ليلته، وانصرف، فمضى من وجهه إلى مكة راجعاً. أشعار وأصواتها.

نسبة الأصوات التي في هذا الخبر

منها:

صوت

حُيِّتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادِمَ عَهْدِهِ
أَنَوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْتِمِ

/ الشعر لعنّرة بن شداد العبسي. «أَوَى: أَمَرَ»! عزّة الميلاء، وقد كتب ذلك في أول هذه القصيدة وسائر ما يغني [٤٨/١٧] فيها.

ومنهما:

(١) المقدار هنا: القدر، بفتحين.

(٢) العتب، بالتحريك: الكريهة والأمر الشديد.

(٣) بعد هذا البيت في أ: «وذكر باقي الأبيات الأربعة» ولم يكتب هذه الأبيات.

صوت

أرقتُ فلم أنم طرباً وبست مسهداً نصبا
لطف أحب خلق الله إنساناً وإن غضباً
إلى نفسي، وأوجههم وإن أمسى قد احتجبا
وصرم حبلنا ظلماً لبغية كاشح كذباً^(١)

عروضه من الوافر. الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج، ثقل أول بالسبابة في مجرى البنصر.
ومنها قوله:

صوت

قد حان منك - فلا تبعد بك الدار - يئن وفي الين للمتبول إضرار
قالت: من أنت؟ - على ذكر - فقلت لها: أنا الذي ساقني للحين مقدار

/ الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى.

١٣٤
١٥

ومنها الصوت الذي أوله:

* وقرت بها عيني وقد كنت قبلها *

أوله قوله:

صوت

[٤٩/١٧]

لبشرة أشرى الطيف والخبت دونها^(٢) وما يئتنا من حزن أضر ويدها
وقرت بها عيني وقد كنت قبلها كثيراً بكائي مُشفقاً من صودها
وبشرة خوذ مثل تمثال بيعة تظل النصاري حولها يوم عيدها

الشعر للحارث بن خالد المخزومي، والغناء لمعبد، خفيف ثقل أول بالخنصر في مجرى الوسطى.

وذكر إسحاق هذه الطريقة في هذا الصوت ولم ينسبها إلى أحد، ولابن محرز في هذه الأبيات ثقل أول بالخنصر في مجرى الوسطى، وفيها لعة الميلاء خفيف رمل.

الحارث بن خالد المخزومي وبشرة

وبشرة هذه - التي ذكرها الحارث بن خالد - أمة كانت لعائشة بنت طلحة، وكان الحارث يكنى عن ذكر عائشة بها، وله فيها أشعار كثيرة.

منها مما يغني فيه قوله:

(١) في «بيروت»: لقوله، والمثبت يتفق مع «الديوان». والمبغلة يراد بها التبليغ.

(٢) الخبت: المتسع من بطون الأرض.

صوت

يا رِنَع بِشْرَةَ بِالْجَنَابِ تَكَلَّم
مَالِي رَأَيْتُكَ بَعْدَ أَهْلِكَ مُوحِشاً
/ تَسْقِي الضَّجِيعَ إِذَا النُّجُومُ تَغَوَّرَتْ
قُبُّ الْبَطُونِ أَوْ أِنْسٌ شَبَّهَ الدُّمَى

وَأَبْنُ لَنَا خَبِراً وَلَا تَشْتَعْجِم
خَلَقاً كَحَوْضِ الْبَاقِرِ^(١) الْمَتَهْدِمِ
طَوْعُ الضَّجِيعِ وَغَايَةِ الْمَتَوَسِّمِ
يَخْلِطُنَّ ذَاكَ بِعَفْءٍ وَتَكْرُمِ

[٥٠/١٧]

عروضه من الكامل، والشعر للحارث بن خالد، والغناء لمعبد، ولحنه من خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق.

وفيه أيضاً ثقل أول بالوسطى على مذهب إسحاق في رواية عمرو، ومنها:

صوت

يا رِنَع بِشْرَةَ إِنْ أَضَرَ بِكَ الْبَلَى
عَقَبَ الرِّذَاذُ خِلَافَهُ فَكَأَنَّمَا

فَلَقَدْ عَهْدْتُكَ أَهْلاً مَعْمُوراً
بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرًا^(٢)

غَنَاهُ ابْنُ سُرَيْجٍ، رَمَلَ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى، عَنْ إِسْحَاقَ، وَفِيهِ لَحْنٌ لِمَالِكٍ، وَقِيلَ: بَلْ هُوَ لِابْنِ مُحَرَّرٍ. وَعَرُوضُهُ مِنَ الْكَامِلِ.

وقوله: «عَقَبَ الرِّذَاذُ خِلَافَهُ» يقول: جاء الرذاذ بعده، ومنه يقال: عَقَبَ لِفُلَانٍ غَتًى بَعْدَ فَقْرٍ. وَعَقَبَ الرَّجُلُ أَبَاهُ، إِذَا قَامَ بَعْدَهُ مَقَامَهُ. وَعَوَاقِبُ الْأُمُورِ مَاخُودَةٌ مِنْهُ، وَاحْدَتُهَا عَاقِبَةٌ. وَالرِّذَاذُ: صِغَارُ الْمَطَرِ. وَقَوْلُهُ خِلَافَهُ: أَيُّ بَعْدَهُ. قَالَتْ مَتَمُّ بْنُ نُورٍ:

وَقَفَّيْ بَنِي أُمِّ تَدَاعَوْا فَلَمْ أَكُنْ
خِلَافَهُمْ أَنْ اسْتَكِينَ^(٣) وَأَضْرَعَا

أَيُّ بَعْدَهُمْ. وَالشَّوَاطِبُ: النِّسَاءُ اللَّوَاتِي يَشْطَبْنَ لِحَاءَ السَّعَفِ يَعْمَلْنَ مِنْهُ الْحُضْرَ، وَمِنْهُ السِّيفُ الْمَشْطَبُ. وَالشُّطْبَةُ: الشَّعْبَةُ مِنَ الشَّيْءِ، وَيُقَالُ: بَعَثْنَا إِلَى فُلَانٍ شُطْبِيَّةً مِنْ خَيْلِنَا، أَيُّ قِطْعَةً.

[٥١/١٧]

/ مَغْنِيَّةٌ وَبَيْتٌ شَعْرٌ لِلْحَارِثِ الْمُخَزُومِيِّ

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ حَمَادٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَتْ مَغْنِيَّةٌ تَخْتَلِفُ إِلَى صَدِيقٍ لَهَا، فَأَتَتْهُ يَوْمًا، فَوَجَدَتْهُ مَرِيضًا لَا حَرَكَاءَ بِهِ، فَدَعَتْ بِالْعُودِ وَغَنَّتْ:

/ يَا رِنَع بِشْرَةَ إِنْ أَضَرَ بِكَ الْبَلَى
فَلَقَدْ عَهْدْتُكَ أَهْلاً مَعْمُوراً

[١٣٥/١٥]

وَمَا يَغْنِي بِهِ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الرَّائِيَةِ:

(١) الباقِر: اسم جمع للبقر.

(٢) «اللسان» «خلف» بنسبته إلى الحارث بن خالد المخزومي.

(٣) في النسخ: «لأستكين فأضرعا». والمثبت من «اللسان».

صوت

أَعْرِفَتْ أَطْلَالَ الرُّسُومِ تَنَكَّرَتْ بَعْدِي وَغُيِّرَ آيُهُنَّ دُثُورَا
وَبَدَّلَتْ بَعْدَ الْأَنْيَسِ بِأَهْلِهَا عَفَرَ الْبَوَاقِرِ^(١) يَزْتَعِينَ وَعُورَا
مِنْ كُلِّ مُضَيِّبَةِ الْحَدِيثِ تَرَى لَهَا كَفَلًا كَرَايِبَةَ الْكَثِيبِ وَثِيرَا

الأطلال: ما شخص من آثار الديار. الرسوم: البقايا من الديار، وهي دون الأطلال وأخفى منها. وتنكرت: تغيرت. والدائر: الدارس. والعفر: الظباء، واحدها عفر. والوعور: المواضع التي لا أنيس فيها. والرأية: الأرض المشرفة، وهي دون الجبل. والكثيب: القطعة العالية المرتفعة من الرمل، جمعها كُثْب. والوثير: التام المرتفع، يقال: فراش وثير إذا كان مرتفعاً عن الأرض.

لإسحاق الموصلي في البيتين الأولين ثاني ثقيل بالبنصر، ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى، ولطويس فيهما خفيف ثقيل. وقيل: إنه ليس له. ولابن سريج في الثالث ثم الأول خفيف رمل، وقيل: بل هو لخليفة المكية. وفي البيت الأول والثاني لمالك رمل بالوسطى، وقيل: الرمل لطويس، وخفيف الثقيل لمالك. ولمعبد في هذا الصوت لخنان: أحدهما ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى، والآخر خفيف ثقيل أول.

ومنها:



يَا دَارُ حَسَرَهَا الْبَلَى تَحْبِيرَا وَسَفَتْ عَلَيْهَا الرِّيحُ بَعْدَكَ مُورَا
دُقُّ التَّرَابِ بِخَيْلِهَا^(٢) فَمَخِيْمُ يِعْرَاصُهَا وَمُسَيَّرُ تَسْيِيرَا

غنى في هذين البيتين ابن مسجح خفيف ثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى. وللغريض في: «أَعْرِفَتْ أطلال الرسوم» وما بعده ثقيل أول بالبنصر، وللغريض أيضاً ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى.

حسرها: أذهب معالمها، ومنه: حسر الرجل عن ذراعه وعن رأسه إذا كشفهما. وحسر الصلغ شعر الرأس، إذا حصه^(٣). والمُور: التراب، والمخيّم: المقيم.

ومنها صوت، أوله:

مِنْ كُلِّ مُضَيِّبَةِ الْحَدِيثِ تَرَى لَهَا^(٤) كَفَلًا كَرَايِبَةَ الْكَثِيبِ وَثِيرَا
يَفْتِنَ - لَا يَأْلُونَ - كُلُّ مَغْفَلٍ يَمْلَأْنَهُ بِحَدِيثِهِنَّ سُورُوا

/ ومنها: [٥٣/١٧]

(١) في أ: «عفر اليعافر» واليعافر: جمع يعفور، وهو الغزال.

(٢) المثبت من «ج».

(٣) الحص: حلق الشعر.

(٤) المصيبة: التي يشوق حديثها ويستهوئ السامع.

صوت

دَغْ ذَا وَلَكِنْ هَلْ رَأَيْتَ ظَعَانًا قَرَّبْنَ أَجْمَالًا لَهُنَّ قُحُورًا؟
قَرَّبْنَ كُلَّ مُخَيَّسٍ مُتَحَمِّلٍ بُزْلًا تَشْبُهُ هَامَهُنَّ قُبُورًا
القُحُور: واحدها قُحْر، وهو المَسْنَن. والمُخَيَّس: المحبوس للرحلة. والمتَحَمِّل: معتاد الحمل.

وفي هذه الأربعة الأبيات للغريض اللحن الذي ذكرناه. ولابن جامع في:

* دَغْ ذَا وَلَكِنْ هَلْ رَأَيْتَ ظَعَانًا *

والذي بعده ثاني ثقيل بالوسطى.

/ ومنها:

١٣٦
١٥

صوت

إِنْ يُنْسَ حَبْلُكَ بَعْدَ طُولِ تَوَاصُلٍ خَلَقًا وَيَصْبَحُ بَيْنَكُم مَهْجُورًا
فَلَقَدْ أَرَانِي - وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلَى - زَمَنًا بِوَضْلِكَ رَاضِيًا مَسْرُورًا
جَذَلًا بِمَالِي عِنْدَكُمْ لَا أَبْتَغِي لِلنَّفْسِ بَعْدَكَ خُلَّةً وَعَشِيرًا
كَنتَ الْهَوَى وَأَعَزُّ مَنْ رَطِيءَ الْحَصَا عِنْدِي، وَكَنتَ بِذَلِكَ مِنْكَ جَدِيرًا

لإبراهيم الموصلي، ويحيى المكي في هذه الأبيات لحنان، كلاهما من الثقيل الثاني؛ فلحن إبراهيم بالوسطى، ولحن يحيى بالبصر، وإسحاق فيهما رمل. وقيل: إن لابن سريج فيهما أيضاً لحناً آخر.

/ مغنية تعبر عن حالها ببيتين من شعر الحارث

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال:

حدثني رجل من أهل البصرة، قال: اشتريت جارية مغنية، فأقامت عندي زمناً وهويتني، وكرهت أن يراها أهلي، فمرستها للبيع، فجزعت، وقالت: لقد اشتريتني وأنا لك كارهة، وإنك لتبيعنني وأنا لذلك كارهة. فقال أخ لي: أرنيتها، فقلت: هي عند فلانة، فانظر إليها، فأناها فنظر إليها وأنا حاضر، فلما اعترضها وفرغ من ذلك غتت:

إِنْ يُنْسَ حَبْلُكَ بَعْدَ طُولِ تَوَاصُلٍ خَلَقًا وَيُضْبَحُ بَيْنَكُم مَهْجُورًا
فَلَقَدْ أَرَانِي - وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلَى - زَمَنًا بِوَضْلِكَ رَاضِيًا مَسْرُورًا

ثم بكّت، وضربت بالعود الأرض فكسرتة، فخيرتها بين أن أعتقها أو أبيعها ممن شاءت، فاخترت البيع، وطلبت موضعاً قرّضاه حتى أصابته، فصيرتها إليه.

أخبرني يحيى بن عليّ، قال: حدثني أبو أيوب المدائني، قال: حدثني إبراهيم بن علي بن هشام، قال:

حدثني جارية يقال لها طَباع - جارية محمد بن سهل بن قَرْخُند - قالت: غنيتُ إسحاق في لَحْنِهِ:

أعرفت أطلالَ الرسوم تنكرت بعدي

إسحاق ينكر على مخارق في أداء لحن له
فأنكر عليّ في مقاطعة شيئاً، وقال: ممن أخذته؟ فقلت: من مخارق، فقال لي: تعرّ الجواد^(١) بل هو كما
أقول لك، وردّه عليّ، فهو يُقال كما يقول مخارق، وكما غيّره إسحاق.

/ بصوت

[٥٥/١٧]

أخشى على أريد الحثوف ولا أرهب نوء السماء والأسد^(٢)
فجعتني الرغذ والمصواعق بال
يا عين هلأ بكنيت أريد إذ
إن يشغبوا لا يسأل شغبهم
عروضه من المنسرح.

النجد: البطل ذو النجدة. وقال الأضمعي في النجد مثل ذلك. وقال: النجد - بكسر الجيم -: الذي قد عرق
جداً. والكبد: الثبات والقيام.

الشعر للبيد بن ربيعة، والغناء للأبجر، رمل بالبنصر عن عمرو بن بائة. ولإبراهيم فيها رمل آخر بالوسطى في
مجراها عن إسحاق، أوله الثالث والرابع ثم الأول والثاني، وذكرث بذل أن في الثالث والرابع لحناً لحنين بن
محرز.

(١) في س: «فقال لي: ليس كما تحدث الخراز»، والمثبت من أ.

(٢) ديوان لبيد ١٥٨، ١٥٩، وأريد، آخر لبيد لأمه.

(٣) في الديوان: «في الحكوم»، والحكوم: القضاء عند التحكيم. يقتصد: يأخذ القصد.

/ خبر لبید بن مرثیة أخیه

[٥٦/١٧]
١٣٧
١٥

نسب أريد

وقد تقدم^(١) من خبر لبید ونسبه ما فيه كفاية. يرثي أخاه لأمه أريد بن قيس بن جَزء بن خالد بن جَعْفَر بن كلاب، وكانت أصابته صاعقة فأحرقت.

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا^(٢) محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن عاصم، عن عمرو بن قتادة، قال:

وفد بني عامر بن صعصعة

قدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر بن صعصعة، فيهم عامر بن الطفيل وأزبد بن قيس وجبار^(٣) بن سلمى بن مالك بن جَعْفَر بن كلاب، وكان هؤلاء الثلاثة رؤوس القوم وشياطينهم، فهم عامر بن الطفيل بالغدر برسول الله ﷺ، وقد قال له قومه: يا عامر! إن الناس قد أسلموا فأسلم، فقال: والله لقد كنت أليث إلا أنتهي حتى تتبع العرب عقيبي، فأتبع أنا عقب هذا الفتى من قريش!

مركزية تكوير طبرستان

تأمر عمر وأريد على قتل رسول الله

ثم قال لأريد: إذا أقبلنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله أنت بالسيف.

محادة عامر لرسول الله

فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال له عامر: يا محمد، خالني^(٤) قال: لا والله، حتى تؤمن بالله وخده. قال:

يا محمد، خالني، وجعل / يكلمه ويتنظر من أزبد ما كان أمره، فجعل أزبد لا يحير شيئاً. فلما رأى عامر ما يصنع^[٥٧/١٧] أريد قال: يا محمد، خالني. قال: لا، والله، حتى تؤمن بالله وخده لا تشرك به. فلما أبى عليه رسول الله قال: أما^(٥) والله لأملأنها عليك خيلاً حُمراً، ورجالاً سُفْراً.

دعاء الرسول عليه

فلما ولي قال رسول الله ﷺ: اللهم اكفني عامر بن الطفيل. فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأزبد: ويلك يا أريدا أين ما كنت أوصيتك به! والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي

(١) الأهاني، الجزء الرابع عشر.

(٢) الجزء الثالث ص ١٤٤ من «تاريخ الطبري».

(٣) في ديوان لبید: «جابر»، والمثبت ما في أ، وتاريخ الطبري.

(٤) خال الرجل مخالطة وخلالاً: وادّه وصادقه وأخاه.

(٥) في أ: «أم والله».

مِنْكَ، وَأَيْتُمُ اللَّهَ لَا أَخَافُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا. قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ لَا أَبَا لَكَ! وَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا دَخَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ حَتَّى مَا أَرَى غَيْرَكَ! أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ! فَقَالَ عَامِرُ:

بُعِثَ الرَّسُولُ بِمَا تَرَى فَكَأَنَّمَا عَمْدًا أَشَدُّ عَلَى الْمَقَانِبِ غَارًا^(١)
وَلَقَدْ وَرَدَّنَا بِنَا الْمَدِينَةَ شُرَبًا وَلَقَدْ قَتَلْنَا بِجُودِهَا الْأَنْصَارَ^(٢)

إصابة عامر بالطاعون وموته قبل عودته

وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا يَبْغِضُ الطريق بعث الله على عامر الطاعون في عنقه، فقتله الله، وإنه لفي بيت امرأة من بني سُلُول، فجعل يقول: يا بني عامر، أَعْدَةُ كَعْدَةِ الْبَكْرِ^(٣)، وموت في بيت امرأة من بني سُلُول! فمات.

[٥٨/١٧] / صاعقة تحرق أريد

ثم خرج أصحابه حين وَارَوْهُ حتى قدموا أرض بني عامر، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أَرْبَدُ؟ فقال: لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فَارَمِيهِ بِنَبْلِي هذه حتى أَقْتَلَهُ. فخرج بعد مقاتله هذه يوم أو يومين معه جَمَلٌ له يَبِيعُهُ، فأرسل الله عليه وعلى جَمَلِهِ صاعقة فأحرقتهما.

وكان أَرْبَدُ بن قيس أَخَا لَبِيدِ بن ربيعة لَأُمِّهِ.

وفود لبید إلى الرسول

نسخت من كتاب يحيى بن حازم، قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ صَاحِبُ الْمَصْلُوعِ، قال: حَدَّثَنَا ابْنُ دَابٍ، قال: كان أبو براء عامر بن مالك قد أصابته دُبَيْلَةٌ^(٤)، فبعث لَبِيدَ بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ، وأهدى له رَوَاحِلَ، فقدم بها لَبِيدَ، وأمره أن يستشفيه مِنْ وَجَعِهِ، فقال له رسول الله ﷺ: / لو قبلتُ مِنْ مُشْرِكٍ لقبلتُ منه، وتناول من الأرض مَكْرَةً^(٥) ففعل عليها، ثم أعطاها لَبِيدًا، وقال: دَفَّهَا^(٦) له بماءٍ ثم اشقِه إياه.

يقرأ القرآن ويكتب سورة الرحمن

وأقام عندهم لَبِيدُ يقرأ القرآن ويكتب منهم: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(٧) فخرج بها، وَلَقِيَهُ أَخُوهُ أَرِيدُ على ليلة من الحي، فقال له: انزل فنزل، فقال: يا أخي، أخبرني عن هذا الرجل؛ فإنه لم يأت رجل أوثق عندي فيه قولاً منك. فقال: يا أخي، ما رأيت مثله - وجعل يذكر صدقه وبره وحسن حديثه. فقال له: هل معك من قوله شيء؟ قال: نعم، فأخرجها له فقرأها / عليه، فلما فرغ منها قال له أَرْبَدُ: لوددت أني ألقى الرحمن بتلك البرقة^(٨)، فإن لم أضربه يستفي فعلي وعلي... .

(١) المقانب: جمع مقنب، كمنبر، وهو ما بين اثنتين إلى الأربعين. وفي أ: «المعائب» تصحيف.

(٢) شرباً: ضمراً.

(٣) في المختار: كعدة البعير.

(٤) الدبيلة، كجهينة: داء في الجوف.

(٥) المدر: قطع الطين اليابس، واحدها بهاء.

(٦) دفها: أخلطها.

(٨) البرقة: أرض غليظة بحجارة ورمل. وفي أ: «البرقة»، بفتح الباء.

(٧) سورة الرحمن: ١، ٢.

قال: ونشأت صحابة وقد خَلَّيا عن بعيريهما، فخرج أُرَيْدُ البعيرين، حتى إذا كان عند تلك البُرْقة غَشِيَتْهُ صاعقة فمات.

وقدم لبيد على أبي براء فأخبره خَبَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وأمره، قال: فما فعل فيما استَشَفَيْتَهُ؟ قال: تالله ما رأيتُ منه شيئاً كان أضعفَ عندي من ذلك، وأخبره بالخبر. قال: فأَيْنَ هي؟ قال: عا هي ذه معي. قال: هاتها، فأخرجها له فدأفها، ثم شربها فَبَرَأَ.

رواية أخرى في وفوده على الرسول

قال ابن دَاب: فحدثني حنظلة بن قطرب بن إياد، أحد بني أبي بكر بن كلاب، قال:

لما أصاب عامر بن الطفيل ما أصابه، بعث بنو عامر لبيداً، وقالوا له: اقدم لنا على هذا الرجل فاعلم لنا علمه. فقدم عليه، فأسلم، وأصابه وَجَعٌ هناك شديد من حُمى، فرجع إلى قومه بفضل تلك الحمى، وجاءهم بِذِكْرِ البعث والجنة والنار، فقال سُرَاقَةُ بن عَوْف بن الأحوص:

لَعَمْرُ لَبِيدٍ إِنَّهُ لِأَبْنُ أُمِّهِ وَلَكِنْ أَبَوْهُ مَسَّهُ قَدَمُ الْعَهْدِ
دَفَعْنَاكَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَأَنَّمَا دَفَعْنَاكَ فَخَلَا فَوْقَهُ قَرْعُ اللَّبِيدِ^(١)
فَعَالَجَتْ حُمَاهُ وَدَاءُ ضُلُوعِهِ وَتَرَنِيْقَ عَيْنَيْهِ مَسَّهُ طَرْفُ الْجَهْدِ
وَجِئْتَ بِدَيْنِ الصَّابِئِينَ تَشْوِبُهُ بِالْوَاحِ نَجْدٍ بَعْدَ عَهْدِكَ مِنْ عَهْدِ
وَأَنَّ لَنَا دَاراً - زَعَمْتَ - وَمَرْجِعاً وَثُمَّ لِيَسَابِ الْقَارِظِينَ وَذِي الْبُرْدِ

/ قال: فكان عمر يقول: وأيم الله، إياب القارظين^(٢) وذو البرد.

[٦٠/١٧]

وفود عامر بن الطفيل على رسول الله

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عم أبي، وحبيب بن نصر المهلب، وغيرهما، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثتني ظُفْيَاء بنت عبد العزيز بن مَوَلَة، قالت^(٣):

حدثني أبي، عن جدي مَوَلَة بن كُثَيْف، أَنَّ عامر بن الطفيل أتى رسولَ الله ﷺ فَوَسَّده وِسَادَةً، ثم قال: أسلم يا عامر. قال: عَلَى أَنَّ لِي الْوَبَرَ وَلَكَ الْمَدْرَ، فأبى رسولُ الله ﷺ، فقام عامرٌ مُغَضَباً فَوَلَّى، وقال: لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلاً جُرْدًا، ورجالاً مُرْدًا، ولأربطنَّ بكل نخلة فَرَسًا. فسأته عائشة: مَنْ هذا؟ فقال: هذا عامر بن الطفيل، والذي نفسي بيده لو أسلمت بئو عامر معه لراحوا قريشاً على منابرهم. قال: ثم دعا رسولُ الله ﷺ، وقال: يا قوم، إذا دعوت فأمثوا، فقال: اللهم اهْدِ بني عامر، واشغَلْ عني عامر بن الطفيل بما شئت، وكيف شئت، وأتَى شئت.

موت عامر بن الطفيل

فخرج فأخذته غَدَّةٌ مثل غَدَّةِ الْبَكْرِ، فجعل يشب ويتزو في السماء ويقول: يا موت ابرزْ لي، ويقول: غَدَّةٌ مثل غَدَّةِ الْبَكْرِ، وموت في بيت سلُولِيَّةٍ؟ ومات.

(١) اللبد: ما يجعل على ظهر الفرس. والقزع: بقايا الشعر.

(٢) القارظان: رجلان خرجا في طلب القرظ، يجنيانه، فلم يرجعا، فضرب بهما المثل في انقطاع الغيبة.

(٣) في أ: قال «وحدثني».

١٣٩ / أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ إجازةً، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قال: أخبرني أسعد بن عمرو الجعفي، قال: أخبرني خالد بن قطن الحارثي، قال:

لما مات عامر بن الطفيل خرجت امرأة من بني سلول كأنها نخلة حاسراً، وهي تقول:
 (١) أنعى عامر بن الطفيل وأبقى وهل يموت عامر من حقا؟
 وما أرى عامراً مات حقاً!

[١٧/٦١] / قال: فما رثي يوم أكثر باكياً وبأكية، وخمش وجهه، وشق جُيوب من ذلك اليوم.

بنو عامر تحمي قبر عامر بالأنصاب
 وقال أبو عبيدة عن الحرمازي، قال:

لما مات عامر بن الطفيل بعد مُنصرفه عن النبي ﷺ، نصبت عليه بنو عامر أنصاباً ميلاً في ميل، حمى على قبره لا تُنشر فيه ماشية، ولا يُرعى، ولا يسلكه راكب ولا ماش. وكان جباراً (٢) بن سلمى بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب غائباً، فلما قدم قال: ما هذه الأنصاب؟ قالوا: نصبناها حمى لقبر عامر بن الطفيل، فقال: ضيقتُم على أبي علي، إن أبا علي بآن من الناس بثلاث: كان لا يعطش حتى يعطش الجمل، وكان لا يضل حتى يضل النجم، وكان لا يخجن حتى يخجن السيل.

ثلاث خلال فضل عامر بهن الناس
 قال أبو عبيدة: وقدم عامر على النبي ﷺ وهو ابن بضع وثمانين سنة.

مرائي لبيد لأخيه

ومما رثي به لبيد أخاه أريد قوله (٣):

وَدَافِعُ (٤) ضَيْنِنَا يَوْمَ الْخِصَامِ
 تَقَسَّمَ (٥) مَالُ أَرِيدٍ بِالسُّهَامِ
 تَقَعَّرَتِ الْمَشَاجِرُ بِالْفِثَامِ (٦)
 أَلَا نَهَبَ الْمُحَافِظُ وَالْمُحَامِي
 وَأَيَقُنْتُ التَّفَرُّقَ يَوْمَ قَالُوا:
 وَأَزِيدُ فَارِسُ الْهَيْجَا إِذَا مَا

[١٧/٦٢] / وهي طويلة يقول فيها:

فَسُوْدُغٌ بِالسَّلَامِ أبا حَزِيْزٍ (٧)
 وَقَلٌّ وَدَاعٌ أَرِيدُ بِالسَّلَامِ

(١) كذا في الأصول.

(٢) في س: «حيان».

(٣) ديوانه: ٢٠١.

(٤) الديوان: «ورافع ضيننا».

(٥) مختار الأغاني: «نقسم»، والمثبت يوافق ما في الديوان أيضاً.

(٦) تقعرت: تقوضت من أصلها. وقال ابن قتيبة: المشاجر: مراكب للنساء أكبر من الهودج الواحد مشجر. والفثام: وطاء يكون للهودج، أو هو الهودج الذي وسع في أسفله بشيء زيد فيه.

(٧) في أ: «أبا حذار»، تصحيف «أبا حزاز» وفي حاشية أ: «أريد أبو حزاز» بالشدديد والتخفيف. والمثبت كما في الديوان مصغر (حزاز).

قال: وكانت كُنية أزيد أبا حِزَّاز، فصغره ضرورة.

وقال فيه أيضاً^(١):

ما إن تعدى^(٢) المنسُونُ مِنْ أَحَدٍ لا واليدِ مُشْفِقِي ولا وَلَدِ
أخشى على أزيد الحنوف ولا أرهبُ نَوْءَ السَّمَاءِ والأسَدِ
فجَعَنِي الرُّغْدُ والصَّوَاعِقُ بِالْفَارِسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجْدِ جاءَ نَكِيْباً وإنْ يُعْذِرُ يَعْدِ^(٣)
يَعْفُو على الجَهْدِ والسُّؤالِ كما أنزلَ صَوْبُ الرِّبْعِ ذِي الرِّصْدِ^(٤)
لم تبلغ^(٥) العَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا ليلةَ تُمِسي الجِيَادُ كالْقِدْدِ^(٦)
كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ قُلْ، وأنْ أَكْثَرَتْ مِنْ الْعَدْدِ
إنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا^(٧) وإنْ أَمَرُوا يوماً يَصِيرُوا لِلْهَلْكِ والتَّقْدِ^(٨)
يَا عَيْنُ هَلْأَ بَكَيْتِ أزيد إذ قُمْنَا وقَامَ الخصومُ فِي كَبْدِ^(٩)
/ يَا عَيْنُ هَلْأَ بَكَيْتِ أزيد إذ أَلَوْتُ رِيَّاحُ الشَّتَاءِ بِالْعَصْدِ^(١٠)
وأصْبَحْتَ لاقِحاً مُصَرَّمةً حينَ تَقْضَتْ غَوَابِرُ الْمُدَدِ
إنْ يَشْغَبُوا لَا يُبَالِ شَغْبُهُمْ أوْ يَقْصِدُوا فِي الخصامِ يَقْتَصِدِ^(١١)
/ حُلُوْكَرِيْمٌ، وفي حِلَاوَتِهِ مُرٌّ، لَطِيفُ الْأَحْشَاءِ وَالْكَيْدِ

[١٧/١٣]

١٤٠
١٥

أبو بكر الصديق رضي الله عنه بنشد شعره في رثاء أخيه أزيد

نسخت من كتاب ابن النطاح، عن المدائني، عن علي بن مجاهد، قال:

أنشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه قول لبيد في أخيه أزيد^(١٢):

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الْمَخْبِرُ صَادِقاً لَقَدْ رُزِّتْ فِي حَادِثِ الدَّهْرِ جَفَعَرُ

(١) ديوانه: ١٥٨.

(٢) في الديوان: «ما إن تعرى» قال في «شرح»: تعرى: ترك.

(٣) الحارب: من يحرب الأموال. الجابر: الذي يجبر من قد حرم ماله. نكيباً: مصاباً. وإن يعد لسؤاله، يعد لمعطية. وفي «بيروت»: وجاء «بكيتاً».

(٤) يعفو: يكثر. والصوب: المطر يكون في أول الزمان. وصوب الربيع: مطره. والرصد: نبات يكمن تحت الثرى، وذلك في أول المطر.

(٥) في أ: «لا تبلغ».

(٦) القدد: السيور.

(٧) يهبطوا: يموتوا.

(٨) الديوان: «النكد».

(٩) كذا في ب، س ومختار الأغاني والديوان، وفي أ: «وقال الخصوم». والكيد: الأمر الشديد.

(١٠) هامش أ: العصد: الشجر المقطوع. وفي شرح الديوان: العصد: الشجر اليابس. وألرت: ذهبت به وطارت.

(١١) الشغب: الجور عن الطريق والقصد. يقتصدوا: يأخذوا القصد.

(١٢) ديوانه ١٦٧.

أَخْ لِي، أَمَا^(١) كُلَّ شَيْءٍ مَالَتْهُ فَيُعْطِي، وَأَمَا كُلَّ ذَنْبٍ فَيَغْفِرُ
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ: ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ، لَا أُرِيدُ بِنَ قَيْسٍ.
وَقَدْ رثاه بعد ذلك بقصائد يطولُ الخبرُ بذكرها.
ومما رثاه به، وفيه غناء، قوله^(٢):

نصوت

بَلَيْنَا وَمَا تَبَلَّى النُّجُومُ الطُّوَالِغُ
وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْنَافِ دَارِ مَضِيَّةٍ
فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْئِهِ
/ أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي
أَخْبَرَ أَخْبَارَ الْقُرُونِ النَّسِي مَضَتْ
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفَنَهُ
فَلَا تَبَعْدَنْ إِنْ الْمَنِيَّةُ مَرَّعْدُ
أَعَاذِلْ مَا يُسْذِرِيكَ، إِلَّا تَطْنِيَا
أَتَجَزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ لِلْفَتَى

[١٧/١٦٤]

غَنَى فِي الْأَوَّلِ وَالْخَامِسِ وَالسَّادِسِ وَالسَّابِعِ حُتَيْنَ الْحَبْرِيِّ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْبَنْصَرِ، عَنِ الْهَشَامِيِّ وَابْنِ الْمَكِّي
وَحَمَادٍ، وَفِيهَا ثَقِيلٌ أَوَّلَ بِالْوَسْطَى، يُقَالُ إِنَّهُ لَحْنَيْنٌ أَيْضاً، وَيُقَالُ إِنَّهُ لِأَحْمَدَ النَّصْبِيِّ^(٤)، وَيُقَالُ: إِنَّهُ مَنْحُولٌ.
ومما رثاه به قوله، وهي من مختار مرثيته^(٥):

طَرِبَ الْفَوَاذُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَطْرِبِ
سَفْهَاءُ، وَلَوْ أَنِّي أَطَفْتُ عَوَاذِلِي
لَزَجَرْتُ قَلْباً لَا يَرِيعُ لِزَاجِرٍ
فَتَعَزَّ عَنْ هَذَا، وَقُلْ فِي غَيْرِهِ
يَا أَرْبَدَ الْخَيْرِ الْكَرِيمِ جَدُودُهُ
وَعَنَاهُ ذِكْرِي خُلَّةٌ لَمْ تَصْقَبِ^(٦)
فِيمَا يُشْرَنُ بِهِ سَفْحُ الْمَذْنَبِ
إِنَّ الْغَوِيَّ إِذَا نُهِِيَ لَمْ يُعْتَسِبِ^(٧)
وَإِذَا كُرَّ شَمَائِلُ مَنْ أَخِيكَ الْمُتَجَبِّ
أَفْرَدْتَنِي أَمْشِي بِقُرْنٍ أَعْصَبِ^(٨)

(١) فِي الدِّيْوَانِ: «فَتَى كَانَ أَمَا».

(٢) دِيْوَانُهُ ١٦٨.

(٣) فِي الدِّيْوَانِ: «إِذَا ارْتَحَلَ الْفَتَيَانِ».

(٤) فِي ب، س، ج: النَّصْبِيِّ.

(٥) دِيْوَانُهُ ١٥٦.

(٦) تَصَقَّبَ: تَجَاوَرَ وَتَقَرَّبَ.

(٧) لَا يَرِيعُ: لَا يَرْجِعُ وَلَا يَتَعَطَّ، لَمْ يَعْتَبْ: لَمْ يَرْجِعْ إِلَى مَا يَرْضَى عَاتِبَهُ.

(٨) أَعْصَبَ: مَكْسُورٌ أَوْ مَقْطُوعٌ.

[٦٥/١٧]

١٤١
١٥

إِنَّ الرَزْزِةَ لَا رَزْزِةَ مِثْلَهَا / ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ
يَتَأْكُلُونَ مَغَالَةَ^(١) وَخِيَانَةً / وَلَقَدْ أَرَانِي تَارَةً مِنْ جَعْفَرٍ
مِنْ كُلِّ كَهْلٍ كَالسَّنَانِ وَسَيِّدٍ / مِنْ مَغَشَرٍ سَتَّ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ
فَبَرَى عِظَامِي بَعْدَ لَحْمِي فَقَدَّهُمْ / وَالدُّفْرُ إِنْ عَاتَبْتَ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ

حدثنا محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا أبو السائب سالم بن جنادة، قال: حدثنا وكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أنها كانت تنشد بيت لبيد:

ذهب الذين يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ / وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرِبِ
ثم تقول: رحم الله لبيداً، فكيف لو أدرك مَنْ نحنُ بينَ ظَهْرَانِيهِمْ!
قال عروة: رحم الله عائشة، فكيف بها لو أدركَتْ مَنْ نحنُ بينَ ظَهْرَانِيهِمْ!

قال هشام: رحم الله أبي، فكيف لو أدركَ مَنْ نحنُ بينَ ظَهْرَانِيهِمْ! وقال وكيع: رحم الله هشاماً، فكيف لو أدركَ مَنْ نحنُ بينَ ظَهْرَانِيهِمْ! قال أبو السائب: رحم الله وكيعاً، فكيف لو أدركَ مَنْ نحنُ بينَ ظَهْرَانِيهِمْ! قال أبو جعفر: رحم الله أبا السائب، فكيف لو أدركَ مَنْ نحنُ بينَ ظَهْرَانِيهِمْ! قال أبو الفرج الأصبهاني: ونحن نقول: الله المستعان، فالقصة أعظمُ مِنْ أَنْ تُوصَفَ!

[٦٦/١٧]

القصيدة

فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا زَعَمْتَ أَتَيْتُهُ / إِلَيْكَ فَقَامَ النَّائِحَاتُ عَلَى قَبْرِي
وَإِنْ كَانَ مَا بُلَّغْتُهُ كَانَ بَاطِلًا / فَلَا مَتَّ حَتَّى تَسْهَرِيَ اللَّيْلُ مِنْ ذِكْرِي

عروضه من الطويل. والشعر للعباس بن الأحنف يقوله في فوز، وخبرهما يأتي ها هنا، والغناء لبذل، خفيف رمل بالنصر، وفيه لبان بن عمرو ثاني ثقيل بالنصر، وفيه لحن لابن جامع من كتاب إبراهيم. وزعم أبو العباس أن لمعبد اليعقيني فيه خفيف رمل، وذكر حبش أن لإبراهيم خفيف الرمل بالوسطى. وذكر علي بن يحيى المنجم أنه لعلية. وقيل: إن خفيف الرمل بالنصر للقاسم بن زنقة. والصحيح أنه لبذل.

(١) مغالة، أي اغتيالاً.

(٢) جعفر، يعني قومه بني جعفر. في مثل غيث الوابل، أي كثرة عدد.

(٣) الفتيق: الفحل المقرم لا يركب لكرامته على أهله. المصعب: غير الذلول.

/ ذكر خبر العباس وفوز

[٦٧/١٧]

كانت جارية لمحمد بن منصور

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا محمد بن إسحاق الخراساني، قال: حدثنا محمد بن النضر، قال:
كانت فوز جارية لمحمد بن منصور، وكان يلقب فتى العسكر، ثم اشتراها بغض شباب البرامكة فدبرها^(١)
وحج بها. فلما قدمت قال العباس^(٢):

أَلَا قَدْ قَدِمَتْ فَوْزٌ فَقَرَّتْ عَيْنُ عَبَّاسٍ
لِمَنْ بَثَّرْنِي الْبُشْرَى عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَالرَّاسِ
أَيَا دِيَاجَةَ الْخُنَيْنِ وَيَإَرَامُشْنََةَ الْآسِ^(٣)
يَلُومُونِي عَلَى الْحَبِّ وَمَا بِالْحَبِّ مِنْ بَاسٍ!

تشبّه في شعره بأبي العتاهية

أخبرني محمد، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن جعفر الأنباري - وهو أبو عاصم بن محمد الكاتب - قال:
حدثني علي بن محمد التوفلي قال:

كانت فوز لرجل جليل من أسباب السلطان، وكان العباس يتشبه في أشعاره وذكر فوز بما قاله أبو العتاهية في
عُتْبَة، فحج بها مولاها، فقال العباس^(٤):

يَا رَبِّ رُدِّ عَلَيْنَا ١٤٢
مَنْ لَا تُسَرُّ بِعَيْنَيْهِ ١٥
يَا مَنْ أَتَاكَ لِقَائِي [٦٨/١٧]
مَا زِلْتُ مُذْ غِبْتَ عَنِّي
مَا كَانَ حُجُّكَ عِنْدِي^(٥)

فلما قدمت قال:

أَلَا قَدْ قَدِمَتْ فَوْزٌ فَقَرَّتْ عَيْنُ عَبَّاسٍ

(١) دبرها: أعتقها عن دبر، أي بعد موته.

(٢) ديوانه ١٦٥.

(٣) قال الشهاب في «شفاء الغليل»: «رامشنة»، قال الصولي: هي ورقة الآس، لها رأسان وفي ديوانه: ويا رائحة الآس.

(٤) ديوانه ٢٦٥.

(٥) في ديوانه: «ما كان حجبك هذا».

وذكر الأبيات المتقدمة.

معايه بينه وبين الأصمعي

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال:

حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه، أنه دخل على الفضل بن الربيع يوماً، والعباس بن الأحنف بين يديه، فقال العباس للفضل: دَغْنِي أَعَابِثَ الْأَصْمَعِيِّ. قال: لا تفعل، فليس المزاح مِنْ شأنه. قال: إِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يَقْعَلَ. قال: ذاك إِلَيْكَ. قال: فلما دخلْتُ قال لي العَبَّاسُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ الَّذِي يَقُولُ^(١):

إِذَا أَحْيَيْتَ^(٢) أَنْ تَصْ نَعْ شَيْئاً يَعْجِبُ النَّاسَا
فَصَوِّرْهَا هُنَا فَوُزاً وَصَوِّرْهُمْ عَبَّاسَا
فَإِنْ لَمْ يَكْذُبُوا حَتَّى تَرَى رَأْسَيْهِمَا رَأْسَا
فَكْذِبْهَا بِمَا قَاسَتْ وَكْذِبْهُ بِمَا قَاسَى

فقال لي ابنُ أبي السَّعْلَاءِ الشاعر: إنه أرادَ العبثَ بك، وهو نَبْطِي، / فَأَجِبْهُ عَلَى هَذَا. قال: فقلت له: [٦٩/١٧] لا أعرف هذا، ولكنني أعرف الذي يقول:

إِذَا أَحْيَيْتَ أَنْ تَبْصُرَ شَيْئاً يَعْجِبُ الْخَلْقَا
فَصَوِّرْهَا هُنَا زُوراً وَصَوِّرْ هُنَا فَلَقَا
فَإِنْ لَمْ يَكْذُبُوا حَتَّى تَرَى خَلْقَهُمَا خَلْقَا
فَكْذِبْهَا بِمَا لَاقَتْ وَكْذِبْهُ بِمَا يَلْقَى

فعرَّضَ بالعباس أنه نَبْطِي، فضحك الفضل، فوجَّه العباس، فقال له [الفضل]: قد كنتُ نهيتُك عنه، فلم تُقْبَلْ.

فوز تجد صداعاً

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني محمد بن الفضل الهاشمي، قال: حدثني أبو توبة الحنفي، قال: وَجَّهَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ رَسُولاً إِلَى فُوزٍ، فَعَادَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهَا تَجِدُ صُدَاعاً، وَأَنَّهُ رَأَاهَا مَعْصُوبَةً الرَّأْسِ؛ فَقَالَ الْعَبَّاسُ:

عَصَبَتْ رَأْسَهَا فَلَيْتَ صُدَاعاً قَدْ شَكَّنْهُ إِلَيَّ كَانَ بِرَأْسِي^(٣)
ثُمَّ لَا تَشْتَكِي، وَكَانَ لَهَا الْأَجْرُ، وَكَنْتُ السَّقَامَ عَنْهَا أَقَاسِي
ذَلِكَ حَتَّى يَقُولَ لِي مَنْ رَأْسِي: هَكَذَا يَفْعَلُ الْمُجِبُّ الْمُوَاسِي
قال: فبرئتُ ثم نُكِسْتُ، فقال^(٤):

(١) الأبيات في الأغاني ٨: ٣٥٥، وهي في ديوانه ١٦٤.

(٢) في الديوان: «إِذَا مَا شَتَّ».

(٣) ديوانه ١٦٢.

(٤) ديوانه ١٦٠.

عَاوَدَهَا مِنْ عَارِضٍ نَكَسُ ^(١)	إِنَّ التِّي هَامَتْ بِهَا النَّفْسُ	[٧٠/١٧] ١٤٣ ١٥
أَبْرَأَهُ مِنْ كَفْهَهَا اللَّفْسُ ^(٢)	كَانَتْ إِذَا مَا جَاءَهَا الْمُتَنَكُّسُ	
قَدْ عَشِقْتُهُ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ	/ وَإِبْأَبِي الْوَجْهَ الْمَلِيحُ الَّذِي	
فَرَبِمَا تَنْكَسِفُ الشَّمْسُ	إِنْ تَكُنِ الْحَمَى أَضَرَّتْ بِهِ	

فوز ساهرة ذاكرة له

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني أبو العباس الخنجي، قال: حدثني أبو عبد كان الكاتب^(٣)، قال: حدثني أبو توبة الحنفي، قال:

لَمَّا قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ^(٤):

بَلَاءٌ، لَقَدْ أَسْرَفْتُ فِي الظُّلَمِ وَالْهَجْرِ	أُمَّا وَالَّذِي أَبْلَى الْمُحِبِّ وَزَادَنِي
إِلَيْكَ، فَقَامَ النَّائِحَاتُ عَلَى قَبْرِي	فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا زَعَمْتَ أَتَيْتُهُ
فَلَامِتٌ حَتَّى تَسْهَرِي اللَّيْلَ مِنْ ذِكْرِي	وَأِنْ كَانَ عُذْوَانَا عَلَيَّ وَبَاطِلًا

بَعَثَ إِلَيْهِ فَوْزٌ: أَظُنُّنَا ظَلَمْنَاكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ، فَاسْتَجِيبْ لَكَ فِينَا مَا زَلْتُ الْبَارِحَةَ سَاهِرَةً ذَاكِرَةً لَكَ.

في خلقه شدة

أخبرني جحظة البرمكي، قال: حدثني أبو عبد الله بن حمدون، عن أحمد بن إبراهيم، قال: حدثني محمد بن سلام، قال:

كَانَ فِي خَلْقِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ شِدَّةٌ، فَضَرَبَ غَلَامًا لَهُ، وَحَلَفَ أَنَّهُ يَبِيعُهُ، فَمَضَى الْغَلَامُ إِلَى فَوْزٍ فَاسْتَشْفَعَ بِهَا عَلَيْهِ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ فِيهِ؛ فَقَالَ^(٥):

يَا مَنْ أَتَانَا بِالشِّفَاعَاتِ	مِنْ عِنْدَ مَنْ فِيهِ لَجَاجَاتِي ^(٦)
إِنْ كُنْتُ مَوْلَاكَ فَإِنَّ التِّي	قَدْ شَفَعَتْ فِيكَ لَمَوْلَاتِي ^(٧)
إِرْسَالَهَا فِيكَ إِلَيْنَا	كَرَامَةً فَوْقَ الْكَرَامَاتِ

/ وَرَضِي عَنْهُ وَوَصَلَهُ، وَأَعْتَقَهُ. [٧١/١٧]

اكتتابه من قوله فوز له: يا شيخ!

أخبرني جحظة، قال: حدثنا أبو عبد الله بن حمدون، عن أبيه حمدون بن إسماعيل، عن أخيه إبراهيم بن إسماعيل، قال:

(٢) في الديوان: «من واحتها».

(١) في الديوان: «من سقمها».

(٣) في س: «أبو عبدان»، والمثبت من أ.

(٤) ديوانه ١٥٣.

(٥) ديوانه ٦٩.

(٦) في الديوان: «يا من أتاني... من عند من أبغى حاجاتي».

(٧) في الديوان: «قد كتبت فيك».

جاءنا العباس بن الأحنف يوماً وهو كئيب، فنشطناه فأبى أن ينشط، فقلنا: ما دهاك؟ فقال: لقيتني فوز اليوم، فقالت لي: يا شيخ! وما قالت ذلك إلا من حادثٍ ملالٍ. فقلنا له: هوّن عليك؛ فإنها امرأة لا تثبت على حال، وما أرادت إلا العيب بك والمزاح معك. فقال: إني والله قد قلت أقبح مما قالت، ثم أنشدنا^(١):

هزئت إذ رأت كئيهاً معك^(٢) أقصدته الخطوب فهو حزين
هزئت بي ونلت ما شئت منها يالقومى فأئتنا المغبون

فقلت له: قد انتصفت وزدت.

يمن جارية فوز تزعم أنه راودها

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا علي بن الصباح، قال: حدثنا أبو ذكوان، قال:

كانت لفوز جارية يقال لها يُمن، وكانت تجيء إلى العباس برسالتها، فمضت إلى فوز، وقد طلبت من العباس شيئاً فمنعها إياه، وزعمت أنه أرادها ودعاها إلى نفسه، فغضبت فوز من ذلك، فكتب إليها^(٣):

لقد زعمت يُمن بأنني أردتها على نفسها، تبكاً لذلك من فعل
سلوا عن قميصي مثل شاهد يوسف فإن قميصي لم يكن قد من قبل^(٤)

/ معاتبة فوز له في جفائه ورده عليها

أخبرني محمد، قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل، قال: حدثني سعيد بن حميد، قال:

كانت فوز قد مالت إلى بعض أولاد الجند، وبلغ ذلك العباس، فتركها ولم ترخص هي البديل بعد ذلك، فعادت إلى العباس، وكتبت إليه تُعابه في جفائه؛ فكتب إليها:

كتبْتُ تلوّم وتستريبُ زيارتي وتقولُ لست لنا كعهْدِ العاهِدِ^(٥)
/ فاجبِتها ودموعُ عيني جمّة تجري على الخدين غيرَ جوامِدِ
يا فوز لم أهرُكُم لمالّة منسي ولا لمقالٍ واش حاسِدِ
لكئي جربتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعامٍ واحدِ

١٥

سرقة شعر أبي نواس

وقد أنشدني علي بن سليمان الأخفش هذه الأبيات، وقال: سرقتها من أبي نواس حيث يقول:

صوت

ومُظهِرَةٌ لخلقِ الله وُداً وتلقى بالتحية والسلام
أتيت فؤادها أشكو إليه فلم أخلص إليه من الزحام

(١) الديوان ٢٦٠. (٢) في أ: «كبيراً»، وفي الديوان: «أن رأت غلاماً».

(٣) ديوانه ٢١٣. (٤) إشارة إلى ما جاء في سورة يوسف ٢٦: «إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين».

(٥) ديوانه ١٠٦، وفيه: «وتستريث زيارتي».

فِيَا مَنْ لَيْسَ يَكْفِيهِ مُحِبٌّ وَلَا أَلْفًا مُحِبٌّ كُلُّ عَامٍ
أَظُنُّكَ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ مُوسَى فَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامٍ
غَنَّتْ فِيهِ عَرِيبٌ لِحَنًا ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ، وَلَمْ يَذْكُرْ طَرِيقَتَهُ.
وَمِمَّا يَغْنَى فِيهِ مِنْ شِعْرِ الْعَبَّاسِ فِي فَوْزِ قَوْلِهِ:

الصوت

[٧٣/١٦]

يَا فَوْزُ مَا ضَرَّ مَنْ يُنْفِسِي وَأَنْتَ لَهُ الْأَ يَفَوْزُ بِدُنْيَا آلِ عَبَّاسٍ^(١)
أَبْصَرْتُ شَيْئًا بِمَوْلَاهَا فَوَاعَجِبًا مِنْهُ يَرَاهَا وَيَبْذُو الشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ
غَنَاهُ سُلَيْمٌ، رَمَلَ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ ابْنِ الْمَكِّيِّ.

وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ:
قَرَأْتُ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي فَنَنْ شِعْرَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ، وَكَانَ مَشْغُوفًا بِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَدَدْتُ أَنْ أَبْيَاتَهُ الَّتِي
يَقُولُ فِيهَا:

* يَا فَوْزُ مَا ضَرَّ مَنْ يُنْفِسِي وَأَنْتَ لَهُ *

لِي بِكُلِّ شِعْرِي.

/ وَفِي بَذَلٍ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيُّ يَخَاطِبُ عَمْرًا فِي بَذَلٍ بِقَوْلِهِ: [٧٤/١٧]

الصوت

تَسْمَعُ بِحَقِّ اللَّهِ يَا عَمْرُو مِنْ بَذَلٍ فَقَدْ أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ وَاعْتَمَدْتَ قَنْلِي
كَأَنِّي أَرَى حُبِّيكَ يَرْجَحُ كُلَّمَا تَغَنَّيْتُ لِإِعْجَابِي وَأَفْقَدُ مِنْ عَقْلِي

غَنَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيُّ، ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو، وَغَنَى فِيهِ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ خَفِيفٌ رَمَلَ بِالْبَنْصَرِ
عَنْ حَبَشٍ.

/ ذكر بطل وأخبارها

من مولدات المدينة ولها كتاب أغان

كانت بطل صفراء مولدة من مولدات المدينة، ورُئيت بالبصرة، وهي إحدى المُحسنات المتقدّمات، الموصوفات بكثرة الرواية، يقال: إنها كانت تغني ثلاثين ألف صوت. ولها كتاب في الأغاني منسوب الأصوات غير مجتس، يشتمل على اثني عشر ألف صوت، يقال: إنها عملته لعلّي بن هشام. وكانت حلوة الوجه طريفة، ضاربة متقدمة، وابتاعها جعفر بن موسى الهادي، فأخذها منه محمد الأمين، وأعطاه مالا جزيلًا، فولدتهما جميعاً يدعون ولأهها. فأخذت بطل عن أبي سعيد مولى فائد ودحمان وفليح وابن جامع وإبراهيم، وطبقتهم.

أروى خلق الله للغناء

وقرأت على جحظة، عن أبي حشيشة في كتابه الذي جمعه من أخباره وما شاهده، / قال:

كانت بطل من أحسن الناس غناءً في دهرها، وكانت أستاذة كل محسن ومحسنة، وكانت صفراء مدنية، وكانت أروى خلق الله تعالى للغناء، ولم يكن لها معرفة.

احتبال الأمين في أخذها

وكانت لجعفر بن موسى الهادي، فوصفت لمحمد بن زبيدة، فبعث إلى جعفر يسأله أن يُريه إيّاها، فأبى، فزاره محمد إلى منزله، فسمع شيئاً لم يسمع مثله، فقال لجعفر: يا أخي، يعني هذه الجارية. فقال: يا سيدي، مثلي لا يبيع جارية، قال: فهبها لي، قال: هي مُدبرة^(١). فاختال عليه محمد حتى أسكره، وأمر ببطل فحملت معه إلى الحرّاقة، وانصرف بها.

/ فلما انتبه سأل عنها فأخبر بخبرها، فسكت، فبعث إليه محمد من الغد، فجاءه وبطل جالسة فلم يقل شيئاً. [٧٦/١٧] فلما أراد جعفر أن ينصرف قال: أوقروا حرّاقة ابن عمي دراهم، فأوقرت.

قال: فحدثني عبد الله بن الحُثَينِي - وكان أبوه على بيت مال جعفر بن موسى - أن مبلغ ذلك المال كان عشرين ألف ألف درهم.

قال: وبقيت بطل في دار محمد إلى أن قُتل، ثم خرجت، فكان ولد جعفر وولد محمد يدعون ولأهها. فلما ماتت ورثها ولد عبد الله بن محمد بن زبيدة.

(١) المدبرة: المعتقة بعد الموت. وفي هامش أ: «المدبر من الرقيق: الذي يقول له سيده بعد الموت: أنت حر بعد دبر مني»، أي بعد وفاتي.

وهب لها الأمين من الجوهر ما لم يملك مثله أحد

وقد رَوَى محمد بن الحسن الكاتب هذا الخبر، عن ابن المكي، عن أبيه، وقال فيه: إن محمداً وهب لها من الجوهر شيئاً لم يملك أحد مثله، فسلم لها، فكانت تُخرج منه الشيء بعد الشيء فتبيعه بالمال العظيم، فكان ذلك مُعتمداً مع ما يصل إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقية عظيمة.

إياؤها الزواج حتى موتها

قال: ورغب إليها وجوه القواد والكاتب والهاشميين في التزويج، فأبَتْ وأقامت على حالها حتى ماتت.

علي بن هشام في موكبها إليها

قال أبو حشيشة في خبره: وكنتُ عند بَذل يوماً وأنا غلام، وذلك في أيام المأمون ببغداد، وهي في طارمة^(١) لها تَمَشِطُ، ثم خرجتُ إلى الباب، فرأيتُ الموكب، فظننتُ أن الخليفة يَمُرُّ في ذلك الموضع، فرجعتُ إليها فقلتُ: يا سَيِّ^(٢) الخليفة يَمُرُّ على بابك؟ فقالت: انظروا أي شيء هذا؟ إذ دخل بَوَائِها فقال: علي بن هشام بالباب. فقالت: وما أصنع به؟ فقامت إليها وشيكة^(٣) جاريتهما - وكانت ترسلها إلى الخليفة وغيره في حوائجها - [١٧/٧٧] / فأكبَّت على رِجلها، وقالت: الله، الله! أتَحْجُبِين علي بن هشام! فدعتُ بمنديل فطرَحْتُهُ على رأسها ولم تَقُمْ إليه، فقال: إني جئتُك بأمر سيدي أمير المؤمنين، وذلك أنه سألني عنك، فقلتُ: لم أرها منذ أيام. فقال: هي عليك غَضَبِي، فَبِحَيَاتِي لا تدخلُ منزلك حتى تذهب إليها فتسْرِضِها.

تكتب اثني عشر ألف صوت

فقالت: إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بأمر الخليفة فأنا أقومُ. فقامت فقبَلتُ رأسه ويَدَيْه^(٤) وقعد ساعة وانصرف، فساعة خرج قالت: يا وشيكة، هاتي دواةً وقرطاساً، فجعلت تكتبُ فيه^(٥) يومها وليتها حتى كتبت اثني عشر ألف صوت - وفي بعض النسخ: «رؤوس سبعة آلاف صوت» - ثم كتبت إليه: يا علي بن هشام، تقول: قد استَغْنَيْتُ عن بَذل بأربعة آلاف صوت أخذناها منها، وقد كتبتُ هذا وأنا ضَجِرَةٌ، فكيف لو فرَغْتُ لك قلبي كُلِّه! وختمت الكتاب، وقالت لها: امضي به إليه.

فما كان أسرع من أن جاء رسوله - خادم أسود يقال له مخارق - بالجواب يقول فيه: يا سَيِّ، لا والله ما قلتُ الذي بلغك، ولقد كُذِبَ عليّ عندك؛ إنما قلتُ: لا ينبغي أن يكون في الدنيا غناء أكثر من أربعة آلاف صوت، وقد بعثتُ إليّ بديوان لا أُوَدِّي شُكْرَكَ عليه أبداً. / وبعث إليها عشرة آلاف درهم، وتخوتاً^(٦) فيها خَزٌّ ووشِي ومُلَحَّ، ١٥ وتختاً مطبقاً فيه ألوان الطيب.

علي بن هشام يعاتبها في جفوة نالته منها

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لعلي بن هشام يعاتبُ بَذلاً في جَفْوَةٍ نالته منها:

(١) الطارمة: بيت من الخشب، كالقبة.

(٢) سَيِّ: كلمة مولدة، وفي نهاية الأرب: يا «سيدتي».

(٣) في مختار الأغاني: «وشيك»، بغير تاء.

(٤) في ب، س: «فقبلت رأسه ورجليه».

(٥) في أ: «به».

(٦) التخوت: جمع تخت؛ وهو وعاء تصان فيه الثياب.

[٧٨/١٧]

/ تَغَيَّرَتْ بَعْدِي وَالزَّمَانُ مُغَيَّرٌ
وَأَظْهَرْتُ لِي هَجْرًا وَأَخْفَيْتِ بَغْضَةً
وَمِمَّا شَجَانِي أَنِّي يَوْمَ زُرْتَكُمْ
وَفِي دُونِ ذَا مَا يَسْتَبِيدُ بِهِ الْفَتَى
كَفَرْتُ بِدَيْنِ الْحُبِّ إِنْ طُرْتُ بِأَبْكُمْ^(١)
فَإِنْ ذَهَبَتْ نَفْسِي عَلَيْكُمْ تَشَوُّقًا
وَلَوْ كَانَ نَجْمِي فِي السُّعُودِ وَصَلْتُمْ
وَحَسِبْتُ بَعْدِي وَالْمَلُوكُ تَخِيْسُ
وَقَرَّبْتُ وَغَدَاً وَاللِّسَانُ عُبُوسُ
حُجِبْتُ وَأَعْدَائِي لَدَيْكَ جُلُوسُ
عَلَى الْغَدْرِ مِنْ أَخْبَابِهِ وَيَقِيْسُ
وَتِلْكَ يَمِينُ - مَا عَلِمْتُ - غَمُوسُ
فَقَدْ ذَهَبَتْ لِلْعَاشِقِينَ نَفُوسُ
وَلَكِنْ نَجُومُ الْعَاشِقِينَ نُحُوسُ

وأخبرني أبو العباس الهشامي المَشْك، عن أهله: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ هِشَامٍ كَانَ يَهْوَى بَذْلًا وَيَكْتُمُ ذَلِكَ، وَأَنَّهَا هَجَرَتْهُ مَدَّةً، فَكُتِبَ إِلَيْهَا بِهَذِهِ الْآيَاتِ.

تروي ثلاثين ألف صوت

وذكر محمد بن الحسن أَنَّ أَبَا حَارِثَةَ حَدَّثَهُ عَنْ أَخِيهِ أَنَّ مَعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَتْ لِي بَذْلُ: كُنْتُ أَزُورِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ صَوْتٍ، فَلَمَّا تَرَكْتُ الدَّرْسَ أَتَيْتُ نِصْفَهَا، فَذَكَرْتُ قَوْلَهَا لَزُرُّرُ الْكَبِيرِ، فَقَالَ: كَذَبْتَ الزَّانِيَةَ!

تغني مائة صوت لم يعرفها إبراهيم بن المهدي

قال: وحدثني أحمد بن محمد الفَيْرُزَانِ^(٢)، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ - أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ كَانَ يَعْظُمُهَا وَيَتَوَافَى لَهَا، ثُمَّ تَغَيَّرَ بَعْدَ ذَلِكَ اسْتِغْنَاءً عِنْدَ نَفْسِهِ عَنْهَا^(٣)، فَصَارَتْ إِلَيْهِ، فَذَعَا بِعُودٍ فَغَنَّتْ - فِي طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَإِقْبَاعٍ وَاحِدٍ وَأَصْبَحَ وَاحِدَةً - مِائَةَ صَوْتٍ، لَمْ يَعْرِفْ إِبْرَاهِيمُ مِنْهَا صَوْتًا / وَاحِدًا، وَوَضَعْتَ الْعُودَ وَانصرفت، فَلَمْ تَدْخُلْ دَارَهُ [٧٩/١٧] حَتَّى طَالَ طَلْبُهُ لَهَا وَتَضَرَّعَ إِلَيْهَا فِي الرَّجُوعِ إِلَيْهِ.

تخجل إسحاق بن إبراهيم الموصلي لجهله أصوات أبيه

وقال محمد بن الحسن، وذكر أحمد بن سعيد المالكي أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِي خَالَفَ بَذْلًا فِي نِسْبَةِ صَوْتِ غَنَّتْ بِحَضْرَةِ الْمَأْمُونِ، فَأَمْسَكَتْ عَنْهُ سَاعَةً، ثُمَّ غَنَّتْ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ فِي الثَّقِيلِ الثَّانِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَسَأَلَتْ إِسْحَاقَ عَنْ صَانِعِهَا فَلَمْ يَعْرِفْهُ، فَقَالَتْ لِلْمَأْمُونِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هِيَ وَاللَّهِ لِأَبِيهِ، أَخَذْتُهَا مِنْ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا لَا يَعْرِفُ غِنَاءَ أَبِيهِ فَكَيْفَ يَعْرِفُ غِنَاءَ غَيْرِهِ! فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى إِسْحَاقَ حَتَّى رُبِّيَ ذَلِكَ فِيهِ.

أخبرني أبو الحسن الأسدي، قال: حدثني حماد بن إسحاق قال: غَنَّتْ بَذْلُ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيَّ أَبِي:

إِنْ تَرَيْنِي نَاحِلَ الْبَدَنِ
فَلِطَوَلِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
كَانَ مَا أَخْشَى بِوَاحِدَتِي^(٤)
لَيْتَهُ وَاللَّهِ لَوْ يَكُونُ

(١) طررت بأبكم: حمت حوله شغفًا.

(٢) في ب، س: «العزيزان».

(٣) في المختار: «بنفسه عنها».

(٤) في هامش أ: «شيني الحب وأنحلي».

إسحاق يطرب ويشرب على غنائها

فطرب أبي الله طرباً شديداً، وشرب رطلاً، وقال لها: أحسنت يا بنتي، والله لا تغنين صوتاً إلا شربت عليه رطلاً.

قال أبو الفرج: والغناء في هذا الشعر لبذل خفيف رمل بالوسطى.

في مجلس شراب المأمون

وذكر أحمد بن أبي طاهر أن محمد بن علي بن طاهر بن الحسين حدثه أن المأمون كان يوماً قاعداً يشرب ويبيده قدح إذ غنت بذل:

* ألا لا أرى شيئاً ألد من الوعد *

فجعلته:

* ألا لا أرى شيئاً ألد من السحق *

[٨١/١٧] / فوضع المأمون القدح من يده والتفت إليها، وقال: بلى يا بذل، التيك ألد من السحق^(١)، فتشورت^(٢) وخافت غضبه، فأخذ قدحه، ثم قال: أتمى صوتك وزيدي فيه:

/ ومن غفلة الواشي إذا ما أتيتها
ومن صيحة^(٣) في الملتقى ثم سكنته
ومن زورتي آياتها خالياً وخدي
وكلتاها عني ألد من الخلد

١٤٧
١٥

نسبة هذا الصوت

ألا لا أرى شيئاً ألد من الوعد ومن أملي فيه وإن كان لا يجدي
الغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبصر في رواية عمرو بن بانة.

أصوت

[٨١/١٧]

بانت سعاد قلبي اليوم متبول متيم عندها لم يجز مكبول^(٤)

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضب الطرف مكحول

الشعر لكعب^(٥) بن زهير بن أبي سلمى المزنّي، والغناء لابن محرز، ثاني ثقل بالبصر، عن عمرو بن بانة والهشامي.

(١) في هامش أ: «يعد أن يكون هذا صدر عن المأمون».

(٢) تشورت: خجلت.

(٣) في المختار: «ضجة».

(٤) الديوان: «متيم إثرها».

(٥) ديوانه ٦.

/ أخبار كعب بن زهير

[٨٢/١٧]

نسب أم كعب

كعب بن زهير بن أبي سلمى المُرَنِّي، وقد تقدم خبرُ أبيه^(١) ونسبه. وأمُّ كعب امرأة من بني عبد الله بن عطفان يقال لها كبشة بنت عَمَّار بن عدي بن سُحَيْم، وهي أم سائر أولاد زهير.

وهو من المخضرمين، ومن فحول الشعراء.

وسأله الحطيئة أن يقول شعراً يقدم فيه نفسه، ثم يثني به بَعْدَهُ، ففعل.

الحطيئة راوية زهير يسأله أن يذكره في شعره

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قال:

أتى الحطيئة كعب بن زهير - وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير - فقال له: يا كعب، قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بَعْدَكَ! وقال أبو عبيدة في خبره: تبدأ بنفسك فيه وتثني بي؛ فإن الناس لأشعاركم أروى، وإليها أسرع، فقال كعب^(٢):

فَمَنْ لِلْقَوَافِي شَانَهَا مَنْ يَحْكُوهَا	إذا ما نَوَى كَعْبٌ وَفَوَّزَ جَرَوُلُ ^(٣)
يقول فلا تغيا بشيء يقوله	وَمِنْ قَائِلِيهَا مَنْ يُسِيءُ وَيَعْمَلُ ^(٤)
/ كَفَيْتُكَ لَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِداً	تَنْخُلُ مِنْهَا مِثْلَ مَا يُنْخُلُ ^(٥)
يُقَفُّهَا حَتَّى تَلِينَ مُثُونُهَا	فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يُمَثِّلُ ^(٦)

[٨٣/١٧]

يجيز نصف بيت حجز عنه النابغة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيب بن نصر المهلبى، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن الصباح، عن هشام، عن إسحاق بن الجصاص، قال:

قال زهير بيتاً ونصفاً ثم أكدى^(٧)، فمرَّ به النابغة، فقال له: أبا أمانة، أجز، فقال: وما قلت؟ قال: قلت^(٨):

(١) في الجزء التاسع صفحة ١٣٩ وما بعدها.

(٢) سبقَت هذه الأبيات في الأغاني ٢: ١٦٥، وهي في ديوان كعب ٥٢٩.

(٣) فوز الرجل: إذا قضى نجه. شأنها: جاء بها شائنة معينة. وجرول، هو الحطيئة.

(٤) في س: «ويعجل»، والمثبت ما في أ والديوان. ويعمل، أي يتصنع ويتكلف.

(٥) في الديوان: «مثل ما أنتخل». وتنخل: اصطفى واختار.

(٦) تمثل هذا البيت، وتمثل به: ضربه مثلاً.

(٧) أكدى، يريد: امتنع عليه القول فلم يستطع إتمام البيت.

(٨) «الموشح» ٥٧.

تَسْرِبُ الْأَرْضُ إِذَا مَتْ خَفًا^(١) وَتَخَيَا إِنْ حَيَّتْ بِهَا ثَقِيلاً
نَزَلَتْ بِمُسْتَقَرِّ الْعَرْضِ^(٢) مِنْهَا.

أَجَز، قال: فأكدى والله النابغة، وأقبل كعب بن زهير، وإنه لغلام، فقال أبوه: أَجَزْ يَا بُنَيَّ، فقال: وما أَجِيز؟
فأنشده، فأجاز النصف بيت، فقال:

* وَتَمْنَعُ جَانِبَيْهَا أَنْ يَزُولَا^(٣) *

فَضَمَّ زُهَيْرٌ إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ ابْنِي.

زهير ينهائ عن الشعر قبل أن يستحكم

وقال ابن الأعرابي: قال حماد الراوية:

تَحَرَّكَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ / بِالشَّعْرِ، فَكَانَ زُهَيْرٌ يَنْهَاهُ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ لَمْ يَسْتَحْكِمِ شِعْرُهُ، فَيَزُولَ لَهُ
مَا لَا خَيْرَ فِيهِ، فَكَانَ يَضْرِبُهُ فِي ذَلِكَ، / فَكَلِمَا ضَرَبَهُ يَزِيدُ فِيهِ فُغْلَبُهُ، فَطَالَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَأَخَذَهُ فَحَبَسَهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي
أَحْلَفْتُ بِهِ لَا تَتَكَلَّمُ بَيْتَ شِعْرِ إِلَّا ضَرَبْتُكَ ضَرْبًا يُنْكَلُّكَ^(٤) عَنْ ذَلِكَ. فَمَكَثَ مُحْبُوسًا عِدَّةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِهِ،
فَدَعَاهُ فَضَرَبَهُ ضَرْبًا شَدِيدًا، ثُمَّ أَطْلَقَهُ وَسَرَّحَهُ فِي بَهْمِهِ^(٥) وَهُوَ غُلَيْمٌ صَغِيرٌ، فَاْنْطَلَقَ فَرَعَى ثُمَّ رَاحَ عَشِيَّةً، وَهُوَ
يَرْتَجِزُ:

كَأَنَّمَا أَخَذُوا بِيَهْمِي عِيسَى مِنَ الْقَرْيِ مُوقِرَةً شَعِيرَا

زهير يشيره ليعلم تمكنه من الشعر

فخرج إليه زهير وهو غضبان، فدعا بناقته فكفلها بكسائه، ثم قعد عليها حتى انتهت إلى ابنه كعب، فأخذ بيده
فأزده خلقة، ثم خرج فضرب ناقته وهو يريد أن يبعث ابنه كعباً ويعلم ما عنده من الشعر، فقال زهير حين برز إلى
الحي:

إِنِّي لَتُعْدِينِي عَلَى الْحَيِّ^(٦) جَسْرَةً
ثُمَّ ضَرَبَ كَعْبًا، وَقَالَ لَهُ: أَجَزْ يَا لُكْعَ، فَقَالَ كَعْبُ:
كُبْيَانَةُ الْقَرْيِ مَوْضِعُ رَحْلِهَا
وَأَثَارُ نِسْغَيْهَا مِنَ الدَّفِّ أُبْلَقُ^(٧)
فَقَالَ زُهَيْرُ:

(١) خفا، أي خفة.

(٢) في الموشح: «بمستقر العز».

(٣) في بيروت: أن يميلا.

(٤) ينكلك: يصرفك.

(٥) البهم: الصغار من ولد الضأن.

(٦) بيروت: «على الهم».

(٧) في ب، س: «القري»، وفي حاشية أ: «كفترة الرومي». والدف: المشي، النسع: سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره،
والنسمان هنا البطان والحَقَب والنسع: المفصل بين الكف والساعد.

على لاجِبٍ مثل المَجَرَّةِ خِلْتُهُ إذا ما عَلَا نَشْرًا من الأرضِ مُهَرَّقُ^(١)
أجز يا لُكْع، فقال كعب:

مُنِيرٌ هَسَدَاهُ لِيْلُهُ كَنَهَارُهُ جميعٌ، إذا يَغْلُو الحُزُونَةُ أَفْرَقُ

/ زهير يتعسف له يعلم ما عنده

قال: فتبدى^(٢) زهير في نَعْتِ النعام، وترك الإبل، يتعسف^(٣) عَمْدًا ليعلم ما عنده، قال:

وظَلَّ بِوَعْغَاءِ الكَثِيبِ كَأَنَّهُ خِباءٌ على صَفْبِي بِسَوَانٍ مُرَوِّقٍ

صَفْبِي عَمُودِي، بوان: عَمُود من أعمدة البيت، فقال كعب:

تراخى به حُبُّ الضَّحَاءِ وقد رأى سَمَاوَةَ قَشْرَاءِ الوَظِيفِينَ عَوْهَقِ^(٤)

فقال زهير:

تَحَنُّ إلى مثل الحَبَايِيرِ جُئِمَ لَدَى مَتِجٍ مِنْ قَيْضِهَا^(٥) المَتَقَلِّقِ

الحبايير: جمع حُبَارَى^(٦)، وتجمع أيضاً حُبَارِيَّاتٍ، فقال كعب:

تَحَطَّمْ عَنْهَا قَيْضُهَا عَنْ خَرَاطِمٍ وَعَبْنُ حَدَقِي كَالنَّبَخِ لَمْ يَتَمَقَّقِ

الخَرَاطِمُ ها هنا: المناقير، والنَّبَخُ: الجُدْرِي، شَبَّهَ أَغْبَيْنَ وَلَدَ النعامة به.

إذنه له في قول الشعر

قال: فأخذ زهير بيد ابنه كعب، ثم قال له: قد أَذِنْتُ لَكَ فِي الشَّعْرِ يَا بَنِي.

فلما نزل كعب وانتهى إلى أهله - وهو صغير يومئذ - قال^(٧):

أَبَيْتُ فَلَ أَهْجُو الصَّدِيقَ وَمَنْ يَبْغُ بَعْرِضِ أَبِيهِ فِي المَعَاشِرِ يُنْفِقُ

/ قال: وهي أَوَّلُ قصيدة قالها.

خروجه وبجير إلى رسول الله

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلباني قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني

إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال: حدثني الحجاج بن ذي الرُقَيْيَةِ بن عبد الرحمن بن مُضَرَّبِ بن كعب بن زهير بن

أبي سلمى، عن أبيه، عن جدّه / قال:

١٤٩
١٥

(١) اللاجِب: الطريق الواضح. مهرق: أملس. (٢) الديوان: «ثم بدأ زهير».

(٣) الديوان: يعتسف به عمدًا.

(٤) تراخى: تطاول. والضحاء للإبل، مثل الغداء للناس. سماوة: شخص. قشراء الوظيفين، يعني الساقين. وعوهق: طويلة العنق.

(٥) القَيْض: القشرة العليا للبيضة.

(٦) الحبارى: طائر معروف. وفي الديوان: «الذي سكن».

(٧) من قصيدة في ديوان زهير ٢٤٥، مطلعها:

وَيَوْمَ تَلَا فَيَسْتُ الصَّبَا أَنْ يَفُوتَنِي بِرَحْبِ الفُرُوجِ ذِي مَحَلِّ مُوَثَّقِي

يقول أبو عمرو: «إن زهيراً وكعباً اشتركا فيها».

خرج كعب وبُجَيْر ابْنَا زهير بن أبي سلمى إلى رسول الله ﷺ حتى بلغا أبرق العزاف^(١)، فقال كعب لبُجَيْر: الْحَقِّ الرجل، وأنا مقيم ها هنا، فانظُرْ ما يقولُ لك.

إسلام بجير

فقدم بُجَيْر على رسول الله ﷺ، فسمع منه وأسلم، وبلغ ذلك كعباً، فقال^(٢):

أَلَا أُنَلِّفَا عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً عَلَى أَيِّ شَيْءٍ عَوْنِبَ غَيْرِكَ دَلَكَا^(٣)
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلَفِ أُمَّا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ وَلَمْ تُذَرِكْ عَلَيْهِ أَخَا لَكَا
سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَاسٍ رَوِيَّةٍ فَأَنهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَكَا^(٤)

إهدار الرسول دمه

ويروى «المأمور». قال: فبلغت أبياته هذه رسول الله ﷺ فأهدر دمه، وقال: مَنْ لقي منكم كعب بن زهير فليقتله.

[٨٧/١٧] / بجير ينذره ويحثه على الإسلام

فكتب إليه أخوه بُجَيْر بخبره، وقال له: انجِه^(٥) وما أراك بِمُقْلَبٍ. وكتب إليه بعد ذلك يأمره أَنْ يُسَلِّمَ وَيُقْبِلَ إلى رسول الله ﷺ ويقول له: إِنَّ مَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ قَبِلَ ﷺ منه، وَأَسَقَطَ مَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ. فأسلم كعب، وقال القصيدة التي اعتذر فيها إلى رسول الله ﷺ^(٦):

بِأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَكْبُولٌ مُتَيْمٌ عِنْدَهَا لَمْ يَجْزَ مَكْبُولٌ^(٧)

إسلامه

قال: ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ، وكان مجلسه من أصحابه مكان المائدة من القوم حَلَقَةً ثم حَلَقَةً، وهو وسطهم، فيقبل على هؤلاء يُحَدِّثُهُمْ، ثم على هؤلاء، ثم على هؤلاء، فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطى حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، الأمان. قال: وَمَنْ أَنْتَ؟ قال: كعب بن زهير. قال: أَنْتَ الَّذِي يَقُولُ... كيف قال يا أبا بكر؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله:

(١) أبرق العزاف: ماء لبني أسد.

(٢) ديوانه ٣.

(٣) في الديوان:

* فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ بِالْخَيْفِ هَلْ لَكَا؟ *

وجعل الشطر الثاني من هذا البيت عجز بيت آخر، هو:

* وَخَالَفَتْ أَشْبَابَ الْهُوَى وَتَبَعَتْهُ *

وويب مثل ويح وويس.

(٤) صدر هذا البيت في الديوان:

* شَرِبْتُ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأْساً رَوِيَّةً *

(٥) انجِه، أي انج، زيدت هاء السكت في آخره.

(٦) ديوانه ٦.

(٧) انظر ص ٨١، هامش (١).

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بَكَاسٍ رَوِيَّةٍ وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَأْمُونٌ وَاللَّهِ. ثُمَّ أَنْشَدَهُ - يَعْنِي كَعْباً -:

* بَانَتْ سَعَادُ فَقُلَيْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولٌ *

قال عمر بن شبة: فحدثني الحزامي، قال: حدثني محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، وأخبرني بمثل ذلك
أحمد بن الجعد، قال: حدثنا محمد بن / إسحاق المسيبي، قال: حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، [٨٨/١٧]
قال: أنشدها رسول الله ﷺ في مسجده، فلما بلغ إلى قوله^(١):

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيُفْتُ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْأَدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوءُ
فِي فِتْنَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ قَاتِلُهُمْ يَبْطُلُنَ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زُلو
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا خُورٌ مَعَارِيزِل^(٢)

أشار رسول الله ﷺ إلى الحلق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير.

قال الحزامي: قال علي بن المديني: لم أسمع قط في خبر كعب بن زهير حديثاً قط أتم ولا أحسن من هذا،
ولا أبالي ألا أسمع من خبره غير هذا.

رواية أخرى في إسلام بجير وكعب

قال أبو زيد عمر بن شبة: ومما يُروى من خبره أنَّ زهيراً كان نظاراً متوقياً، وأنه رأى في منامه آتياً أتاه،
فحملة إلى المساء حتى / كاد يمسيها بيده، ثم تركه فهورى إلى الأرض، فلما احتضر قصَّ رؤياه على ولده، وقال: ١٥٠
إني لا أشكُّ أنه كائن من خبر السماء بعدي شيء، فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه.

فلما بُعث النبي عليه السلام خرج إليه بُجير بن زهير فأسلم، ثم رجع إلى بلاد قومه، فلما هاجر رسول الله ﷺ
أتاه بُجير بالمدينة - وكان من خيار المسلمين - وشهد يوم الفتح مع رسول الله ﷺ، ويوم خيبر ويوم حنين وقال في
ذلك^(٣):

[٨٩/١٧]

/ صَبَخْنَاهُمْ بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ وَأَلْفَ مِنْ بَنِي عَثْمَانَ وَافٍ
فَرُخْنَا وَالْجِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ بِأَرْمَاحٍ مُنْقَفَةٍ خِفَافٍ
وَفِي أَكْتَافِهِمْ طَغْنٌ وَضَرْبٌ وَرَشَقٌ بِالْمُرَيْشَةِ^(٤) اللَّطَافِ

ثم ذكر خبره وخبر أخيه كعب مثل ما ذكر الحزامي، وزاد في الأبيات التي كتب بها كعب إليه:

فخالفت أسباب الهدى وتبعته فهل لك فيما قلت بالخيف هل لك؟

ثم قال في خبره أيضاً: إن كعباً نزل برجل من جهينة، فلما أصبح أتى النبي عليه السلام، فقال: يا رسول الله،

(١) ديوانه ٢٣.

(٢) في الديوان: «ولا ميل»، والكشف: الذين يهزمون ولا يثبتون. والمعيل: جمع أميل، وهو الذي لا يثبت على السرج. والنكس: الضعيف.

(٣) ديوانه ٢٤٥.

(٤) المريشة: السهام ذات الريش.

أَرَأَيْتَ إِنْ أَتَيْتُكَ بِكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ مُسْلِمًا أَنْتَؤُمُّهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَا كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ، فَتَوَاتَبَتِ الْأَنْصَارُ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لَنَا فِيهِ. فَقَالَ: وَكَيْفَ، وَقَدْ أَتَانِي مُسْلِمًا! وَكَفَّ عَنْهُ الْمُهَاجِرُونَ وَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، فَأَنْشَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَصِيدَتَهُ:

* بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ *

حتى انتهى إلى قوله^(١):

لَا يَقَعُ الطَّغْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَا بِهِمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلٌ^(٢)

هكذا في رواية عُمَرُ بْنُ شُبَةَ، ورواية غيره: «تَغْلِيلٌ».

فعند ذلك أومأ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحِلَقِ^(٣) حوله أن تسمع منه. قَالَ: وَعَرَّضَ بِالْأَنْصَارِ فِي قَصِيدَتِهِ فِي عِدَّةِ

مَوَاضِعٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ:

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

/ وَعُرْقُوبٌ: رَجُلٌ مِنَ الْأَوْسِ^(٤). [٩٠/١٧]

مدحه الأنصار

فلما سمع المهاجرون بذلك قالوا: مَا مَدَحْنَا مِنْ هَذَا الْأَنْصَارِ، فَأَنْكَرُوا قَوْلَهُ، وَعُوتِبَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ^(٥):

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ^(٦)

الْبَازِلِينَ نَفْسَهُمْ لِنَبِيهِمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ وَسَطْوَةِ الْجَبَّارِ^(٧)

وَالنَّازِلِينَ بِأَغْيُنٍ مَحْمُورَةٍ كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْإِنْصَارِ

وَالضَّارِبِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ^(٨) بِالْمَشْرِفِيِّ بِالقَنَّا الْخَطَّارِ

يَتَطَهَّرُونَ بِرَوْزَةِ نَسْكَائِهِمْ بِدَمَاءِ مَنْ عَلَّقُوا مِنَ الْكُفَّارِ^(٩)

صَدَّمُوا الْكُتَيْبَةَ يَوْمَ بَذْرِ صَدْمَةٍ ذَلَّتْ لَوَقَعَتِهَا رِقَابُ نِزَارٍ^(١٠)

(١) ديوانه ٢٥.

(٢) في الديوان: «مَا إِنْ بِهِمْ»، وتهليل: نكوص وفرار.

(٣) في س: «الخلق»، والمثبت من أ.

(٤) في هامش أ: «ليس عرقوب من الأوس، وإنما هو من العماليق، ولم يقل إنه من الأوس قاتل، وإنما قيل: إنه من بني سعد». وفي

شرح ديوان كعب أ: «عرقوب بن نصر من العمالقة، نزل بالمدينة قبل أن ينزلها اليهود بعد عيسى».

(٥) ديوانه ٢٥.

(٦) المِقْنَب: الجماعة من الفوارس، نحو الثلاثين أكثر أو أقل. وقيل: ألف، وقيل: أقل.

(٧) في الديوان: «يوم الهياج وقبة».

(٨) في الديوان: «والذائدين الناس».

(٩) في الديوان: «يتطهرون كأنه نسك لهم». والنسك: كل شيء ذبح في الحرم.

(١٠) في الديوان:

صَدَّمُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَذْرِ صَدْمَةٍ وَأَنْتَ عَلَيٌّ بِعَدَدِهَا لِنِزَارٍ

وقال في شرحه: هو علي بن بكر بن وائل، أبو قبيلة. ويقال: علي أخو عبد مناة بن كنانة.

عرقوب المضروب به المثل

قال أبو زيد: الذي^(١) عناه كعب رجلٌ من الأوس كان وعدَّ رجلاً ثمرَ نخلةٍ، فلما أطلعتُ أناه فقال: دَعَهَا حتى تلَقح^(٢)، فلما لِقَحَتْ قال: دَعَهَا حتى تُزهي^(٣)، فلما أزهتُ أناه فقال: دَعَهَا حتى تُرطب، / ثم أناه / فقال: [٩١/١٧] دَعَهَا حتى تُثمر، فلما أثمرت عدا عليها ليلاً فجدها، فضرب به في الخُلْفِ المثلُ، وذلك قول الشماخ^(٤):
 ١٥١
 ١٥

وَوَاعَدَنِي مَا لَا أَحَاوِلُ نَفْعَهُ مواعيدُ عُرْقُوبٍ أخاه يثيرُ
 وقال المثلّس لعمر بن هند:

مَنْ كَانَ خُلْفُ الوَعْدِ شِمَتَهُ وَالْعَذْرُ عُرْقُوبٌ لَهُ مَثَلُ
 وما قالته الشعراء في ذكر عُرْقُوبٍ يكثر.

قال إبراهيم بن المنذر: حدثني مَعْن بن عيسى، قال: حدثني الأوقص محمد بن عبد الرحمن المخزومي، قال:

حدثني علي بن زيد أن كعب بن زهير أنشد رسول الله ﷺ هذه القصيدة في المسجد الحرام، لا في مسجد المدينة.

قال إبراهيم: حدثني محمد بن الضحّاك بن عثمان عن أبيه، قال:
 عنى كعبُ بن زهير بقوله:

* فِي فِتْنَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَاتِلُهُمْ *

عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[٩٢/١٧]

أصوت

أَيْنِي أَفِي يُغْنِي يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرَحُ^(٥) أَمْ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ
 أَيْتُ كَأَنِّي بَيْنَ شِقَئَيْنِ مِنْ عَصَا حَذَارَ الرَّدَى أَوْ خِيفَةَ مَنْ زِيَالِكَ^(٦)
 تَعَالَتْ كِي أَشْجَى وَمَا بِكَ عِلَّةُ تُرِيدِينَ قَتْلِي، قَدْ ظَفَرْتَ بِذَلِكَ

عروضه من الطويل، الشعر لابن الدُمَيْنَةِ بعضه، وبعضه الحق المغمّون به، وهو لغیره. والغناء لابن جامع ثاني ثقیل بالوسطی، وفيه لإبراهيم ثقیل أول بالبصر.

(١) يريد الذي عناه بقوله: «مواعيد عرقوب».

(٢) في هامش أ: «تبلج... أبلج».

(٣) تزهي: تظهر الحمرة والصفرة في الثمر.

(٤) في «اللسان»: «ت رب» منسوب إلى الأشجعي، وكذلك في «البلدان». وفي هامش أ: «يترب من أرض اليمامة. ورواه القاسم بن سلام بالناء، يريد المدينة».

(٥) أ: «فأطمع».

(٦) زِيَالِكَ: فَرَاكَ.

/ أخبار ابن الدُمينة ونسبه

[٩٣/١٧]

نسبه

الدُمينة أمه، وهي الدُمينة بنتُ حَدَيْقَةَ السَّلُولِيَّةِ، واسم ابن الدُمينة عبد الله بن عُبَيْدِ اللَّهِ، أحد بني عامر بن تيم الله بن مُبَشَّر بن أَكْلُب بن ربيعة بن عِفْرَس بن حَلَف^(١) بن أَقْتَل وهو خَتَم بن أنمار بن إراش^(٢) بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك.

وقيل: إِنَّ أَكْلُب هو ابن ربيعة بن نزار ليس ابن ربيعة بن عِفْرَس، وإنهم حالفوا خَتَم ونزلوا فيها فنُسبوا إليهم.

ويكنى ابن الدُمينة أبا السَّرِيِّ.

وكان بلغه أن رجلاً من أخواله من سُلُول يأتي امرأته ليلاً فرصده حتى أتاها فقتله، ثم قتلها بعده، ثم اغتالته سُلُول بعد ذلك فقتلته.

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السُّكْرِيُّ، عن محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة وابن الأعرابي، وأضفتُ إلى ذلك ما رواه الزُّبَيْر بن بَكَار عن أصحابه، وما اتَّفقت الروايتان فيه، فإذا اختلفتا نسبت كل خبر إلى راويه.

سلولي يرمي بامرأته

قال الزُّبَيْر: حدثني موهوب بن رُشَيْد الكلابي، وإبراهيم بن سعد السُّلَمي، وعمرو بن إبراهيم السَّعدي، عن مينا بن عبد الصمد، عن مصعب بن عمرو السُّلُولي، أخي مُزاحم بن عمرو، قالوا جميعاً:

/ إِنَّ رجلاً من سلول يقال له مُزاحم بن عمرو كان يُرمَى بامرأة ابن الدُمينة، وكان اسمها حَمَاء، قال السُّكْرِيُّ: كان اسمها حَمَادَة، فكان يأتيها ويتحدث إليها حتى اشتهر ذلك، فمنعه ابن الدُمينة من إتيانها، واشتد عليها.

مزاحم يشهر به

فقال مزاحم يذكرك ذلك - وهذا من رواية ابن حبيب، وهي أتم وأصح^(٣) :-

يَا بْنَ الدُّمِينَةِ وَالْأَخْبَارُ يَرْفَعُهَا وَخَدُّ النَّجَائِبِ وَالْمَحْقُورُ يُخْفِيهَا

(١) كذا ضبط في أ، وفي الحاشية من نسخة: «خلف» وفي جمهرة أنساب العرب ٣٩٠ «حلف»، وقيد بالحاء المهملة غير المنقوطة مضمومة ولام ساكنة، ثم قال: وفي الناس من يقول: «حلف»، بالحاء مفتوحة غير منقوطة ولام مكسورة.

(٢) في س والمختار: «إياس».

(٣) معاهد التنصيص ١/ ١٦٠ وفي ديوان ابن الدُمينة تروي بعض هذه الأبيات لمزاحم.

١٥٢
١٥

فطسال خِزْزُوكَ^(١) أو تَغَضَّبَ مَوَالِيهَا
يَغْدُو خِلَالَ اخْتِلَاجِ الْجَوْفِ غَاذِيهَا^(٢)
أَبْغِي مَعَايِيكُمْ عَمْدًا فَأَتِيهَا
غَبْرَاءُ مُظْلِمَةً هَارٍ نَوَاحِيهَا
عَنِّي الْعِيُونُ وَلَا أَبْغِي مَقَارِيهَا^(٣)
وَعَانِسَ حِينَ ذَاقَ النَّوْمَ حَامِيهَا
مَتِينَةً مَن مَتَوْنَ النَّبْلِ يُنْجِيهَا^(٤)
وَقَوْلُ رُكْبَتَيْهَا: قِضْ^(٥)، حِينَ تَنْتَبِهَا
وَيَبْنِ سَبِيَّتَهَا^(٦) لَا شَلَّ كَاوِيهَا
حَتَّى يَقِيمَ بِرْفَقِ صَدْرِهِ فِيهَا
ذِي حَرَّةٍ ذَاقَ طَعْمَ الْمَوْتِ صَالِيهَا
لَيْسَتْ بِمُحَصَّنَةٍ عَذْرَاءَ حَاوِيهَا
وَصَادَفَ الْقَوَسَ فِي الْغُرَاتِ بَارِيهَا
شُمُطًا عَوَارِضُهَا رُبْدًا دَوَاهِيهَا^(٧)
قُشَارَةً مَن أَدِيمَ ثُمَّ تَفْرِيهَا^(٨)
بِكُرٍّ وَقَبْلُ هَوَى فِي الدَّارِ هَاوِيهَا

/ يَا بَنَ الدُّمَيْنَةَ إِنْ تَغَضَّبَ لِمَا فَعَلْتُ
أَوْ تُبْغِضُونِي فَكُم مِّن طَعْنَةٍ نَفَذِ
جَاهَدْتُ فِيهَا لَكُمْ إِنِّي لَكُمْ أَبَدًا
فَذَاكَ عِنْدِي لَكُمْ حَتَّى تُغَيِّرَنِي
أَغْشَى نِسَاءَ بَنِي تَيْمٍ إِذَا هَجَعْتُ
كَم كَاعِبٍ مِّن بَنِي تَيْمٍ فَعَدْتُ لَهَا
كَقَعْدَةِ الْأَغْسَرِ الْعُلْفُوفِ^(٩) مُتَّحِيًا
وَشَهَقَةٍ عِنْدَ حَسٍّ^(١٠) الْمَاءِ تَشَهَّقُهَا
/ عَلَامَةٌ كَيْتٌ مَا بَيْنَ عَانَتِهَا
وَتَعْدِلُ الْأَيْسَرَ إِنْ زَاغَتْ فَتَبْعُهُ
بَيْنَ الصَّفُوقَيْنِ فِي مُسْتَهْدِفٍ وَمِدٍّ^(١١)
مَاذَا تَرَى ابْنَ عُيَيْدٍ اللَّهُ فِي امْرَأَةٍ
أَيَّامَ أَنْتَ طَرِيدٌ لَا تَقَارِبُهَا
تَرَى عَجُوزَ بَنِي تَيْمٍ مَلْفَعَةً^(١٢)
إِذْ تَجْعَلُ الدَّفْنِسُ الْوَرْهَاءَ عُذْرَتَهَا
حَتَّى يَظْلَلَ هَذَانِ الْقَوْمَ يَخْسِبُهَا^(١٣)

يستدرج مزاحماً ويقتله

قال الزُّبَيْرُ عَنْ رِجَالِهِ، وَابْنِ حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ:

لَمَّا بَلَغَ ابْنُ الدُّمَيْنَةِ شِغْرُ مَزَاحِمٍ أَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ لَهَا: قَدْ قَالَ فَيْكُ هَذَا الرَّجُلُ مَا قَالَ، وَقَدْ بَلَغَكَ! قَالَتْ: وَاللَّهِ
مَا رَأَى ذَلِكَ مِنِّي قَطُّ. قَالَ: فَمَنْ أَيْنَ لَهُ الْعَلَامَاتُ؟ قَالَتْ: وَصَفْنَهُ لِهَ النِّسَاءِ. قَالَ: هِيَ هَاتِ وَاللَّهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ

(١) فِي أ: «حَزْنُكَ».

(٢) فِي هَامِشِ أ: غَذَا، إِذَا سَالَ، وَفِي الْمَخْتَارِ: «يَعْدُو... عَادِيهَا».

(٣) مَقَارِيهَا: مُحَالٌ قَرَاهَا لِلضُّيُوفِ.

(٤) فِي هَامِشِ أ: «الْعُلْفُوفُ: الرَّجُلُ الضَّخْمُ»، وَفِي «اللسان»: رَجُلٌ عُلْفُوفٌ: جَافٌ كَثِيرُ اللَّحْمِ وَالشَّعْرِ.

(٥) فِي س وَ«المعاهد»: «مَنْ مَتَيْنِ النَّبْلَ يَرْمِيهَا». وَالْمَثْبُتُ مِنْ أ.

(٦) فِي الْمَخْتَارِ: «حَبَسَ الْمَاءَ».

(٧) فِي «اللسان» قِضْ: حِكَايَةُ صَوْتِ الرِّكْبَةِ إِذَا صَاوَتْ، يُقَالُ: قَالَتْ رُكْبَتُهُ: قِضْ، وَأَنْشَدَ الشُّطْرُ الثَّانِي.

(٨) السَّبَّةُ: الْإِسْتِ.

(٩) وَمَدَّ: شَدِيدُ الْحَرِّ.

(١٠) فِي أ: «مَعْلَقَةٌ».

(١١) عَوَارِضُهَا: جَمْعُ عَارِضَةٍ وَهِيَ صَفْحَةُ الْحَدِّ. وَالرِّيدُ: الْغَبَرُ، جَمْعُ رِبْدَاءٍ.

(١٢) فِي هَامِشِ أ: «الدَّفْنِسُ: الْهَمَةُ الْمُسْنَةُ». وَفِي «اللسان»: الدَّفْنِسُ: الْحَمَقَاءُ. وَالْوَرْهَاءُ الْكَثِيرَةُ الشَّحْمِ، وَعُذْرَتُهَا: بَكَارَتُهَا.

(١٣) هَذَانِ الْقَوْمُ، الْهَدَانُ: الْأَحْمَقُ الثَّقِيلُ.

كذلك. ثم أمسك مِدَّةً وصبر حتى ظنَّ أن مُزاحماً قد نَسِيَ القِصَّةَ، ثم أعاد عليها القول، وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء. فقال لها: والله لئن لم تمكِّنين منه لأقتلَنَّكِ. فعلمت أنه سيفعل ذلك، فبعثت إليه وواعدته ليلاً، [٩٦/١٧] وقد / له ابنُ الدُّمينة وصاحبٌ له، فجاءها للموعد، فجعل يكلمها وهي مكانها فلم تكلمه، فقال لها: يا حمَّاء، ما هذا الجَفَاءُ الليلة؟ قال: فنقول له هي بصوتٍ ضعيف: ادخل، فدخل فأهوى بيده ليضعها عليها، فوضعها على ابن الدُّمينة، فوثب عليه هو وصاحبه، وقد جعل له حصي في ثوب، فضرب بها كبده حتى قتله، وأخرج فطرحة مِيئاً، فجاء أهله فاحتملوه، ولم يجدوا به أثر السلاح، فعلموا أن ابن الدُّمينة قتله.

يهجو سلولاً

قال الزُّبَيْر في حديثه: وقد قال ابنُ الدُّمينة في تحقيق ذلك ^(١):

قالوا: هَجَّكَ سَلُولُ اللَّوْمِ مُخْفِيَةً فاليومَ اهْجُؤْ سَلُولاً لا أَخَافِيهَا
قالوا: هَجَاكَ سَلُولِي، فَقُلْتُ لَهُمْ: قد أنصف الصَّخْرَةَ الصَّمَاءَ رَامِيهَا
رَجَالُهُمْ شَرُّ مَنْ يَمْشِي وَنَسْوَتُهُمْ شرُّ البريَّةِ واسَتْ ذَلَّ حَامِيهَا
يَحْكُمُونَ بِالصَّخْرِ اسْتَاهَا بِهَا نَقَبَ كما يَحْكُمُ نِقَابَ الْجُرْبِ طَالِيهَا

/ قال: وقال أيضاً يذكر دخولَ مُزاحمٍ ووضعَه يده عليه:

١٥٣
١٥

لَكَ الْخَيْرُ إِنْ وَاْعَدْتَ حَمَّاءَ فَالْقَهْلَا نهاراً، ولا تُذْلَجِ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
فإِنَّكَ لَا تَذِرِي أَبْضَاءَ طِفْلَةٍ تُعَانِقُ أُمَّ لَيْثٍ مِنَ الْقَوْمِ قَشَعَمَا ^(٢)
فَلَمَّا سَرَى عَنْ سَاعِدَيَّ وَلَحِيَّتِي وأيقن أني لستُ حَمَّاءَ جَمَجَمَا

يقتل امرأته وصغيرة له منها

قالوا جميعاً: ثم أتى ابنُ الدُّمينة امرأته، فطرح على وجهها قطيفةً، ثم جلس عليها حتى قتلها، فلما ماتت قال ^(٣):

إِذَا قَعَدْتُ عَلَى عِرْنَيْنٍ جَارِيَةٍ فوق القطيفة فادْعُوا لي بِحَقَّارِ

/ فبكت بُنَيَّةً له منها، فضرب بها الأرض فقتلها، وقال متمثلاً: «لَا تَتَّخِذَنَّ ^(٤) مِنْ كُلِّ سَوْءٍ جَزْوَاً ^(٥)».

[٩٧/١٧]

أخو المقتول يستعدي الوالي

قال الزُّبَيْر في خبره، عن عمِّه مصعب، عن حُميد بن أَنَيْف، قال:

فخرج جَنَاحُ أَخُو المَقْتُولِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ فَاسْتَعْدَّاهُ عَلَى ابْنِ الدُّمِينَةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَجَبَسَهُ.

(١) ديوانه ٨، معاهد التنصيص ١٦٧.

(٢) في المختار: «ضيغما».

(٣) ديوانه ١٨٢، معاهد التنصيص ١٦٧.

(٤) في أ، والمعاهد: «لا تغدوا» وفي المستقصى: «لا تقتن».

(٥) المستقصى ٢٥٨/٢ رقم ٨٩٢.

أم المقتول تحضض أخويه على الثار

وقالوا جميعاً: قالت أم أبان والدة مزاحم بن عمرو المقتول، وهي من خثعم، ترثي ابنها، وتحضض مضعباً وجناحاً أخويه^(١):

بأهلي ومالي، بل بجل عشيرتي قتل بني تميم بغير سلاح
فهلأ قتلتم بالسلاح ابن أختكم فتظهر فيه للشهود جراح
فلا تطمعوا في الصلح ما دمت حيّة وما دام حيّاً مضعب وجناح
ألم تعلموا أن الدوائر بيننا تدور، وأن الطاليتين شحاح

اشتداد الشر بين خثعم وبني سلول

قالوا: فلما طال حبسه، ولم يجد عليه أحمد بن إسماعيل سبيلاً ولا حجة خلاه، وقتلت بنو سلول رجلاً من خثعم مكان المقتول، وقتلت خثعم بعد ذلك نقرأ من سلول. ولهم في ذلك قصص وأشعار كثيرة.

مقتله

قالوا: وأقبل ابن الدميثة حاجاً بعد مدة طويلة، فنزل بنبالة^(٢)، فعدا عليه مضعب أخو المقتول لما رآه، وقد كانت أمه حرّضته عليه، وقالت: اقتل ابن الدميثة، فإنه قتل أخاك، وهجا قومك، وذم أختك، / وقد كنت أعذرِكَ [٩٨/١٧] قبل هذا، لأنك كنت صغيراً، وقد كبرت الآن. فلما أكثرت عليه خرج من عندها، وبصر بابن الدميثة واقفاً يُنشد الناس، فعدا إلى جزار فأخذ شفرته، وعدا على ابن الدميثة، فجرحه جراحتين، فقيل: إنه مات لوقته. وقيل: بل سَلِمَ تلك الدفعة، ومرّ به مصعب بعد ذلك وهو في سوق العبلاء يُنشد، فعلاه بسيفه حتى قتله، وعدا وتبعه الناس حتى اقتحم داراً وأغلقها على نفسه، فجاءه رجل من قومه فصاح به: يا مضعب، إن لم تضع يدك في يد السلطان قتلتك العامة فاخرج، فلما عرفه قال له: أنا في ذمتك حتى تُسلمني إلى السلطان؟ قال: نعم، فخرج إليه ووضع يده في يده، فسلمه إلى السلطان، فقذفه في سجن نبالة.

يحرّض قومه ويوبخهم

قال السكري في خبره: ومكث ابن الدميثة جريحاً ليّله، ومات في غد، فقال في تلك الليلة يحرض قومه^(٣) ويوبخهم:

هتفت بأكلب ودعوت قيساً فلا خذلاً دعوت ولا قليلاً
ثارت مزاحماً وسررت قيساً وكنيت لما هممت به فعولاً
/ فلا تشلّ يداك ولا تزالأ تُفيدان الغنائم والجزيلأ
فلو كان^(٤) ابن عبد الله حياً لصبح في منازلها سلولأ

(١) «ديوان»: ٨، و«المعاهد»: ١٦٨/١.

(٢) بلد باليمن.

(٣) ديوانه ١٠ - «معاهد التصحيح»: ١٦٩/١.

(٤) ابن عبد الله، هو رزق بن عبد الله الخثعمي ابن الدميثة.

مصعب السلولي يحرض قومه لإنقاذه

قال: وبلغ مصعباً أنّ قومَ ابنِ الذمينة يُريدون أن يقتحموا عليه سِجْنَ تَبَالَةٍ فيقتلوه به غيلة؛ فقال يحرضُ قومه:

لَقِيتُ أَبَا السَّرِيِّ وَقَدْ تَكَالَا لَسْتُ حَقُّ الْعِدَاوَةِ فِي فُؤَادِي ^(١)
فَكَادَ الْغَيْظُ يُفْرِطُنِي إِلَيْهِ بَطْنُ دُونِهِ طَعَنَ السَّيْدَادِ
/ إِذَا نَبَحَتْ كِلَابُ السَّجْنِ حَوْلِي طَمَعْتُ هَشَاشَةً وَهَفَا فُؤَادِي
طَمَاعَةً أَنْ يَذُقَ السَّجْنُ قَوْمِي وَخَوْفَا أَنْ يُبَيِّتَنِي الْأَعَادِي
فَمَا ظَنُّنِي بِقَوْمِي شَرُّ ظَنِّ وَلَا أَنْ يُسْلِمُونِي فِي الْبِلَادِ
وَقَدْ جَدَلْتُ ^(٢) قَاتِلَهُمْ فَأَمْسَى يُمُجُّ دَمُ الْوَتِينَ عَلَى الْوَسَادِ

[٩٩/١٧]

هروب مصعب السلولي إلى صنعاء

فجاءت بنو عُقَيْلٍ إليه ليلاً، فكسروا السِجْنَ، وأخرجوه منه.
قال مصعب: فلما أفلت من السجن هرب إلى صنعاء، فقدم علينا وأبى ^(٣) بها يومئذٍ واليه، فنزل على كاتب لأبي كان مولى لهم، فرأيتُه حينئذٍ ولم يكن جلدًا من الرجال.
مما يغني به من شعره

وَمِمَّا يَغْنَى بِهِ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الذَّمِينَةِ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةِ أُولَاهَا ^(٤):
أَقَمْتُ عَلَى زِمَانٍ ^(٥) يَوْمًا وَلَيْلَةً لَأَنْظُرَ مَا وَاشِي أُمَيْمَةَ صَانِعُ
فَقَضَرْتُ ^(٦) مَنِي كُلِّ عَامٍ قَصِيدَةً تَخْبُّ بِهَا خُوصُ الْمَطِيِّ التَّزَائِعُ

وهذه القصيدة ذكر أحمد بن يحيى ثعلب أنّ عبد الله بن شبيب أنشده إياها، عن محمد بن عبد الله الكُراني لابنِ الذمينة. والذي يُغْنَى به منها قوله ^(٧):

/ صوت

[١٠٠/١]

أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ

- (١) ديوانه ١٢، معاهد التنقيص: ١٦٩/١. تكالا: أصله تكالاً بمعنى كمن واستتر.
(٢) جدلت: صرخته على الجدالة؛ الجدالة: الأرض. وفي المختار: وقد «جدلت». (٣) في ب، س: «وإني» والمثبت في أ.
(٤) ديوانه ٨٧.
(٥) زمان، بكسر أوله وتشديد ثانيه وآخره نون: محلة بني مازن بالبصرة. وفي أ: «زمان» بفتح أوله. وفي ديوانه «زمان» بالراء المهملة، و«زمان» بفتح الراء: جبل في بلاد طيس.
(٦) س: «فقصدي»، ويقال: قصرك أن تفعل كذا؛ أي حسبك وكفايتك وغايتك، وكذلك قصارك وقصارك.
(٧) هذه الأبيات الثلاثة، نسبها صاحب الآمال ٢: ٣١٤، لقيس بن ذريح، وهي من قصيدة طويلة يخلطها الناس كثيراً بقصيدة لمجنون ليلى، توافقها في الوزن والقافية. وانظر ديوانه ١: ١٧٠.

نهاري نهارُ الناس حتى إذا بدا
لقد ثبتت في القلب منك محبة
غناه إبراهيم رملًا بالوسطى، عن عمرو بن بانه.

يحب أميمة ويتزوجها

نسخت من كتاب أبي سعد، قال: حدثنا ابن أبي السري، عن هشام، قال: هَوِيَ ابْنُ الدُّمِينَةِ امرأةً من قومه يقال لها أميمة، فهاج بها مُدَّةً، فلما وصلته تجئى عليها، وجعل ينقطع عنها، ثم زارها ذات يوم فتعاتباً طويلاً، ثم أقبلت عليه فقالت^(٢):

قصيدة

وانت الذي أخلفتني ما وعدتني
وأبرزتني للناس ثم تركتني
فلو أن قولاً يتكلم الجسم قد بدا
وأشمت بي من كان فيك يلو
لهم غرضاً أرمى وانت سليم
بجسمي من قول الوشاة كلوم

الشعرُ لأميمة: امرأة ابن الدمينه، والغناء لإبراهيم الموصلي خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو والهشامي.

وذكر حبش أن لإبراهيم أيضاً فيه / لحناً من الثقيل الأول بالوسطى، وذكر / حكم الوادي أن هذا اللحن ليعقوب^(١) الوادي، وفيه لعرب خفيف ثقيل.

قال: فأجابها ابن الدمينه، فقال^(٣):

وانت التي قطعت قلبي حزاة
وانت التي كلفتني دجج الشرى
وانت التي أحفظت قومي فكلهم
ومزقت قرح^(٤) القلب فهو كليم
وجون القطا بالجلهتين^(٥) جثوم
بعيد الرضا داني الصدود كظيم^(٦)
قال: ثم تزوجها بعد ذلك، وقتل وهي عنده.

قصة عاشقين

فأخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال حماد بن إسحاق: حدثني أبي، قال: حدثنا سعيد بن سلم، عن أبي الحسن الينبي، قال:

بينما أنا وصديق لي من قریش نمشي بالبلاط^(٧) ليلاً إذا يطل نسوة في القمر، فالتفتنا فإذا بجماعة نسوة،

(١) في هامش أ من نسخة: «هزنتي» وهي أيضاً رواية الديوان: ٨٨.

(٢) وكذا في ديوان ابن الدمينه: ٤٢ البيتان الأول والثاني، أما الثالث فمنسوب فيه إلى ابن الدمينه، وانظر «معاهد التنصيص»: ١٦٢/١.

وديوان الحماسة: ٣/٣١٨، وفيه نسبت الأبيات إلى أمامة لا أميمة.

(٣) ديوان الحماسة: ٣/٣١٨، ديوانه ٤٢.

(٤) في هامش أ من نسخة: «جرح».

(٥) الجلهتان: موضع.

(٦) البلاط: موضع بين مسجد رسول الله ﷺ وسوق المدينة.

(٧) نسب هذا البيت في رواية ديوانه ٤٢ إلى صاحبه.

فسمعتُ واحدةً منهنَّ وهي تقول: أَهْوَ هُوَ؟ فقالت الأخرى: نعم، والله إنه لهو هو. فدنّت مني ثم قالت: يا كهل، قل لهذا الذي معك:

لَيْسَتْ لِيَالِيكَ فِي خَاخٍ^(١) بِعَائِدَةٍ كَمَا عَهَذْتَ وَلَا آيَامَ ذِي سَلَمٍ

فقلت له: أجب، فقد سمعت. فقال: قد والله قُطِعَ بي، وأرتج عليّ، فأجب عني، فالتفت إليها ثم قلت:

فَقُلْتُ لَهَا: يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطُنْتُ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

[١٠٢/١١] / فقالت المرأة: أوه! ثم مضت ومضينا، حتى إذا كنا بمفرق طريقين مضى الفتى إلى منزله، ومضيت أنا إلى منزلي؛ فإذا أنا بجويرة تجذب رداي، فالتفت إليها، فقالت: المرأة التي كلمتك تدعوك. فمضيت معها حتى دخلت داراً، ثم صرّت إلى بيت فيه حصير، وثبتت لي وسادة فجلست عليها، ثم جاءت جارية بوسادة مثنية فطرحتها، وجاءت المرأة فجلست عليها، وقالت: أنت المَجِيب؟ قلت: نعم. قالت: ما كان أفظّ جوابك وأغلظه! قلت: والله ما حضرني غيره. فبكت، ثم قالت لي: والله ما خلق الله خلقاً أحب إليّ من إنسان كان معك. قلت: أنا الضامن لك عنه ما تحبين. قالت: أو تفعل؟ قلت: نعم. فوعدها أن آتيها به في الليلة القابلة. وانصرفت، فإذا الفتى يبأي، فقلت: ما جاء بك؟ قال: علمت أنها سترسل إليك، وسألت عنك فلم أجذك فعلمت أنك عندها، فجلست أنتظرك. فقلت: فقد كان كل ما ظننت، ووعدها أن آتيها بك في الليلة القابلة. فمضى ثم أصبحنا فتهيأنا، ورُخنا فإذا الجارية تنتظرنا، فمضت أمامنا، حتى دخلنا الدار، فإذا برائحة الطيب، وجاءت فجلست ملياً، ثم أقبلت عليه فعانبتّه طويلاً، ثم قالت:

مَرْثِيَةٌ كَتَبْتُهَا بِسَمَاءِ

وَأَنْتَ السَّيِّدُ أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَكْتُ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ^(٢)
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضاً أُرْمِي وَأَنْتَ سَلِيمٌ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلَا يَكْلُمُ الْجَنَمَ قَدْ بَدَا بِجَنَمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُّوْمُ

/ ثم سكنت، فسكت الفتى هنيهة، ثم قال:

عَذَرْتَ وَلَمْ أَغْدِرْ^(٣) وَخُنْتَ وَلَمْ أَخُنْ وَفِي دُونِ هَذَا لِلْمُحِبِّ عَزَاءُ
/ جَزَيْتُكَ ضِعْفَ الْوَدِّ ثُمَّ صَرَمْتَنِي فَجُبُّكَ فِي قَلْبِي إِلَيْكَ أَدَاءُ

فالتفتت إليّ وقالت: ألا تسمع ما يقول؟ قد أخبرتك! قال: فغمزته فكفت، ثم قالت^(٤):

نصوت

تَجَاهَلْتُ وَضَلِي حِينَ لَجَّتْ عَمَائِي وَهَلَا صَرَمْتَ الْحَبْلَ إِذَا أَنَا مُبْصَرُ
وَلِي مِنْ قُوَى الْحَبْلِ الَّذِي قَطَعْتَهُ نَصِيبٌ وَإِذَا رَأَيْتُ جَمِيعَ مُوقَرُ

(١) خاخ: موضع بين مكة والمدينة.

(٢) راجع هامش ٢ من صفحة ١٠٠.

(٣) كذا ضبط في أ، والفعل كضرب ونصر وسمع، والبيتان في «المعاهد»: ١٦٤/١.

(٤) والمعاهد: ١٦٤/١.

ولكنّما أذنت بالصّرم^(١) بَعَثَتْ ولستُ علىّ مثلِ الذي جئتُ أفدِرُ
عَنّي في هذه الأبيات إبراهيم الموصليّ ثقیل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر حبش أن فيها ثاني ثقیل بالبصر.
قال: فقال الفتيّ مُجيباً لها^(٢):

لقد جعلتُ نفسي - وأنتِ اجترمتِ - وكنيتُ أحبّ الناس - عنكِ تطيبُ
فبكث، ثم قالت: أو قد طابتِ نفسك! لا^(٣) والله ما فيك خيرٌ بعدها، فعليك السلام. ثم قامت والتفت إلى،
وقالت: قد علمت أنك لا تفي بضمانك عنه، وانصرفنا.

/ العباس بن الأحنف ينشد شعراً له

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال:
حدثني أبي، قال: كان العباس بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفني به، وأفعل مثل ذلك، فجاءني
يوماً، فوقف بين البابين، وأنشد لابن الدميّة^(٤):

صوت

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
إن هتفت وزقاء في روثي الضحى
بكيّت كما يكيّ الحزين صبا
بكيّت كما يكيّ الوليد، ولم تكن
وقد زعموا أن المحب إذا دنا
بكلّ تداوينا فلم يشف ما بنا
فقد زادني مسراك وجداً على
على فن غص النبات من الرند^(٥)
وذبت من الشوق المبرح والصّد
جزوعاً، وأبديت الذي لم تكن تبدي^(٦)
يملّ وأنّ النأي يشفى من الوجد
على أن قرب الدار خير من البعد

وزيد على ذلك بيت، وهو:

ولكنّ قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من تهواه ليس بيدي ودة^(٧)

ثم ترنّج ساعة، وترنّج^(٨) أخرى، ثم قال: أنطح العمود برأسي من حُسن هذا! فقلت: لا، أزفّق بنفسك.

/ الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم له فيه لَحْنَان: أحدهما مأخوذيّ بالبصر أوله البيت الثاني، والآخر خفيف [١٧/١٠٥]
ثقیل بالوسطى أوله البيت الأول.

(١) في المعاهد: «بالصهر».

(٢) معاهد التنصيص: / ١٦٤.

(٣) كذا في أ وهو الوجه.

(٤) ديوانه ٨٥ باختلاف في الترتيب. الحماسة بشرح التبريزي ٣/ ١٤٥ ومعاهد التنصيص ١/ ١٦٠.

(٥) في شرح الديوان: الهتاف: رفع الصوت، والورقاء: الحماسة التي لونها إلى السواد، ومنه قيل للرماد: أورق. والروث: البياض.
والرند: الأسل.

(٦) في الديوان: «جليداً»، وهو الوجه.

(٧) في المختار والمعاهد: «على أن قرب الدار».

(٨) في س. ف: «ودبخ». ودبخ الرجل: قُب ظهره وطأطأ رأسه. وفي المعاهد: «ثم ترنّج ساعة ترنّج النشوان».

ابن هرمة وصديق له

أخبرني الحرَمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الله بن إبراهيم الجُمحي، قال: حدثني أحمد بن سعيد عن ابن زبيج راوية ابن هرمة، قال: لقي ابن هرمة بعض أصدقائه بالبلاط، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من المسجد، قال: فأني شيء صنعت هناك؟ قال: كنت جالساً مع إبراهيم بن الوليد المخزومي، قال: فأني شيء قال لك؟ قال: أمرني أن أطلق امرأتي. قال: فأني شيء قلت له؟ قال: ما قلت له شيئاً. قال: فوالله ما قال لك ذلك إلا لأمرٍ أظهرته عليه وكتمتني، أفرأيت إن أمرته بطلاق امرأتي، أيطلقها؟ قال: لا، والله، قال: فابنُ الدُمينة كان أنصف منك، كان يهوى امرأة من قومه، فأرسلت إليه: إن أهلي قد نهوني عن لقائك / ومُرّاسلتك، فأرسل إليها^(١):

نصوت

أطعت^(٢) الأميرك بقطع^(٣) حَبلي
فإن مُم طارِعوك فطارِعهم
أما والرائِصاتِ بكلِّ فج^(٤)
لقد أضمرتُ حُبَّك في فؤادي
مُرِيهم في أحبَّهم بِذاك^(٥)
وإن عاصوك فاعصي مَنْ عصاك
وَمَنْ صَلَّيْ بِنَعْمَانِ الأراك
وما أضمرتُ حُباً مِنْ سِوَاك

[١٠٦/١٧] / في هذه الأبيات لإسحاق رَمَلٌ، وفيها لشارية خفيف رمل بالوسطى، ولعريب خفيف ثقيل، ابتداءً يشد في الثالث والرابع ثم الثاني والأول، وفيه لمتميم خفيف رمل آخر.

رد عاشق على صاحبه بيتين له

وحدثني بعض أصدقائنا، عن أبي بكر بن دُرَيْد - ولم أسمع منه - قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه، ووجدته أيضاً في بعض الكتب بغير هذا الإسناد عن الأصمعي، فجمعت الحكايتين، قال: مررت بالكوفة، وإذا أنا بجارية تطلّع من جدارٍ إلى الطريق، وفتى واقف وظهره إليّ، وهو يقول لها: أسهرُ فيك وتنامين عني، وتضحكين مني وأبكي، وتستريحين وأتعب، وأمحضك المودة وتمدّقينها^(٥) لي، وأصدقك وتنافقيني، ويأمرُك عدوي بهجري فتطيعينه، ويأمرُني نصيحي بذلك فاعصيه! ثم تنفّس وأجهش باكياً. فقالت له: إن أهلي يمنعونني منك، وينهونني عنك؛ فكيف أصنع؟ فقال لها:

أطعت الأميرك بصَرْم حَبلي مُرِيهم في أحبَّهم بِذاك^(٦)

(١) معاهد التنقيص ١/ ١٦٠. وفي شرح الحماسة للتبريزي ٣/ ١٧٥ نسبت لخليد مولى العباس بن محمد المعروف بابن العميش، وكذا في معجم البلدان (نعمان).

(٢) في أ: «أريت الأيك»، وفي الهامش من نسخة: «أطعت».

(٣) في المختار: «بيت حبل».

(٤) في المختار: «بذات عرق».

(٥) أمحضك المودة: أخلصها. وتمدّقينها، من مذاق اللبن، إذا خلطه بالماء، أي لا تخلصين المودة.

(٦) في أ: «أريت» وفي هامشها من نسخة: «أطعت».

فإن هُم طَاوَعُوكَ فطَاوَعِيهِمْ وَإِنْ عَاصَوْكَ فَاعْصِي مَنْ عَصَاكَ
ثم التفت فرآني، فقال يا فتى؛ ما تقول أنت فيما قلت؟ فقلت له: والله لو عاش ابن أبي ليلى ما حكم إلا بمثل
حُكْمِكَ.

تَمَّتْ أَخْبَارُ ابْنِ الدُّمَيْنَةِ

القصيدة

وإن الذي بيني وبين بني أبي
فما أحمل الحقد القديم عليهم
وليسوا إلى نصري سراعاً وإن هُم
إذا أكلوا الخمي وفسرت لحومهم
يعاتبني في الدين قومي وإنما
تديئت في أشياء تكسبهم حمداً

عروضه من الطويل. الشعرُ للمقتنع الكندي، والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه من روايته
أيضاً لمالك خفيف رمل بالوسطى. وذكر علي بن يحيى أن لحن ابن سريج خفيف ثقيل. وذكر إبراهيم أن فيه لحناً
النجار لم يذكر طريقته، وأظنه من خفيف الثقيل.



مركز تحقيقات ونگارش ادبی

(١) الأبيات في معجم الشعراء ٣٣٣، واللاي ٦١٥ مع اختلاف في الرواية. وفي اللالي: «وأشد يعقوب بن السكيت هذا الشعر
لحاتم».

/ نسب المقنّع الكندي وأخباره

[١٠٨/١٧]

> سبب تلقيه بالمقنّع

١٥٨
١٥

المقنّع لقبٌ غلب عليه ؛ لأنه كان أجملَ الناس وَجْهاً، وكان إذا سَفَرَ اللثام عن وجهه / أصابته العَيْن. قال الهيثم: كان المقنّع أَحْسَنَ الناس وَجْهاً، وأمّهم قامةً، وأكملهم خَلْقاً، فكان إذا سَفَرَ لُقِع - أي أصابته أعينُ الناس - فيمرض، ويلحقه عَنَتٌ^(١)؛ فكان لا يمشي إلّا مُقنَّعاً.

نسبه

واسمه محمد بن ظَفَر بن عُمَيْر^(٢) بن أبي شمر بن فُزَعان بن قيس بن الأسود بن عَبْدِ الله بن الحارث الولادة - سُمِّيَ بذلك لكثرة ولده - بن عمرو بن مُعاوية^(٣) بن كِنْدَةَ بن عُفَيْر بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرّة بن أَدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَغْرُب بن قحطان.

شاعر أموي مقل

شاعر مُقِلٌّ مِنْ شعراء الدولة الأموية، وكان له مَحَلٌّ كبير، وشَرَفٌ ومروءة وسؤدد في عَشِيرَتِهِ. قال الهيثمُ بن عَدِيٍّ: كان عُمَيْرُ جَدُّهُ سَيِّدَ كِنْدَةَ، وكان عَمُّهُ عمرو بن أبي شمر يُنَازِعُ أباه الرِّياسة ويساجله فيها، فيَقْصُرُ عنه.

أثلف ماله في عطايا

ونشأ محمد بن عُمَيْرُ المقنّع، فكان متخرفاً في عطاياء، سَمَحَ اليَدُ بِمالِهِ، لا يَزُدُّ سائلاً عن شيء حتى أَثْلَفَ [١٠٩/١١] كُلَّ ما خلفه أبوه مِنْ مالٍ، فاستعلاء^(٤) / بَنُو عَمِّهِ عمرو بن أبي شمر بِأموالهم وجاههم.

بنو عمه لم يزوجه أختهم لفقره ودينه

وهو يَنتَ عَمَّهُ عمرو فخطبها إلى إخوتها، فردّوه وعَيَّرُوهُ بتخرفه وفقره وما عليه مِنَ الدَّيْن؛ فقال هذه الأبيات المذكورة.

(١) عنت، أي مشقة، وفي أ: «ويلحقه عيب».

(٢) في أ: «عميرة»، والمثبت يوافق ما في الشعر والشعراء أيضاً ٧١٥، وفي اللّالي: «هو محمد بن عميرة» ويقال: «ابن عمير».

(٣) في المختار: «بن معاوية بن ثور بن مربع بن معاوية بن كندة».

(٤) في أ: «فاستعلاء».

شاعر يفضل شعراً له تعريضاً ببخل خليفة

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني محمد بن زكريا الغلابي، عن العُثبي، قال: حدثني أبو خالد من ولد أمية بن خلف، قال:

قال عبد الملك بن مروان - وكان أول خليفة ظهر منه بخل -: أي الشعراء أفضل؟ فقال له: كثير بن هراسة، يعرض ببخل عبد الملك: أفضلهم المقنع الكندي حيث يقول:

إنني أحرض أهل البخل كلهم لو كان ينفع أهل البخل تخريضي
ما قل مالي إلا زادني كرمًا حتى يكون برزق الله تعويضي
والمال يرفع من لولا دراهمه أنسى يقلب فينا طرف مخفوض
لن تخرج البيض عفواً من أكفهم إلا على وجع^(١) منهم وتعرض
كأنها من جلود الباخلين بها عند النوائب تحذى بالمقاريض^(٢)

فقال عبد الملك - وعرف ما أراد -: الله أصدق من المقنع حيث يقول: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾^(٣).

[١١٠/١٧]

أصوت

يا ابن هشام يا علي الندي قد نك نك نفسي ووقتك الردي
نسيت عهدني أو تناسيتني لعل عذابي عنك صرف النوى
الشعر والغناء لإسحاق الموصلي رمل بالبنصر.

(١) في أ: «على وجل».

(٢) تحذى: تقطع.

(٣) سورة الفرقان ٦٧.

/ خبر لإسحاق وابن هشام

[١١١/١٧]

وهذا الشعر يقوله في علي بن هشام أيام كان إسحاق بالبصرة، وله إليه رسالة حسنة، هذا موضع ذكرها، أخبرنا بها علي بن يحيى المنجم، عن أبيه، ووقعت إلينا من عذة وجوه:

رسالته إلى علي بن هشام

أن إسحاق كتب إلى علي بن هشام: «جعلت فداك! بعث إلي أبو نصر مولاك بكتاب منك إلي يرتفع عن قدري، ويقصر عنه شكري، فلولا ما أعرف من معانيه لظننت أن الرسول غلط بي فيه، فما لنا ولك يا عبد الله، تدعنا حتى إذا أنسينا الدنيا وأبغضناها، ورجونا السلامة من شرها، أفسدت قلوبنا وعلقت أنفسنا، فلا أنت تريدنا، ولا أنت تتركنا؛ فبأي شيء تستحل هذا! فأما ما ذكرته من شوقك / إلي فلولا أنك خلقت عليه لقلت:

يا مَنْ شكا عَيْباً إلينا شَوْقَهُ شَكْوَى الْمُحِبِّ وَلَيْسَ بِالْمُشْتَاكِ
لو كُنْتَ مُشْتاقاً إلَيَّ تُرِيدُنِي مَا طَبِيتَ نَفْساً سَاعَةً بِفِرَاقِي
وحَفِظْتُني حِفْظَ الْخَلِيلِ خَلِيلَهُ وَوَفِيتَ لِي بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ
هيهات قد حدثت أموراً بَعْدَنَا وَشَغِلْتَ بِاللَّدَاتِ عَنْ إِسْحَاقِ

وقد تركت - جعلت فداك - ما كرهت من العتاب في الشعر وغيره، وقلت أبياتاً لا أزال أخرج بها إلى ظهر المربد، وأستقبل الشمال، وأنتم أرواحكم فيها، ثم يكون ما الله أعلم به، وإن كنت تكرهها تركتها إن شاء الله:

ألا قد أرى أن الثَّوَاءَ قَلِيلُ وَأَنْ لَيْسَ يَتَّقَى لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ
وإني وإن مكنت^(١) في العيشِ حِقْبَةً كَذِي سَفَرٍ قَدْ حَانَ مِنْهُ رَجِيلُ
/ فهل لي إلي أن تنظر العينَ مَرَّةً إلی ابنِ هشامٍ في الحیاةِ سَبِيلُ؟^{١٩}
فقد خفت أن ألقى المنايا بحسرة وفي النفسِ منه حاجةٌ وغَلِيلُ

[١١٢/١٧]

وأما بعد، فإني أعلم أنك - وإن لم تسأل عن حالي - تحب أن تعلمها وأن تأتيك عني سلامة؛ فانا يوم كتبت إليك سالم البدن، مريض القلب.

يطلب رأي ابن هشام في كتاب سيصنعه

وبعد: فانا - جعلت فداك - في صنعة كتاب مליح ظريف، فيه تسمية القوم ونسبهم وبلادهم، وأسبابهم وأزمنتهم، وما اختلفوا فيه من غنائهم، وبعض أحاديثهم، وأحاديث قيان الحجاز والكوفة والبصرة المعروفات والمذكورات، وما قيل فيهن من الأشعار، ولعن كن، وإلى من صرن، ومن كان يغشاهن، ومن كان يرحص في

(١) في هامش أ من نسخة: «وإن مليت».

السمع من الفقهاء والأشراف، فأغلبني رأيك فيما تشتهي لأعمل على قدر ذلك، إن شاء الله. وقد بعثت إليك بأنموذج، فإن كان كما قال القائل: «قبح الله كلَّ دَنٍّ أُولِه دُرْدِي»^(١)، لم نتجشَّم إتمامه، وربحنا العناء^(٢) فيه، وإن كان كما قال العربي: «إن الجوادَ عينه فراره»^(٣) أعلمتنا؛ فأتَمَمناه مسرورين بحُسن رأيك فيه، «إن شاء الله».

وهذا مما يدلُّ على أنَّ «كتاب الأغاني» المنسوب إلى إسحاق ليس له؛ وإنما أُلِف ما رواه حماد ابنه عنه من دواوين القدماء، غير مختلط بعضها ببعض.

وحشة بعد ألفة

وكان إسحاق يألَفُ علياً وأحمد ابني هشام وسائر أهلها ألفاً شديداً، / ثم وقعت بينهم نبوةٌ ووَحْشة في أمرٍ [١١٣/١٧] لم يَقَعْ إلينا إلا لَمَعاً غَيَّرَ مشروحة، فهجأهم هجاءً كثيراً، وانفجرت الحال بينه وبينهم.

شعره في مصعب وصباح

فأخبرني محمد بن خلف وكيع ويحيى بن علي بن يحيى وغيرهما، عن أبي أيوب سليمان المديني، عن مُصْعَب، قال:

قال لي أحمد بن هشام: أما تَسْتَحِي أنْتُ وصباح بن خاقان، وأنتما شيخان من مشايخ المروءة والعلم والأدب أن شَبَّ بذكركما إسحاق في الشعر، وهو مغرٌّ مذكور، فيقول:

قد نهانا مُصْعَبٌ وصباحٌ فَعَصَيْنَا مُصْعَباً وَصَبَاحاً
عَذْلاً مَا عَذْلاً أَمْ مَلاماً فَاسْتَرَحْنَا مِنْهُمَا فَاسْتَرَا حَا

ويروى:

* علما في العَذْل أَمْ قد ألاما *

ويروى:

* عذلا عَذْلَهُمَا ثم أناما *

/ فقلتُ: إن كان فعل فما قال إلا خيراً، إنما ذكرَ أنا نهيناه عن خَمْرِ شربها، وامرأة عشقها، وقد أشاد بِاسْمِكَ ١١٣ / في الشعر بأشدَّ من هذا، قال: وما هو؟ قلت: قوله:

شعره في عِيٍّ أحمد بن هشام

وصافية تَغْشَى^(٤) العيونَ رقيقةً رهينة عامٍ في الدُّنانِ وعَامٍ

(١) دردي الزيت وغيره: ما يبقى في أسفل، وأصل معناه ما يركد في أسفل كل مائع كالأشربة والأدهان.

(٢) في أ: «الفناء».

(٣) في «اللسان»: من أمثالهم: إن الجواد عينه فراره، أي يغنيك شخصه ومنظره عن أن تختبره وأن تفر أسنانه. وفي «اللسان» - فرر: رواه الجوهري بالفتح، وعن أبي سعيد السيرافي أنه كان يكسر الفاء ويقول: قد لج في ضم الفاء من لا يعتد به. وانظر المستقصى ٣١٥/١.

(٤) في أ: «تمشى العيون».

أَدْرَنَّا بِهَا الْكَأْسَ الرَّوِّيَّةَ مَوْهِنًا من الليل حتى انجَابَ كُلُّ ظَلَامٍ
فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَانَنَا من العِيَّ نَحْكِي أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ
/ قال: أو قد فعل العاضُّ بظُرِّ أُمِّه! قلت^(١): إي والله لقد فعل.

[١١٤/١٧]

إلى ها هنا رواية مصعب.

أحمد بن هشام يتوعده

ووجدتُ هذا الخبرَ في غير روايته، وفيه زيادة قد ذكرتها، قال: فآلى أحمد بن هشام أن يبلغ فيه كل مبلغ يقدر عليه، وأن يجتهد في اغتياله.

علي بن هشام يصلح بينه وبين أخيه أحمد

قال إسحاق: حضرتُ بدار الخليفة، وحضر علي بن هشام، فقال لي: أتتهجؤ أخِي وتذكره بما بلغني من القبيح؟ فقلت: أو يتعرَّضُ أخوك لي ويتوعَّدني! فوالله ما أبالي بما يكون منه؛ لأنني أعلم أنه لا يقدرُ لي على ضرر، والنفع فلا أريده منه، وأنا شاعر مغنٍّ، والله لأهجوَّه بما أفرى به جلده، وأهتك مروءته، ثم لأغنين في أقبح ما أقوله فيه غناءً تسري به الرُّكبان. فقال لي: أو تهبُّ لي عِرْضَه، وأصلح بينكما؟ فقلت: ذاك إليك. وإن فعلته فلَكَ لا لَه. ففعل ذلك، وفعلته به.

ابن عائشة يهجو مصعباً وصباحاً

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي، قال:

كان صباح بن خاقان المنقري نديماً لمصعب الزُّبيري، فقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عائشة - وكان خليعاً من أهل البصرة -:

مَنْ يَكُنْ يُنْطَه كَأْبَاطُ ذَا الْخَلْقِ فإِنْطَإِي فِي عِدَادِ الْفَقَاحِ^(٢)
لِي أَبْطَانِ يَزْمِيَانِ جَلِيسِي بشييه السُّلَاحِ بَلْ بِالسُّلَاحِ
فَكَأَنِّي مِنْ تَنْ هَذَا وَهَذَا جَالِسٌ بَيْنَ مُضْعَبٍ وَصَبَاحِ

ينشد الفضل بن الربيع

أخبرني علي بن يحيى المنجم، قال: حدثني أبي، قال: حدثني إسحاق، / قال: دخلتُ على الفضل بن الربيع يوماً، فقال: ما عندك؟ قلت: بيتان أرجو أن يكونا فيما يُستطرف، وأنشدته:

سُتَغْضِي عَنْ الْمَكْرُوهِ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ وَنَصْبِرُ حَتَّى يَصْنَعَ اللَّهُ بِالْفَضْلِ
فَتَنْتَصِرُ الْأَحْرَارُ مِمَّنْ يَصِيْمُهَا وَتُذْرِكُ أَقْصَى مَا تَطَالِبُ مِنْ دَخْلٍ^(٣)

قال: فدمعت عينه، وقال: مَنْ آذَاكَ لعنه الله؟ فقلت: بنو هاشم، وأخبرته الخبر.

(١) في الأصل: قال.

(٢) الفقهة: الدبر، والجمع فقاح.

(٣) الدحل: الثأر.

قال يحيى بن علي: ولم يذكر بأي شيء أخبره.

القصيدة

قد حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي^(١) فما أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ
أَنْعَى عَلَى جُلٍّ بَنِي مَالِكٍ كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِ
مَنْ يَذُقُ الْحَرْبَ يَجِدُ طَعْمَهَا مُرًّا، وَتَرْكُهُ بِجَفْجَاعِ^(٢)
لَا نَأْلُمُ الْقَتْلَ وَنَجْزِي بِهِ الْأَعْدَاءَ كَيْلَ الصَّاعِ بِالصَّاعِ^(٣)
الشعر لأبي قيس بن الأسلت، والغناء لإبراهيم، خفيف ثقیل أول. وقيل: بل هو لمعبد.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(١) حصت: أذهبت الشعر من رأسه. والبيضة هنا: الخوذة.

(٢) الجمعجاع: الأرض التي لا أحد بها، واستشهد الجوهري بهذا البيت على الأرض الغليظة.

(٣) الأبيات في الجمهرة ٦٥٣، ٦٥٤، وابن الأثير ١: ٤١٤.

/ نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره

[١١٧/١٧]

نسبه

١٦١ / أبو قيس لم يقع إليَّ اسمه غير ابن الأسلت^(١)، والأسلت لقب أبيه^(٢)، واسمه عامر بن جُشم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عُمارة بن مُرَّة بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

من شعراء الجاهلية

وهو شاعرٌ من شعراء الجاهلية، وكانت الأوس قد أسندت إليه حَرْبَهَا، وجعلته رئيساً عليها، فكفى وساداً. وأسلم ابنه عقبة بن أبي قيس، واستشهد يوم القادسية.

وكان يزيد بن مرداس السلمي أخو عباس بن مرداس الشاعر قتل قيس بن أبي قيس بن الأسلت في بعض حروبهم، فطلبه بثاره هارون بن النعمان بن الأسلت، حتى تمكن من يزيد بن مرداس، فقتله بَقَيْس بن أبي قيس، وهو ابن عمه.

مركزية مكتبة

ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت:

أَقِيسُ إِنْ هَلَكْتُ وَأَنْتَ حَيٌّ فَلَا تَعْدَمُ مُوَاصَلَةَ الْفَقِيرِ
وهذا الشُّعْرُ الَّذِي فِيهِ الْغِنَاءُ يَقُولُهُ أَبُو قَيْسٍ فِي حَرْبِ بُعَاثٍ^(٣).

رأي الأوس في حربها

[١١٨/١٧] قال هشام بن الكلبي: كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بُعَاثٍ / إلى أبي قيس بن الأسلت الوائلي، فقام في حَرْبِهِمْ وَأَثَرَهَا عَلَى كُلِّ أَمْرٍ حَتَّى شَحَبَ وَتَغَيَّرَ، وَلَبِثَ أَشْهُرًا لَا يَقْرُبُ امْرَأَةً. ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ لَيْلَةً فَدَقَّ عَلَى امْرَأَتِهِ، وَهِيَ كَبْشَةُ بِنْتُ ضَمْرَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَفَتَحَتْ لَهُ؛ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِيَدِهِ فَدَفَعَتْهُ، وَأَنْكَرَتْ، فَقَالَ: أَنَا أَبُو قَيْسٍ! فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ حَتَّى تَكَلَّمْتَ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو قَيْسٍ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ، وَأُولَاهَا^(٤):

قَالَتْ وَلَمْ تَقْصِذْ لِقِيلِ الْخَنَاءِ^(٥) مَهْلًا فَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي
اسْتَكْرَتْ لَوْنَالَهُ شَاحِبًا^(٦) وَالْحَرْبُ غَوْلٌ ذَاتُ أَوْجَاعٍ

(١) في هامش أ: «اسمه صيفي، وهو أشهر من ألا يقع لأحد». وقال ابن حجر في الإصابة: وقيل عبد الله، وقيل غير ذلك.

(٢) في ج: «لقب عليه»، وفي م: «والأسلت واسمه صيفي، وهذا أشهر من ألا يقع لأحد».

(٣) بعث، بالضم: موضع من المدينة على ليلتين. وفي ياقوت: «وحكاه صاحب العين بالغين المعجمة، ولم يسمع من غيره».

(٤) من قصيدة مفضلية برقم ٧٥ (ص ٢٨٣).

(٥) لم تقصد: لم تأت القصد، وهو الوسط في الأمور، وهو العدل. والخنا: الكلام الرديء.

(٦) رواية المفضليات: «أنكرته حين توسمته».

مَنْ يَذُقِ الْحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَهَا مُرّاً وَتَرْكُهُ يَجْعَلُ جَاعاً^(١)

[يوم بعث]

يوم بعث وسببه

فأما السبب في هذا اليوم - وهو يوم بعث - فيما أخبرني به محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا^(٢) محمد بن حميد الرازي، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، وأضفت إليه ما ذكره ابن الكلبي عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي عبيدة، عن محمد بن عمار بن ياسر، وعن عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الغسيل ابن أبي عامر الراهب:

الأوس تطلب حون بني قريظة والنضير

أن الأوس كانت استعانت ببني قريظة والنضير في حروبهم التي كانت بينهم وبين الخزرج، وبلغ ذلك الخزرج، فبعثت إليهم: إن الأوس فيما بلغنا / قد استعانت بكم علينا، ولن يُعجزنا أن نستعين بأعدادكم وأكثر منكم [١١٩/١٧] من العرب، فإن ظفرنا بكم فذاك ما تكرهون، وإن ظفرتكم لم ننم عن الطلب أبداً، فتصبروا إلى ما تكرهون، ويشغلكم من شأننا ما أنتم الآن منه خالون، وأسلم لكم من ذلك أن تدعونا وتخلوا بيننا وبين إخواننا.

الخزرج تحتفظ برهائن من قريظة والنضير

فلما سمعوا ذلك علموا أنه الحق؛ فأرسلوا إلى الخزرج: إنه قد كان الذي بلغكم، والتمست الأوس نصرنا، وما كنا لننصرهم عليكم أبداً. فقالت لهم الخزرج: فإن كان ذلك كذلك فابعثوا إلينا برهائن تكون في أيدينا. فبعثوا إليهم أربعين غلاماً منهم، ففرقهم الخزرج في دورهم فمكثوا بذلك مدة.

عمرو بن النعمان يرغب قومه في منازل بني قريظة والنضير

ثم إن عمرو بن النعمان البياضي قال لقومه بياضة: إن عامراً أنزلكم منزل سوء بين سبعة ومفازة، وإنه والله لا يمس رأسه غسل حتى أنزلكم منازل بني قريظة والنضير على عذب الماء وكريم التخل. ثم راسلهم: إما أن تخلوا / بيننا وبين دياركم نسكنها، وإما أن نقتل رهنكم، فهتوا أن يخرجوا من ديارهم، فقال لهم كعب بن أسد القرظي: ^{١١٦}يا قوم، امنعوا دياركم، وخلوه يقتل الرهن، والله ما هي إلا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأته حتى يولد له غلام مثل أحد الرهن.

غدر عمرو بن النعمان بالرهن

فاجتمع رأيهم على ذلك، فأرسلوا إلى عمرو بالآ تسلم لكم دورنا، وانظروا الذي عاهدتمونا عليه في رهننا، فقوموا لنا به، فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم هو ومن أطاعه من الخزرج، فقتلوه وأبى عبد الله بن أبي - وكان سيذاً حليماً - وقال: هذا عقوق ومأثم وبغي؛ فلست موعيناً عليه، ولا أحد من قومي أطاعني. وكان عنده في الرهن

(١) المفضليات: «وتحبه بجماع» وانظر رقم ٢ من هامش ص ١١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٣٥٧.

[١٢٠/١٧] سُلَيْمٌ^(١) بن أسد القرظي - / وهو جدُّ محمد بن كعب القرظي - فخلَّى عنه، وأطلق ناساً من الخزرج نَفراً فلاحقوا بأهلهم، فناولت الأوسُ الخزرجَ يوم قتل الرهن شيئاً من قتال غير كبير.

اجتماع قريظة والنضير على معاونة الأوس على الخزرج

واجتمعت قريظة والنضير إلى كعب بن أسد، أخي بني عمرو بن قريظة، ثم توامروا أن يُعينوا الأوس على الخزرج؛ فبعث إلى الأوس بذلك.

بنو قريظة والنضير يؤوون النبيت في دورهم

ثمَّ أجمعوا عليه، على أن ينزل كلُّ أهلِ نَبَيْتٍ من النَبَيْتِ^(٢) على بيت من قريظة والنضير، فنزلوا معهم في دورهم، وأرسلوا إلى النَبَيْتِ يأمرُونهم بإتيانهم، وتعاهدُوا ألاَّ يُسلموهم أبداً، وأنَّ يقاتلُوا معهم حتى لا يَبْقَى منهم أحد. فجاءتهم النَبَيْتُ فنزلوا مع^(٣) قريظة والنضير في بيوتهم، ثم أرسلوا إلى سائر الأوس في الحرب والقيام معهم على الخزرج، فأجابوهم إلى ذلك. فاجتمع المَلَأُ منهم، واستحكم أمرهم، وجدوا في حربهم، ودخلت معهم قبائلُ من أهل المدينة، منهم بنو ثعلبة - وهم من غسان - وبنو زُغوراء، وهم من غسان.

مشاورة الخزرج عبد الله بن أبي في حرب الأوس

فلما سمعت بذلك الخزرج اجتمعوا، ثم خرجوا، وفيهم عمرو بن النعمان اليباضي، وعمرو بن الجموح السلمي، حتى جاءوا عبد الله بن أبي، وقالوا له: قد كان الذي بلغك من أمر الأوس وأمر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا، وإنَّا نرى أن نقاتلهم، فإن هزمناهم لم يخرج أحدٌ منهم مَغْلِقَهُ ولا ملجأً حتى لا يَبْقَى منهم أحد.

[١٢١/١٧] فلما فرغوا من مقاتلتهم قال عبد الله بن أبي خطيباً وقال: إنَّ هذا بغيٌّ / منكم على قومكم وعقوق، والله ما أحبُّ أن رجلاً^(٤) من جراد لقيناها.

تحذير عبد الله بن أبي عاقبة الغدر

وقد بلغني أنهم يقولون: هؤلاء قومنا منعونا الحياةَ أفيمنعوننا الموت! والله إنِّي أرى قوماً لا يتبهون أو يُهْلِكُوا عَائِثَكُمْ، وإنِّي لأخاف أن قاتلوكم أن يُنْصَرُوا عليكم لبغيتكم عليهم، فقاتلوا قومكم كما كنتم تقاتلونهم، فإذا ولَّوا فخلُّوا عنهم، فإذا هزموكم فدخلتم أذنَى البيوتِ خلُّوا عنكم. فقال له عمرو بن النعمان: انتفخ والله سحرُك^(٥) يا أبا الحارث حين بلغك حلفُ الأوس قريظة والنضيرا فقال عبد الله: والله لا حَضَرْتُكم أبداً، ولا أحد أطاعني أبداً، ولكاني أنظر إليك قتيلاً تحملُك أربعةٌ في عباءة^(٦).

(١) كذا في المختار، وهو يوافق ما في الإصابة، وفي الأصول: «سليمان».

(٢) النبيت: أبو حي باليمن، واسمه عمرو بن مالك. القاموس: «نبت»، وفي جمهرة أنساب العرب ٣١٩: النبيت بنو عمرو بن مالك بن الأوس.

(٣) كذا في (ج) والمختار. وفي ب. م: فنزلوا معهم.

(٤) الرجل من الجراد: القطعة العظيمة منه.

(٥) أصل السحر، بفتح فسكون: «الرثة». وانتفخ سحرُك: جاوزت قدرك.

(٦) العباءة: كساء معروف. «القاموس».

تولية الخزرج عمرو بن النعمان أمر حربهم

وتابع عبد الله بن أبي رجال من الخزرج، منهم عمرو بن الجموح الحرامي. واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرو بن النعمان البياضي، وولّوه أمر حربهم، ولبثت الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنعون للحرب، ويجمع بعضهم لبعض، ويُرسلون إلى حلفائهم من قبائل العرب.

حُضِيرُ الكَتَائِبِ يحرض الأوس على القتال

فأرسلت الخزرج إلى جُهينة وأشجع، فكان الذي ذهب إلى أشجع ثابت بن قيس بن شماس، فأجابوه، / وأقبلوا إليهم، وأقبلت جُهينة إليهم أيضاً. وأرسلت الأوس إلى مُزينة، وذهب حُضِيرُ الكَتَائِبِ الأشهلي إلى ^{١٦٣}/_{١٥} أبي قيس بن الأسلت، فأمره أن يجمع له أوس الله، فجمعهم له أبو قيس، فقام حُضِيرُ، فاعتمد على قوسه، وعليه نَمْرَةٌ ^(١) تَشِفُّ عن عَوْرَتِهِ، فحرّضهم / وأمرهم بالجد في حربهم، وذكر ما صنعت بهم الخزرج من إخراج النبيت (٢٢/١٧) وإذلال مَنْ تخلف من سائر الأوس، في كلام كثير.

استجابة الأوس لما أَرَادَهُ حُضِيرُ

فجعل كلما ذكر ما صنعت بهم الخزرج وما ركبوه منهم يستشيط ويخمي، وتقلص ^(٢) خُصِيَّتَاهُ، حتى تغيبا، فإذا كلموه بما يُحِبُّ تَدَلَّتَا حتى ترجعا إلى حالهما. فأجابته أوس الله بالذي يُحِبُّ من التنصرة والموازرة والجد في الحرب.

قال هشام: فحدثني عبد المجيد بن أبي عيسى، عن خير ^(٣)، عن أشياخ من قومه: أن الأوس اجتمعت يومئذ إلى حُضِيرِ بموضع يقال له الجبابة ^(٤)، فأجالوا الرأي، فقالت الأوس: إن ظفرنا بالخزرج لم نُبْقِ منهم أحداً ولم نقاتلهم كما كنا نقاتلهم. فقال حُضِيرُ: يا معشر الأوس؛ ما سُمِّيتُم الأوس إلا لأنكم تَوُوسُونَ ^(٥) الأمور الواسعة. ثم قال:

يَا قَوْمَ قَدْ أَصْبَحْتُمْ دَوَاراً ^(٦) لِمَعْشَرٍ قَدْ قَتَلُوا الْخِيَارَا
* يُوْشِكُ أَنْ يَسْتَاصِلُوا الدِّيَارَا *

قال: ولما اجتمعت بالجبابة طرَحُوا بين أيديهم تَفْراً، وجعلوا يأكلون / وحُضِيرُ الكَتَائِبِ جَالِسٌ، وعليه بُرْدَةٌ له قد اشتمل بها الصماء ^(٧)، وما يأكل معهم، ولا يَذْنُو إلى التمر غَضَباً وحنقاً.

(١) النمرة: بردة من صوف يلبسها الأعراب.

(٢) تقلص: تنقبض.

(٣) في أ: «عن حبر».

(٤) كذا في المختار. والجبابة: ما حول البشر، أو أنه مخفف الجبابة، بمعنى الأكمة.

(٥) في «اللسان» «أوس»: وأوس قبيلة من اليمن، واشتقاقه من أس يؤوس أوساً، والاسم الإياس، وهو من العوض.

(٦) أصل الدوار صنم كانت العرب تنصبه ويجعلون موضعاً حوله يدورون به، واسم ذلك الصنم والموضع الدوار، وهو بالضم، وقد يفتح. قال في «اللسان»: والأشهر في اسم الصنم دوار بالفتح. ومنه قول امرئ القيس في معلقته:

* عَذَارَى دَوَارٍ فِي طَلَاٍ مُدْبِلٍ *

(٧) في «اللسان»: «اشتمال الصماء: أن تجلجل جسداً بشوك، نحو شملة الأعراب بأكسيتهن؛ وهو أن يرده الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر، ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيها جميعاً».

عقد الرياسة له

فقال: يا قوم، اعقدوا لأبي قيس بن الأسلت. فقال لهم أبو قيس: لا أقبل ذلك؛ فإنني لم أرأس على قوم في حرب قط إلا هُزموا وتشاءوا برياستي. وجعلوا ينظرون إلى حُضير واعتزاله أكلهم واشتغاله بما هم فيه من أمر الحرب، وقد بدت خصيتاه من تحت البرد، فإذا رأى منهم ما يكره من الفتور والتخاذل تقلصتا غيظاً وغضباً، وإذا رأى منهم ما يُحب من الجَدِّ والتشمير في الحرب عادتا لحالهما.

وأجابت إلى ذلك أوس مناة، وجدوا في المُوازرة والمظاهرة. وقدمت مُزينة على الأوس، فانطلق حُضير وأبو عامر الراهب بن صَيْفِي إلى أبي قيس بن الأسلت، فقالا: قد جاءتنا مُزينة، واجتمع إلينا من أهل يثرب ما لا قبل للخزرج به، فما الرأي إن نحن ظهَرنا عليهم: الإنجاز أم البقيّة؟ فقال أبو قيس: بل البقيّة، فقال أبو عامر: والله لو ددْتُ أن مكانهم ثعلباً ضَبَّاحاً^(١). فقال أبو قيس: اقتلوهم حتى يقولوا: بزا بزا^(٢) - كلمة كانوا يقولونها إذا غلبوا - فتشاجروا في ذلك، وأقسم حُضير ألا يشرب الخمر أو يظهر ويهدم مُزاحماً أطمع عبد الله بن أبي.

حُضير الكتائب يقسم على هدم مُزاحم أطمع عبد الله بن أبي

فلبثوا شهرين يُعدّون ويستعدّون، ثم التقوا ببُعاث، وتخلّف عن الأوس بنو حارثة بن الحارث، فبعثوا إلى الخزرج: إنّا والله ما نريد قتالكم. / فبعثوا إليهم أن ابتموا إلينا برهن منكم يكونون في أيدينا، فبعثوا إليهم اثني عشر رجلاً، منهم خديج، أبو رافع بن خديج.

وبعث: من أموال بني قريظة، فيها مزرعة يقال لها قُورَى؛ فلذلك تُدعى بُعث الحرب^(٣).

حشد القوات

وحشد الحيّان فلم يتخلف عنهم إلا من لا ذكْر له. ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التقوا فيه، فلما رأت الأوس الخزرج أعظموهم، وقالوا لحُضير: يا أبا أُسَيْد، لو حاجزْتَ / القوم، وبعثت إلى من تخلف من حلفائك من مُزينة! فطرح قوساً كانت في يده، ثم قال: أنتظر مُزينة، وقد نظر إليّ القوم ونظرتُ إليهم! الموت قبل ذلك.

فرار الأوس من المعركة

ثم حمل وحملوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت الأوس حين وجدوا مسّ السلاح، فولّوا مُصْعِدين في حرّة قُورَى نحو العُرَيْض^(٤)، وذلك وَجْه طريق نَجْد.

الخزرج يعبرون الأوس

فتزل حُضير، وصاحت بهم الخزرج: أين الفرار؟ ألا إن نجداً سنة - أي مُجْدَب - يُعَيَّرُونهم.

(١) ضباحاً، أي يخرج من فمه صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة. وفي المختار: «صباحاً».

(٢) في المختار: «نزا نزا».

(٣) في المختار: «بعث الخزرج».

(٤) قوري: موضع بظاهر المدينة، وقد ضبطت في أ بضم القاف. والعريض: واد بالمدينة.

حضير يعقر نفسه ليثبت قومه

فلما سَمِعَ حُضَيْرُ طَعْنِ بَسَنَانٍ رُمَحَهُ فَخَذَهُ، وَنَزَلَ وَصَاحَ: وَاعْقَرَاهُ! وَاللَّهِ لَا أَرِيْمُ^(١) حَتَّى أَقْتَلَ، فَإِنْ شِئْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ تَسْلَمُونِي فَافْعَلُوا.

فتعطف عليه الأوس، وقام على رأسه غلامان من بني عبد الأشهل، / يقال لهما: محمود وليد - ابنا ١٧١ هـ خليفة بن ثعلبة - وهما يومئذ مغرسان^(٢) ذوا بطش، فجعللا يرتجزان ويقولان:

أَيُّ غُلَامَيْنِي مَلِكٍ تَرَانَا فِي الْحَرْبِ إِذْ دَارَتْ بِنَا رَحَانَا
* وَعَدَدَ النَّاسِ لَنَا مَكَانَا *

مقتل عمرو بن النعمان

فَقَاتَلَا حَتَّى قُتِلَا، وَأَقْبَلَ سَهْمٌ حَتَّى أَصَابَ عَمْرُو بْنُ النُّعْمَانِ رَأْسَ الْخَزْرَجِ فَقَتَلَهُ، لَا يُدْرَى مَنْ رَمَى بِهِ، إِلَّا أَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ تَزَعُمُ أَنَّهُ سَهْمٌ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو لُبَابَةَ، فَقَتَلَهُ.

فبينما عبد الله بن أبي يتردد على بغلة له قريباً من بُعَاث، يتحسس أخبار القوم، إذ طلع عليه بعمرو بن النعمان ميئاً في عباءة، يحمله أربعة إلى داره. فلما رآه عبد الله بن أبي قال: مَنْ هَذَا؟ قالوا: عمرو بن النعمان. قال: ذُقْ وَبَالَ الْعُقُوقِ.

انهزام الخزرج

وَانْهَزَمَتِ الْخَزْرَجُ، وَوَضَعَتِ الْأَوْسُ فِيهِمُ السَّلَاحَ، وَصَاحَ صَائِحٌ: يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ، اسْجِحُوا^(٣) وَلَا تُهْلِكُوا إِخْوَتَكُمْ فَجَوَارِهِمْ خَيْرٌ مِنْ جَوَارِ الثَّعَالِبِ.

قريظة والنضير تسلبان الخزرج

فَتَنَاهَتِ الْأَوْسُ، وَكَفَّتْ عَنْ سَلْبِهِمْ بَعْدَ إِثْخَانٍ فِيهِمْ، وَسَلَبَتْهُمُ قُرَيْظَةُ وَالنُّضَيْرُ، وَحَمَلَتِ الْأَوْسُ حُضَيْرًا مِنَ الْجِرَاحِ الَّتِي بِهِ، وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ حَوْلَهُ وَيَقُولُونَ:

كَيْبِيَّةَ زَيْنَهَا مَوْلَاهَا لَا كَهْلَهَا هِدْ وَلَا فَتَاهَا^(٤)

/ تحريق الأوس نخل الخزرج ودورهم

وَجَعَلَتِ الْأَوْسُ تَحْرِقُ عَلَى الْخَزْرَجِ نَخْلَهَا وَدُورَهَا؛ فَخَرَجَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَشْهَلِيُّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ بَنِي سَلِمْةَ، وَأَجَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ جِزَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الرَّعْلِ^(٥)، وَكَانَ لِلْخَزْرَجِ عَلَى الْأَوْسِ يَوْمَ يُقَالُ لَهُ يَوْمَ مُغْلَسٍ^(٦)

(١) لا أريم: لا أزول ولا أفارق موضعي.

(٢) المعرس، بكسر الميم: السائق الحاذق بالسياق؛ أي هما مع حذقهما ذوا بطش.

(٣) اسجحوا: أحسنوا العفو.

(٤) الهد بالكسر: الضعيف كأنه مهدود، وبالفتح الجواد كأنه يهد ماله، أي يهضمه. وفي هذه المسألة خلاف بين الأصمعي وابن الأعرابي. هامش أ.

(٥) الرعل: موضع قبل واقم، وفيه قتلت بنو حارثة سماً كأبا حضير الكتائب، وأجلوا حضيراً وقومه عن ديارهم. البكري ٦٦١.

(٦) ديوان قيس بن الخطيم ١١٩: «وكان من أيام العرب يوم مغرس ومقيس، وهما حائطان كانا لدجبية إلى أكام بني عدي بن النجار. والحائط: البستان.

وَمُضْرَس. وكان^(١) سعد بن معاذ حُمِلَ يومئذٍ جريحاً إلى عَمْرُو بْنِ الْجَمُوحِ الْحَرَامِيِّ، فَمَنَّ عَلَيْهِ وَأَجَارَهُ وَأَخَاهُ يَوْمَ رَعَلَ، وَهُوَ عَلَى الْأَوْسِ، مِنَ الْقَطْعِ وَالْحَرْقِ، فَكَافَاهُ سَعْدٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي يَوْمِ بُعَاثَ.

وَأَقْسَمَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ الْقُرَظِيُّ لِيُذَلِّكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي، وَلِيَحْلِقَنَّ رَأْسَهُ تَحْتَ مَزَاحِمٍ؛ فَنَادَاهُ كَعْبٌ: انْزِلْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ: أَنْشِدْكَ اللَّهُ وَمَا خَذَلْتُ عَنْكُمْ. فَسَأَلَ عَمَّا قَالَ، فَوَجَدَهُ حَقًّا، فَرَجَعَ عَنْهُ.

العدول عن هدم أطم عبد الله بن أبي

وَأَجْمَعَتِ الْأَوْسُ عَلَى أَنْ تَهْدِمَ مَزَاحِمَ أَطْمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، وَحَلَفَ حُضَيْرٌ لِيَهْدِمَهُ، فَكُلَّمَا فِيهِ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرِثُوا^(٢) فِيهِ، فَحَفَرُوا فِيهِ كَوَّةً. وَأَفْلَتَ يَوْمئِذٍ الزَّيْبِرُ بْنُ إِيَّاسِ بْنِ بَاطَا ثَابِتٌ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ أَخَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَهِيَ النِّعْمَةُ الَّتِي كَافَاهُ بِهَا ثَابِتٌ فِي الْإِسْلَامِ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ.

أبو قيس بن الأسلت لا يوافق على هدم دور الخزرج

وَخَرَجَ حُضَيْرُ الْكَتَائِبِ وَأَبُو عَامِرِ الرَّاهِبِ حَتَّى أَتَيَا قَيْسَ بْنَ الْأَسْلَتِ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ، فَقَالَ لَهُ حُضَيْرٌ: يَا أَبَا قَيْسٍ؛ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْتِيَ الْخَزْرَجَ قَصْرًا قَصْرًا وَدَارًا دَارًا، نَقْتُلُ وَنَهْدِمُ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ / فَقَالَ / أَبُو قَيْسٍ: وَاللَّهِ ١٥/ لا نَفْعُ ذَلِكَ؛ فَغَضِبَ حُضَيْرٌ، وَقَالَ: مَا سَمَيْتُمُ الْأَوْسَ^(٣) إِلَّا لِأَنَّكُمْ تَوْسُونَ الْأَمْرَ أَوْسًا. وَلَوْ ظَفَرْتُ مِنْهَا الْخَزْرَجُ بِمِثْلِهَا مَا أَقَالُونَاهَا. ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْأَوْسِ، فَأَمَرَهُمْ بِالرَّجُوعِ إِلَى دِيَارِهِمْ.

موت حضير من جروحه

وَكَانَ حُضَيْرٌ جُرِحَ يَوْمئِذٍ جِرَاحَةً شَدِيدَةً، فَذَهَبَ بِهِ كُلَيْبٌ^(٤) بْنُ صَيْقِيٍّ بْنُ عَبْدِ الْأَشْهَلِ إِلَى مَنْزِلِهِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، فَلَبِثَ عِنْدَهُ أَيَّامًا ثُمَّ مَاتَ مِنَ الْجِرَاحَةِ الَّتِي كَانَتْ بِهِ، فَقَبِرَهُ الْيَوْمَ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ.

يهودي أعمى يتتبع سير القتال

وَكَانَ يَهُودِيٌّ أَعْمَى مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ يَوْمئِذٍ فِي أَطْمٍ مِنْ آطَامِهِمْ، فَقَالَ لَابْنَةِ لَهُ: أَشْرِفِي عَلَى الْأَطْمِ، فَانْظُرِي مَا فَعَلَ الْقَوْمُ، فَأَشْرَفْتُ، فَقَالَتْ: أَسْمَعُ الصَّوْتَ قَدْ ارْتَفَعَ فِي أَعْلَى قَوْرَى، وَأَسْمَعُ قَاتِلًا يَقُولُ: اضْرِبُوا يَا آلَ الْخَزْرَجِ. فَقَالَ: الدَّوْلَةُ إِذَا عَلَى الْأَوْسِ، لَا خَيْرَ فِي الْبَقَاءِ. ثُمَّ قَالَ: مَاذَا تَسْمَعِينَ؟ قَالَتْ: أَسْمَعُ رَجُلًا يَقُولُونَ: يَا آلَ الْأَوْسِ، وَرَجُلًا يَقُولُونَ: يَا آلَ الْخَزْرَجِ. قَالَ: الْآنَ حَمِيَ الْقِتَالُ. ثُمَّ لَبِثَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: أَشْرِفِي فَاسْمِعِي، فَأَشْرَفْتُ، فَقَالَتْ: أَسْمَعُ قَوْمًا يَقُولُونَ:

* نحن بنو صخرة أصحاب الرعل *

قال: تلك بنو عبد الأشهل، فظفرت والله الأوس - وصخرة أمهم بنتُ مَرَّةَ بْنِ ظَفَرٍ أُمِّ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ - ثُمَّ وَثَبَ فَرَحًا نَحْوَ بَابِ الْأَطْمِ فَضْرَبَ رَأْسَهُ بِحِلْقِي بَابِهِ^(٥)، وَكَانَ مِنْ حِجَارَةٍ فَسَقَطَ فَمَاتَ.

(١) في أ: «وهو أن سعد بن معاذ».

(٢) الريث: الإبطاء، وفي المختار: «يؤثروا».

(٣) في أ: «ما سميتم الأوس أوساً».

(٤) في المختار: «طلبة بن صيفي».

(٥) في هامش أ: «حاق بابيه: عضادة الباب»، وفي المختار: «بحاف بابيه».

وكان أبو عامر قد حلف ليركز رُمحه في أصل مُزاحم أطم عبد الله بن أبي، فخرجت جماعة من الأوس حتى أحاطوا به، وكانت تحت أبي عامر / جَمِيلَة بنت عبد الله بن أبي، وهي أم حنظلة الغسيل بن أبي عامر، فأشرف [١٢٨/١٧] عليهم عَبْدُ اللَّهِ، فقال: إني والله ما رَضِيتُ هذا الأمر، ولا كان عن رأيي، وقد عرفتم كراحتي له، فانصرفوا عني، فقال أبو عامر: لا والله، لا أنصرف حتى أركز لوائي في أصلِ أطمك.

فلما رأى حنظلة أنه لا ينصرف، قال لهم: إِنَّ أَبِي شَدِيدُ الْوَجْدِ بِي، فأشرفوا بي عليه، ثم قولوا: والله لئن لم تنصرف عنا لنرمين برأسه إليك. فقالوا ذلك له، فركز رُمحه في أصل الأطم لِيَمِينِهِ^(١) ثم انصرف، فذلك قول قيس بن الخطيم^(٢):

صَبَحْنَا بِهِ الْأَطَامَ حَوْلَ مُزَاحِمٍ قَوَانِسُ أَوْلَى بِيَضِنَا كَالْكَوَاكِبِ^(٣)

أبو قيس بن الأسلت يأسر مغلد بن الصامت ثم يخلي سبيله

وأسر أبو قيس بن الأسلت يومئذ مغلد بن الصامت الساعدي أبا مسلمة بن مغلد، اجتمع إليه ناس من قومه من مُزَيْنَة ومن يهود، فقالوا: اقتله، فأبى، وخلي سبيله، وأنشأ يقول:

أَسْرْتُ مَغْلَدًا فَعَفَوْتُ عَنْهُ^(٤) وَعِنْدَ اللَّهِ صَالِحٌ مَا أَتَيْتُ
مُزَيْنَةَ عَنْده وَيَهُودُ قَوْرَى وَقَوْمِي كُلُّ ذَلِكَ كَفَيْتُ^(٥)

خفاف بن نذبة يرثي حضير الكتائب

وقال خفاف بن نذبة، يرثي حضير الكتائب - وكان نديمه وصديقه -:

لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا حِذْنَ عَنْ ذِي مَهَابَةٍ لَهَبْنُ حُضَيْرًا يَوْمَ أَغْلَقَ وَأَقَمَّا^(٦)
أَطَافَ بِهِ حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ جَاءَهُ تَكُونُوا مِنْهُ مَنْزِلًا مُتَنَاعِمًا

/ وقال أيضاً يرثيه:

أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَدَّبْتُهُ قِيَامَ عَيْنِ بَغْيٍ حُضَيْرِ الْوَدَى
/ وَيَوْمَ شَدِيدِ أَوَارِ الْحَدِيدِ صَلَّيْتُ بِهِ وَعَلَيْكَ الْحَدِيدِ
فَأَوْدَى بِنَفْسِكَ يَوْمَ الْوَعَى وَقِيلَ: خَلِيلُكَ فِي الْمَرْمَسِ
حُضَيْرَ الْكُتَائِبِ وَالْمَجْلَسِ تَقَطَّعُ مِنْهُ عُسْرَى الْأَنْفُسِ
سُدَّ مَا بَيْنَ سَلْعٍ إِلَى الْأَعْرُسِ وَنَقَى ثِيَابَكَ لَمْ تَدْنَسِ

(١) أي لينفذ يمينه.

(٢) ديوانه ٤٠.

(٣) القوانس: جمع القونس: أعلى بيضة الحديد أو معدنها.

(٤) في أ: «أسرنا».

(٥) في أ: «القيت».

(٦) واقم: أطم بالمدينة، وفي معجم البلدان:

فلو كان حي ناجياً من حمامه

لكان حضير يوم أغلق واقمما

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني داود بن محمد بن جميل، عن ابن الأعرابي، قال: قال لي الهيثم بن عدي: كنتُ جلوساً عند صالح بن حسان، فقال لنا: وأخبرني عمي عن الكُراني، عن النوشجاني، عن العمري، عن الهيثم بن عدي، قال: قال لنا صالح بن حسان، وأخبرني به الأخفش عن المبرد، قال: قال لي صالح بن حسان:

بيت خفر في امرأة خفيرة شريفة

أَنشِدُونِي بَيْتاً خَفِيراً فِي امْرَأَةٍ خَفِيرَةٍ شَرِيفَةٍ، فَقُلْنَا: قول حاتم:

يُضِيءُ لَنَا الْبَيْتُ الظَّلِيلُ خَصَاصُهُ إِذَا هِيَ يَوْمًا حَاوَلَتْ أَنْ تَبْسِمًا^(١)
فَقَالَ: هذه من الأصنام، أريد أحسن من هذا. قلنا: قول الأعشى^(٢):

كَأَنَّ مِشْيَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ
فَقَالَ: هذه خراجة ولأجة كثيرة الاختلاف. قلنا: بيت ذي الرُّمَّة^(٣):

تَتَوَّءُ بِأَخْرَاهَا فَلَا يَأْ قِيَامُهَا^(٤) وَتَغْشِي الْهُوَيْنَا مِنْ قَرِيبٍ فُتْبَهُرُ

/ فَقَالَ: هذا ليس ما أردت، إنما وصف هذه بالسمن، وثقل البدن. قلنا: ما عندنا شيء. فقال: قول أبي قيس بن الأسلت^(٥):

وَيَكْرِمُهَا جَارَاتُهَا فَيَزُرُّنَهَا وَتَعْتَلُّ عَنْ إِيَّائِنَهَا فَتُعْذَرُ
وَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَسْتَهِيَ بِجَارَةٍ^(٦) وَلَكِنَّهَا مِنْهُنَّ تَخِيَا وَتَخْفَرُ

أحسن بيت وُصِفَ به الثريا

ثم قال: أنشدوني أحسن بيت وُصِفَ به الثريا. قلنا: بيت ابن الزبير الأسدي:

وَقَدْ لَاحَ فِي الْقُورِ الثَّرِيَّا كَأَنَّمَا^(٧) بِهِ رَايَةٌ بِيضَاءُ تَخْفُقُ لِلطُّغْنِ

قال: أريد أحسن من هذا، قلنا: بيت امرئ القيس:

إِذَا مَا الثَّرِيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعْرِضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ^(٨)

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا: بيت ابن الطُّرَيْي:

إِذَا مَا الثَّرِيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّمَا جُمَانٌ وَهَى مِنْ سِلْكِهِ فَتَسْرَعُ^(٩)

(١) «ديوانه» ٢١، وفيه: «خصاصة».

(٢) ديوانه ٥٥.

(٣) ديوانه ٢٢٧.

(٤) في أ: «تبرء»، والمثبت يوافق ما في الديوان.

(٥) معاهد التنصيص ٢: ٢٧.

(٦) في أ: «تستعين».

(٧) في أ والمعاهد: الغور.

(٨) ديوانه ١٤.

(٩) معاهد التنصيص ٢: ٢٦.

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا: ما عندنا شيء. قال: قول أبي قيس بن الأسلت:

وقد لاح في الصُّبح الشُّربا لمن رأى كعقود مُلأحية حين نورا^(١)

أبو قيس يحكم له بالتقدم في المعنيين السابقين

قال: فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدم.

استشهد عبد الملك بشعره في خطبته بعد مقتل مصعب بن الزبير

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الحسين بن أحمد بن طالب / الديناريّ، قال: حدثني أبو عدنان، [٣١/١٧]

قال: حدثني الهيثم بن عديّ، قال: حدثني الضحاك بن زُمَيْل السُّكسكيّ، قال:

لما قُتل عبدُ الملك بن مروان مصعبُ بنُ الزُّبير خطب الناس بالثُّخيلة، فقال في خطبته: أيُّها الناس، دَعُوا
الاهواءَ المُضِلَّةَ، والآراءَ المشتتةَ، ولا تكلّفونا أعمالَ المهاجرين وأنتم لا تعملون بها؛ فقد جاريتمونا إلى السيف،
فرايتم كيف صنَعَ اللهُ بكم، ولا أعرفتكم بعد الموعظة تزدادون جرأة؛ فإنّي لا أزداد بعدها / إلّا عقوبة، وما مثلي ^{١١٧}/_{١٥}
ومثلكم إلّا كما قال أبو قيس بن الأسلت:

من يَصُلِّ نارِي بلا ذَنْب ولا تِرّة يَصُلِّ بنارِ كريمٍ غيرَ غَدّارٍ

أنا النذيرُ لكم مِنِّي مُجاهرة كسي لا ألامَ على نهبي وإعذار

فإن عصيتم مقالِي اليومَ فاعترفوا أن سوف تلقون خِزياً ظاهراً عاراً^(٢)

لَتُرَكَّنَ أحاديثاً مُلَعَّنة^(٣) عند المقيم وعند المُذَلِّج السَّاري

وصاحب الوثر ليس الدهرُ مُذَرِّكُه عندي وإنسي لطلابِ لأوتارٍ

أقيم عَوَجَتَهُ إن كان ذا عَوَج كما يقومُ قَدَحُ التَّبَعَةِ الباري

الموت

ترقّع أيها القمرُ المنيرُ لعلَّكَ أن ترى حُجْراً يَسِيرُ

يَسِيرُ إلى مُعاوية بن حَرْبٍ ليقْتَلَه كما زعم الأميرُ

ألا يا حُجْرَ حُجْرَ بني عَدِيّ تلقَتْكَ السَّلامةُ والسُّرورُ

تنعمت الجبابرُ بعد حُجْرٍ^(٤) وطاب لها الخورنقُ والسَّديرُ

الشعر لامرأة^(٥) من كندة ترثي حُجْرَ بنَ عَدِيّ صاحب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه.

والغناء لحكم الوادي رمل بالوسطى، وفيه لِحْنَيْنِ هَزَجٍ خفيف بالوسطى عن ابن المكي والهشامي.

(١) الملاحية: من شجر الزهر.

(٢) اللسان ٣: ٦٩.

(٣) كذا في ج، وفي م، أ، س، ب: «وملعة» تصحيف.

(٤) في الطبري: «تجبرت».

(٥) هي هند بنت زيد بن مخزومة الأنصاري، كما في الطبري ٥: ٢٨.

/ خبر مقتل حجر بن عدي

[١٣٣/١٧]

حدثني^(١) أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا محمد بن الحكم، قال: حدثنا أبو مخنف، قال: حدثنا خالد بن قطن، عن المجالد بن سعيد الهمداني، والصقعب بن زهير، وفُضيل بن خديج^(٢)، والحسن^(٣) بن عتبة المرادي، وقد اختصرت جُملاً من ذلك يسيرة؛ تحرّزاً من الإطالة:

استنكاره ذم علي بن أبي طالب ولعنه

أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة كان يقوم على المنبر فيذم علي بن أبي طالب وشيعته، وينال منهم، ويلعن قتلة عثمان، ويستغفر لعثمان ويزكيه، فيقوم حجر بن عدي فيقول: «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم»^(٤)، وإني أشهد أن من تذبّون أحقّ بالفضل ممن تطرون، ومن تزكون أحقّ بالذم ممن تعيينون.

المغيرة بن شعبة يحذره

فيقول له المغيرة: يا حجر، ويحك! أكفّف من هذا، واتّق غضبة السلطان وسطوته؛ فإنها كثيراً ما تقتل مثلك. ثم يكفّ عنه.

صرخة فائرة منه

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يوماً في آخر أيامه يخطب على المنبر، فقال من علي بن أبي طالب عليه السلام، ولعنه، ولعن شيعته، فوثب حجر فنعر^(٥) نكرة أسمعت كلّ من كان في المسجد وخارجه. فقال له: [١٣٤/١٧] إنا لا ندرى أيها الإنسان بمن تولّع، أو هَرَمْتَ! مَرُّ لَنَا بِأَعْطِيَانَا وَأَرْزَاقِنَا؛ فَإِنَّكَ قَدْ حَبَسْتَهَا عَنَّا، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَكَ وَلَا لِمَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَقَدْ أَصْبَحْتَ مَوْلَعاً بِذِمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَقْرِيطِ الْمَجْرِمِينَ.

استجابة لصرخة الثائر

فقام معه أكثر من ثلاثين رجلاً يقولون: صدق والله حجر! مَرُّ لَنَا بِأَعْطِيَانَا؛ فَإِنَّا لَا نَنْتَفِعُ بِقَوْلِكَ هَذَا، وَلَا يُجْدِي عَلَيْنَا، وَكَثُرُوا فِي ذَلِكَ.

(١) خبر مقتل حجر في الطبري ٥: ٢٥١ وما بعدها.

(٢) في م: حديج، بالحاء المهملة.

(٣) في الطبري: «والحسين».

(٤) سورة النساء ١٣٤.

(٥) نعر: صاح صيحة شديدة.

قوم المغيرة يلومونه في احتماله إياه

فنزل المغيرة ودخل القصر، فاستأذن عليه قومه، ودخلوا ولائمه / في احتماله حُجراً، فقال لهم: إني قد قتلته. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إنه سيأتي أميرٌ بَعْدِي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما تَرَوْنَه، فيأخذه عند أوّل وَهْلَةٍ فيقتله شراً قَتَلَةً. إنه قد اقترَبَ أَجَلِي، وَضَعُفَ عَمَلِي، وما أَحْبُّ أَنْ أَبْتَدِيَ أَهْلَ هَذَا الْمِصْرِ بِقَتْلِ خِيَارِهِمْ وَسَفَكِ دِمَائِهِمْ، فيسعدوا بذلك وأشقَى، ويعزّ معاوية في الدنيا ويذلّ المغيرة في الآخرة، سيذكرونني لو قد حرّبوا العمّال.

قال الحسن بن عتبة: فسمعتُ شيخاً من الحَيِّ يقول: قد والله جرّبناهم فوجدناه خَيْرَهم.

زياد يذكره بصدافته ويحذره ما كان يفعل مع المغيرة

قال: ثم هلك المغيرة سنة خمسين، فجمعت الكوفة والبصرة لزياد، فدخلها، ووجه إلى حُجْر فجاءه، وكان له قَبْلَ ذَلِكَ صديقاً، فقال له: قد بلغني ما كُنْتَ تَفْعَلُهُ بِالْمَغِيرَةِ فيحتمله منك؛ وإني والله لَا أَخْتَمِلُكَ^(١) عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ أَبَدًا، أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُنِي بِهِ مِنْ حُبِّ عَلِيٍّ وَوُدِّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَخَهُ مِنْ صَدْرِي فَصِيرَهُ بَغْضًا وَعَدَاوَةً، وما كُنْتَ تَعْرِفُنِي بِهِ مِنْ بُغْضِ مُعَاوِيَةَ وَعَدَاوَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَخَهُ مِنْ صَدْرِي وَحَوَّلَهُ حُبًّا وَمَوَدَّةً / وإني أخوك الذي [١٣٥/١٧] تَعَهَّدَ، إِذَا أَتَيْتَنِي وَأَنَا جَالِسٌ لِلنَّاسِ فَاجْلِسْ مَعِي عَلَى مَجْلِسِي، وَإِذَا أَتَيْتَ وَلَمْ أَجْلِسْ لِلنَّاسِ فَاجْلِسْ حَتَّى أُخْرِجَ إِلَيْكَ، وَلَكَ عِنْدِي فِي كُلِّ يَوْمٍ حَاجَتَانِ: حَاجَةُ غُدْوَةٍ، وَحَاجَةُ عَشِيَّةٍ، إِنَّكَ إِنْ تَسْتَقِمَ تَسَلِّمْ لَكَ دُنْيَاكَ وَدِينُكَ، وَإِنْ تَأْخُذْ يَمِينًا وَشِمَالًا تَهْلِكْ نَفْسُكَ وَتُشْطَ^(٢) عِنْدِي دَمُكَ، إني لَا أَحِبُّ التَّنْكِيلَ قَبْلَ التَّقْدِمَةِ، وَلَا أَخْذَ بَغِيرِ حُجَّةٍ، اللَّهُمَّ أَشْهَدُ. فقال حُجْر: لَنْ يَرَى الْأَمِيرُ مِنِّي إِلَّا مَا يَحِبُّ، وَقَدْ نَصَحْتُ، وَأَنَا قَابِلٌ نَصِيحَتِهِ.

ثم خرج من عنده، فكان يَتَّقِيهِ وَيَهَابُهُ، وكان زياد يُذْنِبُهُ وَيُكْرِمُهُ وَيُفَضِّلُهُ، وَالشَّيْعَةُ تَخْتَلِفُ إِلَى حُجْرٍ وَتَسْمَعُ مِنْهُ.

زياد ينذره قبل خروجه إلى البصرة

وكان زياد يَشْتُو بِالْبَصْرَةِ، وَيَصِفُ بِالْكُوفَةِ، وَيَسْتَخْلِفُ عَلَى الْبَصْرَةِ سُمْرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ، وَعَلَى الْكُوفَةِ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَارَةُ بْنُ عَقْبَةَ: إِنَّ الشَّيْعَةَ تَخْتَلِفُ إِلَى حُجْرٍ، وَتَسْمَعُ مِنْهُ، وَلَا أَرَاهُ عِنْدَ خُرُوجِكَ إِلَّا نَائِرًا، فَدَعَاهُ زِيَادُ فَحَذَّرَهُ وَوَعظَهُ. وَخَرَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَاسْتَعْمَلَ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ، فَجَعَلَتِ الشَّيْعَةُ تَخْتَلِفُ إِلَى حُجْرٍ، وَيَجِيءُ حَتَّى يَجْلِسَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الشَّيْعَةُ، حَتَّى يَأْخُذُوا ثَلَاثَ الْمَسْجِدِ أَوْ نِصْفَهُ، وَتَطِيفُ بِهِمُ النَّظَّارَةُ، ثُمَّ يَمْتَلِئُ الْمَسْجِدُ، ثُمَّ كَثُرُوا، وَكَثُرَ لَغَطُهُمْ، وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِذَمِّ مُعَاوِيَةَ وَشَتْمِهِ وَنَقْصِ^(٣) زِيَادٍ. وَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَشْرَافُ أَهْلِ الْمِصْرِ فَحَثَّاهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَحَذَّرَهُمُ الْخُلَافَ؛ فَوُثِبَ إِلَيْهِ عُتْقٌ^(٤) مِنْ أَصْحَابِ حُجْرٍ يَكْبُرُونَ وَيَشْتُمُونَ، حَتَّى دَنَوْا / مِنْهُ، فَحَصَبُوهُ وَشْتَمُوهُ حَتَّى نَزَلَ وَدَخَلَ الْقَصْرَ، [١٣٦/١٧] وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ، وَكَتَبَ إِلَى زِيَادٍ بِالْخَبَرِ، فَلَمَّا أَتَاهُ أَنْشَدَ يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ:

(١) فِي م: «احتمله».

(٢) أَشَاطُ دَمُهُ: عَرَضَهُ لِلْقَتْلِ.

(٣) فِي م: «وَقَصَفَ زِيَادًا»، وَالْقَصْفُ مَعْنَاهُ الْكُسْرُ، يُرِيدُ الْإِنْتِقَاصَ.

(٤) الْعُنُقُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ.

فلما غدوا بالعرض^(١) قال سراتنا: سلام إذا لم نمنع العرض نزرع^(٢)

ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفة من حُجر، وأدعه نكالا لِمَنْ بعده، وَيَلْ أملك حجرا لقد سقط بك العشاء على سرحان^(٣).

عودة زياد إلى الكوفة

ثم أقبل حتى أتى الكوفة، فدخل القصر، ثم خرج وعليه قباء سُندس، ومُطَرَفُ خَزْ أخضر، وحُجْر جالس في المسجد، وحَوْلَه أصحابه ما كانوا. فصعد المنبر فخطب وحذّر الناس، ثم قال لشَدَّاد بن الهيثم الهلالي أمير الشرط: اذهب فائتني بحُجر، فذهب إليه فدعاه، فقال أصحابه: لا يأتيه ولا كرامة. فسبوا الشرط، فرجعوا / إلى زياد فأخبروه، فقال: يا أشراف أهل الكوفة! أتشجون بيدي وتأسون بأخرى^(٤)؟ أبدانكم عندي، وأهواؤكم مع هذه الهجاجة^(٥) المذبذوب^(٦). أنتم معي وإخوتكم وأبنائكم وعشيرتكم مع حُجر.

استعداد زياد أشراف الكوفة عليه

فوثبوا إلى زياد فقالوا: معاذ الله أن يكون لنا فيما ها هنا رأيي إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين، وكل ما ظننت [١٣٧/١٧] أن يكون فيه رضاك فمُرنا به. قال: ليقيم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة التي حول حُجر، فليدع / الرجل أخاه وابنه وذا قرابته ومن يُطيعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كل من استطعتم. ففعلوا، وجعلوا يقيمون عنه أصحابه حتى تفرق أكثرهم وبقي أقلهم.

أمر زياد بإحضاره

فلما رأى زياد خيفة أصحابه قال لصاحب شرطته: اذهب فائتني بحُجر، فإن تبعك وإلا فمُر من معك أن ينتزعوا غمد السيوف^(٧)، ثم يشدوا عليه حتى يأتوا به، ويضربوا من حال دونه.

أصحابه يمنعونه من الذهاب إلى زياد

فلما أتاه شَدَّاد قال له: أجب الأمير، فقال أصحاب حجر: لا والله ولا نعمة عين، لا يُجيبه. فقال لأصحابه: عليّ بعمد السيوف^(٨)، فاشتدوا إليها، فأقبلوا بها، فقال عُمير بن زيد^(٩) الكلبي أبو العمرطة^(١٠): إنه ليس معك رجل

(١) ضبطت العين في أ بالفتحة والكسرة. والعرض، بالكسرة: الوادي، وكل واد فيه شجر فهو عروض.

(٢) في أ: «يزرع» وفي معجم البلدان:

ولما هبطنا العرض قال سراتنا سلام إذا لم نحفظ العرض نزرع

(٣) حاشية أ: «ذكر القاسم بن سلام والفضل أن السرحان هنا الذئب، وليس كذلك، وهو سرحان القرعبي، وكان أحد شياطين العرب، يضرب به المثل». وفي «اللسان»: السرحان: الذئب أو الأسد. وهو مثل يضرب في طلب الحاجة تؤدي إلى تلف صاحبها.

(٤) تشجون: تجرحون، وتأسون: تعالجون.

(٥) الهجاجة: الأحق، وفي المختار «الجهجاه»، وجهجه بالسبع: صاح ليكف.

(٦) المذبذوب: المبعد المطرود.

(٧) في م: السور، وفي المختار: «أن يشرعوا عمد السيوف». وفي الطبري: «فليتزعوا عمد السيوف».

(٨) في أ: «عليّ بالعمد».

(٩) في الطبري والمختار: «بن يزيد».

(١٠) في أ: «ابن العمرطة».

معه سيف غيري، فما يُغني سيفي! قال: فما ترى؟ قال: قُم من هذا المكان، فالحقُ بأهلك يمنعك قومك.

موت عمرو بن الحمق من ضربة عمود

فقام وزياذ ينظر على المنبر إليهم ففَشُوا حُجْراً بالعمد، فضرب^(١) رَجُلٌ من الحمراء يقال له: بَكْر بن عُبيد رَأْسَ عَمْرُو بن الحَمِقِ بِعَمُودٍ فوقه.

تواری حجر في منازل الأزد

وأناه أبو سفيان بن العُوَيْمِر والعَجْلان بن ربيعة - وهما رجلان من الأزد - فحملاه، فأتيا به دارَ رجل من الأزد يقال له عُبيد الله بن موعِد^(٢)، فلم يزل بها مُتَوَارِياً حتى خرج منها.

/ الثار من ضارب عمرو بن الحمق

قال أبو مخنف: فحدثني يوسف بن زياد، عن عُبيد الله بن عَوْف^(٣)، قال:

لما انصرفنا عن عروة بِأَجْمَيْرِ^(٤) قَبْلَ قتل عبد الملك مُصعباً بعام، فإذا أنا بالأحمري الذي ضرب عَمْرُو بن الحمقِ يسأئرنِي؛ ولا والله ما رأيته منذ ذلك اليوم، وما كنتُ أرى لو رأيته أَنْ أعرفه، فلما رأيته ظننته هو هو، وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة، فكرهتُ أَنْ أسأله: أنت ضاربُ عَمْرُو بن الحَمِقِ، فيجابرنِي، فقلتُ له: ما رأيك منذ اليوم الذي ضربتُ فيه رَأْسَ عَمْرُو بن الحَمِقِ بالعمود في المسجد فصرغته حتى يَوْمِي، ولقد عرفتُكَ الآن حين رأيْتُكَ.

فقال لي: لا تَعْدِم بَصْرَكَ، ما أثبتَ نظرك! كانَ ذلكَ أَمْرُ السُلْطَانِ^(٥) أَمَّا والله لقد بلغني أنه قد كان امرأً صالحاً، ولقد ندمت على تلك الضربة، فاستغفر الله.

فقلت له: الآن ترى، لا والله لا أفترقُ أنا وأنت حتى أضربَكَ في رَأْسِكَ مِثْلَ الضربة التي ضربتها عَمْرُو بن الحمقِ وأموت أو تموت.

قال: فناشدني وسألني بالله. فأبيتُ عليه، ودعوتُ غلاماً يُدْعَى رُشَيْدًا^(٦) من سَبِي أصبهان معه قناة له صلبة، فأخذتها منه ثم أحمل عليه^(٧)، فنزل عن دابته، فالحقه حين استَوَتْ قَدَمَاهُ على الأرض، فأصْفَقُ^(٨) / بها هامته، فخرَ لوجْهه، وتركته ومضيت، فبرأ بعد ذلك، فلقيته مرَّتين من دَهْرِي، كلُّ ذلك يقول لي: الله بيني وبينك. فأقول له: الله بينك وبين عَمْرُو بن الحَمِقِ.

(١) في أ: «فيضرب».

(٢) في أ: «مرعل». وفي المختار: «مزعل»، وفي الطبري: «بن مالك».

(٣) في ب، س والمختار: عون، والمثبت ما في أ و م والطبري.

(٤) بأجميري: موضع بأرض الموصل.

(٥) في ب، س والطبري: «الشیطان»، والمثبت ما في أ والمختار.

(٦) في س: «بشيراً» والمثبت والضبط ما في أ.

(٧) في المختار: «ثم حملت»، وفي الطبري: «ثم أحمل عليه بها».

(٨) في الطبري: «فأصفع بها هامته». وأصفق هامته: أضربها ضربة يسمع لها صوت.

رجع الحديث إلى سياقه الأول

أمر زياد بعض القبائل أن يأتوه به

قال: فقال زياد - وهو على المنبر - لنقم همدان وتميم وهوازن وأبناء بغيض ومذحج وأسد وغطفان فليأتوا
جبانة كندة، وليمضوا من ثم إلى حُجر، فليأتوني به. ثم كره أن تسير مُضَرَّ مع / اليمن، فيقع شغب واختلاف، أو
تنشب الحمية فيما بينهم. فقال: لنقم تميم وهوازن وأبناء بغيض وأسد وغطفان، ولتَمُضْ مذحج وحمدان إلى جبانة
كندة، ثم ليمضوا إلى حُجر فليأتوني به، وليسر أهل اليمن حتى يترلوا جبانة الصيداويين^(١)، وليمضوا إلى صاحبهم
فليأتوني به.

فخرجت الأزد وبجيلة وخثعم والأنصار وقضاة وخزاعة، فترلوا جبانة الصيداويين، ولم تخرج حضرموت مع
اليمن لمكانهم من كندة.

عبد الرحمن بن مخنف يشير على أهل اليمن برأي

قال أبو مخنف: فحدثني سعيد^(٢) بن يحيى بن مخنف، عن محمد بن مخنف، قال: فإني لمع أهل اليمن
وهم يتشاورون في أمر حُجر، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف: أنا مُشيرٌ عليكم برأي، فإن قبلتموه رجوت أن
تسلموا من اللاتمة والإثم: أن تلبثوا قليلاً حتى تكفيكم عجلة في شباب مذحج وحمدان ما تكرهون أن يكون^(٣) من
مساءة قومكم في صاحبكم.

[١٤٠/١٧] / فأجمع رأيهم على ذلك، فلا والله ما كان إلا كلاً ولا^(٤) حتى أتينا فقليل لنا: إن شباب مذحج وحمدان قد
دخلوا، فأخذوا كل ما وجدوا في بني بجيلة.

حجر يشير على أصحابه أن ينصرفوا عنه

قال: فمر أهل اليمن على نواحي دور كندة مُعذِّرين، فبلغ ذلك زياداً، فأتى على مذحج وحمدان، وذم أهل
اليمن. فلما انتهى حُجر إلى داره ورأى قلة من معه قال لأصحابه: انصرفوا، فوالله ما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم
من قومكم، وما أحب أن أعرضكم للهلاك. فذهبوا لينصرفوا، فلحقهم أوائل خيل مذحج وحمدان، فعطف عليهم
عُمير بن يزيد، وقيس بن يزيد، وعبيدة بن عمرو، وجماعة، فتقاتلوا معهم، فقاتلوا عنه ساعة فجرحوا، وأسر
قيس بن يزيد، وأفلت سائر القوم، فقال لهم حُجر: لا أبا لكم! تفرقوا لا تقتلوا؛ فإني آخذ في بعض هذه الطرق.

يدخل دار سليمان بن يزيد ثم يخرج منها إلى دور بني العنبر

ثم أخذ نحو طريق بني حرب^(٥) من كندة، حتى أتى دار رجل منهم يقال له سليمان^(٦) بن يزيد، فدخل داره،

(١) بنو الصياد: حي من أسد. وفي أ: «الصائدين»، وكذلك في الطبري.

(٢) الطبري: «يحيى بن سعيد».

(٣) في المختار: «تلوه»، وفي الطبري: «أرى لكم أن تلبثوا قليلاً، فإن سرعان شباب همدان ومذحج يكفونكم ما تكرهون أن تلوا من
مساءة...».

(٤) كلا ولا، أي مدة قليلة كزمن النطق بهذين الحرفين.

(٥) أ: «حوت»، وفي المختار: «طريق بني كعب»، والمثبت يوافق ما في الطبري أيضاً.

(٦) الطبري: «سليم بن زيد»، والمثبت يوافق ما في المختار أيضاً.

وجاء القوم في طلبه، ثم انتهوا إلى تلك الدار، فأخذ سليمان بن يزيد سيفه، ثم ذهب ليخرج إليهم، فبكت بناته، فقال له حجر: ما تريد؟ لا أبا لك! فقال [له]: أريدُ والله أن ينصرفوا عنك؛ فإن فعلوا وإلا ضاربهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي دونك. فقال له حجر: بشس والله إذن ما دخلت به على بناتك! أما في دارك هذه حائط أفتححه [١٤١/١٧] أو خوخة^(١) أخرج منها، عسى الله أن يسلمني / منهم ويسلمك؛ فإن القوم إن لم يقدروا علي في دارك لم يضرَكَ^(٢) أمرهم. قال: بلى، هذه خوخة تخرجك إلى دور بني العنبر من كندة، فخرج معه فتية من الحي يقصون له الطريق، ويسلكون به الأرقعة، حتى أفضى إلى النخع، فقال عند ذلك: انصرفوا، رحمكم الله.

يدخل دار عبدالله بن الحارث ثم يخرج منها إلى دار ربيعة بن ناجذ

فانصرفوا عنه، وأقبل إلى دار عبد الله بن الحارث أخيه الأشر، فدخلها، فإنه لكذلك قد ألقى له عبد الله الفرش، وبسط له البسط، وتلقاه ببسط الوجه وحسن البشر إذ أتى فقيل له: إن الشرط تسأل عنك في النخع وذلك أن أمة سوداء يقال لها أذماء لقيتهم فقالت لهم: من تطلبون؟ قالوا: نطلب حجراً، فقالت: هو ذا قد رأيته في النخع، فانصرفوا نحو النخع؛ فخرج متنكراً، وركب معه عبد الله ليلاً حتى أتى دار ربيعة بن ناجذ^(٣) الأزدي، فنزل بها، فمكث يوماً وليلة.

زياد يأمر محمد بن الأشعث أن يأتيه بحجر

فلما أعجزهم أن يقدروا عليه دعا زياد محمد بن الأشعث فقال: أما والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتها، ولا داراً إلا هدمتها، / ثم لا تسلم مني بذلك حتى أقطعك إزباً إزباً. فقال له: أمهلني أطلبه. قال: قد ^{١٦} أمهلتك ثلاثاً، فإن جئت به وإلا فاعدد نفسك من الهلكى. وأخرج محمد نحو السجن وهو متتبع اللون يئلاً تلاً عني^(٤). فقال حجر بن يزيد الكندي من بني مرة لزياد: ضمتي وخل سبيله ليطلب صاحبه، فإنه مخلص سربه^(٥) / أخرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً. قال: أنضمته لي؟ قال: نعم. قال: أما والله لئن حاص^(٦) عنك [١٤٢/١٧] لأوردنك^(٧) شعوب، وإن كنت الآن علي كريماً. قال: إنه لا يفعل. فخلّى سبيله.

ثم إن حجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد، وقد أتى به أسيراً، فقال: ما عليه من بأس، قد عرفنا رأيته في عثمان رضي الله عنه، وبلاءه مع أمير المؤمنين بصفين، ثم أرسل إليه فأتى به، فقال: قد علمت أنك لم تقابل مع حجر أنك ترى رأيته، ولكن قاتلت معه حمية، وقد غفرنا لك لما نعلمه من حسن رأيك، ولكن لا أدعك حتى تأتيني بأخيك عمير. قال: آتيك به إن شاء الله. قال: هات من يضمته معك. قال: هذا حجر بن يزيد. قال حجر: نعم، على أن تؤمنه على ماله ودمه. قال: ذلك لك.

فانطلقا فأتيا به، فأمر به فأوقر حديداً، ثم أخذته الرجال ترفعه، حتى إذا بلغ سررها القوه، فوقع على

(١) الخوخة: باب صغير في باب كبير، أو مخرج خلف الدار.

(٢) أ: «لم يضررك».

(٣) الطبري: «ناجد».

(٤) تله: صرعه، أو ألغاه على عنقه وخده.

(٥) المختار: «سبيله»، والمثبت يوافق ما في الطبري أيضاً.

(٦) حاص: عدل.

(٧) في المختار: «لأزيرن بك شعوباً»، وفي الطبري: «لأزيرنك شعوب». وشعوب: اسم للمنية.

الأرض، ثم رفعوه فآلقوه، ففعل به ذلك مراراً، فقام إليه حُجر بن يزيد، فقال: أو لم تؤمنه؟ قال: بلى، لستُ أهريق له دماً، ولا آخذُ له مالاً. فقال: هذا يُشفي به على الموت.

وقام كلُّ مَنْ كان عنده من أهل اليمن، فكلّموه فيه، فقال: اتضمنونه لي بنفسه متى^(١) أخذتُ حديثاً أتيتُموني به؟ قالوا: نعم. فخلّى سبيله.

يطلب من ابن الأشعث أن يسأل زياداً الأمان له حتى يأتي معاوية

[١٤٣/١١] ومكث حُجْرٌ في منزل ربيعة بن ناجذ^(٢) يوماً وليلة، ثم بعث إلى / ابن الأشعث غلاماً يُدعى رُشيداً من سبني أصبهان، فقال له: إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد، فلا يهولتك شيء من أمره؛ فإني خارج إليك، فاجتمع نفراً من قومك، وادخل عليه، واسأله أن يؤمّني حتى يبعثني إلى معاوية، فيرى في رأيه.

زياد يأمر بحبسه

فخرج محمدٌ إلى حجر بن يزيد، وجريز بن عبد الله، وعبد الله أخي الأشر، فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر، فأجاب، فبعثوا إليه رسولا يُعلمونه بذلك. فأقبل حتى دخل على زياد، فقال له: مَرحباً يا أبا عبد الرحمن، حَرَبٌ في أيام الحرب، وحَرَبٌ وقد سالم الناس! «على نفسها تَجني براقش»^(٣)، فقال له: ما خلعتُ يداً عن طاعة، ولا فارتقت جماعةً، وإني لعلّ بيّعتي. فقال: هيهات يا حُجْر، أتشج بيد وتأسو بأخرى، وتريد إذا أمكننا الله منك أن ترضى! هيهات والله! فقال^(٤): ألم تؤمّني حتى آتي معاوية، فيرى في رأيه. قال: بلى، انطلقوا به إلى السجن.

زياد يطلب رؤوس أصحاب حجر

فلما مُضي به قال: أما والله لولا أمانه ما برح حتى يُلقط عَصَبُهُ^(٥). فأخرج وعليه بُرنس في غداة باردة، فحبس عَشَرَ ليالٍ، وزياد ماله عملٌ غير الطلب لرؤوس أصحاب حُجْر.

عمرو بن الحُمق ورفاعة بن شداد يكتمان في جبل بالموصل

[١٤٤/١١] فخرج عمرو بن الحُمق، ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا الموصل، فأتيا جبلاً فكَمنا فيه، وبلغ عاملُ ذلك الرُستاق^(٦) - وهو رجلٌ من هَمْدَان يقال له عُبَيْد الله^(٧) - بن أبي بَلْتَعَة - خبرهما، / فسار إليهما في الخيل، ومعه أهلُ البلد، فلما انتهى إليهما خرجا، فأما عمرو فكان بطنه قد استسقى^(٨)، فلم يكن عنده امتناع.

(١) الطبري: «فمتى أحدث».

(٢) انظر ص ١٤١ حاشية ٢.

(٣) هامش أ: براقش: اسم كلب دل بنباحه قوماً على أربابه فهلكوا. وفي «اللسان» (برقش) أفوال أخرى في مضرب المثل.

(٤) أ: «قال».

(٥) أي حتى يقتل.

(٦) الرستاق: الناحية في طرف الإقليم والقرى.

(٧) ح، والطبري: عبدالله.

(٨) استسقى: أصابه السقي، بفتح السين وكسرهما، وهو ماء يقع في البطن.

عمرو بن الحمق يقع أسيراً ورفاعة ينجو بنفسه

وأما رفاعة فكان شاباً قوياً فوثب على فرس له جواد، وقال لعمرو: أقاتلُ عنك. قال: وما ينفعني أن تقتل؟ انجُ بنفسك، فحمل عليهم، فأفرجوا له حتى / أخرجه فرسه، وخرجت الخيلُ في طلبه، وكان رَاميًّا فلم يلحقه ^٧/_{١٦} فارسٌ إلا رمَاه، فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه؛ فأخذ ^(١) عمرو بن الحمق، فسأله: مَنْ أنت؟ فقال: مَنْ إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضراً عليكم، فسأله فأبى أن يخبرهم، فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان، وهو ابن أمِّ الحكم، الثقفي، فلما رأى عمرو عرفه. معاوية يأمر بقتل عمرو بن الحمق

فكتب إلى معاوية يخبره. فكتب إليه معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات، وإنه لا يُتعدى ^(٢) عليه، فأطعته تسع طعنات كما طعن عثمان. رأس ابن الحمق يحمل إلى معاوية

فأخرج فطعن تسع طعنات، فمات في الأولى منهن أو في الثانية، وبعث برأسه إلى معاوية؛ فكان رأسه أول رأس حُمِل في الإسلام. زياد يطلب من صيفي بن فسيل أن يعلن علياً فبابي

وجَدَّ زياد في طلب أصحاب حُجر وهم يهربون منه، ويأخذ مَنْ قدر عليه منهم، فجاء قيس بن عباد الشيباني إلى زياد، فقال له: إن امرأً منا يقال له صيفي بن فسيل ^(٣)، من رؤوس أصحاب حُجر، وهو أشدُّ الناس عليك؛ فبعث إليه فأتي به، فقال له زياد: يا عدوَّ الله، ما تقولُ في أبي تُراب؟ فقال: ما أعرف أبا تُراب، قال: ما أعرفك ^(٤) / ١٤٥/١٧ به! أما تعرفُ عليَّ بن أبي طالب! قال: بلى، قال: فذاك أبو تُراب، قال: كلا، فذاك أبو الحسن والحسين. فقال له صاحب الشرطة: أيقولُ لك الأميرُ هو أبو تُراب وتقول أنت: لا! قال: أفان كذب الأميرُ أردت أن أكذب وأشهد له بالباطل كما شهد! قال له زياد: وهذا أيضاً مع ذنبك، عليَّ بالعصي فأتني بها، فقال: ما قولك في علي! قال: أحسنُ قولٍ أنا قائله في عَبدٍ من عبيد الله أقوله في أمير المؤمنين. قال: اضربوا عاتقه بالعصي حتى يلصق بالأرض، فضرِب سى لصق بالأرض. ثم قال: أقلعوا عنه، ما قولك فيه؟ قال: والله لو شرحتني بالمُذني والمَواصي ما زلتُ ^(٥) عمًّا سمعت. قال: لتلعننه أو لأضربن عنقك. قال: إذا والله تضربها قبل ذلك، فأسعد وتَشقى إن شاء الله، قال: أوقروه حديداً واطرَحوه في السجن.

زياد يأمر رؤوس الأرباع أن يشهدوا على حجر وأصحابه

وجع زياد من أصحاب حُجر بن عدي اثني عشر رجلاً في السجن، وبعث إلى رؤوس الأرباع فأشخصهم، فحضرُوا، وقال: اشهدُوا على حُجر بما رأيتموه، وهم عمرو بن حُرَيْث، وخالد بن عُفْطَة، وقيس بن الوليد بن

(١) المختار: «فأخذوا».

(٢) الطبري: «وإننا لا نريد أن نتعدى عليه». وفي المختار: «وإننا لا نتعدى عليه».

(٣) المختار: «فسيل»، والمثبت يوافق ما في الطبري أيضاً. وفي المختار: ٣: ٣١٧، «فسيل» قال محققه: وفي تاريخ الإسلام للذهبي:

٢/ ٢٩٣: «فسيل - بالقاف - أو فسيل الربيعي، كوفي من شيعة علي، قتل صبراً مع حجر».

(٤) الطبري: ما قلت إلا ما سمعت.

عبد شمس بن المغيرة، وأبو بُرْدة بن أبي موسى، فشهدوا أَنَّ حَجْرًا جَمَعَ إِلَيْهِ الْجُمُوعَ، وَأَظْهَرَ شَتْمَ الْخَلِيفَةِ، وَعَيَّبَ زِيَادَ، وَأَظْهَرَ عُذْرَ أَبِي ثُرَابٍ وَالتَّرَحُّمَ عَلَيْهِ، وَالْبَرَاءَةَ مِنْ عَدُوِّهِ، وَأَهْلِي حَرْبِهِ، وَأَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَعَهُ رُؤُوسُ أَصْحَابِهِ، وَعَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ.

فَنَظَرَ زِيَادُ فِي الشَّهَادَةِ فَقَالَ: مَا أَظُنُّ هَذِهِ شَهَادَةً قَاطِعَةً، وَأَحِبُّ أَنْ يَكُونَ الشُّهُودُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةٍ.

فَكُتِبَ أَبُو بُرْدة بن أبي موسى:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا شَهِدَ عَلَيْهِ أَبُو بُرْدة بن أبي موسى / اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، شَهِدَ أَنَّ حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ خَلَعَ الطَّاعَةَ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَلَعَنَ الْخَلِيفَةَ، وَدَعَا إِلَى الْحَرْبِ وَالْفِتْنَةِ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ الْجُمُوعَ يَدْعُوهُمْ إِلَى نَكْثِ الْبَيْعَةِ، وَخَلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ، وَكَفَرَ بِاللَّهِ كُفْرًا صُلَعَاءً».

فَقَالَ زِيَادُ: عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ فَاشْهَدُوا، وَاللَّهِ لَا جَهْدَنَ فِي قَطْعِ عُنُقِ الْخَائِنِ الْأَحْمَقِ، فَشَهِدَ رُؤُوسُ الْأَرْبَاعِ الثَّلَاثَةِ الْآخَرُونَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ، فَقَالَ: اشْهَدُوا عَلَى مِثْلِ مَا شَهِدَ عَلَيْهِ رُؤُوسُ الْأَرْبَاعِ.

فَقَامَ عَثْمَانُ بْنُ شَرْحِبِيلِ التَّيْمِيِّ أَوَّلَ النَّاسِ، فَقَالَ: / اكْتُبُوا اسْمِي. فَقَالَ زِيَادُ: ابْدُءُوا بِقَرِيشٍ، ثُمَّ اكْتُبُوا اسْمَ مَنْ نَعْرِفُهُ وَيَعْرِفُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّحَّةِ وَالِاسْتِقَامَةِ. فَشَهِدَ إِسْحَاقُ وَمُوسَى وَإِسْمَاعِيلُ بَنُو طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَالْمَنْذَرُ بْنُ الزَّبِيرِ، وَعِمَارَةُ بْنُ عَقْبَةَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هَبَّارٍ، وَعُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَشَهِدَ عَنَانُ^(١)، وَوَاتِلُ بْنُ حُجْرٍ الْحَضْرَمِيُّ، وَضِرَارُ بْنُ هُبَيْرَةَ، وَشَدَادُ بْنُ الْمَنْذَرِ أَخُو الْحُضَيْنِ بْنِ الْمَنْذَرِ، وَكَانَ يُدْعَى ابْنَ بُرَيْعَةَ.

فَكُتِبَ شَدَادُ بْنُ بُرَيْعَةَ، فَقَالَ: أَمَّا لِهَذَا أَبُ يُنْسَبُ إِلَيْهِ، أَلْعَنُوا هَذَا مِنَ الشُّهُودِ. فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ أَخُو الْحُضَيْنِ بْنِ الْمَنْذَرِ، فَقَالَ: انْسَبُوهُ إِلَى أَبِيهِ، فَتُنْسَبُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ شَدَادًا، فَقَالَ: وَالْهَفَاءُ عَلَى ابْنِ الزَّانِيَةِ؟ أَوْ لَيْسَتْ أُمُّهُ أَعْرَفَ مِنْ أَبِيهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا يُنْسَبُ إِلَّا إِلَى أُمِّهِ سُمَيَّةَ.

وَشَهِدَ حَجَّارُ بْنُ أَبِجَرَ الْعَجَلِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ، وَلَبِيدُ بْنُ عَطَّارٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمِيرِ بْنِ عَطَّارٍ، وَأَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ، وَشَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ، وَزُخْرُ بْنُ قَيْسِ الْجَعْفِيِّ، وَشَبَّثُ بْنُ رَبِيعٍ، وَسِمَاكُ بْنُ مَخْرَمَةَ الْأَسَدِيِّ [١٤٧/١٧] صَاحِبُ مَسْجِدِ سِمَاكٍ، وَدَعَا الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ^(٢)، وَعُرْوَةُ بْنُ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ / إِلَى الشَّهَادَةِ فَرَاغًا، وَشَهِدَ سَبْعُونَ رَجُلًا.

وَإِثْلُ بْنُ حَجْرٍ وَكَثِيرُ بْنُ شَهَابٍ يَذْهَبَانِ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِكِتَابِ زِيَادٍ وَمَعَهُمَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ حَجْرٍ وَدَفَعَ ذَلِكَ إِلَى وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ، وَكَثِيرُ بْنُ شَهَابٍ، وَبَعَثَهُمَا عَلَيْهِمَا وَأَمَرَهُمَا^(٣) أَنْ يَخْرِجُوهُمْ.

وَكُتِبَ فِي الشُّهُودِ شَرِيحُ بْنُ الْحَارِثِ، وَشَرِيحُ بْنُ هَانِيٍّ. فَأَمَّا شَرِيحُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَالَ: سَأَلَنِي عَنْهُ فَقُلْتُ: أَمَّا إِنَّهُ كَانَ صَوَامًا قَوَامًا. وَأَمَّا شَرِيحُ بْنُ هَانِيٍّ فَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ شَهَادَتِي كُتِبَتْ فَأَكْذَبْتُهُ، وَلَعْنَتُهُ.

وَجَاءَ وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ وَكَثِيرُ بْنُ شَهَابٍ فَأَخْرَجَا الْقَوْمَ عَشِيَّةً، وَسَارَ مَعَهُمْ أَصْحَابُ الشَّرْطِ حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ، فَلَمَّا

(١) أ: «عَفَان»، وَفِي الطَّبْرِيِّ: «عَنَانُ بْنُ شَرْحِبِيلٍ».

(٢) الْمُخْتَارُ: «ابْنُ عُبَيْدَةَ»، وَالْمُثَبِّتُ يُوَافِقُ مَا فِي الطَّبْرِيِّ أَيْضًا.

(٣) أ: «وَأَمَرَهُمْ».

انتهوا إلى جبانة عَزَزَمَ^(١) نظر قبيصة بن ضبيعة العبسي إلى داره في جبانة عَزَزَمَ، فإذا بنائه مشرفات، فقال لوائل وكثير: أدنياني أوص أهلي، فأذنياه. فلما دنا منهم بكين، فسكت عنهن ساعة، ثم قال: اسكنن، فسكنن، فقال: اتقين الله واصبرن، فلاني أرجو من ربي في وجهي هذا خيراً: إحدى الحسينين؛ إما الشهادة فنعم سعادة، وإما الانصراف إليكن في عافية؛ فإن الذي كان يرزقكن ويكفيني مؤنتكن هو الله تبارك وتعالى وهو حي لا يموت، وأرجو ألا يضيعكن، وأن يحفظني فيكن. ثم انصرف، فجعل قومه يدعون له بالعافية.

وجاء شريح بن هانئ بكتاب، فقال: بلغوا هذا عني أمير المؤمنين، فتحمله وائل بن حجر.

ومضوا بهم حتى انتهوا^(٢) إلى مرج عذراء^(٣)، فحبسوا به وهم على أميال من دمشق، وهم: حجر بن عدي الكندي، والأرقم بن عبد الله الكندي، / وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل^(٤) الشيباني، وقبيصة بن [١٧/١٤٨] ضبيعة العبسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوف البجلي، ووزقاء بن سمي البجلي^(٥)، وكدام بن حيان، وعبد الرحمن بن حسان العنزيان، ومحرز بن شهاب العنقري، وعبد الله بن جوية التميمي، وأتبعهم زياد برجلين، وهما عتبة بن الأخنس السعدي، وسعيد بن نمران الهمداني الناعطي، فكانوا أربعة عشر.

كتاب زياد إلى معاوية

فبعث معاوية إلى وائل بن حجر وكثير، فأدخلهما، وفض كتابهما، وقرأه على أهل الشام:

«بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين، من زياد بن أبي سفيان.

أما بعد، فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء فأداله^(٦) من عدوه، وكفاه مؤونة من يغي عليه، إن طواغيت^(٧) الترابية السابة رأسهم حجر بن عدي، خلعوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا^(٨) ٩ حرباً فأطفاها الله عليهم، وأمكننا منهم، وقد دعوت خيار أهل المصير وأشرفهم وذوي النهى والدين، فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا، وقد بعثت إلى أمير المؤمنين، وكتبْتُ شهادة صلحاء أهل المصير وخيارهم في أسفل كتابي هذا.

/ فلما قرأ الكتاب قال: ما ترون في هؤلاء؟ فقال^(٩) يزيد بن أسد البجلي: أرى أن تفرقهم في قرى الشام، [١٧/١٤٩] فتكفيهم طواغيتهم^(١٠).

كتاب شريح بن هانئ إلى معاوية

ودفع وائل كتاب شريح إليه، فقرأه وهو:

(١) هي بالكس.

(٢) أ: «مضوا حتى انتهى بهم».

(٣) مرج عذراء بقطعة دمشق (/).

(٤) انظر حاشية ٤ ص ١٤٤.

(٥) الطبري: «ثم الناعطي».

(٦) أ: «فأدركه»، وفي المختار: «أذل له الأعداء».

(٧) الطواغيت: جمع طاغوت، وهو الكثير الطغيان.

(٨) في أ: «قال».

(٩) ج، م، المختار: طواغيتهم.

«بسم الله الرحمن الرحيم.

لعبد الله معاوية أمير المؤمنين، من شريح بن هانيء.

أما بعد؛ فقد بلغني أنّ زياداً كتب إليك بشهادتي على حُجر، وإن شهادتي على حُجر أنه ممن يُقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرامُ المال والدم، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه. معاوية يكتب إلى زياد بحيرته في أمر حُجر وأصحابه، وزياد يرد عليه بطلب عقابهم

فقرأ كتابه على وائل، وقال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم. فحبس القوم بعد هذا، وكتب إلى زياد:

«فهمتُ ما اقتضت من أمر حُجر وأصحابه والشهادة عليهم، فأحياناً أرى أنّ قتلهم أفضل، وأحياناً أرى أنّ العفو أفضل من قتلهم».

فكتب زياد إليه مع يزيد بن حُجّية التيمي: «قد عجبْتُ لاشتباه الأمر عليك فيهم مع شهادة أهل مِصرهم عليهم، وهم أعلمُ بهم؛ فإن كانت لك حاجة في هذا المِصر فلا تردن حُجراً وأصحابه إليه. حُجر يطلب إبلاغ معاوية تمسكه ببيعته

فمرَّ يزيد بحُجر وأصحابه فأخبرهم بما كتب به زياد، فقال له حُجر: أبلغ أمير المؤمنين أنا على بيعته لا نقيلها ولا نستقبلها، وإنما شهد علينا الأعداء والأطناء^(١).

/ فقدم يزيد بن حُجّية على معاوية بالكتاب، وأخبره بقول حُجر. فقال معاوية: زياد أصدق عندنا من حُجر. [١٥٠/١٧]

وكتب جرير بن عبد الله في أمر الرجلين اللذين من بَجيلة، فوهبهما له وليزيد بن أسد، وطلب وائل بن حجر في الأرقم الكندي، فتركه، وطلب أبو الأعور في عتبة بن الأخنس فوهبه له، وطلب حمزة بن مالك الهمداني في سعيد بن نمران فوهبه له، وطلب^(٢) حبيب بن مسلمة في عبد الله بن جُوَيّة التيمي فخلّى سبيله.

فقام مالك بن هُبيرة، فسأله في حُجر فلم يشفعه؛ فغضب وجلس في بيته. وبعث معاوية هُذبة^(٣) بن قِيَاض القضاعي والحُصين بن عبد الله الكلابي، وآخر معهما يقال له أبو صَريف البدري، فأتوهم عند المساء، فقال الخُصمي حين رأى الأعور: يُقتل نصفنا ويُنَجو نصفنا. فقال سعيد بن نمران: اللهم اجعلني ممن ينجو، وأنت عني راض. فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي: اللهم اجعلني ممن يُكرّم بهوانهم وأنت عني راض، فطالما عرّضت نفسي للقتل، فأبى الله إلا ما أَرَاد.

رسول معاوية يطلب من أصحاب حجر لعن علي فيأبون

فجاء رسول معاوية إليهم فإنه لمعهم إذ جاء رسول بتخليّة سبّة منهم وبقي ثمانية. فقال لهم رسول^(٤) معاوية:

(١) الأطناء: المتهمون.

(٢) المختار: «وتكلم».

(٣) بيروت: «هدية»، بالياء المشددة، والهاء المفتوحة.

(٤) كذا في ح، والطبري، وفي أ، م، ب، س: «رسل».

إِنَّا قَدْ أَمَرْنَا أَنْ نَعْرِضَ عَلَيْكُمُ الْبَرَاءَةَ مِنْ عَلِيٍّ وَاللَّعْنَ لَهُ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ هَذَا تَرَكْنَاكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ قَتَلْنَاكُمْ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَزْعُمُ أَنَّ دِمَاءَكُمْ قَدْ حُلَّتْ بِشَهَادَةِ أَهْلِ مِصْرِكُمْ عَلَيْكُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ عَفَا عَنْ ذَلِكَ فَأَبْرَأُوا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ يُخْلِي سَبِيلَكُمْ. قالوا: لَسْنَا فَاعِلِينَ؛ فَأَمَرَ^(١) / بَقِيُودَهُمْ^(٢) فَحُلَّتْ، وَأَتَيْ بِأَكْفَانِهِمْ فَقَامُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ يَصَلُّونَ. فلما أَصْبَحُوا [١٧١/١٥١] قال أصحاب معاوية: يَا هَؤُلَاءِ، قَدْ رَأَيْنَاكُمْ الْبَارِحَةَ أَطَلْتُمْ الصَّلَاةَ، / وَأَحْسَنْتُمْ الدُّعَاءَ، فَأَخْبِرُونَا مَا قَوْلُكُمْ فِي ١٦ عِثْمَانَ، قالوا: هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَارَ فِي الْحَكْمِ، وَعَمِلَ بِغَيْرِ الْحَقِّ. فقالوا: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ أَعْرَفَ بِكُمْ. ثُمَّ قَامُوا إِلَيْهِمْ وَقَالُوا: تَبْرَأُونَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ؟ قالوا: بَلْ نَتَوَلَّاهُ.

فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا يَقْتُلُهُ، فَوَقَعَ قَبِيصَةُ فِي يَدَي أَبِي صَرِيفِ الْبَدْرِيِّ، فَقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ: إِنَّ الشَّرَّ بَيْنَ قَوْمِي وَقَوْمِكَ أَمِينٌ^(٣)، أَيِ آمَنَ فَلْيَقْتُلْنِي غَيْرُكَ، فَقَالَ: بَرَّتْكَ رَحِمٌ. فَأَخَذَ الْحَضْرَمِيُّ فَقَتَلَهُ. وَقَتَلَ الْقَضَاعِيُّ صَاحِبَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ حُجْرٌ: دَعُونِي أَصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا تَوَضَّأْتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ، فَقَالُوا لَهُ: صَلِّ، فَصَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُ صَلَاةً قَطُّ أَقْصَرَ مِنْهَا، وَلَوْلَا أَنْ يَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ لَأَخْبَيْتُ أَنْ أَسْتَكْثِرَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: االلَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعْدِيكَ عَلَى أُمَّتِنَا، فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ شَهِدُوا عَلَيْنَا، وَإِنْ أَهْلَ الشَّامِ يَقْتُلُونَنَا، أَمَّا وَاللَّهِ لَنُثْنِ قَتَلْتُمُونَا فَإِنِّي أَوَّلُ فَارِسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَلَكَ^(٤) فِي وَادِيهَا، وَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَبَحَتْهُ كِلَابُهَا، فَمَشَى إِلَيْهِ هُذْبَةُ بْنُ الْفَيَّاضِ الْأَعُورُ بِالسَّيْفِ، فَأَرَعَدَتْ خَصَائِلُهُ^(٥)، فَقَالَ: كَلَّا، زَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ، فَإِنَّا نَدْعُكَ، فَأَبْرَأُ مِنْ صَاحِبِكَ. فقال: مَا لِي لَا أَجْزَعُ، وَأَنَا أَرَى قَبْرًا مُحْفُورًا، وَكَفَنًا مَنْشُورًا، وَسِقْفًا مَشْهُورًا، وَإِنِّي وَاللَّهِ إِنْ جَزَعْتُ لَا أَقُولُ مَا يُسَخِّطُ الرَّبَّ، فَقَتَلَهُ.

/ أَمْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ وَكَرِيمِ بْنِ عَفِيفٍ مَعَ مَعَاوِيَةَ كَمَا فِي رِوَايَةِ أَبِي حَسَّانَ

وَأَقْبَلُوا يَقْتُلُونَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّى قَتَلُوا سِتَّةً نَقَرُوا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ وَكَرِيمُ بْنُ عَفِيفٍ^(٦): اابْعَثُوا بِنَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَنَحْنُ نَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مِثْلَ مَقَالَتِهِ. فَبْعَثُوا إِلَى مَعَاوِيَةَ فَأَخْبَرُوهُ، فَبَعَثَ: ااثْنُونِي بِهِمَا. فَالْتَفَتَا إِلَى حُجْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْعَنْزِيُّ: لَا تَبْعِدْ يَا حُجْرُ، وَلَا يَبْعِدُ مِثْلُكَ؛ فَنَعَمْ أَخُو الْإِسْلَامِ كُنْتُ، وَقَالَ الْخُثْعَمِيُّ نَحْوَ ذَلِكَ. ثُمَّ مَضَى بِهِمَا، فَالْتَفَتَ الْعَنْزِيُّ، فَقَالَ مَتَمَثِّلًا:

كَفَى بِشَفَاةِ الْقَبْرِ^(٧) بَعْدًا لِهَالِكٍ وَبِالْمَوْتِ قَطَاعًا لِحَبْلِ الْقَرَائِنِ

فلما دَخَلَ عَلَيْهِ الْخُثْعَمِيُّ قَالَ لَهُ: االلَّهُ اللَّهُ يَا مَعَاوِيَةُ! إِنَّكَ مَنقُولٌ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الزَّائِلَةِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ الدَّائِمَةِ، وَمَسْئُولٌ عَمَّا أَرَدْتَ بِقَتْلِنَا، وَفِيمَا سَفَكْتَ دِمَاءَنَا. فقال: مَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ؟ قَالَ: أَقُولُ فِيهِ قَوْلَكَ، أَتَبْرَأُ مِنْ دِينِ عَلِيٍّ الَّذِي كَانَ يَكْدِينُ اللَّهُ بِهِ! وَقَامَ شَمِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخُثْعَمِيُّ فَاسْتَوْهَبَهُ، فَقَالَ: هُوَ لَكَ، غَيْرَ أَنِّي حَاجِبُهُ شَهْرًا، فَجَبَسَهُ، ثُمَّ

(١) فِي أ، م، ب، س: «فَأَمَرُوا» وَالْمَثْبُتُ مِنَ الْمَخْتَارِ وَالطَّبْرِيِّ.

(٢) الطَّبْرِيُّ: «فَأَمَرَ بِقَبُورِهِمْ فَحُفِرَتْ».

(٣) س: «أَمِنَ»، وَكَذَلِكَ فِي الطَّبْرِيِّ.

(٤) أ وَالطَّبْرِيُّ: «هَلَكَ».

(٥) الْخَصِيلَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ، أَوْ لَحْمُ الْفَخْزَيْنِ وَالْعَضْدَيْنِ وَالذَّرَاعَيْنِ، أَوْ كُلُّ عَصَبَةٍ فِيهَا لَحْمٌ غَلِيظٌ، وَالْجَمْعُ خَصَائِلُ. وَفِي

«بِيرُوتَ»: «فَصَائِلُهُ».

(٦) أ: «عَقِيفٌ».

(٧) شَفَاةُ الْقَبْرِ: حَرْفُهُ وَمَدْخَلُهُ.

أطلقه على ألا يدخل الكوفة ما دام له سلطان. فنزل الموصل، فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر.

وأقبل على عبد الرحمن بن حسان، فقال له: يا أخا ربيعة، ما تقول في علي؟ قال: أشهد أنه من الذاكرين الله كثيراً والآخرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والعافين عن الناس. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، وأزج أبواب الحق. قال: قتلت نفسك. قال: / بل إياك قتلت، لا ربيعة بالوادي؛ يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه.

فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه: إن هذا شر من بعثت به، فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها واقتله شر قتلة. فلما قُدم به على زياد بعث به إلى قس الناطف^(١)، فدفعته حياً.

قال أبو مخنف، عن رجاله: فكان من قُتل منهم سبعة نفر: حجر بن عدي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل^(٢) الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، / ومحرز بن شهاب المنقري^(٣)، وكدام بن حيّان العنزي وعبد الرحمن بن حسان العنزي. ونجا منهم سبعة: كريم بن عفيف الخثعمي، وعبد الله بن جؤية^(٤) التميمي، وعاصم بن عوف البجلي، ووزقاء بن سمي البجلي، وأرقم بن عبد الله الكندي، وعتبة بن الأخنس السعدي من هوازن، وسعيد بن نمران الهمداني.

وبعث معاوية إلى مالك بن هبيرة لما غضب بسبب حجر مائة ألف درهم، فرضي.

قال أبو مخنف: فحدثني ابن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، قال: أدركت الناس يقولون: أول دُل دخل الكوفة قُتل حجر، ودعوة زياد، وقتل الحسين.

/ قال: وجعل معاوية يقول عند موته: أي يوم لي من ابن الأديب^(٥) طويل! [١٥٤/١٧]

عائشة تبعث عبد الرحمن بن الحارث إلى معاوية في أمر حجر وأصحابه

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق من بني عامر بن لؤي أن عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر وأصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ فقال: حين غاب عني مثلك من حلماء قومي، وحملني ابن سمية فاحتملت.

قال: وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لولا أنا لم تُغَيَّر شيئاً قط إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر، أما^(٦) والله إن كان لمُسْلِمًا ما علمته حاجاً معتمراً.

(١) أ والمختار: «قس الناطف». وقس الناطف: موضع قرب الكوفة (باقوت).

(٢) انظر ما سبق ص ١٤٤ حاشية ٤.

(٣) الطبري: «السعدي».

(٤) الطبري: «حوية».

(٥) ابن الأديب: لقب حجر بن عدي. «القاموس».

(٦) كذا في الطبري والمختار، وفي باقي الأصول: «أم».

وقالت امرأة من كتدة ترثي حُجراً^(١):

تَرْفَعُ أَثْمَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ لَعَلَّكَ أَنْ تَرَى حُجْرًا يَسِيرُ^(٢)
 يسير إلى معاوية بن حرب لِيَقْتُلَهُ كَمَا زَعَمَ الْأَمِيرُ
 ألا يا ليت حُجْرًا مَاتَ مَوْتًا وَلَمْ يُنْخَرْ كَمَا نُحَرِّبُ الْبَعِيرُ
 تَرْفَعْتَ الْجَبَابِرَ بَعْدَ حُجْرٍ وَطَابَ لَهَا الْخَوَزَنْقُ وَالسَّيْدِيرُ^(٣)
 وأصبحت البلاد له مُحُولًا كَانَ لَمْ يُحْيِهَا مُزْنٌ^(٤) مَطِيرُ
 / ألا يا حُجْرُ حُجْرَ بَنِي عَدِيٍّ تَلَقَّيْتُكَ السَّلَامَةَ وَالسَّرُورُ
 أَخَافُ عَلَيْكَ سَطْوَةَ آلِ حَرْبٍ^(٥) وَشِخَافَ فِي دِمَشْقَ لَهُ زَيْرُ
 يرى قَتْلَ الْخِيَارِ عَلَيْهِ حَقًّا لَهُ مِنْ شَرِّ أُمَّتِهِ وَزَيْرُ
 فَإِنْ تَهْلِكُ فَكُلُّ زَعِيمٍ قَوْمٍ إِلَى هُلُوكِ^(٦) مِنَ الدُّنْيَا يَصِيرُ

[١٥٥/١٧]

[١٥٦/١٧]

أصوت

أَحْرُ! إِذَا رَأَيْتُ جَمَالَ سَعْدَى وَأَبْكِي إِنْ رَأَيْتُ لَهَا قَرِينَا^(٧)
 وَقَدْ أَفَدَ الرَّحِيلَ^(٨) فَقُلْ لِسَعْدَى: لِعَمْرِكَ خَبْرِي مَا تَأْمُرِينَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، يقوله في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف. والغناء لابن سريج، رمل بالوسطى، عن حبش. وقد قيل: إن عمر قال هذا البيت مع بيت آخر في ليلي بنت الحارث بن عوف المرّي. وفيه أيضاً غناء، وهو:

أصوت

أَلَا يَا لَيْلَ! إِنَّ شِفَاءَ نَفْسِي نَوَالِكَ إِنْ بَخَلْتَ فزودِينَا^(٩)
 وَقَدْ أَفَدَ الرَّحِيلَ وَحَانَ مَنَّا فِرَاقُكَ فَاَنْظُرِي مَا تَأْمُرِينَا
 / غَنَى بِهِ الْغَرِيضُ ثَقِيلًا أَوَّلَ بِالْبَنْصَرِ، عَنْ عَمْرٍو وَحَبَشَ، وَفِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ يُقَالُ إِنَّهُ أَيْضًا لِلْغَرِيضِ. وَمِنْ ١١
 النَّاسِ مَنْ يَنْسِبُهُ إِلَى ابْنِ سَرِيحٍ.

(١) هي هند بنت زيد الأنصارية؛ وانظر ما سبق ص ١٣٢.

(٢) وكذا في المختار. وفي الطبري: «تبصر هل ترى حَجْرًا يسير».

(٣) س: «تربعت»، وفي الطبري: «تجبرت». والخوزنق: قصر كان يظهر الحيرة. والسدير: قصر كان قريباً منه.

(٤) أ: «زمن».

(٥) الطبري: «أخاف عليك ما أُردي عدياً»، والمثبت في المختار أيضاً.

(٦) الطبري: «من الدنيا إلى ملك يصير».

(٧) ديوانه ٥٠٢.

(٨) أفد الرحيل: دنا وأزف.

(٩) ديوانه ٥٠٢.

/ [أخبار لعمر بن أبي ربيعة]

سعدى بنت عبد الرحمن تبعث إلى عمر بن أبي ربيعة تعظه
أخبرني حرمي، عن الزبير، عن طارق بن عبد الواحد، قال: قال عبد الرحمن المخزومي:
كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسة في المسجد، فرأت عمر بن أبي ربيعة في الطواف، فأرسلت
إليه: إذا قضيت طوافك فأتينا، فلما قضى طوافه أتانا فحادثها، وأنشدها، فقالت: ونحك يابن أبي ربيعة. ما تزال
ساذراً في حرم الله مُتَهَكِّأً، تتناول بلسانك ربّات الحجال من قريش؟ فقال: دعي هذا عنك، أما سمعت ما قلتُ
فيك؟ قالت: وما قلت في؟ فأنشدها:

أحسُّ إذا رأيتُ جمالَ سُعدى وأبكي إن رأيت لها قَرِيناً^(١)
أُسعدى إن أهلك قد أجَدُوا رحيلاً فانظُرِي ما تأمرينا
فقالت: أمرك بتقوى الله، وترك ما أنت عليه.

ابن أبي عتيق ينشد سعدى قول عمر
قال الزبير: وحدثني عبد الله بن مسلم، قال: أنشد عمر بن أبي ربيعة بن أبي عتيق قوله:

* أحسُّ إذا رأيتُ جمالَ سُعدى *

قال: فركب ابن أبي عتيق فأتى سعدى بالجناب من أرض بني فزارة. فأنشدها قول عمر، وقال لها:
ما تأمرين؟ فقالت: أمره بتقوى الله يابن الصديق.

[١٥٨/١٧] يستوقف ليلي بنت الحارث بن عوف وينشدها

قال الزبير: وحدثني طارق بن عبد الواحد، عن أبي عبيدة، عن عبد الرحمن المخزومي، قال:
لقي عمر بن أبي ربيعة ليلي بنت الحارث بن عوف المري، وهو يسير على بغلة، فقال لها: قفي أسمعك
بعض ما قلتُ فيك؟ فوقفت، فقال:

ألا يا ليل إن شفاء نفسي نوالك إن بخلت فنولينا
قال: فما بلغنا أنها ردت عليه شيئاً، ومضت.

وقد روى هذا الخبر إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن مَعْن، فذكر أن ابن أبي عتيق إنما مضى إلى ليلي بنت
الحارث بن عوف، فأنشدها هذا البيت، وهو الصحيح؛ لأن حلولها بالجناب من أرض فزارة أشبه بها منه بسعدى
بنت عبد الرحمن بن عوف. ورواية الزبير فيما أروى وهم لاختلاط الشعرين في سعدى وليلى.

خبر آخر لسعدى بنت عبد الرحمن معه

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن محمد بن سلام، قال:

كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسة في المسجد الحرام، فرأت عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت، فأرسلت إليه: إذا فرغت من طوافك، فائتينا، فأتاها، فقالت: ألا أراك يابن أبي ربيعة إلا سادراً في حرم الله! أما تخاف الله! ويحك إلى متى هذا السّفه! قال: أي هذه، دعي عنك هذا من القول. أما سمعت ما قلتُ فيك؟ قالت: لا، فما قلتُ؟ فأنشدها قوله^(١):

٥٩/١٧]

أصوات

قالت سَعِيدَةُ^(٢) والدموعُ ذَوَارِفُ
ليست المغيري الذي لم أجزه
كانت ترد لنا المني أيامنا
أُسْعِيدَ^(٣) ما ماء الفرات وطيبه
/ بالذم منك وإن نأيت وقلمنا
منها على الخدين والجلباب
فيما أطال تصيدي^(٤) وطلابي
إذ لا نلأم على هوى وتصابي
مني على ظمأ وحُب شراب
يُرْعَى النساءُ أمانة الغياب^(٥)

١٣
١٦

عروضه من الكامل، غنّاه الهذلي رملاً بالوسطى، عن الهشامي، وغنّاه الغريص خفيف ثقيل بالوسطى، عن عمرو.

فقالت: أخزأك الله يا فاسق، ما علّم الله أني قلت مما قلتَ خرفاً، ولكنك إنسانٌ بهوت^(٥).
وهذا الشعرُ تُغني فيهِ:

* قالت سَكِينَةُ والدموعُ ذَوَارِفُ *

وفي موضع:

* أُسْعِيدُ ما ماء الفرات وبزده *

أَسْكَيْنَ. وإنما غيّرهُ المغنّون: ولفظ عمر ما ذكر فيه في الخبر.

إسحاق يغني الرشيد شعر عمر في سَكِينَةَ

وقد أخبرني إسماعيل بن يونس، عن ابن شبة، عن إسحاق، قال: غنّيتُ الرشيد يوماً بقوله:

/ قالت سَكِينَةُ والدموعُ ذَوَارِفُ منها على الخدين والجلباب

١٠/١٧]

فوضع القدح من يده وغضب غضباً شديداً، وقال: لعنه الله الفاسق، ولعنك معه. فسقط في يدي، وعرفَ

(١) ديوانه ١١٩.

(٢) الديوان: «سَكِينَةُ».

(٣) س: «تصعدي».

(٤) الديوان: «أَسْكَيْنَ».

(٥) بهت، كمنعه: قال عليه ما لم يقل. والبهوت: المباهت.

ما بي، فسكن، ثم قال: ويحك! أتغنيني بأحاديث الفاسق ابن أبي ربيعة في بنت عمي، وبنت رسول الله ﷺ! ألا تتحفظ في غنائك وتدري ما يخرج من رأسك! عُدْ إلى غنائك الآن، وانظر بين يديك. فتركت هذا الصوت حتى أنسيته، فما سمعه مني أحد بعده. والله أعلم.

/ صوت

[١٦١/١٧]

فلا زال قَبْرُ بُنَى وَجَاسِمٍ عليه من الوسمي جَوْدٌ وَوَابِلٌ^(١)
 فنبئت حَوْذَاناً وَعَوْفاً مُتَوَرّاً سأتبعه من خير ما قال قائلٌ^(٢)

عروضه من الطويل، والشعر لحسان^(٣) بن ثابت الأنصاري. وهذا القبر الذي ذكره حسان فيما يقال قبر الأيهم بن جبلة بن الأيهم الغساني. وقيل: إنه قبر الحارث بن مارية الجفني، وهو^(٤) منهم أيضاً. والغناء لعزة الميلاء، خفيف ثقيل، أول بالوسطى، مما لا يشك فيه من غنائها. وقد نُسب قوم إلى ابن عائشة، وذلك خطأ.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

(١) تبني: بلدة بحوران من أعمال دمشق. الوسمي: أول المطر. المجرى: الغزير.

(٢) «البلدان»: «سأهدى له». الحوذان والعوف: نباتان طيبا الرائحة.

(٣) البيهقي نسبهما ياقوت ٢: ٣٦٤ إلى النابغة، وقد وردا في ديوانه ٨٤ مع اختلاف في الرواية.

(٤) «بيروت»: «وهم».

/ أخبار عزة الميلاء

[١٦٢/١٧]

كانت عَزَّةُ مولاةً للأنصار، ومسكنها المدينة، وهي أقدمُ مَنْ غَنَّى الغناءَ الموقَّع من النساءِ بالحجاز، وماتت قبلَ جَمِيلَةٍ، وكانت من أجملِ النساءِ وَجْهاً، وأحسنهنَّ جِسْماً، وسُمِّيَتْ الميلاء؛ لتمايلها في مشيها. سبب تسميتها الميلاء

وقيل: بل كانت تلبسُ المَلَاءَ، وتَشْبهُ بالرجال، فسُمِّيَتْ بذلك. وقيل: بل كانت مغرمة بالشراب، وكانت تقول: خذْ مِلْئاً^(١) وارْدُدْ فارغاً. ذكر ذلك حماد بن إسحاق، عن أبيه.

والصحيح أنها سُمِّيَتْ الميلاء لَمَيلِها في مَشْيِها.

مكانتها في الموسيقى والغناء

قال إسحاق: ذكر لي ابنُ جامع، عن يونس الكاتب، عن مَعْبُد، قال: كانت عَزَّةُ الميلاء ممَّن أحسنَ ضرباً بعود، وكانت مطبوعةً على الغناء، لا يُعَيِّبُها أدائها ولا صِنْعَتُهُ ولا تَأْلِيْفُهُ، وكانت تغني أغانيَ القِيانِ من القدائم، مثل سيرين^(٢)، وزرنب، وخولة، والرباب، وسلمى، ورائقة، وكانت رائقةً أستاذتها. فلما قدم نشيط وسائب خاثر المدينة غَنَّا أغانيَ الفارسية، فَلَقِنتْ عَزَّةُ عنهما نغماً، وألَّفت عليها ألحاناً عجيبة، فهي أولُ مَنْ فَتَنَ أهلَ المدينة بالغناء، وحرَّضَ نساءَهم ورجالَهم عليه.

رأي مشايخ أهل المدينة فيها

قال إسحاق: وقال الزُّبَيْرُ: إنه وجد مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عَزَّةً قالوا: اللَّهُ دَرُّها! ما كان أحسنَ / غناءها، ومدَّ^(٣) صوتها، وأندى حَلْقها، وأحسنَ ضَرْبها بالمزاهر والمعازف وسائر المِلاهي، وأجملَ وَجْهها،^{١٤} / وأظرف لسانها، وأقرب مجلسها، وأكرم حُلُقها، وأسخى نفسها، وأحسن مساعدتها.

[١٦٣/١٧]

قال إسحاق: وحدثني أبي، عن سياط، عن مَعْبُد، عن جميلة، بمثل ذلك من القول فيها.

أخذ عنها ابن سريج وابن معمر

قال إسحاق: وحدثني أبي، عن يونس، قال:

كان ابنُ سُرَيْج في حَدائِثِ سِنِّه يأتي المدينة، فيسمعُ مِنْ عَزَّةَ ويتعلَّمُ غناءها، ويأخذُ عنها، وكان بها مُعْجَباً،

(١) الملاء، بالكسر: اسم ما يأخذه الإناء إذا امتلأ. وفي «المختار»: «ملاء».

(٢) «بيروت»: «شيرين».

(٣) «المختار»: «وأحل صوتها».

وكان إذا سُئل: مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ غَنَاءً؟ قال: مولاة الأنصار المفضلة على كلِّ مَنْ غَنَى وضرب بالمعازف والعيّدان مِنَ الرّجالِ والنّساءِ.

قال: وحدثني هشام بن المُرتبة أنّ ابن مُحرز كان يُقيم بمكة ثلاثة أشهر، ويأتي المدينة فيقيم بها ثلاثة أشهر من أجل عزة، وكان يأخذ عنها.

رأي طويس فيها

قال إسحاق: وحدثني الجمحي، عن جُرير^(١) المغنّي المدني، أنّ طويساً كان أكثر ما يأوي إلى منزل عزة الميلاء، وكان في جوارها، وكان إذا ذكرها يقول: هي سيّدة مَنْ غَنَى من النساء، مع جمالٍ بارع، وخُلُقٍ فاضلٍ وإسلام لا يَشُوهُ دَنَسٌ؛ تأمّر بالخير وهي مِنْ أَهْلِهِ، وتَنَهَى عن السوء وهي مُجَانِبَةٌ^(٢) له، فناهيك ما كان أنبلها، وأنبل مجلسها!

ثم قال: كانت إذا جلست جُلوساً عاماً فكانَ الطير على رؤوس أهل مجلسها، مَنْ تكلم أو تحرك نقر رأسه. قال ابن سلام: فما ظنك بمن يقول: فيه طويس هذا القول! ومن ذلك الذي سلّم من طويس!

[١٦٤/١٧] / سمعها معبد وقد أسنت فأعجب بها

قال إسحاق: وحدثني أبو عبد الله الأسلمي، عن معبد:

أنه أتى عزة يوماً وهي عند جميلة وقد أسنت، وهي تغني على معزفة في شجر ابن الإطنابة، قال:

عَلَّانِي وَعَلَّأ صَاحِبِيَا وَاسْقِيَانِي مِنَ المَرُوقِ رِيًّا

قال: فما سمع السامعون قط بشيء أحسن من ذلك. قال معبد: هذا غناؤها، وقد أسنت، فكيف بها وهي شابة!

عمر بن أبي ربيعة يغشي عليه حين سمعها تغني شعره

قال إسحاق: وذكر لي عن صالح بن حسان الأنصاري، قال: كانت عزة مولاة لنا، وكانت عفيفة جميلة، وكان عبد الله بن جعفر، وابن أبي عتيق، وعمر بن أبي ربيعة يَغشَوْنَهَا في منزلها فتغنيهم. وغنت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره، فشق ثيابه، وصاح صيحة عظيمة صعق معها، فلما أفاق قال له القوم: لغيرك الجهل يا أبا الخطاب! قال: إني سمعتُ والله ما لم أملك مع نفسي ولا عقلي.

وقال إسحاق: وحدثني أبو عبد الله الأسلمي المدني، قال:

كان حسان بن ثابت مُعجِباً بعزة الميلاء. وكان يقدّمها على سائر قيان المدينة.

غنت شعراً لحسان بن ثابت فبكى

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن محمد بن الحسن الشامي، عن محرز بن جعفر، قال:

(١) كذا ضبط بالتصغير في أوالإكمال: ١٣١ أ.

(٢) في المختار: «وهي مجانبته».

حَتَنَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ بَنَتَهُ، فَأَوَّلَمَ؛ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَعَامَّةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَحَضَرَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ يَوْمَئِذٍ، وَثَقُلَ سَمْعُهُ، وَكَانَ يَقُولُ إِذَا دُعِيَ: «أَعْرُسُ أَمْ عِذَارُ»^(١)؟ فَحَضَرَ وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُهُ، فَكَانَ / يَسْأَلُهُ: «أَطْعَامُ يَدٍ أَمْ يَدَيْنِ؟ فَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى جَاءُوا بِالشَّوَاءِ»، [١٦٥/١٧] فَقَالَ: «طَعَامُ يَدَيْنِ؟ فَأَمْسَكَ يَدَهُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنَ الطَّعَامِ تُنِيتُ وَسَادَةً، وَأَقْبَلْتُ الْمَيْلَاءَ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ شَابَّةٌ، فَوَضَعَ فِي حَجَرِهَا مِزْهَرَ، فَضَرَبْتُ بِهِ، ثُمَّ تَغَنَّيْتُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا ابْتَدَأَتْ بِهِ شِعْرُ حَسَّانَ، قَالَ:

/ فَلَا زَالَ قَبْرُ يَتِيمٍ بُصْرَى وَجِلَقٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمِيِّ جَوْذٌ وَوَابِلٌ
فَطَرَبَ حَسَّانَ، وَجَعَلَتْ عَيْنَاهُ تَنْضَحَانِ، وَهُوَ مُضْغٍ لَهَا.

أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ، عَنْ ابْنِ شَبَّةَ، عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، قَالَ: «قُلْتُ لَخَارِجَةَ بِنْتُ زَيْدٍ: أَكَانَ يَكُونُ هَذَا الْغَنَاءُ عِنْدَكُمْ؟ قَالَ: كَانَ يَكُونُ فِي الْعُرُسَاتِ»^(٢) وَلَمْ يَكُنْ يُشْهَدُ بِمَا يُشْهَدُ بِهِ الْيَوْمَ مِنَ السَّعَةِ.

وَكَانَ فِي إِخْوَانِنَا بَنِي نَبِيطٍ مَادِبَةٍ، فَدُعِينَا، وَثُمَّ قِينَا أَوْ قَيْتَانِ تُشِيدَانِ شِعْرَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ^(٣):
انْظُرْ خَلِيلِي بِيَابَ جِلَقٍ هَلْ تُبْصِرُ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ؟^(٤)
قَالَ: وَحَسَّانُ يَبْكِي، وَابْنُهُ يُؤْمِيءُ إِلَيْهِمَا أَنْ زِيدًا؛ فَإِذَا زَادَنَا بَكَى حَسَّانَ، فَأَعْجَبَنِي مَا يُعْجِبُهُ مِنْ أَنْ تُبْكِيَ أَبَاهُ، وَقَدْ كُفَّ بَصَرُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَئِذٍ.

أَخْبَرَنَا وَكَيْعٌ، عَنْ حَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «سَمِعْتُ خَارِجَةَ بِنْتُ زَيْدٍ يَقُولُ: دُعِينَا إِلَى مَادِبَةٍ فِي آلِ نَبِيطٍ، قَالَ خَارِجَةُ: فَحَضَرَتْهَا، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ قَدْ حَضَرَهَا، فَجَلَسْنَا / جَمِيعاً عَلَى مَائِدَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، وَمَعَهُ ابْنَتُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَكَانَ إِذَا أَتَى [١٦٦/١٧] طَعَامَ سَأَلَ ابْنَتَهُ: «أَطْعَامُ يَدٍ أَمْ يَدَيْنِ؟ يَعْنِي بِالْيَدِ الثَّرِيدِ وَبِالْيَدَيْنِ الشَّوَاءُ؛ لِأَنَّهُ يُنْهَشُ نَهْشاً، فَإِذَا قَالَ: طَعَامُ يَدَيْنِ أَمْسَكَ يَدَهُ. فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الطَّعَامِ أَتَوْا بِجَارِيَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا رَائِقَةٌ وَالْأُخْرَى عَزَّةٌ، فَجَلَسْنَا وَأَخَذْنَا مِزْهَرِيهِمَا، وَضَرَبْنَا ضَرْباً عَجِيباً، وَغَنَّا بِقَوْلِ حَسَّانَ:

انْظُرْ خَلِيلِي بِيَابَ جِلَقٍ هَلْ تُبْصِرُ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ
فَأَسْمَعُ حَسَّاناً يَقُولُ:

* قَدْ أَرَانِي بِهَا^(٥) سَمِيعاً بَصِيراً *

وَعَيْنَاهُ تَدْمَعَانِ، فَإِذَا سَكْتَا سَكَتَ عَنْهُ الْبُكَاءُ، وَإِذَا غَنَّا بَكَى، فَكُنْتُ أَرَى ابْنَتَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِذَا سَكْتَا يُشِيرُ إِلَيْهِمَا أَنْ تَغْنِيَا، فَيَبْكِي أَبُوهُ، فَأَقُولُ: مَا حَاجَتُهُ إِلَى إِبْكَاءِ أَبِيهِ!.

(١) العرس: طعام الوليمة، والعدار: طعام البناء والختان.

(٢) س، ب: «العرسان». والعرسات: جمع عرس: طعام الوليمة، ويجمع على أعراس أيضاً.

(٣) ديوانه ١١٠.

(٤) جلق: اسم لكونة الغوطة، أو هي دمشق نفسها أو قرية من قرأها. والبلقاء من أعمال دمشق.

(٥) المختار: «هناك».

قال الواقدي: فحدثت بهذا الحديث يعقوب بن محمد الظفري، فقال: سمعت سَعِيد بن عبد الرحمن بن حَسَّان يقول: لما انقلب حَسَّان من مَادِبَة بني نَبِيط إلى منزله استلقى على فراشه، ووضع إحدَى رجله على الأخرى، وقال: لقد أذكرتني رائقة وصاحبها أمراً ما سمعته أذناي بُعِيد ليالي جاهليتنا مع جَبَلَة بن الأَينهم! فقلت: يا أبا الوليد! أكان القيان يَكُنُّ عند جبلة؟، فبتسم ثم جلس، فقال: لقد رأيتُ عشر قِيَان: خمس رُومِيَّات يغثين بالرومية بالبرابط، وخمس يُغَثِّين غناء أهل الحيرة، وأهداهنَّ إليه إِيَّاس بن قَبِيصة، وكان يقدِّ إليه مَنْ يُغَثِّيه من العرب من مَكَّة وغيرها، وكان إذا جلس للشرب فُرِش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين، وضرب له العنبرُ والمسك في صِحَافِ الفضة والذهب، وأتي بالمسك الصحيح في صِحَافِ الفضة، وأوقد له العُودُ المَتَدَّى^(١) إن كان / شاتياً، وإن كان صائفاً بَطْنُ بالثلج، وأتي هو وأصحابه بِكُسا صيفية يتفضلُ هو وأصحابه بها في الصيف، وفي الشتاء الفراء الفَنَك^(٢)، وما أشبهه، ولا والله ما جلستُ معه يوماً قط إلا خلع عليّ ثيابه التي عليه في ذلك اليوم، وعلى غَيْرِي من جلسائه، هذا مع حِلْمٍ عَمَّنْ جهل، وضَحِكٍ وبَذَلٍ من غير مَسْأَلَة، مع حُسْنِ وَجْهِ وحسن حديث، ما رأيتُ منه خَنَى قط ولا عَزْبَة، ونحن يومئذ على الشُّرك، فجاء الله بالإسلام فمحا به كلَّ كُفر، وتركنا الخَمْرَ وما كره، وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ / من التَّمْر، والفضيخ^(٣) من الزَّهر والرُّطب، فلا يشرب أحدكم ثلاثة أقداح حتى يصاحب صاحبه ويفارقها، وتضربون فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون!.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن أبي أيوب المديني، عن مصعب الزبيري، عن الضحَّاك، عن عثمان بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد مثله، وزاد فيه:

فلما فرغنا من الطعام نُقِل علينا جلوسُ حَسَّان، فأومأ ابنُه إلى عَزَة الميلاء فغنت:

انظُر خَلِيلِي بِبَابِ جِلْقِ هَلْ تُبْصِرُ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ

فبكى حَسَّان حتى سَدِرَ^(٤)، ثم قال: هذا عَمَلُ الفاسق، أما لقد كرهتم مجالستي، فقَبَّحَ اللهُ مجلسكم سائرَ اليوم، وقام فانصرف.

أخبرني حرمي، عن الزبير، عن عمه مصعب، قال:

ذكر هشام بن عروة، عن أبيه: أنه دُعِيَ إلى مَادِبَة في زَمَنِ عثمان، ودُعِيَ / حَسَّان ومعه ابنُه عبد الرحمن، ثم ذكر نحوه ما ذكره عمر بن شَبَّة عن الأصمعي في الحديث الأول، قال^(٥):

(١) في «بيروت»: «الهندي».

(٢) المختار: «فراء الفَنَك»، والفَنَك: جنس من الثعالب أصغر من الثعلب المعروف وفروته من أحسن الفراء.

(٣) الفضِيخ: عصير العنب، وشراب يتخذ من بسر مفضوخ وإن غلبه الماء. «القاموس».

(٤) سَدِر: أصابه شبه دوار وتحيير.

(٥) ديوانه ١١٠.

نسبة هذا الصوت

انظُرْ خليلي بيبابِ جَلَّتْ هل تُؤْنِسُ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدٍ
أَجْمَالِ شَعَثًا إِنْ هَبَطْنَ مِنْ أَلْ مَخْبِسِ بَيْنَ الْكُفَّانِ فَالسَّنَدِ^(١)
يُمَلِّنْ حُورًا^(٢) حُورَ الْمَدَامِ فِي الرِّئِطِ وَيَبْضُ السَّوْجُوءِ كَالْبَرْدِ
مِنْ دُونَ بُضْرَى وَدُونَهَا جَبَلِ الثَّلَاجِ عَلَيْهِ السَّحَابُ كَالْقَرْدِ^(٣)
إِنْسِي وَأَيْسِدِي الْمَخِيسَاتِ وَمَا يَقْطَعْنَ مِنْ كُلِّ سَرَبَخٍ جَدِيدِ^(٤)
أَهْوَى حَدِيدِ الثُّذُمَانِ فِي فَلَقِ الصُّبْحِ وَصَوْتِ الْمُسَامِرِ الْغَرْدِ
تَقُولُ شَعَثًا بَعْدَ مَا هَبَطْتَ بِصَوْرِ حُسْنِي مِنْ احْتَدَى بَلَدِي^(٥)
لَا أَخْذِشُ الْخَذَشَ بِالْحَيِيبِ وَلَا يَخْشَى نَدِيمِي^(٦) إِذَا انْتَشَيْتُ يَدِي

الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لعزة الميلاء، رمل بالنصر، وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى ابن محرز، وإلى عزة الميلاء. وإلى الهذلي في:

• تقول شعثاء بعد ما هبطت •

/ وما بعده من الأبيات، ثقيل أول مطلق في مجرى النصر عن إسحاق، وفيها لعبد الرحيم ثاني ثقيل [١٦٩/١٧] بالوسطى عن عمرو.



نسب شعثاء التي شبب بها حسان بن ثابت

وشعثاء هذه التي شبب بها حسان - فيما ذكر الواقدي ومصعب الزبيري - امرأة من أسلم، تزوجها حسان، وولدت منه بنتاً يقال لها أم فراس تزوجها عبد الرحمن بن أم الحكم. وذكر أبو عمرو الشيباني مثل ما ذكره في نسبها، ووصف أنه خطبها إلى قومها من أسلم فردوه، فقال يهجوهم^(٧):

لقد أتى عن بني الجزياء قولهم ودونهم قف جمدان فموضوع^(٨)
قد علمت أسلم الأرذال أن لها جاراً سيقتله في داره الجوع

(١) الديوان: «أجمال شعثاء قد هبطن». الكتبان، في «بيروت»: الطبان.

(٢) الديوان: «يحملن حوًا»، وحوًا، يريد نساء حوًا، والحوة: سمرة الشفة، وشفة حواء: تضرب إلى السواد. وحوار المدامع، يعني حور العيون.

(٣) القرد، بالتحريك: نفاية الصوف خاصة، ثم استعمل فيما سواه من الوبر والشعر والكتان. «اللسان» (قرد). وفي الديوان و«بيروت»: «كالقرد».

(٤) الديوان: «إني ورب». والمخيات: الإبل المذلة. والسربخ: الأرض البعيدة. وقيل: هي المضلة التي لا يهتدى فيها لطريق.

(٥) في «بيروت»:

• قمر حسن من أخذ يدي •

ورواية الديوان:

تقول شعثاء لسوف نفيق من ال ككاس لألفيت مشري العبد

(٦) الديوان: «... بالنديم... ولا يخشى جليسي».

(٧) ديوانه ٢٦٧.

(٨) الديوان: «ودونهم دف جمدان»، وجمدان موضوع: مكانان، وفي س وبيروت: «حمدان».

وَأَنْ سِيَمَنَّهُمْ مِمَّا نَوَّوْا حَسَبُ / لن يبلغ المجد والعلياء - مقطوع
وقد علّوا - زعموا - عني بأختهم / وفي الذرا حسبي^(١) والمجد مرفوع
ويل أم شعناء شيئاً تستغيث به / إذا تجلّ لها التّغظُ الأفقيع^(٢)
كانه في صلاها^(٣) وهي باركة / ذراعاً بئير من النّياط منزوع^(٤)

١٧ / ١٧٠ / أخبرني حرمي، عن الزبير، عن إبراهيم بن المنذر، عن أبي القاسم بن أبي الزناد، عن أخيه عبد الرحمن، عن أبيه، عن خارجة بن زيد، قال: / شعناء هذه بنت عمرو، من بني ماسكة من يهود، وكانت مساكن بني ماسكة بناحية القف، وكان أبو شعناء قد رأس اليهود التي تلي بيت الدراسة للتوراة، وكان ذا قدر فيهم، فقال حسان يذكر ذلك:

من شعر حسان في شعناء

هل في تصابي الكريم من فند / أم هل لمدى الأيام من نقد^(٥)
تقول شعناء: لو أفقت^(٦) عن الكا / س لأفقت مئير العبد
يأبى لي السيف واللسان وقو / م لم يضاموا كبدة الأسد
وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء.

ومما قاله حسان بن ثابت في شعناء، وغني به قوله^(٧):

ما هاج حسان رسوم المقام / ومظعن الحسي ومبنى الخيام
والثؤني قد هدم أعضاده / تقادّم العهد بوادي تهام
قد أدرك الواشون ما حاولوا / والحبل من شعناء رث رمام^(٨)
جنيّة أرقني طيفها / يذهب صبحاً ويرى^(٩) في المنام
هل هي إلا ظيعة مطفئ / مالفها السدر بنعقي برام^(١٠)
ترعى^(١١) غزلاً فاتراً طرفه / مضارب الخطو ضعيف البغام

(١) الديوان: «قد رغبوا زعموا... وفي الذرى نسي»....

(٢) التغظ: قيام الذكر وانتشاره، والمراد به الذكر نفسه. والأفقيع: الذي يتفقع وتسمع له صوتاً.

(٣) الصلا: وسط الظهر.

(٤) في الديوان:

* ذراع آدم من نطاء منزوع *

من نطاء، أي من عقبة نطاء. والعقبة: الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه. ونطاء: بعيدة.

(٥) نقد، كسمع، نفاداً ونفداً: فني. وهذا البيت لم يرد في ديوانه.

(٦) الديوان: «لو تفيق...».

(٧) ديوانه ٣٨٠.

(٨) في الديوان: «رث الزمام».

(٩) في الديوان: ... تذهب... وترى.

(١٠) برام: جبل من حرة سليم قرب المدينة. ونعفاء: جانباه. وفي أوس: «بنعف رام».

(١١) في «الديوان»: «ترجي».

[١٧١/١٧]

/ كَأَنَّ فَاهَا تَغْسِبُ بَارِدُ
شُجٍّ بِصَهْبَاءٍ لَهَا سَوْرَةٌ^(٢)
تَدْبُ فِي الْكَاسِ دَبِيحاً كَمَا^(٤)
مِنْ خَمْرِ بَيْسَانَ تَخَيَّرْتُهَا
يَسْعَى بِهَا أَحْمَرُ ذُو بُرْنُسٍ
يقول فيها^(٨):

قَوْمِي بَنُو النَّجَارِ إِذْ أَقْبَلْتُ شُهْبَاءَ تَرْمِي أَهْلَهَا بِالْقَتَامِ
لَا تَخْذِلِ الْجَارَ وَلَا تُسْلِمِ الْمَوْلَى وَلَا تُخْصِمِ يَوْمَ الْخِصَامِ

الشعر لحسان، والغناء لمعبد، خفيف رمل بإطلاق الوتر في مَجْرَى الوسطى في البيت الأول من الأبيات، والرابع والتاسع والحادي عشر. وذكر الهشامي أن فيه لحناً لابن سُرَيْجٍ من الرمل بالوسطى. وهذه الأبيات يقولها حسان في حَرْبٍ كانت بينهم^(٩) وبين الأوس، تُعْرَفُ بحرب مُزاحم، وهو حصن من حصونهم.

شعر لحسان في حرب بين الأوس والخزرج

أخبرني بخبره حرمي عن الزبير، عن عمه مصعب، قال:

/ جمعت الأوس وحشدت بأحلافها، ورأسوا عليهم أبا قيس بن الأسلت يومئذ، فسار بهم حتى كان قريباً من [١٧٢/١٧] مُزاحم. وبلغ ذلك الخزرج، فخرجوا يومئذ وعليهم سعد بن عباد؛ وذلك أن عبد الله بن أبي كان مريضاً أو ممتارضاً، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتلت بينهم قتلى كثيرة، وكان الطول^(١٠) يومئذ للأوس؛ فقال حسان في ذلك:

مَا هَاجَ حَسَانَ رَسُولُ الْمَقَامِ وَمَظْلَعُنُ الْحَيِّ وَمَبْنَى الْخِيَامِ
وذكر الأبيات كلها.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن عمر بن القاسم بن الحسن، عن محمد/ بن سعد، عن الواقدي، عن ^{١٨}/_{١٦} عثمان بن إبراهيم الحاطبي، قال:

(١) الثغب: الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه. والرصف: الحجارة المترصفة الدانية.

(٢) الديوان: «شجت»، وشجت: مزجت.

(٣) الديوان: «من بيت رأس». وبيت رأس: قرية بالأردن.

(٤) في الديوان: «تدب في الجسم».

(٥) الدبي: أصغر النمل.

(٦) الديوان: «ترياقه تسرع».

(٧) الديوان: «مختلق الذفرى»، أي فيهما الخلق. الذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن.

(٨) ديوانه ٣٨٢.

(٩) أي بين الخزرج الذين هم قوم حسان وبين الأوس.

(١٠) الطول هنا: الفوز والغلبة.

قال رجلٌ من أهل المدينة: ما ذكر بيت حسان بن ثابت^(١):

أَهْـوَى حَدِيثَ الثُّذْمَانِ فِي فَلَقِ الصُّبْحِ وَصَوْتِ الْمُسَامِرِ الْغَرْدِ
إِلَّا عُدْتُ فِي الْفِتْوَةِ كَمَا كُنْتُ. قال: وهذا البيت من قصيدته التي يقول فيها:
انظر خليلي بباب جلق هل تُؤنسُ دونَ البلقاءِ مِنْ أَحَدٍ
وقد روي أيضاً في هذا الخبر غيرُ الروایتين اللتين ذكرتهما.

عبد الرحمن بن حسان يحتال لإبعاد أبيه عن مجلس أصحابه

أخبرني بذلك حرمي، عن الزبير، عن وهب بن جرير، عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء، عن عبد الوهاب بن يحيى،
عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن شيخ من قريش، قال:

إني وفتية من قريش عند قَيْنَةٍ من قِيَانِ المدينة، ومعنا عبدُ الرحمن بن حسان بن ثابت إذ استأذن حسان،
[١٧٣/١٧] فكبرهنا دخوله، وشق ذلك علينا؛ / فقال لنا عبد الرحمن: أيسركم ألا يجلس؟ قلنا: نعم. قال: فمروها إذا نظرت
إليه أن ترفع عقيرتها وتغتني:

أولادُ جَفَنَةٍ عند قَبْرِ أبيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةِ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يُغَشُّونَ حَتَّى مَا تَهْرُكُ لَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
قال: فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سقطت نفسه، ثم قال: أفيكم الفاسق! لعمرى لقد كرهتم مجلسي سائر
اليوم، وقام فانصرف، والله تعالى أعلم.
نسبة هذا الصوت وسائر ما يغنى فيه من القصيدة^(٢) التي هو منها.

صوت

أولادُ جَفَنَةٍ عند قَبْرِ أبيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةِ الْجَوَادِ الْمُفْضِلِ
يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ كَأْساً تَصْفُقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ^(٣)
البريص: موضع بدمشق.

يَبِضُّ الْوَجْهَ كَرِيمَةً أَحْسَابُهُمْ شَمَّ الْأَنْفِ مِنَ الطُّرَازِ الْأَوَّلِ
يُغَشُّونَ حَتَّى مَا تَهْرُكُ لَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
ذكر حبش أن فيه لسيرين^(٤) قينة حسان بن ثابت لحناً ثقيلاً أول ابتدأه نشيد^(٥)، وفيه لعريب ثقیل أول
لا يشك فيه.

(١) ديوانه ١١٢.

(٢) ديوانه ٣٠٩.

(٣) البريص: نهر في دمشق. والبيت في «اللسان» (برص).

(٤) أ: «الشيرين».

(٥) أ: «ينشد».

ومما يغنى فيه من هذه القصيدة قوله^(١):

الصوت

كَلْتَاهُمَا حَلَبُ الْعَصِيرِ فَعَاطِنِي بِزُجَاجَةٍ أَرْخَاهُمَا لِلْمِفْصَلِ^(٢)
بِزُجَاجَةٍ رَقَصَتْ بِمَا فِي قَعْرِهَا رَقَصَ الْقُلُوصُ بِرَاكِبٍ مُسْتَعَجِلٍ

غَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ رَمَلًا مُطْلَقًا فِي مَجْرَى الْوَسْطَى، عَنْ إِسْحَاقَ وَعَمْرُو وَغَيْرِهِمَا، وَيُرْوَى: «كَلْتَاهُمَا حَلَبُ الْعَصِيرِ»، بِجَعْلِ الْفَعْلِ لِلْعَصِيرِ. وَيُرْوَى لِلْمِفْصَلِ، بِكَسْرِ الْمِيمِ وَفَتْحِ الصَّادِ، وَلِلْمِفْصَلِ، بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ الصَّادِ، وَهُوَ اللِّسَانُ.

أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ، عَنْ الْمُبَرَّدِ، حِكَايَةً عَنْ أَصْحَابِهِ، عَنْ الْأَصْمَعِيِّ.

رجع الحديث إلى أخبار عزة الميلاء

عبد الله بن جعفر وناسك بالمدينة

قال إسحاق: حدثني مصعب الزبيري، عن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة، عن أبيه، / عن ١٩
جده، قال:

كان بالمدينة رجلٌ ناسكٌ من أهل العلم والفقه، وكان يَغْشَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ، فَسَمِعَ جَارِيَةً مَغْنِيَةً لِبَعْضِ النَّخَاسِينَ تَغْنِي:

• بَانَثُ سَعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْقَطَعَ^(٣) •

فاشتهر^(٤) بها وهامَ، وترك ما كان عليه، حتى مشى إليه عطاء^(٥) وطاؤوس فلاماهُ؛ فكان جوابُهُ لهما أَنْ تَمَثَّلَ بقول الشاعر:

/ يَلُومُنِي فِيكَ أَقْوَامٌ أَجَالِسُهُمْ فَمَا أَبَالِي أَطَارَ اللَّؤْمُ أَمْ^(٦) وَقَعَا

وبلغ عبد الله بن جعفر خبره، فبعث إلى النخاس، فاعترض^(٧) الجارية، وسمع غناءها بهذا الصوت، وقال لها: مِمَّنْ أَخَذْتَهُ؟ قالت: مِنْ عَزَّةِ الْمِيَلَاءِ. فابْتَاغَهَا بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الرَّجُلِ فَسَأَلَهُ عَنْ خَبَرِهِ، فَأَعْلَمَهُ إِيَّاهُ وَصَدَقَهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: أَتُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ هَذَا الصَّوْتَ مِمَّنْ أَخَذْتَهُ عَنْهُ تِلْكَ الْجَارِيَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَدَعَا بِعَزَّةٍ وَقَالَ

(١) ديوانه ٣١٢.

(٢) حاشية أ: «وقبله»:

إِنْ التَّسِي نَسَاوَلْتَنِي فَارْدَدْتَهَا قَتَلْتُ قَتَلْتُ فَهَاتَهَا لَمْ تَقْتُلْ
وَكَلْتَاهُمَا، أَيِ الَّتِي قَتَلْتُ - أَيِ مَزَجْتُ - وَالَّتِي لَمْ تَقْتُلْ، أَيِ لَمْ تَمَزَجْ.

(٣) ديوان الأعشى ١٠١ والبلدان (فرع). وتماه:

• واحتل الغور فالجدين فالفرعا •

(٤) اشتهر بها: شغف وأولع بها.

(٥) عطاء وطاؤوس: كلاهما من أعلام التابعين. وانظر ترجمتهما في ابن خلكان.

(٦) أ: «أو».

(٧) اعترض الجارية: طلب أن تمر أمامه ليراها عن قرب.

لها: غَنِيَّه إِيَّاهُ، فَغَنَّتْهُ؛ فَصُحِقَ الرَّجُلُ، وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. فَقَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: أَثْمُنَا فِيهِ، الْمَاءُ، الْمَاءُ! فَتَضَحَّ عَلَى وَجْهِهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لَهُ: أَكَلْتَ هَذَا بَلِّغْ بِكَ عِشْقُهَا؟ قَالَ: وَمَا خَفِيَ عَنْكَ أَكْثَرُ. قَالَ: أَفَتَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنْهَا؟ قَالَ: قَدْ رَأَيْتَ مَا نَالَنِي حِينَ سَمِعْتُهُ مِنْ غَيْرِهَا، وَأَنَا لَا أُحِبُّهَا، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالِي إِنْ سَمِعْتُهُ مِنْهَا، وَأَنَا لَا أَقْدِرُ عَلَى مِلْكِهَا! قَالَ: أَفَتَعْرِفُهَا إِنْ رَأَيْتَهَا؟ قَالَ: أَوْ أَعْرِفُ غَيْرَهَا! فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ، وَقَالَ: خُذْهَا فَهِيَ لَكَ، وَاللَّهِ مَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا إِلَّا عَنْ عُرْضٍ. فَقَبَّلَ الرَّجُلُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَقَالَ: أَثَمَّتْ عَيْنِي، وَأَخْيَبَتْ نَفْسِي، وَتَرَكْتَنِي أَعِيشُ بَيْنَ قَوْمِي، وَرَدَدْتَ إِلَيَّ عَقْلِي، وَدَعَا لَكَ دَعَاءٌ كَثِيرًا. فَقَالَ: مَا أَرْضَى أَنْ أُعْطِيكَهَا هَكَذَا، يَا غَلَامُ احْمِلْ مَعَهَا مِثْلَ ثَمَنِهَا لِكَيْ لَا تَهْتَمَّ بِهِ وَيَهْتَمَّ بِهَا.

نسبة لهذا الصوت

[١٧٦/١٧]

صوت

بانت سعادٌ وأمسى حَبْلُهَا انْقَطَعَا واحتلت الغور فالجدَّين فالفرعا^(١)
وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا
عروضه من البسيط، والشعر للأعشى، أعشى بني قيس بن ثعلبة.

الأصمعي ينحل الأعشى بيتاً من الشعر

وزعم الأصمعي أن البيت الثاني هو صنعه ونحله الأعشى.

أخبرنا محمد بن العباس البيهقي، عن عمه، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه، قال:

ما نحلت أحداً من الشعراء شيئاً قط لم يقله إلا بيتاً واحداً نحلته الأعشى، وهو:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

الغناء لعزة الميلاء، خفيف ثقيل أول بالوسطى؛ وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد، وأنكر إسحاق ذلك ودفعه، وفيه للغريص ثقيل أول بالبنصر، وقيل: إنه لجميلة.

عبد الله بن جعفر يطلب من أمير المدينة ألا يمنع عزة من الغناء

قال إسحاق: وحدثني ابن سلام، عن ابن جعفبة، قال:

كان ابن أبي عتيق مُعْجَباً بعزة الميلاء، فأتى يوماً عند عبد الله بن جعفر، فقال له: بأبي أنت وأمي! هل لك في

عزة، فقد اشتقتُ إليها! قال: لا، أنا اليوم مشغول. فقال: بأبي أنت وأمي! إنها لا تنشط إلا بحضورك، فأقسمتُ

عليك إلا ساعدتني وتركت شغلك، ففعل، فأتياها ورسولُ الأمير علي / بابها يقول لها: دعي الغناء، فقد ضجَّ أهلُ

المدينة منك، وذكروا أنك قد فتنت رجلاًهم ونساءهم. فقال له ابن جعفر: ارجع إلى صاحبك فقل له عني: أقسم

عليك إلا ناديت في المدينة: أيُّما رجل فسد أو امرأة فُتنت بسبب عزة إلا كشف نفسه بذلك لتعريفه، ويظهر لنا ولك

أمره. فنادى الرسولُ بذلك، فما أظهر أحدٌ نفسه. ودخل ابن جعفر إليها وابن أبي عتيق معه، فقال لها: لا يهولنك

ما سمعت، وهاتي فغني، فغنته بشعر القطامي^(٢):

إِنَّا مُحِيطُوكَ فَاسْلَمْ أَثْمَ الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ، وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطُّيْلُ
فَاهْتَزَّ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ طَرَبًا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ: مَا أَرَانِي أُدْرِكُ رِكَابَكَ بَعْدَ أَنْ سَمِعْتَ هَذَا الصَّوْتَ مِنْ عَزَّةَ.
وَقَدْ مَضَتْ نِسْبَةُ مَا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنَ الْأَغَانِي فِي مَوَاضِعَ أُخَرِ.

١٧٨/١٧]

/ صوت

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نَسَوْتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ
يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ قَدْ قَمْنَ قَبْلَ تَبْلُجِ الْأَسْحَارِ
عروضه من الكامل. قوله:

* قد قمن قبل تبليج الأسحار *

يعني أنهم يندبونه في ذلك الوقت؛ وإنما خصه بالندبة لأنه وقت الغارة. يقول: فهن يذكرنه حينئذ؛ لأنه كان
من الأوقات التي ينهض فيها للحرب والغارات. قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾^(١). وأما قول
الخنساء^(٢):

يَذْكُرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَاذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ

فإنما ذكرته عند طلوع الشمس للغارة، وعند غروبها للضيف.

الشعر للربيع بن زياد العبسي، والغناء لابن مَرْيَج، رمل بالخنصر في مَجْرَى البَنْصَر، عن إسحاق،
والله أعلم.

(١) الآية ٣ من سورة العاديات.

(٢) ديوانها ٥٠.

/ ذكر نسب الربيع بن زياد

[١٧٩/١]

وبعض أخباره، وقصة هذا الشعر،
والسبب الذي قُتل من أجله

نسبه

هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سُفْيَان بن ناشب بن هِذَم بن عُوذ بن غالب بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار.

وأُمُّه فاطمة بنت الخُرْشُب، واسم الخُرْشُب عَمْرُو بن النضر بن حارثة بن طريف بن أنمار بن بَغِيض بن رَيْث بن غطفان، وهي إحدى المنجبات، كان يُقال لَبْنِهَا الكَمَلَة، وهم: الربيع، وعُمارة، وأنس.

أمه إحدى المنجبات

ولما سأل معاويةُ علماء العرب عن البيوتات والمنجبات، وحظر عليهم أن يتجاوزوا في البيوتات ثلاثة، وفي المنجبات ثلاثاً، عَدُّوا فاطمةَ بنت الخُرْشُب فيمن عَدُّوا، وقبلها حَبِيبَة^(١) بنت رباح الغنوية أم الأحوص وخالد ومالك وربيعه بني جعفر بن كلاب، وماوية بنت عبد مناة بن مالك بن زيد بن عبد الله بن دارم بن عمرو بن تميم، وهي أم لَقِيط وحاجب وعلقمة بني زُرارة بن عُذْس بن زيد بن عبد الله بن دارم.

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد، قال: حدثني محمد بن موسى اليزيدي، قال: حدثني محمد بن صالح بن النطاح، واللفظ له، وخبره أتم، وأخبرني به أبو الحسن الأسدي، قال: حدثنا محمد بن صالح بن النطاح، قال:

ولدت فاطمة بنت الخُرْشُب من زياد بن عبد الله العبسي سبعة؛ فعَدَّت العرب / المنجبين منهم ثلاثة، وهم خيارهم. ٢١
١٦

/ قال محمد بن موسى: قال محمد بن صالح: وحدثني موسى بن طلحة، والوليد بن هشام القَحْذَمِي بمثل ذلك، قال: [١٨٠/١٧]

فمنهم: الربيع ويقال له الكامل، وعُمارة وهو الوَقَّاب، وأنس وهو أنس الفوارس وهو الواقعة، وقيس وهو البرد، والحارث وهو الحَرُون، ومالك وهو لاحق، وعمرو وهو الدَرَّاك.

سئلت أمه عن بنيتها فلم تدر أيهم أفضل

قال محمد بن موسى: قال ابن النطاح: وحدثني أبو عثمان العمري^(٢):

(١) في المختار: «جنة».

(٢) أ: «القطري».

أنَّ عبد الله بن جُدعان لَقِيَ فاطمة بنت الخُرْشَب وهي تطوف بالكعبة فقال لها: نشدتك برَبِّ هذه البَيْتَةِ، أَيُّ بَنِيكَ أَفْضَلُ؟ قالت: الربيع، لا بل عُمارة، لا بل أنس، ثكلْتُهُمْ إِنْ كُنْتُ أَذْري أَيُّهُم أَفْضَلُ.

قال ابن النطاح: وحدثني أبو اليقظان سُحَيْم بن حَفْص العُجَيْنِيُّ، قال: حدثني أبو الخنساء، قال: سئلتُ فاطمة عن بَنِيها أَيُّهُم أَفْضَلُ؟ فقالت: الربيع، لا بل عُمارة، لا بل أنس، لا بل قيس، وعَيْشِي ما أَذْري، أما والله ما حملت واحداً منهم تُضْعَأُ، ولا وَلَدته يَتْنَأُ، ولا أَرْضَعُهُ غَيْلاً، ولا مَنَعته قَيْلاً، ولا أَبْتُهُ على مَاقَةٍ^(١). قال أبو اليقظان:

أما قولها ما حملت واحداً منهم تُضْعَأُ، فتقول: لم أحمله في دُبُرِ الطَّهْرِ وقَبْلَ الحيض. وقولها: ولا وَلَدْتُهُ يَتْنَأُ، وهو أن تخرج رِجْلَهُ قَبْلَ رأسه. ولا أَرْضَعُهُ / غَيْلاً، أي ما أَرْضَعْتُهُ قَبْلَ أَنْ أَحْلُبَ ثَدْيِي. ولا مَنَعْتُهُ قَيْلاً، أي [١٨١/١٧] لم أَمْنَعه اللَّبْنَ عند القائلة. ولا أَبْتُهُ على مَاقَةٍ، أي وهو يَبْكِي. أمه تصفه وتصف إخوته

قال ابن النطاح: وحدثني أبو اليقظان، قال: حدثني أبو صالح الأَسَدِيُّ قال:

سئلتُ فاطمة بنت الخُرْشَب عن بَنِيها، فوصفتهم، وقالت في عُمارة: لا ينامُ لَيْلَةً يُخَافُ، ولا يشبع لَيْلَةً يُضَافُ. وقالت في الربيع: لا تُعَدُّ مَآثِرُهُ ولا تُخْشَى في الجَهْلِ بَوَادِرُهُ. وقالت في أنس: إذا عَزَمَ امْضَى، وإذا سئِلَ أَرْضَى، وإذا قَدَّرَ اغْضَى. وقالت في الآخرين أشياء لم يحفظها أبو اليقظان. حكمته وبعد نظره

وقال ابن النطاح: وحدثني القحذمي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني ابن عِيَّاش^(٢)، عن رجل من بني عَبَس، قال:

صاف فاطمة ضيفت، فطَرَحَتْ عليه شَمْلَةً من خَزٍّ وهي مِسْكٌ كما هي، (فلما وجد رائحتها وأَعْتَمَ دنا منها، فصاحت به، فكفَّ عنها، ثم إنه تحرك أيضاً فأرادها عن نفسها)^(٣)، فصاحت، فكفَّ، ثم إنه لم يصبر فوائبها فبَطَشَتْ به، فإذا هي من أَشدَّ الناس، فقبضت عليه ثم صاحت: يا قَيْسُ، فَأَتَاهَا، فقالت: إِنَّ هذا أَرادني عن نفسي، فما ترى فيه؟ فقال: أَخِي أَكْبَرُ مِنِّي، فعليك به، فنادت: يا أنس، فَأَتَاهَا، فقالت: إِنَّ هذا أَرادني عن نفسي فما ترى فيه؟ فقال لها: أَخِي أَكْبَرُ مِنِّي فَسَلِيهِ، فنادت: يا عُمارة، فَأَتَاهَا فذَكَرَتْ ذلك له، فقال لها: السيف، وأراد قتله، فقالت له: يا بَنِي، لو دَعَوْنَا أَخاك فهو أَكْبَرُ منك، فدَعَتِ الربيعَ، فذَكَرَتْ ذلك له، فقال: أَفَتُطِيعُونِي يا بَنِي زِياد؟ قالوا: نعم، قال: فلا تُزَنُّوا أُمَّكُمْ، ولا تَقْتُلُوا ضَيْقَكُمْ، وخَلُّوه يَذْهَبُ، فذهب.

/ شعر قيل في مدحه ومدح إخوته

قال ابن النطاح: وقال بعضُ الشعراء يمدحُ بني زِيادٍ مِن فاطمة، يقال: إنه قيس بن زهير، ويقال: حاتم طي^(٤).

(١) هامش أ: «هذا الخبر روى عن أم تابط شراً، ذكره ابن السكيت». وانظر اللسان (وضع) و (يتن).

(٢) أ: «ابن عباس».

(٣) ما بين القوسين ليس في أ، وبدله: «فلما أعتَم دنا منها».

(٤) الأبيات في ديوان حاتم ص ١٧ مع اختلاف يسير.

بنو جنيّة ولدت سيوفاً
وجارتهم حصان لم تُزنى
شرى وُدّي^(١) ومكرمتي جميعاً
قواطع كلهم ذكر صنيع
وطاغمة الشتاء فما تجوع
طوال زمانه مني الربيع

/ وقال سلمة بن الخُرشب خالهم فيهم يخاطب قوماً منهم أرادوا حرّبه:

٢٢
١٦

أنيثم إلينا ترُجفون^(٢) جماعة
وذاك ابنُ أخت زانه ثوب خاله
رفيقُ بداء الحرب طَبَّ بصغها^(٣)
عطوف على المولى ثقیل على العدا
فأين أبو قيس وابن ربيع
وأعمامه الأعمام وهو نزيع^(٤)
إذا شئت رأي القوم فهو جميع
أصم عن العوزاء وهو سميع

وقال رجل من طيء، ويقال له الربيع بن عمار:

فإن تكن الحوادث أفظعتني^(٥)
فلم أر هالكاً كائني زياد
همارُمُحان خطيان كانا
من الشمر المثقفة الجياد
تهاب الأرض أن يطأ عليها
بمثلهما تُسالم أو تُعادي

أمة تقتل نفسها خوفاً من العار

وقال الأثرم: حدثني أبو عمرو الشيباني، قال:

أغار حمل بن بكر أخو حذيفة بن بكر الفزاري على بني عيس، فظفر / بفاطمة بنت الخُرشب أم الربيع بن زياد
وإخوته راكبة على جمل لها، فقادها بجملها، فقالت له: أي رجل^(٦)، ضلّ حِلْمُك! والله لئن أخذتني فصارت هذه
الأكمة بي وبك التي أمامنا ورائنا^(٧) لا يكون بينك وبين بني زياد صلح أبداً؛ لأن الناس يقولون في هذه الحال
ما شاءوه، وحسبك من شرّ سماعه. قال: فإني أذهب بك حتى ترعني عليّ إيلي. فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت
بنفسها على رأسها من البعير، فماتت خوفاً من أن يلحق بئها عارٌ فيها.

[١٨٣/١٧]

ليبد يحاول الإيقاع بينه وبين النعمان

وحدثني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي عبد الله بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن
ابن الأعرابي، قال:

وفد أبو براء ملاعب الأسنة - وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب - وإخوته طفيل ومعاوية وعبيدة، ومعهم
ليبد بن ربيعة بن مالك بن جعفر، وهو غلام، على النعمان بن المنذر، فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي،

(١) أ: «سرى ودي». والمثبت من ج.

(٢) ترجفون: متهيبين للحرب. وفي أ: «ترجفون».

(٣) في ب، س، أ: «بزيغ» وهو: الظريف. وما أثبتاه عن ج ويقتضيه المقام.

(٤) أ: «بصغها».

(٥) المختار: قطعني.

(٦) أ، م: «أي حمل».

(٧) أ: «وصارت ورائنا».

وكان^(١) الربيع يُنادِم النعمانَ مع رجلٍ من أهل الشام تاجر، يقال له: سرجون^(٢) بن نوفل، وكان حَرِيْفاً للنعمان - يعني سرجون - يبايعه، وكان أديباً حسنَ الحديث والمنادمة، فاستخفَّه النعمان، وكان إذا أراد أن يَخْلُو على شرابه بعث إليه وإلى النطاسي - متطبَّب كان له - وإلى الربيع بن زياد، وكان يُدعى الكامل.

فلما قدم الجعفرَيون كانوا يحضرون النعمانَ لحاجتهم، فإذا خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم، وذكر معائبهم، ففعل ذلك بهم مراراً، وكانت بنو جَعْفَر له أعداء، فصَدَّه عنهم، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه تغيراً وجفاءً، وقد كان / يكرمهم قبل ذلك ويُقَرِّب مجلسهم، فخرجوا من عنده غَضاباً، ولَبَّيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم، ويغدو بإبلهم [١٨٤/١٧] كلَّ صباح، فَبَرَّعَها، فإذا أمسى انصرف بإبلهم، فاتاهم ذات ليلة فألفاهم يتذكرون أمرَ الربيع، وما يَلْقَوْنَ منه؛ فسألهم فكتموه، فقال لهم: والله لا أحفظُ لكم متاعاً، ولا أُسْرَحُ لكم بغيراً أو تخبروني.

وكانت أُمُّ لبَّيد امرأةً من بني عَبَس، وكانت يتيمةً في جَبَرِ الربيع، فقالوا: خالك قد غلبنا على الملك، وصدَّ عَنَّا وَجْهَهُ، فقال لهم لبَّيد: هل تقدرون على أن تجتمعوا بينه وبينني فأزجره عنكم بقولٍ مُمِصٍّ، ثم لا يلتفت / النعمان إليه بعده أبداً. فقالوا: وهل عندك من ذلك شيء؟ قال: نعم، قالوا: فإننا نبلوك بشتم هذه البَقْلَةِ - لِبَقْلَةٍ قَدَّامَهُمْ دَقِيقَةُ الْقُضْبَانِ قَلِيلَةُ الْوَرَقِ لاصِقَةٍ فروعها بالأرض، تدعى الثَّرْبَةُ^(٣) - فقال: هذه الثَّرْبَةُ التي لا تُذكي ناراً، ولا تؤهل داراً، ولا تسرُّ جاراً، عودُها ضَّئِيلٌ، وفرعُها كَلِيلٌ، وخيزُّها قَلِيلٌ، بلدها شاسِعٌ، ونبتُّها خاشعٌ، وآكلها جائعٌ، والمُقيِّمُ عليها ضائعٌ، أقصر البقولِ فَرْعاً، وأخبثها مرعى، وأشدَّها قلعاً، فَنَعَساً لها وجَدْعاً، الْقَوَا بي أخا بني عَبَس، أرجعه عنكم بَتَّعْسٍ ونَكْسٍ، وأتركه من أمره في لَبْسٍ.

فقالوا: نصبح فنرى فيك رأيَنا. فقال لهم عامر: انظروا غلامَكم؛ فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء، وإنما يتكلَّم بما جاء على لسانه، ويَهْذِي بما يهيجس في خاطره، وإذا رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم. فرمقوه بأبصارهم، فوجدوه قد ركب رَحْلاً، فهو يكْدُم بأوسطه حتى أصبح.

فلما أصبحوا قالوا: أنت والله صاحبنا، فحلَّقوا رأسه، وتركوا / ذؤابتين، وألبسوه حُلَّةً، ثم غَدَّوا به معهم [١٨٥/١٧] على النعمان، فوجدوه يتغذَّى ومعه الربيع وهما يأكلان، ليس معه غيره، والدار والمجالس مملوءة من الوفود.

فلما فرغ من الغداء أذن للجعفرين فدخلوا عليه، وقد كان تقارب أمرهم، فذكروا للنعمان الذي قدموا له من حاجتهم، فاعترض الربيع في كلامهم، فقام لبَّيد يرتجز، ويقول^(٤):

يَا رَبُّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَا أَكُلُ يَوْمَ هَامَتِي مَقَزْعَةً^(٥)

(١) في أ، م بدلاً من الأخبار التي تبدأ بقوله: وكان الربيع إلى قوله في صفحة ١٨٧: «وأما الشعر الذي فيه الغناء» قوله: قال أبو الفرج: قد ذكرت هذا القول مستقصى في «أخبار لبَّيد» فلا فائدة في ذكره هنا.

(٢) ب، س: سرجون: بالحاء المهملة. وما أثبتناه من حد. وفي أخبار لبَّيد ج ٣٦٣/١٥ من «الأغاني» طبع دار الكتب: «زرجون بن توفيق».

(٣) الثربة: نبت سهلي مفروض الورق، وقيل: هي شجرة شاكّة، وثمرتها كأنها بسرة معلقة، منبتها السبل والحزن وتهامة. «اللسان» (ترب).

(٤) ديوان لبَّيد ٣٤٠، والخزانة ٤: ٨.

(٥) القزع: تساقط الشعر والصوف وبقاء بعضه.

نحن بُشُو أُمِّ البَيْنِ الأربعة^(١) والمطعمون الجَفَّة المَدْعَدَة
يا واهِبَ الخير الكثير مِنْ سَعَة يخبر^(٢) عن هذا خبير فاسمعه
إِنْ اسْتَه مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَة يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِي أَشْجَعَة
وَمِنْ خِيَارِ عَامِرِ بْنِ صَفْصَعَة^(٣) والضاريون الهَامَ تحت الخَيْضَعَة^(٤)
إِلَيْكَ جَاوَزْنَا بِلَاداً مُسْبَعَة مَهْلًا - أَيْتَ اللَّغْنِ - لَا تَأْكُلُ مَعَهُ
وإنه يُدْخِلُ فِيهَا إصْبَعَهُ^(٥) كَأَنَّمَا يَطْلُبُ شَيْئاً أَطْمَعَهُ^(٦)

[١٨٦/١٧]

فلما فرغ من إتشاده التفت النعمان إلى الربيع شزراً يرمقه، فقال: / أَكْذَا أَنْتَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ، لَقَدْ كَذَبَ عَلَيَّ ابْنُ الْحَمِقِ اللَّثِيمِ. فقال النعمان: أَفَ لَهَذَا الْغَلَامِ، لَقَدْ خَبَثَ عَلَيَّ طَعَامِي. فقال: أَيْتَ اللَّعْنِ، أَمَا إِنِّي لَقَدْ فَعَلْتُ بِأَمِّهِ. فقال لبيد: أَنْتَ لَهَذَا الْكَلَامِ أَهْلٌ، وَهِيَ مِنْ نَسَاءٍ غَيْرِ فُعْلٍ^(٧)، وَأَنْتَ الْمَرْءُ فَعَلَ هَذَا بَيْتِمَةً فِي حَجَرِهِ. فأمر النعمان بني جعفر فأخرجوا. وقام الربيع فانصرف إلى منزله، فبعث إليه النعمان بضغف ما كان يخبؤه به، وأمره بالانصراف إلى أهله.

وكتب إليه الربيع: إِنِّي قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَرَ فِي صَدْرِكَ مَا قَالَهُ لَبِيدٌ، وَلَسْتُ بِرَأْسٍ حَتَّى تَبْعَثَ مَنْ يُجَرِّدُنِي فَيَعْلَمَ مَنْ جُفِرَكَ مِنَ النَّاسِ أَنِّي لَسْتُ كَمَا قَالَ. فأرسل إليه: إِنَّكَ لَسْتَ صَانِعاً بَانْتِفَاكٍ مِمَّا قَالَ لَبِيدٌ شَيْئاً، وَلَا قَادِراً عَلَى مَا زَلَّتْ بِهِ الْأَلْسُنُ، فَالْحَقْ بِأَهْلِكَ. فقال الربيع^(٨):

لئن رحلت جمالي إِنْ لِي سَعَة / ما مثلهَا سَعَة عَرْضاً وَلَا طُولاً
/ بَحِثْتُ لَوْ وَزَنْتُ لَحْمٌ بِأَجْمَعِهَا / لَمْ يَغْدِلُوا رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمُوِيلَا^(٩)
تَرْغَى الرِّوَائِمُ أَحْرَارَ الْبُقُولِ بِهَا / لَا مِثْلَ رَغِيكُم مِلْحاً وَغَسُوِيلَا^(١٠)
فَابْرِقْ بِأَرْضِكَ يَا نَعْمَانُ مَتَكْنَأَ / مع النطاسي يوماً وابن توفيلَا
فكتب إليه النعمان^(١١):

٢٤
١٦

شَرُّدْ بِرَخْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شَتَّ وَلَا تَكْثِرْ عَلَيَّ وَدَّعْ عَنْكَ الْأَبَاطِيلَا

(١) أم البين: هي ليلي بنت عامر. قال المرتضى: هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة، وكانت تحت مالك بن جعفر، فولدت له عامر بن مالك، وطفيل بن مالك، وربيع بن مالك، ومعاوية بن مالك.

(٢) في الديوان: ونحن خير عامر بن صفصة.

(٣) المدعدة: المملوءة. الخيضة: البيضة التي تلبس على الرأس. والخيضة أيضاً: اختلاط الأصوات في الحرب.

(٤) في الديوان: يخبرك.

(٥) الملمع: الذي يكون في جسده بقع تخالف سائر لونه.

(٦) في الديوان: «شَيْئاً ضِعْهُ». والأشجع: واحد الأشجاع وهي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف.

(٧) أي غير فاعلات المنكر.

(٨) الأبيات الثلاثة الأولى في «اللسان» (سمل)، وهي أيضاً في الخزانة ٢: ٧٩.

(٩) «اللسان»: «لا إلى سعة».

(١٠) س والخزانة: «سموِيلَا» بالسین. وسموِيل: طائر، وقيل: بلدة كثيرة الطير. وفي «بيروت»: سموِيلَا، بالشين المعجمة.

(١١) الغسول: نبت ينبت في السبخ.

(١٢) الأبيات في الخزانة ٤: ٧، والكتاب ١: ١٣١.

[١٨٧/١٧]

/ فقد ذُكرت به والركبُ حامِلُه
فما انتفاؤك مِنْهُ بعد ما جَزَعْتَ
قد قيل ذلك إن حَقًّا وإن كَذِباً
فالحقُّ بحيث رأيت الأرضَ واسعة

وَرَدَا يُعْلَلُ أَهْلَ الشَّامِ وَالنَّيْلَا^(١)
هُوجُ المَطْيِي بِهِ إِنْ رَأَى شَمْلِيلَا^(٢)
فما اعتذارُك من شيء إذا قِيلَا
وانشربها الطَّرْفَ إن عرضاً وإن طَوَلَا

داحس والغبراء

وأما الشعر الذي فيه الغناء فإنَّ الربيع بن زياد يقوله^(٣) في مقتل مالك بن زهير . وكان قتلُه في بعض تلك الوقائع التي يُعرفُ مبدؤها بداحس والغبراء .

[جرب داحس والغبراء]

وكان السبب في ذلك، فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش، ومحمد بن العباس اليزيدي، قالاً: حدثنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب وأبي غسان دماذ، عن أبي عبيدة، وإبراهيم بن سعدان، عن أبيه، قال:

كان من حديث داحس أنَّ أُمَّهُ فرس كانت لقرواش بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع يقال لها: جَلْوَى، وكان أبوه يسمى ذا العُقَال، وكان لحوط بن أبي جابر بن أوس بن حميري بن رياح؛ وإنما سُمِّي داحساً لأنَّ بني يربوع احتملوا ذات يوم سائرين في نُجعة، وكان ذو العُقَال مع ابنتي حوط بن أبي جابر بن أوس تجنبانه، فمرَّتَا به على جَلْوَى فرس قرواش وديقا^(٤)؛ فلما رآها الفرس وَدَّى وَضَهْلًا، فضحك شُبَّان من الحي رأوه، / فاستحييت [١٨٨/١٧] الفئتان فأرسلتاه فنزَّتا على جَلْوَى، فوافق قبولها فأقَصَّت^(٥)، ثم أخذته لهما بعض الحي، فلاحق بهما حوط، وكان رَجُلًا شريراً سيئ الخلق، فلما نظر إلى عَيْنِ الفرس قال: والله لقد نَزَا فرسي؛ فأخبراني ما شأنه، فأخبرناه الخبر، فقال: يا آل رياح، لا والله لا أرضى أبداً حتى أخرج ماءً فرسي، فقال له بنو ثعلبة: والله ما استكرهنا فرسك؛ إنما كان مُنْفِلَتَا، فلم يزل الشرُّ بينهما حتى عَظُمَ.

فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: دونكم ماء فرسكم؛ فسطا عليها وأدخل يده في ماءٍ وتراب، ثم أدخلها في رَحِمِها حتى ظنَّ أنه قد أخرج الماء، واشتملت الرَحِمُ على ما كان فيها، فتتجها قرواش مُهْرًا، فسماه داحساً لذلك، وخرج كأنه أبوه ذو العُقَال. وفيه يقول جرير^(٦):

إِنَّ الْجِيَادَ يَشْنَنُ حَوْلَ خِيَانَتِنَا
مِنْ آلِ أعوجٍ أو لذي العُقَالِ

(١) في الخزانة:

ما جاور السيل أهل الشام والنيل

فقد رميت بداء لست غاسله

ثم روى الشطر الأول كما رواه الأغاني.

(٢) البيت في البكري ٨٠٩، وقال: شمليل: بلد، وأنشد البيت، وفي أ: «خرعت»، وفيه: «عوج المطي»، وفي الخزانة: «بعدما قطعت... أكتافها شمليلًا».

(٣) ب، س، ج: «وهذا الشعر يقوله الربيع بن زياد في مقتل مالك» والمثبت من أ، م.

(٤) الوديقي: التي تطلب الفحل. وجلوى: اسم فرس. انظر «اللسان».

(٥) أقصت: حملت واستبان حملها. وفي المختار: «فأقصت له»، أي أمكته من المباشرة.

(٦) ديوانه ٤٨٦، والنقائص ٣٠٣، وفيهما: «حول قبائنا».

وأعوج: فرس لبني هلال.

فلما تحرك المهر سام^(١) مع أمه وهو فلول يتبعها، وبنو ثعلبة سائرون، فرآه حوط فأخذه، فقالت بنو ثعلبة: يا بني رياح، ألم تفعلوا فيه أول مرة ما فعلتم ثم هذا الآن! فقالوا: هو فرسنا، ولن نترككم أو نقاتلكم عنه أو تدفعوه إلينا.

فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا: إذا لا نقاتلكم عنه، أنتم أعز علينا، هو فداؤكم، ودفعوه إليهم.

/ فلما رأى ذلك بنو رياح قالوا: والله لقد ظلمنا إختوتنا مرتين، ولقد حلّموا وكروموا، فأرسلوا به إليهم مع لقوحن.

[١٨٩/١٧]

/ فمكث عند قرواش ما شاء الله، وخرج أجود خيول العرب.

٢٥
١٦

ثم إن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي أغار على بني يربوع، فلم يصب أحداً غير ابنتي قرواش بن عوف ومائة من الإبل لقرواش، وأصاب الحيّ وهم خلوف، ولم يشهد من رجالهم غير غلامين من بني أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع، فجاء في متنّ الفرس مرتدّيه^(٢) وهو مقيد بقيد من حديد فأعجلهما القوم عن حلّ قيده، وأتبعهما القوم، فضبر^(٣) بالغلّامين ضبراً حتى نجوا به، ونادتهما إحدى الجاريتين: إن مفتاح القيّد مدفون في مذود الفرس بمكان كذا وكذا، أي بجنب مذود، وهو مكان، أي لا تتزلا عنه إلا في ذلك المكان، فسبقا إليه حتى أطلقاه ثم كرا راجعتين.

فلما رأى ذلك قيس بن زهير رغب في الفرس، فقال لهما: لكما حُكُمكما، واذفعا إليّ الفرس، فقالا: أو فاعل أنت؟ قال: نعم، فاستوثقا منه، على أن يردّ ما أصاب من قليل وكثير، ثم يرجع عوده على بدنه^(٤)، ويطلق الفتاتين، ويخلي عن الإبل، وينصرف عنهما راجعاً. ففعل ذلك قيس، فدفعا إليه الفرس.

فلما رأى ذلك أصحاب قيس قالوا: لا نصالحك^(٥) أبداً، أصبنا مائة من الإبل وامرأتين^(٦)، فعمدت إلى غنيمتنا فجعلتها في فرس / لك تذهب به دوننا؛ فعظم في ذلك الشر حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائة من الإبل.

[١٩٠/١٧]

فلما جاء قرواش قال للغلّامين الأزنميين: أين فرسي؟ فأخبراه، فأبى أن يرضى إلا أن يدفع إليه فرسه، فعظم في ذلك الشر حتى تنافروا فيه، فقضي بينهم أن تردّ الفتاتان والإبل إلى قيس بن زهير، ويردّ عليه الفرس. فلما رأى ذلك قرواش رضي بعد شرّ، وانصرف قيس بن زهير، ومعه داحس، فمكث ما شاء الله.

وزعم بعضهم أن الرهان إنما هاجه بين قيس بن زهير وحذيفة بن بدر بن عمرو بن جويّة بن لؤذان بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار - أن قيساً دخل على بعض الملوك وعنده قينة لحذيفة بن بدر تغنيّه بقول امرئ القيس:

(١) سام، أي رعى.

(٢) مرتدّيه: راكب أحدهما خلف صاحبه.

(٣) ضبر الفرس: جمع قوائمه ووثب.

(٤) أي مسرعاً.

(٥) في المختار: «لا نصالحك»، والمثبت في «النقائض» أيضاً ص ٨٥.

(٦) في أ: «أصبنا... وامرأتان»، والمثبت في «النقائض» والمختار.

دارٌ لهنْدٍ والرَّبابِ وَفَرَّتَنِي وَلَمِيسَ قَبْلَ حَوادِثِ الأَيامِ^(١)

وهنَّ - فيما يُذكر - نسوة من بني عَبَس، فغضب قيسُ بن زهير، وشقَّ رداءها، وشمها؛ فغضب حُذَيْفَةُ، فبلغ ذلك قَيْسًا، فأتاه يَسْتَرْضِيهِ، فوقف عليه، فجعل يكلِّمُه وهو لا يعرفُه مِنَ الغُضب، وعنده أفراسٌ له، فعابها، وقال: ما يرتبط مثلك مثل هذه يا أبا مُسْهِر! فقال حذيفة: أتعييها؟ قال: نعم، فتجاريا حتى تراهنا.

وقال بعضُ الرواة: إنَّ الذي هاج الرُّهانَ أنَّ رجلاً من بني عَبْدِ اللَّهِ بن غطفان ثم أحد بني جَوْشَن - وهم أهل بيت شُؤم، أتى حذيفة زائراً - (ويقال إن الذي أتاه الورد العبسي أبو عُرْوَةَ بن الورد)^(٢) - قال: فعرض عليه حذيفة / خَيْلَه، فقال: ما أرى فيها جَواداً مُبَرِّاً، والمبرِّ: الغالب، قال ذو الرمة^(٣):

أَبَرَ عَلَى الْخُصُومِ فَلَيْسَ خَصْمٌ وَلَا خَصْمَانِ يَغْلِبُهُ جِدَالاً

فقال له حذيفة: فَعِنْدَ مَنْ الجَوادُ المُبَرِّ؟ فقال: عند قَيْسِ بن زهير فقال له: هل لك أن تراهنتي عنه؟ قال: نعم، قد فعلت، فراهنته على ذِكْرِ مَنْ خَيْلُه وأنثى.

ثم إن العبدِيَّ^(٤) أتى قَيْسَ بن زهير، / وقال: إني قد راهنتُ عنك^(٥) على فرسين مِنْ خَيْلِكَ ذكر وأنثى ٢٦ / وأوجبت الرُّهانَ.

فقال قيس: ما أبالي مَنْ راهنتَ غير حذيفة، فقال: ما راهنتُ غيره، فقال له قيس: إنك ما علمتُ لَأَنكَدُ.

ثم ركب قَيْسٌ حتى أتى حذيفة، فوقف عليه، فقال له: ما غَدَا بِكَ! قال: غَدَوْتُ لِأُوضِعَكَ الرُّهَانَ، قال: بل غَدَوْتُ لِتُغْلِقَه، قال: ما أردت ذلك. فأبى حذيفةُ إلا الرُّهَانَ، فقال قيس: أَخَيْرُكَ ثَلَاثَ خِلَالٍ، فَإِنْ بَدَأْتَ فَاخْتَرْتُ قَبْلِي فلي خُلَّتَانِ، ولك الأولى، وإن بَدَأْتُ فَاخْتَرْتُ قَبْلَكَ فلك خُلَّتَانِ وَلِي الأولى.

قال حُذَيْفَةُ: فابْدَأْ، قال قيس: الغاية من مائة غَلْوَةٍ - والغلوة: الرمية بالشَّابَةِ - قال حذيفة: فَاِلْمِضْمارُ أربعون ليلةً، والمجرى: مِنْ ذَاتِ الإِصَادِ^(٦).

ففعلوا ووضعوا السَّبَقَ^(٧) على يَدَيِ غَلَّاقٍ أو ابنِ غَلَّاقٍ، أَحَدُ بني ثعلبة بن سَعْدِ بن ثعلبة.

/ فأما بنو عَبَس فزعموا أنه أَجْرَى الخَطَّارَ والحَفَّاءَ. وزعمت بنو فزارة أنه أَجْرَى قُرْزَلًا والحَنْفَاءَ، وأَجْرَى قيس داحِشاً والغبراء.

ويزعم بعضهم أن الذي هاج الرُّهَانَ أنَّ رجلاً من بني المَعْتَمِرِ^(٨) بن قُطَيْبَةَ بن عَبَس يقال له سُرَاقَةُ رَاهَنَ شَابِئاً من بني بَدْرٍ - وقَيْسٌ غَائِبٌ - على أربع جزائر^(٩) من خمسين غَلْوَةٍ، فلما جاء قيس كِرَةً ذلك، وقال له: لم ينته رِهَانٌ

(١) ديوانه ١١٤، وفي النقاظ: «دار لهر».

(٢) من المختار. وعبارة النسخ: «وهم أهل بيت شؤم أتاه الورد أبو عروة أتى حذيفة زائراً» وهي غير مستقيمة.

(٣) ديوانه ٤٤٥.

(٤) ب، س: «العبسي» والمثبت في «المختار».

(٥) كذا في أ، وهي ساقطة من النقاظ.

(٦) أ: «ذات الإصال»، وهي ردهة بين الجبال أو موضع.

(٧) السبق: ما يوضع بين أهل السباق من رِهَانٍ فمن سبق أخذه.

(٨) في النقاظ: المعتم.

(٩) جزائر: جمع جزور وهي الناقة.

قَطَّ إِلَّا إِلَى شَرٍّ. ثُمَّ أَتَى بَنِي بَدْرٍ، فَسَأَلَهُمُ الْمَوَاضِعَ، فَقَالُوا: لَا، حَتَّى نَعْرِفَ سَبَقَنَا؛ فَإِنْ أَخَذْنَا فَحَقَّقْنَا، وَإِنْ تَرَكَْنَا فَحَقَّقْنَا.

فَغَضِبَ قَيْسٌ وَمَحَكَ^(١)، وَقَالَ: أَمَا إِذْ فَعَلْتُمْ فَأَعْظَمُوا الْخَطَرَ، وَأَبْعَدُوا الْغَايَةَ، قَالُوا: فَذَلِكَ لَكَ. فَجَعَلُوا الْغَايَةَ مِنْ وَارِدَاتِ إِلَى ذَاتِ الْإِصَادِ، وَذَلِكَ مِائَةُ غُلُوَّةٍ، وَالثَّانِيَةُ فِيمَا بَيْنَهُمَا، وَجَعَلُوا الْقَصَبَةَ فِي يَدَيْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ، يُقَالُ لَهُ حُصَيْنٌ، وَيُقَالُ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْعُشْرَاءِ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ لَبْنِي عَبْسٍ، وَمَلَتْهُوا الْبِرْكَهَ مَاءً، وَجَعَلُوا السَّابِقَ أَوَّلَ الْخَيْلِ يَكْرُحُ فِيهَا.

ثُمَّ إِنْ حَدِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ وَقَيْسُ بْنُ زَهِيرٍ أَتَيَا الْبَمْدَى الَّذِي أَرْسَلَنَ مِنْهُ يَنْظُرَانِ إِلَى الْخَيْلِ كَيْفَ خَرُوجُهَا مِنْهُ. فَلَمَّا أُرْسِلَتْ عَارِضَاهَا^(٢)، فَقَالَ حَدِيفَةُ: خَدَعْتُكَ يَا قَيْسُ، قَالَ: تَرَكَ الْخَدَاعَ مِنْ أَجْرَى مِائَةٍ؛ فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا.

ثُمَّ رَكُضًا سَاعَةً فَجَعَلَتْ خَيْلُ حَدِيفَةَ تُبْرِ وَخَيْلُ قَيْسٍ^(٣) تَقْصُرُ، فَقَالَ / حَدِيفَةُ: سَبَقْتُكَ يَا قَيْسُ، فَقَالَ: جَرِي الْمُدْكِيَاتِ غِلَابَ^(٤)، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا. ثُمَّ رَكُضًا سَاعَةً، فَقَالَ حَدِيفَةُ: إِنَّكَ لَا تَرْكُضُ مَرْكُضًا، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا. وَقَالَ: سَبَقْتُ خَيْلَكَ يَا قَيْسُ، فَقَالَ قَيْسُ: رُؤِيدًا يَعْزِلُونَ الْجَدَدَ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا.

قَالَ: وَقَدْ جَعَلَ بَنُو فَزَارَةَ كَمِينًا بِالثَّانِيَةِ، فَاسْتَقْبَلُوا دَاحِسًا فَعَرَفُوهُ فَأَمْسَكُوهُ وَهُوَ السَّابِقُ، وَلَمْ يَعْرِفُوا الْغَبْرَاءَ وَهِيَ خَلْفُهُ مُصَلِّيَةً، حَتَّى مَضَتْ الْخَيْلُ وَاسْتَهَلَّتْ مِنَ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُ فَتَمَطَّرَ^(٥) فِي آثَارِهَا؛ أَيَّ أَسْرَعَ، فَجَعَلَ يَبْدُرُهَا فَرَسًا فَرَسًا حَتَّى سَبَقَهَا إِلَى الْغَايَةِ مَصْلِيًّا، وَقَدْ طَرَحَ الْخَيْلَ غَيْرَ الْغَبْرَاءِ، وَلَوْ تَبَاعَدَتْ الْغَايَةُ لَسَبَقَهَا؛ فَاسْتَقْبَلَهَا بَنُو فَزَارَةَ فَلَطَمُوهَا، ثُمَّ حَلَّتُوهَا^(٦) عَنِ الْبِرْكَهَ، ثُمَّ لَطَمُوا دَاحِسًا وَقَدْ جَاءَ مُتَوَالِيَيْنِ. وَكَانَ الَّذِي لَطَمَهُ عُمَيْرُ بْنُ نَضْلَةَ، فَجَسَّاتُ^(٧) يَدُهُ؛ فَسُمِّيَ جَاسِتًا.

فَجَاءَ قَيْسٌ وَحَدِيفَةُ فِي آخِرِ النَّاسِ، وَقَدْ دَفَعْتَهُمْ بَنُو فَزَارَةَ عَنْ سَبَقِهِمْ، وَلَطَمُوا أَفْرَاسَهُمْ، وَلَمْ تَطْقُهُمْ^(٨) بَنُو عَبْسٍ يِقَاتِلُونَهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ مَنْ شَهِدَ ذَلِكَ مِنْ بَنِي عَبْسٍ أَبْيَاتًا غَيْرَ كَثِيرَةٍ، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ زَهِيرٍ: يَا قَوْمُ، إِنَّهُ لَا يَأْتِي قَوْمٌ إِلَى قَوْمِهِمْ شَرًّا مِنَ الظُّلْمِ، فَأَعْطُونَا حَقَّنًا، فَأَبَتْ بَنُو فَزَارَةَ / أَنْ يُعْطَوْهُمْ شَيْئًا - وَكَانَ الْخَطَرُ^(٩) عَشْرِينَ مِنَ الْإِبِلِ - فَقَالَتْ بَنُو عَبْسٍ: أَعْطُونَا / بَعْضَ سَبَقِنَا، فَأَبَوْا، فَقَالُوا: أَعْطُونَا جَزُورًا نَنْحَرُهَا نُطْعِمُهَا أَهْلَ الْمَاءِ؛ فَإِنَّا نَكْرَهُ الْقَالَهَ فِي الْعَرَبِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ: مِائَةُ جَزُورٍ وَجَزُورٍ وَاحِدٌ سِوَاهُ، وَاللَّهِ مَا كُنَّا لِنَقَرَّ لَكُمْ بِالسَّبَقِ عَلَيْنَا، وَلَمْ تُسَبِّقْ.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَازَنَ بْنِ فَزَارَةَ فَقَالَ: يَا قَوْمُ، إِنَّ قَيْسًا كَانَ كَارِهًا لِأَوَّلِ هَذَا الرَّهَانِ، وَقَدْ أَحْسَنَ فِي آخِرِهِ،

(١) محك: ليج.

(٢) أ: «عارضها».

(٣) كذا في المختار والنقائض، وفي أ: «خيل زهير».

(٤) هامش أ: «ويروى: غلاء، من المعالاة»، وفي «القاموس»: كل مرماة غلوة وجمعها غلوات وغلاء، وفي المثل: جرى المذكيات

غلاء.

(٥) في «القاموس»: تمطرت الخيل: جاء يسبق بعضها بعضاً. وتمطرت الطير: أسرع.

(٦) حلثوها: منعوها.

(٧) جسأت يده: صلبت، وفي المختار والنقائض: «فجفت».

(٨) في المختار والنقائض: «ولو يطيقهم بنو عبس لقاتلوه».

(٩) الخطر: السبق.

وإن الظلم لا ينتهي إلا إلى الشر؛ فأعطوه جزوراً من نعمكم، فأبوا، فقام إلى جزور من إبله فعقلها ليُعطيها قيساً ويُرضيه، فقام ابنه فقال: إنك لكثير الخطأ؛ أتريد أن تخالف قومك وتُلحق بهم خزاية بما ليس عليهم؟ فأطلق الغلام عقالها، فلحقت بالنعم. فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومن معه من بني عيس، فأتى على ذلك ما شاء الله.

قيس بن زهير قتل عوف بن بدر والربيع يحمل دينه

ثم إن قيساً أغار عليهم، فلقي عوف بن بكر فقتله وأخذ إبله، فبلغ ذلك بني فزارة، فهجموا بالقتال، وغضبوا، فحمل الربيع بن زياد أحد بني عوذ بن غالب بن قُطيعة بن عيس دية عوف بن بكر مائة عُسراء مثلية. (العُسراء: التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر من مَلَقِهَا. والمتالي: التي نتج بعضها والباقي يتلونها في التاج).

وأم عوف وأم حذيفة ابنة نضلة بن جُوَيَّة بن لؤذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة. واصطاح الناس، فمكتوا ما شاء الله.

/ حذيفة بن بدر يلدس فرساناً يقتلون مالك بن زهير

ثم إن مالك بن زهير أتى امرأة يقال لها: مُلَيْكَةُ بنت حارثة من بني عوذ^(١) بن فزارة، فابتنى بها باللقاطة^(٢) قريباً من الحاجر، فبلغ ذلك حذيفة بن بكر، فدرس له فرساناً على أفراس من مَسَانٍ خَيْلِه، وقال: لا تَنْظُرُوا^(٣) مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه، والربيع^(٤) بن زياد بن عبد الله بن سُفْيَان بن ناشب^(٥) العَبْسِيّ مجاور حذيفة بن بكر، وكانت تحت الربيع بن زياد معاذة ابنة بدر، فانطلق القوم، فلقوا مالكا فقتلوه، ثم انصرفوا عنه، فجاءوا عشية وقد جهدوا أفراسهم، فوقفوا على حذيفة ومعه الربيع بن زياد، فقال حذيفة: أقدرتم على حماركم! قالوا: نعم، وعقرناه. فقال الربيع: ما رأيْتُ كاليوم قط، أهلكت أفراسك من أجل حمار! فقال حذيفة لما أكثر عليه من الملامة، وهو يحسب أن الذي أصابوا^(٦) حماراً: إنا لم نقتل حماراً، ولكننا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بكر. فقال الربيع: بش لعمرُ الله القتل قتل^(٧)، أما والله إني لأظنه سيبلغ ما نكره^(٨).

الربيع يغضب لقتل مالك

فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرقا، فقام الربيع يَطأ الأرض وطأً شديداً، وأخذ يومئذ حَمَلُ بن بكر ذا التون، سيفَ مالك بن زهير.

(١) في النقائض: «من بني غراب بن فزارة»، وفي المختار: «من بني عوذة».

(٢) س: اللفاظ، والمثبت من النقائض والمختار.

(٣) ب، س: «لا تَنْظُرُوا»، والمثبت في المختار والنقائض.

(٤) في المختار: «وكان الربيع... مجاوراً حذيفة».

(٥) في النقائض: «قارب».

(٦) في المختار: «أصابوه».

(٧) في بيروت: «ما فعلت»، وما هنا موافق للمختار والنقائض.

(٨) في المختار: «ما يكره» بالمبني للمجهول.

[١٩٦/١٧] / قال أبو عبيدة: فزعموا أنَّ حذيفة لما قام الربيع بن زياد أرسل إليه بمولدة له^(١) فقال لها: اذهبي إلى معاذة بنت بذر امرأة الربيع فانظري ما ترى الربيع يصنع. فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت، فاندست بين الكفاء والنضد - والكفاء: شقة في آخر البيت، والنضد: متاع يُجعل على حمار من خشب - فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه فقبض بمعرفته، ثم مسح مئته حتى قبض بعكوة ذنبه - العكوة: أصل الذنب - ثم رجع إلى البيت ورُمحه مركزاً بفنائه، فهزه هزاً شديداً، ثم ركزه كما كان، ثم قال لامرأته: اطرحي لي شيئاً، فطرحته له شيئاً، فاضطجع عليه، وكانت قد طهرت تلك الليلة، فدنت منه، فقال: إليك! قد حدث أمر، / ثم تغنى، وقال^(٢)

الربيع يرثي مالكا

نام الخَلِيّ وما أغمض حار^(٣) من مثله تُمسي النساء حواسراً
من كان مسروراً بمقتل مالك يجد النساء حواسراً يندبنه
قد كنَّ يخبان الوجوه تسيراً يخمشن حرات الوجوه على امرىء^(٧)
أفغد مقتل مالك بن زهير^(٨) ما إن أرى في قتله لذوي الحجا
ومجئيات ما يذفن عذوفاً العذوف والعدوف واحد، وهو ما أكلته.

ومساعراً صدا الحديد عليهم يا رب مسرور بمقتل مالك
فكأنما طلي الوجوه بقار^(٩) ولسوف نصرفه بشر محار^(١٠)
فرجعت المرأة^(١١) فأخبرت حذيفة الخبر، فقال: هذا حين اجتمع أمر إخوتكم، ووقعت الحرب.

حذيفة بن بدر يمدس فرساناً وراء الربيع

وقال الربيع لحذيفة وهو يومئذ جاره: سيرني، فإني جاركم، فسيره ثلاث ليال، ومع الربيع فضلة من خمر،

(١) أ، والنقائض: «أرسل إليه أمة مولدة».

(٢) الأبيات في النقائض ٨٩ وحماسة أبي تمام ١: ٢٩٨.

(٣) حار، مرخم: «حارث».

(٤) في المختار: «يوقمن معولة».

(٥) النقائض: «بنصف نهار».

(٦) والمختار: «برزن للنظار».

(٧) هامش أ من نسخة: «حر وجوههن»، وفي المختار: «حر وجوههن على فتي».

(٨) في هذا الشطر عيب يسمى القطع.

(٩) المساعر: جمع مسعر، وهو موقد نار الحرب.

(١٠) المحار: المرجع، وفي أ: «نضريه»، وفي المختار: «بشر مصار».

(١١) في المختار والنقائض: «الامة».

فلما سار الربيع دسَّ حذيفة في أثره فوارس، فقال: اتبعوه، فإذا مضت^(١) ثلاث ليالٍ فإنَّ معه فضلةً من خمر، فإنَّ وجدتموه قد أهرأها^(٢) فهو جادٌ وقد مضى، فانصرفوا، وإنَّ لم تجدوه قد أراقها فاتبعوه؛ فإنكم تجدونه قد مال لأذنى منزل، فرتع وشرب فاقتلوه، فتبعوه فوجدوه قد شقَّ الزقَّ ومضى، فانصرفوا.

فلما أتى الربيعُ قومه، وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شخاء؛ وذلك أنَّ الربيعَ ساوَمَ قيس بن زهير في دِرْعٍ كانت عنده، فلما نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه، ثم ركض بها فلم يردّها على قيس، فعرض / قيس لفاطمة ابنة الخُرْشَب الأنمارية - من أنمار بن بغيض، وهي إحدى مُنْجِبَات قيس، وهي أُمُّ الربيع - وهي تَسِيرُ في طعائن من عَبَس، فاقْتَادَ جَمَلَهَا، يريد أن يَرْتَهِنَهَا بِالذَّرْعِ حتى يُردَّ عليه، فقالت: ما رأيتُ كالْيَوْمِ فَعَلَّ رجلًا أي قيس، ضلَّ حِلْمُكَ! أترجو أن تصطَلَحَ أنتَ وبنو زياد وقد أخذت أُمَّهُم! فذهبت بها يميناً وشمالاً! فقال الناسُ في ذلك ما شاءوا! وحسبك من شرِّ سماعه، فأرسلتها مثلاً. فعرف قيسُ بن زهير ما قالت له، فخلَّى سبيلها، وأطرد إبلاً لبني زياد، فقدم بها مكّة، فباعها من عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مُرة القرشي، وقال في ذلك قيس بن زهير^(٣):

ألم يبلغك والانباء تنمي بما لاقت لكون بني زياد
ومخسها على القرشي تُشرى بأدراعٍ وأسيفٍ جدادٍ
كما لاقيت من حمل بن بذر وإخوته على ذات الإصاد
/ هُم فخرُوا عليّ بغير فخر وذادوا دُونَ غايته جوادِي
وكنْتُ إذا مُنيْتُ بخصم سوء دلفتُ له بداهية نَادٍ^(٤)
بداهية تدقّ الصُّلْبَ منه فتقصيُ أوتجوبُ عن الفؤاد^(٥)
وكنْتُ إذا أتاني الدهر رنق بداهية شددتُ لها نجادِي

الربق: ما يتقلده.

/ ألم تعلم بنو الميقاب أئى كريمٌ غير مُنْغَلِثِ الزُّنَادِ^(٦)

الوقب: الأحق، والميقاب: التي تلد الحمقى، والمنغلث: الذي ليس بمنتقى.

أطوفُ ما أطوفُ ثم آوي إلى جَارٍ كجارِ أبي دُوَادٍ

جارؤه: يعني ربيعة الخير بن قُرْط بن سَلَمَة بن قشير، وجارُ أبي دُوَادٍ يقال له: الحارث بن هُثَام بن مُرة بن دُهل بن شَيْبان، وكان أبو دُوَادٍ في جواره، فخرج صبيان الحي يلعبون في غدير، فغمس الصبيان ابنَ أبي دُوَادٍ فيه

(١) في س: «إذا مضوا» والمثبت من أ والنقائص.

(٢) أهرأها: أسأها.

(٣) النقائص ٩٠.

(٤) نَاد: شديدة.

(٥) س: «تجوب على الفؤاد»، وجاب الشيء جواباً: خرقة، والمثبت ما في أ والنقائص والمختار.

(٦) أ: «كره يوم ملحمة جلادي». وفي هامشه من نسخة: «غير منغلث»، وفي المختار والنقائص: «غير منغلث»، ويروى: «معتلث»،

وفي «اللسان»: اعتلث الزند: انتخبته من شجرة لا يدري: أي يرى أم لا! واعتلث السهم، بالعين المهملة: أخذه من عرض الشجر.

فقتلوه، فخرج الحارث فقال: لا يبقى صبي في الحي إلا غرق في الغدير أو يرضى أبو دؤاد، فودى ابن أبي دؤاد عشر ديات فرضي، وهو قول أبي دؤاد:

إبلي الإبل لا يحوزها الرا عون ومجّ الندى عليها المدام
قال أبو سعيد: حفظي: لا يحوزها الراعي ومجّ الندى.

إليك ربيعة الخير بن قُرط وهوباً للطريف وللثلاد
كفاني ما أخاف أبو هلال ربيعة فانتَهت عني الأعادي
تظلّ جِئاده يحدّين^(١) حولي بذات الرّمث كالحدّ الغوادي
كأنني إذ أنختُ إلى ابنِ قُرط عقلتُ إلى يلملم أو نضاد^(٢)

وقال أيضاً قيس بن زهير:

/ إن تك حَزْبٌ فلم أجْهِها جَنَّتْها خِيارُهُمْ أَوْ هُمْ^(٣)
حِذارَ الرَّدَى إذ رَأَوْا خَيْلَنَا مُقَدِّمُها سَابِحٌ أَذْهَمُ
عليه كَمِيٍّ وَسِرْبِائِهِ مُضَاعَفَةٌ نَسْجُها مُحْكَمُ
فإن شَمَّرْتَ لَكَ عَنْ ساقِها فَوَيْهاً رِيْعٌ وَلَمْ يَسْأَمْوا
نَهَيْتُ رِيْعاً فَلَمْ يَزْدَجِرْ كما انْزَجَرَ الحارثُ الأَضْجَمُ^(٤)

[٢٠٠/١٧]

قال أبو عبد الله: الحارث الأضجم: رجل من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار، وهو صاحب المرباع.

قال: فكانت تلك الشخناء بين بني زياد وبين بني زهير، فكان قيس يخاف خذلانهم إياه، فزعموا أن قيساً دسّ غلاماً له مولداً، فقال: انطلق كأنك تطلب إبلاً؛ فإنهم سيسألونك، فاذا قتل مالك، ثم احفظ ما يقولون. فأتاهم العبد، فسمع الربيع يتغنّى بقوله:

أفْبَعْدَ مَقْتَلِ مالِكِ بنِ زُهير تَرْجُو النِّساءَ عَواقِبَ الأطهارِ^(٥)

فلما رجع العبد إلى قيس فأخبره بما سمع من الربيع بن زياد، عرف قيس أن قد غضب، فاجتمعت بنو عبس على قتال بني فزارة، فأرسلوا إليهم أن ردّوا علينا إبلنا التي ودّينا بها^(٦) / عَوْفاً أخوا حذيفة بن بدر لأمه، فقال: لا أعطيكم دية ابن أُمي، وإنما قتل صاحبكم حمل بن بدر، وهو ابن الأسدية، وأنتم وهو أعلم.

٣٠
١٦

/ فزعم بعض الناس أنهم كانوا ودّوا عوف بن بدر بمائة من الإبل مثلية؛ أي قد دنا نتاجها، وأنه أتى على تلك الإبل أربع سنين، وأن حذيفة بن بدر أراد أن يردها بأعيانها، فقال له سنان بن خارجة المُرّي: أتريد أن تلحق بنا

[٢٠١/١٧]

(١) في النقائض: «يجمزن»، وفي أ: «يجرين».

(٢) يلملم ونضاد: جبلان.

(٣) في النقائض: «صبارتهم أوهم».

(٤) في المختار: «الأضخم»، وهو يوافق ما في النقائض. قال: وروى ابن الأعرابي: «الحارث الأجدم».

(٥) النقائض: ٩٣.

(٦) النقائض والمختار: «وديناها».

خزاية فنعطيههم أكثر مما أعطونا، فتسبنا العرب بذلك؟ فأمسكها حذيفة، وأبى بنو عَيس أن يقبلوا إلا إبلهم بعينها فمكث القوم ما شاء الله أن يمكثوا.

جندب يقتل مالك بن بدر

ثم إن مالك بن بدر خرج يطلب إبلًا له، فمر على بني رواحة، فرماه جندب^(١) - أحد بني رواحة - بسهم فقتله، فقالت ابنة مالك بن بدر في ذلك^(٢):

لله عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَالِكِ
فَلَيْتَهُمَا لَمْ يَشْرَبَا قَطُّ قَطْرَةً^(٣)
أَحْلَ بِهِ مِنْ جَنْدَبٍ أَمْسَ نَذْرَهُ^(٤)
إِذَا سَجَعَتْ بِالرَّقَمَتَيْنِ حَمَامَةً

فرس له كانت تسمى الكتفان.

الأسلع بن عبد الله بن ناشب يمشي في الصلح بين عبس وذبيان

ثم إن الأسلع بن عبد الله بن ناشب بن زيد بن هذم بن أذ بن عوذ بن غالب بن قُطَيْعَة بن عَبْس مشى في الصلح، ورهن بني ذبيان ثلاثة / من بني وأربعة من بني أخيه حتى يصطلحوا، جعلهم على يدي سبيع بن عمرو من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان. فمات سبيع وهم عنده.

سبيع بن عمرو يوصي مالكا ابنه

فلما حضرته الوفاة قال لابنه مالك بن سبيع: إن عندك مكرمة لا تبدي إن أنت احتفظت بهؤلاء الأغنيمة، وكأني بك لو قد مُتُّ قد أتاك حذيفة خالك - وكانت أم مالك هذا ابنة بدر - فعصر عينيه، وقال: هلك سيّدنا، ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم، فلا شرف بعدها فإن خفت ذلك فاذهب بهم إلى قومهم. فلما ثقل جعل حذيفة يكي ويقول: هلك سيّدنا، فوقع ذلك له في قلب مالك.

مالك دفع الرهن إلى حذيفة

فلما هلك سبيع أطاف بابنه مالك فأعظمه، ثم قال له: يا مالك، إني خالك، وإني أسئ منك، فاذفع إلي هؤلاء الصبيان ليكونوا عندي إلى أن ننظر في أمرنا. ولم يزل به حتى دفعهم إلى حذيفة باليعمرية، واليعمرية: ماء بوادٍ من بطن نخل من الشربة لبني ثعلبة.

فلما دفع مالك إلى حذيفة الرهن جعل كل يوم يبرز غلاماً فينصبه غرضاً ويُرْمِي بالنبل، ثم يقول: نادِ أباك، فينادي أباه حتى يُمزقه النبل، ويقول لواقد بن جنيد: نادِ أباك فجعل ينادي: يا عمّاه، خلافاً عليهم، ويكره أن

(١) النقاظ: «جندب».

(٢) النقاظ ٩٢.

(٣) النقاظ: «شربة».

(٤) كذا في أوالمختار، وفي «بيروت»: «أحل به أمس الجندب نذره».

يَأْسُ أَبَاهُ بِذَلِكَ - وَالْأَبْسُ: الْقَهْرُ وَالْحَمْلُ عَلَى الْمَكْرِهِ - وَقَالَ لَابْنُ جُنَيْدٍ بَنُ عَمْرٍو بَنُ عَبْدِ الْأَسْلَعِ: نَادَ جُنَيْبَةً [٢٠٣/١١] - وَكَانَ جُنَيْبَةً لِقَبِّ / أَبِيهِ - فَجَعَلَ يَنَادِي: يَا عَمْرَاهُ^(١)، بِاسْمِ أَبِيهِ حَتَّى قُتِلَ. وَقُتِلَ عَتَبَةُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ زَهِيرٍ.

ثُمَّ إِنَّ بَنِي فِزَارَةَ اجْتَمَعُوا هُمْ وَبَنُو ثَعْلَبَةَ وَبَنُو مُرَّةَ، فَالْتَقَوْا هُمْ وَبَنُو عَبْسٍ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَالِكَ بْنَ سَبِيحٍ بَنُ عَمْرٍو الثَّعْلَبِيَّ^(٢) - قَتَلَهُ مَرْوَانَ^(٣) بَنُ زَيْنَبَاعِ الْعَبْسِيِّ - وَعَبْدَ الْعَزَى بَنُ حُذَارِ الثَّعْلَبِيِّ، وَالْحَارِثُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، وَهَرَمُ بْنُ ضَمْضَمِ الْمُرِّيِّ - قَتَلَهُ وَزْدُ بْنُ حَابِسِ الْعَبْسِيِّ، وَلَمْ يَشْهَدْ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَذِيفَةُ بْنُ بَدْرٍ، فَقَالَتْ نَاجِيَةُ أُخْتُ هَرَمِ بْنِ ضَمْضَمِ الْمُرِّيِّ^(٤):

يَا لَهْفَ نَفْسِي لَهْفَةَ الْمَفْجُوعِ أَلَا أَرَى هَرِمًا عَلَى مَوْدُوعِ
/ مِنْ أَجْلِ سَيِّدِنَا وَمَضْرَعِ جَنْبِهِ عَلِقَ الْفَوَادُ بِحَنْظَلٍ مَجْدُوعِ^(٥)

٣١
١٦

مَوْدُوعُ: فَرَسُهُ.

بَيْنُ ذُبْيَانَ وَهَبْسٍ

ثُمَّ إِنَّ حَذِيفَةَ بْنَ بَدْرٍ جَمَعَ وَتَأَهَّبَ^(٦)، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ بَنُو ذُبْيَانَ بَنُ بَغِيضٍ فَبَلَغَ بَنِي عَبْسٍ أَنَّهُمْ قَدْ سَارُوا إِلَيْهِمْ، فَقَالَ قَيْسٌ: أَطِيعُونِي، فَوَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَفْعَلُوا لَا تُكْتَنَّنَ عَلَيَّ سَيْفِي حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي، قَالُوا: فَإِنَّا نَطِيعُكَ، فَأَمَرَهُمْ فَسَرَّحُوا السَّوَامَ وَالضُّعَافَ بِلَيْلٍ وَهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَظْعَنُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ ذَلِكَ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا فِي الصُّبْحِ، وَأَصْبَحُوا عَلَى ظَهْرِ الْعَقَبَةِ، وَقَدْ مَضَى سَوَامُهُمْ وَضُعَفَاؤُهُمْ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الْخَيْلُ مِنَ الشَّيَا، فَقَالَ قَيْسٌ: خَذُوا غَيْرَ طَرِيقِ الْمَالِ؛ فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لِلْقَوْمِ أَنْ يَقْعُوا فِي شَوْكَتِكُمْ، وَلَا يَرِيدُونَ بِكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ شَرًّا مِنْ ذَهَابِ أَمْوَالِكُمْ، فَأَخَذُوا غَيْرَ طَرِيقِ الْمَالِ.

/ فَلَمَّا أَدْرَكَ حَذِيفَةُ الْأَثَرَ وَرَأَاهُ^(٧) قَالَ: أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ! وَمَا خَيْرُهُمْ بَعْدَ ذَهَابِ أَمْوَالِهِمْ! فَاتَّبَعَ الْمَالِ. [٢٠٤/١١]

وَسَارَتْ ظُعْنُ بَنِي عَبْسٍ وَالْمُقَاتِلَةُ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَتَبَعَ حَذِيفَةُ وَبَنُو ذُبْيَانَ الْمَالِ. فَلَمَّا أَدْرَكَهُ رَدُّوهُ^(٨) أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ، وَلَمْ يُقِلَّتْ مِنْهُمْ شَيْءٌ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَطْرُدُ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِبِلِ، فَيَذْهَبُ بِهَا. وَتَفَرَّقُوا، وَاشْتَدَّ الْحَرُّ، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ زَهِيرٍ: يَا قَوْمَ، إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ فَرَّقَ بَيْنَهُمُ الْمَغْنَمَ، فَاعْطِفُوا الْخَيْلَ فِي آثَارِهِمْ، فَلَمْ تَشْعُرْ بَنُو ذُبْيَانَ إِلَّا وَالْخَيْلَ دَوَائِسَ^(٩)، فَلَمْ يَقَاتِلْهُمْ كَبِيرُ أَحَدٍ، وَجَعَلَ بَنُو ذُبْيَانَ إِنَّمَا هِمَّةُ الرَّجُلِ فِي غَنِيمَتِهِ أَنْ يَحُوزَهَا، وَيَمْضِي بِهَا.

فَوَضَعَتْ بَنُو عَبْسٍ فِيهِمُ السَّلَاحَ حَتَّى نَاشَدْتَهُمْ بَنُو ذُبْيَانَ الْبَقِيَّةَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ هَمٌّ غَيْرَ حَذِيفَةَ، فَأَرْسَلُوا خَيْلَهُمْ مُجْتَهِدِينَ فِي أَثَرِهِ، وَأَرْسَلُوا خَيْلًا تَقْصُ^(١٠) النَّاسَ وَيَسْأَلُونَهُمْ، حَتَّى سَقَطَ خَبَرُ حَذِيفَةَ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ عَلَى

(١) أ: «يَا عَمَاه».

(٢) أ: «التغليي»، تحريف.

(٣) فِي النَّقَائِضِ: الْحَكَمُ بْنُ مَرْوَانَ.

(٤) النَّقَائِضُ ٩٤.

(٥) أ، النَّقَائِضُ، الْمُخْتَارُ، بَيْرُوت: «مَصْدُوع».

(٦) أ، وَالْمُخْتَارُ وَالنَّقَائِضُ: «وَتَهَيَّأ».

(٧) وَكَذَا فِي النَّقَائِضِ. وَفِي الْمُخْتَارِ: «وَرَاءَهُمْ».

(٨) أ وَالْمُخْتَارُ وَالنَّقَائِضُ: «رَدُّوهُ».

(٩) ب، س: دَوَائِسُ، وَالْمُثَبِّتُ فِي الْمُخْتَارِ وَالنَّقَائِضِ وَبَيْرُوت. وَدَوَائِسُ: يَنْبَغُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

(١٠) وَكَذَا فِي الْمُخْتَارِ، وَفِي النَّقَائِضِ: «تَنْفُضُ» وَالْمُرَادُ تَتَعَرَّفُهُمْ.

شدّاد بن معاوية العبسي، وعمرو بن ذهل بن مرة بن مخزوم بن مالك بن غالب^(١) بن قُطَيْبَةَ العبسي، وعمرو بن الأسلع، والحارث بن زهير، وقرواش بن هُتَيّ بن أُسَيْد بن جَذِيمة، وجُنَيْدب.

وكان حُذَيْفَة قد استرخى حِزَامُ فرسه، فنزل عنه فوضع رِجْلَه على حَجَرٍ مخافةً أن يُقْتَصَّ أثره، ثم شد الحزام فوق صَدْرُ قدمه على الأرض فعرفوه، وعرفوا حَنَفَ فرسه - والحَنَفُ: أن تُقْبِل إحدى اليدين على الأخرى، وفي الناس أن تُقْبِل إحدى الرجلين على الأخرى، وأن يطأ / الرجل وحشيَّهما^(٢)، وجمع الأحنف حُنْفٌ - فاتبعوه، [١٧/١٠] ومضى حتى استغاث بجُفَر الهبأة وقد اشتد الحرّ، فرمى بنفسه، ومعه حَمَلٌ بن بَدْر، وحَنَشٌ بن عَمْرٍو، وورقاء بن بلال وأخوه - وهما^(٣) من بني عديّ بن فزارة - وقد نزعوا سُرُوجَهُم، وطرحوا سلاحَهُم، ووقعوا في الماء، وتمعكت^(٤) دوابُّهم، وقد بعثوا رَيْبَةَ فجعل يَطْلُع فينظر، فإذا لم يَر شيئاً رجع، فنظر نظرة فقال: إني قد رأيتُ شخصاً كالنعام أو كالطائر فوق القَتَادَةِ من قبل مجيئنا. فقال حذيفة: هُتَا وهُتَا، هذا شدّاد على جِرْوَةٍ، وجِرْوَةٌ: فرسٌ شدّاد، والمعنى دَخَ ذكر شدّاد عن يمينك وعن شمالك، واذكر غيره لما كان يخاف من شدّاد.

فبينما هم يتكلمون إذا هم بشدّاد بن معاوية واقفاً عليهم، فحال بينهم وبين الخيل، ثم جاء عمرو بن الأسلع، ثم جاء قرواش حتى تناموا خمسة، فحمل جُنَيْدب على خيلهم فاطردها، وحمل عمرو بن الأسلع، فاقتحم هو وشدّاد عليهم في الجُفَر، فقال حذيفة: يا بني عبس! فأين العقول والأحلام! فضربه أخوه^(٥) / حَمَلٌ بن بدر بين [١٧/٣٣] كَتَفَيْهِ، وقال: اتَّقِ مَأْثُورَ الْقَوْلِ^(٦) بعد اليَوْمِ، فأرسلها مثلاً.

وقتل قرواش بن هُتَيّ حُذَيْفَةَ، وقتل الحارث بن زهير حَمَلٌ بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير، وكان حَمَلٌ أخذه من مالك بن زهير يوم قتله، فقال الحارث بن زهير في ذلك^(٧):

[١٧/٦٠] / تركتُ على الهبأة غَيْرَ فخر
سيخبرُ عنهم حَنَشٌ بن عَمْرٍو
ويُخبرهم مكانُ النون مني
حُذَيْفَة حوله قصْدُ العوالي^(٨)
إذا لاقاهمُ وابَّنا بِلال
وما أعطيته عَرَقُ الخلال

العرق: المكافأة، والخلال: المودة، يقول: لم يعطوني السَّيْفَ عن مكافأة ومودة، ولكني قتلت وأخذت. فأجابه حنش بن عمرو أخو بني ثعلبة بن سعد بن دُيَّان^(٩):

يُخَابِرُكَ الحديثُ به خيرُ
بُدءُ تهما لِقَرَوَاشٍ وعَمْرٍو
يُجَاهِرُكَ العداوة غَيْرِي ألي
وأنتَ تَجُولُ جَوْبُكَ في الشمال

(١) في النقاظ: «شدّاد بن معاوية بن ذهل بن مرة بن مخزوم بن غالب».

(٢) الوحشي: الجانب الأيمن من كل شيء. والوحشي في الرجل: ظهرها، ضد الإنسي.

(٣) في المختار: «وهما بن عدي»، والمثبت في النقاظ أيضاً.

(٤) تمعكت دوابهم: تمرغت في التراب.

(٥) أ: «فضربه حمل بن بدر».

(٦) وكذا في النقاظ. وفي المختار: «الكلام».

(٧) النقاظ ٩٦.

(٨) قصد: جمع قصدة. وهي القطعة مما يكسر. والعوالي: الرماح.

(٩) النقاظ ٩٦.

الجوب: الثرس، يقول: بداءة الأمر لقرؤاش وعَمَرُو بن الأسلع، وهما اقتحما الجفَر وقتلا مَنْ قَتلا، وأنت تُرْسك في يدك يَجُولُ لم تنغ شيئا. ويقال: لك البداءة ولفلان العودة.
وقال قيس بن زهير^(١):

تعلم أن خير الناس مَنِيْتُ علي جَفَر الهَبَاءِ ما يَريْمُ
ولولا ظُلْمُهُ ما زِلْتُ أَبْكي عليه الدهرَ ما طلع النجوم
ولكن الفتى حَمَلْ بن بدر بَغَى، والبَغَى مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
أظنُّ الحليم دَلَّ علي قومي وقد يُسْتَجْهَلُ الرجلُ الحليمُ
فلا تَغْشَ المظالمَ لن تراه يُمْتَعُ بالغنى الرجلُ الظُّلومُ
/ ولا تَعْجَلْ بأمرِكَ واستدْمُهُ فما صَلَّى عصاك كمستديم^(٢)
ألا قبي مِنْ رجالٍ مُنْكَرَاتِ فأُنْكَرْها وما أَنَا بِالغُثُومِ
ولا يُعْيِيكَ عُزْقُوبُ بَلْأَيِ إذا لم يعطكَ التَّصَفَّ الخَصِيمُ^(٣)
وما رَسْتُ الرجالَ وما رُسُوني فمَعْرُوجٌ عِلْسِي وَمُسْتَقِيمُ

[٢٠٧/١]

قوله: فما صَلَّى عصاك كمستديم، يقول: عليك بالتأني والرفق، وإياك والعجلة؛ فَإِنَّ الْعَجُولَ لَا يُبْرِمُ أَمْرًا أَبَدًا، كما أَنَّ الذي يثقف العودَ إذا لم يُجِدْ تصليته على النار لم يستقم له.
وقال في ذلك شَذَاد بن معاوية العبسي^(٤):

مَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَأُنِّي وَجِزْرَةٌ لَا نَرُودُ وَلَا نُعَارُ^(٥)
مُقَرَّبَةً النَّسَاءِ^(٦) وَلَا تَرَاهَا أمامَ الحيِّ يتبعُهَا المِهَارُ
لَهَا فِي الصَّيْفِ أَصْرَةٌ وَجُلُّ وَسِيتُ مَنْ كَرَامَتُهَا غِزَارُ^(٧)
أَصْرَةٌ: حشيش، وسِت: أي ست أينق تُسْقَى لبنها.

أَلَا أَبْلِغُ بَنِي الْعُثْرَاءِ عَنِّي عَلَانِيَةً وَمَا يُغْنِي السَّرَارُ
قَتَلْتُ سِرَاتِكُمْ وَحَسَلْتُ مِنْكُمْ حَسِيلًا مِثْلَ مَا حَسِلَ الْوِبَارُ^(٨)

(١) النقائض ٩٦.

(٢) البيت في «اللسان» (صلا)، وروايته: «فما صلي عصاه كمستديم» وفي هذا البيت والذي بعده إقواء.

(٣) النصف، بالكسر: النصفة. وفي النقائض بعد هذا البيت شرح له هذا نصه: قوله: عرقوب، يقول: إذا لم ينصفك خصمك، فأدخل عليه عرقوباً يفسخ حجته.

(٤) النقائض ٩٧، ونسبت هذه الأبيات إلى عنترة في ديوانه ٦٥.

(٥) البيت في «اللسان» (جرا). وفيه وفي النقائض والمختار: «لا ترود ولا تعار».

(٦) في النقائض: «مقربة الشتاء» وفي أ: «مقربة النساء».

(٧) في النقائض والمختار: «بالصيف»، وفي «اللسان»: «كلّا أصر: حابس لمن فيه، أو يتهيأ إليه من كثرته». والبيت في «اللسان» (أصبر)، وروايته: «لها بالصيف... غزار».

(٨) البيت في «اللسان» (حسل)، وفيه: «قال ابن الأعرابي: «حسلت: أبقيت منكم بقية». والوبار: جمع وبر، دوية على قدر السنور من دواب الصحراء.

/ حُسَالَةُ النَّاسِ وَحُفَالَتِهِمْ وَرِعَاعِهِمْ وَخَمَانِهِمْ وَشَرَطُهُمْ وَخُثَالَتِهِمْ وَخُشَارَتِهِمْ وَغُثَاؤُهُمْ وَاحِدٌ؛ وَهُمْ السُّفْلَةُ. [٢٠٨/١٧]
 يقول: قَتَلْتُ سَرَاتِكُمْ وَجَعَلْتُكُمْ بَعْدَهُمْ حُسَالَةً، كَمَا خُلِقْتُ الْوَبَارُ حُسَالَةً.
 ٣٣
 ١٦

وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ ذِي حُسَا، وَيَزْعَمُ بَعْضُ بَنِي فِزَارَةَ أَنَّ حَذِيفَةَ كَانَ أَصَابَ يَوْمُنْذَ فَيَمْنُ أَصَابَ مِنْ بَنِي عَبْسٍ
 تُمَاضِرُ ابْنَةَ الشَّرِيدِ السُّلَمِيَّةِ أُمَ قَيْسٍ فَقَتَلَهَا، وَكَانَتْ فِي الْمَالِ، وَقَالَ:
 وَلَمْ أَقْتُلْكُمْ سِرًّا وَلَكِنْ عَلَانِيَةً وَقَدْ سَطَعَ الْغُبَارُ

أَصْوَات

[٢٠٩/١٧]

جَاءَ الْبَرِيدُ بِقِرْطَاسٍ يَخْبُ بِهِ فَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ قِرْطَاسِهِ فَزَعَا
 قَلْنَا: لَكَ الْوَيْلُ، مَاذَا فِي صَحِيفَتِكُمْ؟ قَالَ: الْخَلِيفَةُ أَمْسَى مُثَبِّأً وَجَعًا^(١)
 عَرُوضُهُ مِنَ الْكَامِلِ^(٢). الشَّعْرُ لِيَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ، وَالْغَنَاءُ لِابْنِ مُحَرَّرٍ، هَزَجٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو.
 وَهَذَا الشَّعْرُ يَقُولُهُ يَزِيدُ فِي عِلَّةِ أَبِيهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، وَكَانَ يَزِيدُ يَوْمُنْذَ غَازِيَا غَزَاةَ الصَّائِفَةِ.



مركز بحوث تاريخ اللغة العربية

(١) المثبت، كمكرم: من لا حراك به من المرض.

(٢) كذا في الأصول، والصواب أن البيت من البحر البسيط.

/ [خبر يزيد بن معاوية]

[٢١٠/١٧]

جيش معاوية يغزو الصائفة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني السكري والمبرد، عن دِماذ أبي غسان - واسمه رفيع بن سلمة - عن أبي عبيدة:

أن معاوية وجّه جيشاً إلى بلد الروم ليغزو الصائفة، فأصابهم جُدريّ فمات أكثر المسلمين، وكان ابنه يزيد مصطبجاً بِدِير مُرّان مع زوجته أم كلثوم، فبلغه خبرهم، فقال^(١):

إذا ارتفعتْ على الأنماط مصطبجاً بدِير مُرّانَ عندي أم كلثوم
فما أبالي بما لاقت جنودهم بالغدقذونة من حُمى ومن مُوم
فبلغ شعره أباه، فقال: أجل، والله ليلحقن بهم فليصيبته ما أصابهم.

يزيد يضرب باب القسطنطينية

فخرج حتى لحق بهم، وغزا حتى بلغ القسطنطينية، فنظر إلى قَبَيْن مَبْنَيْن عليهما ثيابُ الديباج، فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من إحداهما أصواتُ الدُّفوف والطبول والمزامير، وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى، فسأل يزيد عنهما ف قيل له: هذه بنتُ ملك الروم، وتلك بنتُ جَبَلَة بن الأيهم، وكلُّ واحدة منهما تُظهرُ السرور بما تفعله عشيرتها، فقال: أما والله لأُسْرَتُها، ثم صفَّ العسكر، وحمل حتى هُزم الروم، فأحجرهم في المدينة، وضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان في يده، فهشمه حتى انخرق، فَضْرِب عليه لوحٌ من ذهب، فهو عليه إلى اليوم.

/ نسختُ من كتاب محمد بن موسى اليزيدي: حدثني العباس بن ميمون طابع^(٢)، قال: حدثني ابن عائشة، عن أبيه، وحدثني القَحْذَمي:

[٢١١/١٧]

أن ميسون بنت بَخْدَل الكلبية كانت تزين يزيد بن معاوية، وتُرْجَلُ جُمَّته، قال: فإذا نظر إليه معاوية قال:
فلأن مات لم تُفلح مزينةُ بَعْدَه فَنُوطِي عليه يا مزين الثمائم^(٣)

(١) البيتان في البلدان (غدقذونة) وفي (دير مران). وفي ب، س: «بالفرقدونة»، تحريف. وأم كلثوم هي بنت عبد الله بن عامر بن كريب.

(٢) في «بيروت»: «طائع».

(٣) نوطي: علقني.

يزيد وعنسة في حضرة معاوية وهو يحتضر

فلما احتضر معاوية حضره يزيد بن معاوية، وعنسة بن أبي سفيان، فبكى يزيد إلى عنسة، وقال:

لو فات شيء يُرى لفات أبو حيان^(١) لا عاجز ولا وكل
الحؤول القلب الأريب ولن يذفع زوء المنية الحيل^(٢)

/ فسمعهما معاوية بعد أن رددهما مراراً، فقال: يا بني، إن أخوف ما أخاف على نفسي شيء صنعتته قبل ذلك، إني كنت أوصى رسول الله ﷺ، فكساني قميصاً، وأخذت شعراً من شعره، فإذا أنا مث فكفني في قميصه، واجعل الشعر في منخري وأذني وفمي، وخل بيني وبين ربي، لعل ذلك ينفعني شيئاً.

قال العباس بن ميمون: فقلت للقحذمي: هذا غلط، والدليل على ذلك أن أبا عدنان حدثني - وها هو حي فأسأله - عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، عن الشعبي:

/ أن معاوية مات ويزيد بالصائفة، فأتاه البريد بنعيع، فأنشأ يقول:

جاء البريد بقرطاس يخب به فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا: لك الويل، ماذا في صحيفتكم؟ قال: الخليفة أمسى مُبْتَلِياً وجعا
مادت بنا الأرض أو كادت تميز بنا كأن ما عز من أركانها انقلعا
من لم تزل نفسه تُوفي على وجل^(٣) تُوشك مقادير تلك النفس أن تقعا
لما وردت وباب القصر منطبق لصوت زملة هذ القلب فانصدعا

الضحاك بن قيس يتولى غسل معاوية ودفنه

وكان الذي تولى غسله ودفنه الضحاك بن قيس، فخطب الناس، فقال: إن ابن هند قد توفي، وهذه أكفائه على المنبر، ونحن مذرّجوه فيها، ومخلّون بينه وبين ربه، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة. ولو كان يزيد حاضراً لم يكن للضحاك ولا غيره أن يفعل من هذا شيئاً.

قال العباس: فسكت القحذمي، وما رد علي شيئاً.

عبد الله بن الزبير يرثي معاوية

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي، عن جدي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال:

صلى بنا عبد الله بن الزبير يوماً، ثم انفتل من الصلاة، فنشج^(٤)، وكان قد نعي له معاوية، ثم قال: رحم الله

(١) أ: «حيان»، والمثبت من ج، م، ب، س.

(٢) في «اللسان» (زوا): زوء المنية: ما يحدث من المنية. وفي هامش أ: «زوء المنية: قدرها».

(٣) أ: فوقها «شرف»، وعليها علامة الصحة.

(٤) نشج الباكي: غص بالبكاء في حلقه من غير انتخاب.

معاوية إن كنا لنخدعه فيتحادع لنا، وما ابن أنثى بأكرم منه، وإن كنا لنعرفه يتفارق لنا، وما الليثُ المخربُ بأجراً منه؛ كان والله كما قال بطحاء^(١) العذري:

[٢١٣/١٧. / رَكُوبُ المنابر وتأبها
تَرِيعُ إليه عيونُ الكلام
مَعْنُ بِخُطْبَتِهِ يَجْهَرُ^(٢)
إِذَا حَصِرَ الهذِرُ المِهْمَرُ^(٣)

كان والله كما قالت رقيقة، أو قال: بنت رقيقة:

أَلَا ابْكِيهِه أَلَا ابْكِيهِه أَلَا كُلَّ الْفَتَى فِيهِ

والله لو دُي أنه بقي بقاء أبي قبيس، لا يتخون له عقل، ولا تنقص له قوة.

قال: فعرفنا أن الرجل قد استوجس^(٤).

ابن عباس يرثي معاوية أيضاً

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا ابن أبي سعد، قال: قال محمد بن إسحاق المُسيبي: حدثني جماعة من أصحابنا: أن ابن عباس^(٥) أتاه نعي معاوية وولاية يزيد، وهو يعشي أصحابه ويأكل معهم، وقد رفع إلى فيه لقمة، فألقاها وأطرق هنيهة ثم قال: جبلٌ تدكدك، ثم مال بجميعه في البحر، واشتملت عليه الأبحر، لله درُّ ابنِ هند! ما كان أجمل وجهه، وأكرم خلقه، وأعظم حلمه.

فقطع عليه الكلام رجلٌ من أصحابه، وقال: أتقول هذا فيه؟ فقال: ويحك! إنك لا تدري من مضى عنك، ومن بقي عليك، وستعلم. ثم قطع الكلام.

مرثية تكويرة طبرستان

/ صوت

[٢١٤/١٧.

حَشَذْتُ وَأَكْرَمْتُ زَوَارَهَا / إِذَا زَيْنَبُ زَارَهَا أَهْلَهَا
وإن لم أجد لي هوى دارها / وإن هي زارتهم زُرْتُهم
وَحَرَبِي لَمَنْ أَشْعَلَتْ نَارَهَا / فَسَلِمِي لَمَنْ سَالَمَتْ زَيْنَبُ
وَلَمْ أَتَّبِعْ سَاعَةَ عَارَهَا / وَمَا زِلْتُ أُرْعَى لِمَا عَهْدَهَا

٣٥
١٦

عروضه من المتقارب. الشعر لشريح القاضي في زوجته زينب بنت حُذَير التميمية، والغناء لعَمْرُو بن بانة، ثاني ثقليل بالبنصر، عنه على مذهب إسحاق. وذكر إسحاق في كتاب «الأغاني» المنسوب إليه أنه لابن محرز.

(١) كذا في أ، م، ج، وفي ب، س: «بطحان» بالنون.

(٢) معن: متكلم يعرض في كل شيء.

(٣) تريع: ترجع، والفعل من يابي نصر وضرب. المِهْمَر: الكثير الكلام المَهْذَار.

(٤) ج، ما: «استوحش».

(٥) أ، م: «ابن عياش»، تصحيف.

[٢١٥/١٧]

أذكر شريح ونسبه وخبره

هو فيما أخبرني به الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا الحارث^(١) بن أبي أسامة، قال: حدثنا أبو سعيد، عن هشام بن السائب. وأخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني علي بن عبد الله بن معاوية بن ميسرة بن شريح، كلاهما اتفق في الرواية لنسبه:

نسبه

أنه شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مَرْتَع الكندي. قال هشام في خبره خاصة: وليس بالكوفة من بني الرائش غيرهم، وسائرهم من هجر وحضرموت.

وقد اختلف الرواة بعد هذا في نسبه؛ فقال بعضهم: شريح بن هانيء - وهذا غلط - ذاك شريح بن هانيء الحارثي، واعتلَّ مَنْ قال هذا بخبر روي عن مجالد، عن الشعبي، أنه قرأ كتاباً من عُمَر إلى شريح:

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى شريح بن هانيء. وقد يجوز أن يكون كتب عمر رضي الله عنه هذا الكتاب إلى شريح بن هانيء الحارثي، وقرأه الشعبي، وكلا هذين الرجلين معروف، والفرق بينهما النسب والقضاء؛ فإن شريح بن هانيء لم يقض، وشريح بن الحارث قد قضى لعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب عليه السلام. وقيل: شريح بن عبد الله، وشريح بن شراحيل، والصحيح ابن الحارث. وابنه أعلم به.

وقد أخبرنا وكيع، قال: حدثنا أحمد بن عمر بن بكير، قال: حدثني أبي عن الهيثم بن عدي، عن أبي ليلى: أن خاتم شريح كان نقشه شريح بن الحارث. وقيل: إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سيف بن ذي يزن، وعداده في كندة، وقد روى عنه شبيه بذلك.

/ أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن محمد الحنفي، قال: حدثنا عبدان، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، [٢١٦/١٧] قال: حدثنا سفيان الثوري، عن ابن أبي السَّفر، عن الشعبي، قال:

جاء أعرابي إلى شريح، فقال: مِمَّنْ أنت؟ قال: أنا من الذين أنعم الله عليهم، وعدادي في كندة.

قال وكيع: وقال أبو حسان، عن أيوب بن جابر، عن أبي حصين، قال:

كان شريح إذا قيل له ممن أنت؟ قال: مِمَّنْ أنعم الله عليه بالإسلام، عديد كندة.

قال وكيع: وقيل: إنما خرج إلى المدينة ثم إلى العراق؛ لأنَّ أمه تزوجت بعد أبيه فاستحيا.

سنة

وقد اختلف أيضاً في سنه؛ فقليل: مائة وعشرون سنة، وقيل: مائة وعشر، وقيل: أقل من ذلك وأكثر.

فممن ذكر أنه عُمِّرَ مائة وعشرين سنة أشعثُ بن سوار، روى ذلك يحيى بن معين، عن المحاربى، عن أشعث، وأبو سعيد الجعفي، روى ذلك عنه أبو / إبراهيم الزهري. وممن قال أقل من ذلك أبو نعيم. ٣٦
١٦ أخبرنا الحسن بن علي، عن الحارث، عن ابن^(١) سعد، عن أبي نعيم، قال: بلغ شريح مائة وثمانين سنة.

سنة وفاته

قال الحارث: وأخبرني ابن^(١) سعد، عن الواقدي، عن أبي سبرة، عن عيسى، عن الشعبي، قال: توفي شريح في سنة ثمانين، أو تسع وسبعين. [٢١٧/١٧]
/ قال أبو سعيد^(٢): وقال إبراهيم: في سنة ست وسبعين. وقال أبو إبراهيم الزهري، عن أبي سعيد الجعفي: إن شريحاً مات في زمن عبد الملك بن مروان.
أخبرني وكيع، قال: حدثنا الكُراني، عن سهل، عن الأصمعي، قال: وُلِدَ لشريح وهو ابنُ مائة سنة.
وروى إسماعيل بن أبان الورّاق، عن علي بن صالح، قال: قيل لشريح: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ابنَ ستِّ ومائة، قضيتُ^(٣) منها ستين سنة.

عمر استقضيه

وأخبرني وكيع بخبر عمر حين استقضاه، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن أيوب، قال: حدثنا رَوْحُ بن عباد، قال: حدثنا شعبة، قال: سمعتُ سُبَّاراً قال: سمعتُ الشعبي يقول:
إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذَ مِنْ رَجُلٍ قَرَساً عَلَى سَوْمٍ، فحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلًا، فَعَطَبَ الْقَرَسَ، فَقَالَ عمر: اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ رَجُلًا، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَرِيحاً الْعِرَاقِيَّ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَخَذْتَهُ صَاحِباً سَلِيماً عَلَى سَوْمٍ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَرَدَّهُ كَمَا أَخَذْتَهُ. قَالَ: فَأَعْجِبْ مَا قَالَ، وَبِعْثْ بِهِ قَاضِياً، ثُمَّ قَالَ: «مَا وَجَدْتَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُ أَحَدًا، وَمَا لَمْ تَسْتَبِينَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَالْزِمِ السَّنَةَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي السَّنَةِ، فَاجْتَهِدْ رَأْيَكَ».
أخبرني وكيع، قال: أخبرني عبد الله بن الحسن، عن الثُميري، عن حاتم بن قبيصة المهلبى، عن شيخ من كنانة، قال:
قال عمر لشريح، حين استقضاه: «لَا تُشَارَّ وَلَا تُضَارَّ، وَلَا تُشَرَّ وَلَا تُبْعَ». فقال عمرو بن العاص: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ:

[٢١٨/١٧] / إِنَّ الْقُضَاةَ إِنْ أَرَادُوا عَذْلًا وَفَصَلُّوا بَيْنَ الْخَصُومِ فَضْلًا^(٤)
وَزَحَزَحُوا بِالْحُكْمِ مِنْهُمْ جَهْلًا^(٥) كَانُوا كَمَثَلِ الْغَيْثِ صَابَ مَخْلًا^(٥)

(١) كذا في «بيروت»، وفي ج: «أبو سعد»، وفي أ، م: «أبو سعيد».

(٢) في «بيروت»: ابن سعد.

(٣) قضيت منها ستين سنة، أي عملت بالقضاء ستين سنة منها.

(٤) أ: «ورفعوا فوق الخصوم فضلاً».

(٥) ج، م، وهامش أ من نسخة: «كانوا كغيث قد أصاب محلاً». وصاب وأصاب بمعنى.

وله أخبار في قضايا كثيرة يطول ذكرها، وفيها ما لا يستغنى عن ذكره، منها محاكمة أمير المؤمنين علي عليه السلام إليه في الدرع.

يقضي بين علي وبين يهودي أخذ درعه

حدثني به عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أخت داهر بن نوح بالأهواز، قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدم العجلي، قال: حدثني حكيم بن حزام، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، قال:

عَرَفَ عَلِيٌّ صَلَواتِ اللَّهِ عَلَيْهِ دِرْعاً مَعَ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: يَا يَهُودِيٍّ، دِرْعِي سَقَطَتْ مِنِّي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: مَا أَدْرِي مَا تَقُولُ! دِرْعِي وَفِي يَدِي، بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ.

فَانْطَلَقَا إِلَى شَرِيحٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ شَرِيحٌ قَامَ لَهُ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اجْلِسْ. فَجَلَسَ شَرِيحٌ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ خَصْمِي لَوْ كَانَ مُسْلِماً لَجَلَسْتُ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا تَسَاوَوْهُمْ فِي الْمَجْلِسِ، وَلَا تَعُودُوا مَرْضَاهُمْ، وَلَا تَشْبِعُوا جَنَائِزَهُمْ، وَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِ الطَّرِيقِ، وَإِنْ سَبُّوكُمْ فَاضْرِبُوهُمْ، وَإِنْ ضَرَبُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ. ثُمَّ قَالَ: دِرْعِي عَرَفْتُهَا مَعَ هَذَا الْيَهُودِيٍّ.

فَقَالَ شَرِيحٌ لِلْيَهُودِيٍّ: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: دِرْعِي وَفِي يَدِي.

قال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين، إنها لدرعك كما قلت، ولكن لا بد من شاهد؛ فدعا قنبراً فشهد له، ودعا الحسن بن علي، فشهد له، / فقال: أما شهادة مولاك فقد قبلتها، وأما شهادة ابنك لك فلا. فقال [٢١٩/١٧] علي: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول إنَّ الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهل الجنة. ٣٧ ١٦ قال: اللهم نعم، قال: أفلا تُجيز شهادةَ أحدِ سيِّدَي شبابِ أهل الجنة! والله لتُخرجنَّ إلى بانقيا فلتقضيَنَّ بين أهلها أربعين يوماً. ثم سلّم الدرعَ إلى اليهودي.

فقال اليهودي: أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه، فقاضى عليه، فرضي به، صدقت إنها لدرعك، سقطت منك يوم كذا وكذا عن جمل أوزق فالتقطتها، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال علي عليه السلام: هذه الدرع لك، وهذه الفرس لك، وفرض له في تسعمائة، فلم يزل معه حتى قُتِلَ يوم صفين.

أخبار زينب بنت حدير وتزويج شريح إياها

[٢٢٠/١٧]

شريح يصحح الشعبي بأن يتزوج من نساء بني تميم

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف، قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب^(١)، قال: حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع، قال: حدثنا ابن أبي زائدة، وأبو محمد رجل ثقة، قال: حدثنا مجالد، عن الشعبي، قال:

قال لي شريح: يا شعبي، عليكم بنساء بني تميم فإنهنّ النساء، قال: قلت: وكيف ذاك؟ قال: انصرفت من جنازة ذات يوم مظهر^(٢)، فمررت بدور بني تميم، فإذا امرأة جالسة في سقيفة على وسادة وتجاهها جارية رُود - يعني التي قد بلغت - ولها ذؤابة على ظهرها جالسة على وسادة، فاستسقيت، فقالت لي: أيّ الشراب أعجب إليك: النبيذ، أم اللبن، أم الماء؟ قلت: أي ذلك يتيسر عليكم، قالت: اسقوا الرجل لبناً؛ فإني إخاله غريباً.

يرى زينب بنت حدير، فيخطبها ويتزوجها

فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبني، فقلت: من هذه؟ قالت: ابنتي، قالت: وممن؟ قالت: زينب بنت حدير، إحدى نساء بني تميم، ثم إحدى نساء بني حنظلة، ثم إحدى نساء بني طهية، قلت: أفارغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة، قلت: أتزوجينها؟ قالت: نعم إن كنت كفيّاً، ولها عم فاقصده.

فانصرفت فامتنعت من القائلة، فأرسلت إلى إخواني القراء الأشراف: مسروق بن الأجدع، والمسيب بن نجبة، وسليمان بن صرد الخزاعي، وخالد / بن عرفة المذري، وعروة بن المغيرة بن شعبة، وأبي بردة بن أبي موسى، فوافيت معهم صلاة العصر، فإذا عثها جالس، فقال: أبا أمية، حاجتك؟ قلت: إليك، قال: وما هي؟ قلت: ذكرت لي بنت أخيك زينب بنت حدير، قال: ما بها عنك رغبة، ولا بك عنها مقصر، وإنك لنهزة. فتكلمت فحمدت الله جلّ ذكره، وصليت على النبي ﷺ، وذكرْتُ حاجتي، فردّ الرجل عليّ وزوجني، وبارك القوم لي، ثم نهضنا.

فما بلغت منزلي حتى ندمتُ، فقلت: تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفأها فهممت بطلاقها، ثم قلت: أجمعها إليّ، فإن رأيتُ ما أحبُّ وإلا طلقْتُها.

فأقمْتُ أياماً، ثم أقبل نساؤها يهادينها، فلما أجلس في البيت أخذت بناصيتها فبركت، وأخلى لي البيت، فقلت: يا هذه، إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي ركعتين وتصلي ركعتين، ويسأله الله خير

(١) ب، س: «حرم»، تحريف.

(٢) مظهراً: سائراً أو داخلاً في الظهيرة.

ليبتهما، ويتعوذاً بالله من شرها. فقمْتُ أصلي ثم التفت، فإذا هي خلفي فصليت، ثم التفت فإذا هي على فراشها، فمددت يدي، فقالت لي: على رسلك، فقلت: إحدى / الدواهي مُنيتُ بها، فقالت: إن الحمد لله أحمدته وأستعينه ^{٢٨}/_{١٦} إني امرأة غريبة، ولا والله ما سرتُ مسيراً قط أشد عليّ منه، وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك، فحدّثني بما تحبّ فأتيه، وما تكره فأنزجر عنه. فقلت: الحمد لله وصلى الله على محمد، قدمت خَيْرَ مقدم، قدمت على أهل دارِ زَوْجك سيّد رجالهم، وأنت سيدة نسايتهم، أحبّ كذا وأكره كذا.

/ قالت: أخبرني عن أختانك ^(١) أتحبّ أن يزوروك؟ فقلت: إني رجل قاضٍ، وما أحبّ أن تملّوني.

[٢٢٢/١٧]

أم زينب تسأله عن ابنتها فيثني عليها

قال: فبتْ بأنعم ليلة، وأقمْتُ عندها ثلاثاً، ثم خرجتُ إلى مجلس القضاء، فكنت لا أرى يوماً إلا هو أفضل من الذي قبله، حتى إذا كان عند رأس الحَوْل دخلتُ منزلي، فإذا عجوز تأمر وتنهى، قلت: يا زينب، من هذه؟ فقالت: أُمِّي فلانة. قلت: حيّاك الله بالسلام، قالت: أبا أمية كيف أنت وحالك؟ قلت: بخير أحمد الله، قالت: أبا أمية؛ كيف زوجك؟ قلت: كخير امرأة، قالت: إنّ المرأة لا ترى في حال أسوأ خلقاً منها في حالين: إذا حظيت عند زوجها، وإذا ولدت غلاماً؛ فإنّ رَأْبَكَ منها رَيْبٌ فالسُّوط؛ فإنّ الرجال والله ما حازت إلى بيوتها شراً من الـوَرَهَاء ^(٢) المتدلّلة.

قلت: أشهد أنها ابنتك، قد كفيتنا الرياضة، وأحسنيت الأدب.

قال: فكانت في كل حَوْل تأتينا فتذكر هذا، ثم تنصرف.

مركزية تقيّة بن عبد الله بن مسعود

يعالج زينب من لسعة عقرب

قال شريح: فما غضبتُ عليها قطّ إلا مرّة كنتُ لها ظالماً فيها؛ وذاك أني كنتُ أمام قومي فسمعتُ الإقامة، وقد ركعت ركعتي الفجر، فأبصرت عقرباً، فعجلتُ عن قتلها، فأكفأت عليها الإناء، فلما كنت عند الباب قلت: يا زينب لا تحرّكي الإناء حتى أجيء، فعجلتُ فحرّكت الإناء فضربتُها بالعقرب، فجئت فإذا هي تَلَوِي. فقلت: مالك؟ قالت: لسعتني العقرب. فلر رأيتني يا شعبي وأنا أعركُ أصبعها بالماء والملح، وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب.

[٢٢٣/١٧]

/ كان له جار يضرب امرأته فقال في ذلك شعراً

وكان لي يا شعبي جارٌ يقال له ميسرة بن عُزَيْر من الحيّ، فكان لا يزال يضرب امرأته، فقلت:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم فشَلَّتْ يميني يوم أضربُ زينبا

يا شعبي، فوددتُ أني قاسمتها عَيْشي.

ومما يغلّي فيه من الأشعار التي قالها شريح في امرأته زينب:

(١) أختان: جمع ختن: الصهر من قبل الزوجة.

(٢) الـوَرَهَاء: الحمقاء.

صوت

رَأَيْتُ رِجَالًا يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبْتُ زَيْنَبَا
أَضْرِبُهَا فِي غَيْرِ جُرْمٍ أَتَتْ بِهِ إِلَيَّ، فَمَا عَذَرِي إِذَا كُنْتُ مَذْنِبَا!
فَتَاةُ تَزِينُ الْحَلِيَّ إِنَّ هِيَ حُلَيْثُ كَانَ فِيهَا الْمَسْكُ خَالِطٌ مَحْلِبًا^(١)
والغناء ليونس الكاتب من كتابه غير مُجَسَّس.

صوت

[٢٢٤/١٧]

أَمِنْ رَسْمٍ دَارٍ مَرِيعٌ وَمَصِيفُ لَعِينِكَ مِنْ مَاءِ الشُّؤُونِ وَكَيْفُ
تَذَكَّرْتُ فِيهَا الْجَهْلَ حَتَّى تَبَادَرَتْ دُمُوعِي وَأَصْحَابِي عَلَيَّ وَقُوفُ
عَرُوضُهُ مِنْ مَصْرَعِ الطَّوِيلِ. الشعر للحطيثة من قصيدة يمدحُ بها سعيد بن العاص لما / ولى الكوفة لعثمان. ٣٩
١٦
والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی ایران

/ أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال: لَقِيتُني إِيَّاسَ بنَ الحَطيئةِ، فقال لي: يا أبا عثمان، مات أبي، وفي كِسْرِ بيته عشرون ألفاً أعطاه إياها أبوك، وقال فيه خمس قصائد، فذهب والله ما أعطيتُمونا وبقي ما أعطيناكم، فقلت: صدقت والله.

شعره في مدح سعيد بن العاص

قال أبو زيد: فمما قال فيه قوله:

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرَبَّعٍ وَمَصِيفٍ	لَعَيْنِكَ مِنْ مَاءِ الشُّؤْنِ وَكَيْفٍ ^(١)
إِلَيْكَ سَعِيدُ الْخَيْرِ جُبْتُ مَهَامِهَا	يَقَابِلُنِي أَلْ بِهَا وَتُشُوفٍ ^(٢)
وَلَوْ لَا أَصِيلُ اللَّبِّ غَضَّ شَبَابِهِ	كَرِيمٍ لِأَيَّامِ الْمُنُونِ عَرُوفٍ ^(٣)
إِذَا هُمْ بِالْأَعْدَاءِ لَمْ يَنْ هَمَّ لَهُ	كَعَابٍ عَلَيْهَا لَوْلُؤُ وَشُوفٍ ^(٤)
حَصَانٌ لَهَا فِي الْبَيْتِ زِيٌّ وَبَهْجَةٌ	وَمَشْيٌ كَمَا تَمْشِي الْقَطَاةُ قَطُوفٍ ^(٥)
وَلَوْ شَاءَ وَارَى الشَّمْسُ مِنْ دُونِ وَجْهِهِ	حِجَابٌ وَمَطْوِيٌّ السَّرَاةُ مَنِيفٍ ^(٦)

ينشد شعراً لأبي دواد الإيادي وعبيد

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، قالوا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي، عن خالد / بن سعيد بن العاص، عن أبيه، قال: كان سعيد بن العاص في (٢٦/١٧) المدينة زمن معاوية، وكان يعشي الناس، فإذا فرغ من العشاء قال الآذن: أجزوا إلّا مَنْ كان من أهل سَمَرِهِ. قال: فدخل الحطيئة فتعشى مع الناس، ثم أقبل فقال الآذن: أجزوا، حتى انتهى إلى الحطيئة، فقال: أجز، فأبى، فأعاد عليه فأبى، فلما رأى سعيد إباءه قال: دَعَهُ، وأخذ في الشُّعْر والحطيئة مُطَرِّقٌ لا ينطق، فقال الحطيئة: والله ما أَصَبْتُمْ جَيِّدَ الشعر، ولا شاعر الشعراء. قال سعيد: مَنْ أشعر العرب يا هذا؟ فقال: الذي يقول:

(١) ديوانه ٣٩. والوكيف: سيلان الدموع.

(٢) جبت: قطعت. وتنوف: جمع تنوفة، وهي المغازة.

(٣) العرُوف: الصبور على نوائب الأيام. واللب: العقل. الأصمعي: رأيه رأي مسن. وسنه سن غلام.

(٤) الكعاب: المرأة حين يبدو ثديها للنهود. الشنوف: جمع شنف، بالفتح، وهو القرط.

(٥) الحصان: العفيفة. والقطوف من الدواب: المتقارب الخطو، البطيء.

(٦) مطوي سرائه، أي محكم أعلاه.

لا أعدُّ الإفتارَ عُذْماً ولكن
مِنْ رجالٍ مِنَ الأقاربِ بَأُتُوا
سُلْطَ الموتِ والمنونِ عليهم
وكذاكُمْ سبيلُ كلِّ أناسٍ
فَقَدْ مَنَ قد رُزئتُه الإعدامُ
مِنْ جُذامِ هم الرؤوسِ الكرامِ
فلهم في صُوى^(١) المقابرِ هامُ
سوف حَقًّا تُبْلِيهمُ الأيامُ

قال: ويحك! مَنْ يقول هذا الشعر؟ قال: أبو دُوَادَ الإيادي، قال: أو ترويه؟ قال: نعم، قال: فأنشدني، فأنشده الشعر كله، قال: وَمَنْ الثاني؟ قال: الذي يقول^(٢):

أفْلَحَ بما شئتَ فقد يُنَلِّغَ بالضر
عصف وقد يُخْدَعُ الأريبُ
قال: وَمَنْ يقولُ هذا؟ قال: عبيد، قال: أو ترويه؟ قال: نعم، قال: فأنشدني، فأنشده، ثم قال له: ثُمَّ مَنْ؟ قال: والله لحسبك بي عند رَهْبَةٍ أو رَغْبَةٍ، إذا وضعتُ إحدى رجلَيَّ على الأخرى، ثم رفعتُ عَقِيرَتِي بالشَّعر، ثم عَوَيْتُ على أثر القوافي عَوَاءَ الفصيل الصادر عن الماء.

٢٢٧/١٧ / قال: وَمَنْ أَنْتَ؟ قال: الحطيثة، قال: ويحك! قد علمتَ تشوقنا إلى مجلسك، وأنت تكثمن نفسك منذ ليلة! قال: نعم لمكان هذين الكلبين عندك، وكان عنده كعب بن جعيل، وأخوه. وكان عنده / سويد بن مشنوء^{١٦} النَّهْدِي، حليف بني عدي بن جناب الكلبيين، فأنشده الحطيثة قوله^(٣):

ألسَتْ بجاعِلي كَابَنِي جُعَيْلٍ هَذَاكَ اللهُ أَوْ كَابَنِي جَنَابٍ^(٤)
أدبٌ فلا أَقْدَرُ أَنْ تراني^(٥) ودونك بالمدينة ألفُ باب
وأخْبَسُ بالعراءِ المخسلِ بَيْتِي ودونك عازِبٌ ضخمُ الذباب^(٦)
العازب: الكَلأ الذي لم يُنْعَ، وقد التفتَ نَبْته.

فقال له سعيد: لعمر الله لأنت أشعرُ عندي منهم، فأنشدني، فأنشده^(٧):

سَعِيدٌ وما يفعلُ سَعِيدٌ فإِنَّه
سَعِيدٌ فلا يغرركِ قِلَّةُ لحمه
نجيبٌ فَلَاهُ في الرِّباطِ نَجِيبٌ^(٨)
تخَذُّدَ عنه اللحمُ فهو صَليِبٌ
ويروى: خفة لحمه.

إذا غسابٌ عَنَّا غابَ عَنَّا رَيِّعُنَا
فنعم الفتى تَغْشُو إلى ضَوْءِ ناره

(١) الصوى: القبور أو علاماتها. وفي النسخ: «صوى»، تحريف.

(٢) ديوان عبيد ١٤.

(٣) ديوانه ٤٢.

(٤) بنو جعيل من تغلب، وبنو جناب من كلب.

(٥) الديوان: «أدب وراء نقدة أن تراني». قال: ونقدة: اسم مكان.

(٦) كذا في أ، م والديوان، وفي ب، س، ج: ويبتك عازب صخب. يقول: أقيم بالمحل ولا أدنو إليك هية لك.

(٧) ديوانه ٤٢.

(٨) فلاه: ولده أو رباه. والرباط: الحرب. والرباط والمرابطة: ملازمة ثغر العدو. والبيت في «اللسان» (فلاه).

/ فأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم عاد فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

* أمِنَ رسمِ دارٍ مربعٍ ومَصِيفٍ *

يقول فيها:

إذا همّ بالأعداءِ لم يثنِ عَزَمَهُ كعابٍ عليها لؤلؤٌ وشُوفُ
فأعطاه عشر آلاف أخرى.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة بهذا الحديث نحو ما رواه خالد بن سعيد، وزاد فيه:

فانتهى الشَّرْطُ إلى الحطيئة فأراه أعرابياً قبيح الوجه، كَبِيرَ السنِّ، سيِّئَ الحالِّ، رثَّ الهيئة، فأرادوا أن يقيموه، فأبى أن يقومَ، وحانت من سعيد التفاتة، فقال: دَعُوا الرجل، وباقِي الخبر مثله.

خالد بن سعيد بن العاص يأمر له بكسوة وحملان

قال أبو عبيدة في هذا الخبر: وأخبرني رجلٌ من بني كنانة، قال: أقبل الحطيئة في رَكْبٍ من بني عَبَس، حتى قدم المدينة، فأقام مدة، ثم قال له مَنْ في رفقتي: إنا قد أردنا^(١) وأخيلنا، فلو تقدَّمت إلى رجل شريف من أهل هذه القرية فقرَّانا وحملنا. فأتى خالد بن سعيد بن العاص، فسأله فاعتذر إليه، وقال: ما عندي شيء فلم يُعِدْ عليه الكلام، وخرج من عنده، فارتاب به خالد، فبعث يسأل عنه، فأخبر أنه الحطيئة، فردَّه. فأقبل الحطيئة، فقعد لا يتكلَّم، فأراد خالد أن يستفتحته الكلام، فقال: مَنْ أشعرُ الناس؟ فقال: الذي يقول:

وَمَنْ يجعلُ المعروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَقِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّيْءَ يُشْتَمُ^(٢)

فقال خالد لبعض جلسائه: هذه بعضُ عقاريهِ، وأمر بكسوة وحملان، فخرج بذلك من عنده.

أحاديث

حَبَّذا لَيْلَتِي بِتَلِّ بَوَّيْ^(٣) حِينَ نُسَقَى شَرَابَنَا وَنُغْفَى
إِذْ رَأَيْنَا جَوَارِيَا عَطِرَاتِ وَغِنَاءٍ وَقَرْقَفَا فَنَزَلْنَا^(٤)
مَا لَهُمْ لَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ إِذْ يَسْأَلُونَ: وَيَحْنَا مَا فَعَلْنَا!

عروضه الضرب الأول من الخفيف. الشعر لمالك بن أسماء بن خارجة، والغناء لحنين، رمل / مطلق في ٤١ مجرى البنصر عن إسحاق.

(١) أردنا، أي صارت دوابنا هزلي من طول السفر. فالرفق من الدواب: المهزول الهالك من السير، لا يستطيع براحاً.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى ص ٣٠.

(٣) تل بوني: من قرى الكوفة.

(٤) رواية البيت في البلدان وابن قتيبة ٧٥٧:

وسمَّاعٍ وَقَرْقَفَا فَنَزَلْنَا

وَمَرَرْنَا بِنَسْوَةٍ عَطِرَاتِ

والقرقف: الخمر.

/ أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه

[٢٣٠/١٧]

نسبه

هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بذر الفزاري، وقد مضى هذا النسب في أخبار عوف القوافي، وقد مضت أخباره، وذكر هذا البيت من فزارة وشرقه فيها وسائر قصصه هناك.

الحجاج يتزوج أخته هنداً، ويوليه على أصبهان، ثم يأمر بحبسه لخيانة ظهرت عليه وكان الحجاج بن يوسف ولي مالك بن أسماء بعد أن تزوج أخته هنداً بأصبهان، بعد حبس طويل في خيانة ظهرت عليه، ثم خلاه بعد ذلك، وطالت أيامه بأصبهان، فظهرت عليه خيانة أخرى، فحبسه وناله بكل مكروه. أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى، قال: حدثني هشام بن محمد الهلالي، قال:

اختلف الحجاج وهند بنت أسماء زوجته في وقعة بنات قين، فبعث إلى مالك بن أسماء بن خارجة، فأخرجه من السجن، وكان محبوباً بمال عليه للحجاج، فسأله عن الحديث فحدثه به، ثم أقبل على هند فقال: قومي إلى أخيك، فقالت: لا أقوم إليه، وأنت ساخط عليه. فأقبل الحجاج عليه، فقال: إنك والله ما علمت للخائن أمانته، اللئيم حسبه، الزاني فرجه، فقال: إن أذن الأمير تكلمت، قال: قل، قال: أما قول الأمير الزاني فرجه، فوالله لانا أحقر عند الله عز وجل وأصغر في عين الأمير من أن يجب لله عليّ حد فلا يقيمه، وأما قوله: اللئيم حسبه، فوالله لو علم الأمير مكان رجل أشرف مني لم يصاهرني، وأما قوله: إني خؤون، فلقد ائتمنتني فوفرت، فأخذني بما أخذني به، فبعث ما كان وراء ظهري، ولو ملكت الدنيا بأسرها لافتديت بها من مثل هذا الكلام.

/ قال: فنهض الحجاج، وقال: شأنك يا هند بأخيك. [٢٣١/١١]

قال مالك بن أسماء: فوثبت هند إلي فأكبث علي، ودعت بالجواري، ونزعن عني حديدي، وأمرت بي إلى الحمام، وكسنتني، وانصرفت.

فلبثت أياماً، ثم دخلت على الحجاج وبين يديه عهد، وفيها عهدي على أصبهان. قال: خذ هذا العهد، وامض إلى عملك، فأخذته ونهضت. قال: وهي ولايته التي عزله عنها، وبلغ به ما بلغ من الشر.

قال أبو زيد: ويقال إنه كان في الحبس في الدفعة الثانية مضيقاً عليه في كل أخواله، حتى كان يشاب له الماء الذي كان يشربه بالرماد والملح، فاشتاق الحجاج إلى حديثه يوماً، فأرسل إليه، فأحضر، فبينما هو يتحدث إذ استسقى ماءً فأتي به، فلما نظر إليه الحجاج قال: لا، هات ماء السجن، فأتى به وقد خلط بالرماد، فسقي به.

قال: ويقال: إنه هرب من الحبس^(١)، فلم يزل متوارياً حتى مات الحجاج.

(١) في المختار: «السجن».

يكتب إليه أبيه أن يشفع له عند الحجاج

قال: وكتب إليه بعض أهله أن يمضي إلى الشام فيستجير ببعض بني أمية حتى يأمن، ثم يعود إلى مصره. وقد كان خالد بن عتاب الرياحي فعل ذلك، واستجار بزفر بن الحارث الكلابي، فأجاره، فراجعه عبد الملك في أمره، ثم أجاره، فكتب مالك إلى أبيه يسأله أن يدخل إلى الحجاج ويسأله في أمره، فقال أسماء في ذلك:

أَبْنِي فزارة لا تُعْثُوا شَيْخَكُمْ مَالِي وَمَا لَزِيَارَةِ الْحَجَّاجِ
شِبْهُهُ شِبْهُهُ شِبْهُهُ لَقِيْهُ يُلْقِي الرُّؤُوسَ شَوَاخِبَ الْأَوْدَاجِ^(١)
/ تجري الدماء على النطاع كأنها رَاحَ شُمُوءٌ غَيْرُ ذَاتِ مَزَاجِ
لا تطلبوا حاجباً إليه فإنه بئس المؤمل في طلاب الحاج
يأليت هنداً أصبحت مرموسةً أُولَيْتَهَا جَلَسَتْ عَنِ الْأَزْوَاجِ^(٢)

خالد بن عتاب والحجاج بن يوسف يتسابقان

قال أبو زيد: فأما خبر خالد بن عتاب الرياحي، فإن الحجاج كان استعمله على الري، وكانت أمه أم ولد، فكتب إليه الحجاج يلخن أمه، ويقول يابن اللخناء^(٣)؛ أنت الذي هربت عن أبيك حتى قُتِلَ، وقد كان حلف ألا يسب أحد أمه إلا أجابه كائناً من كان.

فكتب إليه خالد: كتبت إليّ تلخني، وتزعم أنني فررت عن أبي حتى قُتِلَ، ولعمري لقد فررت عنه، ولكن بعد أن قُتِلَ، وحين لم أجد لي مقاتلاً، ولكن أخبرني عنك يابن اللخناء المستفرمة^(٤) بعجم زبيب الطائف، حين فررت أنت وأبوك يوم الحرة على جمل فقال^(٥)، أيكما كان أمام صاحبه، فقرأ الحجاج الكتاب، وقال: صدق:

أَنَا الَّذِي فَارَرْتُ يَوْمَ الْحَرَّةِ ثُمَّ ثَبَّتْ كَرَّةً بِقَرَّةِ
* وَالشَّيْخُ لَا يَقْرَأُ إِلَّا مَرَّةً *

ثم طلبه، وهرب إلى الشام، وسلم بيت المال ولم يأخذ منه شيئاً.

خالد بن عتاب يستجير بروح بن زنباع فلا يجيره، ويجيره زفر بن الحارث

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه، وقدم خالد الشام، فسأل عن خاصة عبد الملك، فقيل له: رُوح بن زنباع، فأتاه حين طلعت الشمس، فقال: إني جئتكَ مُستجيراً، فقال: إني قد أجرتك إلا أن تكون خالداً، / قال: فإني خالد، فتغير وقال: أنشدك الله إلا خرجت عني؛ فإني لا آمن عبد الملك، فقال: أنظرني حتى تغرب الشمس. فجعل رُوح يُراعيها حتى خرج خالد.

(١) الأوداج: جمع ودج، محرقة: عرق في العنق.

(٢) في هامش من نسخة: «... أوليتها حبست»، وهي رواية المختار أيضاً.

(٣) اللخن: تغير الريح، ورجل اللخن وامرأة لخناء.

(٤) الفرمة والفرمة، وكتاب: دواء تنضيق به المرأة، فهي فرماء ومستفرمة.

(٥) جمل فقال: بطي.

فأتى زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكَلَابِيَّ فَقَالَ: إِنِّي جِئْتُكَ مُسْتَجِيرًا، قَالَ: قَدْ أَجَرْتُكَ، قَالَ: أَنَا خَالِدُ بْنُ عَتَّابٍ، قَالَ: وَإِنْ كُنْتُ خَالِدًا.

فلما أصبح دعا ابنيْن له فتهادى بينهما وقد أسنَّ، فدخل على عبد الملك وقد أذن للناس، فلما رآه دعا له بكرسي، فجعل^(١) عند فراشه، فجلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إني قد أجرتُ عليك رجلاً، فأجره، قال: قد أجرته إلا أن يكون خالداً، قال: فهو خالد، قال: لا، ولا كرامة، فقال زُفَرُ لابنيه: أنهضاني.

فلما ولى قال: يا عَبْدَ الْمَلِكِ، أَمَا^(٢) وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّ يَدِي تُطِيقُ حَمْلَ الْقَنَاةِ وَرَأْسَ الْجَوَادِ لَأَجَرْتُ مِنْ أَجَرْتُ، فضحك، وقال: يا أبا الهذيل، قد أجرناه، فلا أزيته. وأرسل إلى خالد بألفي درهم، فأخذها، ودفع إلى رسوله أربعة آلاف درهم.

[رجع الخبر إلى حديث مالك بن أسماء]

مالك وأخوه عيينة يعشقان جارية لأختهما هند

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا محمد بن يزيد النحوي، وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب، قال: حدثنا عبد الله بن مسلم، قال:

عشق مالك بن أسماء جارية لأخته هند، وعشقها أخوه عيينة بن أسماء بن خارجة، فاستعان بأخيها مالك، وهو لا يعلم ما يجد بها، يشكو إليه حبها، فقال مالك^(٣):

أُعَيِّنُ هَلَّا إِذْ كَلِفْتُ بِهَا / كُنْتُ اسْتَغْفَتْ بِفَارِغِ الْعَقْلِ
أَرْسَلْتُ^(٤) تَبْغِي الْغَوْتَ مِنْ قِبَلِي / وَالْمُسْتَغَاتُ إِلَيْهِ فِي شَغْلٍ

[٢٣٤/١٧]

مالك يعشق جارية من بني أسد

قال ابن قتيبة^(٥) خاصة: وهوي مالك بن أسماء جارية من بني أسد، وكانت تنزل داراً من قصب، / وكانت دار مالك في بني أسد داراً سرية مبنية بالجص والآجر فقال:

يَا لَيْتَ لِي خُصًّا يُجَاوِزُهَا / بَسْدَلًا بَدَارِي فِي بَنِي أَسَدٍ
الْخُصُّ فِيهِ تَقَرَّرَ أَعْيُنُنَا / خَيْرٌ مِنَ الْآجِرِ وَالْكَمَدِ

ينشد همر بن أبي ربيعة بعض شعره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي ويعقوب بن عيسى، وأخبرني علي بن صالح بن الهيثم، قال: حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي، عن الزبير:

(١) في المختار: «فوضع».

(٢) في الأصول: «أم والله».

(٣) الشعر والشعراء ٧٥٨، وفي جـ: «فكتب إليه مالك».

(٤) في المختار والشعر والشعراء: «أقبلت».

(٥) الشعر والشعراء ٧٥٨.

أنَّ عمر بن أبي ربيعة رأى مالك بن أسماء. قال أبو هفان في خَبَرِهِ: وهو يطوفُ بالبيت، وقد بهر الناس جماله وكَماله، فأعجب عمر ما رأى منه، فسأل عنه فعرفه، فعانقه وسلّم عليه وقال له: أَنْتَ أَخِي حَقًّا، فقال له مالك: وَمَنْ أَنَا وَمَنْ أَنْتَ؟ فقال: أما أنا فستعرفني، وأما أنت فالذي تقول:

إِنَّ لِي عِنْدَ كُلِّ نَفْحَةٍ بَسْتَا نِ مِنَ السَّوْزِ أَوْ مِنَ الْيَاسْمِينَا
نَظْرًا وَالتَّفَاتَةِ أَتَرَجَّيْ أَنْ تَكُونَنِي حَلَلْتِ فِيمَا يَلِينَا

غَنَّتْ فِيهِ عُلْيَةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى.

وقال أبو هفان في حديثه: قال له عمر: ما زِلْتُ أُحِبُّكَ مِنْذُ سَمِعْتُ هَذَا الشَّعْرَ لَكَ، فقال له مالك: أَنْتَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رِبْعَةٍ، قال: نعم. / قال الزُّبَيْرُ فِي خَبَرِهِ خَاصَةً: وَحَدَّثَنِي ^(١) ابْنُ أَبِي كُنَاسَةَ:

[١٧/٢٣٥]

أَنَّ عُمَرَ لَمَّا لَقِيَ مَالِكًا اسْتَنْشَدَهُ، فَأَنشَدَهُ مَالِكٌ شَيْئًا مِنْ شَعْرِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا أَحْسَنَ شِعْرَكَ لَوْلَا أَسْمَاءُ الْقُرَى الَّتِي تَذْكُرُهَا فِيهِ، قَالَ: مِثْلُ مَاذَا؟ قَالَ: مِثْلُ قَوْلِكَ:

إِنَّ فِى الرِّفْقَةِ الَّتِي شِيعْتَنَا بِجَوِيرِ سَمَا لَزَيْنَ الرِّفَاقِ
وَمِثْلُ قَوْلِكَ:

أَشْهَدْتَنَا ^(٢) أُمُّ كَنْتٍ غَائِبَةً عَنِ لَيْتِي بِحَدِيثَةِ الْقَسْبِ
وَمِثْلُ قَوْلِكَ:

حَبِذَا لَيْتِي بَنَلْ بَوْنِي حِينَ نُنْقَى شَرَابِنَا وَنُغْنَى

فَقَالَ لَهُ مَالِكُ: هِيَ قُرَى الْبَلَدِ الَّذِي أَنَا فِيهِ، وَهُوَ مِثْلُ مَا تَذْكُرُهُ فِي شِعْرِكَ مِنْ أَرْضِ بِلَادِكَ، قَالَ: مِثْلُ مَاذَا؟ قَالَ: مِثْلُ قَوْلِكَ ^(٣):

حَيَّ الْمَنَازِلَ قَدْ دَكَّرَنَ خَرَابًا بَيْنَ الْجَوِينِ وَبَيْنَ رُكْنِ كَسَابَا ^(٤)
وَمِثْلُ قَوْلِكَ:

مَا عَلَى الرَّئِمْ بِالْبُلَيْنِ لَوِيٍّ مَنْ رَجَعَ السَّلَامَ أَوْ لَوْ أَجَابَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ عُمَرُ بْنُ أَبِي رِبْعَةٍ.

/ وَمَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ الَّذِي يَقُولُ ^(٥):

[١٧/٢٣٦]

(١) الخبر في البلدان (تل بوني) وفيه: «ابن كناسة».

(٢) في البلدان: «أشهدتني».

(٣) ديوانه ٤٢٢ ومعجم البلدان (كساب).

(٤) رواية الديوان:

حي المنازل قد تركن خراباً
وفي البلدان:

..... قَدْ عَمَرْنَ خَرَابًا
بين الحرير وبين ركن كسابا

(٥) الشعراء ٧٥٦.

وحديث السدّه هُوَ مِمَّا ينعث الناعتون يُوزَنُ وَزْنَا
منطوق صائب وتلحن أحيا نأ وأحلى الحديث ما كان لحنًا
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم، قال:

حدثني أبي، قلت للجاحظ: إني قرأت في فصل من كتابك المسمى بكتاب البيان والتبيين^(١): إنما يستحسن من النساء اللحن في الكلام، واستشهدت ببني مالك بن أسماء - يعني هذين البيتين - قال: هو كذلك، فقال: أما سمعت بخبر هند ابنة أسماء بن خارجة مع الحجاج حين لحن في كلامها، فعاب ذلك عليها، فاحتجّت ببني أخيها، فقال لها: إن أخاك أراد أن المرأة فطنة، فهي تلحن بالكلام إلى غير الظاهر بالمعنى^(٢) لتستر معناه، وتورّي عنه، وتفهمه من أرادت بالتعريض، كما قال الله عز وجل^(٣): ﴿ولتعرّفنهم في لحن القول﴾ ولم يرد الخطأ من الكلام، والخطأ لا يستحسن من أحد. فوجم الجاحظ ساعة، ثم قال: لو سقط إليّ هذا الخبر أولاً لما قلت ما تقدم، فقلت له: فأصلحه، فقال: الآن وقد سار به الكتاب في الآفاق، وهذا لا يصلح، أو كلاماً نحو ما ذكرنا، فإن أبا أحمد أخبرنا به على سبيل المذاكرة فحفظته عنه.

المتوكل يطلب من ابن داود أن يتناح له تل بوني

أخبرني الحسين بن يحيى، وجعفر بن قدامة، قالوا: قال حماد: حدثني أحمد بن داود السدي، قال: / ورد عليّ كتاب أمير المؤمنين المتوكل، وأنا على سواد الكوفة: أن ابنت لي تل بوني بما بلغت، فابنتها له، فإذا قرية صغيرة على تل، قد خرب ما حوالها من الضياع، فابنتها له بعشرة آلاف درهم، قال: فظننته حرّكه على طلبها أنه غني:

* حبذا ليلتي بتل بوني *

فسألت عن ذلك، فعرفت أن جاريته مكتومة غتته هذا الصوت.

قال حماد: ومكتومة هذه جارية أهداها أبي إليه لما ولي الخلافة، فإنه سأل عنه، فعرف أنه قد كفت بصره، فكتب له بمائة ألف درهم، وأمر بإشخاصه إليه مكرماً، فأشخص إليه، وأهدى إليه عدّة جوار هذه فيهن.

الحجاج يعاتب مالكا ويستيبه

وروى الهيثم بن عدي عن ابن عياش أن الحجاج دعا يوماً بمالك بن أسماء، فعاتبه عتاباً طويلاً، ثم قال له: أنت والله كما قال أخو بني جعدة^(٤):

إذا ما سؤاة غراء ماتت أتيت بسؤاة أخرى بهم^(٥)

(١) البيان والتبيين ١: ٨٢.

(٢) المختار: «إلى غير المعنى في الظاهر».

(٣) سورة محمد ٣٠.

(٤) ملحق ديوانه ٢٣٧، والمفضليات ٧٠.

(٥) بهم: سوداء.

وما تنفك تُرَحَضُ^(١) كلَّ يوم
مِنَ السَّوَاتِ كالطُّفْلِ النِّهيم^(٢)
أَكُلُ الدَّهْرَ سَعِيكَ فِي تَبَابٍ
تَنَاجِي كُلَّ مُوسِمَةٍ أَثِيمٍ

فقال له: لستُ كما قال الجَعْدِيُّ، ولكني كما قلت:

لكل جَوَادٍ عَفْرَةٌ يَسْتَقِيلُهَا
عَشْرَةٌ مِثْلِي لَا تُقَالُ مَدَى الدَّهْرِ
فَهَبْنِي يَا حَجَّاجُ أَخْطَأْتُ مَرَّةً
وَجُرْتُ عَنِ الْمُثَلَى وَغَيِّتُ بِالشَّعْرِ

فهل لي إذا ما تبثتُ عندك توبةً
تَدَارِكُ مَا قَدَفَاتِ فِي سَالِفِ الْعَمْرِ^(٣)

/ فقال له الحجاج: بلى والله، لئن تبثت لأقبلن توبتك ولأعفين^(٤) على ما كان من ذنبك ومن لي بذلك [٢٣٨/١٧]
يا مالك؟ قال له: لك الله به، قال: حسبي الله ونعم الوكيل، فانظر ما تقول، قال: الحق أصلحك الله لا يخفى على أحد.

مالك يعود إلى الشراب

قال: فترك مالك الشراب، ووفى بعهده وأظهر النسك، ثم طما به الشعر، وطال عليه ترك اللذات والشراب، فقال:

وَنَدَمَانِ صِدْقِي قَالَ لِي بَعْدَ هَدَاةٍ
مِنَ اللَّيْلِ: قُمْ نَشْرَبْ، فَقُلْتُ لَهُ: مَهْلًا
فَقَالَ: ابْخَلَا يَا بَنَ أَسْمَاءِ هَاكِهَ
كُمَيْتًا كَرِيحَ الْمِسْكِ تَزْدَهِفُ الْعَقْلَ^(٥)
فَتَابِعْتُهُ فِيمَا أَرَادَ وَلَمْ أَكُنْ
بَخِيلًا عَلَى النَّدَمَانِ أَوْ شَكِسًا وَغَلَا
وَلَكِنِّي جَلَدُ الْقَوَى أَبْذُلُ النَّدَى
وَأَشْرَبُ مَا أُعْطِيَ وَلَا أَقْبَلُ الْعَذْلَا
ضَحْوَكُ إِذَا مَا دَبَّتِ الْكَأْسُ فِي الْفَتَى
وَعَيْثُ سَكْرٍ وَإِنْ أَكْثَرَ الْجَهْلَا

قال: فبلغ الحجاج أن مالكاً قد راجع الشراب، فقال: لا يأتي مالك بخير سَجِيسِ الْأَوْجَسِ^(٦)، / قاتل الله^(٧) أيمن بن خريم حيث يقول:

إِذَا الْمَرْءُ وَقَى الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ دُونَ مَا يَأْتِي حِجَابٌ وَلَا سِشْرُ
فَدَعَاهُ وَمَا يَأْتِي وَلَا تَعَذَّلَتْهُ
وَأَنْ مَدَّ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ لَهُ الْعُمْرُ

وأنشدنا علي بن سليمان الأخفش أبيات أيمن هذه الرائية، وقال: أخذ معناها من قول ابن عباس: إذا بلغ المرء أربعين سنة ولم يتب أخذ إبليس بناصيته، وقال: حبذا من لا يفلح أبداً. وأول الأبيات هذه:

/ وَصَهْبَاءُ جُرْجَانِيَّةٍ لَمْ يَطْفُفْ بِهَا
حَنِيفٌ وَلَمْ تَنْغَرْ بِهَا سَاعَةً قِدرُ^(٧) [٢٣٩/١٧]

(١) ترحض: تغسل، وفي أ: «تدحض» والنهيم المنهوم: الذي يمتلىء بطنه ولا تنتهي نفسه.

(٢) كذا في ج، وفي أ، م: «العظيم».

(٣) أ: «في منتهى العمر».

(٤) المختار: «ولأعفون».

(٥) تزدحف العقل: تذهب به.

(٦) سَجِيسِ الْأَوْجَسِ: طوال الدهر.

(٧) لم تنغر: لم تغل.

ولم يشهد القسُّ المُهَيَّنُ نَارَهَا طَرُوفاً ولا صَلَّى على طَبْخِهَا حَبْرُ
أَتَانِي بِهَا يَخِيى وقد نَمْتُ نَوْمَةً وقد غَابَتِ الْجَوَازِءُ وانحدر النَّشْرُ
فقلت: اصطبِخْهَا أو لغيري سَقْهَا فما أَنَا بَعْدَ الشَّيْبِ وَيَحْكُ والخمر!
إِذَا الْمَرْءُ وَقَى الأربعين ولم يكن له دُونَ مَا يَأْتِي حِجَابٌ ولا سِتْرُ
فَدَغَّه ولا تنفس عليه الذي أتى ولو مَدَّ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ لَهُ الْعَمْرُ

/ صوت

[٢٤٠/١٧]

تلك عِرْسِي تَرُومُ هَجْرِي مِفَاهَا وجفَّتْني فما تُوَافِي عِنَاقِي
زعمت أنها تُوَاتِي مع الما ل وأنى محالف^(١) إملاقي
وتناسست رَزِيَّةً بدمشقي أشخصت مُهَجَّتِي فَوَيْسَقَ التُّرَاقِي
يوم نلقى نعش ابن عُرْوَة مح مولاً بأيدي الرجال والأعناق
مستحجاباً به سِيقاً إلى القُب ر وما إن لحثهم من سِيق
ثم وَلَيْتُ مُوجِعاً قد شَجَانِي قَرُبُ عَهْدٍ بِهِمْ وبعْدَ تَلَاقِي

عروضه من الخفيف^(٢). الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي^(٣) يرثي محمد بن عُرْوَة بن الزبير. والغناء
لدحمان، خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لابن محرز ثقيل أول بالبنصر عن حبش.

مركز توثيق مكتبة التراث

(١) أ: «محالف إملاقي».

(٢) أ: «من السريع» وهو خطأ.

(٣) كذا في المختار؛ قال: وإنما سمي النسائي؛ لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه ويشترى منه من أراد التعريسي من المتجملين وممن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك. وقيل: سمي بذلك لأنه كان يبيع النجد والغرش التي تتخذ للعرائس، فسمي يساراً النسائي.

/ [عن أخبار عروة بن الزبير]

[٢٤١/١٧]

غضبه لوقوع قوم في أخيه عبد الله بمجلس عبد الملك بن مروان

أخبرنا الطوسي والحرميّ بن أبي العلاء، قالوا: حدثنا الزبير، قال: حدثنا مصعب بن عثمان، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة، قال:

قدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان، فدخل فأجلسه معه على السرير، فجاء قومٌ فوقعوا في عبد الله بن الزبير، فخرج عروة فقال للأذن: إن عبد الله بن الزبير ابنٌ أُمِّي وأبي، فإذا أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم.

فذكر ذلك لعبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: قد أخبرني الآذن بما قلتَ، وإن أخاك لم يكن قتلنا إياه لعداوة، ولكنه طلب أمراً وطلبناه فقتل دونه، وإن الشام قوم من أخلاقهم ألا يقتلوا أحداً إلا شتموه، فإذا أذناً لأحدٍ قبلك فقد جاء مَنْ يشتمه فلا تدخل، وإذا أذناً لأحدٍ وأنت جالس فانصرف.

قدومه على الوليد بن عبد الملك حين شلت رجله

ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شلت رجله، فقيل له: اقطعها، قال: إني لأكره أن أقطع مني طابقاً، فارتفعت إلى الركبة، فقيل له: إنها إن وقعت في الركبة قتلتك، فقطعت، ولم يقبض وجهه. وقيل له / قبل أن ^{٤١} يقطعها: نسقيك دواءً لا تجد معه ألماً، فقال: ما يسعني أن هذا الحائط وقاني أذاها.

مقتل ابنه محمد

قال الزبير: وحدثني مصعب بن عثمان بن عامر، عن صالح، عن هشام بن عروة، قال:

سقط محمد بن عروة بن الزبير - وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية - من سطح في اصطبل دواب الوليد

ابن عبد الملك، فضربت بقوائمها حتى قتلته، فأتى عروة رجل يعزيه، فقال عروة: إن كنت تعزييني برجلي / فقد [٢٤٢/١٧] احتسبتها، فقال: بل أعزيك بمحمد، قال: وما له؟ فخبره بشأنه؛ فقال^(١):

وكنْتُ إذا الأيامُ أحْدَثْنَ نَكْبَةً^(٢) أقول شَوَى ما لم يُصِبْنَ صَمِيمِي^(٣)

اللهم أخذت عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت، وإن كنت

ابتليت لقد عافيت.

(١) «اللسان» (شوى)، ونسبه للبريق الهذلي.

(٢) كذا في جـ و«بيروت»، وفي ب، س: «مالكا».

(٣) الشوى: الشيء الهين، وفي ب، س، «بيروت»: «حميمي».

فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق، فأتاه ابن المنكدر، وقال: كيف كنت؟ فقال: ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾^(١).

عيسى بن طلحة يعزيه أكرم عزاء

قال الزبير: وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز، عن ابن الماجشون: أن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك، وقد قُطعت رجله، فقال عروة لبعض بنيه: اكشف لعمك عن رجله ينظر إليها، ففعل، فقال له عيسى: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا أبا عبد الله، ما أَعْدَدْنَاكَ للصراع ولا للسباق، ولقد أبقي الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك: رأيك وعلمك. فقال عروة: ما عزاني أحدٌ عن رجله مثلك.

الوليد بن عبد الملك يبعث إليه بمن هو أعظم بلاء منه

قال الزبير: وحدثني مصعب بن عثمان، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة:

أنه قدم على الوليد رجلٌ من عبس ضريبٌ مجطومٌ الوجه، فسأله عن سبب ذلك، فقال: بث ليلة في بطن وادٍ، ولا أعلم في الأرض عبسًا يزيد ماله على مالي، فطرقنا سبيلًا، فذهب بما كان لي من أهلٍ ومالٍ وولدٍ إلّا صبيًّا مولوداً وبعبراً ضعيفاً، فنذ البعير والصبي معي، فوضعت، / واتبعت البعير، فما جاوزت ابني قليلاً إلّا ورأس الذئب في بطني، فتركته، واتبعت البعير، فرمحتني رمحةً حطمت بها وجهي، وأذهب عيني، فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر.

عمر بن أبي ربيعة يسأل عن محمد بن عروة

فقال الوليد بن عبد الملك: اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلب، وعمر بن عبد العزيز بن أحمد^(٢)، ومحمد بن العباس اليزيدي، وجماعة أخبروني قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي، عن جدي، عن هشام بن عروة قال: خرجت مع أبي عروة بن الزبير حاجاً، ومعنا أخى محمد بن عروة، وكان من أحسن الناس وجهاً، فلما كنا في بعض الطريق إذا نحن بعمر بن أبي ربيعة يكلم بعضنا، فقلنا: هذا أبو الخطاب لو سائرناه، فرأنا عروة، فقال: فيم أنتم؟ قلنا: هذا عمر بن أبي ربيعة، فضرب عروة إليه راحلته، فلما رآها عمر عدل إليه فسلم عليه، ثم قال: وأين زين المواعظ؟ - يعني محمد بن عروة - فقال: قد تقدم، فعدل عن عروة واتبع محمداً، فقال له عروة: نحن أكفى لك وأولى أن تسائرنا، فقال: إني رجل موكل بالجمال أتبعه حيث كان، وضرب راحلته ومضى.

أصوات

إنما يُفَعَّلُ هذا بالدَّلِيلِ
دَلَجَ اللَّيْلِ وإِيطَاءَ الْقَتِيلِ
شَائِلَ الرُّجُلِينَ معصوباً يَمِيلُ

يا بنسي الصَّيْدَاءِ رُدُّوا فَرَسِي
/ عَوْدُوا مُهْرِي الَّذِي عَوَّدْتُهُ
وَاشْتَبَاءَ الزُّقِّ مِنْ حَائَاتِهِ

(٢٤٤/١٧)

٤٧
١٦

(١) سورة الكهف ٦٢.

(٢) «بيروت»: «وأحمد بن عبد العزيز الجوهري».

عروضه من ثاني الرمل.

بنو الصَّيْدَاءِ: بَطْنٌ من بني أسد. والدَّلَجُ: السيرُ في آخر الليل، يقال: دَلَجَ يَدْلُجُ - مخففة - إذا سار من آخر الليل، وادْلَجَ يَدْلُجُ، إذا سار الليل كله. وَاسْتَبَاءَ الزَّقَّ، أراد استبَاءَ الخمر فيه؛ أي ابتاعها من حاناتها. والحانات: جمع حانة، وهي الموضع الذي تُباع فيه الخمرُ. وشائل الرجلين: رافعهما.

وروى الأصمعي وأبو عمرو:

أَحْمَلُ الزَّقَّ عَلَى مَنْسِجِهِ فَيَظَلُّ الضَيْفُ نَشْوَاناً يَمِيلُ

الشعر لزيد الخيل الطائي. والغناء لابن محرز، خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، عن يحيى المكي. وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد، وفيه لعاذل لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مجسّس، وذكر حبش أن فيه لُئِيَّه^(١) لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى.



مركز تحقيقات وتطوير علوم العربية

(١) كذا في ما.

/ أخبار زيد الخيل ونسبه

[٢٤٥/١٧]

نسبه

هو زَيْدُ بن مُهَلِّهْل بن يَزِيد^(١) بن مُنْهَب بن عَبْدِ رُضَا - وَرُضَا: صنم كان لِطَيْئٍ - ابن مجلس بن ثور بن عدي بن كنانة بن مالك بن نائل^(٢) بن نيهان، - وهو أسود بن عمرو بن الغوث بن جَلْهَمَة - وهو طَيْئٍ؛ سُمِّيَ بذلك لأنه كان يَطْوِي المناهل في غزواته - ابن أدد بن مَذْحِج بن زيد بن يشجب الأصغر بن عريب بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، وهو هُود النبي ﷺ. كذا نسبه النَّسَابُونَ، والله أعلم.

وأم طَيْئٍ مُدَلَّة بنت ذي منحصان بن عَرِيب بن الغوث بن زُهَيْر بن وائل بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومُدَلَّة هذه هي مَذْحِج، وهو لَقَبُهَا، وهي أم مالك بن أدد، وكانت مُدَلَّة عند أدد أيضاً، فولدت له الأشعر واسمها نَبْت، ومرة، ابني أدد. ومن الناس من يقول مَذْحِج ظَرَب^(٣) صغير اجتمعوا عليه، وليس بأم ولا أب، والله أعلم.

سماء النبي ﷺ زيد الخير

وكان زَيْدُ الخيل فارساً مِفْواراً مظفراً شجاعاً بَعِيدَ الصَّيْت^(٤) في الجاهلية، وأدرك الإسلام ووفد إلى النبي ﷺ، ولقيه وسُرَّ به وقرَّظه، وسماه زَيْدَ الخير.

شاعر فارس

[٢٤٦/١٧] وهو شاعر مُقِلُّ مُخَضَّرَمٌ معدودٌ في الشعراء الفرسان، وإنما كان يقول / الشعر في غاراته ومفاخراته ومغازيه وأياديه عند مَنْ مَرَّ عليه^(٥) وأحسنَ في قِراءِ إليه^(٦).

سبب تسميته زيد الخيل

وإنما سمي زيد الخيل لكثرة خَيْلِهِ، وأنه لم يكن لأحدٍ مِنْ قومه ولا لكثير من العرب إلا الفرس والفرسان، وكانت له خَيْلٌ كثيرة، منها المسمَّاة المعروفة التي ذكرها في شِعْرِهِ وهي ستَّة، وهي: الهَطَّال، والكُمَيْت، والوَزْد، وكامل، ودوول^(٧)، ولاحق.

(١) بيروت: «زيد».

(٢) ما: «نابل».

(٣) الظرب: الجبل المنبسط أو الصغير، وجمعه ظراب.

(٤) في المختار وبيروت: «بعيد الصوت»، وهما بمعنى.

(٥) المختار: «من من عليه».

(٦) المختار: «وأحسن في ندائه إليه».

(٧) المختار: «وزمول».

قال شعراً في خيله

وفي الهطال يقول:

أَقْرَبُ مَرْبِطِ الْهَطَالِ إِنِّي أَرَى حَرْبِيّاً سَتَلْقَحُ عَنْ حِيَالِ
وفي الوزد يقول:

أَبَتْ عَادَةً لِلْوَزْدِ أَنْ يُكْرِهَ الْقَنَسَا وَحَاجَةً نَفْسِي فِي تُمَيْرٍ وَعَامِرٍ
/ وفي دؤول يقول:

فَأَقْسَمَ لَا يُقَارِقُنِي دُؤُولُ أَجُولُ بِهِ إِذَا كَثُرَ الضُّرَابُ
هذا ما حضرني مِنْ تسمية خَيْلِهِ فِي شعره، وقد ذكرها.

له ثلاثة بنين شعراء

وكان لزيد الخيل ثلاثة بنين كلهم يقول الشعر، وهم عروة، وحريث، ومهلل. ومن الناس مَنْ يُنكر أن يكون له من الولد إلا عروة وحريث.

وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في فرس مِنْ خَيْلِهِ ظَلَعَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ بَنِي أَسَدٍ، فلم يتبع الخيل ووقف، فأخذه بنو الصيِّداء، فصلح عندهم واستقل.

وقيل: بل أَغْزَى عَلَيْهِ بَعْضُ بَنِي نِبْهَانَ، فَتَنَّكَسَ عَنْهُ وَأَخَذَ. وقيل: / إنه خَلَفَهُ فِي بَعْضِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ظَالِعاً [٢٤٧/١٧] ليستقل، فأغارت عليهم بنو أسد، فأخذوا الفرس فيما استاقوه لهم، فقال في ذلك زيد الخيل:

يَا بَنِي الصَّيِّدَاءِ رُدُّوا فَرَسِي إِنَّمَا يُفَعِّلُ هَذَا بِالذَّلِيلِ
لَا تُذِيلُوهُ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ يَا بَنِي الصَّيِّدَاءِ لَمْهُرِي بِالْمُذِيلِ^(١)
عَوْدُهُ كَالَّذِي عَوْدُهُ دَلَجَ اللَّيْلِ وَإِطْسَاءَ الْقَتِيلِ
أَحْمِلِ الزَّقَّ عَلَى مَنْسَجِهِ^(٢) فَيُظِلُّ الضَّيْفُ نَشْوَاناً يَمِيلُ

قال أبو عمرو الشيباني: وكان زيد الخيل مُلِحّاً عَلَى بَنِي أَسَدٍ بِغَارَاتِهِ، ثُمَّ عَلَى بَنِي الصَّيِّدَاءِ مِنْهُمْ، ففهم يقول^(٣):

ضَجَّتْ بَنُو الصَّيِّدَاءِ مِنْ حَرْبِنَا وَالْحَرْبُ مِنْ يَحْلُلُ بِهَا يَضْجُرُ
بَنَانُ رَجْجِي نَحْوَهُمْ ضُمَّراً مَعْرُوفَةً الْأَنْسَابِ مِنْ مَنْسَرِ
حَتَّى صَبَحْنَاهُمْ بِهَا غُدْوَةً نَقْتَلُهُمْ قَسَراً عَلَى ضُمَّرِ
يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَقَدْ مَسَّهُمْ مَنَاغِدَاةَ الشَّعْبِ ذِي الْهَيْشَرِ
ضَرْبُ يُزِيلُ الْهَامَ ذُو مَضْدِقِ يَغْلُو عَلَى الْبَيْضَةِ وَالْمَغْفَرِ

(١) أذان فرسه: لم يحسن القيام عليه فضعف وهزل.

(٢) المنسج من الفرس: أسفل حاركه.

(٣) الإصابة ٣: ٥٩٨، نقله عن الأغاني.

الهَيْشَر: شجر كثير الشوك تأكله الإبل.

نسخت من كتاب لأبي المحلم، قال: حدثني أضبط بن الملوّح، قال لي أبي: أنشد حبيب بن خالد بن نضلة الفَقْعَسِي قول زَيْد الخيل:

* عَوَّدُوا مُهْرِي الَّذِي عَوَّدْتُهُ *

[٢٤٨/١٧] / فضحك ثم قال: قولوا له: إِنَّ عَوَّدَنَاهُ مَا عَوَّدْتُهُ دفعناه إلى أول مَنْ يَلْقَانَا، وهربنا.

وفد على النبي ﷺ في جماعة من طييء

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة، قال: حدثني علي بن حرب، قال: أنبأني هشام بن الكلبي أبو المنذر، قال: حدثني عباد بن عبد الله التَّبَهَانِي عن أبيه عن جده، وأضفتُ إلى ذلك ما رواه أبو عمرو الشيباني، قال:

وفد زَيْدُ الخيل بن مهلهل على رسول الله ﷺ، ومعه وَزْرٌ^(١) بن سَدُوسِ التَّبَهَانِي، وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الجرمي^(٢)، ومالك بن جبير المغني، وقُعين بن خليل^(٣) الطَّريفي، في عدة من طييء، فأناخوا رِكَابَهُمْ بِيَابَ المسجد، ودخلوا ورسولُ الله ﷺ يخطب الناس، فلما رَأَاهُمْ قال: إِنِّي خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْعُزَّى، ومما حازت مَنَاعٌ^(٤) من كل ضارٍّ غير يقاع، ومن الجَبَلِ الْأَسْوَدِ^(٥) الذي تعبدونه مِنْ دُونِ الله عزَّ وجلَّ. قال أبو المنذر: يعني بِمَنَاعٍ^(٦): جَبَل طييء.

إسلامه

٤٩
١٦ فقام زَيْد، وكان من أجمل الرِّجال وأتمهم، وكان يركب الفرسَ المشرفَ ورِجْلَاهُ / تَخْطَانِ الْأَرْضَ كأنه على حمار، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنتَ محمد رسول الله. قال: وَمَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا زيد الخيل بن مهلهل. فقال رسول الله: بَلْ أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْرِ، وقال: الحمد لله الذي جاء بك من سَهْلِكَ / وَجَبَلِكَ، ورقَّق قلبك على الإسلام، يا زيد، ما وُصِفَ لي رجل قطُّ فرأيتُه إِلَّا كَانَ دُونَ مَا وُصِفَ بِهِ إِلَّا أَنْتَ؛ فَإِنَّكَ فَوْقَ مَا قِيلَ فِيكَ.

أصابته الحمى ومات بها

فلما وُلِّيَ قام النبي ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ إِنْ سَلِمَ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ! فَأَخَذَتْهُ الْحُمَى، فأنشأ يقول:

أَنْخَضْتُ بِأَطَامِ الْمَدِينَةِ أَرْبَعًا وَخَمْسًا يَغْتَنِي فَوْقَهَا اللَّيْلَ طَائِرُ
شَدَدْتُ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَشَلِيلَهَا مِنَ الدَّرْسِ وَالشَّعْرَاءِ وَالْبَطْنُ ضَامِرٌ^(٧)

(١) كذا في ج، وهو يوافق ما في الإصابة.

(٢) كذا في ج، ما، وفي ب، س: «حوير الجرمي». وفي الإصابة: «جودر الحرمي».

(٣) ج، والمختار: «بن خالد».

(٤) كذا في ما: من غير تشديد وفي ب، س: بالتشديد.

(٥) كذا في ج، و«بيروت»، وفي ب، س: «الجمل الأسود».

(٦) في ب، س: بيفاع وهو تحريف.

(٧) الشليل: مسح من صوف أو شعر يجعل على عجز البعير من وراء الرجل. والدرس، بفتح الدال وكسرهما: الثوب المخلق والشعراء: ما فيه شعر.

فمكث سبعا، ثم اشتدت الحمى به فخرج، فقال لأصحابه: جئوني بلاد قيس؛ فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية، ولا والله لا أقاتل مسلماً حتى ألقى الله. فنزل بماءٍ لحيٍّ من طييء يقال له فرزة، واشتدت به الحمى، فأنشأ يقول:

أُمِرْتُ حُلَّ صَخِي الْمَشَارِقِ غَدَوَةً وَأَتْرَكَ فِي بَيْتِ بَفَرْدَةٍ مُنْجِدٍ^(١)
سَقَى اللَّهُ مَا بَيْنَ الْقَفِيلِ فُطَابَةً فَمَا دُونَ أَرْمَامٍ فَمَا فَوْقَ مُنْشِدٍ
هَنَالِكَ لَوْ أَنِّي مَرَضْتُ لِعَادَنِي^(٢) عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يَشْفِ مِنْهُمْ يَجْهَدُ
فَلَيْتَ اللِّوَاتِي عُذْنَنِي لَمْ يُعْذَنِي وَلَيْتَ اللِّوَاتِي غُبْنَ عَنِّي عُودِي

قال: وكتب معه رسول الله ﷺ لبني نهبان بِقَيْدِكَ^(٣) كتاباً مفرداً، وقال له: أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْرِ، فمكث بالفرزة سبعة أيام ثم مات. فأقام عليه قبيصة بن الأسود المناحة سبعا، ثم بعث راحلته ورحله، وفيه / كتاب [٢٥٠/١٧] رسول الله ﷺ، فلما نظرت امرأته - وكانت على الشرك - إلى الراحلة ليس عليها زيد ضربتها بالنار وقالت:

أَلَا إِنَّمَا زَيْدٌ^(٤) لَكُلُّ عَظِيمَةٍ إِذَا أَقْبَلْتُ أَوْبَ الْجَرَادِ رِعَالَهَا
لَقَاهُمْ^(٥) فَمَا طَاشَتْ يَدَاهُ بِضَرْبِهِمْ وَلَا طَغَنَهُمْ حَتَّى تَوَلَّى سِجَالَهَا

قال: فبلغني أَنَّ رسول الله ﷺ لما بلغه ضَرْبُ امْرَأَةِ زَيْدِ الرَّاحِلَةِ بالنار، واحتراق الكتاب، قال: بُؤْساً لِبَنِي نَهْبَانَ.

وقال أبو عمرو الشيباني:

لما وفد زيد الخيل على رسول الله ﷺ، فدخل إليه، طرح له مُتَكَاً فَأَعْظَمَ أَنْ يَتَكَّى بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَدَّ الْمُتَكَا، فَأَعَادَهُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، وَعَلَّمَهُ دَعَوَاتٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا فَيَعْرِفُ الْإِجَابَةَ، وَيَسْتَسْقِي فَيُسْقَى، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي ثَلَاثَمِائَةَ فَارَسٍ أَغِيرَ بِهِمْ عَلَى قُصُورِ الرُّومِ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ يَا زَيْدًا وَلَكِنْ أُمُّ الْكَلْبَةِ تَقْتَلُكَ - يَعْنِي الْحُمَى - فَلَمْ يَلْبَثْ زَيْدٌ بَعْدَ انْصِرَافِهِ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى حُمَ وَمَاتَ.

قال أبو عمرو: وأسلموا جميعاً إلّا وِزْرَ؛ فَإِنَّهُ قَالَ لَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ: إِنِّي لَأَرَى رَجُلًا لِيَمْلِكَنَّ رِقَابَ الْعَرَبِ، وَوَاللَّهِ لَا يَمْلِكُ رِقَبَتِي أَبَدًا؛ فَلَحِقَ بِالشَّامِ، فَتَنَصَّرَ وَحَلَقَ رَأْسَهُ، فَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي السَّكَنُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَادٍ، عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ:

أَقْبَلَ زَيْدُ الْخَيْلِ الطَّائِي حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ زَيْدٌ رَجُلًا جَسِيمًا طَوِيلًا جَمِيلًا، فَقَالَ لَهُ / النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: / أَنَا زَيْدُ الْخَيْلِ. قَالَ: بَلْ أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْرِ، أَمَّا إِنِّي لَمْ أَخْبَرَ عَنْ رَجُلٍ خَيْرًا إِلَّا وَجَدْتُهُ دُونَ مَا أَخْبَرْتُ بِهِ [٢٥١/١٧] عَنْهُ غَيْرَكَ؛ إِنْ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يَحِبُّهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ، قَالَ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْأَنَاةُ وَالْحِلْمُ، فَقَالَ زَيْدٌ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَّلَنِي عَلَى مَا يَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

(١) المختار: «مفرد».

(٢) المختار: «هنالك إنني لو مرضت لعادني».

(٣) كذا في «ما» وهو ما يرجحه نص الإصاية والطبقات. وفي المختار: «بفرزة»، وفي ب، س: «بفدك» تحريف.

(٤) جـ والمختار: «ألا نبها زيدا»، رجال: جمع رعلة وهي القطعة من الخيل.

(٥) لقاهم: لقيهم، وهي لغة طييء فيما أشبهها.

عمر يسأله عن طيسء ومسلوكها ونجدتها وأصحاب مزابها

قال: ودخل زيد على رسول الله ﷺ وعنده عمر رضي الله عنه، فقال عمر لزيد: أخبرنا يا أبا مكنف عن طيسء ومسلوكها نجدتها^(١) وأصحاب مزابها، فقال زيد: في كل يا عمر نجدء وبأس وسيادة، ولكل رجل من حية مزاب، أما بنو حية فملوكنا وملوك غيرنا، وهم القداميس^(٢) القادة، والحماة الذادة، والأنجاد السادة، أعظمنا خميساً^(٣)، وأكرمنا رئيساً، وأجملنا مجالس، وأنجدنا فوارس.

فقال له عمر رضي الله عنه: ما تركت لمن بقي من طيسء شيئاً، فقال: بلى والله؛ أما بنو ثعل وبنو نبهان وجزم ففوارس العدو^(٤) وطلأعو كل نجوة، ولا تحل حنوة، ولا تراغ لهم ندوة، ولا تدرك لهم نبوة، عمود البلاد، وحية كل واد، وأهل الأسلي الحداد، والخيل الجياد، والطارف^(٥) والتلاد.

وأما بنو جديلة فأسهلنا قراراً، وأعظمنا أخطاراً، وأطلبنا للأوتار، وأخمانا للذمار، وأطعمنا للجار.

فقال له عمر: سم لنا هؤلاء الملوك، قال: نعم، منهم عفير المجير على / الملوك، وعمرؤ المفاخر، ويزيد شارب الدماء، والغمر ذو الجود، ومجير الجراد، وسراج كل ظلام ولامة^(٦)، وملحم^(٧) بن حنظلة؛ هؤلاء كلهم من بني حية.

وأما حاتم بن عبد الله الثعلبي^(٨) الجواد فلا يجاري، والسمح فلا يباري^(٩)، والليث الضرغامة، قرأع كل هامة، جوده في الناس علامة، لا يقر على ظلامة. فاعترض رجل من بني ثعل لما مدح زيد حاتماً، فقال: ومنا زيد بن مهلهل النبهاني رئيس قومه وسيد الشيب والشبان، وسم الفرسان، وآفة الأقران، والمهيب بكل مكان، أسرع إلى الإيمان، وآمن بالفرقان، رئيس قومه في الجاهلية وقائدهم إلى أعدائهم، على شخط المزار، وطموس الآثار، وفي الإسلام رائدنا إلى رسول الله ﷺ، ومجيئه من غير تلغثم ولا تلبث.

ومنا زيد بن سدوس النبهاني عصمة الجيران، والغيث بكل أوان، ومضرم النيران، ومطعم الثدمان، وفخر كل يمان.

ومنا الأسد الرهيص، سيد بني جديلة، ومدوخ^(١٠) كل قبيلة، قاتل عنترة فارس بني عبس، ومكشف^(١١) كل لبس.

(١) في ب، من، عدتها.

(٢) القداميس: جمع قدموس، وهو السيد.

(٣) الخميس: الجيش.

(٤) في المختار: العدة.

(٥) في المختار: «والطريف».

(٦) في المختار: «وسراج كل الأمة»، واللامة: الهول.

(٧) في المختار: «وملجم»، بالميم.

(٨) في ب، س: الثعلبي.

(٩) كذا في ج، وفي ب، س: «الجواد بلا مجار، والسمح بلا مبار».

(١٠) في المختار: «وممدوخ».

(١١) في المختار: وكاشف.

فقال عمر لزيد الخيل: لله ذرّك يا أبا مُكْنَفٍ^(١) فلو لم يكن لطبيء غيرك وغير عدي بن حاتم لقهرت بكما العرب.

قصته مع الشيباني

/ أخبرني ابن دريد، قال: أخبرني عمّي، عن أبيه، عن ابن الكلبي، عن أبيه، قال: أخبرني شيخ من [١٧/٥٣] بني نبهان، قال:

أصابَت بني شيبان سنة ذهبَت بالأموال، فخرج رَجُلٌ منهم بَيْعَالِه، حتى أنزلهم الحيرة، فقال لهم: كونوا قريباً من الملك يُصَبِّكُنَّ من خيرِه حتى أرجع إليكنَّ، وآلِي إِلَيْتِه لا يرجعُ حتى يكسبهنَّ خيراً أو يموت. فتزوّد زاداً، ثم مشى يوماً إلى الليل، فإذا هو بمُهْرٍ مقيّد يدور حَوْلَ خِباء. فقال: هذا أوّل الغنيمة، فذهب يَحُلُّه ويركبه، فنودي: خَلِّ عنه واغْنَمْ نفسك، فتركه، ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عطن إبل مع تطويل الشمس، فإذا خِباء عظيم وقبة من آدم، فقال في نفسه: / ما لهذا الخِباء بُدٌّ من أهلٍ، وما لهذه القبة بُدٌّ من ربٍّ، وما لهذا العطن بُدٌّ من إبلٍ، فنظر ^{٥١}/_{١١} في الخِباء، فإذا شيخ كبير قد اختلفت تَرْقُوتاه، كأنه نَسْرٌ.

قال: فجلستُ خَلْفَه، فلما وجبت^(٢) الشمسُ إذا فارسٌ قد أقبل لم أر فارساً قطّ أعظم منه ولا أجسم، على فرسٍ مُشْرِفٍ ومعه أسودان يمشيان جَنْبِه، وإذا مائةٌ من الإبل مع فَحْلِها، فبرك الفَحْلُ، وبركت حَوْلُه، ونزل الفارسُ، فقال لأحد عِبْدَيْه: احلُبْ فلانة، ثم اسقِ الشيخَ، فحلِب في عُسٍّ^(٣) حتى ملأه، ووضع بين يدي الشيخ وتَنَحَّى، فكرع منه الشيخُ مرّةً أو مرتين، ثم نزع، فثُرْتُ إليه فشربته، فرجع إليه العَبْدُ. فقال: يا مولاي، قد أتى على آخرِه، ففرح بذلك، وقال: احلُبْ فلانة، فحلِبها، ثم وضع العُسَّ بين يدي الشيخ، فكرع منه واحدة، ثم نزع، فثُرْتُ إليه فشربتُ نِصْفَه، وكرهْتُ / أَنْ آتِي على آخرِه، فَأَتَاهُمْ^(٤)، فجاء العَبْدُ فأخذه وقال لمولاه: قد شرب [١٧/٥٤] وروِي، فقال: دَعَه، ثم أمر بشاةٍ فذُبِحت، وشوى للشيخ منها، ثم أكل هو وعَبْدَاه، فأمهلتُ حتى إذا ناموا وسمعتُ الغَطِيطَ ثُرْتُ إلى الفَحْلِ، فحللتُ عقاله وركبته، فاندفع بي وتَبَعْتَه الإبلُ، فمشيت ليلتي حتى الصباح، فلما أصبحت نظرت فلم أرَ أحداً، فسللتُها إذا شلاً^(٥) عنيفاً حتى تعالى النهارُ، ثم التفتُ التفتاة فإذا أنا بشيء كأنه طائر، فما زال يَدْنُو حتى تَبَيَّنْتُه، فإذا هو فارسٌ على فرسٍ، وإذا هو صاحبي بالأمس، فعقلتُ الفَحْلَ، ونثَلْتُ كِنَانِي، ووقفتُ بينه وبين الإبل، فقال: احلِلْ عِقَالَ الفَحْلِ، فقلت: كلاً والله، لقد خلّفتُ نُسَيَاتٍ بالحيرة، وآلَيْتُ إِلَيْتِه لا أرجع حتى أفيدهن خيراً أو أموت. قال: فإنك لميِّت، حُلِّ عقاله، لا أُمُّ لك! فقلت: ما هُوَ إلّا ما قلت لك، فقال: إنك لمغرور: انصب لي خطامه، واجعل فيه خَمْسَ عَجَرٍ^(٦) ففعلت، فقال: أين تُريد أن أضع سهمي؟ فقلت: في هذا الموضع، فكانما وضعه بيده، ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمسة بخمسة أسهم، فرددْتُ نَبْلِي، وحططْتُ قوسي،

(١) أبو مكنف، كمحسن: كنية زيد الخيل.

(٢) وجبت الشمس: غربت.

(٣) العس: القدح العظيم.

(٤) ب، س: «فإنهم»، تحريف.

(٥) في المختار: «فسللتها»، وشل الإبل: طردها.

(٦) العجر: جمع عجرة، وهي العقدة.

ووقفت مستسلماً؛ فدنا مني وأخذ السيفَ والقوسَ، ثم قال: ازْدَفْ خَلْفِي، وعرف أني الرجل الذي شربت اللبنَ عنده، فقال: كيف ظنُّكَ بي؟ قلت: أسوأ ظنٍّ^(١). قال: وكيف؟ قلت: لما لقيتَ من تعب ليلتك، وقد أظفرك اللهُ بي، فقال: أترانا كنّا نهيّجك، وقد بتَّ / تنادم مُهلهاً؟ قلت: أزيد الخيل أنت؟ قال: نعم، أنا زَيْدُ الخيل، فقلت: كُنْ خَيْرَ أَخِيذٍ، فقال: ليس عليك بأس.

فمضى إلى موضعه الذي كان فيه، ثم قال: أما لو كانت هذه الإبلُ لي لسلمتها إليك، ولكنها لبنت مهلهل، فأقم عليّ؛ فإني على شَرَفٍ غَارَةٍ.

فأقمتُ أياماً، ثم أغار على بني ثُمير بالملح، فأصاب مائةً بغير، فقال: هذه أَحَبُّ إليك أم تلك؟ قلت: هذه، قال: دُونَكها. وبعث معي خُفراء من ماءٍ إلى ماءٍ، حتى وَرَدُوا بي الحيرة، فلقيني نبطيٌّ: فقال لي: يا أعرابي، أيسرُكَ أنَّ لك بإبلك بستاناً من هذه البساتين؟ قلت: وكيف ذاك؟ قال: هذا قُرب مخرج نبيٍّ يخرجُ فيملك هذه الأرض، ويحول بين أربابها وبينها، حتى إن أحدهم لبيتاغُ البستان من هذه البساتين بثمان بغير.

قال: فاحتملتُ بأهلي حتى انتهيتُ إلى موضع الشَّيْطَانِ^(٢) فبينما نحن في الشَّيْطَانِ^(٣) على ماءٍ لنا، وقد كان الحَوْفَزَانُ بن شريك أغار على بني تميم، فجاءنا رسولُ الله ﷺ فأسلَمْنَا، وما مضتُ / الأيامُ حتى شريتُ بثمان بغير من إبلي بستاناً بالحيرة. فقال في يومِ الملح زيد الخيل:

وَيَوْمَ الْمَلْحِ مِلْحِ بَنِي ثُمَيْرٍ أَصَابَتْكُمْ بِأَظْفَارِ وَنَابِ

يَسْأَلُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ حَكْمِ مَا تَصِيدُهُ الْكِلَابُ مِنَ الْوَحْشِ

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَالشَّرْفِيِّ: أَنَّ زَيْدَ الْخَيْلِ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنْ فِي الْحَيِّ رَجُلَيْنِ لَهْمَا كِلَابٌ مُضَرِّيَاتٌ^(٤) تَصِيدُ الْوَحْشَ، أَفَنَأْكُلُ مِمَّا أَمْسَكْتَهُ وَلَمْ تُدْرِكْ ذَكَاتَهُ؟ فَقَالَ: «إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ فَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَكُلْ مِمَّا أَمْسَكَ»، أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لَيْلَى بِنْتُ عُرْوَةَ أَنْشَدَتْ شِعْرًا لِأَبِيهَا فِي يَوْمِ مَحَجَرٍ

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه إسحاق، عن الهيثم بن عدي، عن حماد الراوية، عن ابن أبي ليلى، قال:

أَنْشَدْتَنِي لَيْلَى بِنْتُ عُرْوَةَ بَنَ زَيْدُ الْخَيْلِ الطَّائِي شِعْرَ أَبِيهَا فِي يَوْمِ مُحَجَّرٍ^(٥):

بَنِي عَامِرٍ هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَاً أَبُو مُكْنَفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَابِرِ^(٦)
بَجِيشٍ تَضَلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ نَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ

(١) كذا في ج، وفي ب، س، ما: «أحسن الظن».

(٢) كذا في ما. وفي ب، س: سقط اسمه من الكتاب.

(٣) الشيطان: واديان في ديار بني تميم لبني دارم، ويوم الشيطان من أيامهم.

(٤) مضريات: معلومات للصيد.

(٥) أ: «محجر»، تحريف. وفي البلدان: محجر، بالضم ثم الفتح وكسر الجيم المشددة، وقد تفتح. والأبيات في الكامل ١: ٣٥٨.

(٦) س والمختار: «الدوائر»، والمثبت يوافق ما في الكامل.

وَجَمَعَ كَمَثَلِ اللَّيْلِ مَرْتَجِزِ الْوَعَى^(١) كَثِيرِ حَوَاشِيهِ^(٢) سَرِيعِ الْبَوَادِرِ

قالت ليلى: فقلت لأبي: يا أبة، أشهدت ذلك اليوم مع أبيك؟ قال: إي والله يا بنيّة، لقد شهدته، قلت: كم كانت خَيْلُ أبيك هذه التي وصفت؟ قال: ثلاثة أفراس^(٣).

غزا بني عامر

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بخطه عن أبيه:

أَنَّ زَيْدَ الْخَيْلِ بْنِ مَهْلَهْلٍ جَمَعَ طَيْئًا وَأَخْلَاطًا لَهُمْ، وَجُمُوعًا مِنْ شُدَاذِ الْعَرَبِ، فَغَزَا بِهِمْ بَنِي عَامِرٍ وَمَنْ جَاوَرَهُمْ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ مِنْ قَيْسٍ، وَسَارَ إِلَيْهِمْ فَصَبَّحَهُمْ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَتَنَدَرُوا^(٤) بِهِ وَفَزَعُوا إِلَى الْخَيْلِ وَرَكِبُوهَا، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ نَذَرَ بِهِمْ، فَلَقِيَ جَمْعَهُمْ غَنِيٌّ^(٥) بِنِ عَصْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ: الْحَارِثُ وَهُوَ^(٦) الطُّفَاوَةُ، / وَاسْمُهُ [١٧/٧] مَالِكُ بْنُ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ انْهَزَمَتْ بَنُو عَامِرٍ، فَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ بِغَنِيٍّ، وَفِيهِمْ يَوْمُنَا فُرْسَانٌ وَشُعْرَاءُ، فَمَلَأَتْ طَيْسُ أَيْدِيهِمْ مِنْ غَنَائِهِمْ^(٧).

أسر الحطيئة وأطلقه

وأسر زيد الخيل يومئذ الحطيئة الشاعر، فجزّ ناصيته وأطلقه.

ثُمَّ إِنَّ غَنِيًّا تَجَمَّعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ لَفٍّ^(٧) مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَغَزَوْا طَيْئًا فِي أَرْضِهِمْ، فَغَنِمُوا وَقَتَلُوا وَأَدْرَكُوا ثَارَهُمْ مِنْهُمْ. وَقَدْ كَانَ زَيْدُ الْخَيْلِ قَالَ فِي وَقْعَتِهِ لِبَنِي عَامِرٍ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ^(٨) فِيهَا:

وَخِيْبَةُ مَنْ يَخِيْبُ عَلَى غَنِيٍّ وَبَاهِلَةٌ بِنِ عَصْرٍ وَالْكَلاِبِ
فَلَمَّا أَدْرَكُوا ثَارَهُمْ أَجَابَهُ طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ، فَقَالَ:

سَمَّوْنَا بِالْجِسَادِ إِلَى أَعَادِ
نُؤْمُهُمْ عَلَى وَغْثٍ^(٩) وَشَحِطِ
مُغَاوَرَةٌ بِجَدٍّ وَاعْتَصَابِ
بِقُودٍ^(١٠) يَطْلِعُنَ مِنَ النَّقَابِ

وهي طويلة يقول فيها:

(١) في الكامل: «مرتجس الوعى».

(٢) في الكامل والمختار: «تواليه».

(٣) الكامل: «ثلاثة أفراس، أحدها فرسه».

(٤) تندرأ به: علموه فحذروه واستعدوا له.

(٥) كذا في جد، وفي ب، س: «وهم».

(٦) ب، س: «غنائم تميم».

(٧) اللف: القوم المجتمعون، أو من عد فيهم.

(٨) الإصابة ١: ٥٥٥.

* وجنية من يخب على غنى *

وقال: قال أبو عبيدة: أرادوا وصفهم بعدم الامتناع وعدم الجبن. فإذا خاب من يريد الغنيمة منهم كان غاية في الإدبار. وانظر رواية ابن قتيبة.

(٩) كذا في ما، وفي ب، س: رعب. ووعث الطريق تعسر سلوكه.

(١٠) قود: جمع أقود وهو السلس المتقاد.

أخذنا بالمخَطَم مَنْ أَتَاهُمْ
وَقَتَّلْنَا مَرَاتَهُمْ جِهَاراً
/ سبَايَا طَيْئِ أُبْرَزَنْ قَشِراً
سبَايَا طَيْئِ مَنْ كَلَّ حَيَّ
/ وما كانت بناتُهُمْ سِيَّاً
ولا كانت دماؤُهُمْ وفاءً
من الشُّودِ المَزْتَمَةِ الرُّغَابِ^(١)
وجئنا بالسَّيَايا والنَّهَابِ
وأبدلنا القصورَ من الشُّعَابِ
نما^(٢) في الفرع منها والنُّصَابِ
ولا رغباً يعدُّ مِنَ الرُّغَابِ
لنا فيما يُعدُّ مِنَ العِقَابِ

[٢٥٨/١٧]

٥٣
١٦

هروة بن زيد الخيل

أخبرني الحسن بن يحيى، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان لزيد الخيل ابن يقال له عُرْوَة، وكان فارساً شاعراً، فشهد القادسية، فحَسُنَ فيها بلاؤُهُ، وقال في ذلك يذكر حُسْنَ بلائه:

برزتُ لأَهْلِ^(٣) القَادِسيَّةِ مُعْلِماً
ويوم^(٤) بأَكْنَافِ التُّخَيْلَةِ قَبْلَهَا
وأَقْعَصْتُ^(٥) مِنْهُمْ فَارِساً بَعْدَ فَارِسٍ
ونَجَّانِي اللهُ الْأَجَلَ وَجِيرَتِي
وأَيَقَنْتُ يَوْمَ الدَّيْلَمِيِّينَ أَنَّنِي
فما رُمْتُ حَتَّى مَزَقُوا بِرِمَاحِهِمْ
مَحَافِظَةَ إِنِّي امْرُؤٌ ذُو حَفِيفَةٍ
وما كَلَّ مَنْ يَغْشَى الكَرِيهَةَ يُعْلِمُ
شَهِدْتُ فَلَمْ أَبْرَحْ أَدْمِي وَأُكَلِّمُ
وما كَلَّ مَنْ يَلْقَى الفَوَارِسَ يَسْلَمُ
وسيفٌ لأَطْرَافِ المَرَاذِبِ مِخْلَمٌ^(٦)
مَتَى يَنْصَرِفُ وَجْهِي عَنِ القَوْمِ يُهْزَمُوا
ثِيَابِي وَحَتَّى بَلَّ أَخْمَصِي الدَّمَ
إذا لَمْ أَجِدْ مُسْتَأْخِراً أَتَقَدَّمُ

قال: وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صِفَيْنَ، وعاش إلى إمارة معاوية، فأرادته على البراءة من علي عليه السلام، فامتنع عليه، وقال:

/ يحاولُنِي معاويةُ بِنَ حَرْبٍ
على جَحْدِي أبا حَسَنِ عَلِيّاً
وليس إلى الذي يَهْوَى سَبِيلُ
وحظِّي من أبي حَسَنِ جَلِيلُ

[٢٥٩/١١]

قال: وله أشعار كثيرة.

بعثه النبي ﷺ إلى الجرار فقتله لما أبى الإسلام

قال أبو عمرو: كان لتغلب رئيس يقال له الجَرَّار، وأدرك النبي ﷺ، وأبى الإسلام، وامتنع منه، فيقال: إنَّ رسول الله ﷺ بعث إليه زَيْدَ الخَيْل، وأمره بقتاله، فمضى زيد فقاتله فقتله لَمَّا أبى الإسلام، وقال في ذلك:

(١) المَزْمَن من الإبل: المقطوع طرف الأذن. قال أبو عبيدة: وإنما يفعل ذلك بالكُرام منها، «اللسان». والرغاب: الواسعة الدر الكثيرة النفع، جمع الرغيب. وفي س: «الرغاب» بالعين، والرغاب: السمان.

(٢) كذا في ج و ب، س: «بمن».

(٣) المختار: «لال»، وهما سواء.

(٤) جد، والمختار: «ويوماً...».

(٥) أقعص الفارس: قتله مكانه وأجهز عليه.

(٦) المرازب: جمع مرزبان، وهو الرئيس من الفرس. مخذم: قاطع.

صَبَحْتُ حَيَّ بَنِي الْجَرَّارِ دَاهِيَةً مَا إِنْ لَتَغْلِبَ بَعْدَ الْيَوْمِ جَرَّارُ
نَحْوِي النَّهَابَ وَنَحْوِي كُلَّ جَارِيَةٍ كَأَنْ نُقْبِتَهَا^(١) فِي الْخُدِّ دِينَارُ

أغار على بني عامر

قال مؤرّج: خرج رجل من طيء يقال له: ذؤاب بن عبد الله إلى صِهْرٍ له من هوازن، فأصيب الرجل - وكان شريفاً ذا رياسة في حَيِّه - فبلغ ذلك زَيْدًا، فركب في نيهان وَمَنْ تبعه من ولد الغوث، وأغار على بني عامر، وجعل كلما أخذ أسيراً قال له: أَلَيْكَ عِلْمٌ بالطائِفِ المقتول؟ فإن قال: نعم، قتله، وإن قال: لا، خَلَى سبيله وَمَنْ عليه. وأصاب رجالاً من بني الوحيد^(٢) والضباب وبني نُفَيْل. ثم رجع زَيْدٌ إلى قومه، فقالوا: ما صنعت؟ فقال: ما أصبْتُ بئار ذؤاب، ولا يَبُوءُ به إلا عامر بن مالك ملاعب الأسنة، فأما ابنُ الطفيل فلا يَبُوءُ به، وأنشأ زيد يقول:

لَا أَرَى أَنْ بِالْقَتِيلِ قَتِيلًا عَامِرٌ يَأْتِي بِقَتْلِ ذُؤَابِ
لَيْسَ مَنْ لَاعَبَ الْأَسْنَةَ فِي السَّنَقِ وَسُمِّيَ مَلَاعِبًا بِأَرَابِ
/ عَامِرٌ لَيْسَ عَامِرٌ بِنَ طُفَيْلٍ لَكِنْ الْعَفْسُ رَأْسُ حَيٍّ كِلَابِ
ذَاكَ إِنْ أَلْقَاهُ أَنْتَالُ بِهِ السُّوْتِ وَقَرَّتْ بِهِ عُيُونُ الصُّحَابِ^(٣)
/ أَوْ يَفْتَنِّي فَقَدْ سُفِّتُ بِسُوتِ مَذْحِجِي وَجَدْتُ قَوْمِي كَأَبِي
قَدْ تَقَنَّنْتُ لِلضُّبَابِ رَجَالًا وَتَكْرَمْتُ عَنْ دِمَائِ الضُّبَابِ
وَأَصْبَنَا مِنَ الْوَحِيدِ رَجَالًا وَنُقِيلُ فَمَا أَسَاغُوا شَرَابِي
فبلغ عامر بن الطفيل قولَ زَيْدِ الخيل وشعره، فأغضبه وقال مجيباً له:

قُلْ لَزِيدٍ قَدْ كُنْتَ تَوَثَّرَ بِالْحِلْدِ سَمِ إِذَا سُفِّتَ حُلُومُ الرِّجَالِ
لَيْسَ هَذَا الْقَتِيلُ مِنْ سَلَفِ الْحِمْيَرِ كَلَّاعٍ وَيَحْصِبُ وَكُلَّالٍ^(٤)
أَوْ بَنِي أَكَلِ الْمُرَارِ وَلَا صِيْدِ بَنِي جَفْنَةَ الْمُلُوكِ الطُّوَالِ
وَابْنِ مَاءِ السَّمَاءِ قَدْ عَلِمَ النَّا سُنْ وَلَا خَيْرَ فِي مَقَالَةِ غَالِي
إِنَّ فِي قَتْلِ عَامِرٍ بِنِ طُفَيْلٍ لَبَّوَاءَ^(٥) لَطِيئِيءِ الْأَجَالِ
إِنْسِي وَالَّذِي يَحُجُّ لَه النَّا سَ قَلِيلٌ فِي عَامِرِ الْأَمْثَالِ
يَوْمَ لَا مَالَ لِلْمَحَارِبِ فِي الْحَزِ بَ سِوَى نَضْلِ أَسْمَرِ عَسَالِ
وَلِجَامٍ فِي رَأْسِ أَجْرَدَ كَالْجِذِّ عَ طُوَالِ وَأَبْيَضِ قَصَّالِ
وَدَلَايِ كَالْتَهْهِ ذَاتِ فَضُولِ ذَاكَ فِي حَلْبَةِ الْحَوَادِثِ مَالِي^(٦)

(١) النقة: الأثر، وفي جد: «نقبتها» تحريف.

(٢) كذا في المختار، وهو الوجه. وفي سائر الأصول: «وكان رجل من أصحاب».

(٣) جد: «المصاب».

(٤) كلاع ويحصب وكلال: أحياء يمانية.

(٥) بواء: كفاء، وفي جد، ما: «لبوار».

(٦) الدلاص: الدروع الملساء اللينة. والنهي: الغدير أو شبيهه.

وَلَعَمْرِي فَضِلَ الرِّيَاسَةَ وَالسِّنَّ وَجَدْتُ^(١) عَلَى هَوَازَنَ عَالِي
/ غَيْرَ أَنِّي أُولِي هَوَازَنَ فِي الْحَرِّ بِ بَضْرِبِ الْمَتْرُوجِ الْمُخْتَالِ
وَبَطْنِ الْكَمِيِّ فِي حَمْسِ النَّقْدِ ع عَلَى مَثْنِ هَيْكَلِ جَوَالِ

[٢٦١/١٧]

أغار على بني مرة

قال أبو عمرو الشيباني:

لما بلغ زيد الخيل ما كان من الحارث بن ظالم وعمرو بن الإطنابة الخزرجي وهجائه إياه، غضب زيد لذلك، فأغار على بني مرة بن غطفان، فأسر الحارث بن ظالم وامراته في غارته، ثم من عليهما، وقال يذكر ذلك:

أَلَا هَلْ أَتَى غَوْثًا وَرُومَانًا أَنَا
وَسُقْنَا نِسَاءَ الْحَيِّ مُرَّةً بِالْقَنَا
جَنِيًّا لِأَعْضَادِ النَّوَاجِي يُقْذَنُ
يَقُولُ: اقْبَلُوا مِنِّي الْفِدَاءَ وَأَنْعِمُوا
وَقَدْ مَسَّ حَذُّ الرَّمْحِ قَوَّارَةَ اسْتَبَهِ
وَسَائِلُ بِنَا جَارِ ابْنِ عَوْفٍ فَقَدْ رَأَى
تُلَاعِبَ وَخُدَّانَ الْعَضَارِيطِ بَعْدَمَا
أَغْرَكَ أَنْ قِيلَ ابْنُ عَوْفٍ وَلَا أَرَى
غِدَادَ سَيِّئِنَا مِنْ خَفَاجَةِ سَيِّئِهَا
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الْخَزَارِجَ غَارَةً
صَبَحْنَا بَنِي ذُبْيَانَ إِحْدَى الْعِظَائِمِ
وبالخيال تُرْدِي قَدْ حَوَيْنَا ابْنَ ظَالِمِ^(٢)
عَلَى تَعَبٍ بَيْنَ النَّوَاجِي الرُّوَاسِمِ^(٣)
عَلَيَّ وَجُزُونِي مَكَانَ الْقَوَادِمِ
فَصَارَتْ كَشِذْقِ الْأَغْلَمِ الْمُتَضَاجِمِ^(٤)
حَلِيَّتَهُ جَالَتْ عَلَيْهَا مَقَاسِمِي^(٥)
جَلَاهَا بِسَهْمِيهِ لَقِيطُ بَنِ حَازِمِ^(٦)
عَزِيمُكَ إِلَّا وَاهِبًا فِي الْعِزَائِمِ
وَمَرَّتْ لَهُمْ مِنَّا نَحْوُ الْأَشَائِمِ
عَلَى حَيٍّ عَوْفٍ مُوجِفًا غَيْرَ نَائِمِ

[٢٦٢/١٧] غارته على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان

وقال أبو عمرو: أغار زيد على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان ورئيسهم يومئذ أبو ضَبَّ، ومع زيد الخيل من بني نُبَهان بطنان يقال لهما: بنو نَصْر وبنو مالك، فأصاب وغنم، وساقوا / الغنيمة، وانتهى إلى العَلَم، فاقتسموا الثَّهَاب، فقال لهم زيد: أعطوني حقَّ الرياسة، فأعطاه بنو نَصْر، وأبى بنو مالك، فغضب زيد، وانحدر إلى بني نصر، فبينما بنو مالك يقتسمون إذ غشيتهم فزارة وغطفان، وهم حلفاء، فاستنقذوا ما بأيديهم. فلما رأى زيد ذلك شدَّ على القوم فقتل رئيسهم أبا ضَبَّ، وأخذ ما في أيديهم، فدفعه إلى بني مالك، وكانوا نادوه يومئذ: يا زَيْدَاهُ اغْنِنَا! فكَرَّ على القوم حتى استنقذ ما في أيديهم، ورَدَّه، وقال يذكر ذلك:

(١) في المختار: «وجدتي».

(٢) ردى الفرس - كرمى - ردياً وردياناً: رجمت الأرض بحوافرها، أو هو بين العدو والمشى.

(٣) أعضاء: جمع عضد: ما حول الشيء. النواجي: جمع ناجية: الناقة السريعة.

(٤) أ: «كمثل الأعلم» والمتضاجم: المعوج الفم.

(٥) أ: «جالت عليه».

(٦) أ، ج: «أحدان المضاريط»، وأحدان ووجدان سواء. والمضاريط: الخدم والأتباع، واحده عضروط.

كَرَرْتُ عَلَى أَبْطَالٍ ^(١) سَعْدٍ وَمَالِكٍ
فَلَأْيَا كَرَرْتُ الْوَزْدَ حَتَّى رَأَيْتُهُمْ
وَحَتَّى نَبَذْتُمْ بِالصَّعِيدِ رِمَاحَكُمْ
فَمَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِغُرَّةٍ وَجْهَهُ
إِذَا شَكَّ أَطْرَافُ الْعَوَالِي لَبَانَهُ
عُلَّالَتُهَا بِالْأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ
لَقَدْ عَلِمْتُ نَبْهَانُ أَنِّي حَمِيَّتُهَا
عَشِيَّةً غَادَرْتُ ابْنَ ضَبِّ كَأَنَّمَا
بِذِي شُطْبٍ أَغْشَى الْكَنْبِيَّةَ سَلْهَباً ^(٢)

وَمَنْ يَسْدَعُ الدَّاعِي ^(٣) إِذَا هُوَ نَدَا
يُكَبُّونَ فِي الصَّحَرَاءِ مَثْنَى وَمَوْحِداً
وَقَدْ ظَهَرَتْ دَعْوَى زَيْتِيمٍ وَأَسْعَدَا
وَبِالسَّيْفِ حَتَّى كُلُّ تَحْتِي وَيَلْغَدَا
أَقْدُمُهُ حَتَّى يَرَى الْمَوْتَ أَسْوَدَا
وَعَلَّ الْجَوَارِي بَيْنَنَا أَنْ تُسَهَّدا
وَأَنَّى مَنَعْتُ السَّيِّئِ أَنْ يَتَبَدَّدَا
هَوَى عَنْ عُقَابٍ مِنْ شَمَارِيخٍ صَنِيدَا ^(٤)
أَقْبَبَ كَسْرَحَانَ الظَّلَامِ مُعَسَّوْدَا ^(٥)

/ زيد وعامر بن الطفيل

قال أبو عمرو: وَخَرَجَ زَيْدُ الْخَيْلِ يَطْلُبُ نَعْمًا مِنْ بَنِي بَذْرٍ، وَأَغَارَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ عَلَى بَنِي فَرَازَةَ، فَأَخَذَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا هِنْدٌ، وَاسْتَأْذَنَ نَعْمًا لَهُمْ، فَقَالَتْ بَنُو بَذْرٍ لَزَيْدٍ: مَا كُنَّا قَطُّ إِلَى نَعْمِكَ أَخْرُجْ مِنَّا الْيَوْمَ، فَتَبِعَهُ زَيْدُ الْخَيْلِ، وَقَدْ مَضَى، وَعَامِرُ يَقُولُ: يَا هِنْدُ، مَا ظَنُّكَ بِالْقَوْمِ؟ فَقَالَتْ: ظَنِّي بِهِمْ أَنَّهُمْ سَيَطْلُبُونَكَ، وَلَيْسُوا نِيَامًا عَنْكَ.

قال: فَحَطَّأَ ^(٦) عَجَزَهَا، ثُمَّ قَالَ: لَا تَقُولِ اسْتُهَا شَيْئاً، فَذَهَبْتُ مَثَلًا.

فَأَدْرَكَهُ زَيْدُ الْخَيْلِ، فَنَظَرَ إِلَى عَامِرٍ فَأَنْكَرَهُ لِعَظَمِهِ وَجَمَالِهِ، وَغَشِيَهُ زَيْدٌ فَبَرَزَ لَهُ عَامِرُ، فَقَالَ: يَا عَامِرُ؛ خَلِّ سَبِيلَ الظَّعِينَةِ وَالتَّعَمِّ. فَقَالَ عَامِرُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: فَرَازِيُّ أَنَا. قَالَ عَامِرُ: وَاللَّهِ مَا أَنْتَ مِنَ الْقُلُحِ ^(٧) أَفَوَاهَا. فَقَالَ زَيْدٌ: خَلِّ عَنْهَا، قَالَ: لَا، أَوْ تَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَسَدِي، قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا أَنْتَ مِنَ الْمَتَكُورِينَ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ. قَالَ: خَلِّ سَبِيلَهَا. قَالَ: لَا وَاللَّهِ أَوْ تَخْبِرْنِي فَأُصَدِّقَنِي ^(٨)، قَالَ: أَنَا زَيْدُ الْخَيْلِ، قَالَ: صَدَّقْتُ؛ فَمَا تَرِيدُ مِنْ قِتَالِي، فَوَاللَّهِ لئن قَتَلْتَنِي لَتَطْلُبَنَّكَ بَنُو عَامِرٍ، وَلَتَذْهَبَنَّ فَرَازَةُ بِالذِّكْرِ. فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: خَلِّ عَنْهَا، قَالَ: تَخَلَّى عَنِّي وَأَدْعَكَ وَالظَّعِينَةَ وَالتَّعَمِّ؟ قَالَ: فَاسْتَأْسِرْ، قَالَ: أَفْعَلْ، فَجَزَّ نَاصِيَتَهُ، وَأَخَذَ رُمْحَهُ، وَأَخَذَ هِنْدًا وَالنَّعَمَ، فَرَدَّهَا إِلَى بَنِي بَذْرٍ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

إِنَّا لَنُكْثِرُ فِي قَيْسٍ وَقَائِعَنَا
وَعَامِرُ بْنُ طَفِيلٍ قَدْ نَحَوْتُ لَهُ
وَفِي تَمِيمٍ وَهَذَا الْحَيِّ مِنْ أَسَدٍ
صَدَّرَ الْقَنَاءَ بِمَاضِي الْحَدِّ مَطَّرَدٍ

(١) كذا في أ، ب، س، وفي ج: «فتيان».

(٢) أ: «ومثلي دعا الداعي».

(٣) أ: «هوى عن حفاف»، وفي المختار: «صمرد»، واحد الصماريد؛ وهي الأرضون الصلاب. وصندد: جَبَلٌ بِتَهَامَةٍ.

(٤) كذا في أ، ج. وفي المختار: «أغشى الكريهة».

(٥) في أ: «كسر حان الظلام معددا».

(٦) حطاً فلاناً: ضرب ظهره بيده مبسوطة.

(٧) القلح، بالثاقف والحاء: جمع أفلح؛ وهو الذي في أسنانه صفرة. وفي المختار: الفلج، والفلج: المتباعد وما بين الأسنان.

(٨) في المختار: «فتصدقني».

/ لما أحسَّ^(١) بأنَّ الوردَ مُدركه
نادى إليَّ بسلمٍ بعدما أخذتْ
ولو تصبّر لي حتى أخالطه
وصارماً وربيطَ الجأشِ ذا لبَدٍ
منه المنيةُ بالخيزوم واللُّغْدِ
أشعرته طعنةُ تكتار بالزَبَدِ^(٢)

/ قال: فانطلق عامر إلى قومه مجزواً^(٣)، وأخبرهم الخبر، فغضبوا لذلك، وقالوا: لا ترأسنا^(٤) أبداً،
وتجهّزوا ليغيروا على طيء، ورأسوا عليهم علقمة بن علاثة، فخرجوا معهم الحطيئة وكعب بن زهير.

أسر الحطيئة وكعب بن زهير ثم أطلقهما

فبعث عامر إلى زَيْد الخيل دَسِيساً يُنْذِرُه، فجمع زيدٌ قومه، فلقيهم بالمضيّق فقاتلهم، فأسر الحطيئة وكعب بن
زهير وقوماً منهم، فحبسهم فلما طال عليهم الأسر قالوا: يا زيد، فادِنَا. قال: الأمر إلى عامر بن الطفيل، فأبوا ذلك
عليه، فوهبهم لعامر إلّا الحطيئة وكعباً، فأعطاه كعب فرسه الكُمَيْت، وشكا الحطيئة الحاجة، فمَنَّ عليه، فقال زيد:

أقول لعبدي جَرَوَلٍ إذْ أَسْرَتْهُ
أنا الفارسُ الحامي الحقيقةَ والذي
وقومي رُؤُوسُ الناسِ والرأسُ قائد
فلسْتُ إذا ما الموتُ حُوذِرَ ورُدّه
أثبني ولا يَغُرُّكَ أنْكَ شاعِرُ
له المَكْرُماتِ واللُّهَى^(٥) والمأثِرُ
إذا الحربُ شَبَّهَتْها الأكفُ المساعِرُ
وأثَرَعَ حَوْضَاهُ وَحَمَّجَ نَاطِرُ^(٦)

بِرَقَافَةٍ يَخْشَى الحُتُوفَ تَهَيَّباً
/ ولكنني أغشى الحُتُوفَ بصعدتي^(٨)
وأزوي سِنَانِي مِنْ دِمَاءِ عَزِيزَةٍ
يُباعِدُنِي عنها من القُبِّ^(٧) ضامِرُ
مجاهرةً إنَّ الكريمَ يُجَاهِرُ^(٩)
على أهلها إذْ لا تَرَجَّى الأياصِرُ^(١٠)

شعر الحطيئة لزيد

فقال الحطيئة لزيد:

إن لم يكن مالي بآتٍ فلأنسي
فأعطيتْ منا الوُدَّ يومَ لقيتنا
سيأتي ثنائي زيدا بن مهلهل^(١١)
ومن آل بسدرٍ شدةً لم تهلّل^(١٢)

(١) في أ: «لما تحسب أن الورد». وفي المختار: «لما تيقن».

(٢) ب، س، ج: «كالنار بالزند»، وفي المختار: «تكتن بالزيد» والمثبت من أ، ج، وفي هامشه: تكتار، أي تجيش وترمي بالزيد،
من قولهم: اكنار الفرس، إذا رفع ذنبه في العدو.

(٣) في المختار: «محزونا».

(٤) في المختار: «لا نذوق وسناً أبداً».

(٥) اللهي: العطايا.

(٦) هامش أ: «التحميج: تحديد النظر».

(٧) القب: جمع الأقب، وهو من الخيل الدقيق الخصر.

(٨) في المختار: «وصعدتي». والصعدة: القناة المستوية.

(٩) في المختار: «إن الشجاع مجاهر».

(١٠) الأياصر: جمع أصرة؛ وهي قرابة الرحم.

(١١) ديوانه ٨٢، وفيه: «إلا يكن... فإنه».

(١٢) في الديوان: «وأعطيت منا الود... ومن آل بدر وقعة» وفي ابن الشجري: «فأعطتك». ولم تهلّل: لم تضعف.

فَمَا نَلْتَنَّا غَذْرًا وَلَكِنْ صَبَحْتَنَا
تَفَادَى حِمَاةُ الْقَوْمِ مِنْ وَقَعِ رَمَحِهِ
غَدَاةُ التَّقِينَا فِي الْمَضِيقِ بِأَخْيَلٍ^(١)
تَفَادَى ضِعَافِ الطَّيْرِ مِنْ وَقَعِ أَجْدَلِ
وَقَالَ فِيهِ الْحَطِيطَةُ أَيْضًا^(٢):

وَقَعْتَ بَعْبَسَ ثُمَّ أَنْعَمْتَ فِيهِمْ
فَإِنْ يَشْكُرُوا فَالشُّكْرُ أَدْنَى إِلَى الثَّقَى
وَمَنْ آلَ بَدْرٍ قَدْ أَصَبْتَ الْأَخْيَارَ^(٣)
وَإِنْ يَكْفُرُوا لَا أَلْفَ يَا زَيْدُ كَافِرًا^(٤)
بِمَا قَدْ تَرَى مِنْهُمْ حُلُولًا كَرَكَرًا^(٥)
وَبِالْأَمْسِ مَا قَتَلْتَ يَا زَيْدُ عَامِرًا^(٦)
/ وَحَيِّ سُلَيْمٍ قَدْ أَثَرْتَ شَرِيذَهُمْ^(٧)

[٢٦٦/١٧]

فرضي عنه زيد ومنّ عليه لما قال هذا فيه، وعدّ ذلك ثواباً من الحطيطه وقبله.

امتناع الحطيطه عن هجائه

فلما رجع الحطيطه إلى قومه قام فيهم حامداً لزيد، شاكراً لنعمته، حتى أسرت طيء بني بدر، فطلبت فزارة وأفناء قيس إلى شعراء العرب أن يهجووا بني لأم وزيداً، فتحامتهم شعراء العرب، وامتنعت من هجائهم، فصاروا إلى الحطيطه فأبى عليهم، وقال: اطلبوا غيري فقد حقن دمي، وأطلقني بغير فداء؛ فلست بكافر نعمته أبداً، قالوا: فإننا نُعطيك مائة ناقة، قال: والله لو جعلتموها ألفاً ما فعلت ذلك. وقال الحطيطه:

كَيْفَ الْهَجَاءُ وَمَا تَنْفُكُ صَالِحَةً
الْمَنْعِمِينَ أَقَامَ الْعِرْزُ وَسَطَهُمْ
مِنْ آلِ لَأْمٍ^(٨) بظَهْرِ الْغَيْبِ تَأْتِينَا
بِضُّ الْوُجُوهِ وَفِي الْهَيْجَا مَطَاعِينَا

٥٧
١٦

/ وقد أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال:

خرج بجير بن زهير والحطيطه ورجل من فزارة يتقنصون الوحش، فلقبهم زيد الخيل فأسرهم، فافتدى بجير نفسه بفرس كان لكعب أخيه، وكعب يومئذ مجاور في بني ملقط من طيء، وشكا إليه الحطيطه الفاقة فأطلقه:

غزا فزارة مع بني نبهان

وقال أبو عمرو: غزت بنو نبهان فزارة وهم متساندون ومعهم زيد الخيل، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت فزارة، وسأقت بنو نبهان الغنائم / من النساء والصبيان. ثم إن فزارة حشدت واستعانت^(٩) بأحياء من قيس، وفيهم [٢٦٧/١٧] رجل من سليم شديد البأس سيّد يقال له: عباس بن أنس الرعلي، كانت بنو سليم قد أرادوا^(١٠) عقد التاج على رأسه

(١) هامش أ: «الأخيل: الشقراق يتشام به». وفي شرح الديوان: «بأخيل: جمع خيل».

(٢) ديوانه ٨٧.

(٣) جـ والمختار: «عنهم»، وفي الديوان: «قد أصبت الأكابر».

(٤) في المختار: «لم ألف».

(٥) الكراكر: الجماعات، واحدها كركرة.

(٦) المختار: «أبرت شريدهم» وفي جـ: «وحتى سليم».

(٧) ب، س: «ولا تنس».

(٨) في أ: «الذي كريم» وفي هامشه وجد: «من آل زيد». وفي المختار: «لآل لأم بظهر الغيب».

(٩) أ: «واستغاثت».

(١٠) أ: «قد أرادت».

في الجاهلية، فحسده ابن عم له فلطم عينه، فخرج عباس من أعمال بني سليم في عدة من أهل بيته وقومه، فنزل في بني فزارة، وكان معهم يومئذ، ولم يكن لزيد المرباع حيثذ، وأدركت فزارة بني نبهان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فلما رأى زيد ما لقيت بنو نبهان نادى: يا بني نبهان! أحمل ولي المرباع؟ قالوا: نعم، فشذ على بني سليم فهزمهم، وأخذ أم الأسود امرأة عباس بن أنس، ثم شذ على فزارة والأخلاق فهزمهم، وقال في ذلك:

ألا ودعيت جيرانها أم أسوداً وضئت على ذي حاجة أن يزوداً
وأبغض أخلاق النساء أشدّه إلي فلا تولن أهلي تشدداً
وسائل بني نبهان عنا وعندهم بلاء كحسد السيف إذ قطع اليدا
دعوا مالكا ثم اتصلنا بمالك فكل ذكاً مصباحه فتسوقدا
وبشر بن عمرو قد تركنا مجندلاً ينوء بخطار هناك ومعبداً^(١)
تمطت به قوداء ذات علالة إذا الصلدم الخنذيد أعيا وبكداً^(٢)
لقيناهم نستقذ الخيل كالفنا ويستلبون السهمري المقصداً^(٣)
فيا رب قدر قد كفأنسا وجفنة بذني الرمث إذ يدعون مثنى وموحداً
/ على أنني أثوي سناني وصعدتي

[٢٦٨/١٧]

زيد وقيس بن عاصم

قال أبو عمرو: وقعت حرب بين أخلاق طي، فنهاهم زيد عن ذلك وكبره فلم ينتهوا، فاعتزل وجاور بني تميم، ونزل على قيس بن عاصم، فغزت بنو تميم بكر بن وائل وعليهم قيس، وزيد معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وزيد كاف. فلما رأى ما لقيت تميم ركب فرسه، وحمل على القوم، وجعل يدعو بالتميم، ويتكئى بكنية قيس إذا قتل رجلاً أو أذراه^(٤) عن فرسه، أو هزم ناحية، حتى هزمت بكر، وظفرت تميم، فصارت فخرأ لهم في العرب، وافتخر بها قيس.

فلما قدموا قال له زيد: أقسم لي يا قيس نصيبي، فقال: وأي نصيب؟ فوالله ما ولي القتال غيري وغير أصحابي، فقال زيد:

ألا هل أتاهما والأحاديث جنة مغلفة أنباء جيش الهازم
فلس بوقاف إذا الخيل أحجمت ولست بكذاب كقيس بن عاصم
تخبز من لافيت أن قد هزمتهم ولم تدر ما سيماهم والعمائم^(٥)
بل الفارس الطائي فض جموعهم^(٦) ومكة والبيت الذي عند هاشم

(١) أ: «مجدلاً... هناك معبداً».

(٢) الصلدم: الفحل الشديد الحافر. والخنذيد: الطويل وفي أ: «إذا الصارم».

(٣) أ وجد: «ويستلبون». والسهمري: الرمح الصليب العود. والمقصود: المكسور.

(٤) أذراه: أطاره.

(٥) أ: «لا، وعائم». وقال في هامشه: «وعائم: اسم صنم».

(٦) الفارس الطائي هو زيد الخيل.

٥٨
١٦

/ إذا ما دَعَوْا عَجَلًا عَجَلْنَا عَلَيْهِمْ بِمَأْثُورَةٍ تَشْفِي صُدَاعَ الْجُمَا جِمِ
فبلغ المكشَّر بن حَنْظَلَةَ الْعَجَلِيَّ أَحَدَ بَنِي سَنَانٍ قَوْلُ زَيْدٍ، فَخَرَجَ فِي نَاسٍ مِنْ عَجَلٍ حَتَّى أَغَارَ عَلَى بَنِي نُبَهَانَ،
فَأَخَذَ مِنْ نَعْمِهِمْ مَا شَاءَ، وَبَلَغَ ذَلِكَ زَيْدَ الْخَيْلِ، فَخَرَجَ عَلَى فَرَسِهِ فِي فَوَارِسٍ مِنْ نُبَهَانَ، حَتَّى اعْتَرَضَ الْقَوْمَ، فَقَالَ:
/ مَا لِي وَلَكَ يَا مَكْشَرٌ؟ فَقَالَ: قَوْلُكَ:

[٢٦٩/١٧]

* إذا ما دعوا عجلًا عجلنا عليهم *

فَقَاتَلَهُمْ زَيْدٌ حَتَّى اسْتَنْقَذَ بَعْضَ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَرَجَعَ الْمَكْشَرُ بِبَقِيَّةٍ مَا أَصَابَ. فَأَغَارَ زَيْدٌ عَلَى بَنِي تَيْمِ اللَّهِ
بَنِ ثَعْلَبَةَ، فَغَنِمَ وَسَبَى، وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

إذا عركت عَجَلٌ بنا دَنْبَ غَيْرِنَا عَرَكْنَا بِتَيْمِ اللَّاتِ دَنْبَ بَنِي عَجَلٍ

حريث بن زيد الخيل

وقال أبو عمرو: كان حُرَيْثُ بْنُ زَيْدِ الْخَيْلِ شَاعِرًا، فَبَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ يَقَالُ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ
يَسْتَقْرِئُ أَهْلَ الْبَادِيَةِ، فَمَنْ لَمْ يَقْرَأْ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ عَاقِبَهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ بِمَحَلَّةِ بَنِي نُبَهَانَ، فَاسْتَقْرَأَ ابْنَ عَمِّ لَزِيدِ
الْخَيْلِ يَقَالُ لَهُ أَوْسُ بْنُ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُثَنَّبٍ، فَلَمْ يَقْرَأْ شَيْئًا، فَضْرِبَهُ، فَمَاتَ.

فَأَقَامَتْ بَنَتُهُ أُمُّ أَوْسٍ تَنْدِبَهُ، وَأَقْبَلَ حُرَيْثُ بْنُ زَيْدِ الْخَيْلِ فَأَخْبَرَتْهُ، فَأَخَذَ الرَّمْحَ فَشَدَّ عَلَى أَبِي سَفْيَانَ فَطَعَنَهُ
فَقَتَلَهُ، وَقَتَلَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ هَرَبَ إِلَى الشَّامِ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

أَلَا بَكْرَ النَّاعِي بِأَوْسِ بْنِ خَالِدٍ أَخِي الشُّوَّةِ الْغَبْرَاءِ وَالزَّمَنِ الْمَخْلِ
فَلَا تَجْزِعِي يَا أُمُّ أَوْسٍ فَإِنَّهُ يَلَاقِي الْمَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَعْلٍ^(١)
فَلِنْ يَقْتُلُوا أَوْسًا عَزِيزًا فَإِنِّي تَرَكْتُ أَبَا سَفْيَانَ مَلْتَزِمَ الرَّحْلِ
وَلَوْ لَا الْأَمْسَى مَا عَشْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا شِئْتَ جَاوِبِي مِثْلِي
أَصْبَنَّا بِهِ مِنْ خَيْرَةِ الْقَوْمِ سَبْعَةً كِرَامًا وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِ حَشَفَ النَّخْلِ

[٢٧٠/١٧]

أصوت

بَشَّرَ الظُّبَيْيَ وَالْغَرَابُ بِسُغْدَى مَرْحَبًا بِالَّذِي يَقُولُ الْغَرَابُ
أَذْهَبِي فَأَقْرئِي السَّلَامَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ رُدِّي جَوَابَنَا يَا رَبَّابُ

عروضه من الخفيف^(٢). الشعر لعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ، وَالْغِنَاءُ لِفَنْدٍ^(٣) الْمُخْتَثِ - مَوْلَى عَائِشَةَ بِنْتِ
سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ. وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ هَذَا اللَّحْنَ لِيَحْيَى الْمَكِّي، وَلَيْسَ مِمَّنْ يُحْصَلُ قَوْلُهُ.

(١) في المختار: «تصيب المنايا».

(٢) أ: «من السريع»، وهو خطأ.

(٣) ضبط في أ بفتح الفاء، وهو تصحيف.

[خبر لابن قيس الرقيات]

[٢٧١/١٧]

أخبرني بالسبب الذي قال فيه ابن قيس هذا الشعر الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحارث الكاتب، مولى بني عامر بن لؤي، وأبو الحارث هذا هو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة^(١):

يا أبا الحارث قلبي طائر^(٢) فائتمر أمر رشيد مؤتمن

وقوفه إلى جانب عبد العزيز بن مروان وشعره فيه

قال: حدثني عمرو بن عبد الرحمن بن عمرو بن سهل، قال: حدثني سليمان بن نوفل بن مساحق، عن أبيه، عن جده، قال:

أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان، وكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك، فامتنع عليه، وكتب إليه يقول له: لي ابنٌ ليس أبوك أحب إليّ منه؛ فإن استطعت ألا يفرق بيننا الموت وأنت لي ^{٩٩} قاطع فافعل. فرق له / عبد الملك، وكفّ عن ذلك، فقال عبيد الله بن قيس في ذلك - وكان عند عبد العزيز -:

يُخْلِفُكَ الْبَيْضُ مِنْ بَنِيكَ كَمَا يُخْلِفُ عُودُ الثُّقَارِ فِي شُعْبَةٍ
لَيْسُوا مِنَ الْخِرُوعِ الضُّعَافِ وَلَا أَشْبَاهِ عِيدَانِهِ وَلَا غَرَبَةٍ
نَحْنُ عَلَى بَيْعَةِ الرُّسُولِ الَّتِي أُعْطِيتْ فِي عُجْمِهِ وَفِي عَرَبَةٍ
/ نَأْتِي إِذَا مَا دَعَوْتَ فِي الزَّغَفِ الْمَسْرُودِ أَبْدَانُهُ وَفِي جُنْبِهِ^(٣)
نُهْدِي رَعِيلاً أَمَامَ أَرْعَنَ لَا يُعْرِفُ وَجْهَ الْبَلْقَاءِ فِي لَجْبِهِ^(٤)

[٢٧٢/١٧]

فقال عبد الملك: لقد دخل ابن قيس الرقيات مدخلاً ضيقاً، وتهذبه وشمته. وقال: أليس هو القائل:

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفَرَاشِ وَلَمَّا تَشَمَّلِ الشَّامُ غَارَةَ شَعْوَاءُ
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتَبْدِي عَنْ خِدَامِ الْعَقِيلَةِ الْعَذْرَاءُ^(٥)
وهو القائل أيضاً:

(١) ديوانه ٦٥.

(٢) في الديوان: «يا أبا الخطاب قلبي هائم».

(٣) أ: «نأبي»، والزغفة - وقد تحرك -: الدرع اللينة الواسعة المحكمة، أو الرقيقة الحسنة السلاسل. ودروع زغف وجمعه أزغاف، وزغف، محركة، وزغوف.

(٤) أ: «وجه اللقاء».

(٥) في «اللسان» (خدم): أراد وتبدي عن خدام العقيلة، وخدام ها هنا في نية عن خدامها. وفي ديوانه ص ٩٦: «عن براها».

على بَيْعَةِ الإسلام بَايَعَنَ مُضْعَباً
تَدَارَكَ أَخْرَانَا وَيَمْضِي أَمَانَا
إِذَا فَرَعَتْ أَظْفَارُهُ مِنْ كَتِيبَةٍ

قال: فلما بلغ عبيد الله قول عبد الملك وشتمه إياه قال:

بَشَّرَ الظَّنْبِي والغُرَابُ بِسُغْدَى
قال لي: إِنَّ خَيْرَ سَعْدِي قَرِيب
قلت: أَنَّى تَكُونُ سُغْدَى قَرِيباً
حبذا الرِّيسُ ذو الوشاحين والسَّخْضَرُ الذي لا يَنَالُهُ الأَثْوَابُ^(٢)
إِنَّ فِي القَصْرِ لَوْ دَخَلْتَ غَزَالاً
مُضْفَقاً مَوْصِداً عَلَيْهِ الحِجَابُ^(٣)

أَرْسَلْتُ أَنْ فَدْتُكَ نَفْسِي فَاحْذَرْ /
أَقْسَمُوا إِنْ رَأَوْكَ لَا تَطْعَمَ المَا
قلت: قَدْ يَغْفُلُ الرَّقِيبُ وَيُغْفِي
أَوْ عَسَى أَنْ يُسَوِّرَني اللهُ أَمِراً
أَذْهَبِي فَأَقْرَئِي السَّلَامَ عَلَيْهَا
حَذِيثُهَا مَا قَدْ لَقِيتُ وَقَوْلِي
رَجُلٌ أَنْتِ هُمُّهُ حِينَ يُنْفِسِي
لَا أَشْمُ السَّرِيحَانَ إِلَّا بِعَيْنِي كَرِماً إِنَّمَا يَشْمُ الكَلَابُ
رُبُّ زَارٍ عَلَيَّ لَمْ يَرَمْنِي
خَادَعُ اللهُ حِينَ جَلَّلَهُ الشَّيْبُ فَأُضْحَى قَدْ بَانَ مِنْهُ الشُّبَابُ
يَأْمُرُ النَّاسَ أَنْ يَبْرُوا وَيُمْسِي
لَا تَعْنِنِي فَلَيْسَ عِنْدَكَ عِلْمُ
تَخْتَلُ النَّاسَ بِالكِتَابِ فَهَلَا
لَسْتُ بِالمُخْبِتِ التَّقِيَّ وَلَا الْمُخْ
/ إِنِّي وَالتِّي رَمَتْ بِكَ كَرَهَا
لَتَذُوقَنَّ غِيبَ رَأْيِكَ فِينَا

قال الزبير: معنى قوله:

لَا أَشْمُ السَّرِيحَانَ إِلَّا بِعَيْنِي كَرِماً إِنَّمَا يَشْمُ الكَلَابُ

(٢) أَنَّى: حَانَ وَقَرَّبَ.

(١) البوائك: القواطع.

(٣) المَثْبِتُ مَنْ هَامَشَ أَوْ وَجَدَ فِي بَ وَالدَّيْوَانُ: والقصر الذي لَا يَنَالُهُ الأَثْرَابُ.

(٤) كَذَا فِي أ، ح، وَفِي ب، س: «وَلَا المَهْنِيَّة». وَفِي الدَّيْوَانِ: «وَلَا المَحْضُ الَّذِي لَا تَذْمُهُ الأَنْسَابُ».

(٥) الأَنْدَابُ: أَثَارُ الجُرُوحِ البَاقِيَةِ.

٢٧٤/١١ / يُعْرَضُ بَعْدَ الْمَلِكِ؛ لَأَنَّهُ كَانَ مُتَغَيِّرَ الْفَمِ يُؤْذِيهِ رَائِحَتُهُ، فَكَانَ فِي يَدِهِ أَبْدَأَ رِيحَانٍ، أَوْ تَفَاحَةً، أَوْ طِيبَ يَشْمُهُ.

بيت شعر لابن قيس الرقيات أحفظ عبد الملك بن مروان

أخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير، عن عمه:

أَنَّ ابْنَ قَيْسٍ قَالَ فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ:

يَلْتَفِتُ النَّاسُ عِنْدَ مَنَبْرِهِ إِذَا عَمُودُ الْبَرِيَّةِ انْهَدَمَا

يعني إذا مات عبد الملك؛ لِأَنَّ الْعَهْدَ كَانَ إِلَيْهِ بَعْدَهُ.

قال الزبير: فأخبرني مصعب بن عثمان، قال:

لَمَّا بَلَغَ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا الْبَيْتَ أَحْفَظَهُ، وَقَالَ: بَقِيَهُ الْحَجَرُ، وَحِينَئِذٍ قَالَ: لَقَدْ دَخَلَ ابْنُ قَيْسٍ مَدْخَلًا ضَيِّقًا.

الحجاج يبعث إلى عبد الملك بعمران بن عصام العنزي

أخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني كثير بن جعفر، عن أبيه، قال:

قَالَ الْحَجَّاجُ يَوْمًا لِأَهْلِ ثِقَتِهِ مِنْ جُلَسَائِهِ: مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ أَشَدَّ نَصَبًا^(١) لِي مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، وَلَيْسَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تَأْتِيَنِي مِنْهُ قَارِعَةٌ، فَهَلْ مِنْ رَجُلٍ تَدُلُّونِي عَلَيْهِ، لَهُ لِسَانٌ وَشَعْرٌ وَجِلْدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، عِمْرَانُ بْنُ عِصَامٍ الْعَنْزِيُّ، فَدَعَاهُ فَأَخْلَاهُ، ثُمَّ قَالَ: أَخْرِجْ بَكْتَابِي هَذَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَاقْدَحْ فِي قَلْبِهِ مِنْ ابْنِهِ شَيْئًا فِي الْوَلَايَةِ، فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ: دُسَّ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِلَيَّ دَسًّا، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: «إِنَّ الْعَوَانَ لَا تُعْلَمُ الْخُمْرَةُ»^(٢).

فَخَرَجَ بِكِتَابِ الْحَجَّاجِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ دَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْحَجَّاجِ، وَأَمَرَ الْعِرَاقَ،

فَانْدَفَعَ يَقُولُ:

/ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ أَهْدِي عَلَى الشَّخْطِ التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا

أَمِيرٌ مِنْ بَيْنِكَ يَكُنْ جَوَابِي لَهُمْ أَكْرَوْمَةٌ وَلَنَا نَظَامَا

فَلَوْ أَنَّ الْوَلِيدَ أَطَاعَ فِيهِ جَعَلَتْ لَهُ الْإِمَامَةَ وَالذُّمَامَا

فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي ذَلِكَ. ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ خَبَرِهِمَا فِي الْمَكَاتِبَةِ مِثْلَ الْخَبَرِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَقَالَ فِيهِ: فَرَّقَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: لَا يَكُونُ إِلَى الصَّلَةِ أَسْرَعُ مِنِّي، فَكَفَّ عَنْ ذَلِكَ، وَمَا لَبِثَ عَبْدُ الْعَزِيزِ إِلَّا سِتَّةَ أَشْهُرٍ حَتَّى مَاتَ.

الحجاج يقتل ابن الأشعث وعمران بن عصام

فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجاج، فأتى به حين قُتِلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ فَقَتَلَهُ،

فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ فَقَالَ: قَطَعَ اللَّهُ يَدَيِ الْحَجَّاجِ! أَفْتَكَلَهُ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

وَبَعَثْتُ مَنْ وَلَدَ الْأَغْرَ مُعْتَبٍ صَفَرًا يَلُودُ حَمَامُهُ بِالْعَوَسَجِ

وَإِذَا طَبَخْتَ بَنَارَهُ أَنْضَجْتُهَا وَإِذَا طَبَخْتَ بَغِيرَهَا لَمْ تُنْضِجْ

(٢) المستقصى ٢/ ٣٣٤ يريد أن المجرب عارف بأمره.

(١) النصب: المعادة. وفي «بيروت»: بغضاً إلي.

[٢٧٦/١٧]

/ ذكر فند وأخباره

كان خليعاً متهتكاً

هو فند أبو زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، ومنشؤه المدينة، وكان خليعاً متهتكاً^(١)، يجمع بين الرجال والنساء في منزله، ولذلك يقول فيه ابن قيس الرقيات.

نصوت

١١ / قل لفندٍ يُشَيِّعُ الْأَظْعَانَا طالما سرَّ عيشنا وكفَّانَا
١٦ صادراتٍ عشيةً مِنْ قُدَيْدٍ^(٢) وارداتٍ مع الضحى عُشْفَانَا
زودتْنا رُقِيَّةُ الْأَحْزَانَا يوم جازت حُمُولُهَا السُّكْرَانَا^(٣)

عروضه من الخفيف^(٤). غناه مالك بن أبي السمع من روايتي إسحاق وعَمْرُو بن بانة. ولحنه من خفيف الثقيل بالسَّبَابَةِ في مجرى الوسطى.

وقد اختلف في اسمه، فقيل: قند بالقاف، وفند بالفاء أصح. وبه يضرب المثل في الإبطاء، فيقال: تَعَسَتْ الْعَجَلَةُ.

أرسلته عائشة بنت سعد ليجيئها بنار فجاءها بها بعد سنة

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال:

كانت عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار، فخرج لذلك، فلقي عيراً خارجاً إلى مضر، فخرج معهم، فلما كان بعد سنة رجع فأخذ ناراً، ودخل على عائشة وهو يَغْدُو فسقط وقد قرب منها، فقال: تَعَسَتْ الْعَجَلَةُ، فقال بعض الشعراء في رجل ذكَّرَ بمثل هذه الحال:

[٢٧٧/١٧] / ما رأينا لُعْبِيدٍ^(٥) مثلاً إذ بعثناه يجي بالمسلة^(٦)
غير فنيذ بعثوه^(٧) قابساً فسوى حولاً وسبب العجلة

(١) كذا في م والمختار، وفي أ، ج: «منهمكاً».

(٢) أ: «عشية من الآل»، وفي هامشه من نسخة: «قديد»، وفي البلدان: «من قديد» أيضاً.

(٣) وكذا في المختار، والبيت في البلدان (سكران) مع ثلاثة أبيات أخرى لابن قيس الرقيات والرواية فيه: «... حمولها سكراناً».

(٤) في أ، م: «من السريع»، وهو خطأ.

(٥) في ب، م والمختار: «ما رأينا لسعيد»، وفي «اللسان»: «لغراب».

(٦) في المختار و«اللسان»: «بالمشكلة»، وهي كساء يشتمل به دون القطيفة.

(٧) في «اللسان»: «أرسلوه».

ضربه سعد بن إبراهيم فحلفت عائشة ألا تكلمه أو يرضى عنه

أخبرني الحسين، قال: قال حماد: قرأت على أبي الهيثم بن عدي، قال:

كان فند أبو زيد مولى لسعد بن أبي وقاص، فضربه سعد بن إبراهيم ضرباً مُبرحاً، فحلفت عائشة بنت سعد أنها لا تكلمه أبداً أو يرضى عنه - وكانت خالته - فصار إليه سعد طاعة لخالته، فوجده وجعاً من ضربه، فسلم عليه فحوّل وجهه عنه إلى الحائط ولم يكلمه؛ فقال له: أبا زيد، إن خالتي حلفت ألا تكلمني حتى ترضى، ولست ببارح حتى ترضى عني. فقال: أما أنا فأشهد أنك مقيت سمج مُبغض، وقد رضى عنك على هذه الحال^(١) لتقوم عني، وتريحني من وجهك ومن النظر إليك.

فقام من عنده، فدخل على عائشة، وأخبرها بما قال له فند، فقالت: قد صدق، وأنت كذلك ورضيت عنه.

قال: وكان سعد مضطرب الخلق سمجاً.

مروان بن الحكم يتهدده

أخبرني الحسن قال: قال حماد: قرأت على أبي بكر:

وذكر عوانة أن معاوية كان يستعمل مروان بن الحكم على المدينة سنة، ويستعمل سعيد بن العاص سنة، فكانت ولاية مروان شديدة يهرب فيها أهل الدعارة والفسوق، وولاية سعيد ليثة يرجعون إليها، فيينا مروان / يأتي المسجد وفي يده عكازة له، وهو يومئذ معزول، إذا هو بفند يمشي بين يديه، فوكزه بالعكازة، وقال له: ويلك هيه: * قل لفند يشيع الأظعان *

أتشيع الأظعان للفساد - لا أم لك - إلى أهل الرية! ستعلم ما يحل بك مني، فالتفت إليه فند، وقال: نعم، أنا ذلك وسبحان الله! ما أسمعك والياً ومعوذاً! فضحك مروان، وقال له: تمتع، إنما هي أيام قلائل ثم تعلم ما يمر بك مني.

أصوت

[٢٧٩/١١]

حَيِّ الدُّوَيَّرَةَ إِذْ نَأَتْ مَنَا عَلَى عُدَوَائِهَا
لَا بِالْفَرَاقِ تُنِيلُنَا شَيْئاً وَلَا بِلِقَائِهَا

عروضه من الكامل^(٢) الشعر لنبيه بن الحجاج السهمي، والغناء لابن سريج، وقمل بالوُسْطَى / عن عمرو.

٣٢
١٦

(١) المختار: «على هذه الأحوال».

(٢) المراد: من مجزوء الكامل.

١ / أخبار نبيه ونسبه

[٢٨٠/١٧]

نسبه

هو نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهيم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب؛ وأمه وأخيه منبه أزوي بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي.

قتل هو وأخوه يوم بدر مشركين

وكان نبيه بن الحجاج وأخوه من وجوه قريش وذوي النباهة فيهم، وقتلا جميعاً يوم بدر مشركين، ولهما يقول أعشى بني تميم - وهو ابن النباش بن زرارة، وكان أخوه أبو هالة بن النباش زوج خديجة أم المؤمنين في الجاهلية، ولها منه أولاد لهم عقب إلى الآن - وكان الأعشى مدحاً لهم، وفيهم يقول، وهي قصيدة طويلة^(١):

لله ذر بني الحجاج إذ نذبوا
إن يكسبوا يطعموا من فضل كسبهم
وفي نبيه يقول أيضاً^(٢):

إن نبيها أبا الرزّام أفضلهم^(٣)
ليس لفعل^(٤) نبيه إن مضى خلف
/ ثقّف كلُّ قمان، عدل في حكومته^(٥)
وإن يبت نبيه منهج فلج^(٦)
حِلماً وأجودهم، والجود تفضيل
ولا لقول أبي الرزّام تبديل
سيف إذا قام وسط القوم مسلّول
مخضر بالندى ما عاش مأهول^(٧)

[٢٨١/١٧]

(١) الأمدى ٢١، ونسب قريش ٤٠٣.

(٢) في الأمدى:

وقد أراها حديثاً وهي أنسة لا يشتكي أهلها

ندبوا: دعوا للقيام بالأمور.

(٣) في ج: «أبرار»، وفي الأمدى:

* وأوفياء لمن آووه أبرار *

(٤) نسب قريش ٤٠٤.

(٥) نسب قريش: «أحلمهم».

(٦) نسب قريش: «ليس لقول».

(٧) ثقّف: حاذق.

(٨) فلج: يراد به هنا الواسع.

(٩) في نسب قريش ٤٠٤: «مخضر أبداً...»، والرواية في أ: «... مخضر أبداً ما عاش مأهول».

مَنْ لَا يَغُرُّ وَلَا يُوْذِي عَشِيرَتَهُ وَلَا نَدَاهُ عَنِ الْمُعْتَرِّ مَعْدُولٌ^(١)

وله أيضاً فيهما مراثٍ قالها فيهما لما قُتِلَا بِدَرٍ لَمْ أَسْتَجِزْ ذِكْرَهَا؛ لَأَنَّهُمَا قُتِلَا مُشْرِكَيْنِ مُحَارِبَيْنِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

شعره في زوجته وقد سأله الطلاق

وكان نُبَيْهَ مِنْ شُعْرَاءِ قَرِيشٍ، وَهُوَ الْقَاتِلُ وَقَدْ سَأَلَتْهُ زَوْجَتَاهُ الطَّلَاقَ، ذَكَرَ ذَلِكَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ^(٢):

تِلْكَ عِرْسَايَ تَنْطَقَانِ بِهَجْرٍ وَتَقُولَانِ قَوْلَ زُورٍ وَهَنْجَرٍ^(٣)
تَسْأَلَانِي الطَّلَاقَ أَنْ^(٤) رَأَيْتَانِي قُلَّ مَالِي، قَدْ^(٥) جِثْمَانِي بِنُكْرٍ
فَلَعَلِّي أَنْ يَكْثُرَ الْمَالُ عِنْدِي وَيُخْلَى^(٦) مِنَ الْمَغَارِمِ ظَهْرِي
وَيُورَى أَغْبُدُ لَنَا وَجِيَادُ وَمَنْصِيفٌ^(٧) مِنْ وَلَائِدَ عَشْرِ
وَيَكُنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُخْبَبُ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعْشِ عَيْشَ ضُرٍّ
/ وَيُجَنَّبُ يُسْرَ الْأُمُورِ وَلَكِنْ ذَوِي الْمَالِ حُضْرٌ كُلُّ يُسْرٍ^(٨)

[٢٨٢/١]

شعر آخره

أَخْبَرَنِي الطُّوسِيُّ وَالْحَرَمِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ:

أَنَّ عَامَرَ بْنَ صَالِحٍ أَنْشَدَهُ لَنُبَيْهَ بْنِ الْحَجَّاجِ:

قَصَّرَ الْعُذْمُ^(٩) بِي وَلَوْ كُنْتَ ذَا مِا لِ كَثِيرٍ لِأَجْلَبِ^(١٠) النَّاسِ حَوْلِي
وَلَقَالُوا: أَنْتَ الْكَرِيمُ عَلَيْنَا وَلِحَفَظُوا إِلَيَّ هَوَايَ وَمِثْلِي
وَلَكِلْتُ الْمَعْرُوفَ كَيْلًا هَنِيئًا^(١١) يَعْجِزُ النَّاسُ أَنْ يَكِيلُوا كَكِيلِي

قال الزُّبَيْرُ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ: وَأَنْشَدَنِي عَامَرُ بْنُ صَالِحٍ لَنُبَيْهَ بْنِ الْحَجَّاجِ أَيْضًا:

/ قَالَتْ سُلَيْمَى إِذْ طَرَفْتُ أَزُورُهَا: لَا أَبْتَغِي إِلَّا أَمْرًا ذَا مَالٍ

١٣
١٦

(١) في جـ: «مَنْ لَا يَغُرُّ». عرهم: ساءهم. والمعتر: الذي يطيف بك يطلب ما عندك؛ سَأَلَكَ أَوْ سَكَتَ عَنِ السُّؤَالِ. «اللسان» (عرر).

وفي نسب قريش: «مَنْ لَا يَغُرُّ».

(٢) في هامش أ: «الشعر لزيد بن عمرو بن نفيل».

(٣) في أ، م: «قول أثر وعثر».

(٤) في ب، س: «إِذْ رَأَيْتَانِي».

(٥) في نسب قريش: «إِذْ جِثْمَانِي».

(٦) في جـ: «ويعرى».

(٧) المناصيف: الخدم، واحدها منصف، كمنبر ومقعد.

(٨) في جـ:

«وَيُجَنَّبُ يُسْرَ الْأُمُورِ وَلَكِنْ أَخَا الْمَالِ مُحَضَّرٌ كُلُّ يُسْرٍ»

(٩) أ، م: «قصر الشيء».

(١٠) أجلب الناس حولي: تجمعوا وأتوني من كل واد.

(١١) أ، م: «هنيئًا».

لا أبتغي إلا أمراً ذا ثروة كما يسدّ مفارقري وخلالتي^(١)
فلا حرصن على اكتساب محبب ولا كسبن في عفتة وجمال

أخبرني الطوسي والحرمي، قالا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي مصعب، قال: نزل نبيه بن الحجاج قديداً^(٢) يريد الشام، فغيب بعض بني بكر ناقته، يريد أخذ الجعالة عليها منه، فقال نبيه في ذلك:

وردت قديداً فالتوى بذراعها ذوبان بكر كل أطلس أفحج^(٣)
رجل صديق ما بدت لك عيثة فإذا تغيب فاحتفظ من دغلج

٨٣/١٧]

قال الزبير: الدغلج: الكلب والذئب، وكل مختلس من السباع فهو دغلج، ويقال لاختلاسه: الدغلجة، وأنشد^(٤):

باتت كلاب الحي تسري بيننا يأكلن دعلجة ويشبع من ثوى
يعني بالدعلجة السرقه.

قال الزبير: ولا عقب للحجاج أبي نبيه ومنبه إلا من ولد نبيه؛ فإن العقب من ولد أبي سلمة إبراهيم بن عبد الله بن عفيف بن نبيه، وفي ربيعة بنت منبه؛ فإن عمرو بن العاص تزوجها فولدت له عبد الله بن عمرو^(٥).

انتزع امرأة من أبيها فلجأ إلى حلف الفضول فخلصوها منها
وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في امرأة كان غلب أباه عليها، فاستغاث أبوها بالحلفاء من قريش، والحلف المعروف بحلف الفضول؛ فانتزعوها من نبيه وردوها على أبيها.

أخبرني الطوسي، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثني غير واحد من قريش، منهم عبد العزيز بن عمر العنسي عن مغن^(٦)، واسمه عيينة بن عبد الله بن عنبسة:

/ أن رجلاً من خثعم قدم مكة تاجراً، ومعه ابنة له يقال لها القنول، أوصاً نساء العالمين وجهاً، فعلقها^(٧) ٨٤/١٧
نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، فلم يبرح حتى نقلها إليه، وغلب أباه عليها، فقيل لأبيها: عليك بحلف الفضول؛ فأتاهم فشكا ذلك إليهم، فأتوا نبيه بن الحجاج، فقالوا: أخرج ابنة هذا الرجل، وهو يومئذ متبذ^(٧) بناحية مكة وهي معه، فقال: لا أفعل، قالوا: فإننا من قد عرفت، فقال: يا قوم متعنوني بها الليلة، فقالوا:

(١) المفارق: وجوه الفقر لا واحد لها. والخلال: الحاجات.

(٢) قديد: موضع قرب مكة.

(٣) ذوبان بكر: يريد لصوصها - أطلس: وسخ الثياب مغبرها - أفحج: متداني صدور قدميه متباعد عقباه.

(٤) «اللسان» (دعلج)، وفيه:

باتت كلاب الحي تسري بيننا يأكلن دعلجة ويشبع من عفا

قال: والدعلجة: الأخذ الكثير. وقيل: الأكل بنهم.

(٥) ورد في النسخ بعد هذا الكلام ما نصه: «نسب نبيه بن الحجاج وأخباره في هذا الشعر وغيره» وقد سبق هذا العنوان في ص ٢٨٠.

(٦) ب، س: «مغني»، أ، م: «مفتي»، وموضعها بياض في جـ.

(٧) كذا في أ، وفي ب، س، م: متدد. وفي جـ: «متدد»، تصحيف.

قَبَّحَكَ اللهُ، مَا أَجْهَلَكَ! لَا وَاللَّهِ وَلَا شَحْبَ لِفَحَةٍ، وَهِيَ أَوْسَعُ أَحَابِيكَ مِنَ السَّائِلِ، فَأَخْرَجَهَا إِلَيْهِمْ فَأَعْطَوْهَا أَبَاهَا، وَرَكِبُوا، وَرَكِبَ مَعَهُمُ الْخَنْعَمِيُّ، فَلِذَلِكَ يَقُولُ نُبَيْهُ بْنُ الْحَجَّاجِ^(١):

شعره في ذلك:

رَاحَ صَخْبِي وَلَمْ أَحْيِ الْقَتْلَا لَمْ أُوَدِّعْهُمْ وَدَاعَاً جَمِيلاً
إِذَا جَدَّ الْقُضُولُ أَنْ يَمْنَعُوهَا قَدْ أَرَانِي وَلَا أَخَافُ الْقُضُولَا
لَا تَخَالِي أَنِّي عَشِيَّةَ رَاحِ الرُّكْبِ هُنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا أَقُولَا

إِنِّي وَالَّذِي تُحْجِ لَهْ شُمُطُ إِيَّادَ وَهَلَّلُوا تَهْلِيلَا^(٢)
لَا تَبْرَأْتُ مِنْ قَتِيلَةٍ بَالِئَا سَ وَهَلْ تَبْتَغُونَ إِلَّا الْقَتْلَا^(٣)
/ لَمْ أَخْبِرْ عَنِ الْحَدِيثِ وَلَا أَبْدَأُ رَسَّ الْحَدِيثِ وَالتَّقْبِيلَا^(٤)

٢٤
١٦

وَمَبِيتَا بِلَذِي الْمَجَازِ ثَلَاثَا وَمَتَى كَانَ حُجْنَا تَحْلِيلَا
لَنْ أُذِيعَ الْحَدِيثَ عَنْهَا وَلَا أَنْقَاذُ لَوِ ابْنِ فِيهَا فِتِيلَا^(٥)
/ أَتَلَوِي بِهَا كَمَا تَتَلَوِي حَيَّةُ الْمَاءِ بِالْأَبَاءِ طَوِيلَا^(٦)

[٢٨٥/١٧]

ثُمَّ عَذَوَا عِدَاءَ^(٧) نَخْلَةَ مَا يَدُ رَكُّ مِنْهُمْ أَدْنَى رَعِيْلَ رَعِيْلَا
وَبَنُو غَالِبٍ أَوْلَتْكَ قَوْمِي وَمَتَى يَفْزَعُوا تَرَاهُمْ قَبِيلَا
وَنَدَامَى بِيضُ الْوَجْهِ كَهَوْلُ وَشَبَابُ أَسْهَرْتُ لَيْلَا طَوِيلَا
غَيْرُ هُجْنٍ وَلَا لُثَامٍ وَلَا تَعْدُ عَرَفَ مِنْهُمْ إِلَّا فَتَى بُهْلَا^(٨)

وفي ذلك يقول نُبَيْهُ بْنُ الْحَجَّاجِ^(٩):

حَيِّ الدُّوْنَرَةَ إِذْ نَأَتْ مَنَا عَلَى عُدَوَائِهَا^(١٠)
لَا بِسَالْفِ سَرَاقٍ تُبْلِنُنَا شَيْئَاً وَلَا بَلَقَائِهَا
أَخَذْتُ حُشَامَةً قَلْبِهِ وَنَأَتْ فَكَيْفَ بِنَائِهَا^(١١)

(١) ابن كثير ١: ٢٩٥.

(٢) ج: «له حج شمط من إِيَاد».

(٣) كذا في أ، م، وفي ب، س:

إِيَّادَ أَرَاكُمْ تَبْتَغُونَ إِلَّا الْقَتْلَا

(٤) سقط هذا البيت من جـ.

(٥) كذا في النسخ وهو غير موزون.

(٦) الأباء: أجمة الحلفاء والقصب، وفي ب، س: «بالإناء»، تصحيف.

(٧) أ: «أطواء نخلة».

(٨) البهلول: الجامع لكل خير وفي:

«..... ولا نعد»

(٩) في نسب قريش ثلاثة أبيات من هذا الشعر.

(١٠) العدواء: البعد.

(١١) بنائها: يبعدها.

[٢٨٦/١٧]

حَلَّتْ بِهَا مَـةٌ خُلَّةٌ
 وَلَهَا بِمَكَّةَ مَنْزِلٌ
 رَفَعُوا الْمَحَلَّةَ فَوْقَهَا
 تَدْعُو شُهَاباً حَوْلَهَا
 لَوْلَا الْفُضُولُ وَأَتَمُّهُ
 / لَدَنُوتٌ مِنْ أَيْبَاتِهَا
 وَلَجَّتْهَا أَمِشِي بِهَا
 فَشَرِيتُ فَضْلَةَ رِيْقِهَا
 فَسَلِيتُ بِمَكَّةَ تُخَبِّرِي
 قَدَمَا وَأَفْضَلَ أَهْلِهَا
 نَمِشِي بِالْوَيْةِ الْوَعَى
 مِنْ بَيْتِهَا وَوِطَانِهَا
 مِنْ سَهْلِهَا وَجِرَانِهَا^(١)
 وَاسْتَعَذُّوا مِنْ مَائِهَا
 وَتَعَمُّ فِي حُلْفَاتِهَا
 لَا أَمْنٌ مِنْ عُذَائِهَا^(٢)
 وَلَطْفَتْ حَوْلَ خِيَانِهَا
 هَادٍ لَيْدَى ظَلَمَاتِهَا
 وَلَبِيتُ فِي أَحْشَائِهَا
 أَنَا مِنْ أَهْلِ وَفَائِهَا
 مَيَّا عَلَى أَكْفَانِهَا
 وَنَمُوتُ فِي أَوْدَانِهَا^(٣)



مركز بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية

(١) حراء: جبل بمكة كان يتحنث فيه النبي ﷺ.

(٢) في نسب قريش: «لا أَمْنٌ مِنْ رُوعَاتِهَا».

(٣) الوادي: مفرج بين جبال أو تلال أو أكام؛ جمعه أوداء وأودية. «القاموس».

[جلف الفضول]

[٢٨٧/١٧]

سبب حلف الفضول

أخبرنا به الطوسي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني أبو الحسن الأثرم، عن أبي عبيدة قال: كان^(١) سبب حلف الفضول أن رجلاً من أهل اليمن قدم مكة ببضاعة فاشتراها رجل من بني سهم، فلوى الرجل بحقه؛ فسأله متاعه فأبى عليه، فقام في الحجر، فقال:

يَا لَ قُصَيٍّ لِمَ ظَلُمَ بَضَاعَتُهُ ۖ بَيْطُنِ مَكَةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّقَرِ
وَأَشْعَثُ مُحَرِّمٍ لَمْ يَقْضِ حُرْمَتَهُ بَيْنَ الْمَقَامِ وَيَيْنَ الرُّكْنِ وَالْحَجَرِ
وَرَوَى بَعْضُ الثَّقَاتِ تَمَاماً لِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، وَهُوَ:

أَقَائِمٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بِذَمَّتِهِمْ أَمْ ذَاهِبٌ فِي ضَلَالٍ مَالٌ مُعْتَمِرٌ
إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ تَمَثَّ حَرَامَتُهُ وَلَا حَرَامَ لَثَوْبِ الْفَسَاجِرِ الْفُذَرِ
/ وقال بعض العلماء: إن قيس بن شيبَةَ السَّلَمِيِّ باع متاعاً من أبي بن خلف، فلواه وذهب بحقه، فاستجار برجل من بني جُمح، فلم يَقم بجواره، فقال:

يَا لَ قُصَيٍّ كَيْفَ هَذَا فِي الْحَرَمِ وَحَرَمَةِ الْبَيْتِ وَأَعْلَاقِ الْكَرَمِ
* أَظْلَمُ^(٢) لَا يُمْنَعُ مِنِّي مَنْ ظَلَمَ *

/ قال: وبلغ الخبر العباس بن مرداس السَّلَمِيُّ، فقال: [٢٨٨/١٧]

إِنْ كَانَ جَارُكَ لَمْ تَنْفَعَكَ ذِمَّتُهُ وَقَدْ شَرِبْتَ بِكَاسِ الْغُلِّ أَنْفَاسَا^(٣)
فَأَنْتَ الْبَيْوتُ وَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا صَدْدَا^(٤) لَا تُؤْلَفُ^(٥) نَادِيَهُمْ فُحْشاً وَلَا بَاسَا
وَتَمَّ كُنْ بِفَنَاءِ الْبَيْتِ مُعْتَصِمَا تَلْقَى ابْنَ حَرْبٍ وَتَلْقَى الْمَرْءَ عَبَّاسَا
قَرَمَى قُرَيْشٍ وَحَلَا فِي ذَوَائِبِهَا^(٦) بِالْمَجْدِ وَالْحَزْمِ مَا حَازَا وَمَا سَاسَا
سَاقِي الْحَجِيجِ وَهَذَا يَاسِرٌ^(٧) فَلَجَّجْ وَالْمَجْدُ يَوْرُثُ أَخْمَاسَا وَأَسْدَاسَا

(١) خبر حلف الفضول ورد في ابن هشام ١: ١٤٤، وابن كثير ٢: ٢٩، والسيرة الحلبية ١: ١٥٣.

(٢) كذا في أ، م، وفي ب، س: «أظلم»، وفي ج: «أضع».

(٣) ما: «بكأس الذل».

(٤) صددا: قبالتهم وقريباً منهم، وفي نسخة للمختار: «سددا».

(٥) كذا في أ، م، وفي ب، س والمختار: لا يلق.

(٦) في المختار: «حلا في ذوائبها».

(٧) الياسر: السهل اللين، وأيضاً: من يتولى قمة جزور المير.

فقام العباس وأبو سفيان حتى ردّا عليه. واجتمعت بطون قريش، فتحالفوا على ردّ الظلم بمكة، وألا يُظلم رجل بمكة إلا منعه، وأخذوا له بحقه، وكان حلفهم في دار ابن جُذعان، فكان رسول الله ﷺ يقول: «لقد شهدت حلفاً في دار ابن جُذعان ما أحبّ أن لي به حُمْر النّعم، ولو دُعيتُ به^(١) لأجبتُ». فقال قوم من قريش: هذا والله فضل من الحلف؛ فسمّى حلف الفضول.

قال: وقال آخرون: تحالفوا على مثل حلف تحالف عليه قوم من جرهم في هذا الأمر ألا يُقرّوا ظلماً ببطن مكة إلا غيروه، وأسماءهم الفضل بن شراعة، والفضل بن قُضاعة، والفضل بن سماعة^(٢).

[١٧/٨٩]

/ قال: وحدثني محمد بن فضالة، عن عبد الله بن سمعان، عن ابن شهاب، قال:

كان شأن حلف الفضول أن يذوّ ذلك أن رجلاً من بني زُبَيْد قدم مكة مُعْتَمِراً في الجاهلية ومعه تجارة له، فاشترأها منه رجل من بني سَهْم، فأواها إلى بيته، ثم تغيب، فابتغى متاعه الزُبَيْدي، فلم يقدِر عليه، فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه، فأغلظوا عليه، فعرف أن لا سبيل إلى ماله؛ فطوّف في قبائل قريش يستعين بهم، فتخاذلت القبائل عنه، فلما رأى ذلك أشرف على أبي قُبَيْس حين أخذت قريش مجالسها في المسجد، ثم قال:

يا آل فِهْرٍ لمظلوم بضاعتُهُ بيّظن مكة نائي الدار والنّقرِ
ومُخْرِمٍ شِعْبٍ لم يقض عُمرَتُهُ يا آل فِهْرٍ وبين الحجر والحجرِ
أقائم من بني سَهْم بخفرتهم^(٣) فعبادل أم ضلال مال معتمرِ

الحلف يتعقد في دار عبد الله بن جُذعان ورسول الله معهم

فلما نزل أعظمت قُرَيْش ذلك، فتكلّموا فيه، فقال المطّيبون: والله لئن قُمنّا في هذا ليغضبَنّ الأحلاف، وقال الأحلاف: والله لئن تكلمنا في هذا ليغضبَنّ المطّيبون، وقال ناس من قريش: تعالوا فليكن حلفاً قُضولاً دون المطّيبين ودون الأحلاف، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُذعان، وصنع لهم طعاماً يومئذ كثيراً، وكان رسول الله ﷺ يومئذ معهم، قبل أن يُوحى الله إليه، وهو ابنُ خمس وعشرين سنة. فاجتمعت بنو هاشم وأسد / وزهرة وتيم، وكان^{١٦} الذي تعاقّد عليه القوم: تحالفوا على ألا يُظلم بمكة غريب ولا حرّ ولا عبد إلا كانوا معه، حتى يأخذوا له بحقه، ويؤدّوا إليه مظلّمته من أنفسهم ومن غيرهم، ثم عمدوا إلى ماء من زمزم فجعلوه / في جفّة، ثم بَعَثُوا به [١٧/٢٩٠] إلى البيت، فغسلت به أركانه، ثم أتوا به فشربوه.

الرسول يشيد بحلف الفضول

قال: فحدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جُذعان حلف الفضول، أما لو دُعيت إليه اليوم لأجبتُ، وما أحبّ أن لي به حُمْر النّعم، وأني نقضته».

قال: وحدثني عُمر بن عبد العزيز العنسي^(٤) أن الذي اشترى من الزُبَيْدي المتاع العاص بن وائل السهّمي.

(١) في المختار: «ولو دعيت له اليوم».

(٢) كذا في م، وهامش أ: وورد فيهما بعده: «فلان سقط من الكتاب»، وفي ب، س، ج، د: أ: الفضل بن فلان. سقط من الكتاب.

(٣) أ: «هل مخفر من بني سهم بخفرتهم». والخفرة: الذمة.

(٤) كذا في أ، ج، د، وفي ب، س، م: «العنسي».

أهل الحلف وعلى أي شيء تحالفوا

وقال: أهل حلف الفضول بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة، وبنو تميم، تحالفوا بينهم ألا يُظلم بمكة أحد إلا كنّا جميعاً مع المظلوم على الظالم، حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه شريفاً أو وضيعاً، منا أو من غيرنا.

ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل، ثم قالوا: والله لا نفارقك حتى تؤدّي إليه حقّه، فأعطى الرجل حقّه، فمكثوا كذلك لا يُظلم أحد حقّه بمكة إلا أخذوه له. وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول: لو أنّ رجلاً وخذّه خرج من قومه لخرجت من عبد شمس، حتى أدخل في حلف الفضول. وليس عبد شمس في حلف الفضول.

وحدثني محمد بن حسن، عن محمد بن طلحة، عن موسى بن عبد الله بن إبراهيم، عن أبيه، وعن محمد بن فضالة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، وعن إبراهيم بن محمد، وعن أبي عبد الله بن الهاد:

/ أن بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن عبد العزى وبنو تميم بن مرة احتلفوا على ألا يدعوا بمكة كلها، ولا في الأحابيش^(١) مظلوماً يدعّوهم إلى نصرته إلا أنجدوه، حتى يرُدُّوا عليه مظلمته، أو يُتْلوا في ذلك عُذراً، أو على ألا يتركوا لأحد عند أحد فضلاً إلا أخذوه، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وبذلك سُمّي حلف الفضول - بالله الغالب^(٢) أن اليد على الظالم حتى يأخذوا للمظلوم حقّه ما بلّ بحر صوفة^(٣)، وعلى التأمي في المعاش.

قال محمد بن الحسن: قال محمد بن طلحة في حديثه، عن موسى بن محمد عن أبيه، وعن محمد بن فضالة، عن أبيه، قال:

لم يكن بنو أسد بن عبد العزى في حلف الفضول، قال: وكان بعد عبد المطلب.

قال: وحدثني محمد بن الحسن، عن عيسى بن يزيد بن داب، قال: أهل حلف الفضول: هاشم، وزهرة، وبنو تميم. قال: وقيل له: فهل لذلك شاهد من الشعر؟ قال: نعم، قال: أنشدني بعض أهل العلم قول بعض الشعراء:

تيم بن مرة إن سألت وهاشم وزهرة الخير في دار ابن جُدعان
متحالفون على الندى ما غرّدت ورّقاء في فنّ من جزع كُتّمان

/ فقل له: وأين كُتّمان؟ فقال: واد بنجران^(٤)؛ فجاء بيتين مضطربين مختلفي النصفين.

وحدثني أبو الحسن الأثرم، عن أبي عبيدة، قال:

تداعى بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة بن كلاب وبنو تميم بن مرة إلى حلف الفضول، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدعان، فتحالفوا عنده، وتعاهدوا ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها ولا من غيرهم

(١) الأحابيش: أحياء من القارة انضموا إلى بني لبت في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام؛ سمو بذلك لاسودادهم. وقيل: إنهم سمو باسم جبل حبشي بأسفل مكة؛ وذلك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده، فتحالفوا قريشاً وقالوا: إنا ليد على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار. وما أرسى حبشي مكانه. «اللسان» (حبش).

(٢) أ: «القاتل» وفي هامشه من نسخة: «الغالب».

(٣) ما بل بحر صوفة، أي أبداً. وصوف البحر: شيء على شكل الصوف الحيواني. ومن الأبيات قولهم: لا آتيك ما بل بحر صوفة، وحكى اللحياني: ما بل البحر صوفة. «اللسان» - «صوف».

(٤) في البلدان: قال أبو منصور: كُتّمان: اسم بلد في بلاد قيس. وقال غيره: كُتّمان: واد بنجران.

/ إِلَّا قَامُوا مَعَهُ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ حَتَّى يَرُدُّوا مَظْلَمَتَهُ. وشهد النبي ﷺ هذا الحلف قبل أن يبعث، فهذا حلف الفضول. ^{٢٧}
 قال: وحدثني إبراهيم بن حمزة عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه، قال: إنما سُمِّي حلف الفضول^(١) لأنه كان في جرهم رجالٌ يردُّون المظالم يقال لهم: فضيل وفضال وفضل ومفضل، قال: فلذلك سُمِّي حلف الفضول، تعاقبوا أن يردُّوا المظالم.

قال: فتحالفوا بالله الغالب لتأخذنَّ للمظلوم من الظالم، وللمقهور من القاهر، ما بَلَّ بَحْرُ صُوفَةٍ.

قال: وقال أبي: قال رسول الله ﷺ:

«فشهدت حلفاً في دار عبد الله بن جُدعان لم يَزِدْهُ الإسلام إلا شدةً، / وهو أَحَبُّ إليَّ من حُمُر النعم»، قال: [٢٩٣/١٧] وقال غيره: «لو دُعيت إليه لأَجَبْتُ».

رواية أخرى في سبب تسميته

قال: وحدثني محمد بن حسن، عن نوفل بن عمار عن إسحاق بن الفضل قال: إنما سمَّت قريش هذا الحلف حلف الفضول؛ لأن نفرًا من جرهم يقال لهم: الفضل وفضال والفضيل، تحالفوا على مثل ما تحالفت عليه هذه القبائل.

قال: وحدثني رجل عن محمد بن حسن، عن محمد بن فضالة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لقد شهدت في دار ابن جُدعان حلف الفضول، أما لو دُعيت إليه لأَجَبْتُ، وما أَحَبُّ أنِّي نقضته، وأن لي حمر النعم» ^{٢٨}

قال الزبير: وحدثني علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه:

أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لقد شهدت في الجاهلية حلفاً - يعني حلف الفضول - أما لو دُعيت إليه اليوم لأَجَبْتُ، لهو أَحَبُّ إليَّ من حمر النعم، لا يزيده الإسلام إلا شدةً».

قال: وحدثني أبو الحسن الأثرم، عن أبي عبيدة، قال: حدثني رجل عن محمد بن يزيد الليثي، قال: سمعتُ طلحة بن عبد الله بن عوف الزبيري، يقول:

قال رسول الله ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفاً ما أَحَبُّ أن لي به حمر النعم، ولو أذعَى إليه في الإسلام لأَجَبْتُ».

قال: وحدثني محمد بن حسن، عن نصر بن مزاحم، عن معروف بن خربوذ، قال:

/ تَدَاعَتْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ وَأَسَدٌ وَتَيْمٌ، فَاتَّخَذُوا عَلَى أَلَّا يَدْعُوا بِمَكَّةَ كُلِّهَا وَلَا فِي الْأَحَابِيشِ مَظْلُوماً ^{٢٩}
 يَدْعُوهُمْ إِلَى نُصْرَتِهِ إِلَّا أَنْجَدُوهُ، حَتَّى يَرُدُّوا إِلَيْهِ مَظْلَمَتَهُ، أَوْ يُبْلَوْا فِي ذَلِكَ عَذْرًا. وَكَرِهَ ذَلِكَ سَائِرَ الْمُطَيِّبِينَ^(٢)
 وَالْأَخْلَافِ مِنْ أَمْرِهِ^(٣)، وَسَمَّوْهُ حَلْفَ الْفُضُولِ، عَيْبًا لَهُ، وَقَالُوا: هَذَا مِنْ فُضُولِ الْقَوْمِ، فَسَمَّوْهُ حَلْفَ الْفُضُولِ.

(١) في «اللسان» (فضل): وسمي حلف الفضول، لأنه قام به رجال من جرهم كلهم يسمى الفضل: الفضل بن الحارث، والفضل بن داعة، والفضل بن فضالة؛ فقليل: حلف الفضول، جمعاً لأسماء هؤلاء، كما يقال: سعد وسعود.

(٢) كذا في أ، ج، م، وفي ب، س: «المكيين».

(٣) كذا في أ، وفي ب، س: «والأخلاف من أمرهم».

قال: وحدثني محمد بن حسن، عن إبراهيم بن محمد، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، قال:

كان حلف الفضول بين بني هاشم وبني أسد وبني زُهرة وبني تيم.

قال: فحدثني أبو خيثمة زهير بن حرب، قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزُّهري، عن محمد بن حبيب، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عَوْف، قال:

قال رسول الله ﷺ: «شهدتُ مع عُمومتي حلفَ المكيين، فما أحبُّ أن لي حُمَرَ النِّعم وأنِّي أنكته».

قال: وحدثني محمد بن الحسن، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي:

أنه بلغه أن الذي بدأ بحلف الفضول من هذه القبائل أمرُ الغَزَال الذي سُرِق من الكعبة.

ابن جبير بن مطعم وعبد الملك بن مروان

/ حدثني محمد بن الحسن، قال: حدثنا محمد بن طلحة، عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبيه، قال:

قدم ابنُ جُبَيْر بن مطعم على عبد الملك بن مروان، وكان من حُلَفَاء / قرش. [٢٩٥/١٧]

بنو عبد شمس وبنو نوفل لم يكونا في حلف الفضول

فقال له عبد الملك: يا أبا سعيد، لم يكن بنو عبد شمس وأنتم - يعني بني نوفل - في حلف الفضول، قال: وأنتم أعلم يا أمير المؤمنين، قال: لتحدثني بالحق من ذلك، قال: لا والله يا أمير المؤمنين، لقد خرجنا نحن وأنتم منه، ولم تكن يدنا ويدكم إلا جميعاً في الجاهلية والإسلام.

الوليد بن عتبة ينصف الحسين بن علي

قال: وحدثني محمد بن حسن، عن إبراهيم بن محمد بن يزيد بن عبد الله بن الهاد الليثي أن محمد بن الحارث التيمي أخبره:

أنه كان بين الحسين بن عليّ عليهما السلام وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كلام - والوليد يومئذ أمير المدينة في زمن معاوية بن أبي سفيان - في مالٍ كان بينهما بذِي المَرْوَةِ^(١)، فقال الحسين بن عليّ عليهما السلام: استطال عليّ الوليد بن عتبة في حقّي بسلطانه، فقلت: أقسم بالله لتنصفني في حقّي أو لأخذن سيفي، ثم لأقومن في مسجد رسول الله ﷺ، ثم لأدعون بحلف الفضول، قال: فقال عبد الله بن الزبير - وكان عند الوليد لما قال الحسين ما قال -: وأنا أحلف بالله لئن دعا به لأخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى يُنصف من حقه أو نموت جميعاً. فبلغت المشور بن مخزومة بن نوفل الزهري، فقال مثل ذلك، فبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي، فقال مثل ذلك. فلما بلغ الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي.

(١) ذو المروة: قرية بوادي القرى. وقيل: بين خشب ووادي القرى. «البلدان».

قال: وحدثني أبو الحسن الأثرم علي بن المغيرة، عن أبي عبيدة، قال: حدثني رجل عن يزيد بن عبد الله بن أسامة الليثي:

أن محمد بن إبراهيم التيمي حدثه مثل حديث محمد بن حسن الذي قبل هذا.

[٢٩٦/١٧]

الحسين بن علي ينازع معاوية في أرض له

قال: وحدثني إبراهيم بن حمزة، عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه أن الحسين بن علي عليهما السلام كان بينه وبين معاوية كلام في أرض له، فقال له الحسين عليه السلام: اخترت خصلة من ثلاث خصال: إما أن تشتري مني حقي، وإما أن تردّه عليّ، أو تجعل بيني وبينك ابن الزبير وابن عمر، والرابعة الصّيلم، قال: وما الصّيلم؟ قال: أن أهتمّ بحلف الفضول، قال: فلا حاجة لنا بالصّيلم.

قال: فخرج وهو مغضب، فمرّ بعبد الله بن الزبير فأخبره، فقال: والله لئن لم ينصفني لأهتمّ بحلف الفضول، فقال عبد الله بن الزبير: والله لئن هتفت به وأنا مضطجع لأقعدن أو قاعد لأقومن، ولئن هتفت به وأنا ماشٍ لأسعين، ثم لينفدنّ روعي^(١) مع روحك، أو لينصفنك.

قال: فخرج عبد الله بن الزبير فدخل على معاوية فباعه منه، وخرج عبد الله فجاء إلى الحسين عليه السلام، فقال: أرسل فانتقد مالك، فقد بعته لك.

قال: وحدثني علي بن صالح، عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه، قال:

خرج الحسين عليه السلام من عند معاوية، فلقي عبد الله بن الزبير، والحسين مغضب، فذكر الحسين أن معاوية ظلمه في حق له، فقال الحسين: أخيره في ثلاث خصال، والرابعة الصّيلم: أن يجعلك أو ابن عمر بيني وبينه، أو يقرّ بحقي، ثم يسألني فأهبه له، أو يشتريه مني، فإن لم يفعل فوالذي نفسي بيده لأهتمّ بحلف الفضول. قال ابن الزبير: والذي نفسي بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن أو قائم / لأمشين، أو ماشٍ لأشدنّ، حتى تغنى^{٢٩} روعي مع روحك أو ينصفك.

/ قال: ثم ذهب ابن الزبير إلى معاوية، فقال: لقيني الحسين فخبرك في ثلاث خصال، والرابعة الصّيلم. قال معاوية: لا حاجة لنا بالصّيلم؛ إنك لقيته مغضباً، فهات الثلاث، قال: تجعلني أو ابن عمر بينك وبينه، قال: فقد جعلتك بيني وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما، قال: أو تقرّ له بحقه وتسأله إياه، قال: أنا أقرّ له بحقه وأسأله إياه، قال: أو تشتريه منه، قال: وأنا أشتريه منه، قال: فلما انتهى إلى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين عليه السلام: إن دعاني إلى حلف الفضول لأجبتّه، فقال معاوية: لا حاجة لنا بهذا.

رجل من ثمالة يشكو أبي بن خلف إلى حلف الفضول

قال: وبلغني أن عبد الرحمن بن أبي بكره والمُسور بن مخرمة قالوا للحسين بن علي عليهما السلام مثل ما قال ابن الزبير، فبلغ ذلك معاوية وعنده جبير بن مطعم، فقال له معاوية: يا أبا محمد، أكتنا في حلف الفضول؟ قال: لا، قال: فكيف كان؟ قال: قدم رجل من ثمالة فباع سلعة له من أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح،

(١) في المختار: «ثم لآتيك حتى تغنى روعي مع روحك أو ينصفك»، وستأتي هذه الرواية.

فظلمه، وكان يُسِيء المخالطة فأتى الشمالي إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم، فقالوا: اذهب فأخبره أنك أتيتنا، فإن أعطاك حقك وإلا فارجع إلينا، فأتاه فأخبره بما قال له أهل حلف الفضول، قال: فأخرج إليه ماله، وأعطاه إياه بعينه، وقال:

أياخذني. في بطن مكة ظالماً
وناديت قومي صارخاً ليُجيبني^(١)
ويأبى لكم حلف الفضول ظلامتي
أبى ولا قومي لدي ولا صَحْبِي
وكم دون قومي من قِاف ومن سُهْب^(٢)
بني جُمح والحق يُؤخذ بالغضب

[٢٩٨/١٧] / القيني يستصرخ عبد الله بن جدعان

وقد روى إبراهيم بن المنذر الحزامي في أمر حلف الفضول غير ما رواه الزبير، قال إبراهيم: حدثني عبد العزيز بن عمران، قال:

قدم أبو الطمحان القيني الشاعر، واسمه حنظلة بن الشرقي، فاستجار عبد الله بن جدعان التيمي ومعه مال له من الإبل، فعدا عليه قوم من بني سهم فانتحروا ثلاثة من إبله، وبلغه ذلك فأتاهم بمثلها، فقال: أنتم لها ولأكثر منها أهل، فأخذوها فانتحروها، ثم أمسكوا عنه زماناً، ثم جلسوا على شراب لهم، فلما انتشوا غدوا على إبله فأساقوها كلها، فأتى عبد الله بن جدعان يستصرخه، فلم يكن فيه ولا في قومه قوة ببني سهم، فأمسك عنهم ولم ينصره، فقال أبو الطمحان^(٣):

ألا حئت المرقال واشتاق ربها
ولو علمت صرّف البيوع لصرّها^(٤)
أجد بني الشرفي أن أخاهم
إذا قلت واف أذكركنه دُرُوكه
تذكر أزماناً وأذكر معشري^(٥)
بمكة أن تباع حفضاً بإذخر
متى يعتلق جارا وإن عزّ يغدر
فياموزع الجيران بالسغي أفصر
ثم ارتحل عنهم.

لميس بن سعد يستجير بقرش من ظلم أبي بن خلف

ووفد لميس بن سعد البارقي مكة، فاشتري منه أبي بن خلف سلعة، فظلمه إياها، فمشى في قرش فلم يجره أحد، فقال:

أيظلمني مالي أبي سفاهة
وبغياً ولا قومي لدي ولا صَحْبِي

(١) ب، س: «لتجيني»، والمثبت من باقي النسخ.

(٢) السهب، بضم السين: المستوى من الأرض في سهولة. وضبط في أفتح السين. والسهب، بالفتح: الفلاة. «اللسان» (سهب).

(٣) الشعراء ٣٤٨، والأغاني ١١: ١٧٨.

(٤) ب، س: «أزماناً»، والمثبت يوافق ما في «اللسان» وباقي النسخ. وفي الشعراء: «واتب ربها»، أي تهباً للذهاب وتجهز، وأرامام موضع بعينه.

(٥) ج: يثرب، والبيت في الكامل ٤٢٧، والحمض: بفتح الحاء، نبات لا يهيج في الربيع ويبقى على الفيلق وفيه ملوحة، إذا أكلته الإبل شربت عليه، وإذا لم تجده رقت وضعفت. وهو فاكهة الإبل. والإذخر: الحشيش الأخضر.

وناديت قومي بارقاً لتجيبني وكمن دون قومي من فياف ومن سَهَب

/ ورجل آخر من زبيد يستجير بقريش [٢٩٩/١٧]

/ ثم قدم رجل من بني زبيد، فاشترى منه رجل من بني سَهَم يقال له: حُذيفة سلعة، وظلمه حقّه، فصعد
الزبيدي^(١) على أبي قُبيس، ثم نادى بأعلى صوته:

يا آلِ فِهْرٍ لمظلوم بضاعته بين مكّة نائي الحي والنَّصْر
يا آلِ فِهْرٍ لمظلوم ومُضْطَهَد بين المقام وبين الركن والحجر
إنّ الحرام لمن تمكث حرامته ولا حرام لشوب الفاجر الغدر

فأعظم الزبير بن عبد المطلب ذلك، وقال: يا قوم، إني والله لأخشى أن يصيبنا ما أصاب الأمم السالفة من ساكني مكّة، فمشى إلى ابن جُدعان، وهو يومئذ شيخ قریش، فقال له في ذلك، وأخبره بظلم بني سَهَم وبغيهم، وقد كان أصاب بني سَهَم أمران لا يشكّ أنهما للُبغي: احتراق المقاييس منهم، وهم قيس ومقيس وعبد قيس بصاعقة، وأقبل منهم ركب من الشام، فنزلوا بماء يقال له القطيعة^(٢)، فصبوا فضلة خمر لهم في إناء، وشربوا ثم ناموا، وقد بقيت منهم بقية فكرع منها حية أسود، ثم تقياً في الإناء، فهبّ القوم فشربوا منه، فماتوا عن آخرهم، فأذكره هذا ومثله، فتحالف بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زهرة وبنو تيم: بالله الغالب^(٣)، إنا ليدّ واحدة على الظالم، حتى يردّ الحق.

وخرج سائر قریش من هذا الحلف. إلا أن ابن الزبير ادّعاه لبني أسد في الإسلام. قال: فأخبرني الواقدي وغيره أن محمد بن جُبَيْر بن مطعم دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن حلف الفضول فقال: أما أنا وأنت / يا أمير المؤمنين فلسنا فيه، فقال: صدقت والله، إني لأعرفك بالصدق، قال: فإن ابن الزبير يدّعيه، فقال: ذاك هو الباطل.

قال: وكان عتبة بن ربيعة يقول: لو أن رجلاً خرج عن قومه إلى غيرهم لكرم حلف لخرجت عن قومي إلى حلف الفضول.

أقوال أخرى في سبب تسمية حلف الفضول

قال الواقدي: قد اختلف فيه، لم سُمّي حلف الفضول؛ فقيل: إنه سُمّي بذلك لأنهم قالوا: لا ندع لأحد عند أحد فضلاً إلا أخذناه منه، وقيل: بل سمع بهذا بعض من لم يدخل فيه، فقال: هذا فضول من الأمر. وقال الواقدي: والصحيح أن قوماً من جرهم يقال لهم فضل وفضالة وفضال ومفضل تحالفوا على مثل هذا في أيامهم، فلما تحالفت قریش هذا الحلف سُموا بذلك.

(١) أ: «الزبيدي»، والمثبت من باقي الأصول وهو يوافق ما في السيرة الحلبية.

(٢) أ: «الغطيقة»، تحريف.

(٣) كذا في أ، ج، م، وفي ب، س: «القاتل».

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

بصوت

يا للرجال لمظلوم بضاعته يطن مكة نائي الدار والنفر
إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لشوئي لايس الغدر
غناه ابن عائشة، ثقیل أول بالبصر، عن حبس.

يزيد بن معاوية أول من سن الملاهي في الإسلام

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا المدائني، عن ابن أبي سبرة، عن لقيط بن نصر المحاربي، قال:

كان يزيد بن معاوية أول من سن الملاهي في الإسلام من الخلفاء، وأوى المغنين، وأظهر الفتك وشرب الخمر، وكان ينادم عليها سرجون / النضراني مولاه والأخطل، وكان يأتيه / من المغنين سائب خاثر فيقيم عنده،^{٧١}
فيخلع عليه ويصليه، فغناه يوماً:

يا للرجال لمظلوم بضاعته يطن مكة نائي الأهل والنفر
فاعترته أزيحة، فرقص حتى سقط، ثم قال: اخلعوا عليه خلعا يغيب فيها حتى لا يرى منه شيء، فطرحته عليه الثياب والجباب والمطارف والخز حتى غاب فيها.

بصوت

(٣٠٢/١٧)

اشرب هنيئاً عليك التاج مرفقاً في رأس غمدان داراً منك مخللاً
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعاداً بعد أبوالا
عروضه من البسيط.

المرتقى: المتكى على مرفقه. وغمدان: اسم قصر كان لسيف بن ذي يزن باليمن. والمخلال: الدار التي يحل فيها، أي يقيم فيها. وشيباً: معناه خلطاً. والشوب: الخلط، يقال: شاب كذا بكذا إذا خلطهما.

الشعر لأمية بن أبي الصلت الثقفي^(١)، وقيل: بل هو للناطقة الجعدي، وهذا خطأ من قائله؛ وإنما أدخل الناطقة البيت الثاني من هذه الأبيات في قصيدة له على جهة التضمين. والغناء لسائب خاثر خفيف رمل بالوسطى، من رواية حماد عن أبيه، وفيه لطويس لحن من كتاب يونس الكاتب غير مجنس^(٢).

(١) البيتان من قصيدة في ديوانه ٥٤ في مدح سيف بن ذي يزن؛ قال في الديوان: وأكثر الرواة يرونها لأبيه، وبعضهم لجده زمعة.
(٢) بعده في نسخة أ، م: «ثم الجزء الخامس عشر من كتاب «الأغاني الكبير» لأبي الفرج الأصفهاني، يتلوه بمشيتة الله وعونه في الجزء السادس عشر نسب أمية بن أبي الصلت وخبره في قول هذا الشعر».

/ نسب أمية بن أبي الصلت

وخبيره في قوله لهذا الشعر

نسبه

أبو الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عمرو^(١) بن عُقْدَةَ بن عنزة^(٢) بن عوف بن قَسِيٍّ^(٣)، وهو ثَقِيف. شاعر من شُعْرَاء الجاهلية قديم. وهذا الشعرُ يقوله في سيف بن ذي يزن لما ظفر بالحبشة يهتبه بذلك ويمدحه.

سيف بن ذي يزن يستنجد كسرى

وكان السبب في قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سيف بن ذي يزن إلى كسرى يستنجد عليهم أن مَلِكاً من ملوك اليمن يقال له: ذو نَواس غَزَا أَهْلَ نَجْران، وكانوا نَصَارَى، فحصرهم؛ ثم إنه ظفر بهم فحَدَّدَ لهم الأخاديد، وعرضهم على اليهودية فامتنعوا من ذلك، فحرقهم بالنار، وحرق الإنجيل، وهدم بيعتهم، ثم انصرف إلى اليمن، وأفلت منه رجلٌ يقال له دوس ذو ثُعْلُبَانٍ على فرسٍ، فركضه حتى أعجزهم في الرَّمْل.

دوس ذو ثعلبان يستنجد قيصر

ومضى دَوس إلى قَيْصَرَ ملك الروم يستغيثه ويخبره بما صنع^(٤) ذو نواس بنجران، ومن قتل من النصارى، وأنه خرب كنائسهم، وبقر النساء، وهدم الكنائس، فما فيها ناقوس يُضْرَب به. فقال له قَيْصَر: بَعُدْتَ بِلادي عن بلادكم، ولكن أبعث إلى قوم من أهل ديني، أهل مملكته قريب منكم فينصرونكم. قال دَوس ذو ثُعْلُبَانٍ؛ فذاك إذاً، قال قيصر: إن هذا الذي أصنعه^(٥) بكم أذلٌ للعرب أن / يطأها سُودان ليس ألوانهم على ألوانهم، ولا أَلَسْتَهُمْ على [٣٠٤/١٧] أَلَسْتَهُمْ، فقال الملك: أَنْظِرْ لَأَهْلِ دِينِهِ إِنَّمَا هُمْ خَوَلُهُ.

قيصر يكتب إلى ملك الحبشة بنصرة دوس

فكتب إلى ملك الحبشة أن انصر هذا الرجل الذي جاء يستنصرني، واغضب للنصرانية، فأوطىء بلادهم الحبشة.

أرباط يخرج في جيش كبير إلى اليمن

فخرج دوس ذو ثُعْلُبَانٍ بَكْتَابٍ قَيْصَرَ إلى ملك الحبشة، فلما قرأ كتابه أمر أرباط - وكان عظيماً من

(١) مختار الألفاني والإصابة (القسم الرابع، حرف الهمزة): «بن عوف».

(٢) في الإصابة: غيرة، وفي ج، م: «غمرة».

(٣) كذا في ب، جو الشعراء، وفي أ، م: «قيس».

(٤) أ: «ويخبره ما صنع».

(٥) أ: «صنعت».

عُظْمَانَهُمْ^(١) - أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ فَيَنْصُرَهُ. فَخَرَجَ أَرْيَاطُ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْحَبْشَةِ، وَقَوَّدَ عَلَى جُنْدِهِ قَوَادًا مِنْ رُؤَسَائِهِمْ، وَأَقْبَلَ بِفِيلِهِ، وَكَانَ مَعَهُ أَبْرَهَةُ بْنُ الصَّبَاحِ. وَكَانَ فِي عَهْدِ مَلِكِ الْحَبْشَةِ إِلَى أَرْيَاطُ: / إِذَا دَخَلْتَ الْيَمْنَ فَاقْتُلْ ثَلَاثَ رِجَالِهَا، وَخَرِبْ ثَلَاثَ بِلَادِهَا، وَابْعَثْ إِلَيَّ بِثَلَاثِ نِسَائِهَا.

فَخَرَجَ أَرْيَاطُ فِي الْجُنُودِ فَحَمَلَهُمْ فِي السَّفَنِ فِي الْبَحْرِ، وَعَبَّرَ بِهِمْ حَتَّى وَرَدَ الْيَمْنَ، وَقَدْ قَدَّمَ مَقَدِّمَاتِ الْحَبْشَةِ، فَرَأَى أَهْلَ الْيَمَنِ جُنْدًا كَثِيرًا، فَلَمَّا تَلَاَحَقُوا قَامَ أَرْيَاطُ فِي جُنْدِهِ خَطِيبًا فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحَبْشَةِ، قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَى بِلَادِكُمْ أَبَدًا، هَذَا الْبَحْرُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِنْ دَخَلْتُمُوهُ غَرِقْتُمْ، وَإِنْ سَلَكْتُمْ الْبَرَّ هَلَكْتُمْ، وَاتَّخَذْتُمْ الْعَرَبَ عَبِيدًا، وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا الصَّبْرُ حَتَّى تَمُوتُوا أَوْ تَقْتُلُوا عَدُوَّكُمْ.

انتصار أرياط على ذي نواس

فَجَمَعَ ذُو نُوَّاسٍ جَمْعًا كَثِيرًا، ثُمَّ سَارَ إِلَيْهِمْ فَاقْتُلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَكَانَتِ الدَّوْلَةُ لِلْحَبْشَةِ، فَظَفَرَ أَرْيَاطُ، وَقَتَلَ أَصْحَابَ ذِي نُوَّاسٍ، وَانْهَزَمُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ. فَلَمَّا تَخَوَّفَ ذُو نُوَّاسٍ أَنْ سَيُؤَسَّرُ رَكَضَ فَرَسَهُ، وَاسْتَعْرَضَ بِهِ الْبَحْرَ، وَقَالَ: الْمَوْتُ بِالْبَحْرِ أَحْسَنُ مِنْ إِسَارِ أَسُودٍ، ثُمَّ أَقْحَمَ فَرَسَهُ لُجَّةَ الْبَحْرِ، فَمَضَى بِهِ فَرَسُهُ، وَكَانَ آخِرُ الْعَهْدِ بِهِ.

/ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ ذُو جَدْنِ الْهَمْدَانِيِّ فِي قَوْمِهِ، فَنَافَوْهُمْ، وَتَفَرَّقَتْ عَنْهُ هَمْدَانُ، فَلَمَّا تَخَوَّفَ عَلَى نَفْسِهِ قَالَ: مَا الْأَمْرُ إِلَّا مَا صَنَعَ ذُو نُوَّاسٍ، فَأَقْحَمَ فَرَسَهُ الْبَحْرَ، فَكَانَ آخِرُ الْعَهْدِ بِهِ.

وَدَخَلَ أَرْيَاطُ الْيَمْنَ، فَقَتَلَ ثَلَاثًا، وَابْعَثَ ثَلَاثَ السَّبْيِ إِلَى مَلِكِ الْحَبْشَةِ، وَخَرِبَ ثَلَاثًا، وَمَلَكَ الْيَمْنَ، وَقَتَلَ أَهْلَهَا، وَهَدَمَ حُصُونَهَا، وَكَانَتْ تِلْكَ الْحُصُونُ بَنَتْهَا الشَّيَاطِينُ فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ لِبَلْقِيسَ، وَاسْمُهَا بَلْقَمَةُ، وَكَانَ مِمَّا خَرِبَ مِنْ حُصُونِهِمْ: سَلْحُونُ، وَبَيْنُونُ، وَغُمْدَانُ، حُصُونًا لَمْ يُرَ مِثْلُهَا. فَقَالَ الْحَمِيرِيُّ^(٢)، وَهُوَ بِذِكْرِ مَا دَخَلَ عَلَى حَمِيرٍ مِنَ الدَّلَالِ:

هَوْنَكَ أَيْنَ تَرُدُّ الْعَيْنُ مَا فَاتَا لَا تَهْلِكُنْ أَسْفًا فِي إِثْرِ مَنْ فَاتَا
أَبْعَدَ بَيْتُونٍ لَا عَيْنٌ وَلَا أَنْفَر وَبَعْدَ سَلْحُونٍ يَنْتَبِي النَّاسُ أَيْبَاتَا!

قَالَ: فَلَمَّا ظَفَرَ أَرْيَاطُ أَخَذَ الْأَمْوَالَ، وَأَظْهَرَ الْعَطَاءَ فِي أَهْلِ الشَّرَفِ، فَفَضَّبَتِ الْحَبْشَةُ حِينَ أُعْطِيَ أَشْرَافَهُمْ، وَتَرَكَ أَهْلَ الْفَقْرِ مِنْهُمْ، وَاسْتَذَلَّهُمْ وَأَجَاعَهُمْ وَأَعْرَاهُمْ وَأَتْعَبَهُمْ فِي الْعَمَلِ، وَكَالَفَهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ، فَجَزَعَ مِنْ ذَلِكَ الْفُقَرَاءُ، وَشَكَا ذَلِكَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَقَالُوا: مَا نَرَانَا إِلَّا أَذِلَّةَ أَشْقِيَاءَ أَيْنَمَا كُنَّا، إِنْ كَانَ قِتَالُ قُدْمَانَا فِي نَحْوِ الْعَدُوِّ، وَإِنْ كَانَ قَتْلُ قَتْلَانَا، وَإِنْ كَانَ عَمَلُ فَعْلَانَا، وَبَلَايَا عَلَيْنَا، وَالْعَطَايَا لغيرِنَا، مَعَ مَا يُقْصِينَا وَيَجْفُونَا.

(١) أ: «أمر إرياط عظيمًا».

(٢) هو ذو جدن الحميري؛ كما في البلدان (بينون)، والبيتان مع آخر هناك، والرواية فيه:

لا تهلكن جزعًا في إثر من ماتا فإنه لا يرد الدهر ما فاتا

وفي أ، ج: «... في إثر ما فاتا»، والشعر في الطبري ٢: ١٢٥، وفيه: «... يرد الدمع... لا تهلكتي»، وفي «ياقوت» (سلاحين):

يا خلتي ما يرد الدمع ما فاتا لا تهلكتي أسفًا في إثر من فاتا

/ أبرهة يحرض فقراء الحبشة على أرياط

[٣٠٦/١٧]

فقال لهم عند ذلك رجل من الحبشة يقال له أبرهة من قواد أرياط: لو أن رجلاً غضب لغضبكم إذاً لاسلمتموه حتى يُذبح كما تُذبح الشاة. قالوا: لا والمسيح، ما كنا نسلمه أبداً، فوائقوه بالإنجيل ألا يسلموه^(١) حتى يموتوا عن آخرهم.

فنادى مناديه فيهم، فاجتمعوا إليه فبلغ ذلك أرياط أن أبا أصحم أبرهة جمع لك الجموع، ودعا الناس إلى قتالك. قال: أو قد فعل ذلك أبرهة، وهو ممن لا يبت له في الحبشة! وغضب أرياط غضباً شديداً، وقال: هو أذن من ذلك نفساً وبيتاً، هذا باطل.

قالوا: فأرسل إليه؛ فإن أتاك فهو باطل، وإن لم يأتك فاعلم أنه كما يقال، فأرسل إليه: أجب الملك أرياط. فجثا أبرهة على ركبتيه وخر لوجهه، وأخذ عوداً من الأرض فجعله في فيه، وقال للرسول: اذهب إلى الملك فأخبره بما رأيته مني، أنا أخلعه؟ أنا أشد تعظيماً له من ذلك! وأنا آتية على أربع قوائم بحساب البهيمة.

٧٣
١٦

فرجع الرسول إلى الملك فأخبره بالخبر، / فقال: ألم أقل لكم؟ قالوا: الملك أعقل وأعلم منا.

فلما ولى الرسول من عند أبرهة وتوارى عنه صاح أبرهة في الفقراء من الحبشة، فاجتمعوا إليه معهم السلاح، والآلة التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مدن اليمن: المعاول والكرازين^(٢) والمساحي، ثم صفوا صففاً، وصفوا خلفه آخر بإزائه. فلما أبطا أبرهة على الملك وهو يرى أنه يأتيه على أربع قوائم كما قال، وأتى الرسول أرياط فأخبره بما صنع أبرهة، ركب في الملوك ومن تبعه / من أتباعهم، فلبسوا السلاح وجاءوا بالفيلة، وكان معه سبعة [٣٠٧/١٧] فيلة، حتى إذا دنا بعضهم من بعض برز أبرهة بين الصفين، فنادى بأعلى صوته: يا معشر الحبشة، الله ربنا، والإنجيل كتابنا، وعيسى نبينا، والنجاشي ملكنا، علام يقتل بعضنا بعضاً في مذهب النصرانية؟ هذا رجل وأنا رجل فحلوا بيني وبينه، فإن قتلتني عاد الملك إلى ما كان عليه من أثر الأغنياء وهلاك الفقراء، وإن قتلته سلمتم وعملت فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيت.

فقال الملوك لأرياط: قد أخبرناك أنه صنع ما قد ترى، وقد آبيت^(٣) إلا حُسن الرأي فيه، وقد أنصفك. وكان أرياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة، وكان جميلاً، وكان أبرهة قصيراً دميماً قبيحاً منكر الجمّة^(٤)، فاستحيا أرياط من الملوك أن يجبن، فبرز بين الصفين، ومشى أحدهما إلى صاحبه، وحمل عليه أرياط فضرب أبرهة ضربة وقع منها حاجباه وعامة أنفه، ووقع بين رجلَي أرياط، فعمد أبرهة إلى عمامته فشدها بها وجهه، فسكن الدّم والتأم الجرح، وأخذ عوداً وجعله في فيه، وقال: أيها الملك، إنما أنا شاة فاصنع ما أردت، فقد أبصرت أمري. ففرح أرياط بما صنع، وكان أبرهة قد سمّ خنجراً، وجعله في بطن فخذه، كأنه خافية نسر.

(١) كذا في أ، ح وفي ب، س: «لا يسلموه».

(٢) الكرزن، بالفتح، وقد يكسر، والكرزين: فأس كبير.

(٣) كذا في أ، ح، وفي ب، س: «آبيت أحسن الرأي فيه».

(٤) الجمّة، بضم الجيم: مجتمع شعر الرأس.

أبرهة يقتل أرباط ويتولى ملك اليمن

فلما رأى أبرهة أنَّ أرباط قد أفلت عنه، وهو ينظرُ يميناً وشمالاً؛ لثلاً تراه ملوكُ الحبشة، استلَّ خنجره فطعنه طعنة في فرجٍ دزعه فائتته^(١)، وخَرَّ أرباط على قفاه، وقعد أبرهة على صدره فأجهز عليه. فسمى أبرهة الأشرم بتلك الضربة التي شمرت وجهه وأنفه.

فملك أبرهة عشرين سنة، ثم ملك بعد أبرهة ابنه يكسوم، ثم أخوه مسروق بن أبرهة، وأمه ريحانة امرأة ذي يزن أم سيف بن ذي يزن الحميري.

[٣٠٨/١١] / سيف بن ذي يزن يسعى لتخليص اليمن من حكم الحبشة

[فلما طال على أهل اليمن البلاء مشوا إلى سيف بن ذي يزن الحميري]^(٢) فكلَّموه في الخروج، وقالوا إننا نجد فيما روت حمير^(٣) عن خبر لسطيح أنه يوشك أن هذا البلاء يفرج بيد رجل من أهل بيتك ابن ذي يزن، وقد رجونا أن ندرِكَ بثأرنا، فأثَّعْ لهم. فخرج إلى قيصر ملك الروم، فكلَّمه أن ينصره على الحبشة، فأبى، وقال: الحبشة على ديني ودين أهل مملكتي، وأنتم على دين يهود، فخرج من عنده يائساً.

النعمان يصحب سيفاً إلى كسرى

فخرج عامداً إلى كسرى، فانتهى إلى النعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليه، فأخبره بما لَقِيَ قومه من الحبشة، فقال: أقم؛ فإن لي على الملك كسرى إذناً في كل سنة، وقد حان ذلك.

فلما خرج أخرج معه سيف بن ذي يزن فأدخله على كسرى، فقال: غلبنا على بلادنا، وغلب الأحابيش علينا، وأنا أقرب إليك منهم، لأنني أبيض وأنت أبيض، وهم سودان. فقال: بلادك بلادٌ بعيدة، ولا أبعثُ معك جيشاً في غير منفعة، ولا أمر أخافه على ملكي.

فلما أياسه من التصر أمر له بعشرة آلاف درهم واف، وكساه كساءً.

فلما خرج بها من باب / كسرى نشرها بين الصبيان والعبيد، فرأى ذلك أصحاب كسرى، فقالوا ذلك له؛ فأرسل إليه: لِمَ صنعتَ بجائزة الملك؟ تنشرها للصبيان والناس؟ فقال سيِّف: وما أعطاني الملك! جبالاً أرضى ذهب وفضة، جئتُ إلى الملك ليمتنعني من الظلم، ولم آت ليُعطيني الدراهم، ولو أردتُ الدراهم كان ذلك في بلدي كثيراً.

[٣٠٩/١١] فقال كسرى: أنظر في أمرك. فخرج سيف على طمع، وأقام عنده / فجعل سيف كلما ركب كسرى عرض له، فجمع له كسرى مَرازِبته، وقال: ما ترون في هذا العربي، وقد رأيته رجلاً جَلداً؟ فقال قائل منهم: إن في السجون قوماً قد سجنهم المَلِك في مَوْجِدَةٍ عليهم، فلو بعثهم الملكُ معه فإن قُتلوا استراح منهم، وإن ظفروا بما يُريد هذا العربي فهو زيادة في مُلك الملك. فقال كسرى: هذا الرأي.

(١) أثبت: جملة لا يقدر على الحراك. ورواية «الطبري» أن الذي طعنه غلام أكمته أبرهة.

(٢) تكلمة من المختار.

(٣) كذا في أ، ما وفي ب، س، ج، م: «في هاروت»، تصحيف.

كسرى يعين سيفاً بجيش يقوده وهرز

وأمر بهم كسرى فأحضروا فوجد ثمانمائة رجل، فولى أمرهم رجلاً معهم يقال له وهرز، وكان رامياً شجاعاً مع مكانة في الفرس، وجهزهم، وأعطاهم سلاحاً، وحملهم في البحر في ثمانين سفن، ففرقت سفينتان، وبقي من بقي وهم ستمائة رجل؛ فأرسلوا إلى ساحل عدن، فلما أرسوا قال وهرز لسيف: ما عندك، فقد جئنا بلادك؟ فقال: ما شئت من رجل عربي وفرس^(١) عربي، ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً.

قال وهرز: أنصفت. فاستجلب سيف من استطاع من اليمن، ثم زحفوا إلى مسروق بن أبرهة، وقد سمع بهم مسروق ويتغيتهم، فجمع إليه جندَه من الحبشة، وسار إليهم، والتقى العسكران، وجعلت أمداد اليمن تنوب إلى سيف، وبعث وهرز ابناً له كان معه على جريدة خيل، فقال: ناوشوهم القتال، حتى ننظر قتالهم، فناوشهم ابنه، وناوشوه شيئاً من قتال، ثم تورط ابنه في هلكة لم يستطع التخلص منها؛ فاشتملوا عليه فقتلوه، فازداد وهرز عليهم حقاً. وساء العرب، وفرحت الحبشة، فأظهروا الصليب، فوتر وهرز قوسه، وكان لا يقدر أن يوترها غيره.

وهرز يقتل مسروقاً

وقال وهرز والناس في صفوفهم: انظروا أين ترون ملكهم؟ قال سيف^(٢): أرى رجلاً قاعداً على فيل تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء. قال: ذلك ملكهم. وقال وهرز: اتركوه. / ثم وقف طويلاً، ثم قال: انظروا^(٣) هل تحول؟ قالوا: قد تحول على فرس. قال: هذا منه اختلاط. ثم وقف طويلاً، وقال: انظروا هل تحول؟ قالوا: قد تحول على بغلة، فقال: ابنه الحمار، ذل الأسود وذل ملوكه، ثم قال لأصحابه: نقتله^(٤) في هذه الرمية، تأملوا النشابة، وأخذ النشابة وجعل فوقها في الوتر، ثم نزع فيها حتى ملأها، وكان أيدياً^(٥)، ثم أرسلها فصكت الياقوتة التي بين عيني ملكهم مسروق، فتغلغل النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه، وحملت عليهم الفرس، فانهزمت الحبشة في كل وجه، وجعلت حمير تقتل من أدركوا منهم، وتجهز على جريحهم.

وهرز يدخل صنعاء ويملك اليمن

وأقبل وهرز يريد أن يدخل صنعاء، وكان موضعهم الذي التقوا فيه خارج صنعاء، وكان اسم صنعاء: أزال^(٦)، فلما قدمت الحبشة بنوها وأحكموها، فقالت: صنعة؛ فسميت صنعاء، وكانت صنعاء مدينة لها باب صغير يدخل منه، فلما دنا وهرز من باب المدينة رآه صغيراً، فقال: لا تدخل رايتي منكسة، اهدموا الباب، فهدم باب صنعاء، ودخل ناصباً رايته وسير بها بين يديه. فقال سيف بن / ذي يزن: ذهب ملك حمير آخر الدهر، لا يرجع إليهم أبداً. فملك وهرز اليمن، وقهر الحبشة، وكتب إلى كسرى يخبره: إني قد ملكت للملك اليمن، وهي أرض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم، وبعث بجوهر، وعنبر، ومال، وعود، وزباد^(٧)، وهو جلود لها رائحة طيبة.

(١) المثبت في أ، م، ح، وفي ب، س: «قوس»، تصحيف.

(٢) في «ما» ما يفيد أن سيف بن ذي يزن هو الذي سأل.

(٣) المثبت في أ، م، وفي ب، س، ج: «قتلته».

(٤) أيدياً: قوياً.

(٥) ب، س: «إبال»، والمثبت من «ما» وهو يوافق ما في معجم البلدان عن الزجاجي.

(٦) الزباد: طيب يجلب من دابة كالسنور يقال لها: قط الزباد.

كسرى يأمر وهرز أن يملك سيفاً اليمن

فكتب كسرى يأمره أن يملك سيفاً، ويقدم وهرز إلى كسرى.

فخلف على اليمن سيفاً، فلما خلا سيفُ باليمن وملكها عدداً على الحبشة، فجعل يقتل رجالها ويقر نساءها عما في بطونها، حتى أفناها إلا بقايا منها / أهل ذلة وقلة، فأتخذهم خوفاً، واتخذ منهم جمّازين^(١) بحراهم بين يديه.

الحبشة يفتالون سيفاً

فمكث كذلك غير كثير، وركب يوماً وتلك الحبشة معه، ومعهم حراهم يسعون بها بين يديه، حتى إذا كان وسطاً منهم مألوا عليه بحراهم فطعنوه بها حتى قتلوه.

وكان سيف قد آلى الأيشرب الخمر، ولا يمس امرأة حتى يدرك ثأره من الحبشة، فجعلت له حلتان واسعتان فأنزر بواحدة، وارتدى الأخرى، وجلس على رأس غمدان يشرب، وبرت يمينه. وخرج بعد ذلك يتصيد فقتلته الحبشة.

وكان ملك أرباط عشرين سنة، وملك أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة، وملك يكسوم تسع عشرة سنة، وملك مسروق اثنتي عشرة سنة، فهذه أربع وسبعون سنة.

وكان قدوم أهل فارس اليمن مع وهرز بعد الفجار بعشر سنين، وقبل بُنيان قريش البيت بخمس سنين، ورسول الله ﷺ ابن ثلاثين سنة أو نحوها؛ لأن رسول الله ﷺ ولد بعد قدوم الفيل بخمس وخمسين ليلة.

وفود العرب تقدم على سيف لتهنته بالنصر

ونسخت خبر مديحه سيفاً بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسان، قال: حدثنا الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وحدثني به محمد بن عمران المؤدّب بإسنادٍ لسْتُ أحفظ الاتصال بينه وبين الكلبي فيه، فاعتمدت هذه الرواية، قال:

[٣١٢/١٧] لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة، وذلك بعد مولد النبي ﷺ بستين آتته وفود العرب وأشرافها لتهنته وتمدحه، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه؛ فأتته وفود العرب من قريش، فيهم عبد المطلب بن هاشم، وأمّية بن عبد شمس، وخويلد بن أسد، في ناس من وجوه قريش، فأتوه بصنعاء، وهو في رأس قصر له يقال له: غمدان، فأخبره الآذن بمكانهم، فأذن لهم، فدخلوا عليه وهو على شرابه، وعلى رأسه غلام واقف ينثر في مفرقه المسك، وعن يمينه ويساره الملوك والمقاول، وبين يديه أمّية بن أبي الصلت الثقفي ينشده قوله فيه هذه الأبيات^(٢):

(١) الجمّازون: العداءون بحراهم أمام موكب الملك.

(٢) ديوانه ٥١، والطبري ١: ١٤٧، وابن هشام ١: ٦٩ وفيه: «وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي. قال ابن هشام: وتروى لأمّية بن أبي الصلت».

أمية يمدح سيفاً والفرس

لا يَطْلُبُ الشَّارَ إِلَّا كَابِنِ ذِي يَزْنَ^(١) في الْبَحْرِ خَيْمٌ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوالاً^(٢)
 أَتَى هِرْقَلٌ وَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ فلم يَجِدْ عِنْدَهُ النَّصْرَ الَّذِي سَالَا
 ثُمَّ انْتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ عَاشِرَةِ مِنَ السَّنِينَ يُهَيِّنُ النَّفْسَ وَالْمَالَا^(٣)
 حَتَّى أَتَى^(٤) بَيْتِي الْأَحْرَارَ يَقْدُمُهُم تَخَالُّهُمْ فَوْقَ مَثْنِ الْأَرْضِ أَجْبَالَا
 اللَّهُ دَرُّهُمْ مِنْ فِتْيَةٍ صَبَرُوا مَا إِنْ رَأَيْتَ^(٥) لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالَا
 بِيضُ مَرَاذِبَةٍ غُلِبَتْ أَسَاوِرُهُ أَسَدُ تُرْبَتِ^(٦) فِي الْغَيْضَاتِ أَشْبَالَا
 / فَالْتَطَّ^(٧) مِنَ الْمَسْكِ إِذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ وَأَمْسِلِ الْيَوْمَ فِي بُرْدَيْكَ إِسْبَالَا
 وَاشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مَرْتَفَقاً فِي رَأْسِ عُفْدَانٍ دَاراً مِنْكَ مِخْلَالَا
 تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَبَّانٍ مِنْ لَبَنِ شَيْباً بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوالَا

بنو الأحرار الذين عناهم أمية في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن، وهم إلى الآن يسمون بني الأحرار بصنعاء، ويسمون باليمن الأبناء، وبالكوفة الأحامرة؛ وبالبصرة الأساورة، وبالجزيرة الخضارمة، وبالشام الجراجمة.

عبد المطلب يهنيء سيفاً، وسيف يرحب به وبمن معه

فبدأ عبد المطلب فاستأذن في الكلام، فقال له سيف بن ذي يزن: إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُلُوكِ، فَقَدْ أَذِنَّا لَكَ، فقال عبد المطلب: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْلَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَحَلًّا رَفِيعًا، صَعْبًا مَنِعًا، شَامَخًا بِأَذْخًا، وَأَنْبَتَكَ مَنِئًا طَابَتْ أَرْوَمَتُهُ، وَعَزَّتْ جَرُثُومَتُهُ، فِي أَكْرَمِ مَوْطِنٍ، وَأَطْيَبِ مَعْدَنٍ؛ فَأَنْتَ - أَيْتَ اللَّعْنِ - مَلِكُ الْعَرَبِ، وَرَبِيعُهَا الَّذِي بِهِ تُخَصِّبُ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ رَأْسُ الْعَرَبِ الَّذِي لَهُ تَنْقَادُ، وَغَمُودُهَا الَّذِي عَلَيْهِ الْعِمَادُ، وَمَعْقِلُهَا الَّذِي إِلَيْهِ يُلْجَأُ الْعِبَادُ، فَسَلَفَكَ لَنَا خَيْرٌ سَلَفٍ، وَأَنْتَ لَنَا مِنْهُمْ خَيْرُ خَلْفٍ، فَلَمْ يَخْمُلْ مَنْ أَنْتَ خَلْفُهُ، وَلَنْ يَهْلِكَ مَنْ أَنْتَ سَلَفُهُ نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ وَسِدْنَةُ بَيْتِهِ، أَشْخَصْنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَبْهَجْنَا؛ لَكَشَفَكَ الْكَرْبَ الَّذِي قَدَحْنَا، فَنَحْنُ وَفُودُ التَّهْنِئَةِ لَا وَفُودَ الْمَرْزِيَةِ.

قال: وأيتهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال: ابْنُ أُخْتِنَا؟ قال: نعم. فأذناه حتى أَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ / وَعَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، وَنَاقَةً وَرَحْلًا، وَمُسْتَنَاحًا سَهْلًا، وَمَلِكًا رِبْحَلًا^(٨)، يُعْطَى عَطَاءً جَزَلًا، قَدْ سَمِعَ الْمَلِكُ مَقَالَتَكُمْ، وَعَرَفَ قَرَابَتَكُمْ، وَقِيلَ وَسِيلَتَكُمْ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ الشَّرَفِ وَالتَّبَاهَةِ، وَلَكُمْ الْكَرَامَةُ مَا أَقَمْتُمْ، وَالْحَبَاءُ إِذَا ظَعَنْتُمْ.

(١) في الديوان: «يطلب الثار أمثال ابن ذي يزن». وفي ابن هشام: «يطلب الوتر أمثال».

(٢) أ: «خيم في البحر للأحباب».

(٣) في الديوان: «من السنين لقد أبعدت إيفالاً».

(٤) أ: «حتى انتحى».

(٥) في الديوان: «... من عصبه خرجوا... ما إن ترى».

(٦) في الديوان: «فر جحاجة بيض مرازية... تربب»، وفي ابن هشام: «أسداً تربب».

(٧) الديوان: «واطل بالمسك».

(٨) ربحلاً: عظيم الشأن.

سيف يسر إلى عبد المطلب بأمارات ظهور النبي ﷺ

ثم استنهضوا إلى دار الضيافة والوفود، فأقاموا فيها شهراً لا يصلون إليه، ولا يؤذن لهم في الانصراف، وأجرى لهم الأنزال^(١). ثم انتبه لهم انتباهة، فأرسل إلى عبد المطلب، فأذناه، وأخلى مجلسه، ثم قال: يا عبد المطلب، إني مفوض إليك من سر علمي أمراً لو يكون غيرك لم أبلغ به إليه، ولكني رأيتك موضعاً، فأطعته؛ فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره.

إني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، الذي اخترناه لأنفسنا، واحتجناؤه دون غيرنا، خبراً عظيماً، وخطراً جسيماً، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاء للناس عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة.

قال عبد المطلب: مثلك أيها الملك من سر وبسر، فما هو فذاك أهل الوبر، زمرأ بعد زمرأ؟ قال ابن ذر يزن: إذا ولد غلام بتهامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة.

قال عبد المطلب: أيها الملك، لقد أثبت بخير ما آت بمثله وافد، ولولا هيئة الملك وإكرامه وإعظامه لسألته أن يزيدني في البشارة ما ازداد به سروراً. قال ابن ذر يزن: هذا حينه الذي يؤلف فيه، أو قد ولد؟ اسمه محمد ﷺ، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، قد ولدناه^(٢) / مراراً، والله باعته جهاراً، وجاعل له من أنصاراً، يعز بهم أوليائه، ويذل بهم أعداءه، يضرب بهم الناس عن عرش، / ويستبيح بهم كرائم الأرض، يخدم النيران، ويذخر الشيطان، ويكسر الأوثان، ويعبد الرحمن، قوله فضل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهي عن المنكر ويبطله.

فقال عبد المطلب: أيها الملك، عز جدك، وعلا كعبك، ودام ملكك، وطال عمرك، فهل الملك مخبري بإفصاح، فقد أوضح لي بعض الإيضاح.

فقال ابن ذر يزن: والبيت ذي الحجب، والعلامات على الثضب، إنك يا عبد المطلب، لجده غير الكذب.

يطلب من عبد المطلب أن يكتم أمر محمد ويحذره من اليهود

فخر عبد المطلب ساجداً، فقال له: أرفع رأسك، ثلج صدرك، وعلا أمرك؛ فهل أحسست شيئاً مما ذكرته لك؟ فقال عبد المطلب: أيها الملك! كان لي ابن، وكنت به معجباً، وعليه رقيقاً، زوجته كريمة من كرائم قومي، اسمها آمنة بنت وهب؛ فجاءت بغلام سميت به محمد، مات أبوه وأمه؛ وكفلته أنا وعمه. قال: الأمر ما قلت لك؛ فاحتفظ بابنك، واحذر عليه من اليهود؛ فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، وأطو ما ذكرت لك عن هؤلاء الرهط الذين معك؛ فإني لا آمن أن تدخلهم النقاسة من أن تكون له الرئاسة؛ فينصبون له الحبال، ويطلبون له الغوائل، وهم فاعلون وأبناؤهم، وبطيء ما يجيبه قومه؛ وسيلقى منهم عتناً، والله مبلج حجته؛ ومظهر دعوته، وناصر شيعته، ولولا أنني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي؛ حتى أصير يثرب دار ملكي؛ فإني أجد في / الكتاب المكنون أن يثرب استحكام أمره، وأهل نصرته، وموضع قبره؛ ولولا أنني أتوقى عليه

(١) النزول: ما هيس للضيف، وجمعه أنزال.

(٢) المختار: «قد وجدناه مراراً»، وفي ما: «قد ولدناه سراراً».

الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأعلنت على حداثة سنّه أمره، ولكنني صارفٌ ذلك إليك من غير تقصيرٍ مني بمنّ معك.

يجزل العطاء لعبد المطلب وصحبه

قال: ثم أمر لكلّ رجل بعشرة أعبد، وعشرة إماء، ومائة من الإبل وحلّتين بروداً، وخمسة أرطال ذهباً، وعشرة أرطال فضة، وكرش مملوءة عنبراً، ثم أمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك.

وقال: يا عبد المطلب، إذا حال الحولُ فائتني. فمات ابنُ ذي يزن قبل أن يحولَ الحول.

وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول: يا معشر قريش، لا يغبطني رجلٌ منكم بجزيل عطاء الملك، وإن كثر؛ فإنه إلى نَفَاد، ولكن ليغبطني بما بقي لي شرفه وذِكْرُه إلى يوم القيامة. فإذا^(١) قيل له: وما ذاك؟ قال: ستعلمون نبأ ما أقول، ولو بَعْدَ حين.

وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس^(٢):

جلينا النُصحَ تحملهُ المَطايا إلى أكوارِ أجمالٍ ونُوقِ
مغلغلةً مرافقها ثَقَالاً إلى صنعاءٍ من فُجٍّ عميقِ
تؤمُّ بنا ابنُ ذي يزنٍ ونُهدي مخاليتها إلى أممِ الطريقِ^(٣)
/ فلما وافقتُ^(٤) صنعاءً صارت بدارِ الملُكِ والحَسَبِ العَريقِ

[١٧/٣١٧]

أحمد بن سعيد المالكي يغني طاهر بن الحسين شعر أمية في سيف

أخبرني علي بن عبد العزيز، قال: حدثني عبد الله بن عبد الله بن خرداذبة، قال:

كان أحمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكي، أحد القواد مع طاهر بن الحسين بن عبد الله بن طاهر، فكان معه بالري، وكان مع محلّه من خدمة السلطان مُعْتَبَراً حسن الغناء، وله صنعة، فحضر مجلس طاهر بن عبد الله، وهو متنزه بظاهر الري بموضع يعرف بشاذمهر، وقيل: بل / حضره بقصره بالشاذياخ^(٥)، فغنّى هذا الصوت:

٧٨
١٦

اشربْ هنيئاً عليك التاجُ مُرتَفَقاً في رأسِ غمدانٍ البيت

فقال ابنُ عباد الرازي في وقته من الشعر مثْلَ ذلك المعنى، وصنع فيه، وغنّى فيه أحمد بن سعيد لَحْناً من خفيف الرمل وهو^(٦):

(١) س: «فإذا».

(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت ٤٣.

(٣) في الديوان:

يطلون خفافها أم الطريق

تؤم بها ابن ذي يزن وتفري

وفي أ: «مخاليتها».

(٤) الديوان: «فلما وافعت» ٤٣.

(٥) الشاذياخ: مدينة نيسابور، أم بلاد خراسان.

(٦) البلدان (شاذياخ).

صوت

اشرب هنيئاً عليك التاج مُرتَفَقاً بالشاذياخ ودَغْ غُمْدَانِ لَلْيَمَنِ
فَأَنْتَ أَوْلَى بِتَاجِ الْمُلْكِ تَلْبَسُهُ مِنْ هَوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ وَابْنِ ذِي يَزْنَ^(١)
فطرب طاهر، فاستعاده مرات، وشرب عليه حتى سكر، وأسنى لأحمد بن سعيد الجائزة.

هودة بن علي ويوم الصفقة

أما ذكره هودة بن علي ولبسه التاج؛ فَإِنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ أَنَّ كَسْرَى تَوَجَّ هَوْدَةَ بْنَ عَلِيٍّ الْحَنْفِيَّ، وَضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشاً مِنَ الْأَسَاوِرَةِ، فَأَوْقَعَ بَنِي تَعِيمَ يَوْمَ الصَّفْقَةِ^(٢).



مركز تحية تكملة لدراسات عربية

(١) في البلدان: «... من ابن هودة يوماً وابن ذي يزن».

(٢) يوم الصفقة كان لهودة بن علي الحنفي على بني تعيم، البلدان (صفقة).

/ [يوم الصفقة]

[٣١٨/١٧]

أخبرني بالسبب في ذلك علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكري، قال: حدثنا ابن حبيب ودِماذ، عن أبي عبيدة، قال ابن حبيب: قال أبو سعيد: وأخبرنا إبراهيم بن سعدان، عن أبيه، عن أبي عبيدة، قال ابن حبيب: وأخبرني ابن الأعرابي، عن المفضل، قال أبو سعيد، قالوا جميعاً:

كان من حديث يوم الصفقة^(١) أن باذام^(٢) عامل كسرى باليمن بعث إلى كسرى عيراً تحمل ثياباً من ثياب اليمن، ومِسْكَاً وَعَثْبَرًا، وخرجين فيهما مناطق مُحَلَّاة، وخُفراء تلك العير فيما يزعم بعض الناس بنو الجعيد المراديون. فساروا من اليمن لا يعرض لهم أحد، حتى إذا كان بحمص^(٣) من بلاد بني حنظلة بن يربوع^(٤) وغيرهم، أغاروا عليها فقتلوا من فيها من بني جعيد والأساورة، واقتسموها، وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال، وعتبة^(٥) بن الحارث بن شهاب، وقعب بن عتاب، وجزء بن سعد، وأبو مليل عبد الله بن الحارث، والنطف بن جبير، وأسيد بن جنادة، فبلغ ذلك الأساورة الذين بهجر مع كزارجر المكعب، فساروا إلى بني حنظلة بن يربوع، فصادفهم على حوض، فقاتلهم قتالاً شديداً، فهزمت الأساورة، / وقتلوا قتلاً شديداً ذريعاً، ويومئذ أخذ النطف^(٦) الخرجين اللذين يضرب بهما المثل^(٧).

فلما بلغ ذلك كسرى استشاط غضباً، وأمر بالطعام فاذاخر بالمشقر ومدينة اليمامة، وقد أصابت الناس سنة شديدة، ثم قال: من دخلها من العرب فأمروه ما شاء^(٨).

فبلغ ذلك الناس، قال: وكان أعظم من أنها بنو سعد، فنادى منادي الأساورة: لا يدخلها عربيّ سلاح، فأقيم بؤابون على باب المشقر، فإذا جاء الرجل ليدخل قالوا: ضغ سلاحك، وامتر، واخرج من الباب الآخر؛ فيذهب به إلى رأس الأساورة فيقتله، فيزعمون أن خيرئ بن عبادة بن النوال بن مرة بن عبيد - وهو مقاعس - قال: يا بني تميم؛ ما بعد السلب إلا القتل، وأرى قوماً يدخلون ولا يخرجون، فانصرف منهم من انصرف من بقيتهم، فقتلوا بعضهم وتركوا بعضاً محتبسين عندهم. هذا حديث المفضل.

وأما ما وجد عن ابن الكلبي في كتاب حماد الراوية، فإن كسرى بعث إلى عامله باليمن بعير، وكان باذام^(٩)

(١) البلدان (صفقة) والطبري ٢: ١٦٩، وابن الأثير ١: ٢٧٥، والعقد ٥: ٢٢٤.

(٢) في الطبري: «بعث وهرز بأموال وطرف».

(٣) ب، س: «حمصي»، ج: «حمضي» والمثبت من م.

(٤) في الطبري: «فلما صارت في بلاد يربوع».

(٥) أ، م: «والمنطف بن خيرئ».

(٦) يقال: أصاب كثر النطف. وانظر الطبري ٢: ١٦٩.

(٧) أميره: أعطوه الميرة.

(٨) ب، س: «باذان»، والمثبت من أ، ج، وهو يوافق ما في البلدان أيضاً.

على الجيش الذي بعثه كسرى إلى اليمن، وكانت العير تحمل نبأ^(١)، فكانت تُبذَرُ^(٢) من المدائن حتى تدفع إلى النعمان، / ويبدرقها النعمان بخُفراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها إلى هُوذة بن عليّ الحنفي، فيبدرقها حتى يخرجها من أرض بني حنيفة، ثم تدفع إلى سَعْد، / وتجعل لهم جِعَالَةً، فتسير فيها، فيدفعونها إلى عُكَّال باذام باليمن.

فلما بعث كسرى بهذه العير قال هُوذة للأساورة: انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فأعطونيهِ؛ فانا أكفيكم أمرهم، وأسير فيها معكم، حتى تبلغوا مأمنكم، فخرج هُوذة والأساورة والعير معهم من هَجَر، حتى إذا كانوا بتطاع بلع بني سَعْد ما صنع هُوذة، فساروا إليهم، وأخذوا ما كان معهم، واقتسموه وقتلوا عاتمة الأساورة، وسلبوهم، وأسروا هُوذة بن عليّ، فاشترى هُوذة نفسه بثلاثمائة بعير، فساروا معه إلى هَجَر، فأخذوا منه فداءه، ففي ذلك يقول شاعر بني سعد:

ومئاريِسُ القَوْمِ لَيْلَةً أَدْلَجُوا بِهِوْذَةَ مَقْرُونِ الْيَدَيْنِ إِلَى التَّخْرِ
وَرَدْنَاهُ نَحْلَ الْيَمَامَةِ عَانِيًا عَلَيْهِ وَثَاقُ الْقَيْدِ وَالْحَلْقِ السُّمْرِ

فعمد هُوذة عند ذلك إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو سعد، وكانوا قد سلبوا، فكساهم وحملهم، ثم انطلق معهم إلى كسرى، وكان هُوذة رجلاً جميلاً شجاعاً لبيّاً، فدخل عليه فقصّ أمر بني تميم وما صنعوا، فدعا كسرى بكأس من ذهب فسقاه فيها، وأعطاه إياها وكساه قُبَاءً دِيْبَاجٍ منسوجاً بالذهب واللؤلؤ، وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم، وهو قول الأعشى^(٣):

لَهُ أَكَالِيلُ بِالْيَاقُوتِ فَضَّلَهَا صَوَّأَهَا لَا تَرَى عَيْنًا وَلَا طَبْعًا

وذكر أن كسرى سأل هُوذة عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عَيْشِ رَغَدٍ، وأنه يغزو المغازي فيُصِيب.

فقال له كسرى في ذلك: كَمْ وَلَدُكَ؟ قال: عشرة، قال: فَأَتَيْهِمْ أَحَبُّ / إِلَيْكَ؟ قال: غائبهم حتى يقدم، وصغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يبرأ. قال كسرى: الذي أخرج منك هذا العقل حَمَلَك على أَنْ طَلَبْتَ مِنِّي الوسيلة. وقال كسرى لهوذة: رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي، وأخذوا مالي، أَيْتَنِكَ وبينهم صلح؟

قال هُوذة: أيها الملك بيني وبينهم حَسَاءُ^(٤) الموت، وهم قتلوا أبي. فقال كسرى: قد أدركت ثارك، فكيف لي بهم؟ قال هُوذة: إِنَّ أَرْضَهُمْ لَا تُطِيقُهَا أساورتُكَ، وهم يمتنعون بها، ولكن احبس عنهم الميرة، فإذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جنداً من أساورتك، فأقيم لهم السوق؛ فإنهم يأتونها، فتصيبهم عند ذلك خَيْلُكَ.

ففعل كسرى ذلك، وحبس عنهم الأسواق في سنة مُجْدِبَةٍ، ثم سَرَّحَ إلى هُوذة فأتاه، فقال: ائت هؤلاء فاشفني منهم، واشتَب. وسَرَّحَ معهم جَوار بُودَارَ^(٥) ورجلاً من أزدِ شِيرِ خُرَّة. فقال لهوذة: سِرْ مع رسولي هذا، فسار في ألف أسوار حتى نزلوا المشقر من أرض البحرين، هو حصن هَجَر.

(١) أ، ج: «نِيفاً». والنبي: شجر القسي.

(٢) تبذرق: تخفر.

(٣) ديوانه ١٠٧.

(٤) حساء الموت: شربه وتجرحه.

(٥) كذا ضبط في أ، م وفي ج: «جوار بودار».

وبعث هوزة إلى بني حنيفة فأتوه، فدنوا من حيطان المشقر، ثم نودي: إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة، وقد أمر لكم بميرة، فتعالوا، فامتاروا. فانصب عليهم الناس، وكان أعظم من أتاها بنو سعد، فجعلوا إذا جاءوا إلى باب المشقر أدخلوا رجلاً رجلاً، حتى يذهب به إلى المكعب^(١) فتضرب عنقه، وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل، فيقال له: ادخل من / هذا الباب واخرج من الباب الآخر، فإذا مرَّ رجلٌ / من بني سعد بينه وبين هوزة إخاء، أو رجل يرجوه، قال للمكعب: هذا من قومي فيخلّيه له.

[٣٢٢/١٧]
Δ
١٦

فنظر خبيري بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون، وتؤخذ أسلحتهم، وجاء ليمتار، فلما رأى ما رأى قال: ويلكم! أين عقولكم! فوالله ما بعد السلب إلا القتل.

وتناول سيفاً من رجل من بني سعد يُقال له مصاد، وعلى باب المشقر سلسلة ورجل من الأساورة قابض عليها، فضربها فقطعها ويد الأسوار، فانفتح الباب، فإذا الناس يقتلون، فثارت بنو تميم.

ويقال: إن الذي فعل هذا رجلٌ من بني عيس يقال له: عبيد بن وهب، فلما علم هوزة أن القوم قد نذروا به أمر المكعب فأطلق منهم مائة من خيارهم، وخرج هارباً من الباب الأول هو والأساورة، فتبعته بنو سعد والرباب، فقتل بعضهم، وأفلت من أفلت.

[٣٢٣/١٧]

الهوامش

إذا سلكت حوران من رمل عالج^(٢) فقولا لها: ليس الطريق هنالك
دعوا فلجات^(٣) الشام قد حيل دونها بضرب كأسواه العشار الأوارك^(٤)

عروضه من الطويل. الشعر لحسان بن ثابت، والغناء لابن محرز، ولحنه من القدر الأوسط من الثقل الأول، مطلق في مجرى البنصر.

وهذا الشعر يقوله حسان بن ثابت لقريش حين تركت الطريق الذي كانت تسلكه إلى الشام بعد غزوة بدر، واستأجرت فُرات بن حيان^(٥) العجلي ذليلاً، فأخذ بهم غيرَها، وبلغ النبي ﷺ الخبر، فأرسل زيد بن حارثة في سرية إلى العير فظفر بها، وأعجزه القوم.

(١) في الطبري: «وإنما سمي المكعب؛ لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل. واسمه آزاد فروذ بن جشنس».

(٢) الديوان ٢٩٥: «إذا سلكت للغور من رمل عالج».

(٣) الفلجات: الأودية الصغار.

(٤) في الديوان:

..... قد حبال دونها جلاد كسأفواه المخاض الأوارك

والأوارك: التي ترعى الأراك.

(٥) ب، س: حيان بالباء، والمثبت من ما، وهو موافق لما في «كتب السيرة».

[ذكر الخبر في^(١) سرية زيد بن حارثة]

[٣٢٤/١٧]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا محمد بن سعد، عن الواقدي، قال:

كان سبب هذه الغزوة أن قریشاً قالت: قد عور علينا محمد متجرباً^(٢)، وهو على طريقنا. وقال أبو سفيان وصفوان بن أمية: إن أقمنا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا. فقال زمعة^(٣) بن الأسود: وأنا أدلكم على رجل يسلك بكم النجدة^(٤)، ولو سلكها مغمض العين لا هتدي. فقال صفوان: من هو؟ قال: فرات بن حيان العجلي، فاستأجرناه، فخرج بهم في الشتاء، فسلكت بهم ذات عرق، ثم سلك بهم على غمرة، فأنتهى إلى النبي ﷺ خبير العير، فخرج وفيها مال كثير، وأية من فصة حملها صفوان بن أمية.

فخرج زيد بن حارثة فاعترضها، فظفر بالعير، وأفلت أعيان القوم، وكان الخمس عشرين ألفاً، فأخذه رسول الله ﷺ فقسّم الأربعة الأخماس على السرية^(٥)، وأتى فرات بن حيان العجلي أسيراً، فقبل له: إن أسلمت لم يقتلك رسول الله ﷺ. فلما دعا به رسول الله ﷺ أسلم، فأرسله.

حدثنا محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق في خبر هذه السرية بمثل رواية الواقدي، وزاد فيها فيما رواه: إن قریشاً لما خافت طريقها إلى الشام أخذت على طريق العراق، وذكر أن الوقعة كانت على القردة^(٦): ماء من مياه نجد.

[٣٢٥/١٧] إبراهيم بن هشام يكتب إلى هشام بن عبد الملك بدعوة بني مخزوم

أخبرني حرمي بن أبي العلاء، / قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني يعقوب بن محمد الزهري، قال:

كتب إبراهيم بن هشام إلى هشام بن عبد الملك: إن رأى أمير المؤمنين إذا فرغ من دعوة أعمامه بني عبد مناف أن يبدأ بدعوة أخواله بني مخزوم. فكتب: إن رضي بذلك آل الزبير فافعل. فلما فرغ من إعطاء بني عبد مناف نادي مناديه ببني مخزوم، فناداه عثمان بن عروة، وقال^(٧):

(١) في النسخ: «ذكر الخبر في ذلك».

(٢) عور علينا متجربنا: عرضه للضياع.

(٣) كذا في ما، والطبري وفي ب، س: «ربيع».

(٤) كذا في ما وهو الصواب.

(٥) كذا في م وهو الوجه.

(٦) ضبطه ابن الفرات بالقاء وكسر الراء المهملة (معجم البلدان ونهاية الأرب).

(٧) هو لحسان بن ثابت.

إذا هبطت حوران من أرض^(١) عالج فقولا لها: ليس الطريق هنالك
فأمر مناديه فتادى بني أسد بن عبد العزى، ثم مضى على الدعوة.

النبي ﷺ يقطع فرات بن حيان أرضاً بالبحرين

أخبرني محمد بن عبد الله الحضرمي إجازة، قال: حدثنا ضرار بن صرد، قال: حدثنا علي بن هشام، عن
عمار بن زريق، عن أبي إسحاق، عن عدي بن حاتم:

أن النبي ﷺ أتى بفرات بن حيان فقال: إني مسلم، فقال لعلّي صلوات الله عليه: إن منكم من أكله إلى
إيمانه، منهم فرات بن حيان، وأقطعه أرضاً بالبحرين تعل ألفاً ومائتين.

حدثني أحمد بن يوسف بن سعيد، قال: حدثنا محمد عبيد الله بن عتبة، قال: حدثنا موسى بن زياد الزيات،
قال: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان الأشلي^(٢)، عن زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن جارية^(٣) بن مضرب،
عن أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه، قال:

أتى النبي ﷺ بفرات بن حيان يوم الخندق، وكان عيناً للمشركين، فأمر بقتله، فقال: إني مسلم، فقال: إن
منكم من أتألفه على الإسلام وأكله إلى إيمانه، منهم فرات بن حيان.

[٣٢٦/١٧]

الموت

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شكى الفقر أو لام الصديق فأكثر
وصار على الأذنين كلاً وأوشكت صلات ذوي القربى له أن تنكرا
فسرف في بلاد الله والتمس الغنى تعيش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترخص من عيش بدون ولا تنم وكيف ينأى الليل من كان مغيراً

عروضه من الطويل، الشعر لأبي عطاء السندي. والغناء لإبراهيم. خفيف ثقيل بالوسطى، من نسخة عمرو

الثانية.

(١) في هامش من نسخة: «من رمل عالج»، وهي رواية اللبوان أيضاً، وكذلك المختار.

(٢) في الإصابة: الأشهل.

(٣) وكذا في الإصابة، وفي الإكمال: «حارثة بن مضرب».

/ ذكر أبي عطاء السندي

[٣٢٧/١٧]

أبو عطاء، اسمه أفلح بن يسار، مولى بني أسد، ثم مولى عبير^(١) بن سمالك بن حصين الأسدي، منشؤه الكوفة، وهو من مخضرمي الدولتين. مدح بني أمية وبني هاشم، وكان أبوه يسار سندية أعجمياً لا يفصح. وكان في لسان أبي عطاء لكنة^(٢) شديدة ولثغة، فكان لا يفصح^(٣). وكان له غلام فصيح سماه عطاء، وتكنى^(٤) به، وقال: قد جعلتُك ابني، وسميتك بكنيتي، فكان يرويه شغره، فإذا مدح من يجتديه أو يتتبعه أمره بإنشاده ما قاله^(٥). وكان ابن كناسة يذكر أنه كاتب مواليه، وأنهم لم يعتقوه.

يكاتب مواليه

أخبرني بذلك محمد بن يزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن ابن كناسة، قال: كثر مال أبي عطاء السندي بعد أن أغتق، فأغتنه مواليه وطمعوا فيه، وأدعوا رقه، فشكا ذلك إلى إخوانه، فقالوا له: كاتبهم^(٦)، فكاتبوه على أربعة آلاف، وسعى له أهل الأدب والشعر فيها فتركهم، وأتى الحر بن عبد الله القرشي، وهو حليف لقريش لا من أنفسهم، فقال فيه:

شعره في الحر بن عبد الله القرشي

أتيتك لا من قرية هي بيننا
ولكن مع الراجين أن كنت^(٧) موزداً
/ أغنني بسجل من نذاك يكفني
تسمى ابن عبد الله حراً لو صفه^(٨)
ولا نعمة قدّمها أسببها
إليه بغاة الذين تهفؤ قلوبها^(٩)
وقال^(١٠) الردى مُردُّ الرجال وشيئها
وتلك العلاء يُغنى بها من يصيبها^(١١)

[٣٢٨/١٧]

(١) س، ج: «مولى عمرو بن سمالك»، وفي المَرْزَبَانِي ٤٥٦: اسمه أفلح، وقيل: مرزوق.

(٢) ج: «عجمة».

(٣) ج: «وكان لا يكاد يفصح».

(٤) ج: «وتبناه».

(٥) ج: «ما قاله فيه».

(٦) كاتب رقيقه: اتفق معه على مال يدفعه له فإن أداه صار حراً.

(٧) أ والمختار: «إذا كنت».

(٨) المختار: «بغاة الري».

(٩) أ: «يقلني... فذاك». وفي المختار: «وقاك الردى مرد الكرام»، وسجل من نذاك: نصيب عظيم من عطائك - والسجل في الأصل: الدلو العظيمة فيها ماء.

(١٠) س والمختار: «كوضعه»، والمثبت من أ، ج.

(١١) كذا في المختار، وفي ب، س: «يعيبها».

فأعطاه أربعة آلاف درهم، فأذاها في مكاتبته وعَتَق^(١).

وشعره في سليمان بن سليم

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان أبو عطاء السدي يجمع بين لشعة ولكنة، وكان لا يكاد يفهم كلامه، فأتى سليمان بن سليم فأنشده:

أعوزتني الرؤاة يابن سليم وأبى أن يقيم شغري لساني
وغلى بالذي أجمع صذري وجفاني بعجمتي سلطانني^(٢)
وازدرتني العيون إذ كان لؤني حالكا مجتوى^(٣) من الألوان
فضربت الأمور ظهراً لبطن كيف اختال حيلة للسانني^(٤)
وتمنيث أنني كنت بالشعر فصيحاً وبان بغض بئاني
ثم أصبحت قد أنخت ركابي عند رخب الفناء والأعطان
فاكفني ما يضيق عنه رواتي بفصيح من صالح الغلمان
يفهم الناس ما أقول من الشعر فإن البيان قد أعياني
فاغتمذي بالشكر يابن سليم في بلادتي وسائر البلدان
/ سئوافيهم قصائد غر فيك سبابة لكل^(٥) لسان
فقديماً جعلت شكري جزاء كل ذي نعمة بما أولاني
لم تزل تشتري المحامد^(٦) قدماً بالرييح الغالي من الأثمان

فأمر له بوصيف بربري فصيح، فسماه عطاء، وتكنى به، ورّاه شعره؛ فكان إذا أراد إنشاد مديح لمن يجتديه، أو مذاكرة لشعره أنشده.

هجاؤه مولاة عنبر بن سماك الأسدي

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا ثعلب، عن أبي العالية الحرّ بن مالك الشامي، قال: لما أترى أبو عطاء أغتته مولاة عنبر^(٧) بن سماك الأسدي، حتى ابتاع نفسه منه، فقال يهجو:

إذا ما كنت متخذاً خيلاً فلا تثقن بكل أخي إخاء
وإن خيبرت بينهم فالصق بأهل العقل منهم والحياء

(١) ج: «واعتق».

(٢) في المختار: «لمجمتي».

(٣) مجتوى: مبهضاً مكروهاً.

(٤) في المختار: «لياني».

(٥) في المختار: «بكل».

(٦) في المختار: «المدائح».

(٧) انظر ما سبق في نسبه.

فإنَّ العقل ليس له إذا ما / وليس بقابل^(٢) أدباً فدغّه
وإنَّ التَّوَكُّلَ لأحبابٍ غُولُ / تُذَوِّكِرَتِ^(١) الفَضَائِلُ مِنْ كِفَاءِ
فلا تَتَقَنَّ مِنَ التَّوَكُّي بِشَيْءٍ / به تَأْوِي إِلَى دَاءٍ عَيَاءِ
كَعَنْبِرِ الوَثِيقِ بِنَاءِ بَيْتٍ / ولو كانوا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ
/ ولكن عقله مِثْلُ الهَبَاءِ / وكن منه بمنقطع الرِّجَاءِ

٨٣
١٦

كان من شعراء بني أمية ومداحهم

قال: وكان أبو عطاء من شعراء بني أمية ومداحهم والمنصبي الهوي إليهم، وأدرك دولة بني العباس فلم تكن له فيها نباهة، فهجاهم. وفي آخر / أيام المنصور مات. وكان مع ذلك من أحسن الناس بديهة، وأشدهم عارضةً وتقذماً، وشهد أبو عطاء حرب بني أمية وبني العباس فأبلى، وقتل غلامه عطاء مع ابن هبيرة، وانهزم هو، وقيل: بل كان أبو عطاء المقتول معه لا غلامه.

شعره في أبي زيد المري وقد أعطاه فرسه فهرب به

أخبرني الحسن بن علي، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني، قال:

كان أبو عطاء يقاتل المسودة^(٣)، وقذاه رجل من بني مرة يكنى أبا يزيد، وقد عُقِرَ فرسه، فقال لأبي عطاء: أعطني فرسك حتى أقاتل عني وعنك، وقد كانا أيقنا بالهلاك، فأعطاه أبو عطاء فرسه، فركبه المُرِّي، ثم مضى وترك أبا عطاء، فقال أبو عطاء في ذلك:

لعمرك إنني وأبا يزيد / لكالساعي إلى وَضَحِ السَّرَابِ
رَأَيْتُ مَخِيلَةً^(٤) فَطَمَعْتُ فِيهَا / وفي الطمع المذلَّةُ للَرَّاقِبِ
فَمَا أَعْيَاكَ مِنْ طَلَبٍ وَرِزْقٍ / كما يعيبك في سَرَقِ الدَّوَابِ^(٥)
وَأَشْهَدُ أَنَّ سُرَّةَ حَيٍّ صِدْقٍ / ولكن لست منهم في النُّصَابِ

أخبرني الحسن، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني:

أن يحيى بن زياد الحارثي وحماداً الراوية كان بينهما وبين معلّى بن هُبيرة ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من التَّفَاسَةِ، وكان معلّى بن هُبيرة يحب أن يطرح حماداً في لسان شاعرٍ يهجوّه.

أبو عطاء وحماد الراوية

قال حماد الراوية: فقال لي يوماً بحضرة يحيى بن زياد: أتقول لأبي عطاء السندي أن يقول في زُجٍّ وجَرَادةٍ ومسجد بني شيطان؟ قال: فقلت له: / فما تجعله لي على ذلك؟ قال: بغلتي بسرجهما ولجامهما. قلت: فعذلها^(٦) على يدي يحيى بن زياد، ففعل، وأخذت عليه موثقاً بالوفاء.

(١) في ب: «تذكرت»، والمثبت في المختار. كفاء: شيء يقوم به ويعادله.

(٢) أ: «بقائل»، والمثبت في المختار أيضاً.

(٣) المسودة: يريد بني العباس ومن والاهم لأن لباسهم كان السواد.

(٤) المخيلة: السحابة تخالها ما طرة لرعدا ويرقها.

(٥) أ: «كما أعياك من».

(٦) عدلها: يريد اجعلها في ضمان عدل.

وجاء أبو عطاء السندي فجلس إلينا، وقال: مرهباً مرهبا، هياكم الله. فرحبتُ به، وعرضتُ عليه العشاء، فقال: لا حاجة لي به، فقال: أعندكم نبيذ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا فشرب حتى احمرتُ عَيْنَاه، واسترخت عَلَايِيهِ^(١)، ثم قلت: يا أبا عطاء، إن إنساناً طرح علينا أبياتاً فيها لغز، ولست أقدر على إجابته البتة، ومنذ أمس إلى الآن ما يستوي لي منها شيء، ففرج عني. قال: هات، فقلت:

أَبْنُ لَسِي إِنْ سُنَلْتِ أَبَا عَطَاءٍ يَقِيناً كَيْفَ عَلُمُكَ بِالْمَعَانِي
فَقَالَ:

خَيْرٌ عَالِمٍ فَاسْأَلِ تَجِدْتِي بِهَا طَبَّأً وَأَيَّاتِ الْمَثَانِي
فَقُلْتُ:

فَمَا اسْمُ حَدِيدَةٍ فِي رَأْسِ رُمَحٍ دُونَ الْكَفِّ لَيْسَتْ بِالسُّنَانِ؟
فَقَالَ أَبُو عَطَاءٍ:

هُوَ الرُّزُّ الَّذِي إِنْ بَاتَ ضَيْفَاً لَصَدْرِكَ لَمْ تَزَلْ لَكَ عَوَّلَانِ
قُلْتُ: فَرَجِ اللَّهُ عَنْكَ، تعني الزج. وقلت:

فَمَا صَفَرَاءُ تُدْعَى أُمُّ عَوْفٍ كَأَنَّ رُجَيْلَتَيْهَا مِنْجَلَانِ؟
فَقَالَ:

أَرَدْتُ زَرَادَةً وَأَزُّنُ زَنْبَاً بِأَنَّكَ مَا أَرَدْتَ سِوَى لِسَانِي
/ قُلْتُ: فَرَجِ اللَّهُ عَنْكَ، وأطال بقاءك! تريد جرادة، وأظن ظناً. وقلت:

أَتَعْرِفُ مَسْجِداً لِبْنِي تَمِيمٍ فَوَيْلُكَ الْمَيْلَ دُونَ بَنِي أَبَانِ؟
فَقَالَ:

بَنُو سَيْطَانِ^(٢) دُونَ بَنِي أَبَانِ كَقُرْبِ أَيْكَ مِنْ عَبْدِ الْمَدَانِ

قال حماد: فرأيت عَيْنِيهِ قد احمرتَا، وعرفت الغضب في وجهه وتخوفتُهُ، فقلت: يا أبا عطاء، هذا مقام المستجير بك، ولك النصف مما أخذته، قال: فاصدقني، قال: فأخبرته. فقال لي: أولى لك! قد سلمت وسلم لك جُعْلُكَ، خُذْهُ بَوْرِكَ لك فيه، ولا حاجة لي فيه. فأخذته، وانقلب يَهْجُو مُعَلَّى بن هبيرة.

مدح أبا جعفر فلم يشبه

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني:

(١) علباء البعير: عصب عنقه، وجمعه: «علايي». وعلى الرجل: ظهرت علاييه كبراً.

(٢) أ: «شيطان»، بالشين، وفي الشعر والشعراء ٧٤٣: أيكم يحتال لأبي عطاء حتى يقول جرادة وزج وشيطان، فقال حماد الراوية: أنا، فلم يلبث أن جاء أبو عطاء، فقال: ... مرهباً مرهبا، هياكم الله، قلنا: ألا تتعشى؟ قال: قد تأسيت، فهل عندكم نبيذ؟ قلنا: نعم، فأتى بنبيذ، فشرب حتى استرخت علاييه، وخذيت أذناه، فقال حماد الراوية: كيف بصرك باللغز يا أبا عطاء؟ قال: هن ... إلى آخر الخبر.

أَنْ أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يُبْه، فأظهر الانحراف عنه لعلمه بمذهبه في بني أمية، فعاوده بالمدح، فقال له: يا ماصّ كذا من أمّه، أَلَسْتَ القائل في عدوّ الله الفاجر نصر بن سيار ترثيه:

فاضَتْ دُمُوعِي عَلَى نَصْرٍ وَمَا ظَلَمْتُ عَيْنٌ تَفِيضُ عَلَى نَصْرٍ بَنٍ سِيَّارٍ
يَا نَصْرُ مَنْ لِلِقَاءِ الْحَرْبِ إِنْ لَقِحتُ يَا نَصْرُ بَعْدَكَ أَوْ لِلضَّيْفِ وَالْجَارِ
الْخِنْدَفِي الَّذِي يَخْمِي حَقِيقَتَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَخُوفِ الشَّرِّ وَالْعَارِ
/ وَالْقَائِدَ الْخَيْلِ قُبَا فِي أَعْيُنِهَا بِالْقَوْمِ حَتَّى تَلْفَ الْقَارِ بِالْقَارِ^(١)
مَنْ كُلُّ أبيضٍ كَالْمَصْبَاحِ مَنْ مُضَرٍ يَجْلُو بِسُنَّتِهِ الظُّلُمَاءَ لِلْسَّارِي
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ مِقْدَامٍ إِذَا اعْتَرَضَتْ سُمْرُ الرُّمَاحِ وَلَّى كُلُّ فَرَّارٍ
إِنْ قَالَ قَوْلًا وَقَى بِالْقَوْلِ مَوْعِدُهُ إِنَّ الْكِنَانِيَّ وَافٍ غَيْرُ غَدَّارٍ

[٣٣٣/١]

هجاؤه أبا جعفر

والله لا أعطيك بعد هذا شيئاً أبداً. قال: فخرج من عنده، وقال عدة قصائد يذمّه فيها منها:
فليت^(٢) جَوْرَ بَنِي مَرْوَانَ عَادَ لَنَا وَلَيْتَ عَذْلَ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي النَّارِ
وقال أيضاً:

أَلَيْسَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّ بَنِي أُمَيَّةٍ مَا اسْتَطَاعَا
وَمَا بِي أَنْ يَكُونُوا أَهْلَ عَذْلٍ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ الْأُمَرَاءَ ضَاعَا

شعره في ابن هبيرة حين لم يصله بشيء

أخبرني الحسن، قال: حدثني الخراز^(٣)، عن المدائني، قال:

كان أبو عطاء مع ابن هبيرة، وهو يئني مدينته التي على شاطئ الفرات، فأعطى ناساً كثيراً صلوات ولم يُعْطِه شيئاً، فقال:

قَصَائِدُ حَكَمْتُهُنَّ لِيَوْمٍ فَخْرٍ^(٤) رَجَعْنَ إِلَى صُفْرٍ خَالِيَاتٍ
رَجَعْنَ وَمَا أَفَأَنْ عَلَيَّ شَيْئاً سِوَى أَنِّي وَعِدْتُ التُّرُفَاتِ
أَقَامَ عَلَى الْفَرَاتِ يَزِيدُ حَوْلًا فَقَالَ النَّاسُ: أَتَيْهَمَا الْفَرَاتِي^(٥)
/ فَيَا عَجَباً لِبَحْرِ بَاتٍ يَنْقِي جَمِيعَ الْخَلْقِ لَمْ يَنْلُ لِهَاتِي

[٣٣٤/١]

شعره في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة

فقال له يزيد بن عمر بن هبيرة: وكم يبلى لهاتك يا أبا عطاء؟ قال: عشرة آلاف درهم، فأمر ابنه بدفعها إليه، ففعل، فقال يمدح ابنه:

(٢) الشعر والشعراء: يا ليت.

(١) المختار: «الغار بالغار».

(٣) أ: «الخراز».

(٤) أ: «يقوم قيس»، وفي المختار: «لعدم قيس».

(٥) أ: «الفرات».

أَمَا أَبوكُ فَعَيْنُ الْجُودِ تَعْرِفُهُ وَأَنْتَ أَشْبَهُ خَلْقِ اللَّهِ بِالْجُودِ^(١)
لَوْلَا يَزِيدُ وَلَوْلَا قَبْلَهُ عَمَرُ أَلَقْتُ إِلَيْكَ مَعْدُودًا بِالْمَقَالِيدِ
/ مَا يَنْبَغُ الْعُودُ إِلَّا فِي أُرُومَتِهِ وَلَا يَكُونُ الْجَنَسُ إِلَّا مِنْ الْعُودِ

٨٥
١٦

وهب له نصر بن سيار جارية فقال في ذلك شعراً

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائني، قال:

وَهَبَ نَصْرُ بْنُ سِيَّارٍ لِأَبِي عَطَاءٍ جَارِيَةً، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَاً عَلَى نَصْرٍ، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ أَنْتَ وَهِيَ؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ شَيْءٌ مَنِيٌّ مَعْنِي مِنْ بَعْضِ حَاجَتِي - يَعْنِي النَّوْمَ - فَقَالَ: وَهَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شِعْراً؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَنْشَدَ:
إِنَّ النِّكَاحَ وَإِنْ هَرِمْتَ^(٢) لَصَالِحٌ خَلَفْتُ لَعَيْنِكَ مِنْ لَذِيذِ الْمَرْقَدِ
فَقَالَ نَصْرُ:

ذَاكَ الشَّقَاءُ فَلَا تَنْظُرْ غَيْرَهُ لَيْسَ الْمَشَاهِدُ مِثْلَ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ
فَقَالَ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، إِنِّي قَدْ امْتَدَحْتُكَ فَافْزَنْ لِي أَنْ أَنْشُدَكَ، قَالَ: إِنِّي لَفِي شُغْلٍ، وَلَكِنْ أَتَيْتُ تَمِيمًا، فَأَتَاهُ فَأَنْشَدَهُ، فَحَمَلَهُ عَلَى بِرْذَوْنٍ أَبْلَقَ، فَقَالَ لَهُ نَصْرُ مِنَ الْغَدِ: مَا فَعَلَ بِكَ تَمِيمٌ؟ فَقَالَ:
لَوْ أَنَّكَ كَانَتْ أَعْلَقُ بَابِ النَّسَبِ فَقَسَدَ فُتِحَ الْبَابُ بِالْأَبْلَقِ
ثُمَّ أَنْشَدَهُ قَوْلَهُ:

وَهَيْكَلِي يُقَالُ فِي جَلَالِهِ تَقْصُرُ أَيْدِي النَّاسِ عَنْ قَدَالِهِ
/ جَعَلْتُ أَوْصَالِي عَلَى أَوْصَالِهِ إِنَّكَ حَمَّالٌ عَلَى أَمْثَالِهِ

٣٥/١٧]

لبس السواد وقال شعراً في ذلك

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، قال: لما أمر أبو جعفر الناس بلبس السواد، لبسه أبو عطاء فقال:

كُتِبَتْ وَلَمْ أَكْفُرْ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةً سَوَاداً إِلَى لُونِي وَدُنَا^(٣) مُلْهُوَجًا^(٤)
وَبَايَعْتُ كَرِهًا بَيْعَةً بَعْدَ بَيْعَةٍ مُبْهَرَجَةً إِنْ كَانَ أَمْرٌ مَبْهَرَجًا^(٥)

يضيف بيتين من الشعر إلى بيتين بعث بهما إليه إبراهيم بن الأشتر

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائني، قال:

بَعَثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ إِلَى أَبِي عَطَاءٍ بَيْتَيْنِ مِنْ شِعْرٍ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَضِيفَ إِلَيْهِمَا بَيْتَيْنِ مِنْ رَوِيَّهِمَا وَقَافِيَتَهُمَا، وَهَمَّا:

(١) المختار ١: ٤١٣.

(٢) في ب، س: «هربت» والمثبت من ما.

(٣) الدن: قلنسوة محددة الأطراف وكان العباسيون قد أمروا بلبس القلانس.

(٤) الملهوج: غير المحكم.

(٥) كذا في ما وفي أ: «إن كان أمر».

وبلدة يزدهي الجنان طارِقها
وَمُنَا وقد حلق النسران أو كَرَباً
فقال أبو عطاء:

فانجاب عنها قميص الليل فابتكرت
في أيّسكي كلما حثّ الحداة لها
تسير كالفحل تحت الكور لَطَاطة
بَدَتْ مناسمها هُجاء حَطَاطة

يهجو بغلة أبي دلالة

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائني، قال:

كان سبب هجاء أبي دلالة بغلته أن أبا عطاء السندي هجأها، فخاف أبو دلالة أن تشتهر بذلك، وتعره، فباعها وهجأها بقصيدته المشهورة. قال: وأبيات أبي عطاء فيها:

أبغل أبي دلالة مَثَّ هَزَلَا
دواب الناس تقضم ملَمَخَالِي
عليه بالسخاء تُعَوِّلِنَا
وَأَنْتِ مَهَانَةٌ لَا تَقْضَمِينَا
/ سَلِيهِ الْبَيْعَ وَاسْتَعِدِّي عَلَيْهِ
فَلَا نَكُ إِن تُبَاعِي تَسْمِينَا

[٣٣٦/١٧]

شعره في مدح نهيك بن معبد

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد، عن المدائني، قال:

كان أبو عطاء منقطعاً في طريق / مكة، وخبأه مطروح، فمرّ به نهيك بن معبد العطاردي، فقال: لمن هذا الخباء الملقى؟ فقبل: لأبي عطاء السندي، فبعث غلماناً له، فصرّوا له خبأه، وبعث إليه بالطاف وكسوة، فقال: من صنع هذا؟ قالوا: نهيك بن معبد، فنادى بأعلى صوته يقول:

إذا كنت مُرْتَادَ الرجال لِنَفْعِهِمْ
فنادِ بصوت: يَا نَهْيَكُ بَنَ مَعْبِدِ
فبعث إليه نهيك: لا، زِدْنَا يَا أبا عطاء.

فقال أبو عطاء:

إنما أعطيتك على قدر ما أعطيتنا، فإن زِدْنَا زِدْنَاكَ، والله أعلم.

أنشده حماد بيتاً فلم يعجبه فقال شعراً يصحح معناه

نسخت من كتاب ابن الطحان^(١): قال الهيثم بن عدي: أخبرنا حماد الراوية، قال: أنشدت أبا عطاء السندي في أثناء حديث هذا البيت:

إذا كنت في حاجة مرسلاً
فأرسل حكيماً ولا تُوصِه
فقال أبو عطاء: بش ما قال! فقلت: كيف تقول أنت؟ قال: أقول:

إذا أرسلت في أمر رسولاً
وإن ضيعت ذاك فلا تُلْمُهُ
فأفهمه وأرسله أديباً
على أن لم يكن عليم الغيوباً

شعره في مدح سليمان بن سليم

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي: قال الهيثم بن عدي، عن / حماد بن سلمة الكلبي، قال: [٣٣٧/١٧]
دخل أبو عطاء السندي على سليمان بن سليم بن بشار^(١)، فقال له:

أعوزتني الرؤاة يا بن سليم
وغلاً بالذي أجمجم صذري
وعذتني العيون أن كان لوني
وضربت الأمور ظهراً لبطن
فتمنيت أنني كنت بالشعر
ثم أصبحت قد أنخت ركابي
فلما من سواك يا بن سليم
فاكفني ما يضيّق عنه ذراعي
يفهم الناس ما أقول من الشعر
ثم خذني بالشكر يا بن سليم

فأمر له بوصيف فصيح كان حسن الإنشاد، فقال أبو عطاء أيضاً:

فأقبلوا نخوي معاً بالقنا
فقلت: شأني كله أنمني
يا بن سليم أنست لي عصمة
فقد رماني الدهر عن فقره
صاد فؤادي بعدما قد سلا
/ فأنعش فذتك النفس مني ومن
وهب فذتك النفس لي طفلة^(٢)
فلن أيري قد عتّا واعتدى
فأله ثم الله في قفمه
/ يتركني أضحوكة بعدما
فأمر له بجارية قندهارية^(٥) فارهة، فقال:

أحصنتني الله بكفّي فتى

مهذب من سرّ قحطان

(١) أ: «ابن كيسان».

(٢) اللغبان: «الشديد الإعياء».

(٣) الطفلة: الرخصة الناعمة.

(٤) أ: «أنمي».

(٥) قندهارية: منسوبة إلى قندهاز (البلدان).

من حمير أهل السدي^(١) والندی
وعصمة الخائف والجاني
يا خيرَ خلقِ الله أنت الذي
أيأست من فسقي شيطاني

يفغضب لخطأ راويته في شعر قاله

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، قال:
كنتُ جالساً مع سليمان بن مجالد وعنده أبو عطاء السندي، إذ قام راوية أبي عطاء ينشد سليمان مديحاً
لأبي عطاء، وأبو عطاء جالس لا يتكلم، إذ قال الراوية في إنشاده:
فما فضلت يمينك من يمين ولا فضلت شمالك عن شمال^(٢)
هكذا بالرفع، فغضب أبو عطاء، وقال: ويلك فما مدته إذاً، إنما هزوته، يريد فما مدحته إذاً إنما هجوته،
ثم أنشده أبو عطاء:

فما فضلت يمينك من يمين ولا فضلت شمالك عن شمال
/ فكدت أضحك، ولم أجسر، لأنني رأيتُ القوم جميعاً بهم مثل ما بي وهم لا يضحكون؛ خوفاً منه. [٣٣٩/١٧]

ينشد نصر بن سيار فيأمر له بجائزة

حدثنا وكيع، قال: أخبرنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا سليمان بن منصور، قال: حدثني صالح بن سليمان،
قال:

وفد أبو عطاء السندي على نصر بن سيار فأنشده:
قالت تريقة بتي وهي عاتبة^(٣):
ما بال هم دخیل بات محتضراً
إنني دعاني إليك الخور من بلدي
إن المقام على الإفلاس تغذيب
رأس الفؤاد فنوم العين توجيب
والخير عند ذوي الأحساب مطلوب
فأمر له بأربعين ألف درهم.

يفغضب لأن ضيفه يرقب جاريته

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسن بن علي، قالوا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني سليمان بن
أبي شيخ، عن صالح بن سليمان، قال: دخل إلى أبي عطاء السندي ضيف، فأناه بطعام، فأكل، وأناه بشراب
وجلسا يشربان، فنظر أبو عطاء إلى رجل يلاحظ جاريته، فأنشأ يقول^(٤):

كُلْ هنيئاً وما شربت مريئاً
ثم قم صاغراً وأنت ذميم
لا أحب النديم يومض بالطر
ف إذا ما خلا لعرس النديم^(٥)

(١) السدي: المعروف.

(٢) أ: «فما نزلت ولا نزلت»، وفي المختار ١: ٤١٤: «ولا فضلت» يريد: «ولا فضلت».

(٣) تريقة البيت: التي تترك فلا تتزوج، وهي العانس في بيت أبيوها. «اللسان» (ترك).

(٤) الأبيات في الكامل: ٧٤ والبيان ٣: ٣٤٧.

(٥) الكامل: «يومض بالعين إذا ما انتشى لعرس النديم» في وفي البيت إقرأ.

الهـ

تَجُولُ خَلَاخِيلُ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى لِرَمْلَةٍ خَلَخَالَ يَجُولُ وَلَا قَلْبًا^(١)
أَحَبُّ بَنِي الْعَوَّامِ طُرًّا لِحَبِّهَا وَمِنْ أَجْلِهَا أَحَبَّتُ أَعْوَالَهَا كَلْبًا
فَإِنْ تُسَلِّمِي تُسَلِّمَ، وَإِنْ تَنْصَرِّي تَخْطُ رِجَالُ بَيْنِ أَعْيُنِهِمْ صُلْبًا

عروضه من الطويل. الشعر لخالد بن يزيد بن معاوية يقوله في زوجته رَمْلَة بنت الزُّبَيْر. والغناء ليحيى
المكي، ثاني ثقل أول بالوسطى، من رواية ابنه وأبي العبيس^(٢)، وفيه لعبيد الله بن أبي غسان رمل، وفيه لسعيد بن
جابر خفيف رمل بالبنصر، عن حبش.



مركز تحيية تكملة تاريخ اللغة العربية

(١) الكامل ١: ٢٠٤، والمختار من شعر بشار ١٥١، ومعجم الأدباء ١١: ٤١، والقلب: سوار المرأة.

(٢) في أ. ج، م: «العبيس».

أذكر خالد ورملة وأخبارهما وأنسابهما

[٣٤١/١٧]

$$\frac{\Delta\Delta}{16}$$

نسبه

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وكان من رجالات قريش سخاءً وعارضةً وفصاحةً، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأقنى بذلك عمره، وأسقط نفسه. وأم خالد بن يزيد أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

كان عالماً شاعراً

أخبرني الطوسي وحرمي، قالا: حدثنا الزبير، قال: حدثني عمي مصعب، قال:

كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم، ويقول الشعر، وزعموا أنه هو الذي وضع خبر السُفياني وكبره، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مَرْوان بن الحكم على الملك، وتزوج أمه أم هاشم، وهذا وهم من مصعب؛ فإن السُفياني قد رواه غير واحد، وتنابت فيه رواية الخاصة والعامة. وذكر خبر أمره أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، وغيره من أهل البيت صلوات الله عليهم.

حدثني أبو عبد الله^(١) الصِّيرَفِيُّ، قال: حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار، قال: حدثنا الحسن بن صالح، عن أبي الأسود، قال: حدثنا صالح بن أبي الأسود - يعني أباه - عن عبد الجبار بن العباس الهمداني، عن عمار الدهني، قال:

قال أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام: كم تعدون بقاء السُفياني فيكم؟ قلت: حمل امرأة تسعة أشهر، قال: ما أعلمكم بأهل الكوفة..

[٣٤٢/١٧] / حدثني أبو عبد الله قال: حدثنا محمد بن علي، قال: حدثنا الحسن بن صالح، قال: حدثنا منصور بن الأسود، قال:

أتيت جابراً الجعفي أنا والأسود أخِي، فقلنا له: إنا قومٌ نضربُ في هذه التجارات، وقد بلغنا أن الرايات قد قُطِعَ بها الفُرات، فماذا تُشير علينا؟ وماذا تأمرنا؟ قال: اذهبوا حيث شئتم من أرض الله تعالى، حتى إذا خرج السُفياني فأقبلوا عؤدكم على بدئكم.

أما تكتني باسمه

أخبرني الطوسي وحرمي، قالا: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه، قال: لما ولدت أم هاشم خالد بن يزيد بن معاوية تركت كنيته، واكتنت بخالد، وقال فيها يزيد بن معاوية:

(١) أ: «أبو عبيد الله».

وما نَحْنُ يومَ استعْبَرَتْ أُمُّ خَالِدٍ بِمَرْضَى ذَوِي دَاءٍ وَلَا بِصِحَاحٍ
ولها يقول، وقد قدم من المدينة، وقد تزوج أُمُّ مسكين بنت عمر بن عاصم بن عُمر بن الخطاب فحُمِلت إليه
بالشَّام، فأعجب بها، وجفا أُمُّ خالد، ودخل عليها وهي تبكي، فقال^(١):

مَا لِكَ أُمُّ خَالِدٍ تَبْكِينَ مِنْ قَدَرٍ حَلَّ بِكُمْ تَضَجِينَ!
بَاعَتْ عَلَى يَتَمِّكَ أُمُّ مَسْكِينٍ مِمَّوْنَةٍ مِنْ نِسْوَةِ مَيَّامِينَ
حَلَّتْ مَحَلَّكَ الَّذِي تَحُلِينَ زَارَتْكَ مِنْ يَثْرِبٍ فَنِي جَوَارِينَ
* فِي مَنْزِلٍ كُنْتَ بِهِ تَكُونِينَ *

رملة تزوجت عثمان بن عبد الله قبل زواجهما من خالد

أخبرني الطوسي وحرمي، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه: أَنَّ رَمْلَةَ بِنْتَ الزَّبِيرِ كَانَتْ أُخْتًا مَصْعَبَ بِنِ
الزَّبِيرِ لَأُمِّهِ^(٢)، كَانَتْ أُمُّهُمَا أُمُّ الرِّبَابِ بِنْتُ أُتَيْفٍ بِنِ عُيَيْدٍ بِنِ مَصَّادٍ بِنِ كَعْبٍ بِنِ عَلِيمٍ بِنِ عَتَّابٍ^(٣) / بِنِ ذُهَلٍ مِنْ [٣٤٣/١٧]
كَلْبٍ، وَإِنَّمَا كَانَتْ قَبْلَ خَالِدٍ بِنِ يَزِيدٍ عِنْدَ عُثْمَانَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ حَكِيمٍ بِنِ حِزَامٍ بِنِ خُوَيْلِدٍ بِنِ أَسَدٍ بِنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ،
فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ عُثْمَانَ، / وَهُوَ زَوْجُ سُكَيْنَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ بِنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

٨٩
١٦

الحجاج يعاتب خالدًا لخطبته رملة فيرد عليه ردًا عنيفاً

قال الزبير: فحدثني رَجُلٌ، عَنْ عُمَرَ بِنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بِنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا
عَمْرُ بِنِ شَبَّةٍ، قَالَ:

لَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزَّبِيرِ حَجَّ خَالِدُ بِنِ يَزِيدٍ بِنِ مَعَاوِيَةَ، فَخَطَبَ رَمْلَةَ بِنْتَ الزَّبِيرِ بِنِ الْعَوَامِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ
حَاجِبَهُ عُيَيْدُ اللَّهِ بِنِ مَوْهَبٍ، وَقَالَ لَهُ: مَا كُنْتُ أَرَاكَ تَخْطُبُ إِلَى آلِ الزَّبِيرِ حَتَّى تَشَاوِرَنِي، وَكَيْفَ خَطَبْتَ إِلَى قَوْمٍ
لَيْسُوا لَكَ بِأَكْفَاءٍ! وَكَذَلِكَ قَالَ جَدُّكَ مَعَاوِيَةَ، وَهُمْ الَّذِينَ قَارَعُوا أَبَاكَ عَلَى الْخِلَافَةِ، وَرَمَوْهُ بِكُلِّ قَبِيحَةٍ، وَشَهِدُوا عَلَيْهِ
وَعَلَى جَدِّكَ بِالضَّلَالَةِ.

فَنَظَرَ إِلَيْهِ خَالِدٌ طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ لَهُ: لَوْلَا أَنَّكَ رَسُولٌ، وَالرَّسُولُ لَا يَعْاقِبُ لِقَطْعَتِكَ إِرْبًا إِرْبًا، ثُمَّ طَرَحْتُكَ عَلَى
بَابِ صَاحِبِكَ، قُلْ لَهُ: مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ الْأُمُورَ بَلَغَتْ بِكَ إِلَى أَنْ أَشَاوِرَكَ فِي خُطْبَةِ النِّسَاءِ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ لِي: قَارَعُوا أَبَاكَ وَشَهِدُوا عَلَيْهِ بِكُلِّ قَبِيحٍ، فَإِنَّهَا قُرَيْشٌ يُقَارِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَإِذَا أَقْرَأَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ
الْحَقُّ قَرَارَهُ، كَانَ تَقَاطُعُهُمْ وَتَرَاحُمُهُمْ عَلَى قَدَرِ أَحْلَامِهِمْ وَفَضْلِهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَكْفَاءٍ فَقَاتَلَكُ اللَّهُ يَا حَجَّاجُ، مَا أَقَلَّ عِلْمُكَ بِأَنْسَابِ قُرَيْشٍ! أَيْكُونُ الْعَوَامُ كُفْرًا
لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ بِنِ هَاشِمٍ بِنِ زَوْجِهِ صَفِيَّةٍ، وَبِتَزْوِجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ، وَلَا تَرَاهُمْ أَهْلًا لِأَبِي سَفْيَانَ!
فَرَجَعَ الْحَاجِبُ إِلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ.

(١) نسب قريش ١٥٥.

(٢) المختار: «لأبيه»، وفي أنساب الأشراف للبلاذري: «أخت مصعب لأبيه وأمه وأمهما الرباب».

(٣) في المختار: «بن جناب».

قال: وقال عُمر بن شبة في خبره، قال خالد بن يزيد بن معاوية فيها^(١):

أليس يزيد السير في كل ليلة
أحسن إلى بنت الزبير وقد علث
إذا نزلت أرضاً تحبب أهلها
وإن نزلت ماءً وإن كان قبلها
تجول خلاخيل النساء ولا أرى
أقلوا عليّ اللوم فيها فلأنني
أحب بني العوام طراً لحبها
ومن حبها أحييت أحوالها كلها

قال أبو زيد: وزادوا في الأبيات:

فإن تُسلمي تُسلم وإن تنصري
تخط رجالاً بين أعينهم صلباً

فقال له عبد الملك: تنصرت يا خالد، قال: وما ذاك؟ فأنشده هذا البيت، فقال له خالد: على من قاله ومن نحلنيه لعنة الله.

يشير غضب الحجاج فيعنفه ويتناول عليه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثني عمرو بن شبة، قال: حدثني موسى بن سعيد بن سلم^(٥)، قال:

قدم الحجاج على عبد الملك، فخرّ بخالد بن يزيد بن معاوية، ومعه بعض أهل الشام، فقال الشامي لخالد: من هذا؟ فقال خالد كالمستهزئ: هذا عمرو بن العاصي، فعدل إليه الحجاج، فقال: إني والله ما أنا بعمرو بن العاصي [٣٤٥/١٧] ولا ولدت عمراً ولا ولدني؛ ولكنني ابن الغطاريف من ثقيف والعقائل / من قريش، ولقد ضربت بسيفي هذا أكثر من مائة ألف، كلهم يشهد أنك وأباك من أهل النار، ثم لم أجِدْ لذلك عندك أجراً ولا شكراً، وانصرف عنه، وهو يقول: عمرو بن العاصي، عمرو بن العاصي!

محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص يتنقصه

أخبرني محمد بن / العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز^(٦)، قال: حدثنا المدائني، قال: حدثنا عبد الله بن مسلم القرشي، عن مطر مولى يزيد بن عبد الملك:

(١) معجم الأدباء ١١ : ٤٤.

(٢) الخرق: الفلاة الواسعة. والنقب: الطريق في الجبل.

(٣) المليح: الملح ضد العذب.

(٤) زبيرة قلباً، يريد خالصة النسب.

(٥) كذا في أ، ب، وفي ج: «سالم».

(٦) ف: «الخراز».

أنَّ محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي قدم الشام غازياً، فأتى عَمَّتَهُ أُمَيَّةَ^(١) بنت سعيد، وهي عند خالد بن يزيد بن معاوية، فدخل خالدٌ فرآه، فقال: ما يقدم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة، فظنَّ محمدٌ أنه يعرضُ به، فقال له: وما يمتنعُهم من ذلك، وقد قدم قوم من أهل المدينة على النواضح^(٢)، فنكحوا أمَّك وسلبوك مَلِكُك، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب، وعَمِلَ الكيمياء الذي لا تقدِرُ عليه. انتهى.

أمه تقتل زوجها مروان بن الحكم

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا الخراز عن المدائني، عن أبي أيوب القرشي، عن يزيد بن حصين بن نمير:

أنَّ مَرْوان بن الحكم تزوَّج أم خالد بن يزيد بن معاوية، فناظر خالداً يوماً وأراد أن يضع منه في شيء جرى بينهما، فقال له: يابن الرطبة، فقال له خالد: إنك لأُمِّي مختبر^(٣)، وأنت بهذا أعلم. ثم أتى أمَّه فأخبرها، وقال: أنت صنعتِ بي هذا، فقالت له: دَعَه، فإنه لا يقولها لك بعد اليوم.

/ فدخل مروان عليها فقال لها: هل أخبرك خالدٌ بشيء؟ فقالت: يا أمير المؤمنين! خالد أشدُّ تعظيماً لك مِنْ [٣٤٦/١٧] أن يذكر لي خبراً جرى بينك وبينه.

فلما أمسى وضعت مِرْفَقَةً على وجهه، وقعدت عليها هي وجواربها حتى مات.

وأراد عبد الملك قتلها، وبلغها ذلك، فقالت: أما إنه أشدُّ عليك أن يعلم الناس أن أباك قتلته امرأة؛ فكفت عنها.

رملة تشكو سكينه بنت الحسين إلى عبد الملك بن مروان

أخبرني محمد قال: حدثني الخراز، عن المدائني، قال: وأخبرني الطوسي، عن الزبير، عن المدائني، عن جُويرية قال:

نشزت سكينه بنتُ الحسين بن عليٍّ عليهما السلام على زوجها عبد الله بن عثمان - وأُمُّه رَمْلَة بنت الزبير - فدخلت رملة على عبد الملك بن مروان، وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية، فقالت: يا أمير المؤمنين، لولا أن يُبتزَّ أمرنا^(٤) ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا، سكينه بنت الحسين عليه السلام قد نشزت على ابني، قال: يا رَمْلَة، إنها سكينه، قالت: وإن كانت سكينه، فوالله لقد ولدنا خيرهم، ونكحنا خيرهم، وأنكحنا خيرهم، تعني بمن ولدوا فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومن نكحوا صَفِيَّةَ بنت عبد المطلب، ومن أنكحوا النبي ﷺ.

فقال: يا رَمْلَة، غَرَّني منك عُرْوَة بن الزبير، فقالت: ما غَرَّك، ولكن نصح لك؛ لأنك قتلت أخِي مُضْعَباً فلم يأمنِي عليك.

(١) المختار: «أمنة».

(٢) الناضح: البعير الذي يستقى عليه الماء، والأنثى: ناضحه، بهاء.

(٣) أ، ج: «فقال له خالد: الأمير مختبر»، وفي المختار: «إنك لأمين مختبر».

(٤) المختار: «لو أن لنا من يدبر أمرنا».

شعر خالد في بنت عبد الله بن جعفر

[٣٤٧/١٧] أخبرني الطوسي، قال: حدثني عمي مصعب، قال: تزوج خالد / بن يزيد بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فقال فيها:

جاءت بها دُهمُ البغال وشهبها مقنعة في جوفِ حِذَجٍ^(١) مُخَدَّرِ
مقابلةً بين النبيِّ محمد وبين عليٍّ والحَوَارِيَّ وَجَعْفَرِ
منافئةً جادتْ بخالص وُدِّها لعبدٍ منافيٍّ أغرَّ مشهَرِ
قال مصعب: ومن الناس من ينكر تزويجه إياها.

شديد بن شداد يعير عبد الملك بن مروان بخالد

ومما يُثَبِّتُهُ قولُ شديد بن شداد بن عامر بن لقيط بن جابر بن وهيب بن ضباب بن حُجَيْرِ بن عبد بن مَعِيصٍ^(٢) بن عامر بن لؤي لعبد الملك بن مروان هذا يُعَيِّرُهُ^(٣) بخالد في تزويجه بنت الزبير وبنت عبد الله بن جعفر، قال:

٩١ / لا يستوي^(٤) الحَبْلَانِ حَبْلٌ تَلَبَّسَتْ^(٥) قُوءُهُ وَحَبْلٌ قَدْ أَمِرَ شَدِيدُ
عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ ففِي خَالِدٍ عَمَّا تُرِيدُ صُدُودُ
إِذَا مَا نَظَرْنَا فِي مَنَاكِحِ خَالِدٍ عَرَفْنَا الَّذِي يَهْوَى وَحَيْثُ يُرِيدُ

خالد يشكو الوليد إلى أبيه عبد الملك

[٣٤٨/١٧] أخبرنا الطوسي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني مصعب بن عثمان، قال: دخل عبد الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد، فقال: لقد هممتُ اليومَ بقتلِ الوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بشْ ما هممتَ به في ابنِ أمير المؤمنين ووليِّ عهد المسلمين، قال: إنه لقي خيلي فنفرها، وتلاعب بها، فقال له خالد: أنا أكفيكه إن شاء الله. فدخل خالد على عبد الملك، وعنده الوليد، فقال له: يا أمير المؤمنين؛ إن وليَّ عهد المسلمين الوليد ابن أمير المؤمنين لقي خيلَ ابنِ عمِّه عبد الله بن يزيد فنفرها وتلاعب بها، فشقَّ ذلك على عبد الله، فنكسَ عبدُ الملك رأسه، وقرع الأرض بِقَضِيبٍ في يده، ثم رفع رأسه إليه، فقال: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٦)، فقال له خالد: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(٧)، فقال له عبد الملك: أتكلمني فيه، وقد دخل عليّ لا يقيم لسانه لحنًا، فقال له خالد: يا أمير المؤمنين، أفعلى الوليد تعول^(٨) في اللحن؟ فقال عبد الملك: إن يكن الوليدُ لحنًا فأخوه سليمان، قال خالد: وإن

(١) الحِذَج، بكسر الحاء: الهودج، مركب من مراكب النساء ليس يرحل ولا هودج. «اللسان» (حذج).

(٢) س: «بغض»، والمثبت يوافق ما في جمهرة الأنساب ١٧٤، ١٧٢ وأنساب قريش ٤٣٥.

(٣) في ف: «يفريه»، والمثبت يوافق ما في أ.

(٤) نسب قريش: «ولا يستوي».

(٥) أ: «حبل تلبست».

(٦) سورة النمل ٣٤.

(٧) سورة الإسراء ١٦.

(٨) كذا في المختار، وهو الوجه. وفي باقي الأصول: «تعول».

يكن عَبْدُ اللَّهِ لَحْنًا فَأَخُوهُ خَالِدٌ، قَالَ الْوَلِيدُ لَخَالِدٍ: أَتَكَلِّمُنِي وَلَسْتَ فِي عِيرٍ وَلَا نَفِيرٍ^(١) قَالَ: أَلَا تَسْمَعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَقُولُ هَذَا؟ أَنَا وَاللَّهِ ابْنُ الْعِيرِ وَالنَّفِيرِ، سَيِّدُ الْعِيرِ جَدِّي أَبُو سَفْيَانَ، وَسَيِّدُ النَّفِيرِ جَدِّي عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ^(٢)، وَلَكِنْ لَوْ قُلْتُ: حُبَيْلَاتٍ - يَعْنِي حَبْلَةَ الْعِنَبِ^(٣) - وَغُنَيْمَاتٍ وَالطَّائِفَ لَقُلْنَا: صَدَقْتَ، وَرَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ!

هَذَا آخِرُ الْحَدِيثِ. قَالَ مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ: يَعْبُرُهُ بِأَمِّ مَرْوَانَ، وَأَنَّهُ / مِنْ الطَّائِفِ، وَيُعْبَرُهُ بِالْحَكَمِ، وَأَنَّ [١٧/٤٩] رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَدَهُ إِلَى الطَّائِفِ، وَتَرَحَّمَ عَلَى عُثْمَانَ لِرَدِّهِ إِيَّاهُ.

حماقة معاوية بن مروان

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخِرَازِيُّ، عَنْ الْمَدَائِنِيِّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ أَيُّوبَ:

أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ مَرْوَانَ كَانَ ضَعِيفًا، فَقَالَ لَهُ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ: يَا أَبَا الْمَغِيرَةِ! مَا الَّذِي هَوَّنَكَ عَلَى أَخِيكَ فَلَا يُولِيكَ وَلَايَةً^(٤)، قَالَ: لَوْ أَرَدْتُ لَفَعَلْتُ، قَالَ: كَلَّا، قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: فَسَلِّهِ أَنْ يُولِيكَ بَيْتَ لَهْيَا^(٥)، قَالَ: نَعَمْ.

فَعَدَا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَلَسْتُ أَخَاكَ؟ قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، إِنَّكَ لِأَخِي وَشَقِيقِي، قَالَ: فَوَلَّنِي بَيْتَ لَهْيَا، قَالَ: مَتَى عَهْدُكَ بِخَالِدٍ؟ قَالَ: عَشِيَّةَ أَمْسٍ، قَالَ: إِيَّاكَ أَنْ تَكَلِّمَهُ.

وَدَخَلَ خَالِدٌ فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا الْمَغِيرَةِ؟ قَالَ: قَدْ نَهَانَا هَذَا عَنْ كَلَامِكَ، فَغَلَبَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ الضُّحْكَ، فَقَامَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ.

قَالَ: وَأَفَلْتُ لِمَعَاوِيَةَ هَذَا بَازٍ فَصَاحَ: أَغْلِقُوا أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ لَا يَخْرُجْ، قَالَ: وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَنْتَ الشَّرِيفُ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَابْنُ عَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ، وَأَتُكُّ عَائِشَةَ بِنْتَ مَعَاوِيَةَ، قَالَ: فَأَنَا إِذَا مُرِدَّدٌ فِي بَنِي اللَّحْنَاءِ تَرْدَادًا^(٦).

خَالِدٌ يَتَعَصَّبُ لِكَلْبٍ عَلَى قَيْسٍ

أَخْبَرَنِي الطُّوسِيُّ، عَنْ الزَّيْبِرِيِّ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: كَانَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ / يَتَعَصَّبُ لِكَلْبٍ عَلَى قَيْسٍ فِي الْحَرْبِ الَّتِي ٥٠/١٧ كانت بينهم؛ لِأَنَّ كَلْبًا أَخُوًّا لِأَبِيهِ يَزِيدَ، وَأَخُوًّا لِرَجُلِهِ، فَقَالَ شَاعِرُ قَيْسٍ:

<p>٩٢ ١٦</p>	<p>مِنَّا الْقُلُوبَ وَضَاقَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ جَهْلًا وَتَمَنَعَهُمْ مَنَّا إِذَا قَتَلُوا وَلَا تَبْرَكَ مِنْ نَكَرَائِهِ الْإِبْسَلُ</p>	<p>/ يا خَالِدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ قَدْ قَرَحْتُ^(٧) أَلَسْتُ تَأْمُرُ كَلْبًا أَنْ تَقَاتِلَنَا هَإِنْ ذَا لَا يُقِرُّ الطَّيْرُ سَاكِنَةً</p>
------------------	---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

(١) لَيْسَ فِي عِيرٍ وَلَا نَفِيرٍ، أَيُّ لَيْسَ شَيْئًا يَعْتَدُ بِهِ.

(٢) فِي ف: «جَدِّي عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ صَاحِبُ النَّفِيرِ، وَأَبِي أَبُو سَفْيَانَ صَاحِبُ الْعِيرِ».

(٣) الْحَبْلُ: شَجَرُ الْعِنَبِ، وَاحِدُهُ حَبْلَةٌ.

(٤) فِي الْمَخْتَارِ: «مَا أَهَوَّنَكَ عَلَى أَخِيكَ؟ أَلَا يُولِيكَ وَلَايَةً».

(٥) بَيْتُ لَهْيَا، قَرْيَةٌ مَشْهُورَةٌ بِغَوَاطِ دِمَشْقَ (الْبُلْدَانِ).

(٦) ف: «تَرْدِيدًا».

(٧) كَذَا فِي ف، وَفِي أ، ب، ج: «قَدَحْتُ».

/ صوت

[٣٥١/١٧]

خَفَسٌ دَسَسَنَ إِلَيَّ فِي لَطْفٍ حُورُ الْعَيُونِ نَوَاعِمُ زُهْرُ
 فطَرَقَتْهُنَّ مَعَ الْجَرِيِّ^(١) وَقَدْ نَامَ الرَّقِيبُ وَحَلَّقَ النَّسْرُ
 عروضه من الكامل. الشعر للأحوص، والغناء لمعبد، رمل بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق.



مركز بحوث المخطوطات الإسلامية

(١) الجري: الرسول، وهو الخادم أيضاً.

[٣٥٢/١٧]

/ [خبر للأحوص]

نسوة من أهل المدينة يعقدن له مجلساً، فيقول في ذلك شعراً
أخبرني حرمي^(١) بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: أخبرني إبراهيم بن عبد الرحمن، قال:
حدثني إسماعيل بن محمد المخزومي، قال:

اجتمع نسوة عند امرأة من أهل المدينة فقلن: أرسلني إلى الأحوص، فإننا نحب أن نتحدث معه ونسمع من
شعره، فقالت لهن: إذا لا يزيدكن على أن يخرج إذا عرفكن، فيشهركن وينظم الشعر فيكن، فلم يزلن بها حتى
أرسلت إليه رسولا يذكر له أمرهن ولا يسميهن، ويقول له أن يأتيهن مخمر الرأس، ففعل، وتحدث معهن
وأنشدهن. فلما أراد الخروج وضع يده في ثور^(٢) بين أيديهن فيه خلوق، فغطى رأسه، وخرج ووضع يده على
الباب، ثم تفقد الموضع الذي كان فيه، فغدا إليه، وطاف حتى وجد أثر يده في الباب، فقال:

خَمْسٌ دَسَسْنَ إِلَيَّ فِي لَطْفٍ	حَوْرُ الْعَيُونِ نَوَاعِمُ زَهْرُ
فَطَرَقْتُهُنَّ مَعَ الْجَرِيِّ وَقَدْ	نَامَ الرَّقِيبُ وَخَلَقَ النُّسْرُ
مُسْتَبْطِنًا ^(٣) لِلْحَيِّ إِذْ قَرَعُوا	عَضْبًا يَلُوحُ بِمَتْنِهِ أَثَرُ
/ فَعَكْفَنَ لَيْلَتُهُنَّ نَاعِمَةً	ثُمَّ اسْتَفَقْنَ ^(٤) وَقَدْ بَدَا الْفَجْرُ
بِأَشْمَ مَعْسُولٍ فَكَاهْتَهُ	غَضَّ الشَّبَابُ رِداؤَهُ غَمْرُ ^(٥)
رَزَنٍ بَعِيدِ الصَّوْتِ ^(٦) مُشْتَهَرٍ	جِيتَ لَهُ جَوْبُ ^(٧) الرَّحَى عَمُرُو
قَامَتْ تَخَاصُّرُهُ لِكَلَّتِهَا	تَمْشِي تَأَوَّدُ غَادَةَ بَكْرُ
فَتَنَازَعَا مِنْ دُونِ نِسَوْتِهَا	كَلِمًا يَسُرُّ كَأَنَّهُ سِخْرُ
كُلٌّ يَرَى أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ	فِي كُلِّ غَايَةٍ صَبُوءٌ عُذْرُ
سَيِّفَانَةٌ أَمْرُ الشَّبَابِ بِهَا	رَقْرَاقَةٌ لَمْ يُثْلِهَا الدَّهْرُ
حَتَّى إِذَا أَبْدَى هَوَاهُ لَهَا	وَبَدَا هَوَاهَا مَالَهُ سِثْرُ

[٣٥٣/١٧]

(١) ف: «الحرمي».

(٢) التور: إناء.

(٣) كذا في ج، ف، وفي أ، ب: مستبطنًا.

(٤) ف: «ثم افترقن».

(٥) الغمر من الشياب: الواسع.

(٦) كذا في أ، ب، ف، وفي ح: «بعيد الصوت».

(٧) كذا في ف، ح، وفي أ، ب: «جيب الرحى».

سَفَرْتُ وَمَا سَفَرْتُ لِمَعْرِفَةٍ^(١) وَجَهًا أَغْرَكَائُهُ الْبَسْدُ

قال إسماعيل^(٢) بن محمد: فخرجت وأنا شاب ومعي شاب نريد مسجد رسول الله ﷺ، فذكرنا حديث الأحوص وشعره، وقدامنا عجوز عليها بقايا من الجمال، فلما بلغنا المسجد وقفت علينا والتفت إلينا، وقالت: يا فتيان، أنا والله إحدى الخمس، كذب ورب هذا القبر والمنبر ما خلثت معه واحدة منا، ولا راجعته دون نسوتها كلاماً.

رواية أخرى في سبب قوله هذا الشعر

قال الزبير: / وحدثني غير إبراهيم بن عبد الرحمن:

٩٣
١٦

أن نسوة من أهل المدينة نذرن مشياً إلى قباء^(٣) وصلاة فيه، فخرجن ليلاً، فطال عليهن الليل فبنمن، فجاءهن الأحوص متكئة على عرجون / بن طاب^(٤)، فتحدثت معهن حتى أصبح، ثم انصرف وانصرفن، فقال قصيدته:

خمس دَسَسَنَ إِلَيَّ فِي لَطْفٍ حَوْرُ الْعُيُونِ نَوَاعِمُ زَهْرُ

وحدثني عمي، عن أبيه، قال: قال حبيب بن ثابت:

صَدَرْتُ إِلَى الْعَقِيقِ، فَخَلَا لِي الطَّرِيقُ، فَأَنْشَدْتُ أَبْيَاتَ الْأَحْوَصِ هَذِهِ، وَعَجُوزٌ سَوْدَاءُ قَاعِدَةٌ نَاحِيَةً تَسْمَعُ مَا أَقُولُ وَلَا أَشْعُرُ بِهَا، فَقَالَتْ: كَذَبَ وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي، إِنَّ سَيْفَهُ لَيَلْتَنُذُ لِعَرْجُونِ ابْنِ طَابٍ يَتَحَضَّرُ بِهِ، وَإِنِّي لِرَسُولِهِنَّ إِلَيْهِ.

قال الزبير: وحدثني عمي، عن أبيه، عن الزبير^(٥) بن حبيب، قال: كنت أنشد قول الأحوص:

* خمس دَسَسَنَ إِلَيَّ فِي لَطْفٍ *

قال: فإذا نسوة فيهن عجوز سوداء، فأقبلن على العجوز، فقلن لها: لمن هذا الشعر؟ قالت: للأحوص، فقلت^(٦): للأحوص لعمري، فقالت لهن: أنا والله الجري، خرج نسوة يصلين في مسجد قباء، ثم تحدثن في رغبة المسجد، في ليلة مقمرة، فقلن: لو كان عندنا الأحوص! فخرجت حتى أتيتها، وهو متخضر بعرجون ابن طاب، فتحدثت معهن حتى دنا الصبح، فقلن له: لا تذكر خبرنا، ولا تذكر إليه خيراً، قال: قد فعلت، وأنشدتهن تلك الساعة من الليلة تلك الأبيات، ثم استمرت بأفواه الناس تغني:

* خمس دَسَسَنَ إِلَيَّ فِي لَطْفٍ *

الأبيات كلها، والله ما قامت مع امرأة ولا كان بينه وبين واحدة منهن سر^(٧).

(١) ف: «بمعرفة».

(٢) كذا في ف، وفي باقي النسخ: «محمد بن إسماعيل».

(٣) أي مسجد قباء.

(٤) ابن طاب: جنس من تمر المدينة، المضاف والمنسوب. وفي ف: «بعرجون مرطاب».

(٥) كذا في النسخ، وتأمل السند السابق.

(٦) في ج، ف: «فقلن».

(٧) ف: «ستر».

القصيدة

يَابْنَةَ الْجُودِيِّ قَلْبِي كَتِيبٌ مُنْتَهَامٌ عِنْدَهَا مَا يُنِيبُ^(١)
 وَلَقَدْ قَالُوا^(٢) فَقُلْتُ: دَعُوها إِنَّ مَنْ تَنَهَّوْنَ عَنْهُ حَيِّبٌ
 إِنَّمَا أَبْلَى عِظَامِي وَجَنَمِي حُبُّهَا، وَالْحَسْبُ شَيْءٌ عَجِيبٌ

عروضه من الرمل. الشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والغناء لمعبد، ثقیل أول بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق، وفيه لمالك خفيف ثقیل أول بالخنصر في مجرى البنصر، عن إسحاق، وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، لم ينسب إسحاق إلى أحد. وذكر أحمد بن يحيى المكي أنه لأبيه يحيى. والله أعلم.



مركز تحقیق ودراسات
 الأدب واللغة العربیة

(١) ف: «ما يشيب».

(٢) المختار: «لاموا».

أذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وخبره وقطة بنت الجودي

[٣٥٦/١]

نسبه

عبد الرحمن بن أبي بكر، واسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله - وكان اسمه في الجاهلية عتيقاً، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله - بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

وكان اسم عبد الرحمن عبد العزى، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمن. وأمه وأُمّ عائشة أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن ^(١) غنم بن مالك بن كنانة بن خزيمة.

٩٤ / / هذا قول الزبير، وعمه. ١٦

وحكى إبراهيم بن موسى أنها بنت عويمر بن عتاب بن دهمان بن الحارث بن غنم. وروى عن محمد بن عبد الرحمن المرواني أنها بنت عامر بن عويمر بن أذينة بن سبيع بن الحارث بن دهمان بن غنم بن مالك بن كنانة.

له صحبة بالنبي ﷺ

ولعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه صحبة بالنبي ﷺ، ولم يهاجر مع أبيه صغراً عن ذلك، فبقي بمكانه؛ ثم خرج قبل الفتح مع فتية من قريش. وقيل: بل كان إسلامه في يوم الفتح وإسلام معاوية بن أبي سفيان في وقت واحد غير مدفوع. انتهى.

٣٥٧/١ / أخبرني الطوسي وحرمي ^(٢) بن أبي العلاء، قالاً: حدثنا الزبير، قال: حدثني إبراهيم بن حمزة، عن سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان: أن عبد الرحمن بن أبي بكر خرج في فتية من قريش مهاجراً إلى النبي ﷺ قبل الفتح، قال: وأحسبه قال: إن معاوية كان معهم ^(٣).

موقفه من أخذ البيعة ليزيد بن معاوية

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب قال:

(١) ف: «بن عثمان»، والمثبت يوافق ما في نسب قريش وباقي النسخ.

(٢) ف: «والحرمي».

(٣) ف: «معه».

وقف مُحَكَّمِ الْيَمَامَةِ عَلَى ثُلْمَةٍ^(١) فحماها فلم يَجْزُ عليه^(٢) أَحَدٌ، فرماه عبد الرحمن بن أبي بكر فقتله - وكان أَحَدَ الرُّمَاهِ - فدخل المسلمون من تلك الثُّلْمَةِ، وهو المخاطبُ لِمَرْوَانَ يَوْمَ دَعَا إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ، والقائل: إِنَّمَا تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوهَا كِسْرَوِيَّةَ أَوْ هِرَقْلِيَّةَ، كلما هلك كسرى أو هرقل مَلِكُ كِسْرَى أَوْ هِرَقْلَ، فقال مروان: أَيُّهَا النَّاسُ، هذا الَّذِي قَالَ لَوَالِدِيهِ: أَفَّ لَكُمَْا أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي، فصاحت به عائشة: أَلَعَبْدُ الرَّحْمَنِ تَقُولُ هَذَا؟ كَذَبْتَ وَاللَّهِ، ما هو به، ولو شئتَ أَنْ أُسَمِّي مَنْ أَنْزَلَتْ فِيهِ لِسْمِيَّتُهُ، ولكن أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ أَبَاكَ، وَأَنْتَ فِي صُلْبِهِ، فَأَنْتَ فَضَضُ^(٣) مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ.

حدثنا بذلك أحمد بن الجَعْدِ، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا وهب بن جرير، عن جُوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ، وفي غير رواية: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهُ: يَا مَرْوَانُ؛ أَفِينَا تَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ، وَإِلَيْنَا تَسُوِّقُ اللَّعْنَ؟ / وَاللَّهِ لَا قَوْمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِكَ مَقَامًا تَوَدُّ أَنِّي لَمْ أَقْمُهُ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتَرَضَّاهَا وَاسْتَعْفَاهَا، وحلف ألا يصلي [١٧/٨٨] بالناس أو تؤمُّه، ففعلت.

شعره في ليلى بنت الجودي

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عُمر بن شُبَّةَ، قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله^(٤) بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. وأخبرني الطوسي، قال: حدثنا الزُّبَيْرُ، قال: حدثنا محمد بن الضحَّاك، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال:

استهيم عبد الرحمن بن أبي بكر بليلى بنت الجودي بن عدي بن عمرو بن أبي عمرو الغساني، فقال فيها^(٥):

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى ^(٦) وَالسَّمَاءُ دُونَهَا	وَمَا لَابَنَةُ الْجُودِيِّ لَيْلَى وَمَالِيَا
وَأَنْتَى تُعَاطِي قَلْبَهُ حَارِثِيَّةَ ^(٧)	تَحُلُّ بِبُضْرَى أَوْ تَحُلُّ الْجَوَائِيَا ^(٨)
وَكَيْفَ يُتَلَقَّيْهَا، بَلَى، وَلَعَلَّهَا	إِذَا النَّاسُ حَجَّوْا قَابِلًا أَنْ تَلَاقِيَا ^(٩)

قال أبو زيد: وقال فيها:

يَابَنَةُ الْجُودِيِّ قَلْبِي كَثِيبٌ	مُسْتَهَامٌ عِنْدَهَا مَا يُتِيبُ
---------------------------------------	-----------------------------------

(١) الثلثة: فرجة المكسور والمهدوم.

(٢) ف: «فلم يعجز عليها».

(٣) قال في القاموس: أنت فضض من لعنة الله، ويروى: فضض، كمنق وخراب، أي قطعة منها.

(٤) ف: «عن عبد الرحمن».

(٥) الأبيات في نسب قريش ٢٧٦، والبيت الأول في الإصابة ٤: ٣٩٠، وانظر نسب قريش.

(٦) في نسب قريش: «تذكر ليلي».

(٧) نسب قريش: «... ذكرها حارثية».

(٨) كذا في ف وفي أ، ج، ب: «الحوانيا»، والمثبت يوافق ما في نسب قريش.

(٩) في نسب قريش:

قَابِلًا أَنْ تَلَاقِيَا

وَأَنْتَى تَلَاقِيَهَا

جاوزتُ أخوالها حَيَّ عَكُّ فَلَعَكُ^(١) مَسْنِ فِسْوَادِي نَصِيبِ

/ وقد ذكرنا باقي الأبيات فيما تقدم.

قال الزُّبَيْرُ في خبره:

وكان قدم في تجارة، فرآها هناك على طُنْفَسَة حولها ولآئد، فأعجبت.

وقال أبو زَيْد في خبره: فقال له عُمر: ما لك ولها يا عبدَ الرحمن! فقال: والله ما رأيْتُها قط إلا ليلة في بيت المقدس في جَوَارٍ ونساء يَتَهَادَيْنَ، فإذا عثرت إحداهنَّ قالت: يا بنة الجودي، فإذا حلفت إحداهنَّ حلفت بابنة الجودي.

عمر يأمر بأن تكون ليلي لعبد الرحمن إذا فتحت دمشق

فكتب عُمر إلى صاحب الثَّغَر الذي هي به: إذا فتح الله عليكم دمشق فقد غنمت عبد الرحمن بن أبي بكر ليلي بنت الجودي. فلما فتح الله عليهم غنموه إياها.

قالت عائشة: فكنْتُ أكلّمه فيما يصنَعُ بها، فيقول: يا أُخَيَّة، دَعِينِي، فوالله لكأنِّي أرشف^(٢) من ثَنَائِها حَبَّ الرمان. ثم ملأها^(٣) وهانَتْ عليه، فكنْتُ أكلّمه فيما يُسِيءُ إليها كما كنْتُ أكلّمه في الإحسان إليها، فكان إحسانه أن ردّها إلى أهلها.

يردها إلى أهلها

قال الشيخ في خبره:

فقالت له عائشة: يا عبد الرحمن لقد أحبيّت ليلي فأفرطت، وأبغضت ليلي فأفرطت، فإذا أن تنصفها، وإما أن تجهّزها إلى أهلها؛ فجهّزها إلى أهلها.

ليلى بنت ملك دمشق

قال الزُّبَيْرُ: وحدثني عبد الله بن نافع الصائغ: عن هشام بن عروة، عن أبيه:

أن عمر بن الخطاب نقلَ عبدَ الرحمن بن أبي بكر بنت الجودي، حين فتح دمشق، وكانت بنت ملك دمشق.

/ روايتان أخريان في أمر عبد الرحمن مع ليلي

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عُمر بن شَبَّة، قال: حدثنا الصَّلْت بن مسعود، قال: حدثنا محمد^(٤) بن شيرويه، عن سليمان بن صالح، قال: قرأت على عبد الله بن المبارك، عن مصعب بن ثابت، عن عبد الله بن الزُّبَيْر، عن عائشة بنت مصعب، عن عروة بن الزُّبَيْر، قال: كانت ليلي بنت الجودي بنت ملك من مُلُوكِ الشام، فَشَبَّ بها عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان قد رآها فيما تقدم بالشام، فلما فتح الله عزَّ وجلَّ على

(١) ب، والمختار: أخوالها حي عكل فلعكل... .

(٢) ف: «أرشف».

(٣) كذا في ب، وفي أ، ف، جـ: «بذل لها».

(٤) كذا في أ، ب، وفي جـ، ف: «أحمد».

المسلمين، وقتلوا أباهما أصابوها، فقال المسلمون لأبي بكر: يا خليفة رسول الله! أعط هذه الجارية عبد الرحمن، فقد سلمناها له، قال أبو بكر: أكلكم^(١) على هذا؟ قالوا: نعم، فأعطاه إياها، وكان لها بساط في بلدها لا تذهب إلى الكنيف ولا إلى الحاجة إلا بسط لها، ورُمي بين يديها برمانتين من ذهب تتلهى بهما في طريقها. فكان عبد الرحمن إذا خرج من عندها، ثم رجع إليها رأى في عينيها أثر البكاء، فيقول: ما يُيكيك؟ اختاري خصالاً أيها شئت فعلت بك: إما أن أعتقك وأنكحك، فتقول: لا أشتهيه، وإن شئت ردّدتك على قومك، قالت: ولا أريد، وإن أُخِبت ردّدتك على المسلمين، قالت: لا أريد، قال: فأخبريني ما يُيكيك؟ قالت: أبكي الملك من يوم^(٢) البؤس.

أخبرني أحمد، قال: حدثني أبو زيد، قال: حدثني هارون بن إبراهيم بن معروف، قال: حدثني حمزة بن ربيعة، عن العلاء بن هارون، عن / عبد الله بن عون^(٣)، عن يحيى بن يحيى الغساني: أن عبد الرحمن قدم على يعلّى بن مُنبّه، وهو على اليمن، فوجدها في السبي، فسأله أن يدفعها إليه.

شعر آخر له في ليلي

أخبرني أحمد، قال: حدثنا عمر، قال:

كتب إليّ محمد بن زياد بن عبيد الله يذكر أن عبد الرحمن قال فيها:

فلما تُصبحي بعد اقتراب
بسلع أو ثيابات الوداع
فلم ألفتك من شبع ولكن
لأقضي حاجة النفس الشعاع^(٤)
/ كأن جوائح الأضلاع مني
بُعِدَ النوم مُبْطَنة البراع

عائشة تراثيه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا عبد الله بن لاحق، عن^(٥) أبي مليكة، قال:

مات عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه بالحُبَيْثِي - جَبَل من مَكَّة على أُمَيَّال^(٦) - فحُمِلَ فُدُنَ بِمَكَّة، فقدمت عائشة فوَقَّفت على قبره، ثم قالت^(٧):

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيمَةً حَقْبَةً
من الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَن يَنْصَدَعَا
فلما تفسرَفْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا
لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ حَضَرْتُكَ لَدَفَنْتُكَ حَيْثُ مِتَّ، وَلَوْ شَهِدْتُكَ لَزَرْتُكَ^(٨).

(١) كذا في ف وهو الوجه، وفي أ، ب: «أكلكم».

(٢) ف: «أبكي للملك في يوم البؤس».

(٣) ف: «عوف».

(٤) نفس شعاع: متفرقة، وقد ورد هذا البيت في «اللسان» (شعاع) منسوباً إلى قيس بن ذريح، وفيه: «أقضي».

(٥) في ف: «لاحق بن أبي مليكة».

(٦) في البلدان: «جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك».

(٧) البلدان (حبشي).

(٨) أ، ف: «ما زرتك»، وفي المختار: «لما زرتك».

/ بصوت

أَمَاوِيَّ إِنَّ الْمَالَ غَاذٍ وَرَائِحٌ وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذُّكُورُ^(١)
 وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ أَمْسَى لَهُ وَفَرُ^(٢)
 أَمَاوِيَّ إِنَّ يُضْبِخَ صَدَائِي بِقَفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ لَا مَاءَ لَدَيَّ وَلَا خَمْرُ
 تَرَيَّ أَنَّ مَا أَنْفَقْتُ لَمْ يَكُ ضَائِرِي وَأَنَّ يَدَيَّ مِمَّا بَخِلْتُ بِهِ صِفْرُ

عروضه من الطويل.

الثراء: الكثرة في المال، وفي عدد القوم أيضاً. والوفور: الغنى، ووفور المال. والصَّدى ها هنا: كان أهل الجاهلية يذكرون أنَّ طائراً يخرج من جسم الإنسان أو من رأسه، فإذا قُتل أقبل يُصَوِّتُ على قبره، حتى يُذَرَّكَ بثأره. والصَّفْر: الخالي. والصدى: العطش، والصدى: ما يجيب إذا صَوِّت في المكان الخالي. وصدا الحديد مهموز. الشعر لحاتم الطائي. والغناء لإسحاق، رَمَل بالسبابة في مجرى البنصر. وذكر الهشامي أنَّ فيه ثقيلاً أول، ولمالك خفيفاً، وذكر حَبَش أنَّ فيه لابن سُرَيْج ثاني ثَقِيل بالوسطى، وذكر عَمْرُو بن بَانَّة أنَّ فيه لابن جامع خفيف رَمَل بالوسطى.



مركز تحقيقات كتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

(١) ديوان حاتم ١٩.

(٢) الديوان: «كان له وفر».

/ أخبار حاتم ونسبه

نسبه

ذكر ابن الأعرابي، عن المفضل^(١)، والأثرم، عن أبي عمرو الشيباني، وابن الكلبي، عن أبيه والسكري، عن يعقوب بن السكيت:

أنه حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم، واسمه هزومة بن ربيعة بن جزل بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيس.

وقال يعقوب بن السكيت: إنما سمي هزومة؛ لأنه شَجَّ أو شَجَّ؛ وإنما سمي طيساً - واسمه جُلْهُمة - لأنه أول مَنْ طَوَى المناهل^(٢)، وهو ابن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ويكنى حاتم أبا سَفَانة^(٣)، وأبا عدي؛ كني بذلك بابنته سَفَانة، وهي أكبر ولده، وبابنته عدي بن حاتم. وقد أدركت سَفَانة وعدي الإسلام فأسلما، وأُتي بسَفَانة النبي ﷺ في أسرى طيس فَمَنَّ عليها.

علي يروي خبر لقاء ابنته بالنبي ﷺ

أخبرني بذلك أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني عبد الله بن عمرو^(٤) بن أبي سعد، قال: حدثني سليمان بن الربيع بن هشام الكوفي - ووجدته في بعض نسخ الكوفيين: عن سليمان بن الربيع - أتم من هذا فنسخته وجمعتهما. / قال: حدثنا عبد الحميد بن صالح الموصلي البرجمي، قال: حدثنا زكريا بن عبد الله بن يزيد^{٩٧/١٦} الصهباني، عن أبيه، عن كُمَيْل^(٥) بن زياد النخعي، عن علي عليه السلام، قال:

/ يا سبحان الله! ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير! عجبْتُ لرجلٍ يَجِئُهُ أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير^{٦٤/١٧} أهلاً، فلو كنّا لا نرجو جنّة، ولا نخاف ناراً، ولا ننتظر ثواباً، ولا نخشى عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق؛ فإنها تدلُّ على سبيل النجاة.

فقام رجلٌ، فقال: فذاك أبي وأمي يا أمير المؤمنين، أسمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وما هو خير منه؛ لما أتينا بسبيّاً طيساً كانت في النساء جارية حمّاء^(٦) حَوَراء العَيْنَيْنِ، لَعَسَاءَ لَمَيَاءَ عَيْطَاءَ^(٧) شَمَاءَ الأنف، معتدلة

(١) ب: «ابن المفضل»، والمثبت يوافق ما في أ، ف.

(٢) ف: «المنازل».

(٣) سَفَانة بنته، وأصل السَفَانة اللؤلؤة، كما في «القاموس».

(٤) ف: «عمير».

(٥) أ، ب، ج: «كهيل»؛ والمثبت من ف، وهو يوافق ما في الإكمال ٢٢٩، والاشتقاق ٤٠٤.

(٦) أ، ج: «جماء»؛ وحماء: بيضاء.

(٧) اللعس، محرّكة: سواء مستحسن في الشفة. واللمى: سمرة في الشفة؛ والعيط، بالتحريك: طول العنق.

القامة، دَرَمَاء^(١) الكعبيين، خدلجة الساقين، لقاء الفخذين، خمبصة الخصر، ضامرة الكشحين، مصقولة المثنين. فلما رأيتها أعجبت بها، فقلت: لأطلبنها إلى رسول الله ﷺ ليجعلها من فيني. فلما تكلمت أنسيث جمالها؛ لما سمعت من فصاحتها، فقالت:

يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد؛ فإن رأيت أن تُخلّي عني، فلا تُشمت بي أحياء العرب؛ فإني بنتُ سيد قومي، كان أبي يَفُكُّ العاني، ويَحْمِي الذمار، ويَقْرِي الضيف، ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يَرُدْ طالب حاجة قط؛ أنا بنتُ حاتم طيء.

فقال لها رسول الله ﷺ: يا جارية، هذه صفة المؤمن، / لو كان أبوك إسلامياً لترحمننا عليه، خلّوا عنها؛ فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق^(٢).

نسب أم حاتم

وأم حاتم عتبة^(٣) بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم. وكانت في الجود بمنزلة حاتم، لا تدخر شيئاً ولا يسألها أحد شيئاً فتمنعه.

بلغ من سخائها أن حجر عليها إختوها

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا الحرمازي^(٤)، عن العباسي بن هشام، عن أبيه، قال: كانت عتبة بنت عفيف، وهي أم حاتم ذات يسار، وكانت من أشحى الناس، وأقراهم للضيف، وكانت لا تُليق^(٥) شيئاً تملكه. فلما رأى إختوها إتلافها حَجَرُوا عليها، ومنعوها مالها، فمكثت دهرًا لا يُدفع إليها شيء منه، حتى إذا ظلوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صِرْمَةً^(٦) من إبلها، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها في كل سنة تسألها، فقالت لها: دُونَكَ هذه الصِرْمَةُ فُخْذِيها، فوالله لقد عَضَنِي^(٧) من الجُوع ما لا أَمْنَعُ منه سائلاً أبداً، ثم أنشأت تقول^(٨):

من شعرها وقد سألتها امرأة من هوازن:

لَعَمْرِي لَقَدْ مَأَّ عَضَنِي الْجُوعُ عَضَّةً
فَقُولاً لِهَذَا اللَّائِمِي الْيَوْمَ: أَعْفَنِي
فَمَاذَا عَسَاكُمْ أَنْ تَقُولُوا لَأَخْتِكُمْ
فَأَلَيْتُ أَلَّا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جَائِعَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَعَضَّ الْأَصَابِعَا
مِثْلَ عَذْلِكُمْ أَوْ عَذْلٍ مَنْ كَانَ مَانِعَا

(١) أ، ب: «ردماء»، تحريف. وامرأة درماء: لا تستبين كعوبها ومرافقها. وخدلجة: ممثلة.

(٢) سيرة ابن هشام ٤: ٢٧٤.

(٣) في الشعر والشعراء: عتبة. وفي ف: «غنية».

(٤) كذا في ف. وفي الديوان وباقي النسخ: «الجرموزي».

(٥) كذا في ف والديوان وفي أ: «لا تملك»، وفي ب: «لا تمسك».

(٦) الصرمة: القطعة من الإبل ما بين العشر إلى الثلاثين، أو إلى الخمسين والأربعين، أو ما بين العشرة إلى الأربعين، أو ما بين عشرة إلى بضع عشرة. «القاموس».

(٧) ف: مضني.

(٨) ديوانه ٤٢.

/ وماذا تَرَوْنَ^(١) اليومَ إلا طيعةً فكيف بتركي يابنَ أُمِّ الطَّبَّائِعا [٣٦٦/١٧]

سفانة ابنته من أجود نساء العرب

قال ابن الكلبي: وحدثني أبو مسكين قال:

كانت سفانة بنت حاتم من أجود نساء العرب، وكان أبوها يُعطيها الصُرْمَةَ بعد الصُرْمَةِ من إبله، فتنهبا وتُعطيها الناس، فقال لها حاتم: يا بنية، إنَّ القَرِيَّينِ إذا اجتمعوا في المال أتلغاه، فلما أن أعطي وتمسكي، أو أمسك وتعطي، فإنه لا يبقى على هذا شيء*.

شعره يشبه جوده

قال ابن الأعرابي:

كان حاتم من شعراء العرب، وكان جواداً يُشبه / شعره جوده، ويصدق قوله فعله، وكان حيثما نزل عُرف منزله، وكان مظفراً، إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سُئل وهب، وإذا ضرب بالقداح فاز، وإذا سابق سبق، وإذا أسر أطلق، وكان يقسم بالله ألا يقتل واحداً أمه.

وكان إذا أهلَّ الشهر الأصم^(٢) الذي كانت مضر تعظمه في الجاهلية ينحر في كلِّ يوم عَشْرًا من الإبل، فأطعم الناس واجتمعوا إليه، فكان ممَّن يأتيه من الشعراء الحطيتة، وبشر بن أبي خازم.

فذكروا أن أُمَّ حاتم أُوتِيَتْ وهي حُبْلَى في المنام، فقيل لها: أغلام سمح يقال له: حاتم أحبُّ إليك أم عشرة غِلْمَة كالناس، ليوث ساعة البأس، ليسوا بأوغال ولا أنكاس^(٣)، فقالت: بل حاتم، فولدت حاتماً.

لا يأكل إلا إذا وجد من يأكل معه

فلما ترعرع جعل يُخرج طعامه، فإن وَجَدَ من يأكله معه أكل، وإن لم يجد / طرحه. فلما رأى أبوه أنه يهلك طعامه قال: له الحقُّ بالإبل، فخرج إليها، ووهب له جاريةً وفرساً وفُلُوها^(٤)، فلما أتى الإبلَ طفق يبغي الناس فلا يجدهم، ويأتي الطريق فلا يجد عليه أحداً.

عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والناطقة الذبياني يمتدحونه فيهب لهم إبل جده كلها

فبينما هو كذلك إذ بصر برُكْبٍ على الطريق، فأتاهم فقالوا: يا فتى هل من قرى؟ فقال: تسألوني عن القرى وقد ترون الإبل؟ وكان الذين بصر بهم عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم، والناطقة الذبياني؛ وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثة من الإبل، فقال عبيد: إنما أردنا بالقرى اللبن، وكانت تكفيننا بكرة إذا كنت لا بد متكلفاً لنا شيئاً، فقال حاتم: قد عرفت، ولكني رأيتُ وجوهاً مختلفة، وألواناً متفرقة، فظننت أن البلدان غير واحدة؛ فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها، وذكروا فضله. فقال حاتم: أردت أن

(١) ف: «وما إن ترون»، أ: «وما ترون»، وفي الديوان: «ولا ما ترون إلا... طبائعا».

(٢) قال في «القاموس»: «رجب الأصم، لأنه لا ينادي فيه: «يا فلان! يا صباحاه»!.

(٣) أوغال: جمع غل، وهو الضعيف النذل الساقط المقصر. والأنكاس: جمع نكس، وهو الضعيف المقصر عن غاية الكرم، وفي

ف: «بأوغاد».

(٤) الفلو: المهر إذا فطم.

أحسن إليكم فكان لكم الفضل عليّ، وأنا أعاهدُ الله أن أضربَ عراقيبَ إبلي عن آخرها أو تقدموا^(١) إليها فتقتسموها. ففعلوا، فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً^(٢)، ومضوا على سفرهم إلى النعمان. وإن أبا حاتم سمع بما فعل، فأتاه، فقال له: أين الإبل؟ فقال: يا أبت؛ طَوَّقْتُكُ بها طَوَّقَ الجمامة مجدّ الدهر، وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيتَ شعر أثنى به علينا عَوْضاً من إيلك.

فلما سمع أبوه ذلك قال: أباإبلي فعلتَ ذلك! قال: نعم، قال: والله لا أسألك أبداً. فخرج أبوه بأهله، وترك حاتمًا، ومعه جاريته وفرسه وفلّوها، فقال يذكر تحوّل أبيه عنه^(٣):

[٣٦٨/١٧] / وإنّي لَعَفْتُ الْفَقْرَ مُشْتَرَكِ الْغِنَى
وَشَكَلِي شَكْلٌ لَا يَقُومُ لِمِثْلِهِ
وَأَجْعَلُ مَالِي دُونَ عِرْضِي جُزْءً
وَمَا ضَرَرَنِي أَنْ سَارَ سَعْدٌ بِأَهْلِهِ
سَيَكْفِي ابْتِنَائِي الْمَجْدَ سَعْدُ بْنُ حَشْرَجٍ
وَلِي مَعَ بَذْلِ الْمَالِ فِي الْمَجْدِ صَوْلَةٌ

وَتَارِكِ شَكْلِي^(٤) لَا يُوَافِقُهُ شَكْلِي
مَنْ النَّاسِ إِلَّا كُلُّ ذِي نَيْقَةٍ مِثْلِي^(٥)
لِنَفْسِي وَأَسْتَغْنِي بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِي
وَأَفْرَدَنِي فِي الدَّارِ لَيْسَ مَعِيَ أَهْلِي
وَأَحْمِلُ عَنْكُمْ كُلَّ مَا ضَاعَ مِنْ ثِقَلٍ^(٦)
إِذَا الْحَرْبُ أَبْدَتْ عَنْ نَوَاجِذِ الْعُصَلِ^(٧)

وهذا شعر يدلُّ على أن جدّه صاحب هذه القصة معه لا أنها قصة أبيه. وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت، ووصف أن أبا حاتم هلك وحاتمٌ صغير، فكان في حجر جدّه سعد بن الحشرج، فلما فتح يده بالعطاء وأنهب ماله ضيق عليه جدّه ورحل عنه بأهله، وخلفه في داره، / فقال يعقوب خاصة:

فبينما حاتم يوماً بعد أن أنهب ماله وهو نائم إذ انتبه، وإذا^(٨) حوله مائتا بعير أو نحوها تجول ويحطم بعضها بعضاً، فساقها إلى قومه، فقالوا: يا حاتم، أبقى على نفسك فقد رزقت مالا، ولا تعودنَّ إلى ما كنتَ عليه من الإسراف، قال: فإنها نُهِيَّتْ^(٩) بينكم، فانتبهت، فأنشأ حاتم يقول:

[٣٦٩/١٧] / تَدَارَكْنِي مَجْدِي بِسَفْحِ مَالِي
فَلَا يَيْئَسُنْ ذُو نَوْمَةٍ أَنْ يَغْنَمَا^(١٠)

قال: ولم يزل حاتم على حاله في إطعام الطعام وإنهَاب ماله حتى مضى لسبيله.

حاتم وبنو لام

قال ابن الأعرابي، ويعقوب بن السكيت، وسائر من ذكرنا من الرّواة:

- (١) ف والمختار والديوان ٨٤: «أو تقدموا إليها».
- (٢) ف والديوان والمختار: «تسعة وثلاثين بعيراً».
- (٣) ديوانه ٦.
- (٤) الديوان: «وودك شكل».
- (٥) النيقة، من قولهم: تنيق في مأكله وملبسه: تجود وبالح، كتثوق، والاسم النيقة، بالكسر. وفي الديوان: «إلا كل ذي خلق مثلي».
- (٦) كذا في ف، ج. وفي أ، ب: «من نفل»، وفي الديوان: «ما حل من أزلي»، والأزل: الضيق.
- (٧) النواجذ: أقصى الأضراس، والعصل: المعوجة في صلابه، جمع أعصل، وهو كناية عن اشتداد الحرب.
- (٨) كذا في أ، ب، وفي ف: «ووهبه وهو نائم».
- (٩) النهي: كل ما انتهب.
- (١٠) ديوانه ٥٢، وفي ف: «تداركني جدي».

خرج الحَكَمُ بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس، ومعه عَطْرٌ يريد الحيرة^(١)، وكان بالحيرة سوقٌ يجتمع إليه الناس كل سنة. وكان النعمان بن المنذر قد جعل لِبْنِي لَامَ بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جُدعان بن ذُهَل بن رومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن قطن بن طيسء رُبْع الطريق طُعْمَةً لهم؛ وذلك لأن بنت سعد بن حارثة بن لَامَ كانت عند النعمان، وكانوا أصهاره، فمرَّ الحَكَمُ بن أبي العاصي بحاتم بن عبد الله، فسأله الجواز في أرض طيسء حتى يَصِيرَ إلى الحيرة، فأجاره، ثم أمر حاتم بجزور فَنَحَرَتْ، وطبخت أعضاء، فأكلوا، ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سَعْد بن الحشرج وهو ابن عمه، فلما فرغوا من الطعام طيَّبهم الحَكَمُ من طيبة ذلك. فمرَّ حاتم بسَعْد بن حارثة بن لَامَ، وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان، وحاتم على راحلته، وفرسه تُقَاد، فأتاه بنو لَامَ فوضع حاتم سفرته وقال: اطعموا حيَّاكم الله، فقالوا: مَنْ هؤلاء معك يا حاتم؟ قال: هؤلاء جيرانني، قال له سعد: فَأَنْتَ تُجِيرُ علينا في بلادنا؟ قال له: أنا ابنُ عمِّكم وأحقُّ من لم تخفروا ذمته، فقالوا: لست هناك. وأرادوا أن يفضحوه كما فُضِّحَ عامر بن جُوَيْن^(٢) قبله، فوثبوا إليه، فتناول سعد بن حارثة بن لَامَ / حاتماً، فأهوى له حاتم^[٣٧٠/١٧] بالسيف فاطار أَرْبَةَ أنفه، ووقع الشرُّ حتى تجاوزوا، فقال حاتم في ذلك^(٣):

وَدِدْتُ وَيَّتِ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَنْفَهُ هَوَاءَ فَمَا مَتَّ^(٤) الْمُخَاطُ عَنِ الْعَظْمِ
وَلَكُنَّمَا لَأَقَاهُ سَيْفُ ابْنِ عَمِّهِ فَآبَ وَمَرَّ السَّيْفُ مِنْهُ عَلَى الْخَطْمِ^(٥)

فقالوا لحاتم: بيننا وبينك سوقُ الحيرة فَنُماجِدُكَ^(٦) ونَضِيعُ الرُّهْنِ، ففعلوا، ووضعوا تسعة أفراس هنا على يَدَي رجل من كَلْب يقال له: امرؤ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جَنَاب، وهو جدُّ سَكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما، ووضع حاتم فرسه. حتى خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة، وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائي، فخاف أن يُعينهم النعمان بن المنذر يُقَوِّبهم بماله وسلطانه؛ لِلصُّهْرِ الذي بينهم وبينه، فجمع إياس رَهْطَهُ من بني حية، وقال: يا بني حية، إِنَّ هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مجاده، أي مماجدته^(٧) فقال رجل من بني حية^(٨): عندي مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء أذماء، وقام آخر فقال: عندي عشرة حُصْن، على كل حصانٍ منها فارس مدجج لا يرى منه إلَّا عيناه. وقال حسان بن جبلة^(٩) الخير: قد علمتم أن أبي قد مات وترك كلاً / كثيراً، فعليَّ كلُّ خمرٍ أو لحمٍ أو طعامٍ ما أقاموا في سوق الحيرة. ثم قام إياس فقال: عليّ مثلُ^{١١١}_{١٦} جميع ما أعطيتكم كلكم.

/ قال: وحاتم لا يعلمُ بشيء مما فعلوا، وذهب حاتم إلى مالك بن جبار، ابن عمِّ له بالحيرة كان كثير المال،^[٣٧١/١٧]

(١) ديوان حاتم: «ومعه عير له يزيد العراق».

(٢) ف: «بن حر»، والمثبت يوافق ما في باقي النسخ والديوان.

(٣) ديوانه ٣٠.

(٤) مَتَّ العظم مثلاً: سال ما فيه من الودك.

(٥) الخطم: مقدم الفم والأنف.

(٦) هامش أ: «نماجد القوم فيما بينهم، ومماجدته، أمجده؛ أي غلبته بالمجد».

(٧) أ، ح: «أي بمماجدته».

(٨) ف: «فقام رجل... فقال: عندي».

(٩) ف: «بن حنظلة الخير».

فقال: يا بن عم، أعني على مخايلتي^(١). قال: والمخايلة المفاخرة، ثم أنشد^(٢):

يا مالٍ إحدَى خطوب الذَّهرِ قد طَرَقَتْ يامالٍ ما أَتُّمُّ عنها بزَخْزاح
يامالٍ جاءَتْ حِياضُ الموتِ واردةً من بينِ غَمَرٍ فحُضْنَاهُ وضَخْضاح^(٣)
فقال له مالك: ما كنتُ لأخربَ نفسي ولا عِيالي وأعطيك مالي.

فانصرف عنه، وقال مالك في ذلك قوله:

إنَّا بئو عُمُكم لا أنْ نُباعِلَكم ولا نجاورِكم إلا على نَاح^(٤)
وقد بلَّوْتُك إذ نلَّتَ الثراءَ فلم ألقك بالمالِ إلا غيرَ مرتاح

قال أبو عمرو الشيباني في خبره: ثم أتى حاتم ابن عم له يقال له: وهَم ابن عمرو، وكان حاتم يومئذ مصارماً له لا يكلمه، فقالت له امرأته: أي وهَم، هذا والله أبو سفانة حاتم قد طلع، فقال: ما لنا ولحاتم! أثبتني النظر، فقالت: ها هو، قال: ويحك هو لا يكلمني، فما جاء به إلي؟ فنزل حتى سلَّم عليه وردَّ سلامه وحيَّاه، ثم قال له: ما جاء بك يا حاتم؟ قال: خاطرتُ على حَسْبِكَ وحَسْبِي، قال: في الرُّحْب والسَّعة، هذا مالي - قال: وعدته يومئذ تسعمائة بعير - فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبلُ أو تصيب ما تريد. فقالت امرأته: / يا حاتم، أنت تخرجنا من مَالِنَا، وتفضح صاحبنا - تعني زَوْجها - فقال: اذهبي عنك؛ فوالله ما كان الذي عَمَّكَ ليردني عما قبلي. وقال حاتم^(٥):

إلا أبلغَا وهَمَ بنَ عمرو رسالةً فإنك أنت المرءُ بالخير أجدرُ
رايْتُكَ أدنَى الناسِ منّا قرابةً^(٦) وعَيْتُكَ منهم كنتُ أُحِبُّو وأنصُرُ
إذا ما أتى يومٌ يُفَرِّقُ بيننا بموتٍ فكنن يا وهَمُ ذو يتأخَّرُ
ذو في لغة طيء^(٧): الذي.

قالوا: ثم قال إياس بن قبيصة: احملوني إلى الملك، وكان به نَقْرَس، فحُمِلَ حتى أُدخل عليه، فقال: أنعم صباحاً أبيت اللعن، فقال النعمان: وحيّاك إلهك، فقال إياس: أتمدُّ أختانك بالمال والخيَل، وجعلتُ بني تُعل في قعر الكنانة! أظنُّ أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بِعامر بن جُوَيْن^(٨)، ولم يشعروا^(٩) أن بني حيّة بالبلد؛ فإن شئت والله ناجزناك حتى يشفح الوادي دماً، فليحضروا مجادهم غداً بمجمع العرب. فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه، فقال له النعمان: يا أحلمنا لا تغضب؛ فإنني سأكفيك.

(١) أ: «مخايلتي»، بالياء تحريف.

(٢) ديوانه ٣١.

(٣) ف: «بضحضاح». والغمر: الماء الكثير، والضحضاح: الماء اليسير.

(٤) في «اللسان»: باعل القوم قوماً آخرين مباحلة وبعالاً: تزوج بعضهم إلى بعض. وناح: يريد ناحية.

(٥) ديوان حاتم ٣١.

(٦) ف: «... أدنى الناس مني...».

(٧) ف: «ذو: لغة أهل اليمن: الذي».

(٨) ف: «بن حر».

(٩) ف: «ولا يشعرون».

وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه: انظروا ابن عمكم حاتماً، فأرضوه، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه، وما أطيق بني حية.

/ فخرج بنو لام إلى حاتم فقالوا له: أعرض عن هذا المجاد ندع أزش أنف ابن عمنا، قال: لا والله لا أفعل [٣٧٣/١٧] حتى تتركوا أفراسكم، ويغلب مجادكم. فتركوا أزش أنف أصحابهم وأفراسهم، وقالوا: قبحها الله وأبعدها؛ فإنما هي مقارف^(١)، فعمد إليها حاتم، وأطعمها الناس، وسقاهم الخمر، وقال حاتم في ذلك^(٢):

أَبْلَغُ بَنِي لَامَ فَإِنْ خِيَلَهُمْ / عَقَرَى وَإِنْ مَجَادَهُمْ لَمْ يَمُجِدِ^(٣)
هَإِذَا مَا مَطَرَتْ سَمَاوُكُمْ دَمًا / وَرَفَعَتْ رَأْسَكَ مِثْلَ رَأْسِ الْأَضْيَدِ
لِيَكُونَ جِيرَانِي أَكْأَلًا^(٤) بَيْنَكُمْ / نُحْلًا^(٥) لِكُنْدِي وَسَبِي مَزِيدِ
وَابْنُ الثُّجُودِ إِذَا غَدَا مِتْلَاطِمًا / وَابْنُ الْعُدُورِ ذِي الْعِجَانِ الْأَبْرَدِ^(٦)
وَلِثَابِي عَيْنِي جَذَ مِتْمَاوَاتِ / وَلِلْعَمِظِ أَوْسٌ قَدْ عَوَى لِمَقْلَسِدِ^(٧)
أَبْلَغُ بَنِي تُعَلِّ بِأَنِّي لَمْ أَكُنْ / أَبْدًا لَأَفْعَلَهَا طَوَالَ الْمُشْنَدِ
لَا جُنَّتُهُمْ^(٨) فَلَا وَأَنْتَ صُخْرِي / نَهْبَسًا وَلَمْ تَغْدِرْ بِقَائِمِهِ يَدِي

وخرج حاتم في نفر من أصحابه في حاجة لهم، فسقطوا على عمرو بن أوس بن طريف بن المثنى بن عبد الله بن يشجب بن عبد ود في فضاء من / الأرض، فقال لهم أوس بن حارثة بن لام: لا تعجلوا بقتله؛ فإن أصبحتم وقد أهدق الناس بكم استجرتموه، وإن لم تروا أحداً فقتلتموه. فأصبحوا وقد أهدق الناس بهم، فاستجاروه فأجارهم، فقال حاتم^(٩):

عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ إِذَا أَشْيَاعَهُ غَفَّيْهُوا / فَأَحْرَزُوهُ بِلَا غُرْمٍ وَلَا عَارِ
إِنَّ بَنِي عُبْدٍ وَدٌ كَلَّمَا وَقَعَتْ / إِحْدَى الْهِنَاتِ أَتَوْهَا غَيْرَ أَغْمَارِ

خبر لأبي الخبير عن قبر حاتم

أخبرني أحمد بن محمد البزار الأطروش، عن علي بن حرب، عن هشام بن محمد، عن أبي مسكين جعفر بن المحرز^(١٠) بن الوليد، عن أبيه، قال: قال الوليد جده، وهو مولى لأبي هريرة: سمعت محرز بن أبي هريرة يتحدث، قال:

(١) ف: «مقاريف»، والمقرب من الخيل: غير الأصل.

(٢) ديوانه ٣٢.

(٣) في الديوان: «بلغ بني لام بأن جيادهم... لم يرشد».

(٤) كذا في ف، وفي الديوان:

* ليكون جيرانني كاني بينكم *

(٥) ب، س: «بخلًا»، تصحيف.

(٦) العُدُور: السوء الخلق، والعِجَان: الاست، وفي ف، ج: «الأريد».

(٧) ف: «ولثابت».

(٨) ف: «ولا حيتهم قلاً».

(٩) ديوانه ٦٥.

(١٠) ف: «المحرم».

كان رجل يُقال له أبو الخَيْرِي مَرَّ في نَفَرٍ من قومه بقبر حاتم، وحوله أنصاب متقابلات من حجارة كأنهن نساء نوائح. قال: فنزلوا به، فبات أبو الخَيْرِي ليلته كلها يُنادي: أبا جعفر أقرِ أضيافك. قال: فيقال له: مهلاً؛ ما تُكَلِّم من رَمَّةٍ^(١) بالية! فقال: إِنَّ طَيْثاً يزعمون أنه لم ينزل به أحدٌ^(٢) إلا قرأه.

قال: فلما كان من آخر الليل نام أبو الخَيْرِي، حتى إذا كان في السَّحَر وثب فجعل يصيح: وارحلتاه! فقال له أصحابه: وَيْلَكَ! ما لك! قال: خرج والله حاتم بالسيف وأنا أنظرُ إليه حتى عقر ناقتي، قالوا: كذبت، قال: بلى، فنظروا إلى راحلته فإذا هي مُنْخَزَلَةٌ^(٣) لا تنبعث، فقالوا: قد والله قَرَاكَ. فظَلُّوا يأكلون من لحمها، ثم أَرْدَفُوهُ، فانطلقوا فساروا / ما شاء الله، ثم نظروا إلى راكب فإذا هو عَدِيّ بن حاتم راكباً قارناً جملاً أسود، فلحقهم، فقال: أيكم أبو الخَيْرِي؟ فقالوا: هو هذا، فقال: جاءني أبي في النوم، فذكر لي شَتْمَكَ إياه، وأنه قرى راحلتك لأصحابك^(٤)، وقد قال في ذلك أبياتاً، ورددها حتى حفظتها؛ وهي^(٥):

أَبَا خَيْرِي ^(٦) وَأَنْتَ امْرُؤٌ	ظَلُّومُ الْعَشِيرَةِ شَتَّامُهَا
فَمَاذَا ^(٧) أَرَدْتَ إِلَى رَمَّةٍ	بِبَادِيَةِ صَخْبِ هَامُهَا ^(٨)
تُبَغِّي أَذَاهَا وَإِعْسَارَهَا	وَحَوْلَكَ غَوْثٌ وَأَنْعَامُهَا ^(٩)
وإِنَّا لَنُطْعِمُ أَضْيَافَنَا	مِنَ الْكُومِ بِالسَّيْفِ نَعْتَامُهَا ^(١٠)

وقد أمرني أَنْ أحملك على جَمَلٍ فدونكه، فأخذه وركبه، وذهبوا^(١١).

حاتم يطلق قومه من أسر الحارث بن عمرو

١٠٢ / أغارت^(١٢) طيسء على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شَمِر الجفني، ويقال: هو الحارث بن عمرو، رجل من بني جَفْنَةَ، وَقَتَلُوا ابْنًا لَهُ. وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلن وليسين الدَّرَارِي، فحلف ليقتلن من بني الْغَوْثِ أهل بيت على دَمٍ واحد، فخرج يريد طَيْثاً، فأصاب من بني عَدِيّ بن أَخْزَم سبعين رجلاً^(١٣) رأسهم وَهْمُ بن عمرو من رَهْطِ حاتم - وحاتم يومئذ بالحيرة عند / النعمان - فأصابهم مُقَدِّمات^(١٤) خيله. فلما قدم حاتم الْجَبَلَيْنِ جعلت

(١) الرمة: العظم البالي، وجمعه رمم.

(٢) ف: «لم ينزل به أحد وهو ميت إلا قرأه».

(٣) منخزلة: منقطعة، وفي ف والمختار: «مختزلة».

(٤) ف: «وأنه أقرى راحلتك أصحابك».

(٥) ديوانه ١٨، ١١.

(٦) في الديوان: «أبا الخيري».

(٧) في أ: «ماذا»، والمثبت من ف.

(٨) أ: «بداية صخب هامها»، وفي ف: «بداوية صيحت هامها». وفي الديوان: «بداوية صخب هامها».

(٩) ف والمختار: «عوف وأنعامها».

(١٠) الكوم: جمع كوما؛ وهي الناقة العظيمة السنام.

(١١) في الديوان: «وذهب».

(١٢) ديوانه ١٣.

(١٣) في الديوان: «من أخزم تسعين رجلاً».

(١٤) ف: «معريات»، وفي الديوان: «فأصابهم مقدمات الجند».

المرأة تأتيه بالصبي من ولدها^(١) فتقول: يا حاتم أسر أبو هذا. فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى النعمان^(٢) ومعه ملحان بن حارثة، وكان لا يسافر إلا وهو معه، فقال حاتم^(٣):

ألا إنني قد هاجني الليلة الذكز^(٤) وما ذاك من حب النساء ولا الأشر^(٥)
ولكنه مما أصاب عشييرتي^(٦) وقوسي بأقران حوالئهم الصير^(٧)

الأقران: الحبال. والصير: الحظائر، واحدها صيرة.

ليالي نمشي بين جو ومنطج^(٨) نساوي لنا من كل سائمة جزز
فياليت خبر الناس حيا وميتا يقول لنا خيرا ويغضي الذي اتمرز
فلان كان شرا فالعزاء فلاننا على وقعات الدهر من قبلها صبر^(٩)
سقى الله رب الناس سحبا وديمة جنوب السرة من ماب إلى زغر^(١٠)
بلاد امرىء لا يعرف الذم بيته له المشرب الصافي ولا يطعم الكدر^(١١)
/ تذكرت من وفهم بن عمرو جلادة وجرة مغزاه^(١٢) إذا صارخ^(١٣) بكز
فأبشز وقرأ العين منك فلانني أحيسي كريمة لا ضعيفا ولا حصز

٧/١٧]

فدخل حاتم على النعمان^(١٤) فأنشده، فأعجب به، واستوهبهم منه؛ فوهب له بني امرىء القيس بن عدي، ثم أنزله فأتي بالطعام والخمر، فقال له ملحان: أتشرب الخمر وقومك في الأغلال؟ قم إليه فسله إياهم، فدخل عليه فأنشده^(١٥)

إن امرأ القيس أضحت^(١٦) من صنعتك من عبد شمس - أبيت اللعن - فاصطنعوا
إن عديا^(١٧) إذا ملككت جانبها من أمر غوث على مرأى ومستمع^(١٨)

(٢) في الديوان: «حتى سار إلى الحارث».

(١) في ب، س، أ: «ولديها».

(٣) ديوانه ١٤.

(٤) ف: «الذعر».

(٥) الأشر: المرح.

(٦) في الديوان: «ولكنني مما أصاب».

(٧) س، ب: «الصبر»، بالباء تصحيف.

(٨) س: «جور»، والمثبت من أ، ج، وفي الديوان: «ليالي نمشي بين جو».

(٩) ف: «... بالعزاء... من قبله صبر»، وفي الديوان: «فلان كان شر فالعزاء».

(١٠) س، ب: «من ما أتت إلى ذعر»، والمثبت من ج، ف، والديوان: وهذا البيت والذي بعده في البلدان، قال: زغر، بوزن زفر، وآخره راء مهملة: قرية بمشارف الشام.

(١١) الديوان: «وليس له الكدر».

(١٢) الديوان: «وجرة معناه».

(١٣) في الديوان: «إذا نازح بكر».

(١٤) الديوان: «على الحارث».

(١٥) ديوانه ١٤، ٩٥.

(١٦) كذا في ج، وفي أ، ب: «أضحى».

(١٧) ف: «إن العبد».

(١٨) في البيت إقواء.

أَتَبِغْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَمْرَ صَاحِبِهِمْ^(١) أَهْلِي فِدَاؤُكَ إِنْ ضَرُّوا وَإِنْ نَفَعُوا
لَا تَجْعَلُنَا - أَيْتَ اللَّغْنِ - ضَاحِيَةً^(٢) كَمَعْشَرٍ صُلِمُوا الْآذَانَ أَوْ جُدِعُوا

/ أَوْ كَالْجَنَاحِ إِذَا سُلِّتَ قَوَادِمُهُ صَارَ الْجَنَاحُ لِفَضْلِ الرُّئُوسِ يَتَّبِعُ [٣٧٨/١٧]

فَأُطْلِقَ لَهُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بَنُ عَدِيٍّ بَنُ أَخْزَمٍ، وَبَقِيَ قَيْسُ بْنُ جَحْدَرٍ بَنُ ثَعْلَبَةَ بَنُ عَبْدِ رَضِيٍّ بَنُ مَالِكِ بْنِ
ذُبْيَانَ بَنُ عَمْرٍو بَنُ رَبِيعَةَ بَنُ جَزُولِ الْأَجْنِيِّ^(٣)، وَهُوَ مِنْ لَحْمٍ، وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ، وَهُوَ جَدُّ الطَّرْمَاحِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ
نَقَرِ بْنِ قَيْسِ بْنِ جَحْدَرٍ فَقَالَ لَهُ النِّعْمَانُ: أَفَبَقِيَ^(٤) أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ؟ فَقَالَ حَاتِمٌ^(٥):

فَكَكَّتْ عَدِيًّا كُلَّهَا مِنْ إِسَارِهَا فَافْضُلُ وَشَفَعْنِي بِقَيْسِ بْنِ جَحْدَرٍ
أَبُوهُ أَبِي وَالْأُمَهَاتُ أُمَهَاتُنَا فَأَنْعِمَ فَدَثُكَ الْيَوْمَ نَفْسِي^(٦) وَمَعْشَرِي
/ فَقَالَ: هُوَ لَكَ يَا حَاتِمُ، فَقَالَ حَاتِمٌ^(٧) ١٠٣
١٦

أَبْلَغُ الْحَارِثِ بَنُ عَمْرٍو بَاتِي حَافِظُ الْوُدِّ مُرْصِدُ اللَّثَوَابِ
وَمُجِيبُ دُعَاءِهِ إِنْ دَعَانِي^(٨) عَجَلًا وَاحِدًا وَذَا أَصْحَابِ
إِنَّمَا يَتَنَّا وَيُنْكَ فَاغْلَمُ سَيْرُ تَسْعٍ لِلْعَاجِلِ الْمُثَابِ
فَثَلَاثٌ مِنَ السَّرَاةِ^(٩) إِلَى الْحَلَّةِ لِلْخَيْلِ جَاهِدًا وَالرُّكَّابِ
وَثَلَاثٌ يُورَدْنَ تَيْمَاءَ رَهْوَا وَثَلَاثٌ يُقَرَّبْنَ بِالْأَعْجَابِ
/ فَلِذَا مَا مَرَزْنَ^(١٠) فِي مُسَبْطَرَّةٍ^(١١) فَاجْمَعْ الْخَيْلَ مِثْلَ جَفْنِ الْكِمَابِ [٣٧٩/١٧]

اجْمَعْ: أَرَزَمَ بِهِمْ كَمَا يُرْمَى بِالْكِمَابِ، وَيُقَالُ: إِذَا انْتَصَبَ لَكَ أَمْرٌ فَقَدْ جَمَعَ.

بَيْنَمَا ذَاكَ أَصْبَحَتْ وَهِيَ عَضْدِي مِنْ سَبِيٍّ مَجْمُوعَةٍ وَنَهَابٍ^(١٢)
[عَضْدِي: مَكْسُورَةُ الْأَعْضَاءِ]^(١٣).

لَيْسَتْ شَعْرِي مَتْسَى أَرَى قُبَّةً ذَا تَ قِلَاعٍ لِلْحَارِثِ الْخَرَّابِ

(١) ف: «أبلغ»، وفي الديوان: «إخوتهم».

(٢) كذا في ف والديوان، وفي أ، ب: ضاحكة.

(٣) كذا في ف وهو الوجه، وفي الديوان: «الأجائي».

(٤) انظر الديوان.

(٥) ديوانه ١٥.

(٦) ف: «فدتك السوء نفسي».

(٧) ديوانه ١٥.

(٨) ب: «ومجيب دعاءه أن دعاني». والمثبت رواية أ، ف، والديوان.

(٩) الديوان: «من الشراة».

(١٠) الديوان: «فلذا ما مررت».

(١١) المسبطر: الممتد.

(١٢) في ف: «بين شتى مجموعة ونهَاب».

(١٣) ليس في ف.

يَفْعَالُ^(١) وَذَاكَ مِنْهَا مَحَالٌ
أَيُّهَا الْمُوعَدِي^(٢) فَإِنْ لُبُونِي
حَيْثُ لَا أُرْهَبُ الْجُرَاةَ^(٣) وَحَوْلِي
وَقَالَ حَاتِمٌ أَيْضاً^(٤):

لَمْ تُنْسِي إِطْلَالَ مَاوِيَةَ بِأَسِي
إِذَا غَرَبَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَرَدَّتْهَا
وَلَا الزَّمَنُ الْمَاضِي الَّذِي مِثْلُهُ يُنْسِي
كَمَا يَرُدُّ الظُّمَانُ آتِيَةَ الْخُمْسِ

/ حاتم وماوية بنت عفزر

قال: وكنا عند معاوية^(٥)، فتذاكرنا ملوك العرب، حتى ذكرنا الزبَاءَ^(٦) وابنة عفزر، فقال معاوية: إني لأحب أن أسمع حديث ماوية وحاتم، وماوية بنت عفزر، فقال رجل من القوم: أفلا أحدثك يا أمير المؤمنين؟ فقال: بلى، فقال: إن ماوية بنت عفزر كانت ملكة، وكانت تتزوج مَنْ أرادت، وإنها بعثت غلماناً لها وأمرتهم أن يأتوها بأوسم مَنْ يجدونه بالبحيرة، فجاءوها بحاتم، فقالت له: استقدم إلى الفراش، فقال: حتى أخبرك، وقعد على الباب، وقال: إني أنتظر صاحبين لي، فقالت: دونك استدخل المِجْمَر. فقال: استني^(٧) لم تُعوِّد المِجْمَر، فأرسلها مثلاً. فارتابت منه، وسقته خمراً ليسكر، فجعل يهرقه بالباب فلا تراه تحت الليل، ثم قال: ما أنا بذائق قِرَى ولا قارٍ حتى أنظر ما فعل صاحباي. فقالت: إنا سنرسل إليهما بقري، فقال حاتم: ليس بنافعي شيئاً أو آتيهما. قال: فأتاهما، فقال: أفتكونان عبدين لابنة عفزر، ترعيان غنمها أحب إليكما أم تقتلكما^(٨)؟ فقالا: كل شيء يشبه بعضه بعضاً، وبعض الشر أهون من بعض، فقال حاتم: الرحيل والنجاة. وقال يذكر ابنة عفزر، وأنه ليس بصاحب ربة^(٩):

حَنَنْتُ إِلَى الْأَجْبَالِ أَجْبَالِ طِيءٍ
فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ الطَّرِيقَ أَمَانًا
وَحَنَنْتُ قُلُوصِي^(١٠) أَنْ رَأَتْ سَوَاطِ أَحْمَرًا
وَأَنَا لِمَحْيُو^(١١) رَبْعِنَا إِنْ تَسَّرَا
تُسَامَانُ ضَيْمًا مُسْتَبِينًا فَتَنْظَرَا^(١٢)

(١) أ، ج: «بِقَاع»، وفي ب: «لبقاع» والمثبت من ف والديوان.

(٢) ب، س: «إنها موعدي» والمثبت من أ، ف والديوان.

(٣) كذا في ف، وهو جبل لبني ثعل، وفي أ، ب، ج: «ضباب».

(٤) كذا في أ، ف، والديوان. وفي ج: «الخرابة حولي»؛ وفي ب: «الجراة حولي».

(٥) أ، ف: «ثعلبيون»، والمثبت في الديوان أيضاً.

(٦) ديوانه ١٦.

(٧) ديوانه ٣٣.

(٨) في الديوان: «الزباء ابنة عفزر».

(٩) ج، ف والديوان: «است».

(١٠) ف: أو لتقتلكما.

(١١) ديوانه ٣٤، وفيه: «وابنة عفزر، كانت بالبحيرة، وكان النعمان من يأتيه يريد كرامته أنزله عليها فقال:».

(١٢) في الديوان: «حنت... وجنت جنونا».

(١٣) في الديوان: «... وإنا محيو ربعنا».

(١٤) في الديوان: «فيا أخوينا من جديلة...»، وفي ف: «ضيماً مستعيناً فبكر».

/ فما نكرأه غير أن ابن ملقَط
 وإنني لمزج للمطَيِّ (٢) على السوجَا
 وما زلت أسعى بين نَابٍ ودَارَةٍ
 وحتى حِسْبْتُ الليل والصبح إذ بدا
 لشُعْبٍ من الرِّئَانِ أملكُ بابَه
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ خَطِيبِ رَأَيْتُهُ (٤)
 تنادي إلى جارَاتِهَا: إِنَّ حَاتِمًا
 تَغَيَّرْتُ إِنِّي غَيْرُ آتٍ لِرَبِيَّةٍ (٥)
 فلا تسأليني واسألني أيَّ فارس
 ولا تسأليني واسألني أيَّ فارس (٦)
 فلا هي ما تَرَعَى جَمِيعًا عِشَارُهَا
 متى تَرَنِي أمشي بسيفي وسَطَهَا
 وإنني ليغشى أبعْدُ الحَيِّ جَفَتِي
 / فلا تسأليني (٨) واسألني به صُخْرِي
 وإنني لو هَابَ قُطُوعِي (٩) ونَاقَتِي
 وإنني (١٠) كَأَشْلَاءِ اللَّجَامِ وَلَسَنُ تَرَنِي
 أَخُو (١١) الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضُّهَا
 وإنني إذا ما المَسُوْتُ لَمْ يَكُ دُونَهُ
 متى تَبَغَّ وَدَا مِنْ جَدِيلَةٍ تَلَقَّه
 فإِلَّا يُقَادُونَا جَهَارًا نُؤَلِّقُهُمْ (١٤)

أراه وقد أعطى الظُّلَامَةَ أَوْجَرَ (١)
 وما أنا من خِلَانِكَ ابْنَةَ عَفْزَا
 يَلْخِيَانُ حَتَّى خِفْتُ أَنْ أَتَفْزَرَ
 حِصَانَيْنِ سَيَّالَيْنِ (٣) جَوْنًا وَأَشْقَرَ
 أَنَادِي بِهِ آلَ الْكَبِيرِ وَجَعَفَرَ
 إذا قلتُ معروفاً تَبْدُلُ مُنْكَرًا
 أراه لَعَنَرِي بَعْدَنَا قَدْ تَغَيَّرَا
 ولا قائلٍ يوماً لذي العُرْفِ مُنْكَرًا
 إذا بادَرَ القَوْمُ الْكَنِيفَ الْمُسْتَرَا
 إذا الْخَيْلُ جَالَتْ فِي قَنَا قَدْ تَكْثُرَا
 وَيُضْبِحُ ضَيْفِي سَاهِمَ الْوَجْهِ أَغْبَرَا
 تَخْفِنِي وَتُضْمِرُ بَيْنَهَا أَنْ تُجَزَّرَا
 إذا وَرَقُ الطَّلَحِ الطَّوَالِ تَحَسَّرَا (٧)
 إذا ما الْمَطِيَّ بِالْفَلَاةِ تَضَوَّرَا
 إذا ما انْتَشَيْتُ، وَالْكَمَيْتَ الْمَصْدَرَا
 أَخَا الْحَرْبِ إِلَّا سَاهِمَ الْوَجْهِ أَغْبَرَا
 وَإِنْ شَمَرْتَ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا
 قَدَى (١٢) الشَّيْرِ أَحْمَى الْأَنْفِ أَنْ أَتَاخُرَا
 مَعَ الشَّنِّ (١٣) مِنْهُ بَاقِيًا مَتَأْخُرَا
 لِأَعْدَائِنَا رِذَاءً دَلِيلًا وَمُنْذِرَا

[٣٨٢/١٧]

(١) في الديوان: «... أعطى المقادة...».

(٢) في ف والديوان: «وإنني لمزجاء المطي...».

(٣) في ف والديوان: «... مشالين».

(٤) في الديوان: «... من خطيب لقيته».

(٥) في ف والديوان: «آت دنية».

(٦) في ف والديوان: «أي ياسر».

(٧) نحسر: سقط.

(٨) ف: «ولا تسأليني».

(٩) القطع: طرف من الثياب الموشاة، وجمعه قطع.

(١٠) ف والديوان: «رأنتي».

(١١) أ، جـ والديوان: «أخا الحرب».

(١٢) أ: قدى الشبر: قدر الشبر.

(١٣) الديوان: مع الشَّنِّ.

(١٤) في جـ، ف والديوان: «فإلا يعادونا».

إذا حال ذُونِي مِنْ سَلامانَ رَمَلَةً وَجَدْتُ تَوَالِي الوَصْلِ عِنْدِي أَبْتَرَا

وذكروا أن حاتماً دَعَتُهُ نفسه إليها بعد انصرافه من عندها، فأَتاها يخطبها فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النُبَيْتِ^(١)، فقالت لهم: انقلبوا إلى رِحالكم، وَلَيْقُلْ كُلُّ واحد منكم شعراً يذكر فيه فعالة ومنصبه، فلَني أنزُوجَ أكرمكم وأشعركم.

/ فانصرفوا ونحر كلُّ واحد منهم جَزُوراً، ولَبِست ماوية ثياباً لَأَمَةٍ لها وتبعتهم، فَأَتَتْ النُبَيْتِي^(٢) فاستطعمته من [٣٨٣/١٧] جَزُوره فأطعمها ثيلَ جَمَلِهِ^(٣) فأخذته، ثم أَتَتْ نابغةَ بني ذِيان فاستطعمته فأطعمها ذَنبَ جَزُوره فأخذته، ثم أَتَتْ حاتماً وقد نصب قِذْرَهُ فاستطعمته، فقال لها: قَفِي^(٤) حتى أُعْطِيكَ ما تنتفعين به إذا صار إليك، فانتظرت فأطعمها قِطْعاً من العَجْزِ والسنام، ومثلها من المِخْدَشِ، وهو عند الحارِكِ^(٥)، ثم انصرفت، وأرسل كلُّ واحد منهم إليها ظهر جَمَلِهِ، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها، ولم يكن يترك جاراته إلا بهدية. وصَبَّحوها فاستنشدتهم فأنشدها النُبَيْتِي^(٦):

هَلَا سَأَلْتُ النُبَيْتِيْنَ^(٧) مَا حَسَبِي / عند الشتاء إذا هَبَّتِ الرِّيحُ
ورَدَّ جازِرُهُمْ حرفاً مُصَرَّمَةً^(٨) / في الرُّأْسِ منها وفي الأصْلابِ تَمْلِيحٌ^(٩)

وقال رائدُهُمْ^(١٠): سَيَّانَ مالَهُم إذا اللُّقَا حُذَّتْ مُلْقَى أَصْرَتِهَا^(١١)
/ فقالت له: لقد ذُكِرَتْ مَجْهَدَةٌ^(١٢) مِثْلانِ مِثْلُ مَنْ يَرْعَى وَتَسْرِيحُ
ولا كَرِيمٍ مِنَ الْوَلَدانِ مَضْبُوحُ

[٣٨٤/١٧]

ثم استنشدت النابغة، فأنشدها يقول^(١٣):

هَلَا سَأَلْتُ بني ذِيانَ ما حَسَبِي إذا الدُّحَانُ تَغَشَّى الْأَشْمَطَ الْبَرَمَا^(١٤)

(١) هم قبيلة من الأنصار.

(٢) في الديوان: «فَأَتَتْ النُبَيْتِيَّ» متكررة.

(٣) الثيل، بالفتح والكسر: وعاء قضيب البعير.

(٤) ف: «قَرَى»، وفي الديوان: «اصبري»، والمثبت في أ، ج، ب.

(٥) المِخْدَش كمنبر ومحدث: كاهل البعير، والحارِكِ: أعلى الظهر.

(٦) ديوان حاتم ٣٦.

(٧) الديوان: «هَلَا سَأَلْتُ بني النُبَيْتِ».

(٨) ف: «ورد جارهم حرفاً مضرمة»، والمثبت في الديوان أيضاً. الحرف: الناقة الضامرة أو المهزولة، ومصرمة، كمعظمة: ناقة يقطع طبياها ليعيش الإحليل فلا يخرج اللبن أقوى لها، وقد يكون من انقطاع اللبن بأن يصيب ضرعها شيء فيكوي فينقطع لبنها.

(٩) الأصْلاب: جمع الصلا: وسط الظهر، وفي ف: «وفي الأعصاب تمليح». وفي الديوان والمختار: «وفي الأصْلاب تمليح». والتمليح: السمن.

(١٠) ف: «وقال قائلهم».

(١١) أصرة: جمع صرار: ما يشد به.

(١٢) الديوان: «مكرمة».

(١٣) ديوانه ٦٦.

(١٤) الأشمط: الذي خالطه الشيب. البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر.

وَهَبْتُ الرِّيحَ مِنْ تَلْقَاءِ ذِي أُرْلٍ^(١) تَزْجِي مَعَ اللَّيْلِ مِنْ صُرَادِهَا^(٢) الصَّرْمَا
إِنِّي أَتَمِّمُ أَيْسَارِي^(٣) وَأَمْنُحُهُمْ مَشَى الْأَيْسَادِي وَأَكْشُو الْجَفْنَةَ الْأُدْمَا
فلما أنشدتها قالت: ما ينفك الناس بخير ما اتندموا.
ثم قالت: يا أخا طييء أنشدني، فأنشدتها^(٤):

أَمَاوِيٌّ قَبْدَ طَالِ التَّجْنُبِ وَالْهَجْرِ وَقَدْ عَذَّرْتَنِي فِي طِلَابِكُمُ الْعُذْرِ
أَمَاوِيٌّ إِنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحَ وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذُّكُرُ
/ أَمَاوِيٌّ إِنِّي لَا أَقُولُ لِسَائِلِ إِذَا جَاءَ يَوْمًا: حَلَّ فِي مَالِنَا التُّذْرُ^(٥)
أَمَاوِيٌّ إِمَّا مَانِعٌ فَمِيئِنَ وَإِمَّا عَطَاءٌ لَا يَنْهَنُهُ الرَّجْرُ
أَمَاوِيٌّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجْتَ يَوْمًا^(٦) وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
إِذَا أَنَا دَلَانِي الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ بِمَلْحُودَةٍ زَلَجَ جَوَانِبُهَا^(٧) غُبْرُ
وَرَاخُوا سِرَاعًا يَنْفَضُّونَ أَكْفَهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ دَمَى^(٨) أَنَامِلُنَا الْحَفْرُ
أَمَاوِيٌّ إِنْ يُصْبِحُ صَدَائِي بِقَفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ لَا مَاءَ لَدَيَّ^(٩) وَلَا خَمْرُ
تَرْنِي أَنْ مَا أَنْفَقْتُ^(١٠) لَمْ يَكُ ضَرَّتَنِي وَأَنْ يَلْدِي مِمَّا بَخَلْتُ بِهِ صَفْرُ
أَمَاوِيٌّ إِنِّي رُبُّ وَاحِدٍ أُمِّهِ أَخَذْتُ^(١١) فَلَا قَتْلَ عَلَيْهِ وَلَا أَسْرُ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْسَامُ لَوْ أَنَّ حَاتَمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفْرُ
فَلْإِنِّي لَا أَلُوبِمَالِي صَنِيعَةً فَأَوَّلُهُ زَادَ وَأَخْرَهُ دُخْرُ
يُفَكُّ بِه الْعَانِي وَيُؤَكِّلُ طَيِّيًا وَمَا إِنْ تَعَرَّثَهُ الْقِدَاحُ وَلَا الْخَمْرُ^(١٢)
/ وَلَا أَظْلِمُ^(١٣) ابْنَ الْعَمِّ إِنْ كَانَ إِخْوَتِي شُهُودًا وَقَدْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ^(١٤) الدَّهْرُ

[٣٨٥/١٧]

[٣٨٦/١٧]

- (١) أ، ب، ج، د، س: «أزل»، والمثبت من الديوان والبلدان، قال ياقوت: وأول: جبل بأرض غطفان بينها وبين عذرة، وأنشد للنايفة الديباني... وذكرت البيت. وفي ف: «أرك» بالكاف.
(٢) ف: «من صراده»، والمثبت في الديوان أيضاً. والصراد: الغيم الرقيق لا ماء فيه. الصرم: جمع صرمة، وهي قطع السحاب، وفي المختار وف: «تزجي مع الصباح».
(٣) في الديوان: «إني أسامح». الأيسار: جمع يسر، وهم لمتقاملون.
(٤) ديوانه ١٩.
(٥) في الديوان: «الزار»، يريد أنه أصبح قليلاً. وفي ف: «نذر».
(٦) في الديوان: «إذا حشرجت نفس».
(٧) في س، أ، ب، ج: «زلخ». وزلج جوانبها: الزلج، محرقة: الزلق، ويسكن. والزليج: المزالة تنزل فيها الأقدام لندوته أو ملاسته.
(٨) في الديوان: «وراحوا عجالات». وفيه: «قد آدمى».
(٩) في الديوان: «... لا ماء هناك ولا خمر».
(١٠) في الديوان: «أن ما أهلكك».
(١١) ف والديوان: «أجرت فلا قتل».
(١٢) ف: «... ولا القمر»، وفي الديوان: «وما إن تعريه».
(١٣) في المختار: «ولا أظلم».
(١٤) في المختار: «بإخوانه».

غنيما زماناً بالتصغلك والغنى
فما زادنا بغياً على ذي قرابة
وما ضر جاراً يابثة القوم فاعلمي
بعيني عن جارات قومى غفلة
وكلاً سقناه بكأسهما العُصْر^(١)
غنانا ولا أرى بأخسابنا الفقر
يجاورني ألا يكون له شتر^(٢)
وفي السمع مني عن حديثهم وقر

فلما فرغ حاتم من إنشاده دعث بالغداء، وكانت قد أمرت إماءها أن يقدمن إلى كل رجل منهم ما كان أطعمها، فقدمن إليهم ما كانت أمرتهن أن يقدمنه إليهم، فنكس النبي رأسه والنابعة، فلما نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذي قدّم إليهما^(٣)، وأطعمهما مما قدم إليه، فتسللا لؤاذاً، وقالت: إن حاتماً أكرمكم وأشعركم.

فلما خرج النبي والنابعة قالت لحاتم: / خلّ سبيل امرأتك، فأبى، فزودته وردته. فلما انصرف دعته نفسه^{١٠٦} إليها، وماتت امرأته، فخطبها فتزوجته، فولدت عدياً.

/ إسلام عدي بن حاتم

وقد كان عدي أسلم وحسن إسلامه، فبلغنا إن النبي ﷺ قال له، وقد سأله عدي: يا رسول الله، إن أبي كان يعطي ويحمل، ويؤفي بالذمة، ويأمر بمكارم الأخلاق؛ فقال له رسول الله ﷺ: إن أباك خشية من خشبات جهنم. فكان النبي ﷺ رأى الكأبة في وجهه، فقال له: يا عدي إن أباك وأبي وأبا إبراهيم في النار.

ماوية وحاتم وابن عمه مالك

وكانت ماوية عنده زماناً، وإن ابن عم لحاتم كان يقال له: مالك قال لها: ما تصنعين بحاتم؟ فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفته، وإن لم يجد ليتكلفن، وإن مات ليركن ولده عيالاً على قومك، فقالت ماوية: صدقت، إنه كذلك.

وكان النساء - أو بعضهن - يطلّقن الرجال في الجاهلية، وكان طلاقهن أنهن إن كنّ في بيت من شعر حولن الخباء؛ فإن كان بابُه قبْلَ المشرق حوّلته قبل المغرب، وإن كان بابُه قبل اليمين حوّلته قبل الشام؛ فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقته فلم يأتها. وإن ابن عم حاتم قال لماوية - وكانت أحسن نساء الناس -: طلقني حاتماً، وأنا أنكحك وأنا خير لك منه، وأكثر مالاً، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك؛ فلم يزل بها حتى طلق حاتماً، فأتاها حاتم وقد حوّلت باب الخباء، فقال: يا عدي، ما ترى أمك عدي^(٤) عليها؟ قال: لا أدري، غير أنها قد غيرت باب الخباء، وكأنه لم يلحن^(٥) لما / قال، فدعاه فهبط به بطناً وإد، وجاء قوم فزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون، فتوافوا خمسين رجلاً، فضأقت بهم ماوية ذرعاً، وقالت لجاريتها: اذهبي إلى مالك فقولي له: إن أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلاً فأرسل بناب^(٦) نقرهم ولبن نغبقهم^(٧)، وقالت لجاريتها: انظري إلى جبينه وفمه فإن

(١) ب، س: «غنيماً». وفي الديوان:

كما الدهر في أيامه العُسر واليسر
وكلاً سقناه بكأسهما العُسر

غنيما زماناً بالتصغلك والغنى
لبننا صُروف الدهر ليناً وغلظة

(٢) البيت ليس في ديوانه، وكذا ما بعده.

(٣) ف: «بالذي قدمته إليها».

(٤) ف: «عدي».

(٥) لم يلحن: لم يظن.

(٦) الناب: الناقة المستنة.

(٧) الغبوق: ما يشرب بالعشي. وغبقه: سقاه ذلك.

شافهك^(١) بالمعروف فاقبلي منه، وإن ضرب بلحيته على زوره، وأدخل يده في رأسه فاقبلي ودعيه، وإنها لما أتت مالكا وجدته متوسداً وطباً^(٢) من لبن وتحت بطنه آخر، فأيقظته فأدخل يده في رأسه وضرب بلحيته على زوره، فأبلغته ما أرسلتها به ماوية، وقالت: إنما هي الليلة حتى يعلم الناس مكانه.

فقال لها: اقرني عليها السلام، وقولي لها: هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتماً فيه، فما عندي من كبيرة قد تركت العمل، وما كنت لأنحر صفيّة^(٣) غزيرة بشحم كلاًها، وما عندي لبن يكفي أضياف حاتم. فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه، وما قال؛ فقالت: انت حاتماً فقولني: إن أضيافك قد نزلوا الليلة بنا، ولم يعلموا بمكانك. فأرسل إلينا بناب ننحرها ونقرهم ولبن نسقيهم؛ فإنما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك. / فأتت الجارية حاتماً فصرخت به. [٣٨٩/١٧]

فقال حاتم: لبيك، قريباً دعوت. فقالت: إن ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك: إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة، فأرسل إليهم بناب ننحرها ولبن نسقيهم. فقال: نعم وأبي. ثم قام إلى الإبل فأطلق ثكيتين من عقاليهما، ثم صاح بهما حتى أتى الخباء فضرب عراقيهما، فطفقت ماوية تصيح وتقول: هذا^(٤) الذي طلقك فيه، تترك ولدك وليس لهم شيء، فقال حاتم^(٥):

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد / كذاك الزمان بيننا يتسرد
/ يرُدُّ علينا ليلة بعد يومها / فلا نحن^(٦) ما نبقي ولا الدهر يتفد
لنا أجل إما تنأى أمامه / فنحن على آثاره نتورد^(٧)
بنو نعل قومى فما أنا مدع / سواهم إلى قوم وما أنا^(٨) مُسند
بذرتهم أغشى ذروء معاشير / ويحنف عني الأبلخ المتعمد^(٩)
فمهلاً فذاك اليوم^(١٠) أمي وخالتي / فلا يأمرتني بالدنية أسود
على حين أن ذكيت^(١١) واشتد جانبي / أسام التي أغيت إذ أنا أمرد
/ فهل تركت قبلي حضور مكانها / وهل من أتى ضيماً وخسفاً مغلداً^(١٢)

١٠٧
١٦

[٣٩٠/١٧]

(١) الديوان: «إن بادرك...».

(٢) الوطب: سقاء اللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه، وجمعه أوطب ووطاب وأطاب.

(٣) الصفية: الناقة الصغيرة.

(٤) أ: «تصبح: هذا الذي».

(٥) ديوانه ٣٩.

(٦) الديوان: «ثم يومها فما نحن».

(٧) ف: «تنزود»، والمثبت من أ، ج، ب والديوان.

(٨) في ف، والمختار: «فلا أنا مدع... ولا أنا مُسند».

(٩) الدرء: الدفع، ويحنف: يميل، والأبلخ: المتكبر. وفي الديوان: «ويحنف».

(١٠) في الديوان: «فمهلاً فدى أمي ونفسي وخالتي».

(١١) في ف: «زكيت»، وهو يريد عقرت وذبحت.

(١٢) الديوان:

وَمُعْتَسِفٍ بِالرُّمَحِ دُونَ صِحَابِهِ
فَخَرَّ عَلَى حُرِّ الْجَبِينِ وَذَادَهُ
فَمَا رُمَتْهُ^(٣) حَتَّى أَزَحَتْ عَوِيصَهُ
فَأَقْسَمْتُ لَا أَمْشِي عَلَى سِرِّ جَارَتِي^(٤)
وَلَا أَشْتَرِي مَالًا يَغْذِرُ عَلِمَتْهُ
إِذَا كَانَ بَعْضُ الْمَالِ رَبًّا لِأَهْلِيهِ
يُفَكُّ بِه الْعَانِي وَيُؤْكَلُ طَيِّبًا
إِذَا مَا الْبَخِيلُ الْخَبْثُ أَخْمَدَ نَارَهُ
تَوَسَّعَ قَلِيلًا أَوْ يَكُنْ ثَمَّ حَسْبًا
كَذَاكَ أُمُورُ النَّاسِ رَاضٍ ذَنِيَّةٌ
فَمِنْهُمْ جَوَادٌ قَدْ تَلَفَّتْ حَوْلَهُ
/ وَذَاعَ دَعَانِي دَعْوَةٌ فَاجَبَتْهُ

تَعَسَّفْتُهُ بِالسَّيْفِ وَالْقَوْمُ شُهِدُ^(١)
إِلَى الْمَوْتِ مَطْرُورُ الْوَقِيعَةِ^(٢) مِذْوَدُ^(٣)
وَحَتَّى عَالَاهُ حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ
يَدَ الدَّهْرِ مَا دَامَ الْحَمَامُ يَغْرُدُ
أَلَا كُلُّ مَالٍ خَالِطُ الْغَدْرِ أَنْكَدُ
فَلَأَنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَالِي مُعَبَّدُ
وَيُعْطَى إِذَا ضَنَّ الْبَخِيلُ الْمُصْرَدُ^(٥)
أَقُولُ لِمَنْ يَضَلِّي بِنَارِي: أَوْقِدُوا
وَمُوقِدَهَا الْبَادِي أَعْفُ وَأَحْمَدُ^(٦)
وَسَامٍ إِلَى فَرْعِ الْعُلَا مُتَوَرِّدُ
وَمِنْهُمْ لَتِيمٌ دَائِمٌ^(٧) الطَّرْفِ أَفْوَدُ
وَهَلْ يَدْعُ الدَّاعِيْنَ إِلَّا الْيَلْتَدُ^(٨)

[٣٩١/١٧]

حاتم ونساء من عترة

أسرت^(٩) عترة حاتماً، فجعل نساء عترة يُدارن^(١٠) بغير ليفضدنه فضعن عنه، فقلن: يا حاتم، أفاصدته أنت إن أطلقنا^(١١) يديك؟ قال: نعم. فأطلقن إحدى يديه، فوجأ لبعه فاستدمينه^(١٢). ثم إن البعير عضد، أي لوى عنقه، أي خَرَّ، فقلن: ما صنعت؟ قال: هكذا فصادتني، فجرت مثلاً. قال: فلطمته إحداهن، فقال: ما أنثن نساء عترة بكرام، ولا ذوات أحلام. وإن امرأة منهن يقال لها: عاجزة أعجبت به، فأطلقته؛ ولم ينقموا عليه ما فعل، فقال حاتم يذكر البعير الذي فصدته^(١٣):

كَذَلِكَ فَصْدِي إِنْ سَأَلْتَ مَطِيئِي
دَمُ الْجَوْفِ إِذْ كُلُّ الْفَصَادِ وَخِيمٍ^(١٤)

(١) في الديوان: «من دون صاحبه... والقوم هجد». وفي المختار:

* تعسفته والسيف والقوم شهد *

(٢) ذاده: دفعه. ومطرور الوقعة: السيف. وفي أ، ب، ج: «مزود».

(٣) أ: «فما رحته».

(٤) في الديوان: «وأقسمت... إلى سر جارتني».

(٥) كذا في الديوان، وفي أ: «إذا من». والتصريد: التقليل.

(٦) الديوان: «أعف وأنجد».

(٧) رواية الديوان:

فإن الجواد من تلفت حولسه

(٨) ف: «إلا التلدد»، واليلتدد: الخصم الشحيح الذي لا يتقاد.

(٩) ديوانه ٥٢.

(١٠) ف: «يدرن».

(١١) ف: «إن أطلقنا إحدى يديك».

(١٢) أ: «فاستدمني منه»، وفي ف: «فاستدمين منه».

(١٣) ديوانه ٥٣.

(١٤) في ف: «دم الحوارك والفصاد وخيم» ولا يستقيم معه الوزن.

وإن البخيل ناكس الطرف أفود

جُودُهُ وَهُوَ غَلَامٌ

أقبل ركبٌ من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان، فلقوا حاتمًا، فقالوا له: إنا تركنا قومنا يُثنون عليك خيرًا، وقد أرسلوا إليك رسولًا برسالة. قال: وما هي؟ فأنشده الأسدِيُّونَ شعراً لعبيدٍ ولَبِشْرٍ يمدحانه، وأنشد القيسيُّونَ شعراً للنابعة، فلما أنشدوه قالوا: إنا نستحي أن نسألك شيئاً، وإن لنا حاجة، قال: وما هي؟ قالوا: صاحب لنا قد أرجل^(١)، فقال حاتم: خذوا / فرسي هذه فاحملوا عليها صاحبكم. فأخذوها وربطت الجارية فلوها^(٢) بثوبها، فأفلت، فاتبعته الجارية، فقال حاتم: ما تبعكم^(٣) من شيء فهو لكم، فذهبوا بالفرس والفِلو والجارية.

وإنهم / وردوا على أبي حاتم، فعرف الفرس والفِلو، فقال: ما هذا معكم؟ فقالوا: مررنا بغلام كريم فسألناه، فأعطى الجسيم.

رواية أخرى في خبر أبي الخبيري

قال: وكنا عند معاوية فتذاكرنا الجُود، فقال رجل من القوم: أجودُ الناس حيًّا وميتًا حاتم، فقال معاوية: وكيف ذلك؟ فإن الرجل من قُرَيْشٍ ليعطى في المجلس ما لم يملكه حاتم قط ولا قومه، فقال: أخبرك يا أمير المؤمنين، أن نقرأ من بني أسد مرثوا بقبر حاتم، فقالوا: لنبحلنَّه ولنخبرنَّ العرب أننا نزلنا بحاتم، فلم يقرنا، فجعلوا يُنادون: يا حاتم ألا تقري أضيافاك! وكان رئيس القوم رجل يقال له: أبا الخَيْرِي، فإذا هو بصوت ينادي في جوف الليل:

أَبَا خَيْرِي وَأَنْتَ امْرُؤٌ ظَلَمَ الْعَشِيرَةَ شَتَاءُهَا^(٤)

إلى آخرها، فذهبوا ينظرون؛ فإذا ناقة أحدهم تكوس^(٥) على ثلاثة أرجل عقيراً. قال: فعجب القوم من ذلك جميعاً.

حاتم وأوس بن سعد

وكان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر: أنا أدخلك بين جبلي طييء حتى يدين لك أهلها، فبلغ ذلك حاتمًا، فقال^(٦):

ولقد بنَى بِخِلَادِ أَوْسٍ قَوْمَهُ دُلًّا وَقَدْ عَلِمْتُ بِذَلِكَ سِنِّيْسُ^(٧)
/ حَاشَا بَنِي عَمْرِو بْنِ سِنِّيْسٍ إِنْهُمْ مَنَعُوا ذِمَّارَ أَبِيهِمْ أَنْ يَدْنَسُوا^(٨)
وَتَوَاعَدُوا وَرَدَ الْقُرَيْبَةَ غُدْوَةً وَحَلَفْتُ بِاللهِ الْعَزِيزِ لَتَحِيسُ^(٩)

[٣٩٣/١٧]

(١) أرجل، أي ليس له ما يركبه، فهو راجل.

(٢) الفِلو: المهر الذي فطم.

(٣) ف: «ما بلغكم».

(٤) ديوانه ١١، وفيه: «حسود العشيرة».

(٥) تكوس: تمشي على ثلاث قوائم.

(٦) ديوانه ٤٩.

(٧) خِلَاد: أرض في بلاد طييء عند الجليلين لبني سنيس، وسنيس هي من طييء.

(٨) ف: «لا يدنس».

(٩) الديوان: «ليحس».

والله يعلم لو أتى سُلَافَهُمْ
كالنار والشمس التي قَالَتْ لَهَا
لا تَطْعَمَنَّ الْمَاءَ إِنْ أَوْزَدْتَهُمْ
أَوْ ذُو الْحَصِينِ وَفَارِسٌ ذُو مِرَّةٍ
وَمُوطًا الْأَكْنَافِ غَيْرِ مَلْعَنٍ
طَرَفُ الْجَرِيضِ لَظَلَّ يَوْمَ مَشْكَسٍ^(١)
بِيدِ اللُّوَيْمِسِ^(٢) عَالِمًا مَا يَلْمَسُ
لِتَمَامِ ظَمْنِكُمْ فَفُوزُوا وَاحْلِسُوا^(٣)
بِكَيْتِيَّةٍ مَنِ يُذِرْكُوهُ يُفْقِرُسُ^(٤)
فِي الْحَيِّ مَثَاءَ إِلَيْهِ الْمَجْلِسُ

شعره في مدح بني بدر

قال: وجاور^(٥) في بني بدر زمن^(٦) احتربت جديلة وتعلت، وكان ذلك زمن الفساد، فقال يمدح بني بدر^(٧):

إِنْ كُنْتُ كَارِهَةً مَعِيشَتَنَا^(٨) هَاتِي فَحُلِّي فِي بَنِي بَدْرِ
جَاوَرْتَهُمْ زَمَنَ الْفَسَادِ فَنِعْمَ الْحَيُّ فِي الْعَوَصَاءِ^(٩) وَالْيُسْرِ
فَسُقِيتُ بِالسَّمَاءِ التَّمِيرِ وَلَمْ يُنْظَرْ إِلَيَّ بِأَعْيُنِ جُزْرِ
/ الضَّارِبِينَ لَدَى أَعْيُنِهِمْ^(١٠) وَالطَّاعِنِينَ وَخَيْلُهُمْ تَجْرِي
الْخَالِطِينَ^(١١) نَحِيَّتَهُمْ بِنُضَارِهِمْ^(١٢) وَذَوِي الْغَنَى مِنْهُمْ بِلَدِي الْفَقْرِ

[٣٩٤/١٧]

يقيم مكان أسير في قيده ويطلقه

وزعموا أن حاتماً خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة، فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم: يا أبا سقانة؛ أكلني الإِسَارَ والقَمَلَ، قال: وَيَلَكَ! والله ما أنا في بلاد قومِي، وما معي شيء، وقد أسأت بي إذ نَوَّهْتَ بِاسْمِي، ومالك مترك. فساوم به العتريين فاشتراه منهم، فقال: خلّوا عنه وأنا أقيم مكانه في قيده حتى أؤدّي فِداءه، ففعلوا، فأني بفدائه.

ماوية تتحدث عن كرمه

وحَدَّثَ الهَيْشَمُ بْنُ عَدِيٍّ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ مَلْحَانَ بْنِ أَخِي مَاوِيَةَ امْرَأَةِ حَاتِمٍ، قَالَ: قُلْتُ لِمَاوِيَةَ: يَا عَمَّةُ، حَدِّثْنِي بِبَعْضِ عَجَائِبِ حَاتِمٍ، فَقَالَتْ: كُلُّ أَمْرِهِ عَجَبٌ، فَعَنْ أَيِّهِ تَسْأَلُ؟ قَالَ: قُلْتُ: حَدِّثْنِي مَا شِئْتَ، قَالَتْ:

(١) المشكس: السوء الخلق، السلاف: المتقدمون. الجريض: غصص الموت.

(٢) ف: «كالشمس والنار». ولو يمس: تصغير لاس.

(٣) المثبت من ف، أ وفي ب، ج: احبسوا. وحلس بالمكان: أقام.

(٤) ديوانه «يفرس»، بالغين.

(٥) ديوانه ٢٠. وفيه: «وجاور حاتم بني بدر».

(٦) ف: «لما»، وفي أ، ب، ج: «وجاور في بني بدر من احتربت من جديلة».

(٧) ديوانه ٢٠.

(٨) الديوان: «المعيشتنا».

(٩) العوصاء: الشدة والعسر.

(١٠) كذا في ف والديوان، وفي أ، ب، ج: «لدي أعينهم».

(١١) ف والديوان: «والخالطين»، وفي «اللسان»: قال ابن بري: صوابه «والخالطون»، بالواو.

(١٢) أ: «نجيهم»، والمثبت من ف والديوان «اللسان» (تحت). قال: والنحيت: الدخيل في القوم، قالت الخرئق أخت طرفة... وذكر

البيت والذي بعده، ثم قال: «والنضار»: الخالص النسب.

١١٩ أصابت الناس / سنة، فأذهبت الحُفَّ والظُّلف، فإني وإياه ليلة قد أسهرنا الجوع، قالت: فأخذ عدياً وأخذت
 ١٦ سَفَانة، وجعلنا نُعَلِّلُهُما حتى ناما، ثم أقبل عليّ يحدثني ويعلِّلني بالحديث كَيْ أَنَام، فرققتُ له لما به من الجهد،
 فأمسكت عَنْ كلامه لينام، فقال لي: أنمت؟ مراراً، فلم أجِب، فسكت فتظر في فتق الخباء فإذا شيء قد أقبل، فرفع
 رأسه فإذا امرأة، فقال: ما هذا؟ قالت: يا أبا سَفَانة؛ أتيتك من عند صِبيّة يتعاوَن كالذئاب جُوعاً، فقال:
 [٣٩٥/١٧] أحضريني^(١) / صبيانك، فوالله لأشبعنَّهم. قالت: فقمْتُ سريعاً فقلت: بماذا يا حاتم! فوالله ما نام صبيانك من
 الجوع إلّا بالتعليل^(٢) فقال: والله لأشبعنَّ صبيانك مع صبيانها.

فلما جاءت قام إلى فرسه فذبحها، ثم قدح ناراً ثم أجبها، ثم دفع إليها شفرة، فقال: اشتوي وكلي، ثم
 قال: أيقظي صبيانك. قالت: فأيقظتهم^(٣)، ثم قال: والله إنَّ هذا للؤم؛ تأكلون وأهل الصُّرم^(٤) حالهم مثل حالكم!
 فجعل يأتي الصُّرم بيتاً بيتاً فيقول: انهضوا عليكم بالنار. قال: فاجتمعوا حَوْلَ تلك الفرس، وتقعَّ بكسائه فجلس
 ناحية، فما أصبحوا ومنَ الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلّا عظم وحافر، وإنه لأشدُّ جوعاً منهم، وما ذاقه.
 حاتم ومحرق

أتى حاتم ومُحرَّقاً^(٥) فقال له محرق: بايعني، فقال له: إنَّ لي أخوين ورائي، فإنَّ يأذنا لي أبايعك وإلا فلا،
 قال: فاذهب إليهما، فإنَّ أطاعاك فأتني بهما، وإنَّ أبينا فأذن بحرب. فلما خرج حاتم قال^(٦):
 أتاني من الريان^(٧) أمس رسالة وعُدوى وغِيٍّ ما يقول مُواسِلُ^(٨)
 / مُماسلاني: ما فعلت؟ وإنني كذلك عما أخذنا أنا سائل
 [٣٩٦/١٧] فقلت: ألا كيف الزمانُ عليكما؟ فقالا: بخير كل أرضك سائل

فقال محرق: ما أخواه؟ قال^(٩): طرفا الجبل، فقال: ومحلوفه لأجلنَّ مُواسلاً الرِّيطَ مصبوغات بالزَّيت، ثم
 لأشعلته بالنار. فقال رجل من الناس: جهل مرتقى بين مداخل سبلات^(١٠). فلما بلغ^(١١) ذلك محرقاً قال: لأقدِمنَّ

(١) ف: «أحضري صبيانك»، والخبر في الديوان ٩٧ مع اختلاف في الرواية.

(٢) التعليل: شغل الصغير عن الطعام بشيء.

(٣) ف: «فأيقظتها».

(٤) الصرم: الأبيات المجتمعة المنقطعة عن الناس.

(٥) محرق: لقب عمرو بن هند.

(٦) ديوانه ٥١.

(٧) ب، س: «الديان»، والمثبت من أ، ف والديوان.

(٨) كذا في ف، وفي أ، ج: «وغدوا بحيي»، والريان ومواسل: جبلان، وقد ذكرهما زيد الخيل في شعره، قال:

تصدع منها يذبل ومواسل

فأضحى وأعلى هضبه متضائل

أنادي به آل الكيبر وجعفر

أتمنى لسان لا أسر بذكرها

وقد سبق الريان منه بذلة

لشغب من الريان أملك بابـه

وانظر «ياقوت» و «البكري».

(٩) ف: «قبل».

(١٠) سبلات: جبل من جبال أجأ ومواسل أيضاً، عن نصر (البلدان).

(١١) ف: «بلغ».

عليك قُرَيْتِكَ^(١). ثم إنه أتاه رجل، فقال له: إنك إن تقدم القرية تهلك. فانصرف ولم يقدم.

حاتم وأسير له

غزت فزارة طيناً وعليهم حصين^(٢) بن حذيفة، وخرجت طيء في طلب القوم، فلحق حاتم رجلاً من بذر^(٣)، فطعنه ثم مضى، فقال: إن مَرَّ بك أحد فقل له: أنا أسير حاتم. فمرَّ به أبو حنبل، فقال: مَنْ أنت؟ قال: أنا أسير حاتم. فقال له: إنه يقتلك، فإن زعمت لحاتم أو لمن سالك أتى أسرتك، ثم صرَّت في يدي خليْتُ سبيلك، فلما رجعوا قال حاتم: / يا أبا حنبل^(٤) خلَّ سبيل أسيري، فقال أبو حنبل: أنا أسرتُه، فقال حاتم: قد رضيْتُ بقوله، فقال: أسرنِي أبو حنبل، فقال حاتم^(٥):

إِنَّ أَبَاكَ الْجَوْنَ لَمْ يَكُ غَادراً أَلَا مِنْ بَنِي بَدْرٍ أَنْتَ الْفَوَائِلُ

[٣٩٨/١٧]

الهجاء

وَهَاجِرَةٌ مِنْ دُونَ مَيَّةَ لَمْ تَقِلْ قَلَّوصِي بِهَا وَالْجُنْدُبُ الْجَوْنَ يُرْمَحُ^(٦)
بِتَيْهَاءٍ مَقْفَارٍ^(٧) يَكَادُ ارْتِكَاضُهَا بَالِ الضُّحَى وَالْهَجْرُ بِالطَّرْفِ يُمَصَّحُ

- الهجر ها هنا مرفوع بفعله، كأنه قال: يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف، هو والهجر. / ويمصح: $\frac{11}{16}$ يذهب بالطرف :-

كَأَنَّ الْفَرْنَدَ الْمَخْضَ مَعْصُوبَةً بِهِ ذُرَا قُورِهَا يَنْقَدُ عَنْهَا وَيُتَصَّحُ^(٨)
إِذَا ارْفَضَ أَطْرَافُ السَّيَاطِ وَهَلَّلَتْ جُرُومُ الْمَهَارِي عُدَّ مِنْهُنَّ صَيْدَحُ^(٩)

عروضه من الطويل.

الهاجرة: تكون وقت الزوال. والجندب: الجرادة. والجون: الأسود. والجون: الأبيض أيضاً: وهو من الأضداد. وقوله: يرمح، أي ينزو من شدة الحر لا يكاد يستقر على الأرض. والتيهاء من الأرض: التي يتاه فيها. والمقفار: التي لا أحد فيها ولا ساكن بها. ذكر ذلك أبو نصر عن الأصمعي. وارتكاضها: يعني ارتكاض هذه التيهاء، وهو نزوها بالآل، والآل: السراب. والهجر والهجرة واحد. وقوله: الهجر بالطرف يمصح، رفع الهجر / بفعله كأنه قال: يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف، هو والهجر. يمصح: يذهب بالطرف. والفرنند: الحرير الأبيض. والمحض: الخالص. يقول: كأن هذا السراب حرير أبيض، وقد عصبت به ذرى قورها، وهي الجبال

[٣٩٩/١٧]

(١) قرية: موضع بجبل طيء.

(٢) الديوان: «حصن بن حذيفة».

(٣) الديوان: «من بني بذر».

(٤) ف: «جبل»، والمثبت من الديوان أيضاً.

(٥) ديوانه ٥٠.

(٦) ديوان ذي الرمة ٨٦. لم تقل، من القيلولة. والجندب: شبه الجرادة في ظهره نقط.

(٧) في الديوان: «وبيداء مقفار».

(٨) ينقد: ينشق، وفي ف: «ينقد عنه».

(٩) كذا في ف، وفي باقي الأصول: «عذبتهن صيدح».

الصغار والواحدة قارة، فتارة يغطيها وتارة يَنجَابُ عنها وينكشف، فكأنه إذا انكشف عنها ينقذ عنها، وكأنه إذا غَطَّاهَا ينصَحُ عنها^(١)؛ أي يخاط. ويقال^(٢): نصحتُ الثوب، إذا خَطَّته، والنَّصِحُ: الخياط، والنَّصاح: الخيط. وقوله: ارفضْ أطراف السياط، يعني أنها انفتحت أطرافها من طُولِ السفر؛ وأصل الرفضاض التفرّق. والجروم: الأبدان، واحدها جِرم، بالكسر. وقوله: هللت جروم المطايا، يعني أنها صارت كالأهلة في الذقة^(٣). وصَيَدَح: اسم ناقتة. الشعر لذي الرمة، والغناء لإبراهيم الموصلي ماخوري بالوسطى.

تم الجزء السابع عشر من كتاب الأغاني
ويليه الجزء الثامن عشر،
وأوله: (ذكر ذي الرمة وخبره)



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

(١) ف: «عليها».

(٢) ف: «ويقول».

(٣) كذا في ف، وهو الوجه، وفي باقي الأصول: «الركة».

فهرس موضوعات الجزء السابع عشر

الموضوع	الصفحة
ذكر الكميث ونسبه وخبره	٥
خبر ابن سريج مع سكينه بنت الحسين	٣٢
خبر لبيد في مرثية أخيه	٤١
ذكر خبر العباس وفوز	٤٨
ذكر بدل وأخبارها	٥٣
أخبار كعب بن زهير	٥٧
أخبار ابن الدمينه ونسبه	٦٤
نسب المقنع الكندي وأخباره	٧٤
خبر لإسحاق وابن هشام	٧٦
نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره	٨٠
خبر مقتل حجر بن عدي	٩٠
أخبار لعمر بن أبي ربيعة	١٠٤
أخبار عزة الميلاء	١٠٧
ذكر نسب الربيع بن زياد	١١٨
خبر ليزيد بن معاوية	١٣٦
ذكر شريح ونسبه وخبره	١٣٩
خبر زينب بنت حدير وتزويج شريح إياها	١٤٢
أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص	١٤٥
أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه	١٤٨
أخبار عروة بن الزبير	١٥٥
أخبار زيد الخيل ونسبه	١٥٨
أخبار لابن قيس الرقيات	١٧٤
ذكر فند وأخباره	١٧٧
أخبار نبيه ونسبه	١٧٩

الصفحة	الموضوع
١٨٤	حلف الفضول
١٩٣	نسب أمية بن أبي الصلت
٢٠٣	- يوم الصفقة
٢٠٦	- ذكر الخبر في سرية زيد بن حارثة
٢٠٨	ذكر أبي عطاء السندي
٢١٨	ذكر خالد ورملة وأخبارهما
٢٢٥	خبر للأحوص
٢٢٨	ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر
٢٣٣	أخبار حاتم ونسبه
٢٥٥	فهرس الموضوعات



اكتاف الأوغياي

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ

إعداد

مكتب تحقيق دار أحياء التراث العربي



مركز تحقيق مكتبة قطر

الجزء الثامن عشر

طبعة كاملة وهدية، مصححة، ملونة

محققة على تسع مخطوطات ومزينة بفهارس شاملة

دار أحياء التراث العربي



١ / بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢ / ذِكْرُ ذِي الرِّمَّةِ وَخَبْرُهُ

نسبه

اسمه غِيلَانُ بنُ عُقْبَةَ بنِ مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مُلْكَان بن عدي بن عبد مناة بن أَدَّ طابخة بن إلياس بن مضر.

أقوال في سبب تلقيبه ذا الرمة

وقال ابن سلام: هو غيلان بن عقبة بن بُهَيْش^(١) بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة^(٢) بن مُلْكَان. ويكنى أبا الحارث، وذو الرمة لقب. يقال: لقبته به مئة؛ وكان اجتاز بخبائها وهي جالسة إلى جنب أمها فاستسقاها ماء، فقالت لها أمها: قومي فاسقيه. وقيل: بل خرق إداوته لَمَّا رآها، وقال لها: اخْرِزِي لي هذه، فقالت: والله ما أحسن ذلك، فإني لخرقاء. قال: والخرقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على قومها، فقال لأمها: مُرِهَا أن تسقيني ماء، فقالت لها: قومي يا خرّقاء فاسقيه ماء، فقامت فأثته بماء، وكانت على كتفه^(٣) رُمّة؛ وهي قطعة من حبل، فقالت: اشرب يا ذا الرُمّة؛ فلُقّب بذلك.

وحكى ابن قُتَيْبَةَ^(٤) أن هذه القصة جرت بينه وبين خرّقاء العامرية.

وقال ابن حبيب: لُقّب ذا الرمة لقوله^(٥):

* أَشَعَتْ باقِي رُمّةِ التَّقْلِيدِ *

/ وقيل: بل كان يُصِيبُهُ فِي صِغَرِهِ فَرَزَعٌ، فَكُتِبَتْ^(٦) لَهُ تَمِيمَةٌ، فَعَلَقَهَا^(٧) بِحَبْلِ، فَلُقّبَ بِذَلِكَ ذَا الرُمّةِ.

ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن محمد بن صالح العدوي، عن أبيه، وعن أشياخه، وعدّة من أهل البادية من بني عدي، منهم زُرْعَةُ بن أذبول^(٨) وابنه سليمان وأبو قيس وتميم/ وغيرهم من علمائهم:

(١) كذا في «المشبه»، و«القاموس»، و«اللآلي»، و«ابن خلكان». وفي «الأصول»: «نهيس».

(٢) ج: «بن عمرو بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة».

(٣) ج: «كفه».

(٤) «الشعر والشعراء» ٥٠٩.

(٥) «اللسان» ١٥: ١٤٣، و«نوادير المخطوطات» لابن حبيب ٣٠١، و«الشعر والشعراء» ٥٠٨.

(٦) ب، س: «فكّبت له أمه».

(٧) أ: «فتعلقها».

(٨) ب، س، ف: «ذبول».

أَنَّ أُمَّ ذِي الرِّمَّةِ جاءت إلى الحُصَيْنِ بن عبدة بن نُعيم العدوي^(١) وهو يقرئ الأعراب بالبادية احتساباً بما يقيم لهم صلاتهم ، فقالت له : يا أبا الخليل ؛ إن ابني هذا يُرَوِّع بالليل ، فاكذب لي معاذةً أعلِّقها على^(٢) عنقه ، فقال لها : اثني برقّ أكتب فيه ، قالت : فإن لم يكن ، فهل يستقيم في غير رقّ أن يكتب له ؟ قال : فجيئني بجلد^(٣) ، فأنته بقطعة جلد غليظ ، فكتب له معاذة فيه ، فعلقته في عنقه ، فمكث دَهِراً . ثم إنها مرّت مع ابنها لبعض حوائجها بالحُصَيْن وهو جالس في ملا من أصحابه ومواليه ، فدنت منه ، فسلمت عليه ، وقالت : يا أبا الخليل ، ألا تسمع قولَ غَيَّلان وشِعره ؟ قال : بلى . فتقدّم فأنشده ، وكانت المعاذة مشدودةً على يساره في حبل أسود ، فقال الحُصَيْن : أحسن ذو الرمة ؛ فغلبت عليه .

كان له إخوة كلهم شعراء

وقال الأصمعيّ : أُمُّ ذِي الرِّمَّةِ امرأة من بني أسد يُقال لها ظبية ، وكان له إخوة لأبيه وأُمّه شعراء منهم مسعود ، وهو الذي يقول يرثي أخاه ذا الرمة ويذكر ليلى بنته :

إلى الله أشكوا لا إلى الناس أنسي وليلى كسلانا مُوجعٌ مات وإفدّه^(٤)

/ ولمسعود يقول ذو الرمة^(٥) : [٣/١٨]

مسعود

أقول لمسعود بجزءاء مالك وقد همّ دَمْعِي أن تَسِخَّ أوائله

ألا هل ترى الأظعان جاوزن مُشْرِفاً من الرمل أو سالت بهنّ سلاسله^(٦)

غنى فيه يحيى بن المكي^(٧) ثاني ثقل بالوسطى ، على مذهب إسحاق من رواية عمرو .

ومسعود الذي يقول^(٨) يرثي أخاه أيضاً ذا الرمة ، ويرثي أوفى بن ذلهم ابن عمه ، وأوفى هذا أحد من يُروى عنه الحديث .

وقال هارون بن^(٩) الزيات : أخبرني ابن حبيب ، عن ابن الأعرابي ، قال : كان لذي الرمة إخوة ثلاثة^(١٠) : مسعود ، وجرّافس ، وهشام ، كلهم شعراء ، وكان الواحد منهم يقول الأبيات فيبني عليها ذو الرمة أحياناً آخر ، فينشدها الناس ، فيغلب عليها لشهرته وتنسب إليه^(١١) :

(١) جـ : «العذري» .

(٢) فـ : «في عنقه» .

(٣) جـ : «بقطعة جلد» .

(٤) جـ : «واحد» .

(٥) «ديوانه» ٤٦٦ .

(٦) فـ : «أو حاذت . . . سوائله» . ومشرف : موضع ، وسلاسل الرمل : ما انعقد واتصل .

(٧) فـ : «يحيى المكي» .

(٨) في فـ : «يقول فيه أيضاً» .

(٩) فـ : «بن محمد الزيات» .

(١٠) في ابن سلام : وكانوا إخوة ثلاثة : غيلان وأوفى ومسعود . وقال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» : وكان لذي الرمة إخوة ثلاثة : هشام وأوفى ومسعود ، فجعلهم أربعة إخوة .

(١١) «ابن سلام» ٤٨١ ، و «شرح الحماسة» ٢ : ١٤٧ ، و «الكامل» ١ : ١٥٣ .

نعى الركب أوفى حين آبت ركابهم
نَعَسُوا بِاسِقِ الْأَخْلَاقِ لَا يُخْلَفُونَهُ
/ خوى المسجد المعمور بَعْدَ ابْنِ دَلْهِم
تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغْيِلَانَ بَعْدَهُ
ولم تُنْسِنِي أَوْفَى المصيبات^(٢) بعده
وأخوه الآخر هشام، وهو رثاه^(٤)، وكان شاعراً. ولذي الرمة يقول:

فكلُّ الذي ولَّى من العيش^(٥) راجع
بطول الثنائي من أخي السوء قانع
أغْيِلَانُ إِنْ تَرْجِعْ قُوى السُّودِ بَيْنَا
فَكُنْ مِثْلَ أَقْصَى النَّاسِ عِنْدِي فَلَانِي

يقول شعراً لأخيه هشام فيجيبه

وقال ذو الرمة لهشام أخيه^(٦):

أغرَّ هشاماً من أخيه ابن أمه
وهل تُخْلِفُ الضَّانُ الْغَزَارُ أَخَا الثَّدْيِ^(٨)
/ فأجابه هشام فقال:

إِذَا بَانَ مَالِي مِنْ سَوَامِكَ لَمْ يَكُنْ
فَأَنْتَ الْفَتَى مَا اهْتَزَّ فِي الزَّهْرِ الثَّدْيِ^(٩)
إِلَيْكَ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ رُجُوعُ
وَأَنْتَ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ مُنُوعُ^(١٠)

ذو الرمة وأخوه مسعود يقولان شعراً في ظبية سنحت لهما

وذكر المهلب^(١١) عن أبي كريمة النحوي، قال:

/ خرج ذو الرمة يسير مع أخيه مسعود بأرض الدَّهْنَاءِ، فسنحت لهما ظبية، فقال ذو الرمة^(١٢):
أَقُولُ لِدَهْنَاوِيَةِ عَوْهَجٍ جَرَتْ
لَنَا بَيْنَ أَعْلَى بُرْقَةِ بِالصَّرَائِمِ^(١٣)

(١) أ: «فأوجفوا»، تصحيف.

(٢) أ: «أوفى المصائب».

(٣) القرح: الجرح.

(٤) ف: «رثاه».

(٥) ف: «من الدهر».

(٦) «ديوانه» ٣٥٤.

(٧) في «الديوان»: «قوادم ضأن يسرت وربيع».

(٨) «الديوان»: «ولا تخلف... أخا الفتى».

(٩) ف: «ما اهتز في الدهر للثدي».

(١٠) ف: «هلوع».

(١١) ف: «الهشامي».

(١٢) «ديوانه» ٦٢١.

(١٣) «الديوان»: «لنا بين أعلى عرفة بالصرائم».

ودهناوية: ظبية من ظباء الدهناء. والصرائم: الرمال. وعوهج: طويلة. وبرقة: موضع.

أيا ظبيّة السوّغاء بين جُلاجل
وبين النّقا آنت أم أمّ سالم!
وقال مسعود^(١) :

فلو تحسّن التشبيّه والنّعت لم تقل
جعلت لها قرنين فوق قصاصها^(٢)
وقال^(٣) ذو الرمة^(٤) :

هي الشّبه لولا مذرّواها وأذنّها
سواء ولولا مشقّة في القوائِم^(٥)
وكان طفيلياً

وكان ذو الرمة كثيراً ما يأتي الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة، وكان طفيلياً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابن^(٦) سعيد الكنديّ، قال: سمعت ابن عيّاش يقول:

حدثني من رأى ذا الرمة طفيلياً يأتي العُرُسات^(٧).

[٦/١٨] / بعض صفاته

نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح: حدثني هارون بن الزيات، قال: أخبرني محمد بن صالح العدويّ، قال: قال زُرعة بن أذبول:

كان ذو الرمة مدور الوجه، حسن الشّعر جفّدها، أفنى، أنزع، خفيف العارضين، أكحل، حسن الضحك^(٨)، مَفْوَهًا، إذا كلمك كلمك أبلغ الناس، يضع لسانه حيث يشاء.

قال حمّاد بن إسحاق: حدثني إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حصيفة، عن عمته عافية وغيرها من أهله: أنهم رأوا ذا الرمة باليمامة عند المهاجر بن عبد الله شيخاً أجناً^(٩) سِنَاطاً^(١٠) متساقطاً.

وقال هارون^(١١) بن الزيات: حدثني عليّ بن أحمد الباهليّ، قال: حدثني ربيع النميريّ، قال:

اجتمع الناس مرةً وتحلّقوا على ذي الرمة، وهو ينشدّهم، فجاءت أمه فاطمت من بينهم فإذا رجل قاعد وهو

(١) ف: «فقال له مسعود».

(٢) قصاص الشعر: حيث تنتهي نبتته من مقدمه أو مؤخره. («القاموس»).

(٣) ف: «فقال».

(٤) «ديوانه» ٦٢٢.

(٥) «الديوان»: «إلا مدرّيها وأذنّها... وإلا مشقّة، وفي أ... إلا مدرّيها»، والمذرّوان من الرأس: ناحيته. والمدري: القرن. والمشقة: الرقة أو فرجة في قوائمها.

(٦) ف: «حدثني عليّ بن سعيد».

(٧) العرّسات: جمع عرس، بالضم وبضمّتين: طعام الوليمة.

(٨) جد: «حسن المضحك».

(٩) الأجنأ: من يشرف كاهله على صدره.

(١٠) السِنَاط، بالكسر والضم: الخفيف العارض، أو الذي لا لحية له أصلاً.

(١١) جد: «هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات».

ذو الرمة. وكان دميماً شختاً^(١) أجناً فقالت أمه: استمعوا إلى شعره، ولا تنظروا إلى وجهه.

قال هارون: وأخبرني يعقوب بن السكيت، عن أبي عدنان، قال: أخبرني أسيد الغنوي، قال:

/ سمعتُ يباديتنا من قوم هَضَبوا في الحديث^(٢) أَنَّ ذَا الرُّمَّةَ كَانَ تِرْعِيَّةً^(٣)، وَكَانَ كِنَازَ اللَّحْمِ مَرْبُوعاً قَصِيراً، [٧/١٨] وكان أنفه ليس بالحسن.

الفرزدق وجريير يحسدانه

أخبرني ابن عمار، عن سليمان بن أبي^(٤) شيخ، عن أبيه، عن صالح بن سليمان قال:

كان الفرزدق وجريير يحسدان ذا الرمة، وأهل البادية يُعجبهم شعره.

كان صالح بن سليمان راوية لشعره

قال: وكان صالح بن سليمان راوية لشعر ذي الرمة، فأنشد يوماً قصيدة له، وأعرابي من بني عدي يسمع،

فقال: أشهد عَنكَ - أي أَنكَ - لفقيهٌ تُحسِنُ ما تتلوهُ^(٥)، وكان يحسبه قرآناً.

إعجاب الكميت بشعره

نسخت من كتاب محمد بن داود: وحدثني هارون بن الزيات، عن محمد بن صالح العدوي، قال: قال حماد

الراوية:

قال الكميت حين سمع قول ذي الرمة^(٦): *مَرْثِيَةٌ كَمَا تَرَى مِنْ رَمِيٍّ*

أَعَاذِلُ قَدْ أَكْثَرَتْ مِنْ قَوْلِ قَائِلٍ وَعَيْبٌ عَلَى ذِي الْوُدِّ^(٧) لَوْمُ الْعَوَاذِلِ

/ هذا والله مُلهم، وما عِلْمُ بَدَوِيٍّ بِدَقَائِقِ^(٨) الْفُطْنَةِ وَذَخَائِرِ كَنْزِ الْعَقْلِ الْمَعْدِّ لِذَوِي الْأَلْبَابِ! أَحْسَنَ ثُمَّ ١١٣

أحسن.

قال محمد بن صالح: وحدثني محمد بن كُنَاسة بذلك عن الكميت، وقال:

/ لما أنشده قوله في هذه القصيدة^(٩):

دَعَانِي وَمَا دَاعِي الْهَوَى مِنْ بِلَادِهَا إِذَا مَا نَأَتْ خَرْقَاءُ عُنِّي بِغَاوِلِ

فقال الكميت: لله بلادُ هذا الغلام! ما أحسن قوله! وما أجود وصفه! ولقد شفع^(١٠) البيت الأول بمثله في

(١) «وكان دميماً شيخاً». والشخت: الدقيق الضامر خلقة لا هزالاً.

(٢) هَضَب الرجل في الحديث: أفاض. وفي ح: «هَضَبُوا الحديث».

(٣) رجل ترعية بالتشديد، وقد يخفف: يجيد رعية الإبل.

(٤) ف: «أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ».

(٥) ف: «ما تلوته».

(٦) «ديوانه» ٥٠٠.

(٧) في «الديوان»: «وعيب على ذي اللب».

(٨) ف: «بدقائق فهم الفطنة».

(٩) «ديوانه» ٤٩٢.

(١٠) ج: «شيع».

جودة الفهم والفتنة، وقال^(١) قولٌ مُستسلم.

قال ابن كناسة: وقال لي حماد الراوية: ما آخر القوم ذكره إلا لحدائثته، وأنهم حسدوه.

آراء قيلت في شعره

قال محمد بن صالح: وقال لي خالد بن كلثوم وأبو عمرو: قال أبو حزام وأبو المُطَرِّف^(٢):

لم يكن أحدٌ من القوم في زمانه أبلغ من ذي الرمة، ولا أحسن جواباً؛ كان كلامه أكثر من شعره.

وقال الأصمعي: ما أعلم أحداً من العُشَّاق الحضريين وغيرهم شكاً حُبّاً أحسن من شكوى ذي الرمة، مع عِفَّةٍ

وعَقْلٍ رَصِين.

قال: وقال أبو عبيدة:

ذو الرمة يخبر فيحسن الخبر، ثم يردّ على نفسه الحجة من صاحبه^(٣) فيحسن الردّ، ثم يعتذر فيحسن

التخلص، مع حُسْنِ إنصافٍ وعفافٍ في الحكم.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أبو أيوب المديني، قال: حدثنا الفضل بن إسحاق الهاشمي، عن مولى

لجده، قال:

رأيتُ ذا الرمة بسوق المربد، وقد عارضه رجلٌ يهزأ به، فقال له: يا أعرابي، أتشهد بما لم تر؟ قال: نعم،

قال: بماذا؟ قال: أشهد أنّ أباك ناك أمك.

[٩/١٨] / أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي عبيد الله، عن ابن حبيب، عن عمارة بن عقيل، قال:

كان جرير عند بعض الخلفاء، فسأله عن ذي الرمة، فقال: أخذ من طريف الشعر وحسنه^(٤) ما لم يسبقه إليه

أحد غيره.

أخبرني وكيع^(٥)، عن حماد بن إسحاق، قال: قال حماد الراوية:

قدم علينا ذو الرمة الكوفة، فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه.

نسخت من كتاب ابن النطّاح: حدثني أبو عبيدة، عن أبي عمرو، قال: خُتِمَ الشُّعْرُ بذِي الرمة، وخُتِمَ الرَّجَزُ

برؤبة.

قال: فما تقول في هؤلاء الذين يقولون؟ قال: كلّ على غيرهم؛ إن قالوا حسناً فقد سُبِقُوا إليه، وإن قالوا

قبيحاً فمن عندهم.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز، عن المدائني، عن بعض أصحابه، عن حماد

الراوية، قال:

(١) ف: «فقال».

(٢) ج: ... وأبو عمرو علي بن حزام وأبو المطرف.

(٣) ج: «من صاحبه».

(٤) ج: «ووحشيه».

(٥) ح: «محمد بن خلف وكيع». قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ...

أَحْسَنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس، وذو الرمة أحسنُ أهل الإسلام تشبيهاً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، عن عمه عبيد الله، عن ابن حبيب، عن عمارة بن عقيل: أن جريراً والفرزدق اتفقا عند خليفة من خلفاء بني أمية، فسأل كل واحد منهما على انفراد^(١) عن ذي الرمة، فكلاهما قال: أخذ من طريف الشعر وحسنه^(٢) ما لم يسبقه إليه غيره، فقال الخليفة: أشهد لاتفاقكما^(٣) فيه أنه أشعرُ منكما جميعاً.

[١٠/١٨]

/ أخبرني جَحْظَةُ^(٤)، عن حماد بن إسحاق، قال: حدثني أبي قال:

أُنشِدَ الصَّبِيْلُ شِعْرَ ذِي الرِّمَّةِ فاستحسنه، وقال: ما له فائده الله! ما كان إلا رُبَيْقَةً، هَلَّا عاشَ قَلِيلاً^(٥)!

وقال هارون بن محمد: أخبرني علي بن أحمد الباهلي، قال: حدثني محمد بن إسحاق البلخي، عن سفيان ابن عُيَيْنَةَ، عن ابن شُبرمة، قال: سمعت ذا الرمة يقول: إذا قلتُ: كأنه، ثم لم أجد مخرجاً فقطع^(٦) الله لساني.

/ قال هارون: وحدثني^(٧) العباس بن ميمون طائع، قال: قال الأصمعي: كان ذو الرمة أشعر الناس إذا شبّه، $\frac{١١٤}{١٦}$ ولم يكن بالمُفْلِقِ.

وحدثني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال:

كان لذي الرمة حظٌّ في حُسْنِ التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين، كان^(٨) علماؤنا يقولون: أحسنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس، وأحسنُ أهل الإسلام تشبيهاً ذو الرمة.

مركز توثيق التراث الحضاري

لقاؤه بمية وشغفه بها

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد، عن أبيه، عن أبي عقيل عمارة بن عقيل، عن عمته أم القاسم ابنة بلال بن جرير، عن جارية كانت لأم مي، قالت:

كنا نازلين بأسفل الدهناء، وكان رهط ذي الرمة مجاورين لنا، فجلست مية - وهي حينئذ فتاة حين نهد ثديها أحسن من رأيته - تغسل ثياباً لها ولأمها في بيت منفرد، وكان بيتاً رثاً قد أخلق، ففيه خروق، فلما فرغت ولبست ثيابها جاءت فجلست عند أمها، فأقبل ذو الرمة حتى دخل إلينا، ثم سلّم، ونشد ضالّةً وجلس ساعة ثم خرج. فقالت مية: إني لأرى هذا العدوي^(٩) قد رأيته منكشفة واطلع عليّ من / حيث لا أدري؛ فإنّ بني عدي^(١٠) أخبث [١١/١٨] قوم في الأرض، فاذهبي فقصّي أثره، فخرجت فوجدته ما يثبتُ مقامه، فقصصتُ أثره ثانية حتى رأيته وقد تردد أكثر

(١) أ: «انفراده».

(٢) ف: «ووحشيه».

(٣) ف: «أشهد على اتفاقكما».

(٤) ح: «أحمد بن جعفر جحظة».

(٥) ح: «ما كان إلا زنبقة، ألا عاش قليلاً أ والريقة: العروة من الحبل، وتصغيرها ربيقة».

(٦) ح: «ولم أجد فقطع».

(٧) ح: «وحدثني محمد بن العباس».

(٨) ج: «وكان».

(٩) في «المختار»: «المذري».

(١٠) في «المختار»: «بني عذرة».

من ثلاثين طرقة^(١)، كل ذلك يدنو فيطلع إليها، ثم يرجع على عقبيه، ثم يعود فيطلع إليها، فأخبرتها بذلك، ثم لم تنشب أن جاءنا شعره فيها من كل وجه ومكان^(٢).

رواية أخرى في ذلك

وذكر علي بن سعيد بن بشر الرازي: أن هارون بن مسلم بن سعد حدثه عن حسين^(٣) بن براق الأسدي، عن عمارة بن ثقيف، قال:

حدثني ذو الرمة أن أول ما قاد المودة بينه وبين مئة أنه خرج هو وأخوه وابن عمه في بغاء إبل لهم، قال: بينا^(٤) نحن نسير إذ وردنا على ماء وقد أجهدنا العطش، فعدلنا إلى حواء^(٥) عظيم، فقال لي أخي وابن عمي: ائت الحواء فاستسقي لنا^(٦)، فأتيته وبين يدي في رواقه عجوز جالسة. قال: فاستسقيت، فالتفتت وراءها فقالت: يا ممي، اسقي هذا الغلام، فدخلت عليها فإذا هي تنسج^(٧) علقة لها، وهي تقول:

يا مَنْ يَرى^(٨) بَرْقاً يُمْرُ حِيناً زَمْزَمَ رَغْداً وانتحى يمينا^(٩)
كأن في حافاتِه حِيناً^(١٠) أو صوتَ خيل ضُمرٍ يَرْدِينَا

قال: ثم قامت تصب في شكوتي^(١١) ماء، وعليها شوذب^(١٢) لها، فلما / انحطت على القرية رأيت مؤلى لم أر أحسن منه، فلهوت بالنظر إليها، وأقبلت تصب الماء في شكوتي والماء يذهب يمينا وشمالا. قال: فأقبلت علي العجوز^(١٣) وقالت: يا بني ألهتك ممي عما بعثك أهلك له، أما ترى الماء يذهب يمينا وشمالا^(١٤)؟ فقلت: أما والله ليطولن هيامي بها.

قال: وملأت شكوتي، وأتيت أخي وابن عمي، ولففت رأسي، فانتبذت ناحية، وقد كانت ممي قالت: لقد كلفك أهلك السفر على ما أرى من صغرك وحادثة سنك، فأنشأت أقول^(١٥):

قد سَخِرَتْ^(١٥) أخت بني لبيدٍ مِنِّي وَمِنْ سَلَمٍ وَمِنْ وَلِيدٍ^(١٦)

(١) طرقة: مرة من الطرق.

(٢) انفردت ف بهذا الخير.

(٣) ف: «غصين بن براق».

(٤) ف: «فينا».

(٥) في المختار: «خباء». والخبار والحواء، ككتاب: جماعة البيوت المتدانية.

(٦) ف: «فاستسقي لنا ماء».

(٧) في المختار: «تمسح علقة لها». وفي ف: «تنسج شقة لها». والعلقة: قميص بلا كمين، وقيل: ثوب صغير يتخذ للصبى.

(٨) في المختار: «رأى».

(٩) في المختار: «... على يبرينا... وانتحى حينا».

(١٠) المختار: «جينا».

(١١) الشكوة: وعاء من آدم الماء واللبن.

(١٢) الشوذب: ثوب طويل.

(١٣) ١٣- ١٣ من أ، ف، والمختار.

(١٤) «ديوانه» ٥٧.

(١٥) «الديوان»: «قد عجبت».

(١٦) «الديوان»: «وهزئت مني ومن مسعود».

رَأَتْ غُلَامًا مَنِي سَفَرٍ بَعِيدٍ يَدْرَعَانِ اللَّيْسَلُ ذَا الشُّدُودِ^(١)
* مثل اذْزَاعِ الْيَلَمَقِ^(٢) الجديد *

قال: وهي أول قصيدة قلتها ثم أتممتها:

* هل^(٣) تعرف المنزل بالوَحِيدِ *

ثم مكثتُ أهيمُ بها في ديارها عشرين سنة.

ذو الرمة وزوج مي

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن النوفلي^(٤)، قال: سمعتُ أبي يقول:

ضاف ذو الرمة^(٥) زَوْجَ مَيِّ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ، وَهُوَ طَامِعٌ فِي الْآءِ يَعْرِفُهُ زَوْجُهَا، فَيَدْخُلُهُ بَيْتَهُ^(٦)، فَيَرَاهَا وَيَكَلِّمُهَا، فَفُطِنَ لَهُ الزَّوْجُ وَعَرَفَهُ فَلَمْ يُدْخِلْهُ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ / قِرَاهَ، وَتَرَكَهَ بِالْعَرَاءِ^(٧)، وَقَدْ عَرَفْتَهُ مَيَّةً؛ فَلَمَّا كَانَ فِي [١٣/١٨] جَوْفِ اللَّيْلِ تَغْنِي غَنَاءَ الرُّكْبَانِ قَالَ^(٨):

أَرَا جَعَلْتُ يَا مَيُّ أَيَّامُنَا الْأَلْسَى بِذِي الْأَثَلِ أَمْ لَا، مَا لَهْنُ رَجُوعًا

فغضب زوجها، وقال: قومي فصيحي به: يابن الزانية، وأني أيام كانت لي^(٩) معك بذِي الْأَثَلِ! فقالت: يا سبحان الله، ضَيِّقْتُ، والشاعر يقول! فانتضى السيف، وقال: والله لأضربنَّكَ به حتى آتِي عليك أو تقولي^(١٠)، فصاحت به كما أمرها زَوْجُهَا، فنهض على^(١١) راحلته، فركبها وانصرف عنها مُغْضِبًا يُرِيدُ أَنْ يَصْرِفَ مَوَدَّتَهُ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا.

قال شعراً في خرقاء يغيظ به ميًّا

فَمَرَّ بِقَلْجٍ فِي رَكْبٍ، وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ يَرِيدُ / أَنْ يَرْقِعَ خُفَّهُ، فَلِذَا هُوَ بِجَوَارٍ خَارِجَاتٍ مِنْ بَيْتٍ يُرِذْنَ آخِرَ، وَإِذَا^{١١٥} خَرَقَاءَ فِيهِنَّ - وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ - فَلِذَا جَارِيَةٌ حُلُوءَةٌ شَهْلَاءُ^(١٢)، فَوَقَعَتْ عَيْنُ ذِي الرُّمَةِ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهَا: يَا جَارِيَةُ، أَتَرْقِيعِينَ لِهَذَا الرَّجُلِ خُفَّهُ؟ فَقَالَتْ تَهْزَأُ بِهِ: أَنَا خَرَقَاءُ لَا أَحْسِنُ أَنْ أَعْمَلَ؛ فَسَمَّاهَا خَرَقَاءَ، وَتَرَكَ ذَكَرَ مَيِّ؛ يُرِيدُ أَنْ يَغِيظَ بِذَلِكَ مَيًّا. فَقَالَ فِيهَا قَصِيدَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ.

(١) يدراعان: يلبسان. والسدود: الظلمات.

(٢) اليمق: القباء، فارسي معرب.

(٣) «الديوان»: ١٥، وأولها:

أَلَا يَسَا دَارَ مَيَّةَ بِالسُّوْحِيدِ كَأَنَّ رَسْمَهَا قَطَعَ الْبُرُودِ

(٤) حد: «حدثني علي بن محمد النوفلي».

(٥) أي نزل ذو الرمة ضيفاً عليه.

(٦) ف: «بيته ويقريه».

(٧) ف: «وتركه بالعراء وراحلته».

(٨) «ديوانه» ٣٥٢ وروايته في «الديوان»: «أيامنا التي... بذِي الرمث».

(٩) ف: «كانت لنا».

(١٠) ف: «أو لتقولن»، وفي المختار: «أو لتقولين».

(١١) ف: «إلى راحلته».

(١٢) الشهل، محركة وبالضم: أقل من الزرق في الحدقة وأحسن منه. («القاموس»).

لقاؤه بجريير والمهاجر بن عبد الله

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن الأصمعي، عن عمارة بن عقيل، قال:
قال جريير: خرجت مع المهاجر بن عبد الله إلى حَجَّةٍ، فلقينا ذا الرُّمَّة، فاستنشدنا المهاجر فأنشده^(١):

وَمِنْ حَاجَتِي لَوْلَا التَّنَائِي وَرُبَّمَا / عَطَائِيلُ بِيضٌ مِنْ رِبْعَةٍ عَامِرٍ
يَقْظَنُ الْحِمَى وَالرَّمْلُ مِنْهُمْ مَخْضَرٌ^(٢) /
منحت الهوى مَنْ ليس بالمُتْقَارِبِ /
وَذَابُ الثَّنَايَا مُثَقَّلَاتُ الْحَقَائِبِ^(٣) /
وَيُشْرَبُنَ أَلْبَانُ الْهَجَانِ النَّجَائِبِ /
فالتفت إليّ المهاجر، وقال: أترأه مجنوناً!

[١٤/١٨]

رأي لجريير في بيت قاله

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: أخبرنا أبو البَيْدَاءِ الرِّياحِي، قال:
قال جريير: قاتل الله ذا الرمة حيث يقول^(٤):

وَمُتَّزِعٌ مِنْ بَيْنِ نِسْعَيْهِ جِرَّةٌ^(٥) /
نَشِيجَ الشَّجَا جَاءَتْ إِلَى ضِرْسِهِ نَزْرًا^(٦) /
أما والله لو قال: «ما بين جَنْبَيْهِ» لما كان عليه من سبيل.

جريير وأبو عمرو بن العلاء يصفان شعره

أخبرني الطوسي وحبيب^(٧) المهلبِي، عن ابن شبة، عن أبي غزالة^(٨)، عن هشام بن محمد الكلبي، عن
رجل من كندة، قال:

سئل جريير عن شعر ذي الرمة فقال: بَعْرُ ظَبَاوٍ، وَنُقْطُ عَرُوسٍ، يَضْمَحِلُّ^(٩) عن قليل.

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلام، قال: كان أبو عمرو بن العلاء يقول: إنما شعر ذي الرمة نُقْطُ [عروس
يضمحل عن قليل]^(١٠) وأبعاد لها مَشَمٌ في أول شمة^(١١)، ثم تعود إلى أرواح البعر.

الفرزدق يعجب بشعره ولا يعمده من فحول الشعراء

قال أبو زيد بن شبة: قال أبو عبيدة:

(١) «ديوانه» ٥٦.

(٢) في «الديوان»: . . . من دؤابة عامر . . . رقاق الثنايا مشرفات الحقائق.
وعطائيل: بيض طوال حسان.

(٣) في «الديوان»: . . . منهن مربع، والهجان: الكرام. والنجائب: الكرام من الإبل. ويقظن: ينزلته في القبط، وفي أ: «يعظن».

(٤) «ديوانه» ٢٧٣.

(٥) ف: «درة».

(٦) أ: «نزر».

(٧) ف: «وحبيب بن نصر المهلب».

(٨) ف: «ابن غزالة».

(٩) ف: «أي يضمحل عن قريب».

(١٠) من ابن سلام.

(١١) ابن سلام: «شمها».

/ وقف الفرزدق على ذي الرمة وهو ينشد قصيدته (الحائية)^(١) التي يقول فيها^(٢) :

إذا أَرْفَضَ أَطْرَافُ السَّيَاطِ وَهَلَّلَتْ جُرُومُ الْمَطَايَا عَذَّبَتْهُنَّ صَيِّدُحُ^(٣)

فقال^(٤) ذو الرمة : كيف تسمع يا أبا فراس؟ قال : أسمع حسناً، قال : فما لي لا أعُدُّ في الفحول من الشعراء؟ قال : يمنعك من ذلك ويُباعدك^(٥) ذِكْرُكَ الْأَبْعَارِ وَبِكَاءُكَ الدِّيارِ، ثم قال^(٦) :

وَدَوِّيَّةٌ لَوْ ذُو الرُّمَيْمَةِ رَامَهَا^(٧) لَقَصَّرَ عَنْهَا ذُو الرُّمَيْمِ وَصَيِّدُحُ^(٨)

قَطَعْتُ إِلَى مَعْرُوفِهَا مَنَكِرَاتِهَا إِذَا اشْتَدَّ آلُ الْأَمْعَزِ الْمَتْرُضُحُ^(٩)

وقال عمر بن شبة في هذا الخبر : فقام إليه ذو الرمة فقال : أنشدك الله أبا فراس أن تزيد عليهما شيئاً، فقال : إنهما بيتان، ولن أزيد عليهما شيئاً.

قال : وكان عمر بن شبة يقول عمن أخبره عن أبي عمرو^(١٠) : إنما شعره نقط عروس تصمحل عَمَّا قَلِيلَ، وأبعار ظباء لها مشم في أول شمها، ثم تعود إلى أرواح الأبعار^(١١).

كان هواء مع الفرزدق على جرير

وكان^(١٢) هوى ذي الرمة مع الفرزدق على جرير؛ وذلك لما كان بين جرير وابن لجأ / التيمي، وتيم وعدي^(١٣) [١٦/١٨] أخوان من الرِّباب، وعُكِّلَ أخوهم، ولذلك يقول جرير لعُكِّلَ^(١٤).

فَلَا يَضْغَمَنَّ اللَّيْثُ عُكْلًا بِغِرَّةٍ وَعُكْلٌ يَشْتُونُ الْفَرِيسَ الْمَنِيَّ

الْفَرِيسَ هَا هُنَا ابْنُ لَجَأٍ، وكذلك يفعل السبع^(١٥) إذا ضغم^(١٦) شاةً ثم طُرد عنها، أو سبقته، أقبلت / الغنم^(١٧)

(١) كذا في ف..

(٢) «ديوانه» ٨٧.

(٣) أرفض: تفرق من العراق. والجرم: الجسد، وهللت جرومها: صارت كالأهلة من الهزال. وصيدح: اسم ناقة ذي الرمة.

(٤) ف: «ثم قال».

(٥) ف: «ويتقاعد بك».

(٦) «ديوانه» ١٤٧.

(٧) ف: «أمها»، والدوية: المفازة.

(٨) س: «ذو الرماء»، وفي «الديوان»:

* بصيدح أودي ذو الرميم وصيدح *

وذو الرميمة، تصغير ذي الرمة، ورامها بصيدح: ابتغى قطعها بناقته صيدح.

(٩) ف: «إذا امتد». وفي «ابن سلام» ٤٦٩، و «الديوان»:

* إذا خب آل دونها يتوضح *

الأمعز: المكان الصلب الكثير الحصى. المتوضح: المستبين.

(١٠) أ: «قال: وكان أبو عمرو يقول».

(١١) ف: «البحر».

(١٢) ابن سلام ٤٦.

(١٣) «ديوانه»: ١٤، وابن سلام ٤٦٩.

(١٤) ف: «الليث».

(١٥) ضغم السبع الشاة: عضها، أو عضها دون النهش.

تشتم موضع الضنم، فيفتريها^(١) السبع، وهي تشم، ولذلك قال جرير لبني عدي^(٢) :
 وَقُلْتُ نَضَاحَةً لَبَنِي عَدِيٍّ ثِيَابُكُمْ وَنَضَحَ دَمِ الْقَتِيلِ^(٣)
 يحذر عدياً ما لقي ابن لَجَا.

الفرزدق يتحلل أبياتاً له

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلام^(٤) أن أبا يحيى الضبي قال: قال ذو الرمة يوماً: لقد قلت أبياتاً إن لها لغرضاً وإن لها لمراداً ومعنى بعيداً. قال له الفرزدق: ما هي؟ قال: قلت^(٥) :

أَحِينَ أَعَاذْتُ بِي تَمِيمٌ نِسَاءَهَا^(٦) وَجُرَذْتُ تَجْرِيدَ الْيَمَانِي مِنَ الْغَمْدِ
 وَمَدَّتْ بِضَبْعِي الرِّبَابُ وَمَالِكُ وَعَمَرُوا وَشَالَتْ مِنْ وَرَائِي بَنُو سَعْدِ
 وَمَنْ آلَ يَرْبُوعُ زُهَاءُ كَأَنَّهُ زُهَا اللَّيْلِ^(٧) مَحْمُودُ النُّكَايَةِ وَالرَّفْدِ

فقال له الفرزدق: لا تعودن فيها، فأنا أحقُّ بها منك، قال: والله / لا أعود فيها ولا أنشدتها أبداً إلا لك؛ فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها^(٨) :

وَكُنَّا إِذَا الْقَيْسِيُّ نَبَّ عَثُودَهُ ضَرَيْنَاهُ فَوْقَ الْأَنْثِيَيْنِ عَلَى الْكَرْدِ^(٩)
 - الْأَنْثِيَانِ: الْأَذْنَانِ. وَالْكَرْدُ: الْعُتُقُ -

وروى هذا الخبر حماد عن أبيه، عن أبي عبيدة، عن الضحاك الفقيمي^(١٠) قال:
 بينا أنا بكازمة وذو الرمة يُشَدُّ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

* أَحِينَ أَعَاذْتُ بِي تَمِيمٌ نِسَاءَهَا^(١١) *

إذا راكبان قد تدلّيا مِنْ نَقَبِ^(١٢) كازمة مُقَنَّعَانِ فَوْقَهَا، فلما فرغ ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه وقال لِرَاوِيَتِهِ^(١٣): يا عبيد، اضمم إليك^(١٤) هذه الأبيات. قال له ذو الرمة: نشدتك الله يا أبا فراس! فقال له: أنا أحقُّ بها منك، وانتحل منها هذه الأربعة الأبيات.

(١) ف: «فيغترها».

(٢) البيت في «ديوانه» ٤٣٧.

(٣) نضاحه، أي نضحاً. والنضح: الرشاش يصيب الثوب من دماء أو ماء.

(٤) ف: «حدثنا أبو عبد الله بن سلام قال».

(٥) ابن سلام ٤٧٠، و«الموشح» ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، و«ديوان ذي الرمة» ١٤٢.

(٦) س: «نساءهم». والمثبت في أ، ج، وابن سلام، وفي «الموشح»، و«ديوان ذي الرمة» ١٤٢.

(٧) «ديوانه»: «دجا الليل».

(٨) «ديوانه» ٢١ و«اللسان» (كرد)، و«المعرب» ٢٧٩، و«الموشح» ١٧٠، وابن سلام ٤٧١.

(٩) س: «وكان... إلى الكرد»، والمثبت من المراجع السابقة. والعتود: الجددي القوي.

(١٠) ف: «عن الضحاك بن القاسم».

(١١) س: «نساءهم».

(١٢) ف: «بيت».

(١٣) ح: «لراوية».

(١٤) ج: «اضمم هذه».

المهاجاة بينه وبين هشام المرثي

حدثنا محمد، قال: حدثنا أبو الغراف، قال:

مرّ ذو الرمة بمنزلي لامرئ القيس بن زيد مائة يُقال له: مَرَّةٌ^(١)، به نخل، فلم ينزلوه ولم يقروه، فقال^(٢):

نزلنا وقد طال^(٣) النهار وأوقدت
أنحنا فظللنا بأبرادٍ يُمنّسة
/ فلما رآنا أهل مَرَّةٍ أغلقوا
وقد سُميت باسم امرئ القيس قرية

علينا حصن المعزاء^(٤) شمس تنالها
عتاق وأسياف قديم صقالها^(٥)
مخادع لم ترفع لخير ظلالها^(٦)
كرام صواديهما لئلا رجّالها^(٧)

فلجّ الهجاء بين ذي الرمة وبين هشام المرثي، فمرّ الفرزدق بذی الرمة وهو ينشد^(٨):

صوت

وقفت على رُبّعٍ لَمِيّةٍ ناقتي
وأسقيه حتى كاد مما أبّته

فما زلت أبكي عنده وأخاطبُه
تكلّمني أحجاره وملاعِبُه

غنى^(٩) فيه إبراهيم ثاني ثقل مطلق في مجرى البصر، وسياي خبره بعد؛ لثلا ينقطع هذا الخبر.

فقال له الفرزدق: ألهاك البكاء^(١٠) في الديار، والعبء يرتجز^(١١) بك في المقابر^(١٢)، يعني هشاماً.

وكان^(١٣) ذو الرمة مستغلياً هشاماً حتى لقي جرير هشاماً، فقال: غلبك العبء، يعني ذا الرمة، قال: فما أصنع

يا أبا حَزْرَةَ، وأنا راجز وهو يُقصدُ، والرّجَز لا يقوم للقصيد في الهجاء؟ ولو رَفَدْتَنِي^(١٤)، فقال جرير - لثمته ذا الرمة

(١) ابن سلام ٤٧١.

(٢) «ديوانه» ٥٤٢.

(٣) ف: «وقد طاب النهار»، وفي «الديوان»: «وقد غار النهار».

(٤) المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحصى.

(٥) في «الديوان»:

بيننا علينا ظل أبراد يمنة على سمك أسياف قديم صقالها

اليمنة: ضرب من برود اليمن.

(٦) في «الديوان»: «فلما دخلنا جوف امرأة غلفت... دساكر...».

والدساكر: جمع دسكرة، وهي بناء كالقصر، حوله بيوت الأعاجم، يكون فيها الشراب والملاهي، أراد بها هنا البيوت عامة.

(٧) سميت امرأة باسم امرئ القيس. والصوادي: جمع صادية؛ وهي النخل التي بلغت عروقها الماء وطالت، فهي لا تحتاج إلى سقي. وفي أ: «كدام صواديها».

(٨) «ديوانه» ٣٨، ابن سلام ٤٧٢.

(٩) أ: «غناه إبراهيم».

(١٠) في ابن سلام: «التبكاء».

(١١) في ابن سلام: «يرجز بك».

(١٢) في ح، وابن سلام: «في المقبرة».

(١٣) ابن سلام ٤٧٣.

(١٤) ح، وابن سلام: «فلو رفدتنى»، ورفده: أعانه.

[١٩/١٨] بالميل^(١) / إلى الفرزدق -: قل له^(٢) :

١١٧
١٦ / غَضِبْتُ لِرَجُلٍ مِنْ عَدِي تَشَمَّسُوا
وفيم عدي عند تيم من العلاء
وضبَّ عمي يابن جُل^(٤) فلا ترم
يُمَاشي عدياً لؤمها، لا تُجْه
فقل لعدي تستعن بنسائها
أذا الرم قد قلذت قومك رمة

وفي أي يوم لم تشمس رجالها^(٣)
وأيامنا اللاتي تعد فعألها
مساعي قوم ليس منك سجالها^(٥)
من الناس ما متت عدياً ظلالها^(٦)
علي فقد أغيا عدياً رجالها
بطيشاً بأمر المطلقين انحلالها

قال أبو عبد الله: فحدثني أبو الغراف، قال:

لما بلغت الأبيات ذا الرمة قال: والله ما هذا بكلام^(٧) هشام، ولكنه كلام ابن الأتات^(٨).أخبرنا أبو خليفة، قال: حدثنا ابن سلام، قال: وحدثني^(٩) أبو البيداء قال:لما سمعها^(١٠) قال: هو والله ينتمي شعر حنظلي عذري^(١١)، وغلب هشام على ذي الرمة بها.

[٢٠/١٨] / نسخت من كتاب ابن النطاح: حدثني أبو عبيدة، قال: حدثني فلان المرثي، قال:

أتانا جرير على حمار، وأنا لا أعرفه، فأتي بنيذ فشرب، فلما أخذ فيه قال: أين هشام؟ فدعي، فقال له:
أنشدني ما قلت في ذي الرمة، فأنشده، فجعل كلما أنشده قصيدة قال: لم تصنع شيئاً، ثم قال له: قد ذنأ رواجي
فأردد^(١٢) هذه الأبيات ومثربانكم بروايتها، وذكر الأبيات التي أولها قوله^(١٣):

* غَضِبْتُ لِرَجُلٍ^(١٤) من تميم تشمسوا *

ذو الرمة يعاتب جريراً فيعينه بأبيات يهجو بها هشاماً

قال: فغلبه هشام بها، فلما كان بعد ذلك لقي ذو الرمة جريراً فقال: تعصبت على خالك للمرثي. فقال جرير: حيث

(١) في ابن سلام: «وميله إلى الفرزدق».

(٢) «ديوان جرير» ٤٨٦، وابن سلام ٤٧٣.

(٣) ابن سلام: «غضبت لرهمط...»، قال محققه: ويروى: «عجبت لرحل»، و«غضبت لرحل»، بالحاء المهملة. وتشمس: قعد في الشمس أو انتصب لها.

(٤) بنو جل بن عدي بن عبد مناة بن ود.

(٥) السجال: المساجلة والمباراة والمفاخرة.

(٦) ف: «... ضلالها»، وفي ابن سلام: «... ما مشت عدياً رجالها».

(٧) أ، ف: «كلام».

(٨) ابن الأتات، يعني جريراً.

(٩) ابن سلام ٤٧٤.

(١٠) ف: «فلما سمعها».

(١١) ف: «نجودي»، وابن سلام: «غدري».

(١٢) ح: «فارو هذه الأبيات».

(١٣) ساقط من ج.

(١٤) انظر التعليق السابق، حاشية ٢ ص ١٩.

فعلتُ ماذا؟ قال: حين تقول للمرثي كذا وكذا، فقال جرير: لأنك^(١) ألهاك البكاء في دار مية حتى استقبحت^(٢) محارمك.
قال: وقول ذي الرمة: تعصبت على خالك، أن التوار بنت جُل^(٣) أم حنظلة بن مالك، وهي من رَهط
ذي الرمة، وكذلك عن جرير بقوله:

ولولا أن تقول بنو^(٤) عدي ألم تك أم حنظلة التوار
أتتكم يا بني ملكان مني قصائد لا تعاوَرها البحار^(٥)

فقال ذو الرمة: لا، ولكن اتهمتني بالميل مع الفرزدق عليك، قال: كذلك هو، قال: فوالله ما فعلت، وحلف
له بما يرضيه، قال: فأنشدني ما هجوت به المرثي، فأنشده قوله^(٦):

بنت عيناك عن^(٧) طللٍ يحزوي عفته الريح وامتضح^(٨) القطارا

[٢١/١٨]

/ فأطال^(٩) جدًا، فقال له جرير: ما صنعت شيئًا، فأرفدك؟ قال: نعم، قال: قل^(١٠):

يعدُّ الناسيون إلى تميم يوت المجدي^(١١) أربعة كبارا
يعدُّون الرباب وآل سَعْدِ^(١٢) وعمرأثم حنظلة الخيارا
ويهلك بينها المرثي لغوا كما ألغيت في الدية الحوارا

(١٣) ويروى: ويذهب بينها^(١٣).

فغلبه^(١٤) ذو الرمة بها.

قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني^(١٥)، قال: حدثني جماعة من أهل العلم أن ذا الرمة مرّ بالفرزدق فقال
له: أنشدني أحدث ما قلت في المرثي، فأنشده هذه الأبيات، فأطرق الفرزدق ساعة، ثم قال: أعد، فأعاد، فقال:
كذبت وأيم الله، ما هذا لك، ولقد قاله أشدُّ لَحْيَيْنِ منك، وما هذا إلا شعر ابن الأتات^(١٦).

(١) ف: «لا، بل».

(٢) ف: «حتى استيحت».

(٣) أ: «بنت خال».

(٤) في أ: «بني عدي».

(٥) في ف: «التجار».

(٦) «ديوانه» ١٩٣.

(٧) أ: «من طلل» وحزوي: موضع بنجد.

(٨) ف، و «الديوان»: «وامتنح»، من المنحة وهي العطية، وامتضح، من مضح عرضه: شأنه.

(٩) ج: «فأطالها».

(١٠) «ديوان ذي الرمة» ١٩٦.

(١١) «الديوان»: «بيوت العز».

(١٢) «الديوان»:

يعدون الرباب لهم وعمرأثم وسعدأثم.....

(١٣ - ١٣) كذا في ج.

(١٤) في ف: «فغلب».

(١٥) ما: «الجرجاني». وف: «الجرجاني».

(١٦) يريد جريرا.

فلما سمعها المرثي جعل يلطم رأسه، ويصرخ ويدعو / بويله، ويقول: قتلني جرير، قتله الله! هذا والله شعره الذي لو نقطت منه نقطة في البحر لكدرته، قتلني، وفضحني.

فلما استعلی ذو الرمة على هشام أتى هشام وقومه جريراً فقالوا: يا أبا حذرة، عادتُك الحسنى، فقال: هيهات، ظلمتُ أخوالي، قد أتاني ذو الرمة، فاعتذر إليّ، وحلف^(١) فلستُ أُعِينُ عليهم.

/ فلما يشسوا من عنده أتوا لهذا المكاتب وقد طلع بمكاتبته، فأعطوه عشرة أعنز، وأعانوه على مكاتبته، فقال أبياتاً عينيةً يفضل فيها بني امرئ القيس على بني عديّ، وهشاماً على ذي الرمة، ومات ذو الرمة في تلك الأيام، فقال الناس: غلبه هشام.

قال ابن التّطاح: إنما مات ذو الرمة بعقب إرفاد جرير إياه على المرثي، فقال الناس: غلبه، ولم يغلبه؛ إنما مات قبل الجواب.

يتحدث عن شعره

أخبرني اليزيدي^(٢)، عن محمد بن الحسن الأحول، عن بعض أصحابه، عن الشّبو بن قسيم العُدري^(٣)، قال:

سمعتُ ذا الرمة يقول: من^(٤) شعري ما طاعني فيه القولُ وساعدني، ومنه ما أجهدتُ نفسي فيه، ومنه ما جُننت به جنوناً؛ فأما ما طاعني القول فيه فقولِي^(٥):

* خليلي عوجاً من صدور الرّواجل *

وأما ما أجهدتُ نفسي فيه فقولِي^(٦):

* أأنّ توشمت من خرقاء منزلة *

أما ما جُننت به جنوناً فقولِي^(٧):

* ما بال عينك منها الدّمع ينسكب *

[٢٣/١٨] / جرير يتمنى أن ينسب إليه شعر لذي الرمة

أخبرني عليّ بن سليمان، عن محمد بن يزيد، عن عمارة بن عقيل، قال: كان جرير يقول: ما أحببتُ أن يُنسب إليّ من شعر ذي الرمة إلا قوله:

(١) ف: «وحلف لي».

(٢) حد: «محمد بن العباس اليزيدي».

(٣) حد: «السير بن قسيم العدوي».

(٤) حد: «في».

(٥) «ديوانه» ٤٩١ وعجز البيت:

* بجمهور حزوى فابكيا في المنازل *

(٦) «ديوانه» ٥٦٧ وفي «الديوان»:

أعن ترسمت ماء الصبابة من عينيك مسجوم

(٧) «ديوانه» ١ وتماه:

* كأنه من كل مفرية سرب *

* ما بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ *

فإن شيطانه كان له فيها ناصحاً.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال:

قال حماد الراوية: ما تمم ذو الرمة قصيدته التي يقول فيها:

* ما بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ *

حتى مات، كان يزيد فيها منذ قالها حتى توفي.

ذو الرمة وخياط في سوق المريد.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبي عدنان، قال: أخبرنا جابر بن عبد الله بن جامع بن جرموز

الباهلي، عن كثير بن ناجية، قال:

بيننا ذو الرمة يشد بالمريد والناس مجتمعون إليه، إذا هو بخياط يطالعه، ويقول: يا غيلان

أأنت الذي تستنطق الدار واقفاً من الجهل هل كانت بكن حلو؟

فقام ذو الرمة وفكر زماناً، ثم عاد فقعده في المريد يشد، فإذا الخياط قد وقف عليه، ثم قال^(١):

أأنت الذي شبّهت عذراً بقفرة لها ذنب فوق استنها أم سالم؟

وقرّنان إمّا يلزقاً بك يتركس^(٢) بجنيك يا غيلان مثل المواسم

جعلت لها قرنين فوق شواتها^(٣) ورأبك منها مشقة في القوائم

/ فقام ذو الرمة فذهب، ولم يشد بعدها في المريد حتى مات الخياط. قال: وأراد الخياط بقوله هذا قول [٢٤/١٨]

ذي الرمة^(٤):

أقول لدهناوية عومج جرّت لنا بين أعلى برقة في الصرائم^(٥)

أيا ظبية الوغساء بين جلاجلي وبين النقا أنت أم أم سالم؟

هي الشبة لولا مذيهاها^(٦) وأذنها سواء وإلا مشقة في القوائم

فانتبه ذو الرمة لذلك، فقال^(٧):

/ أقول بذي الأزطى عشية أرشقت^(٨) إلى الركب أعناق الطباء الخواذل^(٩)

(١) حد: «فقال».

(٢) حد: «يلزماك يثنيا».

(٣) الشواة: الشوى، والشوى: تحف الرأس. وفي ف: «فوق ثيابها».

(٤) «ديوانه» ٦٢١.

(٥) في «الديوان»: «... بين أعلى عرفة بالصرائم». وفي ف: «بين أعلى عجمة فالصرائم».

(٦) في «الديوان»: «إلا مذيهاها». والمدريان: القرنان.

(٧) «ديوانه» ٤٩٥.

(٨) في «الديوان»: «وعشية أثلعت...». وفي ف: «أشرفت».

(٩) حد: «أعناق المطي».

لأدماء^(١) مِنْ أَرَامَ بَيْنَ سُوءَيْقَةٍ
أرى فيكَ من خرقاءَ يا ظليّة اللّوى
وبين الجبال^(٢) العُفر ذات السّلاسلِ
مشابهة جُئبت^(٣) اعتلاقَ الجبائلِ
فعيناك عيناها وجيّدك جيّدُها
ولونك لولا أنها غيرُ عاطِل^(٤)

في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات رمل بالوسطى لإبراهيم^(٥).

[٢٥/١٨] / رؤية يعجز عن تفسير بيت قاله الراعي فيفسره له ذو الرمة

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش^(٦)، عن أبي سعيد السكري، عن يعقوب بن السّكيت، عن محمد بن سلام، عن أبي الغراف، قال:

قال ذو الرمة لرؤية: ما عَنَى الراعي بقوله^(٧):

أناخا بأشوا الظنّ ثمت عرساً قليلاً وقد أبقى سهيلاً فعرداً

فجعل رؤية يقول: هي كذا هي كذا، لأشياء لا يقبلها ذو الرمة، فقال له رؤية: فمة؟ ويحك! قال: هي الأرض بين المكلثة وبين المُجْدبة.

الوليد بن عبد الملك يسأل الفرزدق وجريراً عن ذي الرمة

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبي عذنان، عن إبراهيم بن نافع:

أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره، فقال له: مَنْ أشعر الناس؟ قال: أنا، قال: أفتعلم أحداً أشعر منك؟ قال: لا، إلّا أن غلاماً من بني عديّ بن كعب يركب أعجاز الإبل، وينعت الفلّوات. ثم أتاه جريّر فسأله، فقال له مثل ذلك. ثم أتاه ذو الرمة فقال له: ويحك! أنت أشعر الناس، قال: لا، ولكن غلام من بني عقيل يُقال له: مُراحم: يسكن الرّوضات يقول وحشيّاً من الشعر لا تقدر على أن تقول مثله.

كثيرة تقول شعراً في ميّ وتنحله ذا الرمة

قال: وكان ذو الرمة يتشّبب^(٨) بمي بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقرّي، وكانت كثيرة^(٩) أمة مؤلّدة لآل قيس بن

(١) في «الديوان»: «لأدمانة من وحش»، وأدمانة: ظبية.

(٢) في «الديوان»: «... الجبال»، بالحاء المهملة، قال: والجبال يعني جبال الرمل. والعفر: الحمر. والسلاسل من الرمل: ما تعقد منه.

(٣) جد: «جنته»، والمثبت من أ و «الديوان»: يدعو لها ألا تعلق في حباله الصائد.

(٤) حر و«الديوان»: «إلا أنها». والعاطل: التي لا حلي عليها.

(٥) حر: «لإبراهيم الموصلي».

(٦) ف: «علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد».

(٧) ابن سلام ٤٧٧، وروايته:

أناخا بأشوال طروقاً بخبة وفي «اللسان» (خب) و«المخصص» ١٠: ١٧٣:

أناخوا بأشوال إلى أهل خبة وفي حر:

أناخا بأشراط وظلا بخبة

(٨) حر: «يشب».

(٩) ابن سلام: «كثرة».

عاصم، وهي أم سَهْم بن بُرْدَة اللص الذي / قتله سِتَان بن مُخَيَّس^(١) القشيري أيام محمد بن سليمان، فقالت كثيرة^(٢) : [٢٦/١٨]

على وَجْهِ مَيِّ مَسْنَعَةٍ مِنْ مَلَا حَةٍ وتحت الثيابِ الخِزْي لو كان بَادِيَا
ألم تر أن الماءَ يخبثُ طَعْمُهُ ولو كان لَوْنُ الماءِ في العينِ صَافِيَا^(٣)

ونحلتها ذا الرِّمَّة، فامتعض من ذلك، وحلف بجهد^(٤) أيمانه ما قالها.

قال: وكيف أقول هذا وقد قطعْتُ دَهْرِي، وأفنيْتُ شبابِي أشبَّ بها وأمذَحُهَا^(٥)، ثم أقول هذا، ثم أطلع على أنَّ كثيرة قالتها، ونحلتها إياه.

مِية لا ترد عليه السلام فيغضب ويقول في ذلك شعراً

وقال هارون بن محمد: حدثني عبد الرحمن بن عَبْدَ اللَّهِ، قال: حدثني هارون بن سعيد، قال: حدثني أبو المسافر الفقعي، عن أبي بكر بن جَبَلَة الفقعي، قال:

وقف ذو الرمة في رَكْبٍ معه على مِية، فسَلَمُوا عليها، فقالت: وعليكم إلَّا ذا الرمة^(٦)، فأحفظه ذلك وغمَّه ما سمع منها بحضرة القوم^(٧)؛ فغضب وانصرف وهو يقول:

أَيَا مَيِّ قَدْ أَشْمَتُ بِي وَيَحْكُ الْعِدَا وَقَطَعْتَ حَبْلًا كَانَ يَأْمِسِي بِأَقْيَا
فِيَا مَيِّ لَا مَرْجُوَ لِلْوَضَلِ بَيْنَنَا وَلَكِنْ هَجَسْرًا بَيْنَنَا وَتَقَالِيَا
ألم تر أن^(٨) الماءَ يخبثُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الماءِ فِي الْعَيْنِ صَافِيَا

[٢٧/١٨]

/ محمد بن الحجاج الأسدي يلتقي بمِية وهي عجوز

أخبرني الحسن بن عليّ الأدمي، عن^(٩) ابن مَهْرُوبِ، عن ابن النطاح، عن محمد بن الحجاج الأسدي من بني أسيد بن عمرو بن تميم، قال:

مررتُ على مِية وقد أَسْتَتْ، فوقفت عليها وأنا / يومئذ شابٌ فقلت: يَا مِية! مَا أَرَى ذَا الرمة إلَّا قد ضَيَّعَ فَيْكَ^(١٠) قوله حيث يقول^(١١):

نحوه

أَمَا^(١١) أَتَتْ عَنْ ذِكْرِكَ مِيةً مُقْصِرٌ وَلَا أَنْتَ نَاسِي الْعَهْدِ مِنْهَا فَتَذْكُرُ

(١) أ: «ابن محسر»؛ والمثبت من ف وابن سلام.

(٢) ابن سلام: «كتزة»، والشعر في ابن سلام ٤٧٦، و«أمالِي الزجاجي» ٥٧، و«الحماسة» ٤: ٥٣، و«الشعر والشعراء» ٥١٩.

(٣) في هامش حد من نسخة: «وإن كان...». وفي «الديوان» ٦٧٥: «... أن الماء يخلط طعمه».

(٤) حد: «جهد».

(٥) س: «وأمذَحُهَا»؛ والمثبت من أ، ف، وابن سلام.

(٦) حد: «إلا ذو الرمة».

(٧) حد: «فأحفظه ما سمع منها بحضرة القوم».

(٨) أ: «ألم ترين»، والمثبت من «الديوان».

(٩) ف: «قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه».

(١٠) الأبيات في «ديوانه» ٦٦٦.

(١١) في حد: «وما».

تَهَيَّمُ بِهَا مَا تَسْتَفِيقُ وَدُونَهَا حِجَابٌ وَأَبْوَابٌ وَسِتْرٌ مُسْتَرٌ

قال: فضحكت وقالت: رأيتني يابن أخِي وقد وليتُ وذهبتُ محاسني، ويرحم الله غيلان؛ فلقد قال هذا في وأنا أحسنُ من النارِ الموقدة في الليلة القَرَّة في عَيْنِ المَقْرور، ولن تبرحَ حتى أقيمَ عندك عُذْرهُ^(١)، ثم صاحت: يا أسماء، اخرجي؛ فخرجت جارية كالمَهَاة ما رأيتُ مثلها، فقالت: أما لمن شَبَّ بهذه وهويها عُذْر؟ فقلت: بلى، فقالت: والله لقد كنت أزمان كنتُ مثلها أحسنَ منها، ولو رأيتني يومئذ لأزدريتُ هذه ازدرائك إياي اليوم، انصرف راشداً.

في هذين البيتين لإبراهيم ثاني ثقل بالوسطى.

أبو سوار الغنوي يصف مية

أخبرني^(٢) أبو خليفة، قال: قال محمد بن سلام: قال أبو سوار^(٣) الغنوي:

رَأَيْتُ مِيَّةً وَإِذَا مَعَهَا بَنُونَ لَهَا صِغَارٌ، فَقُلْتُ: صِفْهَا لِي، فَقَالَ: مَسْنُونَةُ الْوَجْهِ، / طَوِيلَةُ الْخَدِ^(٤)، شَمَاءُ الْأَنْفِ، عَلَيْهَا وَشَمٌ جَمَالٌ، فَقَالَتْ: مَا تَلَقَّيْتُ^(٥) بِأَحَدٍ مِنْ بَنِي هَؤُلَاءِ إِلَّا فِي الْإِبِلِ، قُلْتُ: أَفَكَانَتْ تَنْشُدُكَ شَيْئاً مِمَّا قَالَهُ ذُو الرِّمَّةِ فِيهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَتْ تَسْخُ سَخًا، مَا رَأَى أَبُوكَ مِثْلَهُ.

مِةً تَجْعَلُ اللَّهُ عَلَيْهَا أَنْ تَنْحَرَ بِدَنَةِ يَوْمِ تَرَى ذَا الرِّمَّةِ

فَأَمَّا ابْنُ قَتِيْبَةٍ فَقَالَ فِي خَبْرِهِ^(٦):

مَكثْتُ مِيَّةً زَمَانًا لَا تَرَى ذَا الرِّمَّةِ، وَهِيَ تَسْمَعُ مَعَ ذَلِكَ شِغْرَهُ، فَجَعَلْتُ اللَّهُ عَلَيْهَا أَنْ تَنْحَرَ بِدَنَةِ يَوْمِ تَرَاهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رَجُلًا دَمِيمًا أَسْوَدَ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ قَالَتْ: وَاسْوَأَتَاهُ! وَابْؤَسَاهُ^(٧) وَاضْبِيعَةُ بَدَنَتَاهُ! فَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَا حِيَةٍ وَتَحْتَ الثِّيَابِ الشَّيْنُ لَوْ كَانَ بِأَدْيَا

قال: فكشفت ثوبها عن جسدها، ثم قالت: أشتينأ ترى لا أم لك! فقال:

أَلَمْ تَسِرْ أَنَّ الْمَاءَ يَخْبُثُ طَغْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَيْضَ صَافِيَا

فقالت: أما ما تحت الثياب فقد رأيتُه وعلمتُ أن لا شينَ فيه، ولم يبق إلا أن أقول لك: هلم، حتى تذوق ما وراءه، ووالله لا ذقتُ ذاك أبداً، فقال:

فِيَا ضَبِيعَةَ الشَّعْرِ الَّذِي لَجَّ فَانْقَضَى بِمَيِّ وَلَمْ أَمْلِكْ ضَلَالَ فَوَادِيَا

قال: ثم صلح الأمر بينهما بعد ذلك، فعاد لما كان عليه من حُبها.

(١) ف: «عذره في».

(٢) الخبر في ابن سلام ٤٧٦.

(٣) جد: «ابن سوار».

(٤) في ابن سلام: «الخدين».

(٥) تلقت المرأة: حبلى.

(٦) «الشعر والشعراء» ٥٠٩.

(٧) ساقط من ف، وهو في «الشعر والشعراء».

محمد بن علي الجبيري يلتقي بالنوار ابنة مئة ويتذاكران شعراً لذي الرمة

وذكر محمد بن علي بن حفص الجبيري^(١) الحنفي - من ولد أبي جبيرة - أنَّ النوار بنت عاصم المنقرية - وأمها مئة صاحبة ذي الرمة - أخبرته، وقد ذكر عندها ذا الرمة^(٢)، وأنشدها قوله في أمها^(٣) :

[٢٩/١٨]

هي البرء والأسقام والهمُّ والمنى / وموتُ الهوى في القلب مني المبرح^(٤)
وكان الهوى بالنأي^(٥) يُمنحى فيمحي / وحُبُّك عندي يستجدُّ ويربح
يربح، أي يزيد الربح^(٦) . هكذا ذكره الأصمعي.
إذا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ / رَسِيسَ الْهَوَى^(٧) مِنْ حُبِّ مِئَةٍ يَرِيح
فلما سمعت قوله :

* إذا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ . . . *

قالت: قَبَّحه الله، هو الذي يقول أيضاً:

١٢١
١٦

على وجه مَيِّ مَسْحَةٍ مِنْ مَلَا حَةٍ / وتحت الثياب الشَّيْنُ^(٨) لو كان بادياً
/ فقلت لها: أكانت مِئَةً جَدَّتْكَ؟ قالت: لا، بل أُمِّي، فقلت لها: كم تَعُدِّين؟ قالت: ستين سنة.
أخبرني الحسين^(٩) بن يحيى، قال حماد: قرأتُ على أبي، عن محمد بن سلام، قال:
كانت مَيِّ صاحبة ذي الرمة من وَلَدِ طَلْبَةِ بن قيس بن عاصم المنقرية، وكانت لها بنت [عم]^(١٠) من ولد قيس
يقال لها: كثيرة^(١١) أم سلمة، فقالت على لسان ذي الرمة:

* على وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٍ مِنْ مَلَا حَةٍ *

الآيات. فكان ذو الرمة إذا ذُكر له ذلك يمتعض منه، ويحلفُ أنه ما قالها^(١٢) قط.

أخبرني بهذا الخبر أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن أبي الغراف الضبي^(١٣) بمثله، وقال فيه:

(١) حد: «الحميري».

(٢) ف: «ذو الرمة».

(٣) «ديوانه» ٧٩، ٨٣ من قصيدته التي مطلعها:

أمنزلتني مَيِّ سلام عليكما / على النَّأْيِ، والنَّائِي يسود وينصح
(٤) حد: «للأسقام والهم والمنى»، وفي «الديوان»:

هي البرء والأسقام والهم ذكرها / وموت الهوى لو التناهي المبرح
(٥) «الديوان»: «وبعض الهوى بالبحر».

(٦) حد: «يزيد كما يزيد الربح».

(٧) في «الديوان»: «... لم يكد... رسيس الهوى...».

(٨) حد و «الديوان»: «الخزي».

(٩) أ: «الحسن بن يحيى».

(١٠) ساقط من ف.

(١١) انظر الحاشية ٤ ص ٢٥.

(١٢) حد: «ما قاله».

(١٣) حد: «الفقسي».

[٣٠/١٨] / إن كثيرة مولاة لهم، وهي ^(١) أم سلمة اللص الذي قتلته خيل محمد بن سليمان، والله أعلم. أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبیب المهلبی ^(٢)، عن ابن شبة، عن المدائني، عن سلمة ^(٣)، عن محارب، قال:

كان ذو الرمة يقرأ ويكتب ويكتب ذلك، فقبل له: كيف تقول: عزير ابن الله أو عزير بن الله؟ فقال: أكثرهما حرفاً.

ذو الرمة يكتب

أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم، قال: قال ^(٤) عيسى بن عمر: قال لي ^(٥) ذو الرمة: ارفع هذا الحرف، فقلت له: أنكتب؟ فقال بيده ^(٦) على فيه: اكتب ^(٧) علي فإنه عندنا عيب.

رؤية يتهمه بسرقة شعره

أخبرني ابن دُرَيْد، عن أبي حاتم، عن الأصمعي، عن محمد بن أبي بكر المخزومي، قال:

قال رؤية: كما قلت شعراً سرقه ذو الرمة، فقبل له: وما ذاك؟ قال: قلت ^(٨):

* حيّ الشهيقي مَيِّتُ الأنفاس *

فقال هو ^(٩):

يَطْرَحَنَّ بِالْمَهَارِقِ الْأَغْفَالِ كُلَّ جَهِيضٍ لَيْسَ السَّرِبَالِ

* حيّ الشهيقي مَيِّتُ الأوصال *

[٣١/١٨] / فقلت له: فقلوه والله أجود من قولك، وإن كان سرقه منك، فقال: ذلك ^(١٠) أغم لي.

يحدثنا عن منزلته من الراعي

أخبرني ابن عبد العزيز ^(١١) عن ابن شبة قال:

(١) ح: «وأما».

(٢) ف: «وحبيب بن نصر».

(٣) ح: «عن مسلمة بن محارب».

(٤) «الشعر والشعراء» ٥٠٧.

(٥) ج: «قال ذو الرمة».

(٦) يريد: أشار بيده على فيه.

(٧) «الشعر والشعراء»: «أي اكتب علي».

(٨) «الشعر والشعراء» ٥١٦، وفيه: «موتى العطايا حية الأنفاس».

(٩) «ديوانه» ٤٨٢، «الشعر والشعراء» ٥١٦.

والمهاريق: الصحف؛ شبه الفلوات بها. والأغفال: اللواتي لا علم بها. والجهيض: الولد الذي سقط لغير تمام. السربال، يعني

جلده. وفي ف: «كل حنين» وفي ب: «كل حصين».

(١٠) ح: «ذاك».

(١١) ح: «محمد بن عبد العزيز».

قيل لذي الرمة: إنما أنت راوية الراعي. فقال: أما والله لئن قيل ذاك ما مثلي ومثله إلا شابٌ صَحِبَ شيخاً، فسلك به طرقات فارقه، فسلك الشاب بعده شعاباً وأودية لم يسلكها الشيخ قط.

لا يحسن الهجاء والمدح

أخبرني محمد بن أحمد بن الطَّلَّاس، عن الخراز^(١) عن المدائني، وأخبرني به^(٢) إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم، عن ابن أخي الأصمعي، عن عمه، دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال:

إنما^(٣) وضع من ذي الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح، وقد مدح بلال بن أبي بردة فقال^(٤):

رَأَيْتُ النَّاسَ يَتَجَمَعُونَ غَيْشاً فَقُلْتُ لَصَيْدَحَ: ائْتَجِعِي بِسَلَالٍ

فلما أنشده قال له: أو لم يتجعني غير صَيْدَح؟ يا غلام، أعطه حَبْلٌ قَتٌ لَصَيْدَحَ، فأخجله.

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلام قال: حدثني أبو الغراف قال:

عاب الحكم بن عَوانة الكلبي ذَا الرمة في بعض قوله فقال فيه^(٥):

فَلَوْ كُنْتُ مِنْ كَلْبٍ صَمِيماً^(٦) هَجَوْتُكُمْ جَمِيعاً وَلَكِنْ لَا إِخَالُكَ مِنْ كَلْبٍ^(٧)

/ وَلَكِنَّمَا أَخْبَرْتُ أَنْكَ مُلْصَقٌ كَمَا أَلْصَقْتُ مِنْ غَيْرِهَا ثُلْمَةُ الْقَعْبِ^(٨)

تَذْهَدِي فَخَرْتُ ثُلْمَةً مِنْ صَمِيمِهِ^(٩) فَكَيْفَ بَأْخَرِي^(١٠) بِالْغِرَاءِ وَبِالشَّغْبِ

ذو الرمة وبلال بن أبي بردة يحتكمان إلى أبي عمرو بن العلاء في رواية شيء من شعر حاتم:

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلام^(١١) قال: وحدثني أبو الغراف قال:

دخل ذو الرمة على / بلال بن أبي بردة، وكان بلال راويةً فصيحاً أديباً، فأنشده بلال أبيات حاتم طي^(١٢) ١٢٢

قال^(١٣):

لِحَا اللَّهِ صُغْلُوكَا مُنَاهُ وَهْمُهُ مِنْ الْعَيْشِ أَنْ يَلْقَى لُبُوساً وَمَطْعَمَا

يَرَى الْخُمْسَ تَعْذِيماً وَإِنْ نَالَ شُبْعَةً يَيْتُ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّةِ الْهَمِّ مُبْهَمَا^(١٣)

(١) عن أحمد بن الحارث الخراز.

(٢) وأخبرني إبراهيم.

(٣) «وإنما».

(٤) «ديوانه» ٤٤٢.

(٥) ابن سلام ٤٨٢، «ديوانه» ٥٣.

(٦) «الديوان». وفي «الأصول»: «صحيحاً».

(٧) «الديوان» وابن سلام. وفي بعض «الأصول»: «في كلب».

(٨) «الديوان»: «ولكنني خبرت»، وثلمة الإناء: موضع الكسر من شفته، والقعب: القدح.

(٩) ف، وفي أ، س: «صحيحه».

(١٠) في «الديوان» وابن سلام: «فلز بأخرى».

(١١) ابن سلام ٤٨٣.

(١٢) «ديوان حاتم» ٢٥، وابن سلام ٤٨٣.

(١٣) في ابن سلام: «من قلة الهم».

هكذا أنشد بلال، فقال ذو الرمة: يرى الخَمَصُ تعذيباً، وإنما الخِمْسُ للإبل، وإنما هو خَمَصُ البطن، فمحكَّ بلال - وكان مَحْكاً^(١) - وقال: هكذا أنشدني^(٢) رُؤاة طييء، فردَّ عليه ذو الرمة، فضحك^(٣)، ودخل أبو عمرو بن العلاء، فقال له بلال: كيف تشدهما^(٤)؟ وعرف أبو عمرو الذي به فقال: كَلَّا الوَجْهَيْنِ جائر، فقال: أتأخذون عن ذي الرمة؟ فقال: إنه لفصيح وأنا لتأخذُ عنه بتمريض. وخرجا من عنده، فقال ذو الرمة لأبي عمرو: والله لولا أنني أعلم^(٥) أنك حطبتَ في حَبْلِهِ وملت^(٦) مع هواه لهجوتُك هِجاء لا يقعدُ إليك اثنان بعده.

[٣٣/١٨] / أجود شعره في رأي بلال بن جرير

نسختُ من كتاب محمد بن داود بن الجراح: حدثني هارون بن محمد الزيات، قال: حدثني حماد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل، قال: قيل لبلال بن جرير: أي شعر ذي الرمة أجود؟ فقال^(٧):

* هل حبل خرقاء بَعْدَ اليَوْمِ مَرْمُوم *

إنها مدينة الشعر.

رأي لابن سلام في ذي الرمة

حدثنا^(٨) أبو خليفة، عن ابن سلام، قال:

كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن وابن سيرين، كان يزوي عنهما ويروي عن الصحابة، وكذلك ذو الرمة، هو دونهما ويساويهما في بعض شعره^(٩).

جماعة من الكوفة يصنعون له أبياتاً

أخبرني^(١٠) الجوهري قال: حدثنا ابن شبة، عن ابن معاوية^(١١)، قال: قال حماد الراوية:

قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم تر أحسن ولا أفصح ولا أعلم بغريب منه؛ فغم ذلك كثيراً من أهل المدينة^(١٢)، فصنعوا له أبياتاً وهي قوله:

رأى جملاً يوماً ولم يك قبلها من الدهر يدري كيف خلق الأباغر

(١) كذا في ابن سلام. ومحك: نازع في الكلام وتمادى في البجاجة، وفي ف: «وكان ضحوكاً».

(٢) في ابن سلام: «أنشدنيهما».

(٣) ابن سلام: «فمحك».

(٤) حد: «كيف تشدهما».

(٥) حد وابن سلام: «أعلمك».

(٦) ابن سلام: «وقلت في هواه».

(٧) «ديوانه» ٥٦٩، وفيه: «... بعد الهجر»، وتماه:

* أم هل لها آخر الأيام تكليم *

(٨) ابن سلام ٤٦٦.

(٩) في ابن سلام: «الشعر».

(١٠) جد: «وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري».

(١١) جد: «عن أحمد بن معاوية الباهلي».

(١٢) جد: «من أهل الكوفة».

فَقَالَ: شَطَايَا مَعَ ظَبَايَا آلَانَا وَأَجْفَلُ إِجْفَالِ الظَّلِيمِ الْمِبَادِرِ
فَقُلْتُ لَهُ: لَا ذَهْلَ مِلْكَيْلَ بَعْدَمَا مَلَا نَيْفُ الْبَيِّنِ مِنْهُ بَعَادِرِ
قال: فاستعادها مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: ما أحسب هذا من كلام العرب.

ذو الرمة وعنبسة النحوي

أخبرني أبو الحسن الأسدي، عن العباس بن ميمون طائع، قال: حدثنا أبو عثمان المازني، عن الأصمعي، عن عنبسة النحوي، قال:

[٣٤/١٨]

/ قلت لذي الرمة وسميتم يشد ويقول:

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كُونَا فكَانَتَا فَعُولَيْنِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

قال: فقلت له: فهلاً قلت: فَعُولَان؟ فقال: لو قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، كان خيراً لك؛ أي أنك أردت القدر، وأراد ذو الرمة كونا فعولين بالألباب، وأراد عنبسة: وعينان فعولان. وروى هذا الخبر ابنُ الزيات^(١)، عن محمد بن عباد، عن الأصمعي، عن العلاء بن أسلم، فذكر مثله.

يغير شعره لرأي قاله ابن شبرمة

وحكى أن إسحاق بن سويد المعارض له قال: وأخبرني الأخفش، قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثني عبد الصمد بن المعدل، قال: حدثني أبي، عن أبيه قال:

قدم ذو الرمة الكوفة فوقف يُنشد الناس بالكناسة قصيدته الحائية، حتى أتى على قوله^(٢):

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكُذْ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

/ فناداه ابنُ شبرمة: يا غيلان، أراه قد برح. فشتى^(٣) ناقته، وجعل يتأخر بها ويفكر. ثم عاد فأنشد قوله:

* إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجُذْ *

قال: فلما انصرفت حدثت أبي، فقال: أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذي الرمة ما أنشد، وأخطأ ذو الرمة حين غيّر شعره لقول ابن شبرمة، إنما هذا مثل قول الله عز وجل: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُذْ يَرَاهَا﴾^(٤) وإنما معناه لم يرها ولم يكذ.

[٣٥/١٨]

/ بلال بن أبي بردة يأمر له بعشرة آلاف درهم

أخبرني الجوهري، عن ابن شبرمة، عن يحيى بن نجيم^(٥) قال:

قال رؤية لبلال بن أبي بردة: علام تعطي ذا الرمة؟ فوالله إنه ليُعْمد إلى مقطعاتنا فيصلها فيمدحك بها، فقال: والله لو لم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

(١) جد: «هارون بن محمد الزيات».

(٢) «ديوانه» ٧٨.

(٣) جد: «فشتى لناقته»، وشتى البعير: كفه بزمامه حتى ألزق ذفره بقادمة الرجل، أو رفع رأسه وهو راكبه.

(٤) سورة النور ٤٠.

(٥) جد: «أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني يحيى بن نجيم قال: «.

رجل بمربد البصرة يراجع في شعر ينشده

أخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا^(١) إسحاق الموصلي ، عن الأصمعي ، قال^(٢) :

قال رجل : رأيت ذا الرمة بمربد البصرة وعليه جماعة مُجْتَمعة وهو قائم ، وعليه بُرد قيمته مائتا دينار ، وهو ينشد ، ودموعه تجري على لحيته^(٣) :

* ما بال عينك منها الماء يُنْسَكِبُ *

فلما انتهى إلى قوله^(٤) :

تُضْغِي إِذَا شَدَّهَا بِالْكُورِ جَانِحَةً حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى فِي غَرْزِهَا تَثْبُ

قلت : يا أبا بني تميم ، ما هكذا قال عمك ، قال : وأي أعمامي يرحمك الله ؟ قلت : الراعي ، قال : وما قال ؟ قال : قلت : قوله^(٥) :

وَلَا تُعْجَلِ الْمَرْءَ قَبْلَ الْوُورِ كَ وَهِيَ بِرَكْبَتِهِ أَبْصَرُ^(٦)
وَهِيَ إِذَا قَامَ فِي غَرْزِهَا كَمَثَلِ السَّفِينَةِ إِذَا تَوَقَّرُ^(٧)
/ وَمُضْغِيَةِ خَدِّهَا بِالزَّمَا م فَالرَّاسِ مِنْهَا لَهْ أَصْعَرُ^(٨)
حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى طَبَّقَتْ كَمَا طَبَّقَ الْمِسْحَلُ^(٩) الْأَغْبَرُ

[٣٦/١٨]

قال : فأرتج عليه ساعة ، ثم قال : إنه نَعَتْ نَاقَةَ مَلِكٍ وَنَعَتْ نَاقَةَ سُوقَةٍ . فخرج منها على رؤوس الناس .

روايات في سبب تشبيهه بخرقاء

قأما السبب بين ذي الرمة وخرقاء فقد اختلف فيه الرواة ؛ فقليل : إنه كان يَهْوَاهَا ، وقيل : بل كاد بها مية ، وقيل : بل كانت كَحَالَةِ فداوت عينه فشَبَّ بها .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري^(١٠) ، عن النوفلي ، عن أبيه :

أن زوج مية أمرها أن تَسُبَّ ذا الرمة غيرةً عليها ، فامتنعت ، فتوعدها بالقتل ، فسبته فغضب ، وشبَّ بخرقاء

(١) جـ : « قال حدثنا » ، والخبر في « الشعر والشعراء » ٥١٧ .

(٢) جـ : « عن رجل أخبرني قال » .

(٣) « ديوانه » ١ ، وتمامه :

* كأنه من كلي مفرية سرب *

(٤) « ديوانه » ٨ .

(٥) « الشعر والشعراء » ٥١٨ ، « الموشح » ٢٧٧ ، « أمالي المرتضى » ١ : ٢٧٩ ، « اللآلي » ٨٩٨ ، « اللسان » (ورك) .

(٦) « الشعر والشعراء » :

(٧) « الشعر والشعراء » : « أو أوقر » .
« الشعر والشعراء » : « وواضعة خدها للزمام » . وأصغر : مائل .

(٨) المسحل : الحمار الوحشي . وانظر « الموشح » ٢٧٧ .

(٩) « قال : حدثنا علي بن محمد النوفلي » .

العامرية؛ يَكِيدُ مِثْلَ ذَلِكَ، فما قال فيها إِلَّا قصيدتين أو ثلاثاً حتى مات.

أخبرني حبيب بن نصر، عن ابن شبة، عن العُتَيْبِ، عن هارون بن عتبة قال:

شَبَّبَ ذُو الرِّمَّةِ بِخِرْقَاءِ الْعَامِرِيَّةِ بِغَيْرِ هَوًى؛ وَإِنَّمَا كَانَتْ كَحَالَةِ فِدَاوَتْ عَيْنِهِ مِنْ رَمَدٍ كَانَ بِهَا فِزَالٌ، فَقَالَ لَهَا: مَا تَحْيِينَ حَتَّى أَعْطِيكَ؟ فَقَالَتْ^(١): عَشْرَةُ آيَاتٍ تَشَبَّبُ بِي؛ لِيَرْغَبَ النَّاسُ فِي إِذَا سَمِعُوا أَنَّ فِي بَقِيَّةِ لِلتَّشْبِيبِ، فَفَعَلَ.

كَانَ الْحَاجُّ يَمْرُونُ بِخِرْقَاءِ

أخبرنا أبو خليفة، عن ابن سلام، قال:

كَانَ ذُو الرِّمَّةِ شَبَّبَ^(٢) بِخِرْقَاءِ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَامِرٍ بِنِ رِبِيعَةَ، وَكَانَتْ تَحُلُّ فَلَجًا^(٣)، وَيَمْرُ بِهَا الْحَاجُّ، فَتَقَعْدُ لَهُمْ وَتَحَادِثُهُمْ وَتَهَادِيهِمْ، وَكَانَتْ تَجْلِسُ مَعَهَا فَاطِمَةُ / بِنْتُهَا - فَحَدَّثَنِي مَنْ رَأَاهَا - فَلَمْ^(٤) تَكُنْ فَاطِمَةُ مِثْلَهَا، وَكَانَتْ [٣٧/١٨] تَقُولُ: أَنَا مَنَسَكُ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ؛ لِقَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ فِيهَا^(٥):

/ تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خِرْقَاءٍ وَاضِعَةً اللَّثَامَ ١٢٤ / ١٦

خِرْقَاءُ تَسْأَلُ الْقُحَيْفَ الْعُقَيْلِيَّ أَنْ يَشْبِبَ بِهَا

قال ابن سلام في خبره^(٦): وَأَرْسَلْتُ خِرْقَاءَ إِلَى الْقُحَيْفِ الْعُقَيْلِيَّ تَسْأَلُهُ أَنْ يَشْبِبَ بِهَا فَقَالَ:

لَقَدْ أَرْسَلْتُ خِرْقَاءَ نَحْوِي جَرِيهَا^(٧) لَتَجْعَلَنِي خِرْقَاءَ فِيمَنْ أَضَلَّتْ وَلَوْ عُمُرْتُ تَعْمِيرَ نُوحٍ وَجَلَّتْ

خِرْقَاءُ تَسْقِي ذَا الرِّمَّةِ وَهِيَ لَا تَعْرِفُهُ

حدثني حبيب بن نصر، عن الزبير، عن موهوب^(٨) بن رشيد، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، قَالَ:

نَزَلَ رَكْبٌ بِأَبِي خِرْقَاءِ الْعَامِرِيَّةَ، فَأَمَرَ لَهُمْ بَلْبَنَ فَسَقُوهُ، وَقَصَّرَ عَنْ شَابٍ مِنْهُمْ، فَأَعْطَتْهُ خِرْقَاءُ صَبُوحَهَا وَهِيَ لَا تَعْرِفُهُ، فَشَرِبَهُ، وَمَضَوْا فَرَكَبُوا، فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا: أَتَعْرِفِينَ الرَّجُلَ الَّذِي سَقَيْتَهُ صَبُوحَكَ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: هُوَ ذُو الرِّمَّةِ الْقَاتِلُ فِيكَ الْأَقَاوِيلَ، فَوَضَعْتَ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا، وَقَالَتْ: وَاسْوَأَتَاهُ وَأَبُوسَاهُ! وَدَخَلَتْ بَيْتَهَا، فَمَا رَأَاهَا أَبُوهَا ثَلَاثًا.

(١) ج: «إلى عشر بنات أيامي، فشَبَّبَ بِي لِيَرْغَبَ النَّاسُ فِيْهِنَّ».

(٢) ف: «يشبب».

(٣) في ابن سلام ٤٧٧: «فلجة».

(٤) ج وابن سلام: «قال: لم تكن».

(٥) «ديوانه» ٦٧٣، ابن سلام ٤٧٨.

(٦) ابن سلام ٤٧٩.

(٧) جريها: رسولها.

(٨) ف: «حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا موهوب...»، وفي س: «موهوب»، والمثبت في أ

المفضل الضبي يزور خرقاء

حدثني إبراهيم بن أيوب، عن ابن قتيبة، قال: قال^(١) الضبي:

كنتُ أنزل على بعض الأعراب إذا حججتُ، فقال لي يوماً: هل لك إلى أن أريك خرقاء صاحبة ذي الرمة؟ فقلت: إن فعلت فقد بررت. فتوجهنا جميعاً نريدها، فعدَل بي عن الطريق قَدْر ميل، ثم أتينا أبيات شعر، فاستفتح [٣٨/١٨] بيتاً ففتح له، وخرجت امرأةً طويلة حسنة^(٢) بها قوة، فسَلَّمْتُ وجلَسْتُ، فتحدثنا ساعة، ثم قالت لي: هل حججت قط؟ قلت: غير مرة. قالت: فما منعك من زيارتي؟ أما علمت أنني منسك من مناسك الحج؟ قلت: وكيف ذاك؟ قالت: أما سمعت قول ذي الرمة:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

أخبرني وكيع، عن أبي أيوب المدائني^(٣) عن مصعب الزبيري، قال: شَبَّ ذو الرمة بخرقاء ولها ثمانون سنة.

رواية أخرى في لقاء ذي الرمة بخرقاء

قال هارون بن الزيات: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم، عن محمد بن يعقوب، عن أبيه قال: رأيت خرقاء بالبصرة وقد ذهبت أسناتها، وإن في ديباجة وجهها لبقية، فقلت: أخبريني عن السبب بينك وبين ذي الرمة، فقالت: اجتاز بنا في ركب ونحن عدة جوار على بعض المياه، فقال: أسفرن، فسفرن غيري، فقال: لئن لم تُسفرن لأفصحتك، فسفرت، فلم يزل يقول حتى أزيد، ثم لم أره بعد ذلك.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني موهوب بن رشيد، قال: حدثني جدِّي، قال:

كنتُ مع خرقاء ذي الرمة إذ نزل ببابها ركب من بني تميم فأمر لهم بلبن فسقوه، وقصُر اللبن عن شاب منهم، فأمرت له خرقاء بغبوقها، فلما أن رحل عنهم الركب قال لها أبوها: يا خرقاء أتعرفين من سقيت غبوقك اليوم؟ قالت: لا والله ما أعرفه، قال: ذاك ذو الرمة، فوضعت يدها على رأسها وقالت: واسواتاه! ودخلت خدرها.

[٣٩/١٨] / قال الزبير: وحدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي، قال: حدثنا أبو الشبل المعدي قال:

كانت خرقاء البكائية أضبح من القبس، وبقيت بقاءً طويلاً حتى شَبَّ بها القُحيف^(٤) العقيلي.

خرقاء وصباح بن الهذيل

أخبرنا أبو الحسن الأسدي، عن أحمد بن سليمان، عن أبي شَيْخ، عن أبيه، عن علي بن صالح بن سليمان^(٥)، عن صباح بن الهذيل أخِي زُفَر بن الهذيل، قال:

(١) ف: «قال المفضل الضبي».

(٢) ف: «حُسنه».

(٣) أ، ب: «المدني».

(٤) جد: «شَبَّ بها القُحيف».

(٥) جد: «عن أحمد بن سليمان بن صباح».

خرجتُ أريدُ الحجَّ، فمررتُ بالمنزل الذي تنزله خرقاء، فأتيتهُا، فإذا امرأة جَزَلَة، عندها سباطان^(١) من الأعراب تحدّثهم^(٢) وتناشدُهم، فسَلَمْتُ فردّت، ونَسَبَتني، فانتسبتُ لها وهي تُنزلني، حتى انتسبت^(٣) إلى أبي، فقالت: حسبك أكرمت^(٤) ما شئت، ما اسمك؟ قلت: صباح، قالت: وأبو من؟ قلت: أبو المُغَلّس، قالت: أخذت أول الليل وآخره، قال: فما كان^(٥) لي همّة / إلّا الذّهاب عنها.

١٢٥
١٦

الحجاج الأسدي يزور خرقاء، وتنشده شعراً لها في ذي الرمة

نسخت من كتاب محمد بن صالح بن النطّاح: حدثني محمد بن الحجاج الأسدي التميمي - وما رأيت تميمياً أعلم منه - قال:

حججتُ فلما صرت بمُرّان منصرفاً، فإذا أنا بغلام أشعث الدّوابة قد أورد غُنيّات له فجئتُه فاستنشدته^(٦)، فقال لي: إليك عني، فإني مشغول عنك. والحقّ عليه فقال: أرشدك إلى ما بعض ما تحبّ، انظر إلى ذلك البيت الذي يَلْقَاكَ فإن فيه حاجتك، هذا بيت خرقاء ذي الرمة؛ فمضيتُ نحوه فطوّحت بالسلام من بعيد، فقالت: أدنّه، فدنوت، فقالت: إنك لحضري، فمن أنت؟ قلت: / من بني تميم - وأنه أحسب أنها لا معرفة لها بالناس - قالت: [٤٠/١٨] من أيّ تميم، فأعلمتها، فلم تزل تنزلني حتى انتسبتُ إلى أبي، فقالت: الحجاجُ بن عمير بن يزيد؟ قلت: نعم، قالت: رحم الله أبا المثنى! قد كنّا نَرْجُو أن يكونَ خلفاً من عمير بن يزيد، قلت: نعم، فعاجلته المنية شائباً، قالت: حيّاك الله يا بني وقربك، من أين أقبلت؟ قلتُ: من الحج. قالت: فما لك لم تمرّ بي وأنا أخذُ مناسك الحج؟ إنَّ حجّك ناقص، فأقم حتى تحجّ أو تكفّر بعثق. قلت: وكيف ذلك؟ قالت: أما سمعت قول غيلان عمك:

تمامُ الحجِّ أنْ تَقِفَ المطايا على خرقاء واضعة اللثام

قال: وكانت وهي قاعدة بغناء البيت كأنها قائمة من طولها، بيضاء شهلاء، فخمة الوجه. قال: فسألتهَا عن سنها، فقالت: لا أدري إلّا أنني كنتُ أذكر شمر بن ذي الجوشن حين قتل الحسين عليه السلام، مرّ بنا وأنا جارية ومعه كسوة فقسّمها في قومه، قالت: وكان أبي قد أدرك الجاهلية وحمل فيها حمالات، قال: ولما أنشدتني خرقاء بيتَ ذي الرمة فيها قلت: هيهات يا عمّة، قد ذهب ذلك منك، قالت: لا تقل^(٧) يا بني، أما سمعت قول قُحيف^(٨) في:

وخرقاء لا تزددُ إلّا ملاحّةً ولو عمّرت تعمير نُسوح وجلّت

ثم قالت: رحم الله ذا الرمة؛ فقد كان رقيق البشرة، عذب المنطق، حسن الوصف، مقارب الرّصف، عفيف الطّرف، فقلت لها: لقد أحسنت الوصف، فقالت: هيهات أن يدركه وصف، رحمه الله، ورحم من سمّاه اسمه.

(١) السباط: الصف.

(٢) ف: «تحدّثهم».

(٣) جد: «حتى انتهت».

(٤) جد: «كرمت».

(٥) جد: «فما كانت».

(٦) ف: «فحييته واستنشدته».

(٧) أ: «لا تغفل».

(٨) أ، و: «المختارة»: «عجيف». وانظر «المختار» ٦: ٦٣.

فقلت: وَمَنْ سَمَاء؟ قالت: سيد بني عديّ الحُصَيْن بن عبدة بن نعيم، ثم أنشدتني لنفسها في ذي الرمة:

[٤١/١٨] / لقد أصبحت في فَرْعِي مَعْدُ مكانَ النجم في فَلَكِ السماء
إذا ذُكِرَتْ محاسنُهُ تَدْرَتْ بحارُ الجود من نحو السماء^(١)
حُصَيْنٌ شَادَ بِاسْمِكَ غَيْرَ شَكِّ فَأَنْتَ غِيَاثُ مَحَلِّ بِالْفَنَاءِ
إذا ضَلَّتْ سحابةُ ماءٍ مُزِنِ تَنْجُ بِحَارُ جُودِكَ بِأَرْتَوَاءِ
لقد نُصِرْتُ بِاسْمِكَ أَرْضُ قَحِطِ كما نُثِرْتُ^(٢) عَدِيٌّ بِالثَّرَاءِ

فقلت: أحسنت يا خرقاء، فهل سمع ذلك منك ذو الرمة؟ قالت: إي وربي، قلت: فماذا قال؟ قالت: قال: شكر الله لك يا خرقاء نعمةً ربييت شكرها من ذكرها، فقالت: أنقلنا حقها، ثم قالت: اللهم غفراً، هذا في اللفظ، ونحتاج إلى العمل.

رجل من بني النجار يمر ببيت خرقاء ويحدث ابنتها

أخبرني جحظة، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن ابن كُناسة، عن خيثم بن حِجَّية العجلي، قال: حدثني رجل من بني النجار، قال:

١٢٦ / خرجتُ / أمشي في ناحية البادية، فمررتُ على فتاة قائمة على باب بيتٍ فقلت^(٣) أَكَلَمَهَا فنادتني عجوز من ناحية الخباء: ما يقيمك على هذا الغزال النجدي؟ فوالله ما تنال^(٤) خيراً منه ولا ينفعك، قال: وتقول هي: دعيه يا أماء يكن كما قال ذو الرمة^(٥):

وإن لم يكن إلا مُعَرَّسُ سَاعَةٍ قليلاً فإني نافعٌ لسي قليلها
فسألتُ عنهما، فقبل لي: العجوز خرقاء ذي الرمة والفتاة بنتها.

ذو الرمة يموت وله أربعون سنة

وتوفي ذو الرمة في خلافة هشام بن عبد الملك، وله أربعون سنة. وقد اختلفت^(٦) الرواة في سبب وفاته.

[٤٢/١٨] / روايات مختلفة في وفاته

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد الشكري، عن يعقوب بن الشكيت: أنه بلغ أربعين سنة، وفيها توفي^(٧)، وهو خارج إلى هشام بن عبد الملك، ودفن^(٨) بحزوى، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

(١) ما: «ماء السماء».

(٢) ج: «مطرت».

(٣) ف: «فوقفت».

(٤) ح: «لا تصيب».

(٥) «ديوانه» ٥٥٠. وفيه: «فإن لم يكن إلا تَعَلُّ».

(٦) ج: «اختلف».

(٧) ج: «مات».

(٨) ج: «دفن».

أخبرني^(١) أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني ابن أبي عدي قال:

قال ذو الرمة: بلغت نصف الهرم وأنا ابن أربعين [سنة]^(٢).

قال ابن سلام: وحدثني أبو الغراف أنه مات وهو يريد هشاماً، وقال في طريقه في ذلك^(٣):

بلاذ بها أهلون لست ابن أهلها وأخرى بها أهلون ليس بها أهل

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك: حدثني القاسم بن محمد الأسدي، قال: حدثني جبر بن رباط

قال:

أنشد ذو الرمة الناس شعراً له، وصف فيه الفلاة بالثعلبية^(٤)، فقال له حلبس الأسدي: إنك لتنتع الفلاة نعتاً لا تكون مبيتك إلا بها.

قال: وصدر ذو الرمة على أحد جفري بني تميم وهما على طريق الحاج من البصرة، فلما أشرف على البصرة^(٥) قال^(٦):

وإني لعاليها وإنني لخائف لما قال يوم الثعلبية حلبس^(٧)

/ قال: ويقال: إن هذا آخر شعر قاله. فلما توسط الفلاة نزل عن راحلته فنقرت منه، ولم تكن تنفر منه، [٤٣/١٨] وعليها شراؤه وطعامه، فلما دنا منها نفرت حتى مات، فيقال: إنه قال عند ذلك^(٨):

ألا أبلغ الفتيان^(٩) عني رسالة أهينوا^(١٠) المطايا من أهل هوان

فقد تركتني صيدح بمضلة لسانني ملثات من الطلوان^(١١)

قال هارون: وأخبرني أحمد بن محمد الكلابي بهذه القصة، وذكر أن ناقته وردت على أهله في مياهم، فركبها أخوه، وقص أثره، حتى وجدته ميتاً وعليه خلع الخليفة، ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز^(١٢)، عن الرياشي، عن الأصمعي، عن أبي الوجيه، قال:

دخلت على ذي الرمة وهو يجود بنفسه، فقلت له: كيف تجدك؟ قال: أجذني والله أجذ ما لا أجذ^(١٣) أيام

(١) ابن سلام ٤٨٠.

(٢) من ابن سلام.

(٣) جد: «تلك»، والبيت في «ديوانه» ٤٥٨، وابن سلام ٤٨٠. وفي ف، و«الديوان»: «ليسوا بأهلها»، وفي ف بعد البيت: «ويروى: ليسوا بأهلنا».

(٤) جد: «وهو بالثعلبية». والثعلبية: من منازل طريق مكة.

(٥) جد: «الفلاة».

(٦) «ديوانه» ٦٦٨.

(٧) جد: «الثعلبية حابس»، والمثبت في «الديوان» و«المختار».

(٨) «ديوانه» ٦٧٥.

(٩) ف: «الركبان».

(١٠) أ: «أهين».

(١١) الطلوان: يياض يعلو اللسان من مرض أو عطش.

(١٢) حد: «عمر بن عبد العزيز بن أحمد».

(١٣) حد: «ما أجذ».

أزعم أنني ما لم أجد حيث أقول^(١) :

كَأَنِّي غَدَاةُ^(٢) الرُّزْقِ^(٣) يَا مَيِّ مُدْنَفٌ
يَجُودُ بِنَفْسٍ قَدْ أَحْمَ^(٤) حِمَامُهَا
حِذَا رَاجَتْ لِمَا بَيْنَ أَقْرَانِ نَيْةٍ
مُصَابٍ^(٥) وَلَوْعَاتٍ^(٦) الْفَوَادِ انْجَذَامُهَا
/ قال : وكان آخر ما قاله^(٧) :

[٤٤/١٨]

يَا رَبِّ قَدْ أَشْرَفْتُ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ
عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ أَثَارِي
يَا مُخْرِجَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إِذَا اخْتَضِرْتُ
وَفَارِجَ الْكَرْبِ زَحْزَخْنِي عَنِ النَّارِ
/ قال أبو الوجيه : وكانت مَنِيَّتُهُ هذه في الجُدْرِي، وفي ذلك يقول^(٨) :

١٢٧
١٦

أَلَمْ يَسْأَلَهَا أَنِّي تَلَبَّسْتُ بَعْدَهَا
مُفَوِّتَةً صَوَاغَهَا غَيْرُ أُخْرَقٍ^(٩)

نسخت من كتاب هارون بن الزيات : حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم الأزدي، قال : حدثني جَهْمُ بْنُ مَسْعَدَةَ، قال : حدثني محمد بن الحجاج الأسدي، عن أبيه، قال :

وردت حَجْرًا وَذُو الرِّمَةِ بِهِ، فَاشْتَكَيْتُ شَكَايَتَهُ الَّتِي كَانَتْ مِنْهَا مَنِيَّتُهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُخْرِجَ حَتَّى أَعْلَمَ بِمَا يَكُونُ فِي^(١٠) شَكَايَتِهِ، وَكُنْتُ أَتَعَهَّدُهُ، وَأَعُوذُ فِي الْيَوْمِ وَالْيَوْمَيْنِ، فَأَتَيْتُهُ يَوْمًا وَقَدْ ثَقُلَ، فَقُلْتُ : يَا غِيلَانَ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ : أَجِدُنِي وَاللَّهِ يَا أَبَا الْمُنَى الْيَوْمَ فِي الْمَوْتِ، لَا غَدَاةُ^(١١) أَقُولُ :

كَأَنِّي غَدَاةُ الرُّزْقِ^(١٢) يَا مَيِّ مُدْنَفٌ
يَكِيدُ بِنَفْسٍ قَدْ أَحْمَ حِمَامُهَا

فَأَنَا وَاللَّهِ الْغَدَاةُ فِي ذَلِكَ^(١٣)، لَا تِلْكَ الْغَدَاةُ.

قال هارون بن الزيات : حدثني موسى بن عيسى الجعفري، قال : أخبرني أبي قال : أخبرني رجل من بني تميم، قال :

كَانَتْ مَيِّتَةُ ذِي الرِّمَةِ أَنَّهُ اشْتَكَى النَّوْطَةَ^(١٤) فَوَجَّعَهَا دَهْرًا، فَقَالَ فِي ذَلِكَ^(١٥) :

(١) «ديوانه» ٦٣٧.

(٢) حـ: «كأنني يوم البين».

(٣) حـ: «الرزق»... يكيد بنفس». وفي «الديوان»: «يكيد بنفس».

(٤) «الديوان»: «أجم». وأحم: دنا وقرب. والحمام: الموت.

(٥) حـ و «الديوان»: «مصيب».

(٦) حـ: «كروعات»، وفي «الديوان»: «لو قرأت الفواد».

(٧) «ديوانه» ٦٦٧.

(٨) «ديوانه» ٦٧٠.

(٩) جـ: «تبدلت». وفي «الديوان»: «غير أخرقا».

(١٠) جـ: «من شكاته».

(١١) جـ: «لا في غداة».

(١٢) جـ: «الرزق».

(١٣) جـ: «في ذلك اليوم».

(١٤) النوط: ورم في الصدر، أو غدة في البطن مهلكة. («القاموس»).

(١٥) «ديوانه» ٤٩١.

أَلَفْتُ كِلَابَ الْحَيِّ حَتَّى عَرَفْتَنِي وَمُدَّتْ نِسَاجُ^(١) الْعَنْكَبُوتِ عَلَى رَحْلِي

/ قال: ثم قال لمسعود أخيه: يا مسعود، قد أجدني تماثلت وخفت الأشياء عندنا، واحتجنا إلى زيارة [٤٥/١٨] بني مروان، فهل لك بنا فيهم؟ فقال: نعم، فأرسله إلى إبله يأتيه^(٢) منها بلبن يتزوده، وواعده مكاناً، وركب ذو الرمة ناقته فَمَقَصَتْ به، وكانت قد أُعْفِيَتْ^(٣) من الركوب، وانفجرت^(٤) النَّوْطَةُ التي كانت به. قال: وبلغ موعد صاحبه وجُهِد وقال: أردنا شيئاً وأراد الله شيئاً، وإن العلة التي كانت بي انفجرت. فأرسل إلى أهله فَصَلُّوا^(٥) عليه، ودفن برأس حَزَوِيٍّ، وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره.

قبره بالدهناء

نسخت من كتاب عبيد الله^(٦) بن محمد اليزيدي: قال أبو عبيدة وذكر هارون^(٧) بن الزيات، عن محمد بن علي بن المغيرة، عن أبيه، عن أبي عبيدة، عن المنتجع بن نبهان قال:

لما احتضر ذو الرمة قال: إني لست ممن يدفن في الغموض والوهاد، قالوا: فكيف نصنع بك ونحن في رمال الدهناء؟ قال: فأين أنتم من كُثْبَانِ حَزَوِيٍّ؟ قال: وهما رملتان مشرفتان على ما حولهما من الرمال - قالوا: فكيف نحفر لك في الرمل^(٨) وهو هائل؟ قال: فأين الشجر والمدر والأعواد؟ قال: فصلينا عليه في بطن الماء، ثم حملنا له الشجر والمدر على الكباش، وهي أقوى على الصعود في الرمل من الإبل. فجعلوا قبره هناك وزبروه^(٩) بذلك الشجر والمدر، ودلّوه في قبره، فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيت قبل أن تدخل الدهناء، وأنت بالدو^(١٠) على مسيرة ثلاث.

قال هارون: وحدثني محمد بن صالح العدوي، قال: ذكر أبو عمرو المرادي:

/ إن قبر ذي الرمة بأطراف عناق من وسط الدهناء مقابل الأوعس، وهي أجبل شوارع يقابلن الصريمة^(١١) [٤٦/١٨] صريمة النعام، وهذا الموضع لبني سعد ويختلط معهم الرباب.

قال هارون: وحدثني هارون بن مسلم، عن الزياتي، عن العلاء بن بَرْد، قال:

ما كان شيء أحب إلي ذي الرمة إذا ورد ماء من أن يطوي ولا يسقي^(١٢)، فأخبرني مخبر أنه مر بالجفر وقد جَهِدَ العطش، قال: فسمعتة يقول:

(١) في «الديوان»: «أنتني... ومدت نسوج». وفي «المختار»: «ومدت مسوح».

(٢) أ: «ليأتيه».

(٣) ف: «عنت».

(٤) ف: «فانفجرت».

(٥) «المختار»: «فأتوه وصلوا عليه».

(٦) ف: «عبد الله».

(٧) ف: «وذكر هارون بن محمد الزيات».

(٨) ف: «رمل هائل».

(٩) أ: «ودثروه». والزبر أصله طي البئر بالحجارة.

(١٠) ياقوت: الدو: أرض ملساء بين مكة والبصرة.

(١١) أ: «الصريمة».

(١٢) ف: «ولا يستكفي».

/ يا مخرجَ الرّوح من جِسمي إذا احتُضِرْتُ وفارجَ الكرب زَحْزَخِني عن النار

ثم قضى .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه، عن عيسى بن عمر، قال: كان ذو الرمة ينشد الشعر، فإذا فرغ قال: والله لأكسعنك^(١) بشيء ليس في حسابك: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

كان حسن الصلاة والخشوع

أخبرني الحسن بن علي، ووَكَيْع، عن أبي أيوب، قال: حدثني أبو معاوية الغلابي، قال: كان ذو الرمة حسن الصلاة، حسن الخشوع، فقيل له: ما أحسن صلاتك! فقال: إن العبد إذا قام بين يدي الله لحقيق أن يخشع.

[٤٧/١٨] / أخوه مسعود يرثيه

نسخت من كتاب عبيد الله اليزيدي قال: حدثني عبد الرحمن، عن عمه، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: كان مسعود أخو ذي الرمة يمشي معي كثيراً إلى منزلي فقال لي يوماً، وقد بلغ قريباً من منزلي: أنا الذي أقول في أخي ذي الرمة:

إلى الله أشكوا لا إلى الناس أنني وليلتي كلانا مُوجعٌ مات وافدُهُ^(٢)
فقلتُ له: من ليلي؟ فقال: بنت أخي ذي الرمة.

(١) كسعه: ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه.

(٢) ف: «قائده».

[٤٨/١٨]

أذكر خبر إبراهيم في هذه الأصوات الماخورية

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبة، عن إسحاق الموصلي، عن أبيه، قال:
صنعت لحناً فأعجبني، وجعلت أطلب له شعراً، فَعَسَرَ ذلك عليّ، فأريتُ في المنام كأن رجلاً لقيني، فقال
لي: يا إبراهيم، أو قد أعياك شعراً لغنائك هذا الذي تُعَجِّب به؟ قلت: نعم. قال: فأين أنت من قول ذي الرمة^(١):
ألا يا اسلمي يا دار مَيَّ على البلى ولا زال مُنْهَلاً بجرعائك القطرُ
قال: فانتهيْتُ فرحاً بالشعر؛ فدعوت من ضرب عليّ فغنيته، فإذا هو أوفق ما خلق الله، فلما عملت هذا الغناء
في شعر ذي الرمة نَبَّهت عليه وعلى شعره، فصنعت فيه ألحاناً ماخورية منها^(٢):
أَمْزِلْتَنِي مَيَّ سَلامٌ عَلَيْكُمَا هَلْ الْأَزْمِنِ الْأَلَاي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ!
وغنيت بها الهادي فاستحسنها، وكاد يطير فرحاً، وأمر لكل صوت بألف دينار.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

ألا يا اسلمي يا دار مَيَّ على البلى ولا زال مُنْهَلاً بجرعائك القطرُ
ولو^(٣) لم تكوني غير شام بقفرة تجرُّ بها الأذيال صيفيئة كُدر^(٤)

/ عروضه من الطويل. وقوله: يا اسلمي ها هنا نداء؛ كأنه قال: يا دار مَيَّ اسلمي، ويا هذه اسلمي، يدعو [٤٩/١٨]
لها بالسلامة. ومثله قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿الْأَسْجُدُوا﴾^(٥) لله الذي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فسره
أهل اللغة هكذا، كأنه قال: يا قوم اسجدوا لله. وميَّ ترخيم مية إلا أنه أقامه ها هنا مقام الاسم الذي لم يرخم
فَنَوَّنَه. وقوله: على البلى، أي اسلمي وإن كنت قد بليت. والمنهل: الجاري، يقال: انهلَّ المطرُ انهلالاً، إذا سال.
والجرعاء والأجرع من الرمل: الكثير / الممتد. والشام: موضع يخالف لون الأرض، وهو جمع، واحدته شامة. ^{١٢٩}/_{١١}
والقفر: ما لم يكن فيه نبات ولا ماء، تجرُّ بها الأذيال صيفية يعني الرياح الصيفية الحارة. وأذيالها: مآخبرها التي
تسفي التراب على وجه الأرض، شبهها بذيل المرأة، وعنى بها أوائلها. والكُدر: التي فيها الغبرة من القتام

(١) «ديوانه» ٢٠٦.

(٢) «ديوانه» ٣٣٢.

(٣) في «الديوان»: «فإن لم تكوني».

(٤) شام: جمع شامة؛ وهي بقعة تخالف لون الأرض. صيفية: رياح فيها كدر وغبرة.

(٥) على قراءة التخفيف. وانظر القرطبي ١٣: ١٨٦. والآية في سورة النمل ٢٥.

والفجاج؛ فهي تُعَفِّي الآثار وتدفعها. غناه إبراهيم الموصلي ماخورياً بالوسطى. ومنها^(١) :

صوت

أَمَنْزَلْتَنِي مَبِيَّ سَلَامٍ عَلَيْكُمَا هل الْأَزْمَنُ اللَّائِي مَضِيْنَ رَوَاجِعُ!
وهل يَرْجِعُ التَّسْلِيمَ أَوْ يَكْشِفُ الْعَمَى ثَلَاثُ الْأَثَافِي وَالذِّبَارُ الْبَلَاغِعُ!^(٢)
تَوَهَّمْتُهَا يَوْمًا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الظُّبَاءُ الْخَوَاضِعُ!^(٣)
وَمَوْشِيَّةٌ سُحْمٌ^(٤) الصَّيَاصِي كَأَنَّهَا مُجَلَّلَةٌ حُرٌّ عَلَيْهَا الْبَرَاغِعُ

[٥٠/١٨] عروضه من الطويل. غناه إبراهيم ماخورياً بالوسطى. والأزمن والأزمان جمع / زمان. والعمى: الجهالة. والأثافي الثلاث هي الحجارة التي تنصب عليها القدر، واحداثها أنفية. والخواضع من الظباء: اللاتي قد طأطأت رؤوسها. والموشية: يعني البقر. والصياصي: القرون واحداثها صيصية. والمجللة: التي كان عليها جلالاً^(٥) سوداً. والحوة: حجرة في سواد. ومما يغني فيه من هذه القصيدة قوله^(٦) :

صوت

فَبِ الْعَنْسِ^(٧) نَنْظُرُ نَظْرَةً فِي دِيَارِهَا وهل ذَاكَ مِنْ دَاءِ الصَّبَابَةِ نَافِعُ!^(٨)
فَقَالَ: أَمَّا تَغْشَى لِمَيَّةً مَنْزِلًا مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا قُلْتُ: هل أَنَا رَابِعُ!^(٩)
وَقُلْ لَا طَلَالَ لِمَيِّ تَحِيَّةً^(١٠) تُحِبُّ بِهِيَ أَوْ أَنْ تُرِشَ الْمَدَامِعُ

العنس: الناقة. والرابع: المقيم. وقُلْ لَا طَلَالَ، أي ما أقل لهذه الأطلال مما أفعله. وتُرِش المدامع، أي تكثر نضجها الدبوع. غناه إبراهيم الموصلي ماخورياً.

وذكر ابن الزيات، عن محمد بن صالح العذري، عن الحرمازي، قال:
مرَّ الفرزدق على ذي الرمة وهو ينشد:

* أَمَنْزَلْتَنِي مَبِيَّ سَلَامٍ عَلَيْكُمَا *

فلما فرغ قال له: يا أبا فراس، كيف ترى؟ قال: أراك شاعراً. قال: فما أقعدني عن غاية الشعراء؟ قال:
بكاؤك على الدمن، ووصفك القطا وأبوال الإبل.

(١) «ديوانه» ٣٣٢.

(٢) «الديوان»: «الرسوم البلاغ». (٣) ج: «الخواضع».

(٤) الأسحم: الأسود؛ وجمعه سحم. وأصل الصياصي الحصون والمعازل؛ ولما كانت البقر تحمي بقرونها سميت قرونها صياصي. يقول: كأن البقر خيل مجللة. حو: دهم، يعني الخيل.

(٥) ج: «أجلالها».

(٦) «ديوانه» ٣٣٣.

(٧) ب، و «الديوان»: «العيس». والعنس: الناقة الصلبة القوية.

(٨) أ: «رافع».

(٩) «الديوان»، ج: «هل أنت رابع».

(١٠) «الديوان»: «وقل إلى أطلال مبي تحية».

ذو الرمة وعصمة بن مالك يزوران مية

حدثني ابنُ عمار والجوهري، وحبيب المهلب، عن ابن شبة^(١)، عن إسحاق الموصلي، عن مسعود بن قد،

قال:

/ تذاكرنا ذا الرمة يوماً فقال عصمة بن مالك: إياي فاسألوا عنه، قال: كان حُلُوَ العينين، حَسَنَ النخمة، إذا [١٨/٥١] حدثت لم تسأم حديثه، وإذا أنشدك بَزْرَ^(٢) وجَشَّ صوتَه، جمعني وإياه مَرَبَعٌ مرَّةً، فقال لي: هيا عَصْمَة، إن مية من مَنَقَرٍ، وَمَنَقَرٌ أخبث حيٍّ وأقفاه لأثرٍ، وأثبتَه في نظرٍ، وأعلمه بشرٍّ، وقد عرفوا آثار إبلي؛ فهل عندك من ناقة نَزْدَارُ^(٣) عليها مية؟ قلت: إي والله عندي الجوذَرُ بنت يمانية الجدلي، قال: فعلي بها. فأتيتُ بها، فركب وردفتُ فأتينا محلَّة مية، والقوم خلوف والنساء في الرحال، فلما رأين ذا الرمة اجتمعن إلى مِيٍّ، وأنخنا قريباً وأتيناها، فجلسنا إليهنَّ، فقالت ظريفة منهنَّ: أنشدنا / يا ذا الرمة. فقال لي: أنشدنَّ يا عصمة. فأنشدت قصيدته التي يقول [١٣/١١] فيها^(٤):

نظرتُ إلى أظعانٍ مَيٍّ كأنها ذُرَا النَّخْلِ أو أثَلٌ تَمِيلُ ذَوَائِبُهُ
فأسبلت العينان والقلبُ كاتمٌ بِمَغْرُورٍ نَمَّتْ عليه سَوَاكِبُهُ
بكاء فتى خاف الفراق ولم تُجَلِّ جَوَائِلُهَا أسرارُه ومعاتِبُهُ^(٥)

قالت الظريفة: فالآن فلتُجَلِّ، ثم أنشدت حتى أتيتُ على قوله^(٦):

وقد حلفتُ بالله مية ما الذي أحذَّتها إلا الذي أنا كاذِبُهُ
إذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدوُّ أحارِبُهُ

فقالت مية: ويحك يا ذا الرمة! خَفِ الله وعواقبه. ثم أنشدت حتى أتيتُ على قوله:

إذا سَرَحَتْ من حبٍّ مَيٍّ سوارِحُ على القلب أبَّته جميعاً عَوَازِبُهُ

/ فقالت الظريفة: قتلته قتلَك الله! فقالت مية: ما أصحَّه وهنيئاً له! فتنفَّس ذو الرمة تنفيساً كادَ حرُّها يطير [١٨/٥٢] بلمحيتي، ثم أنشدت حتى أتيتُ على قوله^(٧):

إذا نازعتك القولَ ميةً أو بَداً لك الوجهُ منها أو نضاً الدَّرْعُ سَالِبُهُ
فما شئت من خدِّ أسيلٍ^(٨) ومنطقي رخيِمٍ ومن خلقي تَعَلَّلَ جَادِبُهُ^(٩)

(١) جد: «حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبيب بن نصر المهلب، قالوا: حدثنا عمر بن شبة...».

(٢) بربر في كلامه: أكثر منه. والبربرة: الجلبة والصياح.

(٣) ازداره: زاره.

(٤) «ديوانه» ٣٩.

(٥) جد: «ومغايه». وفي «الديوان»: «هوى ألف جاء الفراق فلم تجل».

(٦) «ديوانه» ٤٢.

(٧) «ديوانه» ٤٢.

(٨) «الديوان»: «فيا لك من خدِّ أسيل».

(٩) جادبه: عاتبه.

فقال الظريفة: فقد بدا لك الوجه وتوزع^(١) القول، فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه؟ فقالت لها مية: قاتلك الله! فماذا تأتين به! فتضاحكت الظريفة وقالت: إن لهذين لشأناً فقوموا بنا عنهما، فقامت وقمن معها^(٢)، وقمت فخرجت، وكنت قريباً حيث أراهما وأسمع ما ارتفع من كلاميهما، فوالله ما رأيته تحرك من مكانه الذي خلّفته فيه حتى تاب أوائل الرجال، فأتيته فقلت: انهض بنا فقد تاب القوم فودّعها فركب وردفته وانصرفنا. ومنها^(٣):

صوت

إذا هَبَّتِ الأزواحُ من أيّ جانبٍ به أهلٌ مَيّ هاج قلبي هُبُوبُها
هوى تذرِفُ العينانِ منه وإنما هوى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حبيبُها
الغناء لإبراهيم ماخوري بالوسطى عن الهشامي.

صوت

[٥٣/١٨]

إني تُذَكِّرني الزُّبيرَ حمامةً تدعُو بمجمع نخلتين هَديلاً
أفكّى النَّدى وفكّى الطَّعان قتلُهم وفكّى الرِّياح إذا تَهَبَّ يَلِيلاً
لو كنتَ حُرّاً يابن قينٍ مجاشعٍ شَغَفَتْ ضَيْفَكَ فَرَمَخاً أو مِيلاً
وفي أخرى: فرسخين وميلاً:

قالت قريش: ما أذلّ مجاشعاً جاراً وأكرم ذا القتيل قتيلاً!

الشعر لجريز، يهجو الفرزدق ويعيره بقتل عشيرته الزُّبير بن العوّام يوم الجمل، والغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

(١) ج: «من متوزع القلب».

(٢) ج: «وهن».

(٣) «ديوانه» ٦٦ وفيه: «من نحو جانب».

[٥٤/١٨]

١٣١
١٦

/ ذكر مقتل الزبير وخبره

الزبير وعلي بن أبي طالب

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبة قال: حدثنا المدائني، عن أبي بكر الهذلي، عن قتادة قال:

سار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه من الزاوية^(١) يريد طلحة والزبير وعائشة، وصاروا من الفريضة^(٢) يريدونه، فالتقوا عند قصر عبيد الله بن زياد يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس وعليه سلاحه، فقبل لعلي صلوات الله عليه: هذا الزبير، فقال: أما والله إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكره، وخرج طلحة، وخرج علي عليه السلام إليهما، فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم، فقال لهما: لعمرى لقد أعددتما خيلاً ورجالاً^(٣)، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله ولا تكونا «كأنتي نقضت عزها من بعد قوة أنكأها»^(٤) ألم أكن أحاكم في دينكما تحرمان دمي وأحرمت دماءكما؟ فهل من حديث أحل لكما دمي؟ فقال له طلحة^(٥): ألبت الناس على عثمان، فقال: يا طلحة، أنظري بدم عثمان؟ فلعن الله قتلة عثمان، يا زبير، أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في بني غنم، فنظر إليّ وضحك، وضحكت إليه، فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال: مه ليس بزهوة، ولتقاتلنه وأنت له ظالم، فقال: اللهم نعم، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، والله لا أقاتلك أبداً. وانصرف علي صلوات الله عليه إلى أصحابه وقال: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً ألا يقتلني.

/ قال: ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: ما كنت في موطن مذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمر غير موطني [٥٥/١٨] هذا، قالت: وما تريد أن تصنع؟ قال: أدعهم وأذهب، فقال له ابنه عبد الله: أجمعت بين هذين الغارين^(٦) حتى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تذهب وتتركهم؟ أخشيت^(٧) رايات ابن أبي طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد. فأحفظه، فقال: إني حلفت ألا أقاتله. قال: كفر عن يمينك وقاتله، فدعا غلاماً له يدعى مكحولاً فأعتقه، فقال عبد الرحمن بن سليمان التيمي:

لم أركاليوم أخا إخوان^(٨) أعجب من مكفر الأيمان

(١) الزاوية: عدة مواضع، منها موضع قرب البصرة.

(٢) في ب: «الفريضة».

(٣) في «التجريد»: «وسلاحاً».

(٤) النحل ٩٢.

(٥) في «التجريد»: «فقالا: ألبت...».

(٦) الغار: الجيش الكثير. وفي ب: «الغارين».

(٧) في بيروت: «أحسست».

(٨) في «التجريد»: «أخا إخوان».

* بِالْعِتْقِ فِي مَعْصِيَةِ الرَّحْمَنِ *

وقال بعض شعرائهم:

يُعْتِقُ مَكْحُولًا لَصَوْنِ دِينِهِ كَفَّارَةً لِلَّهِ عَنِ يَمِينِهِ
* وَالتَّكْتُ قَدْ لَاحَ عَلَى جَبِينِهِ *

مقتل الزبير

حدثني ابنُ عَمَّارٍ^(١) والجوهريُّ قال: حدثنا ابنُ شَبَّةٍ^(٢)، عن عليِّ بن محمد النوفليِّ، عن الهذليِّ، عن قتادة، قال:

وقف الزبير على مسجد بني مُجَاشِع فسأل عن عِيَاضِ بْنِ حَمَادٍ، فقال له النعمانُ بن زمام: هو بوادي السَّباع فمضى يريد.

حدثني ابنُ عَمَّارٍ والجوهريُّ، عن عُمر، قال: حدثني المدائنيُّ، عن أبي مَخْتَفٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عن الشعبيِّ، قال:

خرج النعمان مع الزبير حتى بلغ النَجِيب^(٣)، ثم رجع.

/ قال: وحدثنا عن مَسْلَمَةَ بن مُحَارِبٍ، عن عَوْفٍ، وعن أبي / اليقظان، قال:

مَرَّ الزُّبَيْرُ ببني حَمَادٍ فدَعَوْهُ إلى أنفُسِهِمْ فقال: اكْفُونِي خَيْرَكُمْ وَشَرَّكُمْ، فوالله ما كَفَّوْهُ خَيْرَهُمْ وَشَرَّهُمْ. ومضى ابنُ فَرْتَنَةَ إلى الأحنف وهو بعِرْقٍ سَوِيْقَةٍ، فقال: هذا الزُّبَيْرُ قد مَرَّ، فقال الأحنف: ما أصنع به! جمع بين غارين من المسلمين، فقتل بعضهم بعضاً، ثم مَرَّ يريد أن يلحق بأهله. فقام عَمْرُو بن جُرْمُوزَ وَفُضَالَةُ بن حَابِسٍ وَنُفَيْعُ بن كَعْبٍ أَحَدُ بني عَوْفٍ^(٤) - ويقال نُفَيْعُ بن عُمَيْرٍ - فلحقوه بالعِرْقِ، فقتل قبل أن ينتهي إلى عِيَاضٍ، قتله عَمْرُو بن جُرْمُوزَ.

حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العَجَلِيُّ الكوفيُّ، وجعفر بن محمد بن الحسن العلويِّ الحسنيِّ^(٥)، والعباس بن عليِّ بن العباس وأبو عبيد الصَّيْرَفِيِّ، قالوا: حدثنا محمد بن عليِّ بن خَلْفٍ العطار، قال: حدثنا عمرو بن عبد الغفار، عن سفيان الثوريِّ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عليِّ بن الحسين عليه السلام، قال: حدثني ابنُ عباس قال:

قال لي عليُّ صلوات الله عليه: ائتِ الزبير فقل له: يقولُ لك عليُّ بن أبي طالب نَشْدُكَ الله، أَلَسْتَ قد بَايَعْتَنِي طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ. فما الذي أحدثت فاستحللت به قتالي؟.

وقال أحمد بن يحيى في حديثه: قل لهما: إن أحكما يقرأ عليكما السلام ويقول: هل نَقَمْتُمَا عليَّ جَوْرًا في

(١) ف: «أحمد بن عبيد الله بن عمار».

(٢) ف: «عمر بن شبة».

(٣) هب: «النحيت».

(٤) في «الطبقات» ٣ - ٧٨: «عمير بن جرموز التميمي، وفضالة بن حابس التميمي، ونفيع أو نفيل بن حابس التميمي».

(٥) في ف: «الحيني».

حكم أو استثناءاً بغيري؟ فقالا: لا، ولا واحدة منهما، ولكن الخوف شدة الطمع.

وقال محمد بن خلف في خبره: فقال الزبير: مع الخوف شدة المطامع، فأتيت علياً عليه السلام فأخبرته بما قال الزبير، فدعا بالبغلة فركبها وركبته معه، فذنوا حتى / اختلفت أعناق دابتيهما فسمعت علياً صلوات الله عليه [٥٧/١٨] يقول: نشدتك الله يا زبير، أتعلم أنني كنت أنا وأنت في سقيفة بني فلان تُعالجني وأعالجك فمر بي - يعني النبي ﷺ - فقال: كأنك تُحبُّه! فقلت: وما يمنعني! قال: أما إنه ليقاتلنك وهو لك ظالم. فقال الزبير: اللهم نعم، ذكرتني ما نسيت، وولّي راجعاً. ونادى منادي علي: ألا لا تقاتلوا القوم حتى يستشهدوا منكم رجلاً، فما لبث أن أتني برجل يتشخط^(١) في دمه، فقال علي عليه السلام: اللهم اشهد، اللهم اشهد، وأمر الناس فشدوا عليهم، وأمر الصّراخ فصرخوا: لا تُدْفَوا^(٢) على جريح ولا تتبعوا مُدبراً، ولا تقتلوا أسيراً.

حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المخزومي، عن سعيد بن محمد الجرمي، عن أبي الأحوص، عن عاصم بن بهدلة، عن زبّ بن حبيش، ولا أحسبه إلا قال:

كنت قاعداً عند علي عليه السلام، فأتاه آت فقال: هذا ابن جرموز قاتل الزبير بن العوام يستأذن على الباب، قال: ليدخلن قاتل ابن صفية الثّار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبي حواري وإن حواري الزبير».

أخبرني الطوسي وحرّمي، عن الزبير، عن علي بن صالح^(٣)، عن سالم بن عبد الله بن عروة، عن أبيه: أن عمراً أو عويمراً بن جرموز^(٤) قاتل الزبير أتى مُضْعَباً حتى وضع يده في يده، فقفذه في السجن، وكتب إلى عبد الله بن الزبير يذكر له أمره، فكتب إليه عبد الله: بش ما صنعت، أظننت أنني أقتل أعرابياً من بني تميم بالزبيراً خلّ سبيله، فخلّاه.

عائكة ترثي الزبير

أخبرني الطوسي والحرّمي، عن الزبير، عن عمه قال: قتل الزبير وهو ابن / سبع وستين سنة أو ست وستين [٥٨/١٨] سنة، فقالت عائكة بنت زيد بن عمرو بن / نفيل ترثيه:

غَدَرِ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بُهْمَةً	يسوم اللقاء وكان غير مُعَرَّد ^(٥)
يَا عَمْرُو لَوْنَكُهُ لَوَجَدْتَهُ	لا طائشاً رَعِشَ اللسان ولا اليَد ^(٦)
شَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا	حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمَشْهُدِ ^(٧)
إِنَّ الزُّبَيْرَ لَذُو بَلَاءٍ صَادِقٍ	سَمَحَ سَجِيَّتَهُ كَرِيمُ الْمَشْهُدِ
كَمْ غَمْرَةٍ قَدْ خَاضَهَا لَمْ يَنْتِهِ	عنها طَرَادُكَ يَا بَنَ فَقَعَ الْقَرْدُ ^(٨)

(١) تشخط في الدم: تضرع به.

(٢) دفعه وذف عليه: أجهز عليه.

(٣) في ف: «أخبرني الطوسي الحرّمي بن أبي العلاء، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار».

(٤) ف: «عمرو بن عمير بن جرموز».

(٥) البهمة: الشجاع، ويراد بالهمة هنا الجيش. والمعرّد: الهارب المحجم عن قرنه.

(٦) في ف: «اللسان». وفي «التجريد»: «البنان». وفي «الطبقات»: ٣ - ٧٩: «رعي الجنان».

(٧) هب، «التجريد»، «الطبقات»: «المتعمد».

(٨) الفقع: نوع من الكماء، والقردد: المستوى، ويقال للذليل: فقع قرقرة، وفقع القردد. وفي ف: «يابن نبع القردد». وفي ب: «يوم نقع».

فاذهب فما ظفرت يدك بمثله فيمن مضى ممن يروح ويغتدي^(١)
وكانت عاتكة قبل الزبير عند عمر، وقبل عمر عند عبد الله بن أبي بكر.

عبد الله بن أبي بكر وعاتكة

أخبرني بخبرها محمد بن خلف وكيع، عن أحمد بن عمرو بن بكر، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الهيثم بن عدي، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وأخبرنا وكيع، قال: حدثني إسماعيل بن مجمل^(٢) عن المدائني.

وأخبرني الطوسي والحرمي، قالا: حدثنا الزبير، عن عمه، عن أبيه، وأخبرني الزبيدي، عن الخليل بن أسد، عن عمرو بن سعيد، عن الوليد بن هشام بن يحيى الغساني.

وأخبرني الجوهري، عن ابن شبة، قال: حدثنا محمد بن موسى الهذلي، وكل / واحد منهم يزيد في الرواية وينقص منها، وقد جمعت رواياتهم قالوا: [٥٩/١٨]

تزوج عبد الله بن أبي بكر الصديق عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت امرأة لها جمال وكمال وتما في عقلها ومنظرها وجزالة رأيها، وكانت قد غلبته على رأيه فمر عليه أبو بكر أبوه وهو في عليّة^(٣) يناغيها^(٤) في يوم جمعة، وأبو بكر متوجه إلى الجمعة، ثم رجع وهو يناغيها، فقال: يا عبد الله أجمعت^(٥)؟ قال: أوصلى الناس؟ قال: نعم - قال: وقد كانت شغلته عن سوق وتجارة كان فيها - فقال له أبو بكر: قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة، وقد ألهمتك عن فرائض الصلاة^(٦)، فطلقها، فطلقها تطليقة، وتحولت إلى ناحية^(٧)، فبينما أبو بكر يصلي على سطح له في الليل إذ سمعه وهو يقول:

أعاتك لا أنساك ما ذر شارق^(٨) وما ناح قمرئي الحمام المطوق
أعاتك قلبسي كل يوم وليلة لديك بما تخفي النفوس معلق
لها خلق جزل ورأي ومنطق وخلق مصون في حياء ومصدق^(٩)
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلهافي غير شيء تطلق

فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه وقد رق له، فقال: يا عبد الله، راجع عاتكة، فقال: أشهدك أنني قد راجعتها. وأشرف على غلام له يقال له أيمن، فقال له: يا أيمن، أنت حر لوجه الله تعالى، أشهدك أنني قد راجعت عاتكة، ثم خرج إليها يجري إلى مؤخر الدار وهو يقول:

(١) في هب: «فيما مضى ممن يروح ويغتدي». وفي ف: «فيما مضى فيما تروح وتغتدي».

(٢) ف: «محمد».

(٣) العملية «بالضم والكسر»: بيت منفصل عن الأرض.

(٤) في «المختار»: «يداعبها».

(٥) جمع: شهد الجمعة.

(٦) في «التجريد»، بيروت، «المختار»: «فرائض الله تعالى».

(٧) في ف، هب: «ناحية الدار».

(٨) ما ذر شارق: ما طلعت الشمس حين تشرق.

(٩) في «الخرانة» ٤ - ٣٥١: «... ورأي ومتصب... وخلق سوى في الحياة ومصداق».

[٦٠/١٨] / أَعَاتِكَ قَدْ طَلَّقْتَ فِي غَيْرِ رِيَّةٍ
 كَذَلِكَ أَمَرُ اللَّهِ غَادٍ وَرَائِحُ
 وَمَا زَالَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ طَائِرًا
 / لِيَهْنِكَ أَنِّي لَا أَرَى فِيكَ سَخَطَةً
 فَإِنَّكَ مِمَّنْ زَيْنَ اللَّهُ وَجْهَهُ
 وَرُوجِعْتَ^(١) لِلأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنُ
 عَلَى النَّاسِ فِيهِ أَلْفَةٌ وَتَبَايُنُ
 وَقَلْبِي لِمَا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنُ^(٢)
 وَأَنَّكَ قَدْ تَمَسَّتْ عَلَيْكَ الْمَحَاسِنُ
 وَلَيْسَ لِوَجْهِ زَائِنِ اللَّهِ شَائِنُ
 ١٣٤
 ١٦

قال: وأعطاهما حديقة له حين راجعها على ألا تزوج بعده، فلما مات من السهم الذي أصابه بالطائف، أنشأت

تقول:

فَلِلَّهِ عَيْنًا مَن رَأَى مِثْلَهُ فَتَى^(٣)
 إِذَا شُرِعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاصَهَا
 فَأَقْسَمْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي سَخِينَةً
 مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَمَامَةُ أَيْكَةٍ
 أَكْرَأَ وَأَحْمَى فِي الْهِيَاجِ وَأَضْبَرَا
 إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتْرُكَ الرُّمَحَ أَحْمَرَا
 عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا^(٤)
 وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ الْمُتَوَرَا

عمر بن الخطاب وعاتكة

فخطبها عمر بن الخطاب، فقالت: قد كان أعطاني حديقة على ألا أتزوج بعده، قال: فاستفتي، فاستفتت علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: رُدِّي الحديقة على أهله وتزوجي. فتزوجت عمر فسرَّح^(٥) عمر إلى عِدَّة من أصحاب رسول الله ﷺ، فيهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. يعني دعاهم - لما بنى بها، فقال له علي: إن لي إلى عاتكة حاجة أريد أن أذكرها إياها، فقل لها تَسْتَرِ حَتَّى أَكَلِمَهَا، فقال لها عمر: اسْتَرِي يَا عَاتِكَةُ فَإِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ يَرِيدُ أَنْ يَكَلِّمَكَ، / فَأَخَذَتْ عَلَيْهَا مِرْطَهَا^(٦) فلم يظهر منها إلا ما بدا من بِرَاجِمِهَا^(٧)، فقال: [٦١/١٨] يَا عَاتِكَةُ:

فَأَقْسَمْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا^(٨)

فقال له عمر: ما أردت إلى هذا؟ فقال: وما أردت إلى أن تقول ما لا تفعل؛ وقد قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٩) وهذا شيء كان في نفسي أحببت والله أن يخرج. فقال عمر: مَا حَسَنَ^(١٠) اللَّهُ فَهُوَ حَسَنٌ، فلما قُتِلَ عمر، قالت ترثيه:

(١) في ف: «زوجت».

(٢) في ف، و«المختار»، و«التجريد»: «فقلبي لما قرت به العين ساكن».

(٣) في «التجريد»: «مثل هالك».

(٤) في ف: «أصغرا».

(٥) في «المختار»: «فسير».

(٦) المرط: كساء من صوف أو خز.

(٧) البراجم: مفاصل الأصابع إذا قبض الشخص كفنه نشزت.

(٨) في ف: «أصغرا».

(٩) الصف ٣.

(١٠) في ب: ما أحسن.

عَيْنُ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَجِيبٍ لَا تَمْلِي عَلَى الْإِمَامِ النَّجِيبِ
فَجَعَتْنَا الْمُنُونُ بِالْفَارِسِ الْمُعَدِّ لَمْ يَوْمِ الْهِيَاجِ وَالتَّلْيِبِ
عِصْمَةِ اللَّهِ وَالْمُعِينِ عَلَى الدَّهْرِ رَغِيَاثِ الْمُثَنَابِ وَالْمَخْرُوبِ
قُلْ لِأَهْلِ الضَّرَاءِ وَالْبُؤْسِ مُوتُوا قَدْ سَقَتْهُ الْمُنُونُ كَأْسَ شُعُوبِ
وقالت ترثيه أيضاً:

نصوت

مَنْعَ الرُّقَادُ فَعَادَ، عَيْنِي عِيدُ^(١) مِمَّا تَضَمَّنَ قَلْبِي الْمَغْمُودُ
يَا لَيْلَةَ حُسْتٍ عَلَيَّ نُجُومُهَا فَسَهَرْتُهَا وَالشَّامِتُونَ هُجُودُ^(٢)
قَدْ كَانَ يُسْهِرُنِي حِذَارُكَ مَرَّةً فَالْيَوْمِ حَقٌّ لِعَيْنِي التَّنْهِيدُ
أَبْكِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ لِلزَّائِرِينَ صَفَائِحَ وَصَعِيدُ
غنى فيه طويس خفيف رمل عن حماد والهشامي.

[١٨/٦٢] / الزبير بن العوام وعاتكة

فلما انقضت عِدَّتُهَا خطبها الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فَتَرَوَّجَهَا، فلما مَلَكَهَا قَالَ: يَا عَاتِكَةَ، لَا تَخْرُجِي إِلَى الْمَسْجِدِ،
وكانت امرأة عَجْزَاءَ بَادِنَةٍ.. فقالت: يَا بَنَ الْعَوَّامِ، أَتُرِيدُ أَنْ أَدَعَ لِفَعْرَتِكَ مُصَلًى صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ / وَأَبِي بَكْرٍ
وَعَمْرٍ فِيهِ؟ قَالَ: فَإِنِّي لَا أَمْنَعُكَ، فلما سَمِعَ النَّدَاءَ لَصَلَاةِ الصُّبْحِ تَوَضَّأَ وَخَرَجَ، فَقَامَ لَهَا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فلما
مَرَّتْ بِهِ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى عَجِيزَتِهَا، فقالت: مَا لَكَ قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ! وَرَجَعْتُ، فلما رَجَعَ مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ: يَا عَاتِكَةَ،
مَا لِي لَمْ أَرُكَ فِي مُصَلَّاكَ؟ قالت: يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، فَسَدَ النَّاسُ بَعْدَكَ، الصَّلَاةُ الْيَوْمَ فِي الْقَيْطُونِ^(٣) أَفْضَلُ
مِنْهَا فِي الْبَيْتِ، وَفِي الْبَيْتِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي الْحُجْرَةِ. فلما قُتِلَ عَنْهَا الزُّبَيْرُ بِوَادِي السَّبَاعِ رَثَّه فقالت:

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسِ بُهْمَةٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ
يَا عَمْرُو لَوْنَهُ لَوْنَهُ لَوَجْدَتَهُ لَا طَائِشاً رِعْشَ اللُّسَانِ وَلَا الْيَدِ
هَبْلُكَ أَثُوكَ إِنْ قَتَلْتُ لَمْ تُسْلِمَا حَلَلْتُ عَلَيْكَ عَقُوبَةَ الْمُتَعَمِّدِ

الحسين بن علي وعاتكة

فلما انقضت عِدَّتُهَا تَرَوَّجَهَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ خَدَّهُ مِنَ
الْتَرَابِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَعَنَ قَاتِلَهُ وَالرَّاضِي بِهِ يَوْمَ قُتِلَ - وقالت ترثيه:

وَحُسَيْنًا فَلَا نَسِيْتُ حُسَيْنًا أَقْصَدْتُهُ أَسِنَّةُ الْأَعْدَاءِ^(٤)
غَادَرُوهُ بِكَرْبَلَاءَ صَرِيحًا جَادَتِ الْمُنُونُ فِي ذَرَى كَرْبَلَاءَ

(١) عيد: ما اعتاد من مرض أو حزن ونحوه. وفي ب: عود.

(٢) في ف، و «المختار»: «نحست» بدل: «حبست». و «الساهاون رقود» بدل: «والشامتون هجود».

(٣) القيطون: المخدع.

(٤) أقصدته أسِنَّةُ الْأَعْدَاءِ: أصابته فلم تخطئه.

ثم تأيَّمت^(١) بعده، فكان عبد الله بن عمر يقول: من أراد الشهادة فليتزوّج بعاتكة. ويقال: إن مروان خطبها بعد الحسين عليه السلام فامتنعت عليه، وقالت: ما كنت لأتخذ حمًا^(٢) بعد رسول الله ﷺ.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الخليل بن أسد قال: حدثني العمري قال: حدثنا أسامة بن زيد، عن القاسم بن محمد قال:

[٦٣/١٨]

/ لم يزل السهم الذي أصاب عبد الله بن أبي بكر عند أبي بكر حتى قدم وفد ثقيف فأخرجهم إليهم، فقال: من يعرف هذا منكم؟ فقال سعيد بن عبيد من بني علاج: هذا سهمي وأنا بريئه، وأنا رشته، وأنا عقبته، وأنا رميت به يوم الطائف فقال أبو بكر: فهذا السهم الذي قتل عبد الله، والحمد لله الذي أكرمه بيدك، ولم يهنك بيده.

طويس يغني شعراً لعاتكة

أخبرني اليزيدي، عن الزبير، عن أحمد بن عبيد الله بن عاصم بن المُنذر بن الزبير، قال:

لما قُتل الزبير وخلت عاتكة بنت زيد، خطبها علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت له: إني لأضن بك على القتل يا بن عم رسول الله.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن محمد بن سلام قال: حدثني أبي قال:

بينما فتية من قريش ببطن مُحَسَّر يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار إذ أقبل طويس وعليه قميص قوهي^(٣) وخبرة قد ارتدى بها، وهو يخطر في مشيته، فسلم ثم جلس، فقال له القوم: يا أبا عبد الله غننا شعراً مليحاً له حديث ظريف، فغناهم بشعر عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطاب:

مَنْعَ الرُّقَادُ فَعَادَ عَيْنِي عِيدُ مِمَّا تَضْمَنَ قَلْبِي الْمَعْمُودُ

الآيات. فقال القوم: لِمَنْ هذه الآيات يا طويس؟ قال لأجمل خلق الله وأشأمهم، فقالوا: بأنفسنا أنت، من هذه؟ قال: هي والله من لا يُجهل نسبها ولا يُدفع شرفها، تزوجت بابن خليفة نبي الله، وثنت بخليفة خليفة نبي الله، وثلث بحواري نبي الله، وربعت بابن نبي الله^(٤) وكلاً قتلته. قالوا جميعاً: جُعِلْنَا فداك، إن أمر هذه لعجيب، بآبائنا أنت من هذه؟ قال: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل. فقالوا: نعم، هي على ما وصفت، قوموا بنا لا يُدرك مجلسنا شؤمها. قال طويس: إن شؤمها قد مات معها، قالوا: أنت والله أعلم منا.

أصوات

[٦٤/١٨]

يَا دَنَائِرُ قَدْ تَنَكَّرَ عَقْلِي وَتَحَيَّرْتُ بَيْنَ وَغَسَدٍ وَمَطْلٍ
شَغَفِي شَاغِبِي إِلَيْكَ وَإِلَا فَاقْتُلِينِي إِنْ كُنْتَ تَهْوِيَن قَتْلِي

/ الشعر والغناء لعقيد مولى صالح بن الرشيد، خفيف ثقيل، وفيه لعريب رمل بالوسطى، وهذا الشعر يقوله في دنائير مولاة البرامكة، وكان خطبها فلم تُجبه، وقيل: بل قاله أحد اليزيديين، ونَحَلَه إياه.

(١) تأيَّمت: مكثت ولم تتزوج.

(٢) في ف، «المختار»: «حموا».

(٣) قيمص قوهي: أبيض.

(٤) في ف: «وربعت بابن بنت رسول الله». وفي «المختار»: «وربعت بابن رسول الله».

/ ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيبة^(١)

[٦٥/١٨]

كانت مولاة ليحيى بن خالد البرمكي

كانت دنانير مولاة يحيى بن خالد البرمكي وكانت صفراء مولدة، وكانت من أحسن الناس وجهاً وأظرفهن وأكملهن أدباً وأكثرهن رواية للغناء والشعر، وكان الرشيد لشغفه بها يُكثّر مصيرته^(٢) إلى مولاها ويقيم عندها ويبرها^(٣) ويفرط، حتى شكته زبيدة إلى أهله وعمومته، فعاتبوه على ذلك.

لها كتاب في الأغاني

ولها كتاب مجرّد في الأغاني مشهور، وكان اعتمادها في غنائها على ما أخذته من بذل وهي خرّجتها، وقد أخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت بذل عنهم مثل: قُليج، وإبراهيم، وابن جامع، وإسحاق، ونظرانهم.

أخبرني جحظة، قال: حدّثني المكي عن أبيه قال:

كنت أنا وابن جامع نعايي^(٤) دنانير جارية البرامكة، فكثيراً ما كانت تغلبنا.

عرضت على إبراهيم الموصلي صوتاً من صنعتها فأعجبه

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، عن ابن شبة، قال: حدّثني إسحاق الموصلي، قال: قال لي أبي: قال لي يحيى بن خالد: إن ابنتك دنانير قد عملت صوتاً اختارته وأعجبت به، فقلت لها: لا يشتدّ إعجابك حتى تعرضيه على شيخك، فإن رضيّه فارضيه لنفسك، وإن كرهه فاكروهه، فامض حتى تعرضه عليك. قال: فقال لي أبي: فقلت له: أيها الوزير فكيف إعجابك أنت به؟ فإنك والله ثاقب الفطنة صحيح التمييز^(٥)، قال: أكره أن أقول لك: أعجبتني فيكون عندك غير مُعجب؛ إذ كنت عندي رئيس صناعتك، تعرّف منها ما لا أعرف، وتقف من لطائفها على ما لا أقف، وأكره / أن أقول لك: لا يُعجبني، وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً، وإنما يتم السرور به إذا صادف ذلك منك استجادةً وتصويماً. قال: فمضيت إليها، وقد تقدم إلى خدّمي يعلمهم أنه سيرسل بي إلى داره، وقال لدنانير: إذا جاءك إبراهيم فاعرضي عليه الصوت الذي صنّعه واستحسنه، فإن قال لك: أصبت سررتني بذلك، وإن كره فلا تعلميني. لثلا يزول سُروري بما صنّعت. قال إسحاق: قال لي أبي: فحضرت الباب فأدخلت، وإذا الستارة قد نُصبت، فسلمت على الجارية من وراء الستارة، فردّت السلام، وقالت: يا أبتِ أعرض عليك صوتاً قد تقدّم لا شك

(١) ب، «الدر المنثور»: عقي.

(٢) هب، «المختار»: «مسيره».

(٣) هب، «المختار»: «ويقيم عنده ويبره».

(٤) عاياً فلاناً: ألقى عليه كلاماً لا يهتدي لوجهه. وفي هب، ب، بيروت: «نعاني».

(٥) هب، ف: «ثاقب الرأي عالي الفطنة».

إليك خبره، وقد سمعتُ الوزير يقول: إن الناس يُفتنون بغنائهم، فيُعجبهم منه ما لا يُعجب غيرهم، وكذلك يُفتنون بأولادهم، فيحسُن في أعينهم منهم ما ليس يحسن، وقد خشيت على الصوت أن يكون كذلك، فقلت: هات، فأخذت عودها وتغنّت تقول.

صوت

نَفْسِي أَكُنْتُ عَلَيْكَ مُدْعِيًا أَمْ حِينَ أَرْمَعُ بَيْنَهُمْ خُنْتُ!
إِنْ كُنْتُ مَوْلَعًا بِذِكْرِهِمْ فَعَلَى فِرَاقِهِمْ أَلَا مُتُّ!

/ قال: فأعجبني والله غاية العجب واستخفني الطرب، حتى قلت لها: أعيديه، فأعادته وأنا أطلب لها فيه ^{١٣٧}/_{١٦} موضعاً أصلحه وأغيره عليها لتأخذه عني، فلا والله ما قدرتُ على ذلك، ثم قلتُ لها: أعيديه الثالثة فأعادته، فإذا هو كالذهب المصفى، فقلت: أحسنت يا بنية وأصبت، وقد قطعت عليك بحسن إحسانك وجودة إصابتك أنك قائدة للمعلمين^(١)؛ إذ قد صرت تُحسنين الاختيار وتُجيدن الصنعة، قال: ثم خرج فلقية يحيى بن خالد، فقال: كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير؟ قال: أعز الله الوزير، / والله ما يُحسن كثيرٌ من حُذّاق المغنين مثل هذه الصنعة، ولقد قلتُ [٦٧/١٨] لها: أعيديه وأعادته عليّ مرات، كلُّ ذلك أريد إعانتها، لأجتلب^(٢) لنفسي مدخلاً يؤخذ عني ويُنسب إليّ، فلا والله ما وجدته، فقال لي يحيى: وصفك لها يقوم مقام تعليمك إياها، وقد - والله - سررتني وسأسرك، فوجه إليّ بمال عظيم.

اشتراها يحيى بن خالد من رجل من أهل المدينة

وذكر محمد بن الحسن الكاتب، قال: حدثني ابن المكي، قال:

كانت دنانير لرجل من أهل المدينة، وكان خرجها وأدبها، وكانت أروى الناس للغناء القديم، وكانت صفراء صادقة الملاحه، فلما رآها يحيى وقعت بقلبه فاشتراها.

الرشيد يعجب بها فتعلم أم جعفر وتشكوه إلى عمومه

وكان الرشيد يسير^(٣) إلى منزلة فيسمعها، حتى ألفها واشتد عجبُه^(٤) بها فوهب لها هبات سنية، منها أنه وهب لها في ليلة عيد عَقْدًا، قيمته ثلاثون ألف دينار، فرُدَّ عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك. وعلمت أم جعفر خبره فشكته إلى عمومه، فصاروا جميعاً إليه فعاتبوه، فقال: ما لي في هذه الجارية من أربٍ في نفسها، وإنما أربى في غنائها، فاسمعوها، فإن استحققت أن يؤلف غناؤها وإلا فقولوا ما شئتم، فأقاموا عنده، ونقلهم إلى يحيى حتى سمعوها عنده فعذروه، وعادوا إلى أم جعفر فأشاروا عليها ألا تلخ في أمرها فقَبِلَتْ ذلك، وأهدت إلى الرشيد عَشْرَ جوارٍ، منهن: ماردة أم المعتصم، ومراجل أم المأمون، وفاردة^(٥) أم صالح.

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: أخبرني محمد بن عبد الله الخُزاعي قال:

(١) ب، بيروت: «وقد قطعت عليك بحسن إحسانك وجودة إصابتك فائدة المعلمين». وفي ف: «وقد قطعت عنك بحسن اختيارك وجودة إصابتك فائدة المعلمين».

(٢) ف: «لأحتال».

(٣) ف: «يصير».

(٤) ف: «إعجابه».

(٥) في ب: مارية «أم المعتصم». وفي ف: فارد «أم صالح».

[٦٨/١٨] حدثني عَبَّادُ البُشَيْرِيُّ^(١) قال: مررتُ بمنزِلٍ من منازل طريق مَكَّةَ يقال له / النَّبَاج، فإذا كِتَابٌ^(٢) على حائط في المنزل، فقرأته فإذا هو: النَّيْتُ أَرْبَعَةٌ؛ فالأولُ شَهْوَةٌ، والثاني لَذَّةٌ، والثالثُ شِفَاءٌ، والرابعُ دَاءٌ^(٣)، وَحِرٌّ إلى أَيْرَيْنِ أَحْوَجُ من أَيْرٍ إلى حَرَيْنِ، وَكُتِبَتْ دَنَانِيرُ مَوْلَاةِ الْبَرَامِكَةِ بِخَطِّهَا.

أخبرني إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ، عن ابنِ شَبَّةَ: أن دَنَانِيرَ أَخَذَتْ عن إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ حتى كانت تُغْنِي غِنَاءَهُ، فَتَحْكِيهِ فِيهِ حتى لا يكون بينهما فرق، وكان إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ لِيَحْيَى: متى فَقَدْتَنِي ودَنَانِيرُ باقية فما فَقَدْتَنِي.

دنانير نصاب بالعملة الكلية

قال: وَأَصَابَتْهَا الْعِلَّةُ الْكَلْبِيَّةُ فَكَانَتْ لَا تَصْبِرُ عن الأكل ساعة واحدة^(٤)، فكان يحيى يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار، لأنها كانت لا تصومه، وبقيت عند البرامكة مدة طويلة.

الرشيد يأمر بصنع دنانير حتى تغني

أخبرني ابنُ عَمَّارٍ، وابن عبد العزيز، وابن يونس، عن ابنِ شَبَّةَ، عن إِسْحَاقَ:

وأخبرني جَحْظَةُ، عن أحمد بن الطَّيِّبِ: أنَّ الرِّشِيدَ دعا بدنانيرَ البرمكية بعد قتلِهِ إِيَّاهُمْ، فأمرها أن تُغْنِي، فقالت: يا أمير المؤمنين، إني آليتُ ألا أُغْنِي بعد سَيِّدِي أَبَدًا، فغضب، وأمر بصَفْعِهَا، فَصُفِّعَتْ، وأقيمت على رجليها، وأعطيت العُودَ، وأخذته وهي تبكي بحرًّا بكاءً، وانْدَفَعَتْ / فغَتَّتْ:

١٢٨
١٦

قصيدة

يَا دَارَ سَلَمَى بِنَازِحِ السَّنَدِ بَيْنَ النَّايَا وَمَسْقَطِ اللَّبَدِ
لَمَّا رَأَيْتُ الدِّيَارَ قَدْ دَرَسَتْ أَيْقَنْتُ أَنَّ النِّعِيمَ لَمْ يَعُدْ

[٦٩/١٨] / الغناء للهذلي خفيف ثقیل أول مطلق في مجرى الوُسْطَى، وذكر علي بن يحيى المُنَجِّمَ وعمرُو أنه لِسِيَّاط في هذه الطريقة.

قال: فَفَرَّقَ لَهَا الرِّشِيدَ وأمر بإطلاقها وانصرفت، ثم التفت إلى إِبْرَاهِيمَ بنِ الْمَهْدِيِّ فقال له: كيف رأيتهَا؟ قال: رأيتهَا تَخْتَلِهَ بَرْقٌ، وَتَقْهَرُهُ بِحَذَقٍ.

خطبها عقيد فردته وبقيت على حالها إلى أن ماتت

قال علي بن محمد الهشامي^(٥): حدثني أبو عبد الله بن حَمْدُونُ أن عَقِيدًا^(٦) مولى صالح بن الرشيد خطب دَنَانِيرَ الْبَرْمَكِيَّةَ، وكان هَوِيَّهَا وَشُغِفَ بِذِكْرِهَا، فردته، واستشفع عليها مولاة صالح بن الرشيد، وبَذَلَ، والحُسَيْنُ بن محرز، فلم تُجِبْهُ وأقامت على الوفاء لمولاها، فكتب إليها عَقِيدُ قوله:

(١) ف: «النسوي»، وفي «المختار»: «النسوي».

(٢) الكتاب هنا الكتابة. وفي «المختار»: «وإذا على الحائط مكتوب ما صورته...».

(٣) ف: «دواء».

(٤) ف: «مرة واحدة».

(٥) في ف، بيروت: «البسامي».

(٦) في ب، «الدر المنثور»: «عقيلًا».

يا دنانيسرُ قد تنكّر عَقْلِي وَتَحَيَّرْتُ بَيْنَ وَغْدٍ وَمَطْلٍ
شَفَّعِي^(١) شافِعِي إِلَيْكَ وَالْأُ فَاقتُلْنِي إِنْ كُنْتَ تَهْوِينُ قَتْلِي
أَنَا بِاللّهِ وَالْأَمِيرِ وَمَا أ مَلُّ مِنْ مَوْعِدِ الْحُسَيْنِ وَبَذَلٍ
مَا أَحَبُّ الْحَيَاةَ يَا حَبُّ^(٢) إِنْ لَمْ يَجْمَعُ اللَّهُ عَاجِلًا بِكَ شَمْلِي

فلم يعطفها ذلك على ما يُحِبُّ، ولم تزل على حالها إلى أن ماتت.

وكان عَقِيدُ حَسَنِ الْغِنَاءِ وَالضَّرْبِ قَلِيلَ الصَّنْعَةِ، مَا سَمِعْنَا مِنْهُ بِكَبِيرٍ^(٣) صُنْعَةً، وَلَكِنَّهُ كَانَ بِمَوْضِعٍ مِنَ الْحَذَقِ وَالتَّقْدُمِ.

[٧٠/١٨]

/ قال محمد بن الحسن: حدثني أبو حارثة^(٤) عن أخيه أبي معاوية قال:

شهدت إسحاق يوماً وَعَقِيدُ يُغَنِّيهِ:

صوت

هَلَا سَأَلْتَ ابْنَةَ الْقَبَسِيِّ مَا حَسَبِي عِنْدَ الطَّعْمَانِ إِذَا مَا احْمَرَّتِ الْحَذَقُ
وَجَالَتْ الْخَيْلُ بِالْأَبْطَالِ عَابِسَةً شُعْتُ النِّوَاصِي عَلَيْهَا الْبَيْضُ تَأْتَلِقُ

الشعر يقال: إنه لَعَتَرَةٌ ولم يصح له، والغِنَاءُ لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى. قال: فجعل إسحاق يستعيده ويشرب ويصفق حتى والى بين أربعة أربطال، وسأله بعض من حضر: مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ غِنَاءً؟ قال: مَنْ سَقَانِي أَرْبَعَةَ أَرْطَالٍ.

أبو حفص الشطرنجي يقول فيها شعراً يغنيه ابن جامع

وفي دنانير يقول أبو حفص الشطرنجي.

صوت

أَشْبَهَكَ الْمَسْكُ وَأَشْبَهْتَهُ قَائِمَةً فِي لَوْنِهِ قَاعِدُهُ
لَا شَكَ إِذْ لَوْنُكُمَا وَاحِدٌ أَنْكُمَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ

غناه ابن جامع هزجاً بالبنصر وقيل: إنه لأبي فارة.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزياني، عن علي بن محمد النوفلي، عن مَوْلَاةِ بْنِ جَامِعٍ أَنَّ مَوْلَاهَا كَانَ يَهْوِي جَارِيَةً صَفْرَاءَ. فَقَالَ فِيهَا هَذَا الشَّعْرَ وَغَنَى فِيهِ، وَأَظَنَّ هَذَا وَهْمًا؛ لِأَنَّا لَمْ نَسْمَعْ لَابْنَ جَامِعٍ بِشَعْرِ قَطٍّ، وَلَعَلَّهُ غَنَاهُ فِي شَعْرِ أَبِي حَفْصِ الشُّطْرَنْجِيِّ. فَظَنَنْتُهُ لَهُ.

ومما غناه عَقِيدُ فِي دَنَانِيرٍ وَالشَّعْرَ لِلْمَوْصِلِيِّ إِلَّا الْبَيْتَ الْأَوَّلَ فَلَيْسَ^(٥) لَهُ.

(١) في ب، «الدر المنثور»: «شغفي».

(٢) في هب، «الدر المنثور»، ب: «يا أخت». والحب: الحبيب.

(٣) في ف، هب، بيروت: «بكثير».

(٤) في ب: «أبو جارية».

(٥ - ٥) كذا في في ف، هب وهذا الصوت وما يليه من خبر خلت منه نسخة بولاق.

عقيد يقول فيها شعراً ويغنيه

هَـذِي دَنَانِيرُ تَنَسَانِي فَأَذْكُرُهَا وكيف تنسى مُحِبًّا ليس ينساها!
والله والله لو كانت إذا برزت نفسُ المُتَيِّمِ في كَفْيِهِ أَلْقَاهَا
والشعر والغناء لعقيد، ولحنه من الرَّمْل المطلق في مجرى الوسطى، وفيه هزج خفيف مُحَدَّث.

المغنون والجواري يغنون عند الأمين بشعر عقيد فيها

قال أحمد بن أبي طاهر: حدثني علي بن محمد قال: حدثني جابر بن مُصْعَب، عن مُخَارِق، قال:
مرّت بي ليلةٌ ما مرّ بي قطّ مثلها. جاءني رسولُ محمد الأمين وهو خليفة، فأخذني وركضَ بي إليه ركضاً،
فحين وافيتُ أُنِّي بإبراهيم بن المهدي^(١) على مثل حالي، فنزلنا، وإذا هو في صحن لم أر مثله قد ملئَ شمعاً من
شمع محمد الأمين الكبار، وإذا به واقف ثم دخل / في الكُرح^(٢)، والدار مملوءة بالوصائف يُغَنِّين على الطبول
والسرنايات^(٣) ومحمد في وسطهن يرتكض في الكُرح، فجاءنا رسولُه، فقال: قوما في هذا الباب مما يلي
الصُّخْن، فارفعا أصواتكما مع السرنائي أين بَلَّغ، وإنا كما أن أسمع في أصواتكما تقصيراً عنه، قال: فأصغينا فإذا
الجواري والمُخَنَّثُونَ يزمرون ويضربون:

هَـذِي دَنَانِيرُ تَنَسَانِي وَأَذْكُرُهَا وكيف تنسى مُحِبًّا ليس ينساها!
أعسودُ بالله من هجران جاريةٍ أصبحتُ من حبِّها أهْذِي بذكرها
قد أكملَ الحسنُ في تركيب صورتها فارتسج أسفلها واهتزَّ أعلاها
/ قاسمتُ تَمْشَى فليت الله صيّرني ذاك الترابَ الذي مَسَّنْهُ رجلاها
والله والله لو كانت إذا برزت نفسُ المُتَيِّمِ في كَفْيِهِ أَلْقَاهَا

فما زلنا نشقُّ حلقنا مع السرنائي وتنبَّعه حذراً من أن نخرج عن طبقته، أو نقصر عنه إلى الغداة،
ومحمد يجولُ في الكُرح ما يسأله، يدنو إلينا مرة في جولانه ويتباعد مرة، وتحولُ الجواري بيننا وبينه حتى
أصبحنا.

ألا طَرَقَتْ أَسْمَاءٌ لَا حِينَ مُطَرَّقٍ وأُنسى إذا حَلَّتْ بَنَجْرَانٌ نَلْتَقِي

(١) في ف، «المختار»، بيروت: «إبراهيم الموصلي».

(٢) أصل معنى الكُرح بيت الراهب. وفي ف، بيروت، «المختار»: «وإذا محمد قد دخل في الخدم».

(٣) السرنائيات: من آلات الصفيير. وفي ب: «السرنابات والسرنابي».

يُوجُّ وما بالي يوجُّ وبألها^(١) وَمَنْ يَلْقَ يَوْمًا جِدَّةَ الْحَبِّ يُخْلَقِ

عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ، الشَّعْرَ لَخُفَافٍ بِنِ تَذْبَةِ، وَالْغَنَاءَ لَابْنِ مَحْرُزٍ خَفِيفٍ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى
عَنِ إِسْحَاقَ، وَفِيهِ لَابْنُ سُرَيْجٍ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالسَّبَابِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنِ إِسْحَاقَ أَيْضًا، وَذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّ فِيهِ
لِحَنًا لِمَعْبُدٍ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى، وَفِيهِ لَعْلُويهِ خَفِيفٍ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى، وَفِيهِ لِلْقَاسِمِ بْنِ زُرْزُورٍ^(٢) خَفِيفٍ رَمَلٍ آخِرٍ
صَحِيحٍ فِي غَنَائِهِ، وَفِيهِ لَابْنُ مَسْجَحٍ ثَقِيلٍ أَوَّلَ، عَنِ إِبْرَاهِيمَ، وَيَحْيَى الْمَكِّيَّ، وَالْهَشَامِيَّ، وَفِيهِ لِمَخَارِقِ رَمَلٍ
بِالْبِنْصَرِ.



مركز بحوث تاريخ اللغة العربية

(١) ف، بيروت: «الحت بنوح ما لنوح وما لها».

(٢) في هب: «زرور». وفي ف: «زرزور».

[٧٤/١٨]

/ أخبار خفاف ونسبه

هو خُفاف بن عُمَيْر^(١) بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يَقْظَة بن عَصِيَّة بن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيْم بن منصور بن عِكْرَمَة بن خَصَفَة بن قيس بن عِيلان بن مضر بن نِزار، ونُذْبَة أمه وهي أُمّ سُداء، وكان خفاف أسوداً أيضاً، وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانهم، وجعله ابنُ سَلَام في الطبقة الخامسة من الفُرسان مع مالك بن نويرة، ومع ابني عَمّه صَخْر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد، ومالك بن حِمار الشَّمْخِي^(٢).

أحد فرسان العرب وأخريتهم

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، قال:

كان خُفاف بن نُذْبَة - وهي أمه - فارساً شجاعاً شاعراً، وهو أحدُ أغربة العرب^(٣)، وكان هو ومعاوية بن الحارث بن الشريد أغار على بني دُبَيان يوم حَوْزَة^(٤)، فلما قتلوا معاوية بن عمرو قال خُفاف: والله لا أريم اليوم أو أُقِيدُ به سيّدْهم، فحمل على مالك بن حمار وهو يومئذ فارسُ بني فزارة وسيّدْهم فطعنه فقتله، وقال:

فإن تلك خيلي قد أصيب صميمُها
فعمداً على عيني تيمّنتُ مالِكا
رفعتُ له ما جرّ إذ جرّ موتُه^(٥)
لأنّني معجداً أو لأثار هالِكا
أقول له والرُمح يَطرُ مثنى
تأملُ خُفافاً إنني أنا ذلِكا^(٦)

/ قال ابن سلام: وهو الذي يقول:

يا هندُ يا أخت بني الصّارِدِ
ما أنا بالباقي ولا الخالِدِ
إن أُمسٍ لا أملكُ شيئاً فقد
أملكُ أمر المُنِير الحارِدِ^(٧)

في هذين البيتين لعبيد الله بن أبي غَسَّان خفيف ثقل أول بالبصر عن الهشامي.

ينال من العباس بن مرداس، والعباس يرد عليه

أخبرني عَمِّي، عن عبد الله بن سعد، عن أحمد بن عمر، عن عُمَرَ^(٨) بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن الحجاج السُّلَمِي قال:

(١) في هب، ب: «عمرو».

(٢) في «المختار»: «مالك بن حماد الجشمي». وفي ب: «مالك بن حماد الشحمي».

(٣) أغربة العرب: سودانهم، منهم جاهليون وإسلاميون. انظر «المحيط» (غرب).

(٤) في ف: «يوم الحرية»، وفي ف: «يوم الجزيرة».

(٥) في «الخزانة» ٢ - ٤٧٠: «نصبت له علوي وقد خام صحبتي». وفي ف: «دلفت له يا حز إذ حرّ ثوبه».

(٦) ياطر: يثني. والمثن: الظهر، يريد ظهر مالك.

(٧) ب: «المُنسر الجارِد»، وفي هب: «رأي اليسر الجارِد». والمنسر: الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو من الأربعين إلى الخمسين أو إلى الستين أو من المائة إلى المائتين. والحارِد: المجتمع الخلق الشديد.

(٨) في ب: «عمرو بن خالد».

كان بدء ما كان بين خفاف بن نذبة والعباس بن مرداس أن خفافاً كان في مَلَا من بني سُليم فقال لهم: إن عباس بن مرداس يريد أن يبلغ فينا ما بلغ عباس بن أنس، ويأبى ذلك عليه خصالاً قَعَدَن به، فقال له فتى من رهط العباس: وما تلك الخصال يا خفاف؟ قال: اتقاؤه بخيله عند الموت، واستهانته بسبائا العرب، وقتله الأسرى، ومكالبته للصعاليك على الأسلاب، ولقد طالت حياته حتى تَمَيَّننا موته، فانطلق الفتى إلى العباس فأخبره الخبر، فقال العباس: يابن أخي، إن لم يكن كالأصم في فضله فلست كخفاف في جهله، وقد مضى الأصم بما في أمس وخلقني بما في غد، فلما أمسى تغنى، وقال:

خُفافٌ ما تزال تجرُّ ذيلًا إلى الأمرِ المُفارقِ للرَّشادِ
إذا ما عاينتُك بنو سُليم ثَبَّيتَ لهمِ بدهيةً نادٍ^(١)
/ وقد عِلِمَ المَعاشرُ من سُليم بأنِّي فيهمُ حَسَنُ الأيادي
فأوردِ يا خُفافُ فقد بُلِيتُم بني عوفٍ بخيَّةٍ بطنِ وادي

[٧٦/١٨]

قال: ثم أصبح فتى خفافاً. وهو في مَلَا من بني سُليم، فقال: قد بلغني مقاتلك يا خفاف، والله لا أشتم عِرَضَكَ ولا أُسُبُّ أباك وأباك، ولكني رام سوادك بما فيك^(٢) وإنك لتعلم أني أحبي المصاف^(٣) وأتكرم على السلب^(٤) وأطلق الأسير وأصون السيئة. وأما زعمك أني أثقي بخيلي الموت فهات من قومك رجلاً اتقيت به. وأما استهانتي بسبائا العرب فإني أخذو القوم في نسائهم بفعالهم في نسائنا، وأما قتلي الأسرى فإني قتلْتُ الزبيدي بخالك؛ إذ عجزت عن ثارك. وأما مكالبتني للصعاليك على الأسلاب، فوالله ما أتيت على مسلوب قط إلا لُمتُ سالبه. وأما تَمَيَّنك موتي. فإن مِتُّ قبلك فأغن عَنائي، وإن سُلِمَما لتعلم أني أخفُ عليهم مؤونة، وأثقلُ على عدوهم وطأة منك، وإنك لتعلم أني أبحتُ حمي بني زبيد، وكسرتُ قرني الحارث^(٥) وأطفأتُ جَمرة خثعم، وقلدتُ بني كِنانة قلائد العار، ثم انصرف. فقال خفافُ أبياتاً لم يحفظ الشيخُ منها إلا قوله:

ولم تقتل أسيرَكَ من زبيدٍ بخالي بل عَذَرْتَ بِمُستفادِ
فَزرَئُكَ في سُليمِ شرُّ زَئِدِ وزادُكَ في سُليمِ شرُّ زادِ

فأجابه العباس بقوله:

ألا مَنْ مُبلغُ عُنِّي خُفافاً فإني لا أحاشي من خُفافِ
نَكَحتَ وليدةً ورضعتَ أُخرى وكان أبوك تخمِلُهُ قُطافِ
/ فلستُ لحاصِنٍ إن لم تُزِرْها تُبِيرُ التُّقَعِ من ظَهرِ النُّعافِ^(٦)
سراعاً قد طواها الأين دُهماً وكُمتاً لوئها كالورس صافِ^(٧)

[٧٧/١٨]

١٤١
١٦

(١) ناد: شديدة.

(٢) السواد: الشخص. وفي ب: «ولكن رمى سوادك بما فيك».

(٣) المصاف: مواقف القتال.

(٤) في ب، بيروت: «وأنكلم على السبي».

(٥) في ب، هب: «وكسرت قوى بني الحارث».

(٦) في ف: «فلست بحاصن إن لم تروها». والخاصن: العفيفة. والنعاف: جمع نعف؛ وهو المكان المرتفع في اعتراض.

(٧) في ف، «المختار»، هب: سواهم بدل سراعاً، ودهم وكمت «بالرفع».

ابن عم للعباس يحرضه على الحرب

قال: ثم كف العباس وخُفّاف حتى أتى ابن عم للعباس يَكْنَى أبا عَمْرُو بن بدر، وكان غائباً، فقال: يا عباس! ما نقولُ فيكَ خيراً إلّا وهو باطل، قال: وكيف ذلك، ويحك! قال: أخبرني عنكَ، أَكُلُّ الذي أَقررتَ^(١) به من خُفّاف في نفيه أباك وتهجينه عرضك؟ ليأس من نصر قومك أو ضعف من نفسك؟ قال: لا، ولا واحدة منهما، ولكنني أحببت البُقيّا، قال: فاسمع ما قلته، قال: هات، فأنشأ يقول:

أرى العباس ينفض مِذْرَوِيه ^(٢)	دَهَيْنَ الرّأسَ ثَقْلِيه النساءُ
وقد أزرى بوالده خُفّافٌ	ويُحَسِّبُ مثله الداءُ العِياءُ ^(٣)
فلا تُهدِ السُّبَابَ إلى خُفّافٍ	فإن السَّبَّ تُحَسِّسُه الإمامُ
ولا تكذب وأهد إليه حرباً	مُعْجَلَةً فإن الحرب داءٌ
أذلّ الله شُرَكَمّا قِيلاً	ولا سَقَّتْ له رَسْماً سَماً

العباس وخُفّاف يلتقيان بقومهما ويقتلان قتلاً شديداً

قال العباس: قد آذنتُ خُفّافاً بحرب، ثم أصبحا فالتقيا بقومهما، فاقتتلا قتلاً شديداً يوماً إلى الليل، وكان الفضل للعباس على خُفّاف، فركب إليه مالك بن عوف ودُرَيْدُ بن الصُّمَّةِ الجُشَمِيّ في وجوه هَوازِن، فقام دُرَيْدُ خطيباً فقال: يا معشر بني سُلَيْم، إنه أعجلني إليكم صدرٌ وادٌّ ورأيٌ جامع، وقد ركب صاحبكم شرَّ مطية، وأوضعا

[٧٨/١٨] / إلى أصعب غاية، فالآن قبل أن يندم الغالب ويذلّ المغلوب^(٤)، ثم جلس.

دريد بن الصمة ومالك بن عوف يحذرانها عاقبة الحرب

فقام مالك بن عوف^(٥) فقال: يا معشر بني سُلَيْم، إنكم نزلتم منزلاً بُعِدَتْ فيه هَوازِن، وشيّعت منكم فيه بنو تميم، وصالت عليكم فيه بكر بن وائل، ونالت فيه منكم بنو كنانة، فانزعوا وفيكم بقية قبل أن تلقوا عدوكم بقرنٍ أعصب وكفٍّ جَذْماء، قال: فلما أُمسينا تغنى دُرَيْدُ بن الصُّمَّةِ فقال:

سُلَيْمُ بَنَ منصور المأ تَحْجَرُوا	بما كان من حَزْبِي كَلْبِي وداحسٍ
وما كان في حرب اليَحَابِرِ ^(٦) من دم	مباح وجَذَعٍ مؤلِمٍ للمعاطسِ
وما كان في حَزْبِي سُلَيْمٍ وقبلهم	بحرب بُعَاثٍ من هلاك الفوارسِ
تسافهت الأحلامُ فيها جهالةٌ	وأضرم فيها كلُّ رَطْبٍ ويابسِ
فكفُّوا خُفّافاً عن سفاهة رأيهِ	وصاحبه العباس قبل الدهارسِ ^(٧)

(١) في ب: «خبرني عن أصل الذي أقررت به... الخ».

(٢) المذروان: طرفا الإلية. وجاء ينفض مذرويه: جاء باغياً يتهدد.

(٣) في هب: «سبك مثله الداء العياء». وفي «المختار»: «ولكن نسله الداء العياء».

(٤) في ب: «ويذم المطلوب».

(٥) في ب: «مالك بن أوس».

(٦) في ب: «البحائر»، تحريف.

(٧) الدهارس: الدواهي.

وَالْأَفَاتِمُ مِثْلُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ:

سُلَيْمُ بْنُ مَنْصُورٍ دَعَا الْحَرْبَ إِنَّمَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ وَائِلٍ
تَفَرَّقَتْ الْأَحْيَاءُ مِنْهُمْ لَجَاجَةٍ
فَمَا لِسُلَيْمٍ نَاصِرٌ مِنْ هَوَازِنٍ

[٧٩/١٨] / دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ يَمَاهِدُهُمَا عَلَى الْكَفِّ عَنِ الْحَرْبِ وَتَهَادِي الشَّعْرَ مِنْ غَيْرِ شَتْمٍ

/ قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْنَا، فَاجْتَمَعَتْ بَنُو سُلَيْمٍ، وَجَاءَ الْعَبَّاسُ وَخُفَّافٌ، فَقَالَ لِهَمَّا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ وَلَمَنْ حَضَرَ مِنْ قَوْمِهِمَا: يَا هَؤُلَاءِ! إِنْ أَوْلَكُمُ كَانَ خَيْرٌ أَوَّلٌ، وَكُلُّ حَيٍّ سَلَفٌ خَيْرٌ مِنَ الْخَلْفِ، فَكُفُّوا صَاحِبِيكُمْ عَنْ لَجَاجِ الْحَرْبِ وَتَهَاجِي الشَّعْرِ، قَالَ: فَاسْتَحْيَا الْعَبَّاسُ فَقَالَ: فَإِنَّا نَكْفُ عَنْ الْحَرْبِ، وَنَتَهَادَى الشَّعْرَ، قَالَ: فَقَالَ دُرَيْدٌ: فَإِنْ كُنْتُمَا لَا بَدَ فَاعِلِينَ فَاذْكُرَا مَا شَتَمْتُمَا وَدَعَا الشَّتْمِ، فَإِنَّ الشَّتْمَ طَرِيقُ الْحَرْبِ، فَانصَرَفَا عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ:

فَأَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي مَالِكٍ
فَأَمَّا التَّخِيلُ فَلَيْسَتْ لَنَا
وَلَكِنْ جَمْعًا كَجَذْلٍ^(١) الْحِكَا
مِفَاوِيرُ تَحْمِلُ أَبْطَالُنَا
وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ خَيْفَانَةً
صَنِيعًا كَقَارُورَةِ الزَّعْفَرَانِ

وَيَقَالُ: صَيِّغًا. قَالَ: فَأَجَابَهُ خُفَّافٌ فَقَالَ:

أَعْبَسَ إِنْ اسْتَعَارَ الْقَصَبَ
عَلَامَ تَنَاوُلٍ مَا لَا تَنَالُ
/ فَإِنَّ الرُّهَانَ إِذَا مَا أُرِيدَ
تَخَاوَصُ لَمْ تَسْتَطِعْ عُذَّةً^(٢)
فَقَصْرُكَ مَآثُورَةٌ إِنْ بَقِيَ
لِسَانِي وَسَيْفِي مَعًا فَاَنْظُرَنَّ

لَدِي غَيْرَ مَغْشَرِهِ^(٤) مُنْكَرُ
فَتَقَطَّعُ نَفْسَكَ أَوْ تَخْشُرُ^(٥)
فَصَاحِبُهُ الشَّامِخُ الْمُخْطَرُ^(٦)
كَأَنَّكَ مِنْ بَغْضِنَا أَعْوَرُ
سَتْ أَصْحَابُهَا لَكَ أَوْ أَسْكَرُ^(٨)
إِلَى تِلْكَ أَيُّهُمَا تُبْذَرُ

[٨٠/١٨]

(١) في ف، بيروت: «تجلد».

(٢) الجذل: عود ينصب للإبل الجري لتحتك به.

(٣) في ب، بيروت: الجداء.

(٤) في ف: «موضعه».

(٥) ف: تحسر.

(٦) في ف، هب: «السابع المحضر».

(٧) في هب، ف، بيروت: «تخاوص لم تستطع غيره». وتخاوص: غرض من بصره شيئاً.

(٨) ف: «فقصرك ما بعده... أو أشكر».

قال: فلما طال الأمر بينهما من الحرب والتَّهاجي، قال عباس: إني والله ما رأيت لخُفافٍ مثلاً إلا شِbam بني زُبيد^(١) فإنه كان يلقى من ابن عمه ثَروانَ بنِ مُرّة من الشتم والأذى ما ألقى من خُفاف، فلما لَجَّ في شتمه تركه وما هو فيه، فقال:

وهبتُ لثروانَ بنِ مُرّة نفسَه وأحمل ما في اليوم من سوء رأيِه
وقد أمكّنتني من ذؤابتِه يدي رجاء التي يأتي بها الله في غد^(٢)

فقال خُفاف: إني والله ما وجدتُ لعباس مثلاً إلا ثَروانَ بني زُبيد، فإنه كان يلقى من شِbam ما ألقى من العباس من الأذى، فقال ثَروان:

رأيتُ شِbamاً لا يزال يعيُسي فقضرك مني ضربةً مازينةً
فلله ما بالي وبالشِbam! بكف فتى في القوم غير كهام
فتقصّر عني يا شِbam بن مالك وما عَضَّ سيفي شامي بحرام

فقال عباس: جزاك الله عني يا خُفاف شراً، فقد كنتُ أخفّ بني سُلَيم من دمائها ظَهراً، وأخمصها بطناً، فأصبحتُ العرب تُعيرني بما كنتُ أعيب عليها من / الاحتمال وأكل الأموال، وصرت ثَقيل الظهر من دمائها مُنْفَضِح^(٣) البطن من أموالها، وأنشأ يقول:

/ ألم ترَ آتي تركتُ الحروبَ / ندامةً زار على نفسه
وَأني نَدِمْتُ على ما مَضَى ليلك التي عارها يُتقى
فلم أوفد الحربَ حتى رَمَى خُفافُ بأسهمه مَنْ رَمَى
فإن تعطف القوم أحلامهم فيرجع من وُدِّهم ما نأى
فلسْتُ فقيراً إلى حربهم وما بي عن سَلَمِهِمْ مِنْ غَنَى

فقال خُفاف:

عَبَّاسُ إِمَّا كَرِهْتَ الحروبَ / فقد ذُقْتَ من عَضِّها ما كَفَى
أَلْقَحْتَ حَرْباً لَهَا شِدَّةُ زَمَاناً تُسَعِّرُهَا بِاللَّظَى
فَلَمَّا تَرَقَّيْتُ فِي غِيْهَا دَحَضْتَ وَزلاً بِكَ المَرْتَقَى
فلا زِلْتَ تَبْكِي على زَلَّةٍ وماذا يَسُرُّكَ عَلَيْكَ الْبُكََا
فإن كنتَ أخطأت في حربنا فَلَسْنَا نُقِيلُكَ هَذَا الْخَطَا
وإن كنتَ تَطْمَعُ في سَلَمِنَا فزاولْ ثِيْرًا ورُكْنِي حِرًّا

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني مسعود بن عيسى العبدي، عن يحيى بن عبد الله بن الفضل الفزاري، وكان علامةً بأمر قيس، قال:

كان خُفاف بن نُدْبَة في جماعة من قومه، فقال: إنَّ عباس بنَ مرداس ليُرِيد أن / يبلغ فينا مبلغ عباس بن

(١) في ب: «شِbam بن زبيد».

(٢) في ف: «رجاء الذي يأتي به الله في غد».

(٣) في هب: «منفَضِح البطن». ومنفَضِح البطن: متنفخه.

أنس، وتأبى عليه خِصَالٌ قَعَدْنَ به عن ذلك، فقال فتى من رَهْطِ عباس: ما تلك الخِصَالُ يا خفاف؟ فقال: اتَّقَاؤُهُ بخيله عند الموت، ومكالبَةُ الصَّعَالِكِ على الأسلاب، وقتلُهُ الأسرى، واستهانته بسبائِ العرب، وأيم الله، لقد طالَت حياته حتى تمثينا موته، فانطلق الفتى إلى العباس فحدّثه الحديث، فقال العباس: يابن أخي إلّا أكن كالأصمّ في فضله فلست كخُفّافٍ في جهله، وقد مضى الأصمّ بما في أمس، وخلفني لِمَا في غد، فلما أُمْسَى تَغَنَّى، فقال:

خُفّاف أَمَا تَزَالُ تَجِرُّ ذِيلاً	إلى الأمر المقرب للفساد
وقد علم المعاشِرُ من سُلَيْمٍ	بأنّي فيهمُ حَسَنُ الأيادي
وأنّي يومَ جَنَحِ بني عُطَيْفٍ	حملت بحالكِ وَهَجَ المَرَادِي ^(١)
وأنّي لا أُعَيِّرُ في سُلَيْمٍ	بردُ الخيلِ سَالِمَةَ الهَوَادِي
وأنّي في مُلَّةٍ كُلِّ يومٍ	أُفِي صَخْبِي وفي خيلِي تَعَادِي
ولم أسلب بحمد الله كِبْشاً	سِلاحاً يبين مختلف الصُّعَادِي ^(٢)
ولم أحلّل لمُخَصَّصَةٍ نِظَاقاً	ولم أَرِ عَتَقَهَا إلّا مُرَادِي
فأوردُ يا خُفّاف فقد مُنِيتُم	بني عوفٍ بحَيَّةِ بطن وادي

فلما أصبح أتى خُفّافاً وهو في ملا من قومه، فقال: قد بلغني مقالُك يا خُفّاف، وأيم الله، إنك لتعلم أني أحمي المصاف^(٣)، وأكره السلب، وأطلق الأسير، وأصون السبيّة.

فأما زعمُك أني أتقي بخيلي عند الموت فهات لي من قومك رجلاً اتَّقَيْتَ به، / وأما قَتْلِي الأسرى فإنّي قتلْتُ [٨٣/١٨] الزُّبَيْدِيَّ بخالك، وأما سَلْبِي الأسير فوالله ما أتيت على مَسْلُوبٍ قطّ إلّا لُمتُ سَالِبَهُ، وأما استهانتي بالسبائِ فإنّي أحدو القوم في سبائهم فَعَالَهُم في سبائنا، وأما تمنيك موتي فإن مِتُّ قبلك فأَغْنِ عَنائي، ثم انصرف. فقال خُفّاف مُجِيباً للعباس عن قوله:

لعمسُرُ أيبك يا عَبَّاسُ إنّي	لَمُنْقَطِعِ الرُّشَاءِ مِنَ الأعَادِي
وإنّي قد تعاتبُني سُلَيْمٍ	على جَرِّ الذبولِ إلى الفسادِ
أَكُلُّ الدَّهْرَ لا تَنفَكُ تَجْرِي	إلى الأمرِ المَفَارِقِ لِلسُّدَادِ
إذا ما عَايَتُكَ بَنُو سُلَيْمٍ	تَبَيَّتْ لَهُمُ بَدَاهِيَةُ نَادِ
فَزَنَدُكَ في سُلَيْمٍ شَرَزْنَدِ	وزادُكَ في المعاشِرِ ^(٤) شَرَزَادِ
ألا لله دَرُكٌ مَن رَئِيسِ	إذا عَادَيْتَ فَاَنْظُرْ مَن تُعَادِي
جسرينُ مَبَرَزاً وَجَرِيَتَ تَكْبُو	على تَعَبٍ فهل لك من مَعَادِ
ولم تقتل أَمِيرَكَ من زُبَيْدِ	بخالسي بل غدرت بِمُسْتَقَادِ

ومُسْتَقَاد: الزُّبَيْدِي.

(١) المرادي: جمع مردى، وهو الحجر الذي تكسر به الصخور.

(٢) الكبش: سيد القوم وقائدهم، والصعاد: القنا المستويات.

(٣) المصاف: مواقف القتال. وفي ف: المصاب.

(٤) في «المختار»: وزادك في سليم.

وإن رهط خُفاف لاموه وقالوا: اكفُف عن الرجل. فقال: كيف أكف عن رجل يريد أن يترنا أمرنا بغير فضل. وقال رهط العباس له: أيها الرجل، اكفُف، فقال قولاً جميلاً، وقال العباس عند ذلك:

هل تعرف الطَّلَل القديمُ كأنه
بقيتُ معارفه على مَرِّ الصَّبا
دارُ التي صادت فؤادك بعد ما
وزعمت أنك لا تُراح إلى الصَّبا /
يا أيها المرءُ السفيهُ ألا ترى
وأعيش ما قَدَر الآلهُ على القَلَى
كرماً على الخطر اليسير ولا ترى
وأردُّ ذا الضَّغن اللثيمَ برأيه
لله دُرُّك لا تَمَنَّ مِمَّا تَنَّا
لو كان يَهْلِك مَنْ تَمَنَّى موته
ومكثت في دار الهوان موطأً
فقال خُفاف مجيباً له:

[٨٤/١٨]

عَجَبْتُ أَمَامَهُ إِذْ رَأَيْتَنِي شَبَابِيَا
وتنفست صُعُداً فقلتُ لها: اقصري
مهلاً أبا أنس فإني للذي
وضربتُ أُمَّ شَوْوَن رَأْسَكَ ضَرْبَةً
نَعْلِي حَذُو نِعَالِهَا وَلِرَبِّمَا
لا تفخرنَّ فإنَّ عُودِي نَبْعَةٌ
ولقد أقود إلى العدوِّ مُقْلَصاً
نَهْدَ المراكِلِ والدَّسِيعِ يَزِيئُهُ
/ وَعَلَيَّ سَابِقَةٌ كَأَنَّ قَتِيرَهَا
زَغَفُ مُضَاعَفَةٌ تَخَيَّرَ سَرْدَهَا
في فِتْيَةٍ بِيضِ الوجوه كأنهم

[٨٥/١٨]

- (١) عودي نبعة: صلب شديد. وعودك خروج: لين. متن.
(٢) تلبل أنلع: عنق طويل.
(٣) نهْد المراكِل: واسع الجوف. والدسيع: مغرز العنق في الكاهل. وفرس شنج النسا: صفة محمودة، لأنه إذا تشنج نساء لم تسترخ رجلاه. والأباجل: جمع أبجل، وهو عرق في الفرس والبعير.
(٤) درع سابعة: تامة طويلة. والقثير: رؤوس المسامير في الدرع. والحدق جمع حدقة؛ وهي سواد العين الأعظم، والجنادب جمع جندب، وهو الصغير من الجراد.
(٥) الزغف جمع زغفة؛ وهي الدرع الواسعة. وسردها: نسجها. وفائش: واد كان يحمله ذو فائش سلامة بن يزيد اليحصبي.

لا يَنْكَلُونَ إِذَا لَقُوا أَعْدَاءَهُمْ إِنَّ الْحِمَامَ هُوَ الطَّرِيقُ الْمَهْيَعُ^(١)

وكان خُفاف قد كفّ عن العباس، حتى أتاه غلام من قومه، فقال: أباي العباس إلا جُرأة عليك وعيياً لك، فغضب خُفاف ثم قال: ما يدعوهُ إلى ذلك؟ فوالله إن أباه لرابطُ السهم، وإن أمه لخفيّة الشخص، ولئن طلب مسعاي ليعلمنّ أنه قصيرُ الخطوة أجذمُ الكف، وما ذنبنا إليه إلا أنا استنقذنا أباه من عَصِيّ بني حِزام، وكافحنا دونه يوم بني فِراس، ونصرنا أباه على حرب بن أميّة. وقال خُفاف في ذلك:

لن يترك الدهر عَبَّاسُ تَقَحَّمَهُ	حتى يذوق وبأل البغي عَبَّاسُ
أَمْسَكَتُ عَنْ رَمِيهِ حَوْلًا وَمَقْتَلُهُ	بادِ لتعذرني في حَرْبِهِ النَّاسُ
عَمْدًا أَجْرَلَهُ ثَوْبِي لِأَخْدَعِهِ	عن رأيه ورجائي عنده يَاسُ
فَالآنَ إِذَا صَرَّحْتَ مِنْهُ حَقِيقَتَهُ	ظُلُمًا فَلَيْسَ بِشَتْمِي شَاتِمِي بَاسُ
أَجْزَدُ يَوْمًا بِقَوْلِي كُلِّ مَبْتَدِيءٍ	كَمَا يَجُذُّ بِكَفِّ الْجَاوِزِ الْفَاسُ
تَأْبَى سُلَيْمٌ إِذَا عَدَّتْ مَسَاعِيَهَا	أَنْ يُحَرِّزَ السَّبْقَ عَبَّاسُ وَمِرْدَاسُ
أَوْ دَى أَبُو عَامِرٍ عَبَّاسٌ مُعْتَرِفًا	أَنَا إِذَا مَا سُلَيْمٌ حَصَّلَتْ رَاسُ

فبلغ العباسُ أمرُ خُفاف، فأتاه، فالتقيا عند أسماء بن عروة بن الصَّلْت بن حزام بن عبد الله بن حازم بن الصَّلْت، وكان مأموناً في بني سُلَيْم، فقال العباس: قد بلغني قولك يا خُفاف، ولعمري لا أشتم أباك ولا أمك، ولكنني رام سوادك بما فيك. / والله ما كنت إلى ذمك بالهَيِّمان ولا إلى لحمك بالقرم، وإن سُلَيْمًا لتعلم أنني أبحتُ [٨٦/١٨] حَمَى بني زُبَيْد، وأطفأت جمرة خثعم، وكسرتُ قرني^(٢) بني الحارث بن كعب، وقلدت بني كنانة قلائد العار، وإنني يا خُفاف لأخفُ منك^(٣) على بني سُلَيْم مؤونة، وأثقل منك على عدوهم وطأة، وقال مُجِيباً له:

إِنِّي رَأَيْتُ خُفَافًا لَيْسَ يُهْتَبُهُ	شيءٌ سوى شتم عَبَّاسٍ بِنِ مِرْدَاسٍ
مَهْلًا خُفَافٌ فَإِنْ الْحَقَّ مَغْضَبُهُ ^(٤)	والحمق ليس له في النَّاسِ مِنْ آسِي
سَائِلُ سُلَيْمًا إِذَا مَا غَارَ لِحَقَّتْ	منها فوارسُ حُشْدٍ غَيْرُ أَنْكَاسٍ
مَنْ خَثَعَمَ وَزُبَيْدٍ أَوْ بَنِي قَطَنِ	أَوْ رَهْطَ فِرْوَةَ دَهْرًا أَوْ شَحَا النَّاسِ ^(٥)
يُنْبِئُوا مِنَ الْفَارَسِ الْحَامِي حَقِيقَتَهُ	إِذَا أَتَوْكَ بِحِمَامٍ غَيْرِ عَبَّاسٍ
لَا يَحْسِبُ النَّاسُ قَوْلَ الْحَقِّ مُعْتَرِفًا	فَانْظُرْ خُفَافٌ فَمَا فِي الْحَقِّ مِنْ بَاسٍ
مَنْ زَارَ خَيْلَ بَنِي سَعْدٍ مُسْوَمَةً	يُهْدِي لِأُولَئِكَ الْأَيُّ بِنِ شَمَّاسٍ
يَوْمَ اعْتَرَضْتُ أَبَا بَدْرٍ بِجَانِفَةٍ	تَعْوِي بِعَرَقٍ مِنَ الْأَحْشَاءِ قِلَاسٍ ^(٦)
أَدْعَى الرَّئِيسَ إِذَا مَا حَرَبَكُمْ كَشَفَتْ	عن ساقها لَكُمْ وَالْأَمْرَ لِلرَّاسِ

(١) الطريق المهيع: الواسع البين.

(٢) في هب: «وكسرت قرني في بني الحارث».

(٣) ف: «عنك».

(٤) مَغْضَبُهُ: مقطعة.

(٥) الشحا: الواسع، والمراد جميع الناس.

(٦) الطعنة الجانفة: التي تصل إلى الجوف. وعرق قلاس: يزخر بالدم.

حتى إذا انكشفت عنكم عمايتها
وسعى أهل الفساد إلى خفاف فقالوا: إن عباساً قد فضحك، فقال خفاف:

ألا أيها المهدي لي الشتم ظالمًا
أبى الشتم أني سيد وابن سادة
هم منحووا نصرًا^(٢) أباك وطاعنوا
كمستلجم في ظلمة الليل بعدما^(٣)
أدب على أنماط^(٤) بيضاء حرة
وانت لحقواء البدين لو أنها
واني على ما كان أول أول
وأكرم نفسي عن أمور دنيئة
وأصفح عمن لو أشاء جزئته
وأغفر للمولى وإن ذو عظمة
فهذي فعالي ما بقيت وإنني

[٨٧/١٨]

فقال له قومه: لو كان أول قولك كآخره يا خفاف لأطفاك النائرة^(٨)، وأذهبت سخائم الثمائم، فقال العباس مجيباً له:

ألا أيها المهدي لي الشتم ظالمًا
أبى السدم عرضي إن عرضي طاهر
واني من القوم الذين دماؤهم

[٨٨/١٨]

/ وقال أيضاً:

إن تلقني تلق ليأ في عريتته
/ لا يبرح الدهر صيداً قد تقصصه
من أشد خفان في أرساغه فدع^(١١)
من الرجال على أشداقه القمع^(١١)

١٤٤
١٦

وكان العباس وخفاف قد هما بالصُّلح، وكرهت بنو سليم الحرب، فجاء غوي من رهط العباس فقال للعباس: إن خفافاً قد أنحى عليك وعلى والدك، فغضب العباس، ثم قال: قد والله هجاني، فكان أعظم ما عابني به أصغر

(١) في ب: «مطاعيم للجرم».

(٢) في ب، هب: الضري.

(٣) في ب: محزماً بدل بعدما، وتعمي بدل تهمي.

(٤) الأنماط جمع نمط، وهو ضرب من البسط.

(٥) في ب: «عليه كذا القوم ينتج للقوم»، تحريف. والقوم: السيد أو العظيم على التشبيه بالفحل.

(٦) في ب: «جزمي»، تصحيف.

(٧) رجمي: قبري.

(٨) النائرة: العداوة.

(٩) الوغم: الحقد الثابت. وفي ب: «شفاء لطلاب التراث من الرغم»، تحريف. وفي ف، بيروت: «شفاء لطلاب الشفاء من الرغم».

(١٠) فدع: اعوجاج.

(١١) القمع: الاحمرار.

عيب فيه، ثم هجا والديّ فما ضرهما ولا نفعه، ثم برزت له فأخفى شخصه وأتقاني بغيره، ولو شئت لشتت أباه وتلبت عرضة، ولكنني وإياه كما قال شيبام بن زيد^(١) لابن عم له، يقال له ثزوان بن مرة، كان أشبه الناس بخفاف:

وهبت لثزوان بن مرة نفسه وأحمل ما في اليوم من سوء رأيه
ولست عليه في السفاة كنفسه وقد أمكنتني من ذوائته يدي
رجاء الذي يأتي^(٢) به الله في غد ولست إذا لم أهجه بموعدي

وقال:

أراني كلما قاربت قومي شمت عتابهم فصفحت عنهم
وعلى الله يمكن من خفاف بما اكتسبت يدها وجبر فينا
/ وأنى لي يؤذني خفاف وإنني لا أزال أريد خيراً
فضاقت بي صدورهم وغضت متى أبعد فشرهم قريبت
أقول لهم وقد لهجوا بشتمي: فما شتمي بنافع حي عوف
أجعلني سراة بني سليم كنائي لم أقد خيلاً عتاقاً
أجسمها مهامة طامسات عليها من سراة بني سليم
فأوطي من تريد بني سليم نأوا عني وقطعهم شديداً
وقلت لعل حلمهم يعود فأسقيته التي عنها يجيد
من الشخنا التي ليست تبيد وعوف والقلوب لها وقود
وعند الله من نعم مسريد خلوق ما يبيض لها ويريد
وإن أقرب فودهم بعيد ترقوا يا بني عوف وزيدوا
أيقضني الهبوط أم الصعود ككليب لا يهرؤ ولا يصيد
شواذب ما لها في الأرض عود^(٣) كأن رمال صحصحها^(٤) فعود
فوارس نجدة في الحرب صيد بكللها ومن ليست تريد

[٨٩/١٨]

فلما بلغ خفافاً قول العباس قال: والله ما عبت العباس إلا بما فيه، وإنني لسليم العود، صحيح الأديم، ولقد أدنيت سوادي من سواده فلم أحجم ولا نكصت عنه، وإنني وإياه كما قال ثزوان لشيبام بن زيد^(٥)، وكان يلقي منه ما لقي من العباس، قال:

رأيت شيباماً لا يزال يعينني فقصرك مني ضربة مازينة
فلله ما بالسي وبالشيبام بكف امرئ في الحرب غير كهام^(٦)

(١) ب: شيبام بن زيد.

(٢) ف: «رجاء التي يأتي بها الله...».

(٣) ف: «خيلاً سيّاراً». والشواذب: الضواذب. وفي ب: «كأنني لم أقل... مثلها في الأرض» تحريف.

(٤) الصحصح: ما استوى من الأرض وجرد.

(٥) ب: لشيبام بن زيد.

(٦) ب: الحي بدل الحرب. وفي ف، المختار: «بكف فتى في الحق»، وقصرك: مصدر قصر بمعنى انتهى وكف. وسيف كهام: كليل.

خُصُومٍ لَهُامَاتِ الرِّجَالِ حُسامٍ
وما عَضَّ سِيفِي شَاتِمِي بِحَرَامٍ

/ من اليوم أو من شَيْعِهِ ^(١) بِمَهْدٍ
/ قَتُقْصِرْ عَنِّي يَا شِباءُ بَنَ مالِكٍ
وقال خفاف:

[٩٠/١٨]

١٤٥
١٦

وَيَرْزَعُنَّ أَنسَهُ جَهْلًا يَزِيدُ
سَلَامُتَهُ لَكَانَ كَمَا يُرِيدُ ^(٢)
وَحُلُقُ ^(٣) فِي عَشِيرَتِهِ زَهِيدُ
وَكِذْبُ الْمَسْرُوقِ مَا يُفِيدُ
وَأَشْيَاخُ مَحَلَّقَةٍ تَنْوُدُ ^(٤)
وَأَنْتَ مِنَ الَّذِي تَهْوَى بَعِيدُ
يَشِيبُ لَهُ مِنَ الْخَوْفِ الْوَلِيدُ
وَطَارَ الْقَلْبُ وَانْتَفَخَ الْوَرِيدُ
فَقَدْ طَالَ التَّهْدُدُ وَالْوَعِيدُ
وَمَنْ ذَا فِي بَنِي ^(٥) عَزَفَ سَعِيدُ

أرى العباسَ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ
فَلَوْ نَقَضَتْ عِزَّائِمُهُ وَزَادَتْ
وَلَكِنَّ الْمَعَالِمَ أَفْسَدَتْهُ
فَعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسَ بْنِ عَمْرٍو
حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى
بَأَنَّكَ مِنْ مَوَدَّتِنَا قَرِيبُ
فَأَبَشِّرْ أَنْ بَقِيتَ يَوْمَ سَوْءٍ
كَيَوْمِكَ إِذْ خَرَجْتَ تَفُوقُ ^(٦) رَكْضاً
فَدَعُ قَوْلَ السَّفَاهَةِ لَا تَقْلَهُ
رَأَيْنَا مِنْ نُحَارِهِ شَقِيئاً

وقال خفاف أيضاً:

كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ لَا يُجْبَرُ
وَأَنْتَ بِشْتِمِكَنا ^(٧) أَجْدَرُ
وَنَحْنُ بِشْتِمِكُمْ أَعْذَرُ
تُرِيدُ وَعَنْ غَيْرِهَا أَعْوَرُ
بِ عَضْبٍ كَرِيهَتُهُ مَبْتَسِرُ
إِذَا هُزِرَ أَكْعُبُهَا تَخْطُرُ
كَنَارٍ عَلَى مَرْقَبٍ تُسَعِّرُ
تَوَارِثُهَا قَبْلَهُ جَمِيعُ
إِذَا زَجَرَ الْخَيْلُ لَا تُزْجَرُ
فَأَنْتَ عَلَى جَرِيهَا أَقْدَرُ

أَعَبَّاسُ إِنَّا وَمَا يَشْتَا
فَلَسْتَ بِكُفٍّ لَأَعْرَاضِنَا
/ وَلَسْنَا بِأَهْلِ لِمَا قُلْتُمْ
أَرَاكَ بِصِيرٍ أَبْتَلَسْتَ النَّيْ
فَقَصْرُكَ مِنِّي رَقِيقُ الدُّبَا
وَأَزْرَقُ فَنَسِي رَأْسُ خَطِيئَةٍ
يَلُوحُ السُّنَانُ عَلَى مَنَهِهَا
وَزَغَفٌ دِلَاصٌ حَبَاها الْعَزِيزُ ^(٨)
فَتَلُوكَ وَجَرْدَاءُ خَيْفَانَةٍ ^(٩)
إِذَا أَلْقَسْتَ الْخَيْلُ أَذْيَالَهَا ^(١٠)

[٩١/١٨]

(١) شيعة: بعده، يريد به الغد.

(٢) في ف، بيروت: «ولو نقصت عواليه وزادت». وفي هب: «فلو نقصت عرائكه وزادت».

(٣) في ب: ولكن المعاييب... وخلف.

(٤) تنود: تمايل من النعاس. وفي ب، بيروت: تهود.

(٥) في ف، بيروت: نفوت.

(٦) في هب، ف. وفي ب، بيروت: يا بني.

(٧) في هب: بشتمكها. وفي ب: يشتمكها.

(٨) في ب: «كماء الغدير... توارثه» بدل: «حباها العزيز... توارثها». والزغف: الدرع الواسعة الطويلة. ودلاص: ملساء لينة.

(٩) الخيفانة: السريعة.

(١٠) في ب: أولادها.

متى يبلل الماء أعطافها
أنهيه بالسوط من غزبها^(١)
وأرحضها^(٢) غير مذمومة
أقول وقد شك أقرانها^(٣)
وأشهدها غمرات الحروب

وقال العباس:

خفاف ألم تر ما بيننا
ألم تر أنا نهين الثسلا
/ لانا نكليف فوق التي
لنا شيم غير مجهولة
وخيل تكلس بالذار عي
عليها فوارس مخبورة
ورجراجة^(٥) مثل لون النجو
ويض سوابغ مسرودة
فقد يعلم الحي عند الصباح
وقد يعلم الحي عند الرها
وقد يعلم الحي عند السوا
فأنسى تعيرني بالفخار

يزيد استعاراً إذا يسعر
د للساثلين وما نعد^(٤)
يكلفها الناس لو تخبر
توارثها الأكبر الأكبر
من تنحرف في الروع أو تعقر
كجن مساكنتها عبقر
م لا العزل فيها ولا الحسر
مواريث ما أورثت حمير
بأن العقيلة بي تستر
ن أني أنا الشامخ المخطر^(٦)
ل أني أجود وأستمطر
فها أنا هذا هو المنكر^(٧)

[٩٢/١٨]
١٤٦
١٦

أصوات

ألا أبا لي بعد رياء أفاقث
هجان المحيّا حرّة الوجه شربلث
نأنا نؤي الجيران أم لم تُوافق
من الحُسن سربالاً عتيق البنائق
الشعر لجنبها الأشجعي، والغناء لإسحاق رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

(١) أنهته: أكف، والغرب: النشاط والحدة.

(٢) ف: وأرجعها.

(٣) ف: أقرانها. والأقرب جمع قرب، وهو الخاصرة.

(٤) في ب: «... نهينا البلاد... وما نعد».

(٥) كتيبة رجراجة: تموج من كثرتها.

(٦) في ف:

أنني أنا السابح المطحور

وقد علم الحي عند النطاح

ورواية هب: عند الرهان، والباقي كرواية ف.

(٧) في بيروت: «هذا ذيك» بدل «فها أنا».

[٩٤/١٨]

/ أخبار جبهاء ونسبه

نسبه

جَبْهَاءُ لَقِبَ غَلَبَ عَلَيْهِ، يُقَالُ جَبْهَاءُ وَجَبْهَاءُ^(١) جَمِيعاً، واسمه يَزِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ، ويقال: يَزِيدُ بْنُ حُمَيْمَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بْنِ عُقَيْلَةَ بْنِ قَيْسٍ بْنِ رُوَيْبَةَ بْنِ سُحَيْمٍ بْنِ عُيَيْدٍ بْنِ هِلَالٍ بْنِ زَيْدٍ بْنِ بَكْرٍ بْنِ أَشْجَعٍ، شاعر بدوي من مَخَالِفِ الْحِجَازِ، نشأ وتوفي في أيام بني أمية، وليس ممن انتجع الخلفاء بشعره ومدحهم فاشتهر، وهو مُقَلٌّ، وليس من مَعْدُودِي الْفُحُولِ، ومن الناس من يزوي هذه الأبيات لأبي رُبَيْسِ الثُّغَلِيّ^(٢) وليس ذلك بِصَحِيحٍ، وهي في شعر جَبْهَاءَ موجودة.

لقاؤه بالفرزدق

أخبرني الحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمِي، وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَحْوَلُ، عَنِ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: قَدِمَ جَبْهَاءُ الْأَشْجَعِيُّ الْبَصْرَةَ بِجُلُوبَةٍ^(٣) لَهُ يَرِيدُ بَيْعَهَا، فَلَقِيَ الْفَرَزْدَقُ بِالْمَرْبَدِ، فَقَالَ: مِمَّنَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: مِنْ أَشْجَعٍ، قَالَ: أَتَعْرِفُ شَاعِراً مِنْكُمْ يُقَالُ لَهُ جَبْهَاءُ أَوْ جَبْهَاءُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَفْتَرِي قَوْلَهُ:

أَمِنْ الْجَمِيعِ بَذِي الْبَقَاعِ^(٤) رُبُوعٌ هَاجَتْ فَوَادِكُ وَالرُّبُوعُ تَرُوعُ
قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْشِدْنِيهَا، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ مِنْهَا:

مَنْ بَعْدَ مَا نَكِرَتْ وَغَيَّرَ آيَهَا / يَا صَاحِبِيَّ أَلَا أَرْفَعُ لِي آيَةً
قَطَرٌ وَمُسْبِلَةٌ الدَّمُوعِ^(٥) خَرِيعُ / تَشْفِي الصُّدَاعَ فَيُذْهِلُ الْمَرْفُوعُ
جَذَعٌ تُطِيفُ بِهِ الرُّقَاةُ مَنِيعُ أَلْوَا حِ نَاجِيَةً كَأَنَّ تَلِيلَهَا^(٦)

[٩٥/١٨]

حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ: فَأَقْسِمَ بِاللَّهِ إِنَّكَ لَجَبْهَاءُ، أَوْ إِنَّكَ لَشَيْطَانُهُ.

قَالَ الْأَخْفَشُ فِي خَبَرِهِ عَنْ أَصْحَابِهِ: الْخَرِيعُ: الذَّاهِبَةُ الْعَقْلُ، شَبَّ السَّحَابَةِ بِهَا لِأَنَّهَا لَا تَمَالِكُ مِنَ الْمَطَرِ.

/ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمَكْتَبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ، عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ، قَالَ:

١٤٧
١٦

(١) فِي ب، هَب: جَبْهَاءُ وَجَبْهَاءُ.

(٢) ف، بيروت: لابن ديبس الثُّغَلِيّ. وفي ب، هَب: «لابن رُبَيْسِ الثُّغَلِيّ»، تحريف. وقال الزُّبَيْرِيُّ فِي «التَّاجِ» (رَبْس): أَبُو الرَّبِيسِ عِبَادُ بْنُ طَهْمَةَ، هَكَذَا بِالْمِيمِ فِي التَّكْمَلَةِ، وَذَكَرَ الْحَافِظُ أَنَّهُ طَهْفَةُ الثُّغَلِيّ شَاعِرٌ مِنْ بَنِي ثُعَلْبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذِيانٍ، هَكَذَا قَالَهُ الصَّاعِقَانِي. وَفِي «اللِّسَانِ»: أَبُو الرَّبِيسِ الثُّغَلِيّ مِنْ شُعْرَاءِ ثَغْلِبَ وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَالصَّوَابُ مَعَ الصَّاعِقَانِي.

(٣) الْجُلُوبَةُ: الْإِبِلُ يَحْمِلُ عَلَيْهَا مَتَاعَ الْقَوْمِ.

(٤) ف، بيروت: النَّعَاعُ.

(٥) فِي ف: وَمُسْبِلَةُ الذُّيُولِ.

(٦) النَّاجِيَةُ: النَّاقَةُ، وَالتَّلِيلُ: الْعَنْقُ.

قدم جُبَيْهَاءَ الأشْجَعِيَّ المدينةَ بَجَلُوبَةٍ لَهُ، فَبِينَا هُوَ يَبِيعُهَا وَالْفَرَزْدَقُ يَوْمُئِذٍ بِالْمَدِينَةِ إِذْ مَرَّ بِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَشْجَعٍ، قَالَ: أَتَعْرِفُ شَاعِرًا مِنْكُمْ يَقَالُ لَهُ جُبَيْهَاءُ أَوْ جُبَيْهَاءُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَتُرَوِّي قَصِيدَتَهُ: أَلَا لَا أَبَالِسِي بَعْدَ رَيْبَا أَوْافَقْتُ نَوَانَا نَوَى الْجِيرَانِ أَمْ لَمْ تُوَافِقِ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَتَشِدُّنِيهَا، فَانْشُدْهُ إِتَاهَا، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ: أَقْسَمُ بِاللَّهِ إِنَّكَ لَجُبَيْهَاءُ، أَوْ إِنَّكَ لَشَيْطَانُهُ.

هجرته إلى المدينة

أخبرني الْحَرَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَيَّاشٍ، قَالَ:

قَالَتْ زَوْجَةُ جُبَيْهَاءَ الْأَشْجَعِيَّ لَهُ: لَوْ هَاجَرْتَ بِنَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَبِعْتَ إِبْلَكَ وَافْتَرَضْتَ فِي الْعَطَاءِ كَانَ خَيْرًا لَكَ، قَالَ: أَفْعَلُ. فَأَقْبَلَ بِهَا وَبَابِلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِحَرَّةٍ وَاقِمَ مِنْ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ، شَرَّعَهَا بِحَوْضٍ وَاقِمَ لِيَسْقِيَهَا^(١)، فَحَثَّتْ نَاقَةَ مِنْهَا ثُمَّ نَزَعَتْ، / وَتَبِعَتْهَا الْإِبِلُ، وَطَلَبَهَا فَفَاتَتْهُ، فَقَالَ لَزَوْجَتِهِ: هَذِهِ إِبِلٌ لَا تَعْقِلُ، تَحْنُ إِلَى أَوْطَانِهَا، وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْحَنِينِ مِنْهَا، أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ لَمْ تَرْجِعِي، وَفَعَلَ اللَّهُ بِكَ وَفَعَلَ وَرَدَّهَا وَقَالَ:

قَالَتْ أُنَيْسَةُ دَغْ بِلَادَكَ وَالتَّمِيسُ	دَارًا بَطْيِيَّةَ رَيْبَةَ الْأَطَامِ
تَكُتِبُ عِيَالَكَ فِي الْعَطَاءِ وَتَفْتَرِضُ	وَكِذَاكَ يَفْعَلُ حَازِمُ الْأَقَامِ
فَهَمَمْتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ لَيْلَ لِقَائِنَا	بِلَوَى عُنَيْزَةَ ^(٢) أَوْ بَقُفَ بَشَامِ
إِذْ هُنَّ عَنْ حَسْبِي مَذَاوِدُ كَلَمَا	نَزَلَ الظَّلَامُ بَعْضِيَّةَ أَغْتَامِ ^(٣)
إِنَّ الْمَدِينَةَ لَا مَدِينَةَ فَالزَّمِي	حَقَفَ السُّنَادُ وَقُبَّةَ الْأَرْحَامِ ^(٤)
يُخَلِّبُ ^(٥) لَكَ اللَّبَنُ الْغَرِيضُ وَيُتَنَزِعُ	بِالْعَيْسِ مَنْ يَمَسُّ إِلَيْكَ وَشَامِ
وَتُجَاوِرِي النَّفَرَ الَّذِينَ يَنْبِلُهُمْ ^(٦)	أَرَمِي الْعَدُوَّ إِذَا نَهَضْتَ أَرَامِي
الْبَاذِلِينَ إِذَا طَلَبْتَ بِلَادَهُمْ ^(٧)	وَالْمَانِعِي ظَهْرِي مِنَ الْغُرَامِ

مجاورته في بني تميم

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ وَكَيْعٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُصْعَبٌ قَالَ: جَاوَرَ جُبَيْهَاءَ الْأَشْجَعِيَّ فِي بَنِي تَيْمٍ، بَطْنٍ مِنْ أَشْجَعٍ، فَاسْتَمْنَحَهُ مَوْلَى لَهُمْ عَنَزَاءً، فَمَنَحَهُ / إِتَاهَا فَأَمْسَكَهَا دَهْرًا، فَلَمَّا طَالَ عَلَى [٩٧/١٨] جُبَيْهَاءَ أَلَّا يَرُدَّهَا^(٨)، قَالَ جَبْهَاءُ:

أَمْوَالِي بَنِي تَيْمٍ أَلَسْتُ مُؤَدِّيًّا مَنِحْتَنَا فِيمَا تُرَدُّ الْمَنَائِحُ^(٩)

(١) شرعها: أوردتها الماء. واقم: أطم من أطام المدينة. وحررة واقم إلى جانبه.

(٢) اللوى: ما التفت من الرمل. والقف: ما ارتفع من الأرض. وعنيزة وبشام: موضعان. وفي ب: «بدوي عنيزة»، تحريف.

(٣) الأغتام: الذين لا يفصحون.

(٤) في ب: الأرحام.

(٥) في ب: يجلب.

(٦) في ف: «ينبلهم»، تصحيف.

(٧) في ب: «بلادهم»، تصحيف.

(٨) ب، هب: ما لا يرددها.

(٩) المنائح: الهبات.

لَهَا شَعْرٌ صَافٍ وَجِيدٌ مُقْلَصٌ وَجَسْمٌ زُخَارِيٌّ وَضِرْسٌ مُجَالِحٌ^(١)
 فَارْسِلْ إِلَيْهِ التَّيْمِيَّ يَقُولُ:
 بَلَّيْ، سَنُوذِيهَا إِلَيْكَ ذَمِيمَةً لَتَنكِحَهَا إِنْ أَعَوَزَتْكَ الْمَنَاحِيحُ
 فَعَمِدَ بِهِ جَبْهَاءُ فَنَزَلَ، وَقَالَ:
 لَوْ كُنْتُ شَيْخًا مِنْ سَوَاءِ نَكْحَتِهَا نِكَاحَ يَسَارٍ عَنَزَهُ وَهِيَ سَارِحُ
 قَالَ: وَهُمْ يُعَيِّرُونَ^(٢) بَنُكَاحِ الْعَنَزِ.

جبهةاء وموسى بن زياد

أخبرني وكيع، قال: حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ، عَنْ مُصْعَبٍ، قَالَ: اسْتَطَرَّقَ جَبْهَاءُ الْأَشْجَعِيَّ مُوسَى بْنَ زِيَادِ الْأَشْجَعِيَّ كِبْشًا^(٣)، فَوَعَدَهُ ثُمَّ مَطَّلَهُ، فَقَالَ جَبْهَاءُ:

وَمَا لِمَثْلِي تُعَتِّلُ الْأَكَاذِيبُ / وَاعْدَنِي الْكِبْشُ مُوسَى ثُمَّ أَخْلَفَنِي
 بَيْنَ الْكُرَاعِ وَبَيْنَ الْوَجْخَةِ الدَّيْبُ يَا لَيْتَ كِبْشِكَ يَا مُوسَى يُصَادِفُهُ
 فَقَحَّمَنِي إِلَى آيَاتِكَ اللَّوْبُ^(٤) أَمْسَى بِلَذِي الْغُصْنِ أَوْ أَمْسَى بِلَذِي سَلَمٍ
 طَوْفِينَ ثُمَّ أَقَرَّتَهُ الْأَحَالِيْبُ فَجَاءَ وَالْحَيُّ أَيْقَاطُ فَطَافَ بِهِمْ
 كَانَ طَالِبٌ لِللَّوْثِ مَكْرُوبٌ / فَبَاتَ يَنْظُرُهُ حَرَّانَ مُنْطَوِيًّا
 طَاوِي الْحَشَا ذَرِبُ الْأَنْيَابِ مَذْبُوبٌ^(٥) وَقَامَ يَشْتَدُّ حَتَّى نَالَ غِرَّتَهُ
 وَدُونَهُ أَكُمُ الْحَقْفِ الْغَرَايِبُ^(٦) بِغَفْلَةٍ مِنْ زُرِّيْقٍ فَاسْتَمَرَّ بِهِ
 سَوْدًا لَهُنَّ حَتَّى أَطْمَى سَلَاهِيْبُ^(٧) سَبَلَ عَنْهُ أَرْخَمَةً بَيْضًا وَأَغْرِبَةً
 كَمَا يَطُوفُ عَلَى الْحَوْضِ الْمَعَاقِيْبُ يَرْدِينِ رَذِي الْعَذَارَى حَوْلَ دَمْتِيهِ
 فَكُلُّ حَيٍّ إِذَا مَا مَاتَ مَذْبُوبٌ^(٨) فَجَاءَ يَحْمِلُ قَرْنِيهِ وَيَنْدِبُهُ

١٤٨
١٦

[٩٨/١٠]

القصيدة

[٩٩/١٨]

وَلَهَا وَلَا ذَنْبَ لَهَا حُبٌّ كَأَطْرَافِ الرِّمَاحِ
 فِي الْقَلْبِ يَجْرَحُ وَالْحَشَا فَالْقَلْبُ مَجْرُوحُ التَّوَاحِي

الشعر لَوَالِيَةِ بْنِ الْحُبَابِ، وَالْغَنَاءُ لِيَزِيدَ، رَمَلَ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ وَعَمْرُو، وَفِيهِ لِسَبْكٌ^(٩) الزَّامِرُ لِحَنٍ عَنْ ابْنِ خُرْدَادْبِهِ.

(١) الزخاري: الكثير الشعم واللحم، والمجالح: الذي يقشر الشجر.

(٢) في ف: يعرفون.

(٣) استطرق كبشا: طلبه للضراب.

(٤) اللوب: العطش.

(٥) مذهبون: مجنونون.

(٦) الحقف: ما أعرج من الرمل. والغرايب: السود.

(٧) أطمي سلاهيب: مرتفع.

(٨) انفردت «ف» بالآيات السبعة الأخيرة.

(٩) في ف: لشك الزامر.

/ أخبار والبة بن الحباب

شاعر عباسي

والبة بن الحُباب أَسَدِيّ صِلِيْبِيَّة، كوفيّ، شاعر من شعراء الدولة العباسيّة، يُكْنَى أبا أسامة. وهو أستاذ أبي نُوَاس، وكان ظريفاً شاعراً غزلاً وصافاً للشراب^(١) والغلمان المُرد، وشعره في غير ذلك مُقارب ليس بالجيّد، وقد هاجى بِشَراً وأبا العتاهية، فلم يصنع شيئاً وفَضَحاه، فعاد إلى الكوفة كالحارب، وخَمَلَ ذكره بعد.

المهدي يعجب بشعره ولا ينادمه

أخبرني محمد بن مزيد^(٢) قال: حدثنا حَمَّاد بن إسحاق، قال: حدثني أبي، وأخبرني محمد بن القاسم الأنباري، والحسن بن علي الأدمي جميعاً، عن القاسم بن محمد الأنباري قال: حدثنا يعقوب بن عمر، قال: حدثني أحمد بن سلمان، قال: حدثني أبو عدنان السُّلَمي الشاعر، قال:

قال المهدي لعمارة بن حَمْزة: مَنْ أَرَقُّ النَّاسِ شِعْراً؟ قال: والبة بن الحُباب الأَسَدِيّ، وهو الذي يقول:

ولها ولا ذنبَ لها حُبٌّ كأطرافِ الرِّمَاحِ
في القلب يقدحُ والحشا فالقلبُ مَجْرُوحُ التَّوْاحِي

قال: صدقت والله، قال: فما يمنعُك عن مُنادمته يا أمير المؤمنين؟ قال: يَمْنَعُنِي قَوْلُهُ:

قُلْتُ لِسَاقِينَا عَلَى خَلْوَةٍ أَذِنَ كَذَا رَأْسَكَ مِنْ رَاسِي
وَنَمَّ عَلَى صَدْرِكَ لِي سَاعَةً إِنِّي أَمْرُؤُ أَنْكَحُ جُلَاسِي^(٣)

/ أَفْتَرِيدُ أَنْ نَكُونَ مِنْ جُلَاسِهِ عَلَى هَذِهِ الشَّرِيطَةِ!

قال شعراً في أبي نواس

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة: حدثني عبد الله بن مُسلم بن قُتَيْبَةَ، ووجدته في بعض الكتب عن ابن قتيبة وروايته أتم، فجمعتهما، قال:

حدثني الدَّعْلُجِيّ غلامُ أبي نواس، قال: أنشدت يوماً بين يدي أبي نُوَاس قَوْلَهُ:

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ نَمَتَ عَنْ لَيْلِي^(٤) وَلَمْ أَنْمِ

(١) في «التجريد»: للخمر.

(٢) في ف، بيروت: محمد بن الحسن بن دريد.

(٣) في ب، هب، بيروت: حلاسيا. وقبلها: من راسيا.

(٤) في ب: عن عيني.

وكان قد سكر، فقال: أخبرك بشيء على أن تكتمه؟ قلت: نعم، قال: أتدري من المَعْنِيّ بقوله: يا شقيق النفس من حَكَم؟ قلت: لا، قال: أنا والله المَعْنِيّ بذلك، والشعر لوالبة بن الحُباب، قال: وما عَلِمَ بذلك غيرك وأنت أعلم، فما حدثت بهذا حتى مات.

قال: وقال الجاحظ: كان والبة بن الحُباب، ومُطِيع بن إياس، ومُنْقِذُ بن عبد الرحمن الهلاليّ، وحَفْصُ بن أبي وردة، وابن / المُقَفَّع، ويونس بن أبي فزوة، وحمّاد بن عَجْرَد، وعليّ بن الخليل، وحمّاد بن أبي ليلى الراوية، وابن الزبير قان^(١)، وعُمارة بن حمزة، ويزيد بن القيص، وجميل بن محفوظ، وبشار المُرْعَث^(٢)، وأبان اللّاحقيّ ندماء، يجتمعون على الشراب وقول الشعر ولا يكادون يفترقون، ويهجو بعضهم بعضاً هزلاً وعمداً، وكلهم مُتَّهَمٌ في دينه.

والبة وأبو العتاهية يتهاجيان

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ، قال: حدثنا محمد بن موسى بن حمّاد، قال: حدثني / محمد بن القاسم، قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم بن محمد السالمي الكوفيّ التيميّ، قال: حدثني محمد بن عمر الجرجانيّ، قال:

رأيت أبا العتاهية جاء إلى أبي، فقال له: إن والبة بن الحُباب قد هجاني، ومن أنا منه؟ أنا جرّار مسكين، وجعل يرفع من والبة ويضع من نفسه، فأحبّ أن تكلمه أن يُمسك عني. قال: فكلم أبي والبة، وعرفه أن أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك، فلم يقبل وجعل يشتم أبا العتاهية، فتركه، ثم جاء أبو العتاهية فسأله عما عمل في حاجته، فأخبره بما ردّ عليه والبة، فقال لأبي: لي الآن إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: لا تكلمني في أمره، قال: قلت له: هذا أول^(٣) ما يجب لك، قال: فقال: أبو العتاهية يهجو:

أوالبُ أنت فسي العرب	كمثل الشيص في الرطب
هَلَسَمَ إلى الموالبي الصي	د في سعة وفي رَحَب
فأنت بنا لعمرُ الد	ه أشبه منك بالعرب
غضبتُ عليك ثم رأيت	ست وجهك فأنجلي غضبي
لما ذكّرني من لون أجد	سدادي ولون أبي
فقلّ مباحثت أقبلكه ^(٤)	وإن أطنبت في الكذب
لقد أخبرت عنك وعن	أييك الخالص العربي
فقال العارِفون به	مصاص غير مؤثب ^(٥)

(١) ف، بيروت: «وحماد بن الزبير قان»، تصحيف.

(٢) في ب، س، هب: «المرعث». وسمي المرعث لبيت قاله، وهو:

قال ريم مرعث

ساحر الطرف والنظر

وانظر الأغاني ٣ - ١٤٠ ط. دار الكتب.

(٣) ف، هب، بيروت: أقل ما يجب لك.

(٤) في ف: «أحملة».

(٥) المصاص: الخالص من كل شيء. وغير مؤثب: غير مختلط.

[١٠٣/١٨]

/ أَنَا مِنْ بِلَادِ الرُّو
خَفِيفَ الْحَاذِ^(٢) كَالصَّنْصَا
أَوَالِبُ مَا دَهْمَاكَ وَأَنْد
أَرَاكَ وَلِدْتُ بِالْمَرْي
فَجِئْتُ أَقْنِشِرَ الْخُدَيْدِ
لَقَدْ أَخْطَأْتُ فِي شَتْمِي

م مُعْتَجِرًا^(١) عَلَى قَتَبِ
م أَطْلَسَ غَيْرَ ذِي نَشَبِ
ت فِي الْأَعْرَابِ ذُو نَسَبِ
خ يَا بَنَ سَبَائِكَ الذَّهَبِ
ن أَزْرَقَ عَارِمَ الذَّنَبِ
فَجَبْرَتِي أَلَمَ أَصَبِ

وقال في والبة أيضاً:

نُطَقْتُ بِنُو أَسَدٍ وَلَمْ تَجْهَرْ
وَأَمَّا وَرَبُّ الْبَيْتِ لَوْ نَطَقْتُ
أَيُّرُومُ شَتْمِي مِنْهُمْ رَجُلٌ
وَابْنُ الْحُبَابِ صَلِيحَةٌ زَعَمُوا
/ مَا بَالُ مَنْ أَبَاؤُهُ عُرُبُ الْأَنْ
أَتَرُونَ أَهْلَ الْبَدْوِ قَدْ مُسِخُوا

وَنَكَلَمْتُ خَفِيحًا^(٣) وَلَمْ تَظْهَرْ
لَتَرْكَتْهَا وَصَبَّاحُهَا أَغْبَرْ
فِي وَجْهِهِ عِبْرٌ لِمَنْ فَكَّرُ
وَمِنْ الْمَحَالِ صَلِيحَةٌ أَشَقَّرُ
وَأَنْ يُحْسَبَ مِنْ بَنِي قَيْصَرُ
شُقْرًا أَمَا هَذَا مِنَ الْمُتَكَبِّرُ

وقال: وأول هذه القصيدة:

صَرُخْتُ بِمَا قَدْ قَلَّتْهُ وَاجْهَرْتُ
مَا لِي رَأَيْتُ أَبَاكَ أَسْوَدَ غَيْرِ
وَكَا أَنْ وَجْهَكَ حُمْرَةً رِيَّةً
لَا بَنَ الْحُبَابِ وَقُلْ وَلَا تَخْصَرْ
يَسِبُ الْقَذَالِ كَأَنَّهُ زُرُزُرٌ^(٤)
وَكَا أَنْ رَأْسَكَ طَائِرٌ أَصْفَرُ

/ قال: وبلغ الشعر والبة، فجاء إلى أبي فقال: قد كلمتني في أبي العتاهية، وقد رغبت في الصلح، قال له أبي: [١٠٤/١٨] هيهات إنه قد أكد علي إن لم تقبل^(٥) ما طلب أن أخلي بينك وبينه، وقد فعلت، فقال له والبة: فما الرأي عندك؟ فإنه فضحني^(٦)، قال: تنحدر إلى الكوفة، فركب زورقا ومضى من بغداد إلى الكوفة، وأجود ما قاله والبة في أبي العتاهية قوله:

كَانَ فِينَا يَكْنَى أَبَا إِسْحَاقِ
فَتَكْنَى مَعْنُوهُنَا بَعْتَاهِ
خَلَقَ اللَّهُ لِيخِيَةَ لَكَ لَا تَنْد
وَبِهَا الرُّكْبُ سَارَ فِي الْأَفَاقِ
يَا لَهَا كُنْيَةً أَنْتَ بِسَاتِفَاقِ
فَكَ مَعْقُودَةٌ لَدَى الْحِلَاقِ

وله فيه، وهو ضعيف سخيف من شعره:

قُلْ لَا بَنَ بِسَائِعَةِ الْقِصَارِ^(٧)
وَابْنِ الدَّوَارِقِ وَالْجَرَارِ

(١) معتجراً: معتماً.

(٢) الحاذ: الظهر. وخفيف الحاذ: قليل المال. وفي ف: خفيف الحال.

(٣) في ف: تكلمت حيناً.

(٤) الغريب: الأسود. والقذال: جماع مؤخر الرأس، أو: ما بين نقرة القفا إلى الأذن. والزرزور: طائر من نوع العصفور؛ سمي بذلك لزرزورته، أي تصويته، وفي هب: «زرزور».

(٥) في ب، س، بيروت: «ألا يقبل ما طلب وأن أخلي».

(٦) في ب: فقال له والبة: فما الرأي عندك؟ فقال: «فضحني»، تحريف.

(٧) في ف، بيروت: التغار بدل القصار. والتغار: الإجانة.

تَهْوَى عُتَيَّةً ظَاهِراً وهوَاك فِي أَيْسَرِ الْجِمَارِ
تَهْجُو مَوَالِيكَ الْأَلَى فَكُوكُ مِنْ ذُلِّ الْإِسَارِ

والبة وعلي بن ثابت

أخبرني عمي، قال: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي فَنَنْ، قَالَ:
كَانَ وَالْبَةُ بْنُ الْحُبَابِ خَلِيلاً لِعَلِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، وَصَدِيقاً وَدُوداً، وَفِيهِ يَقُولُ:

حَيَّ بِهَا وَالْبَةُ الْمُضْطَفَّى حَيَّ كَسْرِيماً وَابْنَ حُرِّ هِجَانِ
وَقَاسِماً نَفْسِي فَدَثَّ قَاسِماً مِنْ حَدَثِ الْمَوْتِ وَرَيْبِ الزَّمَانِ

/ قَالَ: وَلَمَّا مَاتَ وَالْبَةُ رثاه، فَقَالَ: [١٠٥/١٨]

بَكَتِ الْبَرِّيَّةُ قَاطِبَةً جَزَعاً لِمَضْرَعِ وَالْبَةِ
قَامَتْ لِمَوْتِ أَبِي أَسَا مَةً فِي الرُّفَاقِ الثَّادِيَةِ

يقصد أبا بجير الأسدي بالأهواز ويلتقي بأبي نواس

قال: وَكَانَ وَالْبَةُ أَسَاطُذَ أَبِي نُوَّاسٍ، وَعَنْهُ أَخَذَ وَمِنْهُ افْتَبَسَ، قَالَ: وَكَانَ وَالْبَةُ قَدْ قَصَدَ أبا بُجَيْرَ الْأَسَدِيِّ وَهُوَ
يَتَوَلَّى لِلْمَنْصُورِ الْأَهْوَازَ، فَمَدَّحَهُ وَأَقَامَ عِنْدَهُ، فَالْفَى أبا نُوَّاسَ هُنَاكَ وَهُوَ أَمْرَدٌ، فَصَحَّبه وَكَانَ حَسَنَ الْوَجْهِ، فَلَمْ يَزَلْ
مَعَهُ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ كَشَفَ ثَوْبَهُ لَيْلَةً فَرَأَى حُمْرَةَ الْبَيْتِ وَبَيَاضَهُمَا، فَقَبَّلَهُمَا فَضَرَطَ عَلَيْهِ أَبُو نُوَّاسَ، فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ
هَذَا وَيَلْكَ، قَالَ: لِثَلَاثٍ يَضِيعُ قَوْلُ الْقَائِلِ: مَا جَزَاءُ مَنْ يَقْبَلُ الْإِسْتَ إِلَّا ضَرْطَةٌ.

والبة وأبو سلهب الشاعر

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي الْفَضْلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلْهَبٍ الشَّاعِرُ، قَالَ:
كَانَ وَالْبَةُ بْنُ الْحُبَابِ صَدِيقِي، وَكَانَ مَا جِئْنَا طَبْعاً، خَفِيفَ الرُّوحِ، خَبِيثَ الدِّينِ، وَكُنَّا ذَاتَ يَوْمٍ نَشْرَبُ بَغْمَى،
فَانْتَبَهَ / يَوْمًا مِنْ سُكْرِهِ، فَقَالَ لِي: يَا أبا سَلْهَبٍ، اسْمَعْ، ثُمَّ أَنْشَدَنِي، قَالَ:

شَرِبْتُ وَفَاتِكَ مِنْ لِي جُمُوحُ بَغْمَى بِالْكَوُوسِ وَبِالْبَوَاطِي^(١)
يُعَاطِينِي الزُّجَاجَةُ أَرْجَحِي رَخِيماً الدَّلَّ بُورِكَ مِنْ مُعَاطِي
أَقُولُ لَهُ عَلَى طَرَبٍ: الْبَطْنِي وَلَوْ بُمُؤَاجِرٍ عَلِجَ نَبَاطِي
فَمَا خَيْرُ الشَّرَابِ بَغْيَرِ فَنَسِي يُتَابَعُ بِالزُّنَاءِ وَبِالْلُوطِ^(٢)
/ جَعَلْتُ الْحَجَّ فِي عُمِّي وَبَنَّا^(٣) وَفِي قُطْرُئِيلٍ أَبْدَأُ رِبَاطِي
فَقُلْ لِلْخَمْسِ آخِرُ مُلْتَقَانَا إِذَا مَا كَانَ ذَاكَ عَلَى الصُّرَاطِ

[١٠٦/١٨]

يعني الصَّلَوات.

قال: وَحَدَّثَنِي أَنَّهُ كَانَ لَيْلَةً نَائِماً وَأَبُو نُوَّاسٍ غُلَامُهُ إِلَى جَانِبِهِ نَائِمٌ إِذْ أَتَاهُ آتٌ فِي مَنْامِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَتَدْرِي مَنْ

(١) البواطى جمع باطية: إناء من زجاج يملأ من الشراب، ويوضع بين الشرب يغترفون منه.

(٢) في ب، س: «يتابعه زناء أو لواط»، ويكون في الشعر إقواء.

(٣) غمى وينا: قرينان من نواحي بغداد («معجم البلدان»).

هذا النائم إلى جانبك؟ قال: لا، قال: هذا أشعر منك وأشعر من الجن والإنس، أما والله لأفتنن بشعره الثقلين ولأغرين به أهل المشرق والمغرب، قال: فعلمت أنه إبليس، فقلت له: فما عندك؟ قال: عصيت ربي في سجدة فأهلكني، ولو أمرني أن أسجد له ألفاً لسجدت.

حكم الوادي يغني شعر والبة

أخبرني الحسين^(١) بن يحيى قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال:

قرأت على أبي عن أبيه أن حكيم الوادي أخبره أنه دخل على محمد بن العباس يوماً بالبصرة وهو يتملأ خماراً، ويكده كأس وهو يجتهد في شربها فلا يطيقه، وتُدماؤه بين يديه في أيديهم أقداهم، وكان يوم نيروز^(٢)، فقال لي: يا حكيم غثني فإن أطربتي فلك كل ما أهدي إلي اليوم^(٣) قال: وبين يديه من الهدايا أمر عظيم، فاندفعت أغني في شعر والبة بن الحباب:

صوت

قد قابلتنا الكؤوس / ودأبرتنا الثجوس^(٤)
/ واليوم هـرمـرزوز^(٥) / قد عظمته المجوس
لم نخطه في حساب / وذاك ممـسانـوس

فطرب واستعاده، فأعدته ثلاث مرآت، فشمرت قدحه^(٦) واستمر في شربه، وأمر بحمل كل ما كان بين يديه إلي، فكانت قيمته ثلاثين ألف درهم.

لحن حكم الوادي في هذا الشعر هزج بالنصر عن الهشامي وإبراهيم وغيرهما.

صوت

لقد زاد الحياة إلي حُبا / بناشي إنهن من الضعاف
مخافة أن يذفن البؤس بعدي / وأن يشربن رنقاً بعد صاف
وأن يرين إن كسي الجوارى / فيدي الصر عن هزل عجاف^(٧)
ولولاهن قد مونت مهري / وفي الرخمان للضعفاء كاف

الشعر ليعمران بن حطان فيما ذكر أبو عمرو الشيباني، وذكر المدائني أنه لعيسى الحبطي، وكلاهما من الشراة، والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفي، خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة.

(١) في ب، ما: الحسن.

(٢) النيروز عند الفرس: أول يوم من أيام السنة الشمسية.

(٣) في ب: «فلك كل ما يهدي إلي اليوم».

(٤) ف: وأدبرت.

(٥) في ب، س: «واليوم هو نيروز».

(٦) شعرت: خفت بالماء. وفي ب، بيروت، هب: «فشرب».

(٧) في ب، ف: «كرم عجاف». ج وفي هب، بيروت: «كرم عجاف».

/ أخبار عمران بن حطان ونسبه

نسبه

هو عمران بن حطان، بن ظبيان بن لؤذان، بن عمرو، بن الحارث، بن سدوس، بن شيبان، بن ذهل، ابن ثعلبة، بن عكابة، بن صعب، بن علي، بن بكر، بن وائل.

من شعراء الشراة

وقال ابن الكلبي: هو عمران، بن حطان، بن ظبيان، بن معاوية، بن الحارث، بن سدوس^(١). ويكنى أبا شهاب^(٢). شاعر فصيح من شعراء الشراة^(٣) ودُعاهم والمُقدّمين في مذهبهم، وكان من القعدة^(٤)؛ لأن عمره طال فضُغف عن الحرب وحضورها، فاقْتَصَرَ على الدُّعْوَةِ والتحريض بلسانه.

من رواية الحديث

كان قبل أن يُفْتَن بالشراة مشتهراً بطلب العلم والحديث، ثم بُلِيَ بذلك المذهب فضُغف وهلك، لعنه الله، وقد أدرك صدرًا من الصحابة، وروى عنهم، وروى عنه أصحاب الحديث. فما رُوي عنه ما أخبرنا به محمد بن العباس الزبيدي، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا أبو الوليد الطيالسي، عن أبي عمرو بن العلاء، عن أبي صالح بن سرح اليشكري، عن عمران بن حطان قال:

كنتُ عند عائشة فتذاكروا القضاة، فقالت: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالقاضي العدل، فلا يزال به ما يرى من شدة الحساب، حتى يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة».

وكان أصله من البصرة، فلما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجاج، فهرب إلى الشام، فطلبه عبد الملك، فهرب إلى عُمان، وكان ينتقل إلى أن مات في تواريه.

/ [١١٠/١٧] تزوج امرأة من الشراة فأُضِلَّتْه

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثنا مَنيع بن أحمد السدوسي، عن أبيه، عن جده، قال:

كان عمران بن حطان من أهل السنة والعلم، فتزوج امرأة من الشراة من عشيرته، وقال: أردّها عن مذهبها إلى الحق، فأُضِلَّتْه وذهبت به.

(١) ف: «... بن ظبيان بن سعد بن معاوية بن سدوس».

(٢) في ب، بيروت، «المختار»: «ويكنى أبا سمالك».

(٣) الشراة: الخوارج، سمووا بذلك لقولهم: إننا شربنا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة.

(٤) القعدة: العاجزون.

طلبه الحجاج فهرب منه إلى الشام

وأخبرني بخبره في هربه من الحجاج عُمَرُ بن عبد الله بن جميل العتكي، ومحمد بن العباس اليزيدي، قالوا: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا الحكم بن مروان، قال: حدثنا الهيثم بن عدي قال:

طلب الحجاج عمران بن حطان السدوسي، وكان من قعدة الخوارج، فكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك.

وأخبرني بهذا الخبر أيضاً الحسن بن علي الخفاف، ومحمد بن عمران الصيرفي، قالوا: حدثنا العنزي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد الذارع، قال: حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى، عن أخيه يزيد بن المثنى: أن عمران بن حطان خرج هارباً من الحجاج، فطلبه، وكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك، فهرب ولم يزل يتنقل في أحياء العرب، وقال في ذلك:

حَلَلْنَا فِي بَنِي كَعْبٍ بَنِ عَمْرٍو فِي رِغْلٍ^(١) وَعَامِرِ عَوْثِيَانِ
وَفِي جَرَمٍ وَفِي عَمْرٍو بَنِ مُرْ وَفِي زَيْدٍ وَحَيِّ بَنِي الْغُدَانِ

عمران وروح بن زنباع

ثم لحق بالشام فنزل بروح بن زنباع الجذامي، فقال له روح: ممن أنت؟ قال: من الأزدي، أزد الشراة^(٢)، قال: وكان روح يسمر عند عبد الملك فقال له ليلة: يا أمير المؤمنين إن في أضيافنا رجلاً ما سمعتُ منك حديثاً قط إلا حدثني به وزاد فيما / ليس عندي قال: ممن هو؟ قال: من الأزدي، قال: إني لأسمعك تصف صفة عمران بن حطان؛ لأنني سمعتك تذكر لغة نزارية^(٣) وصلاة وزهداً ورواية وحفظاً، وهذه صفته، فقال روح: وما أنا وعمران! ثم دعا بكتاب / الحجاج فإذا فيه:

أما بعد، فإن رجلاً من أهل الشقاق والتقاق، قد كان أفسد علي أهل العراق وحببهم بالشراة^(٤)، ثم إني طلبته، فلما ضاق عليه عملي تحول إلى الشام، فهو يتنقل في مدائننا، وهو رجل ضرب^(٥) طوال أفوه أروق^(٦)، قال: قال روح: هذه والله صفة الرجل الذي عندي. ثم أنشد عبد الملك يوماً قول عمران يمدح عبد الرحمن بن ملجم - لعنه الله - بقتله علي بن أبي طالب، صلوات الله عليه:

يَا ضَرْبَةً مِنْ كَرِيمٍ مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا لِيُلْغِ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا
إِنِّي لَأُفَكِّرُ فِيهِ ثُمَّ أَخْبَاهُ أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا

ثم قال عبد الملك: من يعرف منك قائلها؟ فسكت القوم جميعاً، فقال لروح: سل ضيفك عن قائلها، قال: نعم أنا سأئل^(٧)، وما أراه يخفي على ضيفي ولا سأئلته عن شيء قط فلم أجده إلا عالماً به. وراح روح إلى

(١) في «المختار»: عك. وفي ف: عتك، تحريف، ورعل: قبيلة من سليم.

(٢) في ب، هب، ف: الشراة. وفي «المختار» أزد شروة.

(٣) في ف، «المختار»، «التجريد»: فزارية.

(٤) في هب، «المختار» وحببهم بالشراة.

(٥) الضرب: الخفيف اللحم.

(٦) الأروق: الطويل الأسنان. وفي ب، هب، بيروت: «أزرق».

(٧) في ب: «أنا سأئلهم».

أضيافه، فقال: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَأَلَنَا عَنِ الَّذِي يَقُولُ:

يَا ضَرْبَةً مِنْ كَرِيمٍ مَا أَرَادَ بِهَا

... ..

[١١٢/١٨] ثم ذكر الشعر، وسألهم عن قائله، فلم يكن عند أحد منهم علم، فقال له عمران: / هذا قول عمران بن حطان في ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب، قال: فهل فيها غير هذين البيتين تُفيدنيه؟ قال: نعم:

لله دُرُّ الْمُرَادِيِّ الَّذِي مَفَكَتْ كَفَّاهُ مُهَجَّةَ شَرِّ الْخَلْقِ إِنْسَانَا
أَمْسَى عَشِيَّةَ غَشَاءٍ بِضَرْبَتِهِ مِمَّا جَنَاهُ مِنَ الْآثَامِ عُزَيَانَا

- صلوات الله على أمير المؤمنين، ولعن الله عمران بن حطان وابن ملجم - فغدا رُوحُ فأخبر عبد الملك، فقال: مَنْ أَخْبَرَكَ بِذَلِكَ، فقال: ضَيْفِي، قال: أَظَنَّهُ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ، فَأَعْلِمَهُ أَنِّي قَدْ أَمَرْتُكَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ، قَالَ: أَفَعَلْتُ، فَرَأَى رُوحٌ إِلَى أَضْيَافِهِ فَأَقْبَلَ عَلَى عِمْرَانَ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي ذَكَرْتُكَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِكَ، قَالَ: كُنْتُ أَحِبُّ ذَلِكَ مِنْكَ، وَمَا مَنَعَنِي مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا الْحَيَاءُ مِنْكَ، وَأَنَا مُتَّبِعُكَ، فَانْطَلَقَ. فَدَخَلَ رُوحٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ صَاحِبُكَ؟ فَقَالَ: قَالَ لِي: أَنَا مُتَّبِعُكَ، قَالَ: أَطْلُوكَ وَاللَّهِ سَتَرْجِعُ فَلَا تَجِدُهُ، فَلَمَّا رَجَعَ رُوحٌ إِلَى مَنْزِلِهِ إِذَا عِمْرَانُ قَدْ مَضَى، وَإِذَا هُوَ قَدْ خَلَّفَ رُقْعَةً فِي كُوَّةٍ عِنْدَ فِرَاشِهِ، وَإِذَا فِيهَا يَقُولُ:

يَا رُوحُ كَمْ مِنْ أَخِي مَثَوَى نَزَلَتْ بِهِ قَدْ ظَنَنْتُكَ مِنْ لُخْمٍ وَغَسَانٍ
حَتَّى إِذَا خِفْتُهِ فَارَقْتُ مَنْزِلَهُ مِنْ بَعْدِ مَا قِيلَ: عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ
قَدْ كُنْتُ ضَيْفَكَ حَوْلًا لَا تَرَوُّعُنِي فِيهِ الطَّوَارِقُ مِنْ إِنْسٍ وَلَا جَانٍ
حَتَّى أَرَدْتُ بِسَيِّئِ الْعُظْمَى فَأَوْحَشَنِي مَا أَوْحَشَ النَّاسَ مِنْ خَوْفِ ابْنِ مَرْوَانَ
فَاعْذِرْ أَخَاكَ ابْنَ زُنْبَاعٍ فَإِنْ لَهُ فِي الْحَادِثَاتِ هَنَاتٍ ذَاتَ أَلْوَانٍ
يَوْمًا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمَنِ وَإِنْ لَقَيْتُ مَعْدِيًّا فَعَدْنَانِي
لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِرًا يَوْمًا لَطَاغِيَةً كُنْتُ الْمُقَدَّمُ فِي سِرِّي وَإِعْرَانِي
لَكِنْ أَبَيْتُ ذَاكَ آيَاتٍ مُطَهَّرَةً عِنْدَ الثَّلَاوَةِ فِي طَعَةِ وَعِمْرَانَ

[١١٣/١٨] / نزوله بزفر بن الحارث ثم خروجه من عنده

١٥٤
١٦ قال: ثم أتى عمران بن حطان الجزيرة، فنزل بزفر بن الحارث الكلبي بقرقيسيا، فجعل شباب / بني عامر يتعجبون من صلاته وطولها، وانتسب لزفر أوزاعياً، فقدم على زفر رجل من أهل الشام قد كان رأى عمران بن حطان بالشام عند رُوح بن زنباع، فصافحه وسلم عليه، فقال زفر للشامي: أتعرفه؟ قال: نعم، هذا شيخ من الأزد، فقال له زفر: أزدني مرة وأوزاعي أخرى! إن كنت خائفاً أمناك، وإن كنت عائلاً أغنيّاك، فقال: إن الله هو المغني، وخرج من عنده وهو يقول:

إِن أَلْتَنِي أَصْبَحْتُ يَغِيَا بِهَا زُفَرٌ أَغَيْتَ عِيَاءَ عَلَى رُوحِ بْنِ زُنْبَاعٍ^(١)
أَمْسَى يُسَائِلُنِي حَوْلًا لِأَخِيرِهِ وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ وَخَدَّاعٍ

(١) في «المختار» «عيت عياء» وفي ب، س: «... يعني بها زفر... أعيت عناء...»

حتى إذا انجذمت مني حباله
فاكف كما كف روح أنسي رجل
أما الصلاة فإني غير تاركها
فاكف لسانك عن هزي ومنالتي
أكرم بروح بن زبئاع وأسرته
جاورتهم سنة فيما دعوت به
فاعمل فإنك مني بحادثة

كف السؤال ولم يولع بإهلاعي^(١)
إما صريح وإما فقعة القاع^(٢)
كل امرئ للذي يُعنى به ساعي
ماذا تريد إلى شيخ لأزاع
قوما دعا أوليهم للعلاداعي
عرضي صحيح ونومي غير تهجاعي
حسب اللبيب بهذا الشيب من ناعي

/ هروبه من الحجاج إلى روذ ميان ووفاته بها

ثم خرج فتزل بعُمان يقوم يكثررون ذكر أبي بلال مرداس بن أدية، ويثنون عليه ويذكرون فضله، فأظهر فضله
ويثر أمره عندهم، وبلغ الحجاج مكانه، فطلبه، فهرب فتزل في روذ ميان - طسوج من طساسيج السواد إلى جانب
الكوفة - فلم يزل به حتى مات، وقد كان نازلاً هناك على رجل من الأزد، فقال في ذلك:

نزلت بحمد الله في خير أسرة
نزلت بقوم يجمع الله شملهم
من الأزد إن الأزد أكرم أسرة

أسر بما فيهم من الإنس والخفر
ومالهم عود سوى المجد يعتصر
يمانية قربوا^(٣) إذا نُسب البشر

قال اليزيدي: الإنس بالكسر: الاستئناس. وقال الرياشي: أراد قربوا فحفف، قال:

وأصحت فيهم آمناً لا كمغش
أو الحي فخطان وتلك سفاهة
وما منهم إلا يسر بنسبة
فنحن بنو الإسلام والله واحد^(٤)

بدوني^(٥) فقالوا من ربيعة أو مضر
كما قال لي روح وصاحبه زفر
تقربني^(٥) منهم وإن كان ذا نقر
وأولي عباد الله بالله من شكر

أخبرنا اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: حدثنا الأصمعي عن المعتز بن سليمان قال:

كان عمران بن حطان رجلاً من أهل السنة، فقدم عليه غلام من عُمان كأنه نضل، فقلبه عن مذهبه في مجلس

واحد.

/ أخبرني اليزيدي، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا مسدد بن مسرهد، قال: حدثنا بشر بن المفضل، عن [١١٥/١٨] سلمة^(٧) بن علقمة، عن محمد بن سيرين، وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا الحسن^(٨) بن عليل العنزي،

(١) الإهلاع: الإفزاع والترويع.

(٢) يقال لمن لا أصل له: هو فقعة القاع.

(٣) في «المختار»: «تعلو».

(٤) في بيروت: «أثوني». وفي «المختار»: «بدوا بي».

(٥) في ب: «تصبرني».

(٦) في «المختار»: «والله ربنا».

(٧) في ب، س: «مسلم».

(٨) في ب: «الحسين»، تحريف.

١٥٥ قال: حدثنا عمرو بن علي القلاس، / وعباس العنبري، ومحمد بن عبد الله المخزومي، قالوا: حدثنا عبد الرحمن

ابن مهدي، عن بشر بن المفضل، عن سلمة بن علقمة، عن محمد بن سيرين، قال:

تزوج عمران بن حطان امرأة من الخوارج فقبل له فيها، فقال: أردّها عن مذهبها فذهبت هي به.

خارجي يتخلف عن الخروج ويتمثل بشعر لعمران

نسخت عن بعض الكتب: حدثنا المدائني، عن جويرية قال:

كتب عيسى الحبطي إلى رجل منهم يقال له أبو خالد، كان تخلف عن الخروج مع قطري أو غيره منهم:

أبا خالد أنفرت فلست بخالد وما ترك الفرقان عذراً لقاعد

أنزعم أنا الخارجون على الهدى^(١) وأنت مقيم بين لص وجاحد

فكتب إليه: ما معني عن الخروج إلا بناتي والحذب^(٢) عليهن حين سمعت عمران بن حطان يقول:

لقد زاد الحياة إلي حُباً بناتي إنهن من الضعاف

ولولا ذاك قد سؤمت مهري وفي الرحمن للضعفاء كاف

/ قال: فجلس عيسى يقرأ الأبيات ويكي، ويقول: صدق أخي، إن في ذلك لعذراً له، وإن في الرحمن للضعفاء كافياً. [١١٦/١٨]

الأخطل يرى أن عمران أشعر الشعراء

وقال هارون: أخذت من خط أبي عدنان: أخبرني أبو ثروان الخارجي، قال: سمعت أشياخ الحي يقولون:

اجتمعت الشعراء عند عبد الملك بن مروان فقال لهم: أبقوا أحد أشعر منكم؟ قالوا: لا. فقال الأخطل:

كذبوا يا أمير المؤمنين، قد بقي من هو أشعر منهم، قال: ومن هو؟ قال عمران بن حطان، قال: وكيف صار أشعر

منهم؟ قال: لأنه قال وهو صادق ففاتهم، فكيف لو كذب كما كذبوا!.

الحجاج يتحصن من غزاة الحرورية وعمران يتحكم عليه

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن متهرويه عن ابن أبي سعد، عن أحمد بن محمد بن علي بن حمزة

الخراساني، عن محمد بن يعقوب بن عبد الوهاب، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبي الأسود

محمد بن عبد الرحمن القاري، عن الزهري، عن أبيه:

أن غزاة الحرورية^(٣)، لما دخلت على الحجاج هي وشبيب الكوفة، تحصن منها وأغلق عليه قصره، فكتب

إليه عمران بن حطان، وقد كان الحجاج لجّ في طلبه، قال:

أسد علي وفي الحروب نعام ربداء تجفل من صفير الصافر^(٤)

هلاً برزت إلى غزاة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

(١) في هب، ب، «التجريد»: «أنزعم أن الخارجين على الهدى».

(٢) في ب، هب: «والحرب».

(٣) الحرورية: فرقة من الخوارج ينسبون إلى حروراء: قرية بقرب الكوفة، كان أول اجتماعهم بها وتعمقوا في أمر الدين حتى مرقوا منه.

(٤) ربداء: مقيمة. تجفل: نهرب.

صَدَعَتْ غَزَالَةً قَلْبَهُ بِفَوَارِسٍ تَرَكَتْ مَدَابِرَهُ كَأَمْسِ الدَّابِرِ
ثُمَّ لَحِقَ بِالشَّامِ فَتَزَلَّ عَلَى رُوحِ بْنِ زُبَاعٍ.

[١١٧/١٨]

/ عمران يصير حروريا

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا محمد بن خالد أبو حرب، قال: حدثنا محمد بن عباد المهلب، قال: حدثنا جرير بن حازم، قال: كان عمران بن حطان أشد الناس خصومة للحرورية حتى لقيه أعرابي حروري فخاصمه فخصمه فصار عمران حروريا، ورجع عن رايه.
قال جرير بن حازم: كان الفرزدق يقول: لقد أحسن بنا ابن حطان حيث لم يأخذ فيما أخذنا فيه، ولو أخذ فيما أخذنا فيه لأسقطنا؛ يعني لجودة شعره.

لا يقول أحد من الشعراء شعراً إلا نسب إليه لشهرته

نسخت من كتاب ابن سعد قال: أخبرني الحسن بن عليّ العنزي، قال: أخبرني أحمد / بن عبد الله بن ١٥٦
سويد بن منجوف السدوسي، قال: أخبرني أحمد بن مؤرج، عن أبيه قال: حدثني به تميم بن سواده، وهو ابن أخت مؤرج، قال: حدثني أبو العوام السدوسي، قال: كان مالك المذموم^(١) رجلاً من بني عامر بن ذهل، وكان من الخوارج، وكان الحجاج يطلبه. قال أبو العوام: فدخلت عليه يوماً وهو في تواريه، فأنشدني يقول:

ألم يأن لي يا قلب أن أتترك الصبا وأن أزجر النفس اللجوج عن الهوى
وما عذرت من يعمى وقد شاب رأسه ويصير أبواب الضلالة والهوى
ولو قسم الذنب الذي قد أصبته على الناس خاف الناس كلهم الردى
فإن جنّ ليل كنت بالليل نائماً^(٢) وأصبح بطال العشيات والضحى

قال: فلما فرغ من إنشادها قال: سيغلبي عليها صاحبكم، يعني عمران بن حطان، فكان كذلك، لما شاعت رواها الناس لعمران، وكان لا يقول أحد من الشعراء شعراً إلا نسب إليه لشهرته إلا من كان مثله في الشهرة مثل قطري / وعمرو القنا^(٣) وذويهما، قال: ثم هرب إلى اليمامة من الحجاج، فنزل بحجر، فاتاه آل حكام الحنفيون^(٤)، فقال:

طَّيَّرُونِي مِنَ الْبِلَادِ وَقَالُوا مَالِكَ النَّصَفُ^(٥) مِنْ بَنِي حَكَّامٍ
نَاقَ سِيرِي قَدْ جَدَّ حَقًّا^(٦) بَنَا السَّيْرُ وَكَوْنِي جَوَالَةً فِي الزُّمَامِ

(١) في بيروت: المزموم. وفي ب: المرموم.

(٢) في هب: «... كنت بالليل قائماً». وفي ب، بيروت: «وإن جن ليل كان بالليل نائماً».

(٣) في ب: «عمرو الغناء».

(٤) في ب: «فأداه إلى بني حكام الحنفيون»، تحريف.

(٥) النصف «بكسر النون وتفتح وتضم»: اسم بمعنى الإنصاف.

(٦) في ب: قد جد خفيّاً.

فَمَتَّى تَعْلَقِي^(١) يَدَ الْمَلِكِ الْأَسْوَدِ تَسْتَقْنِي بِأَلَا تُضَامِي
 قَدْ أَرَانِي وَلِي مِنَ الْحَاكِمِ النَّصْفُ بِحَدِّ السَّنَانِ أَوْ بِالْحُسَامِ
 قال: والملك الأسود إبراهيم بن عربي وإلي اليمامة لعبد الملك، وكان ابن حَكَّام على شُرطته قال:

وَمُنِينَا بِطُمَطُوسٍ^(٢) حَبَشِيٍّ حَالِكِ الْوَجْتَيْنِ مِنْ آلِ حَامِ
 لَا يُيَالِي إِذَا تَضَلَّعَ خُمْرًا أَبْحَلُ رَمَاكَ أَمْ بِحُسَامِ^(٣)

قال العنزي: فأخبرني محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة، عن أبيه، قال: كان مالك المذموم من أحسن الناس قراءة للقرآن، فقرأ ذات ليلة فسمعت قراءته امرأة من آل حَكَّام^(٤) فرمت بنفسها من فوق سطح كانت عليه، فسمع الصوت أهلها، فأتوه فضربوه ضربات، فاستغدى عليهم إبراهيم بن عربي، وكان عبد الله / بن حَكَّام على شُرطته فلم يُعده^(٥) عليهم، فهجاه بالآيات الماضية، وهجاه بقصيدته التي أولها:

دَارَ سَلَمَى بِالْجِزْعِ ذِي الْأَطَامِ خَبَّرِينَا سَقِيَتْ صَوْبَ الْغَمَامِ
 وهي طويلة ينسبونها أيضاً إلى عمران بن حِطَّان.

الفرزدق يعترف بتفوقه ونبوغه

أخبرني أحمد بن الحسين الأصبهاني ابن عمي قال: حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرِ بْنِ رُسْتَمِ الطَّبَرِيُّ النَّحْوِيُّ، قال: حدثنا أبو عثمان المازني، قال: حَدَّثَنَا عمرو بن مُرَّة^(٦)، قال:

مَرَّ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ عَلَى الْفَرَزْدَقِ وَهُوَ يَنْشُدُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

أَيُّهَا الْمَادِحُ الْعِبَادَ لِيُعْطَى إِنَّ اللَّهَ مَا بِسَائِدِي الْعِبَادِ
 فَاسْأَلِ اللَّهَ مَا طَلَبْتَ إِلَيْهِمْ وَارْجُ فَضْلَ الْمُقْسَمِ الْعَوَادِ
 / لَا تَقُلْ فِي الْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ وَتُسَمِّي الْبَخِيلَ بِأَسْمِ الْجَوَادِ

١٥٧
١٦

فقال الفرزدق: لولا أن الله عز وجل شغل عنا هذا برأيه للقبينا منه شراً.

مسلمة بن عبد الملك يكيه شعر لعمران

وقال هارون بن الزيات: أخبرني عبد الرحمن بن موسى الرقي، قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَهْمٍ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ غَانِمِ الْعَدَوِيِّ^(٧)، قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُرَّةٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُنَى عَنْ عِيْسَى بْنِ يَزِيدَ بْنِ بَكْرِ الْمَدَنِيِّ، قال:

اجتمع عند مسلمة بن عبد الملك ناس من سُمَّاء، فيهم عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر، فقال مسلمة: أَيُّ بَيْتِ

(١) في ب: «تلقني». وفي هب: «تلنقي»، وسقط البيت الثاني منها.

(٢) رجل طمطم كزبرج: في لسانه عجمة.

(٣) تضلع: امتلا. وفي ف، بيروت: «بحلال رماك...».

(٤) في ب: «من آل حام».

(٥) لم يعده: لم يتصره.

(٦) في ب، هب: «عمرو بن ترمذة».

(٧) في ب: «... بن سديفة بن هاشم العدوي» بدلاً من «حذيفة بن غانم العدوي».

قَالَتْهُ الْعَرَبُ أَوْعَظُ وَأَحْكَمُ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ قَوْلُهُ:

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَا قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعُدْ

/ فَقَالَ مَسْلَمَةُ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا وَعَظَنِي شِعْرُ قَطٍّ كَمَا وَعَظَنِي شِعْرُ ابْنِ حِطَّانٍ حَيْثُ يَقُولُ: [١٢٠/١٨]

فِيُوشِكُ يَوْمٌ أَنْ يُقَارَنَ لَيْلَةً يَسُوقَانِ حَتْفًا رَاحَ نَحْوُكَ أَوْ غَدَا

فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ أَجَلَ الْمَوْتِ ثُمَّ أَفْنَاهُ، وَمَا صَنَعَ هَذَا غَيْرُهُ، فَقَالَ مَسْلَمَةُ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟
قَالَ: قَالَ:

لَا يُعْجِزُ الْمَوْتَ شَيْءٌ دُونَ خَالِقِهِ وَالْمَوْتُ فَإِنْ إِذَا مَا نَالَهُ الْأَجَلُ

وَكُلُّ كَرِبٍ أَمَامَ الْمَوْتِ مُتَضِيعٌ لِلْمَوْتِ، وَالْمَوْتُ فِيمَا بَعْدَهُ جَلَلُ

فَبَكَى مَسْلَمَةُ حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ، ثُمَّ قَالَ: رَدَّدَهُمَا عَلَيَّ، فَرَدَّدَهُمَا عَلَيْهِ حَتَّى حَفِظَهُمَا.

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنْزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَنِيْعُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَوْجِ السَّدُوسِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ:

تَزَوَّجَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ حَمْرَةَ بِنْتِ عَمِّهِ لِيرَدَّهَا عَنْ مَذْهَبِ الشَّرَايَةِ، فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى رَأْيِهِمْ، فَجَعَلَ يَقُولُ فِيهَا الشَّعْرَ، فِيمَا قَالَ فِيهَا:

يَا حَفْمَزَ إِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي مُنْجِنٌ بِخَلَاتٍ صِدْقٍ كُلُّهَا فِيكَ

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ كَذِبًا فِيمَا عَلَنْتُ وَأَنِّي لَا أَزْكِيكَ

أَمْرَانَهُ تَتَّهَمُهُ بِالْكَذِبِ فِي شَعْرِهِ فَيُرَدِّدُهَا لَهَا

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى، وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا، عَنْ الْعُمَرِيِّ، عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ:

أَنَّ امْرَأَةَ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ قَالَتْ لَهُ: أَلَمْ تَزْعَمْ أَنَّكَ لَا تُكَذِّبُ فِي شَعْرِكَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: أَفَرَأَيْتَ قَوْلَكَ:

وَكَذَاكَ مَجْزَأَةٌ بِنْتُ ثَوْرٍ رِكَانٌ أَشْجَعُ مِنْ أَسَامَةِ

أَيُّكَونَ رَجُلٌ أَشْجَعُ مِنَ الْأَسَدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ مَجْزَأَةَ بَنِي ثَوْرٍ فَتَحَ مَدِينَةَ كَذَا، وَالْأَسَدُ لَا يَقْدِرُ عَلَى فَتْحِ مَدِينَةٍ.

[١٢١/١٨]

الشعر

نَدِيمِي قَدْ خَفَّ الشَّرَابُ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ سَوْرَةَ فِي عَظْمِ رَأْسِي وَلَا جِلْدِي

نَدِيمِي هَذَا غِبُّهُمْ فَاشْرَبْ بِهَا وَلَا خَيْرَ فِي شُرْبِ يَكُونُ عَلَى صَرْدٍ^(١)

الشعر لعُمار بن الوليد بن المغيرة المخزومي، والغناء لابن مَرْيَجٍ خفيف ثَقِيل.

(١) سقاه الخمر صرداً، أي صِرْفاً. وفي ف، بيروت: «على حرد».

[١٢٢/١٨]

١٥٨

١٦

/ أخبار عمارة بن الوليد ونسبه

نسبه

عمارة بن الوليد، بن المغيرة، بن عبد الله، بن مخزوم، بن يقظة، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، وهو أحد أزواد الركب^(١)، ويقال له الوحيد، وكان أزواد الركب لا يمر عليهم أحد إلا قرؤوه وأحسنوا ضيافته، وزودوه ما يحتاج إليه لسفره، وكان عمارة بن الوليد فخوراً بمعنأ^(٢) متعرضاً لكل ذي عارضة من قریش، فأخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن شبيب، قال: حدثنا الزبير بن بكار، عن الحزامي، قال:

مرَّ عمارة بن الوليد بمُساوٍ بن عمرو، فوقَّفَ عليه وهو مُنثَّش، فقال:

خُلِقَ الْبَيْضُ الْحِسانَ لَنَا وَجِيادُ الرِّينِيطِ وَالْأَزْرُ
كأبراً كنَّا أحقَّ به حين صيغ الشَّمْسُ والقَمَرُ
فأجابه مُساوٍ بن عمرو بن أمية، فقال:

أَعْمَارَ بَنِ الْوَلِيدِ لَقَدْ بِذِكْرِ الشَّاعِرِ مَنْ ذَكَرَهُ^(٣)
هَلْ أَخَوَكَا سِمْ مَخْفَقَهَا وَمُوقَّ صَحْبَهُ سَكْرَهُ
وَمُحْيِيَهُمْ إِذَا شَرِبُوا وَمُقِلٌّ فِيهِمْ هَذَرَهُ
خُلِقَ الْبَيْضُ الْحِسانَ لَنَا وَجِيادُ الرِّينِيطِ وَالْحَبْرَهُ
كأبراً كنَّا أحقَّ به كُلُّ حَيٍّ تَابِعُ أَثَرَهُ

يعود إلى الشراب بعد أن عاهد امرأته على تركه

أخبرني عمي قال: حدثنا الكرائي، قال: حدثنا العُمري، عن الهيثم بن عدي / عن حماد الراوية: أنَّ عمارة بن الوليد خطب امرأة من قومه فقالت: لا أتزوجك أو تترك الشراب والزنا، قال: أما الزنا فأتركه، وأما الشراب فلا أتركه ولا أستطيع. ثم اشتدَّ وجده بها فحلف ألا يشرب، فتزوجها ومكث حيناً لا يشرب، ثم إنه لبس ذات يوم حُلته وركب ناقته وخرج يسير، فمر بخمار وعنده شرب يشربون، فدعوه فدخل عليهم وقد أنفدوا ما عندهم، فقال للخمار: أطعمهم ويلك، فقال: ليس عندي شيء، فنحر لهم ناقته، فأكلوا منها، فقال: اسقهم، ولم يكن معهم شيء يشربون به، فسقاهم ببردته، ومكثوا أياماً ذوات عدد، ثم خرج فاتى أهله، فلما رآته امرأته،

(١) في «القاموس» (زود): أزواد الركب: مسافر بن أبي عمرو، وزمعة بن الأسود، وأبو أمية بن المغيرة؛ لأنه لم يكن يتزود معهم أحد في سفر، يطعمونه ويكفونه الزاد.

(٢) المعن: من يدخل فيما لا يعنيه ويعرض في كل شيء. وفي «المختار»: متعرضاً لكل من عارضه من قریش. وفي ف: معياً. وفي بيروت: معياً.

(٣) ف، «المختار»، بيروت: «يذكر الإنسان من ذكره».

قالت له: ألم تحلف ألا تشرب؟ ولأتمته، فقال:

ولسنا بشرب أم عمرو^(١) إذا انتشروا
ولكننا يا أم عمرو نديمنا
أسرك لما صرع القوم نشوة
خلياً كأنني لم أكن كنت فيهم

ثياب التدامي عندهم كالغنائم
بمنزلة الرّيان ليس بعائم
أن أخرج منها سالماً غير غارم
وليس الخداع مُرتضى في التّادم

ملاحاة بينه وبين عمرو بن العاص

[أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد بن قادم مولى بني هاشم، قال: حدثني عمي: أحمد بن جعفر، عن ابن دأب، قال:

قدم رجل من تجار الروم بحلة من لباس قيصر على أهل مكة، فأتى بها عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فعرضها عليه بمائة حِق من الإبل، فاستغلاها، فأتى بها عمرو بن العاص، فقال له: هل أتيت بها أحداً؟ قال: نعم، عمارة بن الوليد فاستغلاها وقال: لن تعدم لها غويّاً من بني سهم، قال: قد أخذتها، فاشترها بمائة حِق، يعني مائة بعير، ثم أقبل يخطر فيها حتى أتى بني مخزوم، فناداه عمارة: أتبيع الحلة يا عمرو؟ فغضب والتفت إلى عمارة، فقال:

/ عليك بجزر رأس أيبك إننا
كفيناك المُسَهَّمة^(٢) الرِّقَاقا
زَوْوها^(٣) عنكُم وغَلَّت عليكم
وأعطينا بها مائة حِقَاقا
وقلتُم: لا نطيق ثياب سَهْمٍ
وكل سوف يلبس ما أطاqa

[١٢٤/١٨]

قال: فغضب عمارة وقال: يا عمرو، ما هذا التهوّر؟ إنك لست بعتبة بن ربيعة، ولا بأبي سفيان بن حرب، ولا الوليد بن المغيرة، ولا سهيل بن عمر، ولا أبي بن خلف، فقال عمرو: إلا أكن بعضهم فإن كل واحد منهم خير ما فيه في: من عتبة حلمه، ومن أبي سفيان رأيه، ومن سهيل جوده، ومن أبي بن خلف نجدته، وأما الوليد فوالله ما أحب أن في كل ما فيه من خير وشر، ولكنك والله مالك عقل الوليد، ولا بأس الحارث بن هشام وخالد بن الوليد، ولا لسان أبي الحكم، يعني أبا جهل. وانصرف، فأمر عمارة بجزور فنحرت على طريق عمرو، وأقبل عمرو فقال: لمن هذه الجزور؟ قيل: لعمارة، فقال له: أطعنا منها يا عمارة، فضحك منه، ثم قال:

عليك بجزر أيبك إننا
كفيناك المُشاشة والعراقا^(٤)
ومنسبة الأطايب من قريش
ولسم تَرَكَاسُنَا إِلَّا دِهَاقا
ونلبس في الحوادث كل زَغَفٍ^(٥)
وعند الأمن أبراداً رَقَاقا

فوقع الشر بينهم، فقال عمرو:

(١) في ب، ما: أم عوف.

(٢) سهم الثوب وغيره: صور فيه سهاماً، فهو مسهم.

(٣) زووها عنكم: صرفوها ونحوها.

(٤) المشاشة: رأس العظم اللين الذي يمكن مضغه. والعراق: العظم أكل لحمه.

(٥) الزغف: الدرع الواسعة الطويلة.

لَعَمْرُ أَيْسِكَ وَالْأَخْبَارِ تَنْمِي
فَلَا تَعْجَلْ عُمَارَةً إِنَّ سَهْمًا
وَأُورِدُ يَا عُمَارَةَ إِنَّ عَوْدِي
/ فَأَجَابَهُ عُمَارَةُ، فَقَالَ:

[١٢٥/١٨]

أَبْ مِثْلُ الْمُغِيرَةِ وَالْوَلِيدِ
إِلَى عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ بِعُودِ
فَمَالِي فِي الْأَبَاطِحِ مَنْ نَدِيدِ
بِأَنِّي غَيْرُ مُؤْتَشِبٍ زَهِيدِ
شَجَا فِي الْحَلْقِ مَنْ دُونَ الْوَرِيدِ
وَأَصِيرُ فِي وَغَا الْيَوْمِ الشَّدِيدِ
وَتُطْعِمُنِي الْمَرْوَةَ فِي الْمَزِيدِ
مَكَانَ الرَّذْفِ مَنْ عَجَزِ الْقَعُودِ
وَكَانَ أَبُوكَ جَزَارًا... وَكَانَتْ

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنَا الْكُرَانِيُّ، عَنِ الْعُمَرِيِّ، عَنْ أَبِي عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَسَمَ بِرُودَا فِي الْمُهَاجِرِينَ.

عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَتِمُّثَلُ بِشَعْرِهِ

قَالَ الْعُمَرِيُّ: هَكَذَا ذَكَرَ أَبُو عَوَانَةَ، وَقَدْ حَدَّثَنِي الْهَيْثَمُ، عَنْ أَبِي يَعْقُوبَ الثَّقَفِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ شَهِدَ ذَلِكَ:

أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ الْمَخْزُومِيَّ بَعَثَ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِحُلٍّ مِنَ الْيَمَنِ، فَقَالَ عَمْرٌ: عَلَيَّ بِالْمُحَمَّدِيِّينَ، فَأَتَانِي بِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ / عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ حَطَّابٍ^(٣) أَخِي حَاطِبٍ، وَكُلُّهُمْ سَمَّاهُ النَّبِيَّ ﷺ مُحَمَّدًا، فَأَقْبَلُوا، فَاطَّلَعَ مُحَمَّدُ بْنُ حَطَّابٍ^(٤) / فِيهَا، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ: يَا شَيْبَةَ مَعْمَرٍ - يَعْنِي عَمَّا لَهُ قَتْلَ يَوْمِ بَدْرٍ - أَكْفَفَ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ: أَعْطَهُمْ حُلَّةَ حُلَّةٍ، فَنَظَرَ إِلَى أَفْضَلِهَا، وَكَانَتْ أُمَّ أَحَدِهِمْ عِنْدَهُ، فَقَالَ عَمْرٌ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: هَذِهِ لِفُلَانٍ، الَّذِي هُوَ رَيْبِيهِ، فَقَالَ عَمْرٌ: ارْدُدْهُ، وَتِمُّثَلْ بِقَوْلِ عُمَارِ بْنِ الْوَلِيدِ:

أَسْرَكَ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمَ نَشْوَةً
أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا سَالِمًا غَيْرَ غَارِمٍ
خَلِيًّا كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ كُنْتُ فِيهِمْ
وَلَيْسَ الْخِدَاعُ مُرْتَضًى فِي التَّنَادِمِ^(٥)

(١) أَحْوُطُ ذِمَارَهُمْ: أَحْفَظُ مَا يَلْزَمُنِي حَفْظُهُ وَالِدْفَاعُ عَنْهُ.

(٢) ١٢٣ - ١٢٥ طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ.

(٣) فِي ب: «مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ».

(٤) فِي ب: «فَاطَّلَعَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ حَطَّابٍ»، تَصْحِيفٌ.

(٥) فِي مَا: «وَلَيْسَ الْخِدَاعُ مُرْتَضًى فِي التَّرَاتِمِ».

وقال أبو عوانة: من تصافي التنادم.

ثم أمر بالبرود فغطيت بثوب، ثم خلطها^(١)، ثم قال: لِيُدْخِلْ كُلُّ امْرِئٍ يَدَهُ فليأخذ حُلَّتَهُ وما قُسِمَ له.

[١٢٧/١٨]

البيت

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكلِهِ ويأكلُ المالَ غيرُ من جمَعَهُ
فأقبلُ من الدهر ما أتاك به مَنْ قَرَّ عَيْنًا بعيشه نَفَعَهُ
لكلِّ همٍّ من الهموم سَعَهُ والصُّبح والمُسَيُّ لا فلاح معه^(٢)

الشعر للأضبط بن قُرَيْع، والغناء لأحمد بن يحيى المكي، ثقیل أول بالسَّباية في مجرى البنصر من روايته، وسمعناه يغني في طريقة خفيف رمل، فسألت عنه ذكاء وجه الرزّة، فذكر أنه سمعه من محمد بن يحيى المكي في هذه الطريقة، ولم يعرف صانعه ولا سأل عنه.



مركز تحيية تكملة تاريخ اللغة العربية

(١) في ب، س، بيروت: خللها.

(٢) في ف، «المختار»: «لا بقاء معه».

/ أخبار الأضبط ونسبه

كان الأضبط مفركاً

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني عبد الله بن طاهر، قال: قال أبو محلم: أخبرني ضرار^(١) بن عيينة، أحد بني عبد شمس، قال:

كان الأضبط بن قرين مفركاً^(٢)، وكان إذا لقي في الحرب تقدم أمام الصف، ثم قال:

أنا الذي تفرُّكه حلائله ألا فتى مُعشَّق أنازلُه!

قال: فاجتمع نساؤه ذات ليلة يسمرن، فتعاقدن على أن يصدقن الخبر عن فرك الأضبط، فأجمعن أن ذلك لأنه بارد الكمرة، فقالت لإحداهن خالته: أنتعِز إحداكن إذا كانت ليلته منها أن تُسخن كمرته بشيء من دهن؟ فلما سمع قولها صاح: يا آل عوف، يا آل عوف، فثار الناس وظنوا أنه قد أُتي، فقال: أوصيكم بأن تُسخنوا الكمرة فإنه لا حُظوة لبارد الكمرة، فانصرفوا يضحكون، وقالوا: تبّاً لك، ألهذا دعوتنا!

شعره فيمن خالفوه

قال أبو محلم: كانت أم الأضبط عَجِيبة^(٣) بنت دارم بن مالك بن حنظلة، وخالته الطُمُوح^(٤) بنت دارم أم جُشم وعبشم^(٥) ابني كعب بن سعد، فحارب بنو الطُمُوح قوماً من بني سعد، فجعل الأضبط يدس إليهم الخيل والسلاح ولا يصرح بنصرتهم خوفاً من أن يتحزب قومه حزبين معه وعليه، وكان يشير عليهم / بالرأي فإذا أبرمه نقضوه وخالفوا عليه، وأرؤه مع ذلك أنهم على رأيه، فقال في ذلك:

لكل همٍّ من الهموم سَعَة والمُسني والصُّبح لا فلاح معه^(٦)
لا تحقِّرنَّ الفقيرَ علَّك أن تركع يوماً والدهرُ قد رَفَعَه^(٧)
ووصل جبال البعيد إن وصل الحَبْل وأقص القريب إن قطعَه
قد يجمع المال غيرُ آكلِه ويأكل المال غيرُ مَنْ جَمَعَه

١٦١
١٦

(١) في ف، بيروت: صبار.

(٢) المفرك: المتروك الميغض.

(٣) في ب، هب، «المختار»: عجة.

(٤) في ب، هب: الطم بنت دارم.

(٥) في ف، بيروت: «... بن جشم وعبد شمس».

(٦) صدر البيت في «الشعر والشعراء» ٢٢٦، ط ليدن: «يا قوم من عاذري من الخدعة». وفي «الخزانة» ٤ - ٥٩١: «لكل ضيق من الأمور سعة»، وفي «المختار»: «لا بقاء معه» بدل: «لا فلاح معه».

(٧) في «الشعر والشعراء» ٢٢٦: «لا تهين الفقير... أن تخشع».

ما بال مَنْ غَيَّبه مُصِيُّكَ لا
حتى إذا ما انجلتْ غَوَايُته
أذودُ عن نفسه ويخدعُنِّي
فاقبل من الدهر ما أتاك به^(٢)
يملك شيئاً من أمره وزعة^(١)
أقبل يلحني وغيبه فجمعه
يا قوم مَنْ عاذري من الخدعة
مَنْ قرَّ عيناً بعيشه نفعة

نشوز امرأته عليه وشعره في ذلك

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا الخراز عن المدائني، قال:

كان الأضيظ بن قريع قد تزوج امرأة على مال ووصيفة، فنشزت عليه، ففارقها ولم يعطها ما كان ضمن لها، فلما احتملت أنشأ يقول:

ألم ترها بانث بغير وصيفة
ولكنها بانث شمس بزيئة
لو أن رسول الله سلم واقفاً
إذا ما الغواني صاحبها الوصائف
منعمة الأخلاق حدياء شارف
عليها لرامت وصله وهو واقف

[١٣٠/١٨]

/ أبو عبيدة وخلف لا يعرفان إلا بيتاً وعجز بيت من قصيدة له

أخبرنا وكيع قال: حدثنا ابن أبي سعيد^(٣)، قال:

حدثنا الجعاز، قال: أنشدت أبا عبيدة وخلفاً الأحمر شعر الأضيظ:

وصل حبس البعيد إن وصل الحب
كل وأقص القريب إن قطعه

فما عرفا منه إلا بيتاً وعجز بيت، فالبيت الذي عرفاه:

فاقبل من الدهر ما أتاك به

والعجز:

* يا قوم مَنْ عاذري من الخدعة *

والخدعة: قوم من بني سعد^(٤) بن زيد مناة بن تميم.

[١٣١/١٨]

/ بصوت

وما أنا في أمري ولا في خصومتي
ولا مسلم مولاي عند جنايئة
بمُهْتَضَمِ حَقِّي ولا قارع سُنِّي^(٥)
ولا خائف مولاي من شرٍّ ما أجني

الشعر لأعشى بني ربيعة، والغناء لإبراهيم ثاني ثقيف بالوسطى، عن عمرو.

(١) وزعه: كفه.

(٢) في «سمط اللالي» ٣٢٦/١: «واقنع من الدهر...».

(٣) في ب: سعيد. وفي هب: ابن سعد.

(٤) في «سمط اللالي» ١ - ٣٢٧: قوم من سعد....

(٥) ف: «قرني». وفي «سمط اللالي» ٩٠٦: «ولا سالم قرني».

[١٣٢/١٨]

/ أخبار الأعشى ونسبه

نسبه

الأعشى اسمه عبد الله بنُ خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة الحُصَيْن بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمِي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار: شاعر إسلامي من ساكني الكوفة، وكان مَرَوَانِي المذهب، شديد التعصب لبني أمية.

قدومه على عبد الملك

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عمي محمد بن عبيد الله عن محمد بن حبيب^(١)، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد، عن عمه العباس بن هشام، عن أبيه، قال:

قَدِمَ أَعْشَى بنِي رِبْعَةَ عَلَى عبدِ الْمَلِكِ بنِ مَرْوَانَ، فَقَالَ لَهُ عبدُ الْمَلِكِ: مَا الَّذِي بَقِيَ مِنْكَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي أَقُولُ:

وما أنا في أمري ولا في خُصُومتي / وما أنا في أمري ولا في خُصُومتي
ولا مُسْلِمٌ مَوْلَايَ عِنْدَ جَنَابِيْ / ولا مُسْلِمٌ مَوْلَايَ مِنْ شَرِّ مَا أَجْنِي
وإن فُؤَادِي بَيْنَ جَنْبَيَّ عَالِمٌ / وما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضّلني في الشَّعْرِ واللُّبِّ أَنَّنِي / أقولُ على عِلْمٍ وأَعْرِفُ مَنْ أَغْنِي
فأَصْبَحْتُ إِذْ فَضَّلْتُ مَرْوَانَ وَابْنَهُ / على النَّاسِ قَدْ فَضَّلْتُ خَيْرَ آبِ وَأَبْنِ

١٦١
١٦

فقال عبد الملك: مَنْ يُلومني على هذا؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة ثُخُوت / ثياب، وعشر فرائض من الإبل، وأقطعته أَلَفَ جَرِيب^(٢)، وقال له: امضِ إلى زيد الكاتب يكتب لك بها، وأجرى له على ثلاثين عِيَالًا^(٣) فأتى زيدا فقال له: ائتني غداً، فأتاه فجعل يردّده، فقال له:

[١٣٣/١٨]

يا زيدا فإفداك كُلُّ كَاتِبٍ / يا زيدا فإفداك كُلُّ كَاتِبٍ
هل لك في حَقِّ عَليكَ واجِبٍ / هل لك في حَقِّ عَليكَ واجِبٍ
وأنت عَفْتُ طَيْبِ الْمَكَّاسِ / وأنت عَفْتُ طَيْبِ الْمَكَّاسِ
ولست - إن كَفَيْتَنِي^(٤) وصاحِبِي / ولست - إن كَفَيْتَنِي^(٤) وصاحِبِي

(١) وحبيب أمه، وانظر «تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه».

(٢) الجريب من الأرض: ثلاثة آلاف وستمئة ذراع، وقيل: عشرة آلاف ذراع.

(٣) عيل الرجل: أهل بيته الذين يتكفل بهم من أزواج وأولاد وأتباع.

(٤) في ف: كلفتني.

ومُثَدَّةُ الباب^(١) وعُنفَ الحاجِبِ - من نعمة أسدَيْتَها بخائبِ
فأبطأ عليه زيد، فأتى سُفيان بن الأبرد الكلبي، فكلّمه سُفيانُ فأبطأ عليه، فعاد إلى سُفيان، فقال له:
عُدْ إذ بدأتَ أبا يحيى فأنْتَ لها - ولا تُكُنْ حين هابِ النَّاسُ هياباً^(٢)
واشفع شفاعة أنفٍ لم يكن ذنباً - فإنَّ من شُفَعَاءِ النَّاسِ أذُنابا
فأتى سُفيانُ زيدا الكاتب فلم يفارقه حتى قضى حاجته.

يبحث عبد الملك على الخروج لمحاربة ابن الزبير

قال محمد بن حبيب: دخل أعشى بني أبي ربيعة^(٣) على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يجد، فقال له: يا أمير المؤمنين، مالي أراك مُتَلَوِّماً يُنْهَضُكَ الحَزْمُ وَيُقْعِدُكَ العَزْمُ، وتَهْمُ بالإقدام وتَجْنَحُ إلى الإحجام، انقُذْ لبصيرتك / وأمضِ رَأْيَكَ، وتوجَّهْ إلى عَدُوِّكَ، فجذَّكَ مُقْبِلٌ، وجذَّه مُدْبِرٌ، وأصحابه له [١٣٤/١٨] ما قُتُونُ، ونحن لك مُحِبُّونَ، وكلَّمْتُهُمْ مُفْتَرِّقَةً، وكَلِمَتُنَا عَلَيْكَ مُجْتَمِعَةٌ، والله ما تُؤْتَى من ضَعْفِ جَنَانٍ، ولا قِلَّةِ أَعْوَانٍ، ولا يُبْطَلُكَ عنه ناصح، ولا يُحَرِّضُكَ عليه غاشٌّ، وقد قلتُ في ذلك أحياناً فقال: هاتِها، فإنك تنطق بلسان ودود وقلِّب ناصح، فقال:

أَلْ الزُّبَيْرُ مِنَ الْخِلَافَةِ كَأَنِّي عَجَلَ النَّجَاحُ بِحَمْلِهَا فَأَحَالَهَا
أَوْ كَالضُّعَافِ مِنَ الْحَمُولَةِ حُمِّلَتْ مَا لَا تُطِيقُ فَضَيَّعَتْ أَحْمَالَهَا
قُومُوا إِلَيْهِمْ لَا تَنَامُوا عَنْهُمْ كَمْ لِلْغُسَاوَةِ أَطْشَمُوا إِمْنَهَا^(٤)
إِنَّ الْخِلَافَةَ فَيَكُومُ لَا فِيهِمْ مَا زِلْتُمْ أَرْكَانَهَا وَثَمَالَهَا^(٥)
أَمَسُوا عَلَى الْخَيْرَاتِ قَفْلاً مَغْلَقاً^(٦) فَانْهَضْ بِمَنْكَ فَافْتَحْ أَقْفَالَهَا

فضحك عبد الملك، وقال: صدقت يا أبا عبد الله، إنَّ أبا حُبيِّبٍ لَقُفْلٌ دُونَ كُلِّ خَيْرٍ، وَلَا تَتَأَخَّرُ عَنْ مُنَاجَزَتِهِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ، وَأَمْرٌ لَهُ بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ.

جفاء الحجاج ثم سر بكلامه

/ قال ابن حبيب: كان الحجاج قد جفا الأعشى وأطرحه لِحَالَةٍ كَانَتْ عِنْدَ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ، فَلَمَّا فَرَّغَ الْحَجَّاجُ ^{١٦٢}/_{١٦} مِنْ حَرْبِ الْجَمَاجِمِ ذَكَرَ فِتْنَةَ ابْنِ الْأَشْعَثِ، وَجَعَلَ يُوَيْخُ أَهْلَ الْعِرَاقِ، وَيُؤْتِيهِمْ، فَقَالَ مَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ: إِنَّ الرِّيبَ وَالْفِتْنَةَ بَدَأَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ خَلَعَ الطَّاعَةَ وَجَاهَرَ بِالْمَعْصِيَةِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: لَا، بَلْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْمَعْصِيَةَ مَعَ جَرِيرِ بْنِ هَمِيَانَ السَّدُوسِيِّ، إِذْ جَاءَ مُخَالَفاً مِنَ السُّنْدِ^(٧). وَأَكْثَرُوا مِنْ ذَلِكَ، فَقَامَ

(١) في ف: وشدة الباب.

(٢) في ب: «... ولا تكن من كلام الناس هياباً».

(٣) في أ، ف: «أعشى بني ربيعة»، ويقال له أعشى بني ربيعة نسبة إلى ربيعة بن نزار، وأعشى بني أبي ربيعة نسبة إلى أبي ربيعة بن ذهل بن شيان.

(٤) في ف: إهمالها.

(٥) ثمالها: غيائها.

(٦) في ف: موثقاً.

(٧) في ب: «إذ جاء من الهند».

[١٣٥/١٨] أعشى بني أبي ربيعة، فقال: أصلح الله الأمير / لا براءة من ذنب، ولا ادعاء على الله في عصمة لأحد من المضرين، قد والله اجتهدوا جميعاً في قتالك، فأبى الله إلا نصرَكَ؛ ذلك أنهم جَزَعُوا وصَبَرَتْ، وكَفَرُوا وشَكَرَتْ، وغَفَرَتْ إذ قَدَرَتْ، فَوَسَّعَهُمْ عَفْوُ الله وَعَفْوُكَ فَنَجَّوْا، فلولا ذلك لبادوا وهلكوا، فسرَّ الحجاج بكلامه وقال له جميلاً، وقال: تهيأاً للوفادة إلى أمير المؤمنين حتى يسمع هذا منك شفاهاً، انتهى.

اعتذاره للحجاج من رثائه عبد الله بن الجارود

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: بلغ الحجاج أن أعشى بني أبي ربيعة رثى عبد الله بن الجارود، فغضب عليه، فقال يعتذر إليه:

أبيتُ كَأَنِّي من حِذارِ ابنِ يُوسُفَ	طَرِيدُ دَمٍ ضاقتُ عليه المَسالكُ
ولو غَيْرُ حَجَّاجٍ أرادَ ظِلَامَتِي	حَمَتْنِي من الضَّيْمِ الشَّيْوَفِ القَوَاتِكُ
وفَتِيانُ صِدْقٍ من ربيعة قُصْرَةٌ	إذا اختلفت يومَ اللِّقاءِ النِّيازُكُ ^(١)
يُحامونَ عن أحسابِهِم بِسُوفِهِم	وأراحِهِم واليومُ أسودُ حالِكُ

مدحه عبد الملك بن مروان

أخبرني أبو الحسن الأسدي، قال: حدثني أحمد بن عبد الله بن علي^(٢) بن سويد بن منجوف، عن ابن مؤرج، عن أبيه، قال:

دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك بن مروان، فأنشده قوله:

رَأَيْتُكَ أَمْسَ خَيْرَ بَنِي مَعْدُ	وَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرُ مَنْكَ أَمْسَ
وَأَنْتَ غَدًا تَزِيدُ الضَّعْفَ ضِعْفًا	كَذَاكَ تَزِيدُ سَادَةَ عَبْدِ شَمْسٍ ^(٣)

[١٣٦/١٨] / فقال له: من أي بني أبي ربيعة أنت؟ قال: فقلتُ له: من بني أُمَامَةَ، قال: فَإِنَّ أُمَامَةَ وَلَدُ^(٤) رجلين: قيساً وحارثة، فأحدهما نَجَم، والآخر حَمَل. فمن أيهما أنت؟ قال: قلتُ: أنا من وَلَدِ حارثة، وهو الذي كانت بكر بن وائل تَوَجَّهَتْ، قال: فقام بِمُخَصَّرَةٍ^(٥) في يده، فَعَمَزَ بها في بطني، ثم قال: يا أخا بني أبي ربيعة هُمُوا ولم يفعلوا، فإذا حدثتني فلا تكذبني، فجعلتُ له عهداً ألا أحدثُ قُرَشِيًّا بكذبٍ أبداً.

مدحه أسماء بن خارجة

أخبرني عتي، قال: حدثنا ابن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن الهيثم السلمي^(٦)، قال: حدثني أبو فراس محمد بن فراس، عن الكلبي، قال:

(١) يقال: فلان ابن عمه قصرة، أي قريب. والنيازك: الرماح القصيرة.

(٢) في ب: «حدثني عبد الله بن علي».

(٣) في «المؤتلف والمختلف» ١٠: «وأنت غداً تزيد الضعف خيراً». وبعده:

وتساج الملك ليس يزال فيهم يُحَوَّلُ فـ فوق رأس كـ ل رأس

(٤) ف: ولدت رجلين.

(٥) المخصرة: ما يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب والخطيب إذا خطب.

(٦) في هب، ب: الشامي.

أتى أعشى بني أبي ربيعة أسماء بن خارجة فامتدحه فأعطاه وكساه، فقال:

لأسماءُ بنُ خارجة بنِ حِصْنٍ على عِيبِ الثَّوائبِ والغِرامَةِ
أَقْلُ تَعْلَلًا يَومًا وَبُخْلًا على السُّؤالِ من كَفَبِ بنِ مامَةِ
ومَصْقَلَةُ الَّذِي يَتَّعِاعُ يَتَّعِاعًا رَبيحاً فوق نَاجية بنِ سامَةِ
قال الكلبي: جعل ناجية رجلاً وهي امرأة؛ لضرورة الشعر.

مدحه سليمان بن عبد الملك

قال أبو فراس: فحدثني / الكلبي، عن خدش، قال:

دخل أعشى بني أبي ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو ولي عهد فقال:

أَتَيْنَا سُلَيْمَانَ الْأَمِيرَ نَزْوِرُهُ وَكَانَ أَمْرًا يُحْبَى^(١) وَيُكْرَمُ زَائِرُهُ
/ إِذَا كُنْتَ فِي التَّجْوَى بِهِ مُتَقَرِّدًا فَلَا الْجُودُ مُخْلِيَهُ وَلَا الْبُخْلُ حَاضِرُهُ^(٢)
كَلَّا شَافَعَنِي^(٣) سُؤَالُهُ مِنْ ضَمِيرِهِ عَلَى الْبُخْلِ نَاهِيَهُ وَبِالْجُودِ أَمْرُهُ^(٤)
فأعطاه وأكرمه وأمر كلَّ مَنْ كان بحضرته من قومه ومواليه بِصِلَتِهِ، فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه.

/ دعوت

نَأْتِكَ أُمَامَةً إِلَّا سُؤَالًا وَلَا خِيَالًا يُوَافِي خِيَالًا
يُوَافِي مع الليل مِعَادُهَا وَيَأْبَى مع الصُّبْحِ إِلَّا زِيَالًا
فَذَلِكَ يَبْذُلُ مِنْ وُدِّهَا وَلَوْ شَهِدْتَ لَمْ تُؤَاتِ الثَّوَالًا
فَقَدْ رِيحَ قَلْبِي إِذْ أَعْلَنُوا وَقِيلَ أَجْدُ الْخَلِيطُ اخْتِمَالًا^(٥)

الشعر لعمرو بن قميصة، والغناء لحنين خفيف رمل بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكي، وذكر الهشامي وغيره أنه من متحول يحيى إلى حنين.

(١) ف: يحيا.

(٢) في هب: ناصره.

(٣) في ب، س: فلا شافعي.

(٤) في شرح «ديوان الحماسة» ٤ - ٢٨٧: «عن الجهل ناهيه وبالعلم أمره».

(٥) في ب، س: الزيال.

/ أخبار عمرو بن قميئة ونسبه

نسبه

هو فيما ذكر أبو عمرو الشيباني، عن أبي بَرَزَةَ: عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

قال ابن الكلبي: ليس من العرب مَنْ له وَلَدٌ، كُلُّ واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها غير ثعلبة بن عكابة، فإنه وَلَدٌ أَرْبَعَةٌ كُلُّ واحد منهم قَبِيلَةٌ: شيبان بن ثعلبة، وهو أبو قبيلة، وقيس بن ثعلبة، وهو أبو قبيلة، ودُهل بن ثعلبة وهو أبو قبيلة، ^(١) وتيم الله بن ثعلبة وهو أبو قبيلة.

وكان عمرو بن قميئة من قُدماء الشعراء في الجاهلية، ويُقال: إنه أَوَّلُ مَنْ قال الشعر من نزار، وهو أقدم من امرئ القيس، ولقيه امرؤ القيس في آخر عُمره فأخرجه معه إلى قيصر لَمَّا توجه إليه فمات معه في طريقه، وسَمَّته العربُ عُمراً الضائع لموته في غربة وفي غير أَرَبٍ ولا مَطْلَبٍ.

بعض صفاته

نسختُ خبره من رِوَايَتِي أَبِي عمرو الشيباني، ومؤرِّج، وأخبرني ببغضه الحسن بن علي، عن أبيه، عن ابن أبي سعد، عن ابن الكلبي، فذكرت ذلك في مواضعه، ونسبته إلى رُواته، قالوا جميعاً:

كان عمرو بن قميئة شاعراً فحلاً مُتَقَدِّماً، وكان شاباً جميلاً حَسَنَ الوجه مَدِيدَ القامة حسن المَعْرِ ^(٢)، ومات أبوه وخلفه صغيراً، فكفَّله عُمُّه مَرْثَدُ بْنُ سَعْدٍ، / وكانت سَبَابَتَا قَدَمَيْهِ وَوُسْطَاهُمَا مُلْتَصِقَتَيْنِ، وكان عُمُّه ^(٣) مُحِبًّا له مُعْجَبًا به، رقيقاً عليه.

مراودة امرأة عمه له وامتناعه عليها

وأخبرني عَمِّي قال: حَدَّثَنَا الْكُرَانِيُّ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو عمر العُمَرِيُّ، عن لَقِيط، وذكر مثل ذلك سائر الرواة: أَنَّ مَرْثَدَ بْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ عَمَّ عمرو بن قميئة كانت عنده امرأة ذات جمال، فهَوِيَتْ عَمراً وشَغِفَتْ به، ولم تُظْهِرْ له ذلك، فغاب مَرْثَدُ / لبعض أمره - وقال لَقِيط في خبره: مضى يَضْرِبُ بِالْقِدَاحِ - فَبَعَثَتْ امرأته إلى عمرو تدعوه على لسان عَمِّه، وقالت للرَّسُولِ: ائْتِنِي به من وَرَاءِ الْبُيُوتِ، ففعل، فلما دَخَلَ أنكر شأنها، فوقف ساعة، ثم راودته عن نفسه، فقال: لقد جِئْتُ بأمر عظيم، وما كان مثلي لِيُدْعَى لِمِثْلِ هذا، والله لو لم أمتنع من ذلك وفاءً

(١ - ١) تكملة من ف، هب، «مختار الأغاني».

(٢) في هب، ب: الشعرة.

(٣) في ب: حيه.

لأمتنعن منه خوف الدَّناءة والذُّكر القبيح الشائع عني في العرب، قالت: والله لتفعلن أو لأسوأئك، قال: إلى المساء تذهبتني. ثم قام فخرج من عندها، وخافت أن يُخبر عمه بما جرى، فأمرت بجفنة فكفنت على أثر عمرو، فلما رجع عمه وجدها متغضبة، فقال لها: ما لك؟ قالت: إن رجلاً من قومك قريب القرابة، جاء يستأمني نفسي ويُرِيد فراشك منذ خرجت، قال: مَنْ هو؟ قالت: أما أنا فلا أسميه، ولكن قُمْ فافتقد أثره تحت الجفنة، فلما رأى الأثر عرفه.

هروبه من عمه إلى الحيرة

قال مؤرِّج في خبره: فحدثني أبو بَرَزَة وعلقمة بنُ سعد وغيرهما من بني قيس بن ثعلبة، قالوا:

وكان لمرثد سيفٌ يُسمى ذا الفقار، فأتى ليضربه به، فهرب فأتى الحيرة، فكان عند اللخمين ولم يكن يقوى على بني مرثد لكثرتهم، وقال لعمر بن هند: إن القوم اطردوني، فقال له: ما فعلوا إلا وقد أجزمت، وأنا أفحص / عن أمرك، فإن كنت مجرماً ما رددتُك إلى قومك، فغضب وهم بهجائه وهجاء مرثد، ثم أعرض عن ذلك، ومدح [١٨/١٤١] عمه واعتذر إليه، انتهى.

وأما أبو عمرو فإنه قال:

لما سمع مرثد بذلك، هجر عمراً وأعرض عنه، ولم يُعاقبه^(١) لموضعه من قلبه، فقال عمرو يعتذر إلى عمه:

خليلي لا تستعجلاً أن تزودا
فما ليبي يوماً بسائق مغنم
وإن تنظراني^(٢) اليوم أقض لبانة
لعمرك ما نفسٌ بجذ رشيدة
وإن ظهرت مني فسوارص جمّة
على غير جرم أن أكون جنيثه
لعمري لنعم المرأة تدعو بخيله^(٣)
عظيم رماد القذر لا متعبس
وإن صرخت كحل^(٤) وهبت عريّة
صبرت على وطء الموالى وخطبهم^(٥)
وأن تجمعاً شملبي وتنظراً غدا
ولا سرعتي يوماً بسائق مغنم^(٦)
وتستوجبا متاعاً عليّ وتحمدا
تؤامرني سوءاً^(٧) لأصرم مرثدا
وأفرغ من لؤمي مزاراً وأصعدا^(٨)
سوى قول باغ كاذبي فتجهدا
إذا ما المنادي في المقامة نددا
ولا مؤيس منها إذا هو أوقدا
من الريح لم تترك من المال مرفدا
إذا ضن ذو القربى عليهم وأخمدا

يعني أحمد ناره بخلاً، وروى: أجمداً. المجدد: البخيل.

(١) في ب: يعاقبه.

(٢) في ف: «فما كنت يوماً... ولا سرعتي يوماً بسابقة». وفي «الديوان»: «فما لبث يوماً بسابق مغنم... بسابقة الردى».

(٣) في ب: «وإن تنظرا في اليوم».

(٤) في ف، و«الديوان» ١١: سراً.

(٥) في ب: «وأفرغ من لؤمي»، تحريف.

(٦) في ب: بخلة، وفي «الديوان» ١١: تدعو بحيله.

(٧) كحل: السنة الشديدة المجدبة. وفي ف: عجل. والعريّة: الباردة. والمرفد: ما يعطى للضيف.

(٨) في هب: «وحطهم». وفي ف، بيروت، و«الديوان» ١٢: «وحطهم».

[١٤٢/١٨]

/ ولم يحم فرج الحَيِّ إلا مُحَافِظٌ / كريم المُحَيَّا ما جِدَّ غَيْرُ أَجْرَدَا^(١)
الأجْرَدُ: الجعد اليد البَخِيل.

حماد الراوية يرى أنه أشعر الناس

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدَّثني عمِّي الفضل بن إسحاق، عن الهيثم بن عدي، قال:
سأل رجلُ حمَّاداً الراوية بالبصرة وهو عند بلال بن أبي بُرْدة: مَنْ أشعرُ النَّاس؟ قال الذي يقول:
رَمَنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى / فَمَا بِأَلْ مَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ^(٢)
/ قال: والشعر لعَمْرُو بنِ قَمِيْثَة.

١٦٥
١٦

بلوغه التسعين وقوله في ذلك

قال علي بن الصباح في خبره، عن ابن الكلبي:
وعُمِّر ابنُ قَمِيْثَة تِسْعِينَ سَنَةً، فقال لَمَّا بَلَغَهَا:

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً / خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِنَانَ لِجَامِي^(٣)
عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْعَصَا / أَنُوءُ ثَلَاثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِي
رَمَنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى / فَمَا بِأَلْ مَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ!
فَلَوْ أَنَّ مَا أُرْمَى بَنَبَلٍ رَمَيْتُهَا / وَلَكِنَّمَا أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامٍ
إِذَا مَا رَأَيْتِ النَّاسُ قَالُوا: أَلَمْ يَكُنْ / حَدِيثًا جَدِيدَ الْبَرِي^(٤) غَيْرَ كِهَامٍ!
وَأَفَنِي وَمَا أَفَنِي مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً / وَلَمْ يُفْنِ مَا أَفْنَيْتُ سِلْكَ نِظَامٍ
وَأَهْلَكْنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ / وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامٍ

[١٤٣/١٨] / عبد الملك بن مروان يتمثل بشعره

أخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال حمَّادُ بنُ إسحاق: قرأتُ على أبي: حدَّثنا الهيثم بن عدي، عن
مجالد^(٥)، عن الشعبي قال:

دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَقُلْتُ: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ:
أَصْبَحْتُ كَمَا قَالَ عَمْرُو بْنُ قَمِيْثَة:

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً / خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِنَانَ لِجَامٍ
رَمَنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى / فَكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ!
فَلَوْ أَنَّهَا نَبَلٌ إِذَا لَا تَقِيْتُهَا / وَلَكِنَّمَا أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامٍ

(١) في «الديوان» - ١٢: «غير أجردا».

(٢) في «الديوان» - ٢٣، و«الشعر والشعراء»: «فكيف بمن يرمي وليس برام».

(٣) في «الديوان» - ٢٣: «خلعت بها يوماً عذار لجامي».

(٤) في ف، بيروت: «حديث البز». وفي «الديوان» - ٢٣: «جديد البز». والبز: السلاح.

(٥) في ب: مخلد.

وأهلكني تأمِئِلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وتأمِئِلُ عامٍ بعد ذاك وعامٍ
فقلتُ: لستَ كذلك يا أميرَ المؤمنين، ولكنك^(١) كما قال لييد:

قَامَتْ تَشَكِّي إِلَى الْمَوْتِ مُجْهِشَةً وقد حملتُك سَبْعاً بعد سَبْعِينَا
فإن تُزَادِي ثَلَاثاً تَبْلُغِي أَمَلاً وفي الثَّلَاثِ وَفَاءَ لِلثَّمَانِينَا
(٢) فعاش حتى بَلَغَ الثُّمَعِينَ، فقال:

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً خلعتُ بها عن مَنَكِبِي رِدَائِيَا
فعاش حتى بَلَغَ عَشْراً ومائة سنة، فقال:

أَلَيْسَ فِي مِائَةٍ قَدْ عَاشَهَا رَجُلٌ وفي تَكَامِلِ عَشْرِ بَعْدَهَا عِبرٌ^(٣)
فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين سنة، فقال:

وَعَيْنْتُ سَبْتاً قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ^(٤) لو كان لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودٌ

/ ويروى: «ذَهَرْتُ قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ»، فعاش حتى بلغ مائة وأربعين سنة، فقال:

وَلَقَدْ سَتِمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَسُؤَالِ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لَيْدٌ؟

فَتَبَسَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ: لَقَدْ قَوَّيْتُ مِنْ نَفْسِي بِقَوْلِكَ يَا عَامِرُ، وَإِنِّي لَأَجِدُ خِفَةً^(٥) وما بي من بَأْسٍ وأمرٍ لي
بصلة، وقال لي: اجلس يا شُعْبِي فَحَدِّثْنِي مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّيْلِ، فجلستُ فحدثته حتى أُمْسَيْتُ، وخرجتُ من عنده،
فما أصبحتُ حتى سَمِعْتُ الْوَاعِيَةَ^(٥) فِي دَارِهِ.

خروجه مع امرئ القيس إلى قيصر

أخبرني عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَهْمَانَ السُّلَمِي، عَنْ
إِسْحَاقَ بْنِ مِرَارِ الشَّيْبَانِي، قَالَ:

نَزَلَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ حُجْرٍ بِبَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، وَضَرَبَ قُبَّةً، وَجَلَسَ إِلَيْهِ وَجُوهُ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ
أَحَدٌ يَقُولُ الشُّعْرَ؟ فَقَالُوا: مَا فِينَا / شَاعِرٌ إِلَّا شَيْخٌ قَدْ خَلَا مِنْ عَمْرِهِ وَكِبَرٍ، قَالَ: فَأَتُونِي بِهِ، فَأَتَوْهُ بَعْمَرُ بْنُ قَمِيئَةَ^{١٦٦}
وَهُوَ شَيْخٌ، فَأَنْشَدَهُ فَأَعْجَبَ بِهِ، فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ، وَإِيَّاهُ عَنِ امْرُؤِ الْقَيْسِ بِقَوْلِهِ:

بَنَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيُّقُنُ أَنَّ لَاحِقَانِ بَقِيَصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَبْكُ عَيْنُكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتُ فَتُنْذَرَا

وَقَالَ مَوْجُجٌ فِي هَذَا الْخَبَرِ: إِنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ قَمِيئَةَ فِي سَفَرِهِ: أَلَا تَرْكَبُ إِلَى الصَّيْدِ؟ فَقَالَ

عَمْرُو:

(١) في ب: وهذا.

(٢) - ٢) التكملة من ف، هب، وهي ساقطة من ب.

(٣) في ف: «وصلت سبتاً بعد مجرى داحس».

(٤) في ب: «لا أجد خفا».

(٥) الواعية: الصراخ.

شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنَّنِي ذُو جَلَالَةٍ وَأَنْنِي كَبِيرٌ ذُو عِيَالٍ مُجْتَنِبٌ^(١)
فَقَالَ لَنَا: أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا إِذَا سَرَّكُمْ لَحْمٌ مِنَ الْوَحْشِ فَارْكَبُوا

[١٤٥/١٨]

الهجاء

يَا أَحَ مِنْ حَرِّ الْهَوَىٰ إِنَّمَا يَعْرِفُ حَرَّ الْحُبِّ مَنْ جَرَّبَا
أَصْبَحْتُ لِلْحُبِّ أَسِيرًا فَقَدْ صَعَّدَنِي الْحُبُّ وَقَدْ صَوَّبَا
لَا شَكَّ أَنِّي مَيِّتٌ حَنَرَةً إِنْ لَمْ أَزُرْ قَبْلَ غَدٍ زَيْنَبَا
تِلْكَ الَّتِي إِنْ نِلْتَهَا لَمْ أَبْلُ مَنْ شَرَّقَ الدَّهْرَ أَوْ غَرَّبَا^(٢)

الشعر للمؤمل بن جميل^(٣) بن يحيى بن أبي حفصة بن عمرو بن مزوان بن أبي حفصة، والغناء لابن جامع رمل بالوسطى، عن إبراهيم والهشامي.



مركز تحقيقات كتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

(١) في «الديوان» - ٦٥: ذو خلافة. والجلالة: عظم القدر. والخلالة: الصداقة المختصة التي ليس فيها خلل. وجنب القوم: انقطعت ألبانهم وقلت فهم مجنون. وهو مجنب: فقير.

(٢) في ف: ومن غزبا.

(٣) في ف: المؤمل بن حميد بن يحيى...

[١٤٦/١٨]

/ أخبار المؤمل بن جميل

كان أبوه جميل يلقب قتيل الهوى

قد مضى نسب أبي حفصة في أخبار مروان، وكان يخفى بن أبي حفصة يكنى أبا جميل. والمؤمل بن جميل يكنى أبا جميل. وأم جميل أميرة بنت زياد بن هوزة بن شماس بن لؤي من بني أنف الناقة الذين يمدحهم الحطية. وأم المؤمل شريفة بنت المذلق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري، وكان جميل يلقب قتيل الهوى، ولقب بذلك لقوله:

قلن: من ذا؟ فقلت: هذا اليماني قتيل الهوى أبو الخطاب
قلن: بالله أنت ذاك يقيناً لا تقل قول مازح لعاب
إن تكن أنت هوف أنت منانا خيالاً كنت أو مع الأصحاب

أخبار له مع غلامه المطرز

أخبرني بذلك يحيى بن علي، إجازة عن محمد بن إدريس بن سليمان، عن أبيه، وحكى أبو أحمد - رحمه الله - عن محمد بهذا الإسناد:

أن أبا جميل اشترى غلاماً مدنيّاً مُغنياً مجلوباً من مولدي^(١) السند على البراءة من كل عيب، يقال له المطرز، فدعا أصحاباً له ذات يوم، ودعا شيخين من أهل الإمامة مُغنيين، يقال لأحدهما السائب وللآخر شعبة، فلما أخذ القوم مجلسهم ومعهما المطرز اندفع الشيخان فغنياً، فقال المطرز لأبي جميل مولاه: ويلك يا أبا جميل يابن الزانية، أتدري ما فعلت ومن عندك؟ فقال له: ويلك! أجننت! ما لك! قال: أما أنا فأشهد أنك تأمن مكر الله حين أدخلت منزلك هذين.

قال: وبعثه يوماً يدعو أصدقاء له، فوجدهم عند رجل من أهل الإمامة / يقال له بهلول، وهو في بستان له، [١٤٧/١٨] فقال لهم: مولاي / أبو جميل قد أرسلني أَدْعوكم، وقد بلغكم رسالته، وإن شاورتموني أشرت عليكم، فقالوا: ١٦٧ أشر علينا، قال: أرى ألا تذهبوا إليه، فمجلسكم والله أنزه من مجلسه وأحسن، فقالوا له: قد أطفئناك، قال: وأخرى، قالوا: وما هي؟ قال: تحلفون علي ألا أبرح، ففعلوا، فأقام عندهم.

وغضب عليه أبو جميل يوماً فبطّحه بضربه وهو يقول: ويلك أبا جميل! اتق الله فيّ، الله الله في أمري، أما علمت ويلك خبري قبل أن تشتريني! قال: وكان يبعثه إلى بئر لهم عذبة في بستان له يسقي منها لهم ماء، فكان يستقيه ثم يصبّه لجيران لهم في حيّهم، ثم يستقي مكانه من بئر لهم غليظة، فإذا أنكر مولاه قال له: سل الغلمان إذا أتيت البستان: هل استقيت منه؟ فيسألهم فيجده صادقاً.

(١) في ب: موالي. ومجلوباً من جلبه جلباً: ساقه من موضع إلى آخر، فهو مجلوب.

انقطاعه إلى جعفر بن سليمان ثم عبد الله بن مالك

حدّثنا يحيى بن محمد بن إدريس، عن أبيه:

أنّ يحيى بن أبي حفصة زوج ابنه جَمِيلاً شَريفة بنت المُدَلّق بن الوليد بن طلحة بن قيس بن عاصم، فولدت له المؤمّل بن جميل، وكان شاعراً ظريفاً غزلاً، وكان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان بالمدينة، ثم قدِم العراق فكان مع عبد الله بن مالك، وذكره للمهديّ فحظيَ عنده، وهو الذي يقول في شكَاة اشتكاها عبد الله بن مالك:

ظَلَمْتُ عَلَى الْأَرْضِ مُظْلَمَةً إِذْ قِيلَ عَبْدُ اللَّهِ قَدْ وُعِكَا
يَا لَيْتَ مَا بَكَ بِي وَإِنْ تَلَفْتُ نَفْسِي لِذَاكَ وَقُلْ ذَاكَ لَكَ
وهو الذي يقول:

يَا أَحْ مِنْ حَرِّ الْهَوَى إِنَّمَا يَعْرِفُ حَرَّ الْحُبِّ مَنْ جَرَّبَا
وذكرَ الأبيات التي تقدم ذكرها والغناء فيها.

القصيدة

[١٤٨/١٨]

إِنِّي وَهَبْتُ لظَالِمِي ظُلْمِي وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِ
مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ حَتَّى رَأَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ
الشعر لمساور الوراق، والغناء لإبراهيم بن أبي العيس، ثاني ثقل بالوسطى، أخبرني بذلك دُكَّاء وغيره.

[١٤٩/١٨]

/ أخبار مساور ونسبه

نسبه

هو مساور بن سوار بن عبد الحميد، من آل قيس بن عيلان بن مضر، ويقال: إنه مولى خويلد من عدوان^(١) كوفي قليل الشعر من أصحاب الحديث ورواته، وقد روى عن صذر من التابعين، وروى عنه وجوه أصحاب الحديث.

أخبرني علي بن طيفور بن غالب النسائي قال: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، قال: حدثنا حماد بن أسامة، عن مساور الزرقاء، قال: حدثني جعفر بن عمرو بن حرث، عن أبيه، قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ وهو على ناقته يخطب، وعليه عمامة سوداء، قد أرخاها بين كتفيه.

خبره مع ابن أبي ليلى

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد، قال: أخبرنا الأشناداني، عن الأصمعي، قال: كان قوم يجلسون إلى ابن أبي ليلى، فكتب قوماً منهم لعيسى بن موسى، وأشار^(٢) عليه أن يشغلهم ويصلهم، / فأتى مساور الزرقاء، فكلّمه أن يجعله فيهم فلم يفعل، فأنشأ يقول:

١٦٨
١٦

أراك تُشير بأهل الصلاح	فهل لك في الشاعر المُسلم
كثير العيال قليل السوا	ل عَفْ مطاعمه مُغْدِم ^(٣)
يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة	وقد خلّق العام بالمؤسّم
وأصبح والله في قوميه	وأمسى وليس بذئ ذرهم

قال: فقال ابن أبي ليلى: لا حاجة لنا فيه، فقال فيه مساور أبياتاً، قال أبو بكر بن دُرَيْد: كَرِهنا ذكراها صيانة لابن أبي ليلى.

/ هجا حفص بن أبي بردة لأنه عاب شعراً للمرقش الأكبر

أخبرني محمد قال: حدثني التّوّزي^(٤) قال:

كان مساور الزرقاء، وحماد عجرد، وحفص بن أبي بردة مجتمعين، فجعل حفص يعيب شعر المرقش الأكبر، فأقبل عليه مساور فقال:

(١) في ب، بيروت: عدنان.

(٢) في ب: وأشاروا.

(٣) سقط هذا البيت من ف.

(٤) ف: «حدثنا الأشناداني قال حدثنا ابن أبي ليلى».

لقد كان في عيَّيك يا حفصُ شاغل
تَبَكَّعتُ لحناً في كلام مُرقش
فقام حفص من المجلس خَجلاً، وهاجره مدة.

وصيته لابنه

نَسَخْتُ من كتاب عُبيد الله اليزيدي بخطه: حَدَّثَنَا سليمانُ بن أبي شَيْخٍ، قال: كان مُساورُ الورَّاق من جَدِيلَةِ قَيْسٍ، ثم من عَدَوانٍ، مولَى لهم، فقال لابنه يوصيه:

شَمُّرُ ثِيَابِكَ واستَعِذْ لقائِلِ
إِنَّ العُهودَ صَفَّتْ لكل مُشْمَرِ
أَحْسِنْ وصاحبَ كُلِّ قارِ ناسِكَ
من ضَرْبِ حَمَادٍ هُنَاكَ وَمَشْعَرِ
وعليك بِالغَنَوِيِّ فاجْلِسْ عنده
تَغْنِيكَ عن طلبِ اليُيُوعِ نَيْسِنَةُ
وإذا دخلت على الرَّيِّعِ مُسَلِّماً
واحْكُكْ جَبِينَكَ للعُهودِ بِشُومِ
دَبِّرِ الجَبِينِ مُصَفِّراً مَوْسُومِ
حَسِّنِ التَّعَهُدَ للصَّلَاةِ صَوُومِ
وَسِمَّاكَ العَتَكِيِّ وابْنِ حَكِيمِ
حتى تُصِيبَ وَدِيعَةَ لَيْتِيمِ^(١)
وتكفَّ عَنْكَ لسانَ كُلِّ غَرِيمِ
فاخْضُصْ شَبَابَةَ مَنْكَ بالتَّسْلِيمِ

ولاه عيسى بن موسى عملاً فانكسر عليه الخراج

قال: ففعل ما أوصاه به أبوه، فلم يلبث مُساورُ أن ولَّاه عيسى بن موسى عملاً، ودفع إليه عهده، فانكسر عليه الخراج، فدفع إلى بَطِينٍ صاحبِ عذابِ عيسى يَشْتَادِيهِ، فقال مُساورُ:

/ وجدت دواهِرَ^(٢) البَقَّالِ أَهْنَى
وخيَراً في العَوَاقِبِ حينَ تُبْلِي
فَكُنْ يا ذا المُطِيفِ بقاضِيِنَا
وقُلْ لهما إذا عَرَضَا^(٣) بَعْهَدِ:
فإنَّكَ طالما بَهَرَجْتَ فيها
من الفَرَنْيِ^(٤) وَالْجَزْدِي السَّمِينِ
إذا كانَ المَرْدُ إلى بَطِينِ
غداً من عِلْمِ ذاكِ على يَقِينِ
بَسَرْتُ إلى عُرَيْنَةٍ من عَرِينِ
بمثلِ الخُنْفُسَاءِ على الجَنِينِ

مرَّ بمقبرة صديقه حميد الطوسي وقال في ذلك شعراً

أخبرني الحسن بن عليٍّ، قال: حَدَّثَنَا محمد بن موسى بن حماد، قال:

مرَّ مُساورُ الورَّاق بمقبرة حَمِيدِ الطوسي وكان له صديقاً، فوقف عليها مُستَعْبِراً، وأنشأ يقول:
أبا غانِمٍ أَمَا ذَرَاكَ فَوَاسِعُ
وقَبْرُكَ مَعْمُورُ الجَوَانِبِ مُخَكَّمُ

(١) الثيل: وعاء قضيب البعير، والعود: المسن من الإبل. وفي ف: «كمثل العود».

(٢) في ب: لتميم.

(٣) في هب: نواقص. وفي ف: نواقض. والدواهر: الشدائد. والفرني: نوع من الخبز يعجن بالسمن والسكر.

(٤) الفرني جمع فرنية، وهي خبزة تروى لبناً وسمناً وسكراً.

(٥) في ف: اعتراضاً.

/ وما يَنْفَعُ المَقْبُورَ عُمْرَانُ قَبْرِهِ إِذَا كَانَ فِيهِ جِسْمُهُ يَتَهَلَّلُ

شعر له في أصحاب أبي حنيفة

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَنَسَخْتُ هَذَا الْخَبَرَ أَيْضاً مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ: أَنَّ حَامِدَ بْنَ يَحْيَى الْبَلْخِي^(١)، حَدَّثَ عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ أَيْضاً، قَالَ:

لَمَّا سَمِعَ مُسَاوِرُ الْوَرَّاقُ لَفْظَ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَصِيَّاحِهِمْ أَنْشَأَ يَقُولُ:

كُنَّا مِنَ الدِّينِ قَبْلَ الْيَوْمِ فِي سَعَةٍ حَتَّى بُلِينَا بِأَصْحَابِ الْمَقَابِسِ
قَوْمٌ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَجُّوا كَأَنَّهُمْ ثَعَالِبٌ ضَبَحَتْ بَيْنَ النَّوَابِسِ^(٢)

/ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا حَنِيفَةَ وَأَصْحَابَهُ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ وَتَوَعَّدُوهُ، فَقَالَ أَيْبَاتاً تُرَضِّيهِمْ وَهِيَ: [١٥٢/١٨]

إِذَا مَا النَّاسُ يَوْمًا قَاسُونَا بِأَبْدَةٍ مِنَ الْفُتَيَا ظَرِيفَةٍ
أَتَيْنَاهُمْ بِمِقْيَاسِ ظَرِيفٍ^(٣) مُصِيبٍ مِنْ قِيَاسِ أَبِي حَنِيفَةٍ
إِذَا سَمِعَ الْفَقِيهَ بِهَا وَعَاَهَا وَأَثْبَتَهَا بِجَبْرِ فِي صَحِيفَةٍ

فَبَلَغَ أَبَا حَنِيفَةَ فَرَضِي. قَالَ مُسَاوِرٌ: ثُمَّ دُعِينَا إِلَى وَلِيْمَةٍ بِالْكُوفَةِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ، فَدَخَلْتُ فَلَمْ أَجِدْ لِرَجُلِي مَوْضِعاً مِنَ الزَّحَامِ، وَإِذَا أَبُو حَنِيفَةَ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ: إِلَيَّ يَا مُسَاوِرُ، فَجِئْتُ فَإِذَا مَكَانٌ وَاسِعٌ، وَقَالَ لِي: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: نَفَعَتْنِي أَيْبَاتِي الْيَوْمَ. قَالَ: وَكَانَ إِذَا رَأَى بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لِي: هَا هُنَا، هَا هُنَا، وَيُوسِّعُ لِي إِلَى جَنْبِهِ، وَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْفَهْمِ، انْتَهَى.

حفظ حقوق جيرانه ولكنهم ضيعوا حقه فهجاهم

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دُرَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْمُعَمَّرِ عَبْدِ الْأَوَّلِ بْنُ مَزِيدٍ، أَحَدَ بَنِي أَنْفِ النَّاقَةِ، قَالَ: كَانَ مُسَاوِرُ الْوَرَّاقِ لَا يُضَيِّعُ حَقًّا لَجَارٍ لَهُ، فَمَاتَتْ بَنَتُهُ، فَلَمْ يَشْهَدْهَا مِنْ جِيرَانِهِ إِلَّا نَفَرًا يَسِيرًا، فَقَالَ مُسَاوِرٌ فِي ذَلِكَ:

تَغَيَّبَ عَنِّي كُلُّ جَافٍ ضَرُورَةً وَكَلَّ طُفْلِي مِنَ الْقَوْمِ عَاجِزٍ
سَرِيعٍ إِذَا يُدْعَى لِيَوْمٍ وَلِيْمَةٍ بَطِيءٍ إِذَا مَا كَانَ حَمْلُ الْجَنَائِزِ

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَوَّلِ، قَالَ:

قَدِمَ جَارٌ لِمُسَاوِرِ الْوَرَّاقِ مِنْ سَفَرٍ، فَجَاءَهُ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا جَارِيَّةَ، هَاتِي لِأَبِي الْقَاسِمِ غَدَاءً، فَجَاءَتْ بِرَغِيْقٍ فَوَضَعَتْهُ عَلَى الْخُوانِ، فَمَدَّ يَدَهُ يَأْكُلُ مَعَ مُسَاوِرٍ، / وَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، كُلْ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ، فَمَا أَكَلْتُ [٥٣/١٨] خُبْزاً أَطْيَبَ مِنْهُ، فَقَالَ مُسَاوِرٌ فِي ذَلِكَ:

(١) أ، ب، س: «بن أبي يحيى»، والمثبت من ف.

(٢) ضبحت الثعالب: صوتت. والنوابس: القبور، وفي «المختار»: «ثعالب ضبحت».

(٣) في ف: صليب.

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الخُبْرَ فاكهةٌ حتَّى رأيتُكَ يَساً وَجْهَ الطَّبْرِزِينِ^(١)
 كأنَّ لِحْيَتَهُ فِي وَجْهِهِ ذَنْبٌ أو شِعْرَةً فَوْقَ بَظَرٍ غَيْرِ مَخْتُونِ
 يعودُ أبا العيصِ الجرمي ويستمع منه شعراً في مرض موته

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ، عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ: دَخَلَ مُسَاوِرُ الْوَرَّاقِ عَلَى أَبِي الْعَيْصِ الْجَرْمِيِّ يَعُودُهُ وَكَانَ صَدِيقَهُ، فَكَلَّمَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَبَكَى مُسَاوِرٌ جَزَعاً عَلَيْهِ، وَأَذْنَى رَأْسَهُ مِنْهُ يَكَلِّمُهُ، فَقَالَ أَبُو الْعَيْصِ:

أفني كلَّ عامٍ مَرَضَةً بَعْدَ نَقْهَةٍ^(٢) وَتَنْعَى وَلَا تُنْعَى مَتَى ذَا إِلَى مَتَى
 سِيُوشِكُ يَوْمٌ أَنْ يَجِيءَ^(٣) وَلَيْلَةٌ يَسُوقَانِ حَتْفًا رَاحَ نَحْوُكَ أَوْ غَدًا
 / فَتُمْسِي صَرِيحاً لَا تُجِيبُ لَدَعْوَةٍ وَلَا تَسْمَعُ الدَّاعِيَ وَإِنْ جَدَّ فِي الدُّعَا^(٤)
 ثم لم يلبث أن مات، رحمه الله.

١٧٠
١٦

القصيدة

[١٥٤/١٨]

تَنَامِينٌ عَنِ لَيْلِي وَأَسْهَرُهُ وَخُدِي وَأَنْهَى جُفُونِي أَنْ تَبْكُ مَا عِنْدِي
 فَإِنْ كُنْتَ مَا تَذَرِينَ مَا قَدْ فَعَلْتَهُ بِنَا فَاَنْظُرِي مَاذَا عَلَى قَاتِلِ الْعَمْدِ
 الشعر لسعيد بن حميد الكاتب، والغناء لعريب خفيف ثقیل مُطلق بالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوُسْطَى.

(١) الطبرزين: آلة من السلاح تشبه القاس.

(٢) ف: ثم نقهة.

(٣) ف: يحين.

(٤) لم يرد هذا البيت في ف.

/ أخبار سعيد بن حميد ونسبه

[١٥٥/١٨]

 $\frac{2}{17}$

نسبه

(١) سعيد بن حميد بن سعيد بن حميد بن بحر، يكنى أبا عثمان^(١) من أولاد الذهاقين، وأصله من النهران الأوسط، وكان هو يقول: إِنَّهُ مَوْلَى بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ، من أهل بغداد، بها وَلِدَ وَنَشَأَ، ثم كان يَتَنَقَّلُ فِي الشُّكْنَى بَيْنَهَا وَبَيْنَ سُرٍّ مِنْ رَأَى.

كان كاتباً شاعراً

كاتب شاعر مُترسل، حسن الكلام فصيح، وكان أبوه وجهاً من وجوه المعتزلة، فخالف أحمد بن أبي دؤاد في بعض مذهبه، فأغرى به المعتصم، وقال: إِنَّهُ شُعْرِيٌّ زَنْدِيقٌ، فحبسه مدة طويلة، ثم بانت براءته له أو للوائق بعده، فخلّى سبيله، وكان شاعراً أيضاً، فكان يهجو أحمد بن أبي دؤاد، وأنشدنيها جماعة من أصحابنا، قال:

أبوه يهجو أحمد بن أبي دؤاد

لَقَدْ أَصْبَحْتَ تُنْسَبُ فِي إِيَادٍ بَلَّانُ يَكْنَى أَبُوكَ أَبَا دُؤَادٍ
فَلَوْ كَانَ اسْمُهُ عَمْرَوُ بْنُ مَغْدِي دُعِيَتْ إِلَى زَيْتٍ أَوْ مُرَادٍ
لَنُفْسِدْتَ بِالتَّخْوِيفِ عَيْشِي لَمَّا أَصْلَحْتَ أَصْلَكَ فِي إِيَادٍ
وَإِنْ تَكُ قَدْ أَصَبْتَ طَرِيفَ مَالٍ فَبُخْلُكَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الثَّلَادِ

قوة حافظته

فذكر مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى أَنَّ أَبَا يُونُسَ بْنَ الدَّقَّاقِ^(٢) اللَّغَوِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ سَعِيدَ بْنَ حُمَيْدٍ دَفَعَ إِلَيْهِ ابْنَهُ سَعِيداً وَهُوَ صَبِيٌّ فَقَالَ لَهُ: امْضِ بِهِ مَعَكَ إِلَى مَجْلِسِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ، قَالَ: فَحَضَرْنَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَنشَدَنَا أَرْجُوزَةً لِبَعْضِ الْعَرَبِ فَاسْتَحْسَنْتُهَا، وَلَمْ تَكُنْ مَعَنَا مَخْبِرَةً نَكْتُبُهَا مِنْهَا، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا قُلْتُ لَهُ: فَاتَّنَّا هَذِهِ الْأَرْجُوزَةَ، فَقَالَ: لَمْ تَفْتَنَّكَ، أَتُحِبُّ أَنْ أُنْشِدَكَهَا؟ / قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَنشَدْنِيهَا وَهِيَ نَيْفٌ وَعَشْرُونَ بَيْتاً قَدْ حَفَظَهَا عَنْهُ، وَإِنَّمَا سَمِعْتُهَا مَرَّةً $\frac{2}{17}$ وَاحِدَةً، فَلَقِيتُ أَبَاهُ مِنْ غَدٍ، فَقَالَ لِي: كَيْفَ / رَأَيْتَ سَعِيداً؟ قُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ أَوْصَيْتَنِي بِهِ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ الْآنَ أَنْ تُوصِيَهُ [١٥٦/١٨] بِي، فَضَحِكَ وَسَأَلَنِي عَنِ الْخَبَرِ، فَأَعْلَمْتُهُ فَسَّرَ بِهِ.

خبره مع أبي العباس بن ثوابه

أخبرني عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي الْمُدَوَّرِ، قَالَ:

(١ - ١) ف: «سعيد بن حميد بن يحيى»، يكنى أبا عثمان.

(٢) ف: «أبَا يُونُسَ الدَّقَّاقِ».

دخل سعيد بن حميد يوماً على أبي العباس بن ثوبة، وكان أبو العباس يُعَاتِبُهُ على الشَّغْفِ بِالْغُلَّامَانِ المُرْدِ،
فَرَأَى على رَأْسِهِ غُلَاماً أَمْرَدَ حَسَنَ الْوَجْهِ، عليه مِنْطَقَةٌ وَثِيَابٌ حَسَنان، فقال له: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ:

أَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَلْوَطُ فَقُلْ لَنَا هَذَا الْمُقَرَّطُ^(١) قَائِماً مَا يَصْنَعُ!
شَهِدْتَ مَلَاَحَتَهُ عَلَيْكَ بِرِيَّةٍ وعلى المُرِيبِ شَوَاهِدٌ لَا تُدْفَعُ
فضحك أبو العباس وقال: خُذْهُ، لَا بُورِكَ لَكَ فِيهِ حَتَّى نَسْتَرِيحَ مِنْ عَثَبِكَ.

حيلة له مع غلام من أولاد الموالي وشعره في ذلك

أخبرني عمي، رحمه الله، قال: قال لي محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات الكاتب: كان سعيد بن حميد يَهْوَى غُلَاماً له من أولاد المَوَالِي، فغاب عنه مُدَّةٌ، ثم جاءه مُسَلِّماً، فقال له: غِيبَتْ عَنِّي هذه المدة ثم تَجِئْتَنِي فلا تُقِيمْ عِنْدِي! فقال له: قد أَمْسَيْنَا، فقال: تَبَيُّتُ، قال: لا والله لا أَقْدِرُ، ولم يَزَلْ به حَتَّى اتَّفَقَا على أَنَّهُ إِذَا سَمِعَ أَذَانَ الْعَتَمَةِ^(٢) انصرف، فقال له: قد رَضِيت. ووضع التَّيِّدَ، فجعل سعيد يَحُكُّ السَّقِي^(٣) بِالْأَرْطَالِ، فلما قَرُبَ وَقْتُ الْعَتَمَةِ، أَخَذَ رُقْعَةً فَكَتَبَ فِيهَا إِلَى إِمَامِ الْمَسْجِدِ وَهُوَ مُؤَذِّنُهُ قَوْلَهُ:

قُلْ لِإِدَاعِي الْفِرَاقِ^(٤) أَخْرَ قَلِيلاً قَدْ قَضَيْنَا حَقَّ الصَّلَاةِ طَوِيلاً
أَخْسِرُ الْوَقْتَ فِي الْأَذَانِ^(٥) وَقَدْ دُمُ بَعْدَهَا الْوَقْتُ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلاً
/ لَيْسَ فِي سَاعَةٍ تُؤَخَّرُهَا وَرَزْ رَفَنَحِيَا بِهَا وَتَأْتِي جَمِيلاً^(٦)
فُتْرَاعِي حَقَّ الْفُتُوَّةِ فِينَا وَتُعَافَى مِنْ أَنْ تَكُونَ ثَقِيلاً^(٧)

[١٥٧/١٨]

فلما قرأ المؤذن الرُقْعَةَ ضَحِكَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَحْلِفُ أَنَّهُ لَا يُؤَذِّنُ لَيْلَتَهُ تِلْكَ الْعَتَمَةَ، وجعل الفتى يَنْتَظِرُ الْأَذَانَ حَتَّى أَمْسَى وَسَمِعَ صَوْتَ الْحَارِثِ، فَعَلِمَ أَنَّهَا حِيلَةٌ وَقَعَتْ عَلَيْهِ وَبَاتَ فِي مَوْضِعِهِ، وَقَالَ سَعِيدٌ فِي ذَلِكَ:

عَرَضْتُ بِالْحُبِّ لَهُ وَعَرَضَا حَتَّى طَوَى قَلْبِي عَلَى جَمْرِ الْغَضَى
وَأَظْهَرْتُ نَفْسِي عَنِ الذَّمْرِ الرُّضَا ثُمَّ جَفَانِي وَتَوَلَّى مُعْرِضَا
لَمْ يَنْقُضِ الْحُبُّ بَلَى^(٨) صَبْرِي انْقَضَى فِدَاكَ مَنْ ذَاقَ^(٩) الْكَرَى أَوْ عَمَّضَا
حَتَّى طَرَفْتُ فَتَسِيْتُ مَا مَضَى سَأَلْتُهُ حُؤَيْجَةً^(١٠) فَأَعْرِضَا
وَقَالَ: لَا، قَوْلٌ مُجِيبٌ بِرِضَا فَكَانَ مَا كَانَ وَكَابَرْنَا الْقَضَا

(١) قرطقه: ألْبَسَهُ الْقَرَطُقَ؛ وَهُوَ قَبَاءٌ ذُو طَاقٍ وَاحِدٌ فَهُوَ مَقَرَطُقٌ.

(٢) العتمة: وَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ.

(٣) فِي «الْمَخْتَارِ»: السَّعْيُ بِالْأَرْطَالِ.

(٤) فِي هَب، «الْمَخْتَارِ»: الصَّلَاةُ.

(٥) فِي «التَّجْرِيدِ»: فِي الصَّلَاةِ.

(٦) الْبَيْتُ مِنْ «الْمَخْتَارِ» وَ «التَّجْرِيدِ»، وَلَمْ يَرِدْ فِي ف، ب، هَب.

(٧) فِي «التَّجْرِيدِ»، ف: «حَقُّ الْمَوَدَّةِ» بِدَلْ: «حَقُّ الْفَتْوَةِ».

(٨) فِي ب: عَلَى.

(٩) فِي هَب: «فِدَاكَ مَنْ ذَاقَ...» وَفِي «الْمَخْتَارِ»: «فِدَاكَ مَنْ ذَاقَ».

(١٠) فِي «الْمَخْتَارِ»: حَوَائِجاً.

في هذه الأبيات هزج لأحمد بن صدقة، أخبرني بذلك ذكاء وجه الرُّزَّة.

وجدت في بعض الكتب:

حدثني أحمد بن سليمان بن وهب أنه كان في مجلس فيه سعيد بن حميد، فلما سكرُوا قام سعيد قومة بعد العصر^(١)، فلم نشعر إلا وقد أخذ ثيابه فلبسها، وأخذ بعضُدي الباب، وأنشأ يقول:

سلام عليكم حالت الرِّاحُ بيننا والوث بنا عن كل مرأى ومسمع
/ ولم يبقَ إلا أن يميل بنا الكرى ويجمع نوم^(٢) بين جنبٍ ومضجع

٤
١٧

[١٥٨/١٨]

/ فقام له أهل المجلس، وقالوا: يا سيدنا، اذهب في حفظ الله وفي ستره، فانصرف وودَّعهم.

كتب لفضل الشاعرة يعتذر إليها

حدثني محمد بن الطَّلَّاس أبو الطَّيِّب، قال: حدثني عبد الله بن طالب الكاتب قال:

قرأت رقعة بخط سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تَغْيَر ظَنَّتْ به، وفي آخرها:

تَظُنُّونَ أَنِّي قَدْ تَبَدَّلْتُ بَعْدَكُمْ بَدِيلًا وَبَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ وَمُنْكَرُ
إذا كان قلبي في يدك رهينة فكيف بلا قلب أصافي وأهجر!

في هذين البيتين لابن القَصَّار الطَّنْبُورِي رمل، وفيهما لمحمد قريض خفيف رمل.

خبره مع كعب جارية أبي هكل المقين

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني أبو علي المادرائي^(٣) أنه كان في مجلس فيه كعب جارية أبي عُكْل المَقِين، وكان بعضُ أهل المجلس يهواها قال: فدخل إلينا سعيد بن حميد، فقام إليه أهل المجلس جميعاً سوى الجارية والفتى، فأخذ سعيد الدواة فكتب رُقعة وألقاها في حجرها، فإذا فيها قوله:

ما على أحسن خلُق الله أن يحسُن فعله
بأبي أنت وأُمِّي من مَلِكٍ قَلَّ عَدْلُهُ
وبخيل بالهوى لو كان يُسَلَى عنه بُخلُهُ
أكثرَ العاذل في حُبِّكَ لو ينفع عَدْلُهُ
فهو مشغولٌ بعذلي وفؤادي بكل شغلِهِ
أكثرُ الشكوى وأستغدي على مَنْ قَلَّ بَدْلُهُ

/ فوثبت الجارية فقَبَلَتْ رأسه وجَلَسَتْ إلى جنبه، فقال الرَّجُل الذي كان يهواها: هذا والله كلامُ الشَّيَاطِين [١٥٩/١٨] ورُقِيَةُ الزُّنَا، وبهذا يَتِمُّ الأمر، أما أنا فإنني أشهدكم، لا قرأت اليوم في صلاتي غيرَ هذه الأبيات لعلها تنفعني، فضحك سعيد وقال: بحياتي قُومِي فارْجِعِي إليه حتى تكون الأبيات قد نَفَعَتْه قبل أن يقرأها في صلاته، وسُرِّيَني بذلك، فقامت فَرَجَعَتْ إلى موضعها.

(١) ف: «فلما سكرنا نام سعيد نومة».

(٢) ف: «سكر».

(٣) في هب: الداراني. وفي ف: «أبو علي المداري أنه كان في مجلس فيه لعب جارية بن عليل المقين».

خبرة مع جارية كان يهواها زارته على غير وعد

قال علي بن العباس: وحدثني أبو علي المادرائي: أنه كان عنده يوماً، فدخلت إليه جارية - كان يهواها - غفلةً على غير وعد، فسرَّ بذلك وقال لها: قد كنتُ على عتابك، فأما الآن فلا، فقالت: أما العتابُ فلا طاقةً لي به، ووالله ما جئتُك إلا عند غفلة البَوَّاب، فقال سعيد^(١) في ذلك:

زاركَ زَوْزٌ على ارتقَابِ	مُغْتَنِمًا غَفْلَةَ الْحُجَّابِ
مُسْتِثْرًا بِالنَّقَابِ يَسْدُو	ضِيَاءَ خَدَيْهِ فِي النَّقَابِ
كَالشَّمْسِ تَبْدُو وَقَدْ طَوَاهَا	دُونَكَ سِتْرٌ مِنَ السَّحَابِ
فَدَكَانَ فِي النَّفْسِ مِنْكَ عَتَبٌ	يَدْعُو إِلَى شِدَّةِ اجْتِنَابِ
فَمِلْتُ بِالْعَتَبِ عَنْ حَيِّبٍ	يَضْعُفُ عَنْ مَوْقِفِ الْعِتَابِ
وَالذَّنْبُ مِنْهُ وَأَنْتَ تَخْشَى	فِي هَجْرِهِ صَوْلَةَ الْعِقَابِ

عبد الله بن داود يستحسن شعراً له

١٧ / أخبرني عمي قال: حدثني ابن أبي سعد، قال: حدثني مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاوُدَ، قال: كان أبي يَسْتَحْسِنُ قولَ سَعِيدِ بْنِ حُمَيْدٍ:

تَفْظُّونَ أَنِّي قَدْ تَبَدَّلْتُ بِعَيْنِكُمْ
إِذَا كَانَ قَلْبِي فِي يَدَيْكَ رَهِينَةً

/ ويقول: لئن عاش هذا الغلام لَيَكُونَنَّ له في الشعر شأن.

في هذين البيتين غناء من خفيف الرمل، وذكر قريض أنه له.

زارته فضل الشاعرة فجأة أثناء ذهابها إلى القصر فقال في ذلك شعراً

أخبرني ابن أبي طلحة قال: حدثني إسحاق بن مسافر أنه كان عند سعيد بن حميد يوماً إذ دخلت عليه فضل الشاعرة على غفلة، فوثب إليها وسلم عليها، وسألها أن تقيم عنده، فقالت: قد جاءني وحياتك رسول من القصر، فليس يُمَكِّنُنِي الْجُلُوسُ، وكرهتُ أن أُمَرَّ بِبَابِكَ وَلَا أَرَاكَ، فقال سعيد من وقته على البديهة:

قَرُبْتُ وَلَا نَرْجُو اللَّقَاءَ وَلَا نَرَى ^(٢)	لَنَا حِيلَةٌ يُذْنِكُ مِنَّا اخْتِيَالَهَا
فَأَصْبَحْتُ كَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ ضَوْوَهَا	قَرِيبٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مِنَّا مَنَالَهَا
كَظَاعِنَةٍ ضَمَّتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى	عَلَيْنَا وَلَكِنْ قَدْ يُلْمُ خِيَالَهَا
تَقْرُبُهَا الْأَمَالُ ثُمَّ تَعُوقُهَا	مُطَاوِلَةُ الدُّنْيَا بِهَا وَاعْتِلَالَهَا
وَلَكِنَّهَا أَمِينَةٌ فَلَعَلَهَا	يَجُودُ بِهَا صَرْفُ النَّوَى وَانْتِقَالَهَا

(١) ف: سعيد بن حميد.

(٢) في ف: «قربت ولم نرج اللقاء ولم نجد».

تغاضب وفضل فكتب إليها فصارت إليه وصالحته

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود؛ قال: تغاضب سعيد بن حميد وفضل الشاعرة أياماً، ثم كتب إليها:

تعالني نَجْدُ عَهْدِ الرُّضَا	ونصفح في الحُبِّ عمّا مضى
ونجري على سُنَّةِ العاشقين	ونضمن عني وعنك الرُّضَا
ويذل هذا لهذا هَوَاهُ	ويضرب في حُبِّه للقضا
ونخضع ^(١) ذلاً خضوع العبيد	لمولى عزيز إذا أعرضا
فلاني مذ لَجَّ هذا العتاب	كأنّي أبطنت جَمْرَ الغُضَى ^(٢)

/ فصارت إليه وصالحته.

في هذه الأبيات لهاشم بن سُلَيْمان ثَقِيل أول بالوسطى، وفيها لابن القصار خفيف رمل.

رسول الحسن بن مخلد يدعوه فيقول في ذلك شعراً

أخبرني ابن أبي طلحة قال: حدثنا أبو العباس بن أبي المدور قال:

بات سعيد بن حميد عند أبي الفضل بن أحمد بن إسرائيل،^(٣) واصطبحا على غناء حسن كان عندهما^(٤)، فجاءه رسول الحسن بن مخلد وقد أمر ألا يفارقه لأمر منهم، فقام فلبس ثيابه، وأنشأ يقول:

يا ليلة باتت التُّحوسُ بعيدة	عنها على رَغَمِ البرِّقِيبِ الرَّاوِدِ
تَدْعُ العَوَاذِلَ لا يَقْنُنَ لحاجة	وتقوم بهجتها بغير الحاسدِ
ضنَّ الزَّمانُ بها فلمَّا نلتها	وردَّ الفراقُ فكان أقبحَ واردِ
والدَّمْعُ ينطق للضمير مُصدِّقاً	قَوْلَ المُقِرِّ مُكْذِباً للجاحدِ

أبو العباس بن ثوبة يعاتبه على تأخره عنه فيجيبه

أخبرني ابن أبي طلحة قال: حدثني أبو العباس بن أبي المدور، قال:

كان سعيد بن حميد / صديقاً لأبي العباس بن ثوبة، فدعاه يوماً، وجاءه رسول فضل الشاعرة يسأله المصير^(٥) إليها، فمضى معه وتأخر عن أبي العباس، فكتب إليه رُفْعَةُ يعاتبه فيها معاتبة فيها بعض الغلظة، فكتب إليه سعيد:

أقليل عتابك فالبقاء قليل	والدهر يُعَدِّلُ تارةً ^(٦) ويميل
لم أبك من زمن ذممت صروفه	إلا بكيت عليه حين يزول

(١) ف: «ونجمع».

(٢) في ف جاء البيت:

فلان فرق الدهر ما بيننا

فمن ذا يقوم لصرف القضا

بدلاً من البيت الأخير - واختلاف في ترتيب الأبيات، فالبيت الثالث مكان الثاني، والثاني مكان الثالث.

(٣ - ٣) في ف: واصطبحا على غناء حسن كان عنده.

(٤) ف: «يعدل مرة».

/ وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ أَلَّتْ مُدَّةً
وَالْمُتَمُّونَ إِلَى الْإِخَاءِ جَمَاعَةً
وَلَعَلَّ أَحْدَاثَ اللَّيَالِي وَالرَّذَى^(١)
فَلَسْنَ سَبَقَتْ لَتَبَكِيْنٍ بِحَسْرَةٍ
وَلَتُفَجَعَنَّ بِمَخْلَصٍ لَكَ وَامْتِي^(٢)
وَلِيَذْهَبَنَّ جَمَالُ كُلِّ مَرْوَةٍ
وَلَسْنَ سَبَقَتْ، وَلَا سَبَقَتْ، لِيَمْضِيَنَّ
وَأَرَاكَ تَكَلَّفَ بِالْعَتَابِ وَوَدُّنَا
وَدَّ بَدَا لِدَوِي الْإِخَاءِ جَمِيلُهُ
وَلَعَلَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ قَصِيرَةٌ

مظلومة جارية الدقيقي تعاتبه على هجرانه فيرد عليها

أخبرني الطَّلْحِيُّ قال: حدثني أبو عليّ بن أبي الرعد: أن سعيد بن حميد كان يهوى مظلومة جارية الدقيقي، فبلغه أنها تُواصل بعض أعدائه، فهجرها مدة، فكتب إليه تعاتبه وتتشوقه، فكتب إليها:

أَمْرِي وَأَمْرُكَ شَيْءٌ غَيْرُ مُتَّفِقٍ
لَا أَكْذِبُ اللَّهَ، مَا نَفْسِي بِسِنَالِيَةٍ
فَإِنْ وَثِقْتَ بِوُدِّ كُنْتُ أَبْذُلُهُ
وَالْهَجْرَ أَفْضَلَ مِنْ وَصْلٍ عَلَى مَلَقٍ
وَلَا خَلِيقَةَ أَهْلِ الْغَدْرِ مِنْ خُلُقِي
فَعَاوِدِي سَوْءَ ظَنِّ بِي وَلَا تَثْقِي^(٣)

اعتذر إلى هبة المغنية فوثبت إليه وقبلت رأسه

وذكر اليوسفي الكاتب أنه حضر سعيداً في منزل بعض إخوانه وعندهم هبة^(٣) المغنية، وكان سعيد يتعشقها ويهيم بها، فغضبت عليه يوماً لبعض الكلام على النبيذ، / ودخلت بعد ذلك وهو في القوم، فسلمت عليهم سواه، فقالوا لها: أتَهْجُرِينَ أبا عُثْمَانَ؟ فقالت: أَحِبُّ أَنْ تَسْأَلُوهُ أَلَّا يَكْلُمَنِي، فقال سعيد:

الْيَوْمَ أَقْنَعْتُ أَنَّ الْهَجْرَ مَتَلَفَةٌ
كَيْفَ^(٤) الْحَيَاةُ لِمَنْ أَمْسَى عَلَى شَرَفٍ
يَلُومُ عَيْنِيهِ أَحْيَاناً بِذَنْبِهِمَا^(٥)
وَأَنْ صَاحِبَهُ مِنْهُ عَلَى خَطَرٍ
مِنَ الْمَنِيَّةِ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْحَذَرِ
وَيَحْمِلُ الذَّنْبَ أَحْيَاناً عَلَى الْقَدَرِ
فَقَلْبُهُ أَبَدَاً مِنْهُ عَلَى سَفَرٍ

فوثبت إليه وقبلت رأسه، وقالت: لَا أَهْجُرُكَ وَاللَّهِ أَبَدَاً مَا حَيَّيْتُ.

(١) في «المختار»: والنوى.

(٢) - (٢) الأبيات والخبر من نسخة ف، وهما ساقطان من نسخة ب، ش والأبيات في «المختار».

(٣) في ب، س: «هذه المغنية».

(٤) في ب، س: كرب الحياة.

(٥) ف، بيروت: لذرفها.

غضبت عليه فضل الشاعرة فكتب إليها فراجعت وصله

أخبرني جَحْظَةُ قال: حدثني مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ، قال:

غضبت فَضْلُ الشاعرة على سَعِيدِ بْنِ حُمَيْدٍ فكتب إليها:

يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ مَا لِي وَلَكَ أَهَكَذَا تَهْجُرُ مَنْ وَاصَلَكَ
لا تصرفِ الرَّحْمَةَ عَنْ أَهْلِهَا قَدْ يَعْطِفُ الْمُؤَلَّى عَلَى مَنْ مَلَكَ
ظَلَمْتَ نَفْساً فَبِكَ عَلَقْتُهَا فَذَارَ بِالظُّلْمِ عَلَيَّ الْفَلَكَ^(١)
تَبَارَكَ اللَّهُ فَمَا أَعْلَمَ اللَّهُ بِمَا أَلْقَى وَمَا أَغْفَلَكَ!

فَرَأَجَعَتْ وصله، وصارت إليه جواباً للرقعة.

في هذه الأبيات لعريب ثاني ثقل وهزج، عن ابن المعتز، وأخبرني دُكَّاءُ وَجْهُ الرِّزَّةِ أَنَّ الثَّقِيلَ الثَّانِي لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ.

فضل الشاعرة تشكو شوقها إليه فيكتب إليها

أخبرني الطوسي الطَّلِحِيُّ^(٢) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ السَّرِيِّ: أَنَّ سَعِيدَ بْنَ حُمَيْدٍ كَانَ فِي مَجْلِسِ الْحَسَنِ بْنِ مُخَلَّدٍ، إِذْ جَاءَهُ الْغَلَامُ بِرَقْعَةٍ فَضَلَّ الشاعرة تشكو فيها شِدَّةَ / شَوْقِهَا، فَقَرَأَهَا وَضَحَكَ، - فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ مُخَلَّدٍ: [١٦٤/١٨] بَحْيَاتِي عَلَيْكَ أَقْرَنِيهَا، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَقَرَأَهَا وَضَحَكَ وَقَالَ لَهُ: قَدْ وَحْيَاتِي مَلَّحْتُ فَأَجِبْ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا:

يَا وَاصِفَ الشَّوْقِ عِنْدِي مِنْ شَوَاهِدِهِ قَلْبِي بِبَيْتِ يَهْيَسَ وَعَيْنُ دَمْعُهَا يَكْفُ
/ وَالنَّفْسُ شَاهِدَةٌ بِالْوُدِّ عَارِفَةٌ وَأَنْفُسُ النَّاسِ بِالْأَهْوَاءِ تَأْتِلُفُ
فَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنِّي وَبَيْتَةٍ إِنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ كُلِّ مَا تَصِفُ

عدلت فضل عنه إلى بنان بن عمرو فقال فيها شعراً

أخبرني جَحْظَةُ قال: حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قال:

لَمَّا عَشَقْتُ فَضْلَ الشاعرة بَنَانَ بْنَ عَمْرٍو^(٣) الْمَغْنِي، وَعَدَلْتُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ حُمَيْدٍ إِلَيْهِ أَسَفَ عَلَيْهَا وَأَظْهَرَ تَجَلُّدًا، ثُمَّ قَالَ فِيهَا:

قَالُوا: تَعَزَّ وَقَدْ بَانُوا فَقُلْتُ لَهُمْ: بَانَ الْعِزَاءُ عَلَى آثَارِ مَنْ بَانَا
وَكَيْفَ يَمْلِكُ سُلُوكُنَا لِحُبِّهِمْ مَنْ لَمْ يُطِيقْ لِلْهَوَى سَتْرًا وَكُتْمَانَا
كَانَتْ عِزَائُنَا صَبْرِي أَسْتَعِينُ بِهَا صَارَتْ عَلَيَّ بِحَمْدِ اللَّهِ أَعْوَانَا
لَا خَيْرَ فِي الْحُبِّ لَا تَبْدُو شَوَاكِكُلُهُ وَلَا تَرَى مِنْهُ فِي الْعَيْنَيْنِ عُشْوَانَا

قال أبو الحسن جَحْظَةُ^(٤): وَغَنَى فِيهِ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ لِحَنًا حَسَنًا، وَأَظْهَرَ عَنِ نَفْسِهِ.

(١) ف: عليها الفلك.

(٢) أ، ب، س: «أخبرني الطلحي».

(٣) ف، بيروت: بنان بن عمرو.

(٤) أ، ب، س: «قال أبو الحسن: وغنى».

كتب إلى أبي هفان يتبرأ من طعن فيه نسب إليه ظلماً

أخبرني الطَّلحي قال : حدثني أبو عيسى الكاتب : أن أبا هفان بلغه عن سعيد بن حميد كلام فيه جفاء وطعن على شعره ، فتوعده بالهجاء ، وكان الحاكي عن ذلك كاذباً ، فبلغ سعيداً ما جرى ، فكتب إلى أبي هفان :

أَمْسَى يُخَوِّفُنِي الْعَبْدِيُّ صَوْلَتَهُ^(١) وكيف آمنُ بِأَسْرِ الضَّيْفِ الْهَصْرِ !
 مِنْ لَيْسَ يُحَرِّزُنِي مِنْ سَيْفِهِ أَجْلِي وليس يمنعني مِنْ كَيْدِهِ حَذْرِي
 / وَلَا أَبَارِزُهُ بِالْأَمْرِ يَكْرَهُهُ ولو أَعْنَتُ بِأَنْصَارِ مِنَ الْغَيْرِ
 لَهُ سِهَامٌ بِلا رِيشٍ وَلَا عَقَبٍ وَقَوْسُهُ أَبْدَأُ عَظْلُ مِنَ الْوَتْرِ
 وَكَيْفَ آمَنُ مَنْ نَخْرِي لَهُ غَرَضُ وَسَهْمُهُ صَائِبٌ يَخْفَى عَنِ الْبَصْرِ^(٢) !

[١٦٥/١٨]

عائته فضل الشاعرة فزارها وقال فيها شعراً

أخبرني الطَّلحي قال : حدثني محمد بن السري : أنه سار إلى سعيد بن حميد وهو في دار الحسن بن مخلد في حاجة له ، قال : فإني عنده إذ جاءته رُقعة فَضَّلَ الشاعرة ، وفيها هذان البيتان :

الصَّبْرُ يَنْقُصُ وَالسَّقَامُ يَسْزِي بِدُ واليَدَارُ دَانِيَةٌ وَأَنْتَ بَعِيدُ
 أَشْكُوكَ أَمْ أَشْكُو إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ سِوَاهُمَا الْمَجْهُودُ
 أنا يا أبا عثمان في حال التَّلَفِّ ولم تُعْذِنِي ، وَلَا سَأَلْتَ عَنْ خَبْرِي .

فأخذ بيدي فَمَضَيْنَا إِلَيْهَا ، فَسَأَلَ عَنْ خَبَرِهَا ، فَقَالَتْ : هُوَ ذَا أَمُوتُ وَتَسْتَرِيحُ مِنِّي ، فَأَنْشَأُ يَقُولُ :

لَا مُتُّ قَبْلِي^(٣) بَلْ أَحْيَا وَأَنْتَ مَعَا وَلَا أَعِيشُ إِلَى يَوْمِ تَمُوتِنَا
 لَكِنْ نَعِيشُ بِمَا نَهْوَى وَتَأْمُلُهُ وَيُرْغِمُ اللَّهُ فِينَا أَنْفَ وَاشِينَا^(٤)
 حَتَّى إِذَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مِيتَنَا وَحَانَ مِنْ أَمْرِنَا مَا لَيْسَ يُعْذُونَا
 مِثْنًا جَمِيعًا كَفَضْنَى بَانِيَةً ذُبُلًا مِنْ بَعْدِ مَا نَقْصَرَا وَاسْتَوْسَقَا حِينَا
 ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْنَا فِي مَضَاجِعِنَا حَتَّى نَعُودَ إِلَى مِيزَانِ مُنْشِينَا

/ أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ زُرْزُورٍ^(٥) قَالَ : قَالَ لِي أَبِي :

[١٦٦/١٨]

كَانَتْ فَضَّلُ الشَّاعِرَةُ تَعْتَشُقُ / سَعِيدَ بْنَ حَمِيدٍ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ ، ثُمَّ تَعَشَّقَتْ بَنَانًا ، وَعَدَلَتْ عَنْهُ ، فَقَالَ فِيهَا قَصِيدَتَهُ

A
١٧

الدَّالِيَةِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

(١) في ب : بصولته .

(٢) لم يرد هذا البيت في ف .

(٣) في ف : لا مت قبلك .

(٤) ف : شائينا .

(٥) ب ، س ، أ : «زورر» ، وفي ف : «زورر» .

* تنامين عن ليلي وأسهره وحدي^(١) *

فلم تتعطف عليه، وبلغها بعد ذلك أنه قد عَشِقَ جارية من جوارِي القيان، فكتبت إليه:

يسا عالى السن سيىء الأدب	شبت وأنت الغلام في الطرب
ويحك إن القيان كالشرك	المنسوب بين الغرور والعطب
لا تصدقن للفقير ولا	يطلبن إلا معادن الذهب
بيننا تشكى هواك إذ عدلت	عن زفات الشكوى إلى الطلب
تلحظ هذا وذاك وذا	لحظ محب وفعل مكتسب

عادته فضل في مرضه وأهدته هدايا كثيرة

أخبرني إبراهيم قال: وحدثني أبي قال:

افتصد سعيد بن حميد، فسألتني فضل الشاعرة، وسألت عريب أن نمضي إليه، ففعلنا، وأهدت إليه هدايا، فكان منها ألف جذي وحمل^(٢) وألف دجاجة فائقة، وألف طبق ريحان وفاكهة، ومع ذلك طيب كثير وشراب وتحتف حسان، فكتب إليها سعيد: إن سروري لا يتم إلا بحضورك، فجاءته في آخر النهار، وجلسنا نشرب، فاستأذن غلامه لبان فأذن له، فدخل إلينا وهو يومئذ شاب طرير، حسن الوجه، / حسن الغناء، نظيف الثياب، [١٦٧/١٨] شكل^(٣)، فذهب بها كل مذهب، وأقبلت عليه بحديثها ونظرها، فتشمر^(٤) سعيد واستطير غضباً، وتبين بنان القصة فانصرف، وأقبل عليها سعيد يغذّلها ويؤنبها ساعة، ثم أمسك، فكتبت إليه:

يا من أطلت تفرسي	في وجهه وتنقسي
أفديك من مدلل	يؤزهي بقتل الأنفس
هني أسأت وما أسأ	ت بلى أقر أنا المي
أخلفتني ألا أسأ	رق نظرة في مجلسي
فنظرت نظرة مخطيء	أبتعتها بتق رأس
ونسيت أنني قد حلف	ت، فما عقوبة من نسي؟

فقام سعيد، فقبل رأسها وقال: لا عقوبة عليه بل نحتمل هفوته، وتنجافي عن إساءته، وغنت عريب في هذا الشعر هزجاً، فشربنا عليه بقة يومنا، ثم افترقنا. وأثر بنان في قلبها وعلقت به، فلم تزل حتى واصلته وقطعت سعيداً.

وجذت في بعض الكتب عن عبد الله بن المعتز، قال: قال لي إبراهيم بن المهدي^(٥):

كانت فضل الشاعرة من أحسن خلق الله خطاً، وأفصحهم كلاماً، وأبلغهم في مخاطبة، وأثبتهم في محاوره،

(١) عجز البيت كما جاء في ف، بيروت: «وأنهى دموعي أن تبك ما عندي». وفي «التجريد»: «وأنهى جفوني...».

(٢) ب، س: «وجمل».

(٣) شكل: فيه دلال وغزل.

(٤) تشمر: تقبض. وفي «المختار»: «فتم». وفي ب، س: «فتشمر»، تصحيف.

(٥) ف، بيروت: المدبر.

فقلتُ يوماً لسعيد بن حميد: أظنك يا أبا عثمان تكتب لفضل رقاها وتقيدها^(١) وتخرجها، فقد أخذت نحوك في الكلام وسلكت سبيلك، فقال لي وهو يضحك: ما أخيب^(٢) ظنك، ليتها تسلم مني ولا آخذ كلامها ورسائلها^(٣)، والله يا أخي لو أخذ أفاضل الكتاب وأماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك.

القصيدة

[١٦٨/١٨]

$$\frac{9}{17}$$

كُلُّ حَيٍّ لَا قِيَّ الْجَمَامِ فَمُورِي مَا لِحَيٍّ مُؤْمِلٍ مِنْ خُلُودِ
لَا تَهَابُ الْمَنُونُ شَيْئاً وَلَا تُبْ قِيَّ عَلَى وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودِ

الشعر لابن مَنَافِر، والغناء لبنان ثَقِيل أول بالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي جَمَعَ فِيهِ صَنَعَتَهُ، وَفِيهِ لِسَاجِي^(٤) جَارِيَةُ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ثَقِيلٍ أَوَّلٍ أَيْضاً عَلَى مَذْهَبِ النَّوْحِ، ابْتَدَأُوهُ نَشِيداً.



مركز تحقيقات ونگارش و اسناد

(١) ف: «وتقيدها».

(٢) ف: «ما أحسن ظنك».

(٣) ب، هب: «... لا آخذ كلامها ورسائلها».

(٤) هب، ب، س: لشاج.

[١٦٩/١٨]

/ أخبار ابن مناذر ونسبه

نسبه وكنيته

هو مُحَمَّد بن مُنَازِر مولى بني صُبَيْر بن يَزْبُوع، وَيُكْنَى أبا جَعْفَر، وقيل: إنه كان يُكْنَى أبا عبد الله. ووجدتُ في بعض الكتب رواية عن ابن حبيب أنه كان يُكْنَى أبا ذَرِيح وقد كان له ابن يُسمى ذَرِيحاً، فمات وهو صَغِير وإياه عَنِ بقوله:

كَأَنَّكَ لِلْمَنَازِرِ يَا
فَنَاطَ بِوَجْهِكَ الشُّعْرَى
ذَرِيحُ اللَّهِ صَوْرَكَ
وَبِالْإِكْلِيلِ قَلْدَكَ

ولعله اُكْتُنَى به قبل وفاته.

وقال الجاحظ: كان مُحَمَّد بنُ مُنَازِر مولى سليمان القَهْرمان، وكان سليمان مولى عُبيد الله بن أبي بَكْرَةَ مولى رسول الله ﷺ، وكان أبو بَكْرَةَ عَبْدًا لثَقِيف، ثم ادَّعى عُبيد الله بن أبي بَكْرَةَ أنه ثَقَفِي، وادَّعى سليمان القَهْرمان أنه تميمي، وادَّعى ابنُ مُنَازِر أنه صَلِيبِي من بني صُبَيْر بن يَزْبُوع، فابنُ مُنَازِر مَوْلَى مَوْلَى مَوْلَى، وهو دَعِيٌّ مولى دَعِيٍّ، وهذا ما لا يجتمع في غيره قط مِمَّن عرفناه وبلغنا خبره.

كان إماماً في العلم باللغة

ومحمد بنُ مُنَازِر شاعر فصيح مُقَدَّم في العلم باللغة وإمام فيها، وقد أخذ عنه أكابرُ أهلها، وكان في أول أمره يتأَلَّه، ثم عدَلَ عن ذلك فَهَجَا الناس، وتهتَكَ وخلع، وقَذَفَ أعراضَ أهل البصرة حتى نُفِيَ عنها إلى الحجاز فمات هناك. وهذه الأبيات يَرِثِي بها ابنُ مُنَازِر عبدَ المجيد بنَ عبد الوهاب الثَّقَفِي، وكان عبدُ الوهاب^(١) مُحَدَّثًا جليلًا، وقد رَوَى عنه وجوهُ المُحَدِّثِينَ وكبراءُ الرِّوَاةِ، وكان ابنُ مُنَازِر يهوى عبدَ المجيد هذا. فكان في أيام حياته / مَسْتَوْرًا [١٧٠/١٨] متألهاً جَمِيلَ الأمر، فلَمَّا مات عبدُ المجيد حَالَ عن جميع ما كان عليه، وأخبارُهُما تُذَكِّر في مواضعهما.

كان ناسكاً في أول أمره، إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثَّقَفِي فتهتك وفتك

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حَدَّثَنَا محمد بنُ يَزِيدَ الثَّحَوِثِي، قال:

كان ابنُ مُنَازِر مولى صُبَيْر بن يَزْبُوع، وكان إماماً في عِلْم اللُّغَةِ وكلام العرب، وكان في أول أمره ناسكاً مُلَازِماً للمسجد، كَثِيرَ التَّوَافُلِ، جَمِيلَ الأمر إلى أن فُتِنَ بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثَّقَفِي، فتهتك بعد ستره، وفتك بعد نُشِكِهِ، ثم تَرَامَى به الأمرُ بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب الثَّقَفِي إلى أن شتم الأعراضَ وأظهر البذاءَ وقَذَفَ المَخْصَنَات، ووجبت عليه حُدُودٌ، فَهَرَبَ إلى مكة وبقي بها حتى مات.

(١) ف: «وكان عبد المجيد...».

كان سفيان بن عيينة يسأله عن معاني حديث النبي ﷺ فيخبره بها

وكان يجالس سفيان بن عيينة، فيسأله سفيان عن معاني حديث النبي ﷺ فيخبره بها، ويقول له: كذا وكذا
 ١٧ مأخوذ من كذا، فيقول سفيان: كلام العرب بعضه يأخذ برباق بعض. قال: وأدرك المهدي / ومدحه، ومات في
 أيام المأمون.

أخبرني علي بن سُلَيْمان، قال: حدثني محمد بن يزيد وغيره: أن محمد بن مُناذر كان إذا قيل له: ابن مُناذر
 - بفتح الميم - يغضب، ثم يقول: أَمَنَّا الصُّغرى أم مُناذر الكبرى؟ وهما كورتان من كُور الأهوار، إنما هو مُناذر
 على وزن مُفاعِل من ناذر فهو مُناذر، مثل ضارب فهو مُضارب، وقاتل فهو مُقاتِل.

وعظته المعتزلة فلم يتعظ، ومنعوه دخول المسجد فتابذهم وهجاهم

قال محمد بن يزيد: ولما عدل محمد بن مُناذر عما كان عليه من الشُّك والتَّأَلُّ وعظته المعتزلة فلم يتعظ،
 [١٧١/١٨] وأوعذته بالمكروه فلم يزدجر، ومنعوه دخول المسجد فتابذهم / وطعن عليهم وهجاهم، وكان يأخذ المِدادَ بالليل
 فيطرحه في مطاهرهم، فإذا توضَّأوا به سود وجوههم وثيابهم، وقال في تَوَعَّد المعتزلة إياه:

أبلغ لديك بنسي تميم مألُكا^(١) عني وعرج في بني يربوع
 أني أخ لكم بسدار مضيعية^(٢) يوم وغربان عليه وقوع^(٣)
 يا للقبائل من تميم ما لكم^(٤) ولخم أخيككم بمصيع
 هُواله فلقدا أراه بنصركم^(٥) يأي إلى جبل أشم منيع
 وإذا تحزبت القبائل كُتُتكم^(٦) فقتلي لكل ملمة وفظيع^(٧)
 إن أنتم لم تثاروا لأخيككم^(٨) حتى يباء بوثره المتبوع
 فخذوا المغازل بالأكف وأيقنوا^(٩) ما عثتكم بمذلة وخضوع
 إن كُتُم حُذبا^(١٠) شمعاً فقد أسمعتم كل سميع
 أين الصَّيِّريُّون^(١١) على أحسابكم في النابات وابن رَهط وكيع

قال: ثم استخيا من قوله: أين الصَّيِّريُّون؟ لِقَلَّةِ عددهم فقال: أين الرِّياحيُّون؟

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثني الحسن بن علي، قال:
 حدثني مسعود بن بشر، قال:

قال لي ابن مُناذر: ولع بي قوم من المعتزلة ففرقتُ منهم، قال: وكان مولى صبيِّ بن يربوع، فقلت: بنو صبيِّ

(١) المالك: الرسالة.

(٢) في البيت إقواء.

(٣) قوم روى: خائر والأنفس مختلطون.

(٤) ب، س، و «معجم الأدباء» ١٩ - ٥٩: صلتم بدل كُتُم. ويفتي بدل ثقتي.

(٥) ب، س، و «معجم الأدباء» ١٩ - ٥٩: «لم توتروا». ومعنى توتروا: تفزعوا وتأخذوا له ونره.

(٦) في ب، س، و «معجم الأدباء» ١٩ - ٥٩: «حرباً».

(٧) في «معجم الأدباء» ١٩ - ٥٩: «أين الرِّياحيُّون».

نَفْسَانِ وَنَصْفٍ، فَمَنْ أَدْعُو / مِنْهُمْ؟ فَقُلْتُ: لَيْسَ إِلَّا إِخْوَتُهُمْ بَنُو رِيَّاحٍ، فَقُلْتُ أَيْبَاتاً حَرَضْتُهُمْ فِيهَا، وَحَضَضْتُ [١٧٢/١٨] بَنُو رِيَّاحٍ، فَقُلْتُ:

أَيْبَنَ السَّرِيحَاتِيِّونَ لَمْ أَرِ مِثْلَهُمْ فِي الثَّائِبَاتِ وَأَيْبَنَ رَهْطٍ وَكَيْعٍ!
قال: فجاء خَمْسُونَ شَيْخاً مِنْ بَنِي رِيَّاحٍ فَطَرَدُوهُمْ عَنِّي.

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْجَاحِظُ، عَنْ مَسْعُودِ بْنِ بِشْرِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ:

مَا زَادَتْ بَنُو صُبَيْرِ بْنِ يَزْبُوعٍ قَطَ عَلَى سَبْعَةِ نَفَرٍ، كُلُّمَا وُلِدَ مِنْهُمْ مَوْلُودٌ مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ.

كَانَ مِنْ أَهْلِ عَدَنَ

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ نَعِيمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّخَمِي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَثْمَانَ الْمَازَنِيُّ، قَالَ:

كَانَ ابْنُ مُنَازِدٍ مِنْ أَهْلِ عَدَنَ، وَإِنَّمَا صَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي طَلَبِ الْأَدَبِ لِتَوَافُرِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا، فَأَقَامَ فِيهَا مَدَّةً، ثُمَّ شَغِلَ بِعَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيِّ، فَتَطَاوَلَ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ خَرَجَ عَنْهَا، وَكَانَ مُقِيمًا بِمَكَّةَ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْمَجِيدِ نَسَكَ. وَقَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنَّهُ كَانَ دَهْرِيًّا.

كَرِهَ النَّاسُ إِمَامَتَهُ فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ تَهْتِكِهِ فَهَجَّوْهُ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ

وَذَكَرَ أَبُو دَعَامَةَ، عَنْ عَطَاءِ الْمَلَطِ^(١) قَالَ: بَرَزَتْهُ تَكْوِيذُ رُطَبٍ رَسَوِي

كَانَ / ابْنُ مُنَازِدٍ يُؤَمُّ النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي قَبِيلَتِهِ، فَلَمَّا أَظْهَرَ مَا أَظْهَرَهُ مِنَ الْخَلَاعَةِ وَالْمُجُونِ كَرِهُوا أَنْ يُصَلِّيَ بِهِمْ وَأَنْ يَأْتُمُّوا بِهِ^(٢) فَقَالُوا شِعْراً وَذَكَرُوا ذَلِكَ فِيهِ وَهَجَّوْهُ، وَأَلْقَوْا الرُّقْعَةَ فِي الْمِخْرَابِ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَرَأَهَا، ثُمَّ قَلَّبَهَا وَكَتَبَ فِيهَا يَقُولُ:

نُبِغْتَ قَافِيَةً قَبِلْتَ تَنَاشَدَهَا قَوْمٌ سَأَتَرَكَ فِي أَعْرَاضِهِمْ نَدَبَا
نَاكَ الَّذِينَ رَوَّوْهَا أُمَّ قَائِلَهَا وَنَاكَ قَائِلُهَا أُمَّ الَّذِي كَتَبَا
ثُمَّ رَمَى بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يُعِدْ إِلَى الصَّلَاةِ بِهِمْ.

/ أَوَّلَ لِقَاءٍ لَهُ بِأَبِي نَوَاسٍ

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّيْرَفِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنَزِيِّ، قَالَ:

حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ بْنُ عَبْدِ دَانَ بْنِ أَبِي حَرْبٍ الصَّفَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، قَالَ:

دَخَلَ ابْنُ مُنَازِدٍ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ بِالْبَصْرَةِ، فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى غُلَامٍ مُسْتَنِدٍ إِلَى سَارِيَةٍ فَخَرَجَ وَالتَّمَسَ غُلَاماً وَرُقْعَةً وَدَوَاةً، فَكَتَبَ أَيْبَاتاً مَدَحَ بِهَا، وَسَلَّ الْغُلَامَ الَّذِي التَّمَسَهُ أَنْ يُوصِلَ الرُّقْعَةَ إِلَى الْفَتَى الْمُسْتَنِدِ إِلَى السَّارِيَةِ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَى الْغُلَامِ، فَلَمَّا قَرَأَهَا قَلَّبَهَا وَكَتَبَ عَلَى ظَهْرِهَا يَقُولُ:

(١) ب، س: عطاء الملك.

(٢) ف: يأتُمُّوا به.

مِثْلُ امْتِدَاحِكَ لِي بِلا وَرَقٍ^(١) مِثْلُ الْجِدَارِ يُنْبِي عَلَى خُصْصٍ
وَالدُّ عِنْدِي مِنْ مَدِيحِكَ لِي سُودُ النُّعَالِ وَلَيْسَ الْقُمْصِصِ
فَإِذَا عَزَمْتَ فَهَيَّ لِي وَرَقاً فَإِذَا فَعَلْتَ فَلَسْتُ أَسْتَعِصِي

فلما قرأها ابنُ مُناذرٍ قام إليه فقال له: ويلك، أأنتَ أبو نُؤاس؟ قال: نعم، فسلم عليه وتعانقا، وكان ذلك أولَ المؤدَّة بينهما.

خبره مع أبي العتاهية

أخبرني مُحَمَّد بن الحسن بن دُرَيْد، قال: حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ، قال:

اجتمع أبو العتاهية ومحمد بن مُناذرٍ، فقال له أبو العتاهية: يا أبا عبد الله، كيف أنتَ في الشُّعر؟ قال: أقول في الليلة إذا سَنَحَ القَوْلُ لِي، واتَّسَعَتِ القوافي عشرةَ أبياتٍ إلى خمسة عشر، فقال له أبو العتاهية: لَكِنِّي لو شِئْتُ أن أقولَ في الليلة ألفَ بيتٍ لَقُلْتُ، فقال ابنُ مُناذرٍ: أجلُ والله إذا أردتُ أن أقولَ مثلَ قولك:

أَلَا يَأْعُوبُ السَّاعَةَ أَمُوتُ السَّاعَةَ السَّاعَةَ

قلت: ولكنني لا أعوِّد نفسي مثل هذا الكلام السَّاقِط، ولا أسمع لها به، فَخَجَلِ أبو العتاهية وقام يَجُرُّ رِجْلَهُ.

١٧٤/١٨ / أخبرني به الحسن بنُ عليٍّ، قال: حَدَّثَنَا ابنُ مَهْرُوبٍ، قال: حَدَّثَنِي سَهْلُ بنُ مُحَمَّدٍ أَبُو حَاتِمٍ، وأحمد بنُ يعقوب بن المُنِير ابنِ أختِ أبي بَكْرٍ الأصمِّ. قال ابنُ مَهْرُوبٍ: وَحَدَّثَنِي به يحيى بنُ الحسن^(٢) الرَّبِيعِيُّ، عن غَسَّانِ بنِ الْمُفَضَّل^(٣)، قال:

اجتمع أبو العتاهية، وابنُ مُناذرٍ، فاجتمع الناس إليهما، وقالوا: هذان شَيْخَا الشُّعْرَاءِ^(٤)، فقال أبو العتاهية لابنِ مُناذرٍ: يا أبا عبد الله، كم تقولُ في اليَومِ من الشُّعر؟ وذكر باقي الخَبَرِ مثلَ المتقدمِ سواء.

رفض خلف الأحمر أن يقيس شعره إلى شعر الجاهليين

أخبرني أبو دُلْف هاشم بنُ محمد الخُزَاعِيٍّ، قال: حَدَّثَنَا العباس بن مَيْمُون طائِع، قال:

سمعتُ الأصمعيَّ يقول: حضرنا مأدبةً ومعنا أبو مُحرزٍ خَلَفُ الأحمر، وحضرها ابنُ مُناذرٍ، فقال لخلف الأحمر: يا أبا مُحرز، إن يَكُنِ الثَّابِغَةُ، وأمرؤ القينس، وزُهَيْرٌ، قد ماتوا فهذه أشعارُهم مُخَلَّدَةٌ فِقْسُ شُعْرِي إلى شِعْرِهم، واحْكُم فيها بالحقِّ، فغَضِبَ خَلَفٌ، ثم أخذَ صحيفةً / مملوءةَ مَرَقاً فرمى بها عليه فمَلَأَهُ، فقام ابنُ مُناذرٍ مُغَضَباً، وأظنه هَجَاه بعد ذلك.

طلب من أبي عبيدة أن يحكم بين شعره وشعر عدي بن زيد

أخبرني حَبِيب بنُ نَصْر المَهْلَبِيُّ، قال: حَدَّثَنَا عمر بن شُبَّة، قال: حَدَّثَنَا خَلَادُ^(٥) الأرقط، قال:

(١) الورق: الدراهم المضروبة.

(٢) ف: بن الحسين.

(٣) ب، س: الفضل.

(٤) ف: شيخا الشعر.

(٥) ب، س: حماد الأرقط.

لَقِيَنِي ابْنُ مُنَازِرٍ بِمَكَّةَ، فَأَنشَدَنِي قَصِيدَتَهُ:

* كُلُّ حَيٍّ لَاقِيَ الْحِمَامَ فَمُودِي *

ثم قال لي: أقرئ أبا عبيدة السلام وقل له: يقول لك ابن مناذر، اتَّقِ اللَّهَ واحْكُم بين شِعْرِي وشِعْرِ عَدِي بن زيد، ولا تقل ذلك جاهلياً، وهذا إسلامي، وذاك قديم وهذا مُخَدَّث فتحكم بين العصرين، ولكن احْكُم بين الشعرين ودع / العَصِيَّة، قال: وكان ابن مناذر يَنْحُو نحو عَدِي بن زيد في شِعْرِهِ، ويميل إليه [١٧٥/١٨] ويقدمه.

ينحون نحو عدي بن زيد في شعره ويقدمه

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدثني محمد بن عثمان الكزبري، قال: أخبرني محمد بن الحجاج الجراداني، قال:

قُلْتُ لابن مُنَازِرٍ: مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ قال: مَنْ كُنْتُ فِي شِعْرِهِ، فَقُلْتُ له: وَمَنْ ^(١) ذاك؟ فقال: عَدِي بن زيد، وكان يَنْحُو نحوه في شِعْرِهِ ويقدمه ويتَّخِذُه إماماً.

كان أبو عبد المجيد الثقفي على جلالته وسنه لا ينكر صحبة ابنه لابن مناذر

والأبيات التي فيها الغناء أول قصيدة لمحمد بن مُنَازِرٍ رَوَى بها عبد المجيد بن عبد الوهَّاب بن عبد المجيد الثَّقَفِي، وكان يَهْوَاهُ، وكان عبد المجيد هذا فيما يقال من أحسن الناس وجهاً وأدباً ولباساً، وأكملهم في كلِّ حال، وكان على غاية المحبة لابن مُنَازِرٍ والمُساعدة له والشُّغف به. وكان يبلغ خبره أباه على جلالته وسنه وموضعه من العلم، فلا يُنْكَرُ ذلك؛ لأنَّه لم تكن تبلغه عنه ريبة، وكان ابن مُنَازِرٍ حيثُ حَمِيدُ الأَمْرِ ^(٢) حسن المروءة عفيفاً. فحدثني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن حُدَّانٍ ^(٣)، قال: حدثني قدامة بن نوح، قال:

قيل لعبد الوهَّاب بن عبد المجيد الثَّقَفِي: إن ابن مُنَازِرٍ قد أفسد ابْنَك، وذكره في شِعْرِهِ وشَبَّ به، فقال عبد الوهَّاب: أو لا يَرْضَى ابني أن يَصْنَحَه مثلُ ابن مُنَازِرٍ ويذكره في شعره!

خروجه إلى جبانة بانه أم عبد المجيد مع جواربها

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار، قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان الثَّقَفِي، قال:

أُمُّ عبد المجيد بن عبد الوهَّاب الثَّقَفِي الذي كان يشبُّ به ابن مُنَازِرٍ بَانَةٌ بنت أبي العاصي، وهي مولاة جنان التي يشبُّ بها أبو نُوَّاس، قال: فحدثني مَنْ رَأَى / محمد بن مُنَازِرٍ يوم ثَالِثِ بَانَةَ هذه، وقد خَرَجَ جواربها إلى [٧٦/١٨] قبرها، فمخرج معهنَّ نحو الجبانة بالبصرة، قال: فقلتُ له: يا أبا عبد الله، أين تُريد؟ فقال:

اليَوْمُ يَوْمُ الثَّلَاثَا وَيَوْمُ ثَالِثِ بَانَةَ
اليَوْمُ تَكْثُرُ فِيهِ الظُّبَا ففِي الْجَبَّةِ بَانَةُ

(١) في ب، س: فقلتُ له: على ذاك.

(٢) ف: جميل الأمر.

(٣) ب: «جدان»، تصحيف.

قال أبو الحسن: ولدت بانه من عبد الوهاب بن عبد المجيد أولاده: عبد المجيد وأبنا العاصي، وزباد. وزباد الذي عنه أبو نواس في قوله يُشَبَّبُ بجنان:

جَفُنْ عَيْنِي قَدْ كَادَ يَسْقُطُ مِنْ طَوْلِ مَا اخْتَلَجَ
وَفُوَادِي مِنْ حَرِّ حُبِّكَ قَدْ كَادَ أَوْ نَضَجَ
(١) خَبْرِي نَفْسِي قَدْ تَكَّ نَفْسِي وَأَهْلِي مَتَى الْفَرَجُ!
كَانَ مِعَادُنَا خُرُو جَ زِيَادٍ فَقَدْ خَرَجَ

١٣ / قال ابن عمار: قال لي النوفلي: في هذه الأبيات غناء حلو مليح، لو سمعته لشربت عليه أربعة أرطال.

قال النوفلي: وكان لعبد الوهاب ابن يقال له: محمد، كان أسنً ولده، ويقال: إنه كان يتعشق بانه ابنة أبي العاصي هذه امرأة أبيه، وإن زياد بن عبد الوهاب منه، وكان أشبه الناس به.

حدثني ابن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني أبي قال:

خَرَجَ ابْنُ مُنَادِرٍ يَوْمًا مِنْ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ بِالْبَصْرَةِ، وَخَرَجَ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ خَلْفَهُ، فَتَمَّ يَزَلُ يُحَدِّثُهُ إِلَى الصُّبْحِ، وَهُمَا قَائِمَانِ، إِذَا انْصَرَفَ عَبْدُ الْمَجِيدِ شِيعَهُ ابْنُ مُنَادِرٍ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَإِذَا بَلَغَهُ وَانْصَرَفَ ابْنُ مُنَادِرٍ شِيعَهُ عَبْدُ الْمَجِيدِ، لَا يَطِيبُ أَحَدُهُمَا نَفْسًا بِفِرَاقِ صَاحِبِهِ حَتَّى أَصْبَحَا. فَقِيلَ / لعبد الوهاب بن عبد المجيد: ابنُ مُنَادِرٍ قَدْ أَفْسَدَ ابْنُكَ، فَقَالَ: أَوْ مَا يَرْضَى ابْنِي أَنْ يَرْضَى بِمَا يَرْضَى بِهِ ابْنُ مُنَادِرٍ (٢).

قصيدة له في مدح عبد المجيد بن عبد الوهاب

وفي عبد المجيد يقول ابنُ مُنَادِرٍ يمدحه، وهو من مُخْتَارِ مَا قَالَهُ فِيهِ، أَنْشَدْنِيهَا عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ مِنْ قَصِيدَةٍ أُولَاهَا:

شَيْبَ رَيْبُ الزَّمَانِ رَأْسِي
يَقْدَحُ فِي الصُّمِّ مِنْ شُرُوزِي
لَهْفِي عَلَى رَيْبِ ذَا الزَّمَانِ
وَيَخْذُرُ (٣) الصُّمُّ مِنْ أَبَانِ
يَقُولُ فِيهَا يمدح عبد المجيد:

مَتَى إِلَى الْمَاجِدِ الْمُرْجَى
خَيْرِ ثَقِيفِ أَبَا وَنَفْسَا
عَبْدِ الْمَجِيدِ الْفَتَى الْهَجَانِ
إِذَا التَّقَاتِ حَلَقَتَا الْبِطَانِ
وَكُلُّ مَا تَمْلِكُ الْيَدَانِ
كَأَنَّ شَمْسَ الضُّحَى وَبَدْرَ
نِيطَافٍ مَعَا فَوْقَ حَاجِيَّتِهِ
مُشْمَرٌ، هُمُّهُ الْمَعَالِي
لَيْسَ بِرَثٍّ وَلَا بِوَانِي

(١) ف: حديثي.

(٢) في المختار: «أو ما يرضى ابني أن يرضى به ابن مُنَادِرٍ».

(٣) في ب، هب: ويخذر. وشروزي، وأبان: جيلان.

بَنَى لَهُ عِزَّةً وَمَجْدًا فِي أَوَّلِ^(١) الدَّهْرِ بَانِيَانِ
بَانَ تَلَقَّاهُ مَنْ ثَقِيفٍ وَمَنْ ذُرَا الْأَزْدِ خَيْرُ بَانِي^(٢)
فَاسْأَلَهُ مِمَّا حَبَوَتْ يَدَاهُ يَهْتَرُ كَالصَّارِمِ الْيَمَانِي^(٣)

[١٧٨/١٨]

/ ملازمته عبد المجيد في مرضه

أخبرني عمي، قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: مَرَضَ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ مَرَضًا شَدِيدًا بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ ابْنُ مَنَازِرٍ مَلَاذِمًا لَهُ يُمَرِّضُهُ وَيُخْدَمُهُ، وَيَتَوَلَّى أَمْرَهُ بِنَفْسِهِ، لَا يَكِلُهُ إِلَى أَحَدٍ. فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِهِمْ قَالَ: حَضَرْتُ يَوْمًا عِنْدَهُ، وَقَدْ أُسْخِنَ لَهُ مَاءٌ حَارٌّ لِيَشْرَبَهُ، وَاشْتَدَّ بِهِ الْأَمْرُ فَجَعَلَ يَقُولُ: آهَ! بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ، فَغَمَسَ ابْنُ مَنَازِرٍ يَدَهُ فِي الْمَاءِ الْحَارِّ وَجَعَلَ يَتَأَوَّهُ مَعَ عَبْدِ الْمَجِيدِ وَيَدُهُ تَحْتَرِقُ حَتَّى كَادَتْ يَدُهُ تَسْقُطُ، فَجَذَبْنَاهَا وَأَخْرَجْنَاهَا مِنَ الْمَاءِ، وَقَلْنَا لَهُ: أَمَجُنُونِ أَنْتَ! أَيُّ شَيْءٍ هَذَا! أَيْتَفَعُ بِهِ ذَاكَ! فَقَالَ: أَسَاعَدُهُ، وَهَذَا جَهْدٌ مِنْ مَقَلٍّ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ مِنْ عِلَّتِهِ تِلْكَ وَغُوفِي مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ تَرَدَّى مِنْ سَطْحِ فَمَاتَ، فَجَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا حَتَّى كَادَ يَقْضِلُ / أَهْلَهُ وَإِخْوَتَهُ فِي الْبَكَاءِ وَالْعَوِيلِ، وَظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْجَزَعِ ^{١٤}/_{١٧} مَا عَجَبَ النَّاسُ لَهُ، وَرَثَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ، فَرَوَاهَا أَهْلُ الْبَصْرَةِ، وَنِيحَ بِهَا عَلَى عَبْدِ الْمَجِيدِ، وَكَانَ النَّاسُ يُعْجَبُونَ بِهَا وَيَسْتَحْسِنُونَهَا.

أخبرني الحسن بن علي، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ التُّوشْجَانِيُّ^(٤)، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: حَضَرْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ لَابْنَ مَنَازِرٍ: أَنْشِدْنِي مَا قُلْتَ فِي عَبْدِ الْمَجِيدِ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الطَّوِيلَةَ الدَّالِيَةَ. قَالَ سُفْيَانُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، فَلَقَدْ تَفَرَّدْتَ بِمِرَاتِي أَهْلَ الْعِرَاقِ.

سقوط عبد المجيد من السطح على رأسه وموته

فأخبرني عمي، قال: حَدَّثَنِي أَبُو هِفَّانٍ، قَالَ: قَالَ جَمَّازُ:

تَزَوَّجَ عَبْدُ الْمَجِيدِ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِهِ فَأَوْلَمَ عَلَيْهَا شَهْرًا يَجْتَمِعُ عِنْدَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَجُوهُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأَدْبَاؤُهَا وَشِعْرَاؤُهَا، فَصَعِدَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى السَّطْحِ فَرَأَى طُنْبًا مِنْ أَطْنَابِ السُّتَارَةِ قَدْ انْحَلَّ، فَأَكْبَتْ عَلَيْهِ لِيَشْدَهُ، فَتَرَدَّى عَلَى رَأْسِهِ وَمَاتَ مِنْ سَقَطَتِهِ، فَمَا رَأَيْتُ مُصِيبَةً قَطُّ كَانَتْ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَنْكَأَ لِلْقُلُوبِ.

[١٧٩/١٨]

/ طارح محمد بن عمر الخراز رثاه في عبد المجيد وناحا عليه به بعد أن وضعها فيه لحناً

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلِ الْعَنْزِي، قَالَ: حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْخَرَّازِ^(٥)، قَالَ:

قَالَ لِي ابْنُ مَنَازِرٍ: وَيْحَكَ! وَلَسْتُ أَرَى نِسَاءً ثَقِيفٍ يَنْحَنُّ عَلَى عَبْدِ الْمَجِيدِ نِيَاحَةً عَلَى اسْتِوَاءٍ، قُلْتَ: فَمَا

(١) في ب: أزل.

(٢) في ب: «بأن تلقاه... غير بان»، تحريف.

(٣) كذا في ف. وفي ب، س: «جاء البيت الثامن مكان التاسع».

(٤) ف: محمد بن محمد بن القاسم التوشجاني.

(٥) ف: عن جعفر بن سليمان، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْجَانِ.

تُحِبُّ؟ قال: تخرجُ معي حتى أطارحك، فطارحني القصيدة التي يقول فيها:

إِنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى هَدَّ رُكْنَاً مَا كَانَ بِالْمَهْدُودِ
هَدَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ رُكْنِي وَقَدْ كُنْتُ سَتُّ بِرُكْنِ أَبَوٍ مِنْهُ شَدِيدِ^(١)

قال: فما زِلْتُ حتى حفظتها ووعيتها، ووضعنا فيها لحناً، فلما كان في الليلة التي يُنَاح بها على عبد المجيد فيها، صلينا العشاء الآخرة في المسجد الجامع، ثم خرجنا إلى دارهم، وقد صعد النساء على السطح يُنَحْن عليه، فسكتن سكنةً لهن، فاندفعنا أنا وهو ننوح عليه، فلما سمعنا أقبلن يَلْطُمْنَ ويصُخْنَ حتى كَذَن يَنْقَلِبْنَ من السطح إلى أسفل من شدة تَشْرِفِهِنَّ علينا وإعجابِهِنَّ بما سمعنه منا، وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا، وشاع الخبر بالبصرة وتحدث به الناس حتى نُقِل من مجلس إلى مجلس.

أم عبد المجيد تبرّ قسمه وتصيح صباحاً يقال إنه أول ما قيل في الإسلام

وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويهِ، قال لي: حدثني موسى بن^(٢) حماد بن عبد الله القرشي، قال: حدثني محمد بن النعمان بن جبلة الباهلي، قال: لما قال ابن مُنَازِر:

لَأَقِيمَنَّ مَاتِماً كُنْجُومَ اللَّيْلِ زُفْراً يَلْطُمْنَ حُجْرَ الْخُدُودِ
مُوجِعَاتٍ يَكِينُ لِلْكَبِيدِ الْحَسْرَى عَلَيْهِ وَلِلْفُؤَادِ الْعَمِيدِ

/ قالت أم عبد المجيد: والله لأبرنَّ قسمه، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مَاتِماً عليه، وقامت تصيح عليه: واي، ويه، واي، ويه، فيقال: إنها أول من فعل ذلك وقاله في الإسلام.

رثاء له في عبد المجيد

وأخبرني بهذا الخبر ابنُ عَمَّارٍ عن علي بن محمد النوفلي عن عمه:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد، عن محمد بن عامر النخعي^(٣)، قال:

أشدني محمد بن مُنَازِرٍ لنفسه يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب يقول:

/ يَا عَيْنُ حَقِّ لَكَ الْبُكَاءُ لِحَادِثِ الرُّزْءِ الْجَلِيلِ
فَابْكِي عَلَى عَبْدِ الْمَجِيدِ دِ وَأَعُولِي كُلَّ الْعَوِيلِ
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ الْفَتَى الـ فَيُضَاضَ ذَا الْبَاعِ الطَّوِيلِ
عَجَلِ الْجِمَامِ بِهِ فَوْدٌ عَنَّا وَأَذَنَ بِالْسَّرَجِيلِ
لَهْفِي عَلَى الشَّعْرِ الْمُعَفَّرِ مِنْكَ وَالْخَدَّ الْأَسِيلِ
كَسَفَتْ لِفَقْدِكَ شَمْسُنَا وَابْذُرْ أَذَنَ بِالْأَفُولِ

عرض قصيدته الدالية على أبي عبيدة فلم تعجبه

حدثني عمي قال: حدثنا الكُرَاني قال: حدثني النَّضْرُ بن عمرو عن المازني، قال: حدثنا حَيَّان:

(١) بيتان من قصيدة تقع في تسعة وثلاثين بيتاً. انظر «مذهب الأغاني» ٧ - ١٦٠.

(٢) ف: «حدثني يونس بن حماد».

(٣) ف: «الحنفي».

أن ابن منذر دفع قصيدته الدالية إليه، وقال: اعرضها على أبي عبيدة، فأتيته وهو على باب أبي عمرو بن العلاء، فقرأت عليه منها خمسة أبيات فلم تُعجبه، وقال: دعني من هذا، فإني قد تشاغلْتُ بحفظ القرآن عنه وعن مثله، قال: وكان أبو عبيدة يُبغضه ويُعاديه لأنه هجَاه.

هبود وهبود

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: قال ابن منذر: قلت:

* يَقْدَحُ الدهرُ في شماريخ رَضْوَى *

/ ثم مكثتُ حَوْلًا لا أدري بِمَ أتممته، فسمعت قائلًا يقول: هَبُود، قلت: وما هَبُود؟ فقال لي: جُبَيْل في [١٨١/١٨] بلادنا، فقلت:

* وَيُحْطُ الصُّخُورَ من هَبُود *

قال إسحاق: وسمع أعرابي هذا البيت، فقال: ما أجهل قائله بهَبُود! والله أنها لأَكِيمة ما تُؤارى الخارىء، فكيف يحط منها الصُّخورا.

أخبرني عمي، قال: حدثنا الكُراني، قال: حدثني أبو حاتم، قال: سمعتُ أبا مالك عمرو بن كِرْكِرَة يقول:

أنشدني ابنُ مُناذر قصيدته الدالية التي رثى فيها عبدَ المجيد، فلما بلغ إلى قوله:

يَقْدَحُ الدهرُ في شماريخ رَضْوَى وَيُحْطُ الصُّخُورَ مِنْ هَبُود

قلت له: هَبُود، أي شيء هو؟ فقال: جبل، فقلت: سَخِنت عينك، هَبُود والله بئر باليمامة ماؤها ملح لا يشرب منه شيء خلقه الله، وقد والله خربتُ فيها مرَّات، فلما كان بعد مدة وقفتُ عليه في مسجد البصرة وهو ينشدها، فلما بلغ هذا البيت أنشدتها:

* وَيُحْطُ الصُّخُورَ من هَبُود *

فقلت له: هَبُود، أي شيء هو ذا^(١)؟ فقال: جبل بالشَّام، فلعلك يابن الزَّانية خربت عليه أيضاً، فضحكْتُ ثم قلت: لا ما خربت عليه ولا رأيته، وانصرفت عنه وأنا أضحك.

أخبرني عمي قال: حدثني الكُراني، عن العُمري، عن الهيثم بن عدي، قال:

كان يحيى بنُ زياد يُرمَى بالزُّندقة، وكان من أظرف الناس وأنظفهم، فكان يقال: أظرف من الزُّنديق.

/ شعر له في محمد بن زياد

وكان الحاركي واسمه محمد بن زياد يُظهر الزُّندقة تظارفاً، فقال فيه ابنُ مُناذر:

يَا بَنَ زِيَادٍ يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَظْهَرْتَ دِينًا غَيْرَ مَا تُخْفِي
مُزَنَّدَقٍ وَالظَّاهِرِ بِاللَّفْظِ^(٢) فِي بَاطِنِ إِسْلَامٍ فَتَى عَفِ

(١) في ب، س: أي شيء هو زيادة.

(٢) ف: «مزنَّدق الظاهر باللفظ».

لَسْتُ بِزَنَدِيْقِي وَلَكِنَّمَا
أَرَدْتُ أَنْ تُوسِّمَ بِالظَّرْفِ^(١)
وقال فيه أيضاً:

يَا أَبَا جَعْفَرٍ كَأَنَّكَ قَدْ صِرَ
/ من مطايا ضوامر ليس يَصْهَدُ
لَمْ يُذَلِّلْنَ بِالسُّرُوجِ وَلَا أَقْدُ
قَائِمَاتٍ مُسَوِّمَاتٍ لَدَى الْجِسْدِ
ت على أَجْرِدِ طَوِيلِ الْجِرَانِ^(٢)
نَ إِذَا مَا رُكِبْنَ يَوْمَ رِهَانِ
رَحَّ أَشْدَقَهُنَّ جَذْبُ الْعِنَانِ
ر لَأَمْثَالِكُمْ مِنَ الْفِثْيَانِ

١٦
١٧

انصرف الناس عن حلقة إلى حلقة عتبة النحوي فقال شعراً في ذلك

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة، قال:

كان عتبة النحوي من أصحاب سيويه، وكان صاحب نحو فهِماً بما يشرحه ويفسره على مذاهب أصحابه، وكان ابن مناذر يتعاطى ذلك، ويجلس إليه قوم يأخذونه عنه، فجلس عتبة قريباً من حلقة، فتقوض الناس إليه، وتركوا ابن مناذر، فلما كان في يوم الجمعة الأخرى قام ابن مناذر من حلقة، فوقف على عتبة، ثم أنشأ يقول:

قُومُوا بِنَا جَمِيعاً
لِحَلْقَةِ الْعَلَاذَارِ
تَجْمَعُونَ لِلشَّقَاءِ
إِلَى عُتْبَةِ الْخَسَارِ^(٣)
مَالِي وَمَالِ الْعُتْبِ
عَ إِذْ يَتَغَيَّرُ ضَرَارِي

/ قال: فقام عتبة إليه فناشده ألا يزيد، ومنع من كان يجلس إلى ابن مناذر من حضور حلقة، وجلس هو بعيداً من ابن مناذر بعد ذلك.

[١٨٣/١٨]

كان جاره ابن عمير يغري به المعتزلة فهجاء

حدثني عمي، قال: حدثنا الكُراني، قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة، قال:

كان لابن مناذر جارٌ يقال له ابن عمير^(٤) من المعتزلة، فكان يسعى بابن مناذر إليهم، ويسبّه ويذكره بالفسق ويغريهم به، فقال يَهْجُوهُ:

بُؤْ عُمَيْرُ مَجْدُهُمْ دَارُهُمْ
وَكُلَّ قَوْمٍ فَلَهُمْ مَجْدُ
كَأَنَّهُمْ فَقْعٌ^(٥) بِدَوِيَّةٍ
وَلَيْسَ لَهُمْ قَبْلٌ وَلَا بَعْدُ
بَسْتُ عُمَيْرَ لَوْ مَهْ فِيهِمْ
فَكُلُّهُمْ مِنْ لَوْ مَهْ جُعْدُ

وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي، عن ابن مَهْرُويه، عن التَّوْفَلِيِّ بِمِثْلِهِ، وزاد فيه: وعبد الله بن عُمَيْر - أَبُو هُوَلَاءَ الَّذِينَ هَجَاهُمْ - أَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ لَأُمِّهِ، أَثْمَهُمَا دَجَاجَةٌ بِنْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الصَّلْتِ السَّلَمِيِّ.

(١) في ف: البيت الثاني مكان الثالث.

(٢) الجران: باطن العنق من البعير وغيره.

(٣) في هب: جتمع. وفي ب، بيروت: «يجتمعن... مع عتبة».

(٤) ف: «أبو عمير».

(٥) الفقع: البيضاء الرخوة من الكماء. يقال للذليل: هو أذل من فقع بقرقرة أو بقرقر. وفي ب: «فقع»، تصحيف.

كان من أحضر الناس جواباً

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدثنا الخليل بن أسد، قال:

كان ابنُ مُناذِرٍ من أحضر الناس جواباً، قال له رجل: ما شأنك؟ قال: عِظَم في أنفي.

قال: وسأله رجلٌ يوماً: ما الجزاء؟ فأوماً بيده إلى الأرض، قال: هذه، يَهْزَأُ به، وإنما الجزاء

السماء.

خبره مع الخليل بن أحمد

أخبرني أحمدُ بنُ العباس العسْكَريُّ المؤدَّب، قال: حدثنا الحسن بن عُليِّ العنْزِي، قال: حدَّثني جَعْفَرُ بنُ

مُحمَّد عن دَمَازٍ^(١) قال:

/ دار بينَ الخليل بن أحمد وبين ابنِ مُناذِرٍ كلام، فقال له الخليل: إنما أنتم مغشَّر الشعراء تبع لي، وأنا سُكَّان [١٨ / ١٨٤] السَّفِينَةِ، إن قرَّظتكم ورَضِيتُ قولكم نَفَقْتُمْ وإلا كَسَدْتُمْ، فقال ابنُ مُناذِرٍ: والله لأقولنَّ في الخليفة قَصِيدَةً أمتدَّحُه بها ولا احتاجُ إليك فيها عنده ولا إلى غيرك.

بمدح الرشيد فيجيزه

فقال في الرَّشيد قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا:

مَا هَيَّجَ الشُّوقُ مِنْ مُطَوَّقَةٍ أَوْقَتْ عَلَى بَانَةٍ تُعْنِينَا

يقول فيها:

وَلَوْ سَأَلْنَا بِحُسْنِ وَجْهِكَ يَا هَارُونَ صَوْبَ الْغَمَامِ أَسْقِينَا

/ قال: وأراد أن يقدِّمها^(٢) إلى الرشيد، فلم يلبث أن قدَّم الرشيدُ البَصْرَةَ حَاجًّا لِيَأْخُذَ عَلَى طَرِيقِ النَّبَاجِ^(٣) وكان الطريق^(٤) قديماً، فدخلها وعَدَّيْلُهُ إِبْرَاهِيمَ الْحَرَّانِيَّ فَتَحَمَّلَ عَلَيْهِ ابْنُ مُناذِرٍ بَعَثْمَانُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِي، وأبي بكر السَّلَمِيَّ حَتَّى أَوْصَلَاهُ إِلَى الرَّشِيدِ، فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا بَلَغَ آخِرَهَا كَانَ فِيهَا بَيْتٌ يُفْتَخِرُ فِيهِ وَهُوَ:

قَوْمِي تَمِيمٌ عِنْدَ السَّمَاءِ لَهُمْ مَجْدٌ وَعِزٌّ فَمَا يُبَالُونَا^(٥)

فلما أنشده هذا البيت تعصَّب عليه قَوْمٌ من الجلساء، فقال له بعضهم: يا جاهِلُ، أتفخر في قصيدة مدحت بها أمير المؤمنين. وقال آخر: هذه حماقة بَصْرِيَّة، فكفَّهم عنه الرشيد ووهب له عشرين ألف درهم.

الرشيد يستشهد بشعره ويبعث له بجائزة

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأَخْفَش قال: حدَّثنا محمد بنُ يزيد، قال: حدَّثني سهيل السَّلَمِي: أَنَّ الرَّشِيدَ اسْتَشَقَّى فِي سَنَةِ قَحْطِ فُسْقِي النَّاسِ، فَسُرَّ بِذَلِكَ، وَقَالَ: لَهِ دَرُّ ابْنِ مُناذِرٍ حَيْثُ يَقُولُ:

(١) ب: ابن دماز.

(٢) ف: بيروت: «يفتد بها»، وفي المختار: «يفتدها».

(٣) في بلاد العرب نَبَاجَان، أحدهما على طريق البصرة يقال له نَبَاج بني عامر وهو بحذاء فيد، والآخر نَبَاج بني سعد بالقريتين.

(٤) في ب، بيروت: «وهو كان الطريق».

(٥) ف: «فما يبالونا».

/ ولو سألنا بحسن وجهك يا
هارون صوب الغمام أسقينا
وسأل عن خبره فأخبر أنه بالحجاز، فبعث إليه بجائزة.

هجاؤه بكر بن بكار

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، عن محمد بن عمران الصيرفي، قال: حَدَّثَنَا العَنْزِي، قال: حَدَّثَنَا نَصْر بن علي الجهمي، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن عباد المهلب^(١)، قال:

شهد بكر بن بكار عند عبيد الله بن الحسن بن الحُصَيْن بن الحرّ العنزي شهادة، فتبسّم ثم قال له: يا بكر، ما لك ولا بن مُناذر حيث يقول:

أعوذ بالله من النار ومنك يا بكر بن بكار
فقال: أصلح الله القاضي، ذاك رجل ماجن خليع لا يُبالي ما قال، فقال له: صدقت وزاد تبسّمه، وقيل شهادته، وقام بكر وقد تشوّر^(٢) وخجل. قال العنزي: فحدثني أبو غسان دماذ قال:

أنشدني ابن مُناذر هذا الشعر الذي قاله في بكر بن بكار وهو:

أعوذ بالله من النار ومنك يا بكر بن بكار
يا رجلاً ما كان فيما مضى
ما منزل أحدته رايماً
ما تبرح الدهر على سواة
يا معشر الأحداث يا ويحك
من حربة نبطت على حقوه
ينوم تمئى أن في كفه
لآل حمران بسزوار
مُعزلاً^(٣) عن عرصة الدار
تطرح حباً للخشنشار
تعوذوا بالخالق الباري
يسعى بها كالبطل الشاري
أبى أبي الخضر بدينار

/ قال ابن مهرويه في خبره: والخشنشار هو معاوية الزبدي المحدث، ويكنى أبا الخضر، وكان جميل الوجه. [١٨٦/١٨]

وقال العنزي في حديثه: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الحمراني، وقد سأله عن معنى هذا الشعر، فقال: الخشنشار: غلام أمرد جميل الوجه كان في محلّتنا، وهذا لقبه، وكان بكر بن بكار يتعشقه، فكان يجيء إلى أبي فيُذَكِّره الحديث ويُجالسه ويُنظر إلى الخشنشار.

قال العنزي: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّة، قال:

بلغني أن عبيد الله بن الحسن^(٤) لقي / ابن مُناذر فقال له: ويحك، ما أردت إلى بكر بن بكار ففصّحته، وقلت فيه قولاً لعلك لم تتحقّقه؟ فبدأ ابن مُناذر يحلف له بيمين ما سمعت قط أغلظ منها، أن الذي قاله في بكر شيء يقوله معه كل من يعرف بكراً ويعرف الخشنشار، ويُجمع عليه ولا يخالفه فيه، فانصرف عبيد الله مغموماً بذلك قد بان

١٨
١٧

(١) كذا في ف. وفي ب: «أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا الحسن بن علي، قال:

حدثنا نصر بن علي الجهمي، قال: حدثني محمد بن عباد المهلب، قال:».

(٢) تشوّر مطاوع شوره، أي خجل.

(٣) ب، بيروت: متزحاً.

(٤) في هب: عبيد الله بن الحسين. وفي ب: عبد الله بن الحسن.

فيه، فلما بعد عنا، قُلْتُ لابن مُناذِر: برىء الله منك، وَيْلَكَ ما أَكْذَبَكَ! أَكُلُّ مَنْ يَعْرِفُ بَكَرَ بْنَ بَكَّارٍ^(١) يقول فيه مِثْلَ قَوْلِكَ حتى حَلَفْتُ بهذه اليمين؟ فقال: سَخِنتُ عَيْنَكَ، فإذا كنتَ أَعْمَى الْقَلْبِ أي شيء أصنع! أفتراني كنتَ أَكْذَبُ نَفْسِي عند القاضي، إنما مَوَّهْتُ عليه وحلفت له أن كُلَّ مَنْ يَعْرِفُهَا يقولُ مِثْلَ قَوْلِي، وَعَتَيْتُ ما ابتدأت به من الشعر وهو قَوْلِي:

* أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ *

أفتعرف أنتَ أَحَدًا يَعْرِفُهُما أو يَجْهَلُهُما إِلَّا يقول كما قلت: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، إنما مَوَّهْتُ على القاضي وأردتَ تَحْقِيقَ قَوْلِي عنده.

/ قال مؤلف هذا الكتاب: وبَكَرُ بْنُ بَكَّارٍ رَجُلٌ مُحَدِّثٌ، قد رَوَى عن وَرْقَاءَ، عن ابن أَبِي نُجَيْجٍ تَفْسِيرَ [١٨٧/١٨] مُجَاهِدٍ، وَرَوَى حَدِيثًا صَالِحًا.

أخبرني حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ، قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، قال: حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُحَرَّرِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «زَيُّتُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ».

أخبرني الحسن بن علي، قال: حَدَّثَنَا ابنُ مَهْرُويه، قال: حَدَّثَنِي الْأَحْوَصُ بْنُ الْفَضْلِ الْبَصْرِيُّ^(٢)، قال: حَدَّثَنَا ابْنُ مُعَاوِيَةَ الزِّيَادِيُّ، وَأَبُوهُ الْخُسْنَشَارُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ ابْنُ مُنَازِرٍ:

* تُطْرَحُ حَبًّا لِلْخُسْنَشَارِ *

قال: حَدَّثَنِي مَنْ لَقِيَ ابْنَ مُنَازِرٍ بِمَكَّةَ فَقَالَ: أَلَا تَسْتَأْذِنُ إِلَى الْبَصْرَةِ؟ فقال له:

أخبرني عن شمس الوزانين، أَعَى حالها؟ قال: نعم، قال: وَثِيقُ بْنُ يَوْسَفَ الثَّقَفِيِّ حَيٌّ؟ قال: نعم، قال: فَغَسَّانُ بْنُ الْفَضْلِ^(٣) الْغَلَائِي حَيٌّ؟ قال: نعم، قال: لا، والله لا دَخَلْتُهَا ما بَقِيَ فِيهَا وَاحِدٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ. قال: وَشَمْسُ الْوَزَانِينَ فِي طَرَفِ الْمِرْبَدِ بِحَضْرَةِ مَسْجِدِ الْأَنْصَارِ فِي مَوْضِعِ حَيْطَانِهِ قِصَارًا لَا تَكَادُ الشَّمْسُ تَفَارِقُهُ.

كان محمد بن عبد الوهاب أخو عبد المجيد يعاديه

أخبرني حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، قال:

كان مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ أَخُو عَبْدِ الْمَجِيدِ يُعَادِي مُحَمَّدَ بْنَ مُنَازِرٍ بِسَبَبِ مَيْلِهِ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ الْمَجِيدِ، وَكَانَ ابْنُ مُنَازِرٍ يَهْجُوهُ وَيَسُبُّهُ وَيَقْطَعُهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَطْلُبُ لِصَاحِبِهِ الْمَكْرُوهَ وَيَسْعَى عَلَيْهِ، فَلَقِيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنَ مُنَازِرٍ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ، وَمَعَهُ دَفْتَرٌ فِيهِ كِتَابُ الْعَرُوضِ بِدَوَائِرِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ يَعْرِفُ الْعَرُوضَ، فَجَعَلَ يَلْحَظُ الْكِتَابَ وَيَقْرُؤُهُ فَلَا يَفْهَمُهُ، وَابْنُ مُنَازِرٍ / مُتَغَابِلٌ عَنْ فِعْلِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا فِي كِتَابِكَ [١٨٨/١٨] هَذَا؟ فَخَبَّاهُ فِي كُمِّهِ وَقَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ عَلَيْكَ مِمَّا فِيهِ؟ فَتَعَلَّقَ بِهِ وَلَبَّيْهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ مُنَازِرٍ: يَا أَبَا الصَّلْتِ، اللَّهُ اللَّهُ فِي دَمِي، فَطَمَعَ فِيهِ وَصَاحَ يَا زَنْدِيقَ، فِي كُمِّكَ الزَّنْدَقَةُ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَأَخْرَجَ الدَّفْتَرَ مِنْ كُمِّهِ وَأَرَاهُمْ^(٤) إِيَّاهُ،

(٢) في هب: المفضل النصري. وفي ب: المفضل.

(١) في ب: بكر بن وائل.

(٤) في ب: وأراه.

(٣) ف: «المفضل».

فَعَرَفُوا بَرَاءَتَهُ مِمَّا قَدْ فَهَ بِهِ، وَوَثَبُوا عَلَى مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَاسْتَخَفُّوا بِهِ، وَأَنْصَرَفَ بِخِزْيٍ^(١)، وَقَالَ ابْنُ مُنَازِرٍ يَهْجُوهُ:

إِذَا أَنْسَتَ تَعَلَّقَتْ^(٢) / إِذَا مَا بَلَغَ الْمَجْدُ
تَعَلَّقَتْ بِخَبْلٍ وَ / تَقَاصَّرَتْ عَنِ الْمَجْدِ
فَلَا تَسْمُو إِلَى الْمَجْدِ / وَلَا فَارْعُكَ فِي الْعَيْدِ
وَمَا يُبْقِي لَكُمْ يَاقُو / فَهَافَا سَمِعَ قَرِيضاً مِنْ
يَقُولُ الْحَقُّ إِنْ قَال / وَفِي نَعْتٍ لَوْ جَعَاءُ
فَعِنْدِي لَكَ يَا مَآبُور / عُثْلٌ يُعْمِلُ الْكُؤُومَ
لَهُ فَيَشَلُّهُ إِنْ أَد / وَإِلَّا فَاطْلُبْ وَجَعَاءُ
أَلَمْ يَبْلُغْكَ تَسَالِي / فَقَالَ الشَّيْخُ سَرَجُؤِي
فَخُذْ مِنْ وَرَقِ الدُّفْلَى / وَخُذْ مِنْ جَعْرِ^(١٠) كَيْسَانَ
فَغَرَّغْزِهِ بِهِ وَاسْعَطْ

بَحْبَلٍ مِنْ أَبِي الصَّلَاتِ / هَمِّنِ الْقُسُوءَ مُنْبِتِ
ذَوُ الْأَحْسَابِ بِالْمَسْتِ / بِأَمْرِ رَائِبٍ شَخْبِ^(٣)
فَمَا أَمْرُكَ^(٤) بِالنَّبَاتِ / نَ عُوذُ نَاضِرُ النَّبَاتِ^(٥)
مُ مِنْ أُنْثَتِكُمْ نَحْتِي / رَقِيقِي حَسَنِ النَّعْتِ
وَلَا يَرْمِيكَ بِالْبَهْتِ / قَدْ اسْتَرْخَتْ مِنَ الْفَتِ
نِ مِثْلُ الْفَالَجِ الْبُخْتِي^(٦) / مِنْ السَّبَاتِ إِلَى السَّبَاتِ
خَلَّتْ وَاسْعَةُ الْخَرْتِ^(٧) / لَكَ بِالْخَضْخَاضِ وَالزَّفَاتِ^(٨)
لَدَى الْعَلَامَةِ الْمَرْتِ / هُ^(٩) : دَاءُ الْمَرءِ مِنْ تَخْتِ
وَحِذْ مِنْ وَرَقِ الْقَسْتِ / وَمِنْ أَظْفَارِ نَسْخَتِ
بِذَا فِي دَائِهِ أَفْتِي

١٩
١٧

[١٨٩/١٨]

قال: وَنَسَخْتُ^(١١): لَقَبَ أَبِي عُيَيْدَةَ، وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْيَهُودِ؛ لُقِبَ بِهِ تَعْرِيضاً بِأَن جَدَّهُ كَانَ يَهُودِيّاً، وَكَانَ أَبُو عُيَيْدَةَ وَسِخاً طَوِيلَ الْأَظْفَارِ أَبَداً وَالشَّعْرَ، وَكَانَ يَعْضَبُ مِنْ هَذَا اللَّقَبِ.

(٣) الرائب من الأمور: ما فيه شبهة وريبة. والشخت: الضامر.
(٤) ف: فما أصلك.

(١) في ب: فانصرفوا ووثب يجري.

(٢) ف: تمسكت.

(٥) في ب: «البكت»، تحريف.

(٦) في ف، بيروت: «مثل الجمل البختي». وفي ب: «الفالج البحت». ولعلها الفالج البخت وهو ما أثبتناه. والفالج: الجمل الضخم ذو السنامين، والبخت: الإبل الخراسانية.

(٧) الخرت: الثقب.

(٨) الوجعاء: الساقلة؛ وهي الدبر. والخضخاض: نطف أسود تدهن به الإبل الجري.

(٩) في ف: وقال الشيخ ما سر جويته...

(١٠) في ب: وخذ من جعد... والجعر: خرق كل ذي مخلب من السباع.

(١١) في ف: سنخت. وفي المختار: شبيخت.

فأخبرني الحسن بن علي، عن ابن مهزويه، عن علي بن محمد النوفلي، قال: لما قال ابن مناذر هذه الأبيات:

إذا أنست تعلقست بحبل من أبي الصلت
تعلقست بحبل وا من القوّة مُنبّت
وقال الشيخ سرجويه: داء المرء من تحت

/ فبلغ ذلك سرجويه، فجاء إلى محمد بن عبد الوهاب، فوقف عليه في مجلسه وعنده جماعة من أهله [١٩٠/١٨] وإخوانه وجيرانه، فسلم عليه وكان أعجمياً لا يفصح، ثم قال: «بركست كمن كفتم أن كسر مناذر كفت: داء المرء من تحت»^(١)، فكاد القوم أن يقتضخوا من الضحك، وصاح به محمد: اعزب قبحك الله، فظن أنه لم يقبل عذره، فأقبل يحلف له مجتهداً ما قال ذاك، ومحمد يصيح به: ويلك اعزب عني، وهو في الموت منه، وكلما زاده من الصباح إليه زاده في العذر واجتهد في الأيمان، وضحك الناس حتى غلبوا، وقام محمد خجلاً فدخل منزله وتفرقوا. قال أبو الحسن النوفلي: ثم مضى لذلك زمان، وهجا أبو نعمة أبا عبد الله عريسة الكاتب / فقال فيه: $\frac{20}{17}$

وروى شيخ تميم خالداً أن هريسة
يُذخِلُ الأصلع ذا الخسر جين في جوف الكنيسة

فلقي خالد بن الصباح هذا هريسة، وكان يُعادي، وأراد أن يُخجله، فحلف له مجتهداً أنه لم يقل فيه ما قاله أبو نعمة، فقال هريسة: يا باردا! لم تُرد أن تعتذر، إنما أردت أن تشبهه بابن مناذر ومحمد بن عبد الوهاب، وبأبي الشمقم وأحمد بن المعدل، ولست من هؤلاء في شيء.

شعر له في ضرير وأخرس جالسين عنده

قرأت في بعض الكتب عن ابن أبي سعد، قال: حدثني أبو الخطاب الحسن بن محمد، عن محمد بن إسحاق البلخي، قال:

دخلت على ابن مناذر يوماً وعنده رجل ضرير جالس عن يمينه، ورجل بصير جالس عن شماله ساكت لا ينطق، قال: فقلت له: ما خبرك؟ فقال:

/ بين أعمى وأخرس أخرس الله لسان الأعمى وأعمى البصير
قال: فوثباً فخرجا من عنده وهما يشتمان.

خبره مع سفيان بن عيينة

ونسخت من كتاب ابن أبي الدنيا: حدثني أبو محمد التميمي، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله، عن الحسن بن علي، قال:

كنا عند باب سفيان بن عيينة وقد هرب منا، وعنده الحسن بن علي التختاخ، ورجل من الحجة، ورجل من أصحاب الرشيد، فدخل بهم وليس يأذن لنا، فجاء ابن مناذر فقرأ من الباب، ثم رفع صوته فقال:

(١) كذا في هب، مد: يريد سرجويه أن يقول لابن عبد الوهاب: «إن ما قاله ابن مناذر منسوباً إليه غير صحيح».

بَعْمَرٍ وَبِالزُّهْرِيِّ وَالسَّلَفِ الْأُولَى بِهِمْ ثَبَّتَ رَجُلًاكَ عِنْدَ الْمَقَاوِمِ
جَعَلْتَ طَوَالَ الدَّهْرِ يَوْمًا لَصَالِحٍ وَيَوْمًا لَصَبَّاحٍ وَيَوْمًا لِحَاتِمِ
وَلِلْحَسَنِ التَّخْتَاخِ^(١) يَوْمًا وَدُونَهُمْ خَصَصْتُ حُسَيْنًا دُونَ أَهْلِ الْمَوَاسِمِ
نَظَرْتُ وَطَالَ الْفِكْرُ فِيكَ فَلَمْ أَجِدْ رَحَاكَ جَرَتْ إِلَّا لِأَخِي الدَّرَاهِمِ
فَخَرَجَ سُفْيَانُ فِي يَدِهِ عَصَا وَصَاحَ: خُذُوا الْفَاسِقَ، فَهَرَبَ ابْنُ مُنَادِرٍ مِنْهُ، وَأَذِنَ لَنَا فَدَخَلْنَا.

رثاؤه سُفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الْمُؤَدَّبُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ قُدَّامَةَ، قَالَ:

سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عَيْنَةَ يَقُولُ لِابْنِ مُنَادِرٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا بَقِيَ أَحَدٌ أَخَافُهُ غَيْرَكَ، وَكَأَنِّي بِكَ قَدْ مِتُّ فَرُئِيتَنِي، فَلَمَّا مَاتَ سُفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ، قَالَ ابْنُ مُنَادِرٍ يَرِئِيهِ:

رَاحُوا بِسُفْيَانَ عَلَى نَعْشِهِ وَالْعِلْمُ مَكْسُورٌ مِنْ أَكْفَانَا^(٢)
/ إِنَّ الَّذِي غَوَدَ^(٣) بِالْمُنْحَنِى هَدَّ مِنَ الْإِسْلَامِ أَرْكَانَا
لَا يُعِيدُنَاكَ اللَّهُ مِنْ مَيِّتٍ وَرَثَتْنَا^(٤) عِلْمًا وَأَحْزَانَا

[١٩٢/١٨]

سُفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ ابْنِ مُنَادِرٍ

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْخٍ قَالَ: حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَقَالُ لَهُ عَوَّامٌ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عَيْنَةَ وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلَامِ اسْتَحْسِنَ، فَسَأَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُنَادِرٍ أَنْ يَمْلِكِهِ عَلَيْهِ، فَتَبَسَّمَ سُفْيَانُ وَقَالَ لَهُ: هَذَا كَلَامُ سَمِيعَتِكَ تَتَكَلَّمُ بِهِ فَاسْتَخَسَّشْتَهُ فَكَتَبْتُهُ عَنْكَ، قَالَ: ٢١ / وَعَلَى ذَلِكَ أَحَبُّ أَنْ تَمْلِكِهِ عَلَيَّ، فَإِنِّي إِذَا رَوَيْتُهُ عَنْكَ كَانَ / أَنْفَقَ لَهُ مِنْ أَنْ أُسَبِّهَ إِلَى نَفْسِي.

قَالَ عَوَّامٌ: وَأَنْشَدَنِي ابْنُ عَائِشَةَ لِابْنِ مُنَادِرٍ يَرِئِيهِ سُفْيَانَ بْنَ عَيْنَةَ بِقَوْلِهِ:

يَجْنِي مِنَ الْحِكْمَةِ نُوَارَهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ الْوَانَا^(٥)
يَا وَاحِدَ الْأُمَّةِ فِي عِلْمِهِ لَقِيتَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ غُفْرَانَا
رَاحُوا بِسُفْيَانَ عَلَى نَعْشِهِ وَالْعِلْمُ مَكْسُورٌ مِنْ أَكْفَانَا

رَجَعَ إِلَى الْمَجُونِ بَعْدَ مَوْتِ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَامِرٍ الْحَنْفِيِّ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، خَرَجَ ابْنُ مُنَادِرٍ إِلَى مَكَّةَ، وَتَرَكَ التُّسُكَ وَعَادَ لِلْمَجُونِ وَالْخَلْعِ، وَقَالَ:

(١) فِي ف: الْمَحْتَاج. وَالتَّخْتَاخ: الْأَلَكَن.

(٢) فِي «مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ» ٦٠/١٩: «رَاحُوا بِسُفْيَانَ عَلَى عَرْشِهِ».

(٣) فِي ب: غَوَر.

(٤) ف، بِيْرُوت: وَرَثَتْنَا.

(٥) فِي «مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ» ١٩ - ٦٠: «يَجْنِي مِنَ الْحِكْمَةِ سُفْيَانَنَا».

في هذا المعنى شِعْراً كثيراً، حتى كان إذا مَدَحَ أو فَخَرَ، لم يجعل افْتِتَاحَ شعره ومَبَادِيهِ إلا المُجَوْنَ، وحتى قال في مَدْحِهِ للرَّشِيد:

هل عندكم رُخْصَةً عن الحسن البُضْري في العِشْقِ وابنِ سِيرِينَا
/ إِنَّ سَفَاهَا بِلَدِي الْجَلَالَةِ وَالشُّنْبَةِ لَا يَزَالُ مَفْتُونَا

[١٩٣/١٨]

وقال أيضاً في هذا المعنى:

ألا يا قمر المَسْجِدِ هل عندك تَنْوِيلُ
شِفَائِي مِنْكَ - إن نَوَّلْتَنِي - شَمٌّ وَتَقْيِيلُ
سَلَاكُ كُلِّ فُؤَادٍ^(١) و فُسُوَادِي بِكَ مَشْفُوعُ
لَقَدْ حُمِلْتُ مِنْ حُبِّهِ كَمَا لَا يَحْمِلُ الْفِيلُ^(٢)

خبره مع يونس النحوي

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابنُ مَهْرُويه، قال: حدثنا العباس بن الفضل الربيعي، قال: حدثني التَّوْزِي، قال:

قال ابنُ مناذر ليونس النحوي يُعَرِّضُ به: أخبرني عن جُبَلِ أَنْتَصَرَفَ أم لا؟ وكان يونس من أهلها، فقال له: قد عرفتُ ما أردتَ يابنَ الزَّانِيَةِ. فانصرفَ ابنُ مُنَازِرٍ: فَأَعَدَّ شُهوداً يَشْهَدُونَ عليه بذلك، وصار إليه وسأله، هل تنصرف جُبَلُ؟ وعَلِمَ يونس ما أراد، فقال له: الجوابُ ما سَمِعْتَهُ أَمْسَ.

خبر زيارة حجاج الصواف له بمكة

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا يعقوبُ بنُ إسرائيل، قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي، قال: حدثني إسحاق بن عمرو السَّعْدِي، قال: حدثني الحجاج الصَّوَّاف. وأخبرني الحسن بن علي أيضاً، قال: حدثني ابن مَهْرُويه، قال: حدثني إسحاق بن محمد، قال: حدثني أُمَيَّة بن أبي مروان، قال: حدثني حجاج الصَّوَّاف الأَعُور، قال:

خرجت إلى مكة فكان هَجِيرَاي^(٣) في الطريق ابنُ مُنَازِرٍ، وكان لي إلفاً وَخِذْنًا وَصَدِيقًا، فَدَخَلْتُ مكة فسألتُ عنه، فقالوا: لا يَبْرَحُ المَسْجِدَ، فَدَخَلْتُ / المسجدَ فَالْتَمَسْتُهُ فوجدته بِقِنَاءِ زَمَرَمَ، وعنده أصحابُ الأَخْبَارِ والشُّعْرَاءِ [١٩٤/١٨] يَكْتُبُونَ عنه، فَسَلَّمْتُ وأنا أَقْدَرُ أن يكونَ عنده من الشُّوقِ إِلَيَّ مثلُ ما عندي، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَرَدَّ السَّلَامَ رَدًّا ضَعِيفًا، ثم رجع إلى القومِ يُحَدِّثُهُمْ ولم يَخْفَلْ بي، فَقُلْتُ في نفسي: أَتَرَاهُ ذَهَبَتْ عنه مَعْرِفَتِي! فَبَيْنَا أَنَا أَفْكَرُ إذْ طَلَعَ أَبُو الصَّلْتِ بن عبد الوهاب الثقفي من باب بني شَيْبَةَ داخِلًا المَسْجِدَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، ثم أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: أتعرف هذا؟ فَقُلْتُ: نعم، هذا الذي يقول فيه مَنْ قَطَعَ اللهُ لِسَانَهُ:

/ إِذَا أَنْصَلَتْ تَعَلَّقْتُ بِحَبْلِ مَنْ أَبِي الصَّلْتِ

٢٢
١٧

(١) في ب: «كل فؤادي».

(٢) الأبيات في «الشعر والشعراء» ٢ - ٨٧٠.

(٣) الهجيرى: الشأن والقصد.

تَعَلَّقَتْ بِحَبْلٍ وَاحِدٍ هِيَ الْقُوَّةُ مُنْبِتٌ

قال: فتغافل عني، وأقبل عليهم ساعة، ثم أقبل عليّ فقال: من أيّ البلاد أنت؟ قلت: من أهل البصرة، قال: وأين تنزل منها؟ قلت: بحضرة بني عائش الصّوّافين، قال: أتعرفُ هناك ابنَ زانية يقال له: حجاج الصّوّاف؟ قلت: نعم تركته يتيك أمّ ابن زانية يقال له: ابن مُناذر، فصحك وقام إليّ فعانقني.

هجاؤه حجاج الصّوّاف

قال مؤلف هذا الكتاب: ولا بُدَّ مُناذرٍ هجاءٍ في حجاج الصّوّاف على سبيل العبث، وهو قوله.

إِنَّ ادَّعَاءَ الْحَجَّاجِ فِي الْعَرَبِ / أَدْعَاءُ ابْنِ زَانٍ لَأَلْفِ زَانِيَةٍ
وَهُوَ ابْنُ زَانٍ لَأَلْفِ زَانِيَةٍ / وَلَوْ دَعَاهُ دَاعٍ فَقَالَ لَهُ:
لَوْ دَعَاهُ دَاعٍ فَقَالَ لَهُ: / إِذَا لَقَا الْحَجَّاجُ: لَيْتَكَ مِنْ
أَبُوهِ زَانٍ وَالْأُمُّ زَانِيَةٌ / تَقُولُ: عَجَلٌ أَذْخِلَ، لِنَائِكُهَا
مَنْ نَاكِنِي فِيهِمَا فَأَوْسَعَنِي / هَمُّ حَرِي الثَّيِّكُ فَايْتَنُوا لِحَرِي
أَحِبُّ أَيْرَ الْحِمَارِ وَابِي / إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: فِدَيْتُكَ يَا
إِذَا سَمِعْتُ النَّهْيَ هَاجَ حَرِي / يَأْخُذُنِي فِي أَصْفَلِي وَحَرِي
شَكْتُ إِلَيَّ نِسْوَةً فَقُلْنَ لَهَا / كُفِّي قَلِيلًا، قَالَتْ: وَكَيْفَ وَبِي
أَرَى أَيْوَرَ الرُّجَالِ مِنْ عَصَبٍ

عِنْدَ تَقْيِيفٍ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ / وَالْفِ عِلْجٍ مُعْلَهَجِ النَّسَبِ^(١)
يَا أَلَمَ النَّاسِ كُلَّهُمْ أَجِبِ / دَاعٍ دَعَانِي بِالْحَقِّ لَا الْكُذِبِ
مَنْ الْمُعْلَى فِي اللُّؤْمِ؟ قَالَ: أَبِي / بِنْتُ زُنَاةٍ مَهْشُوكَةُ الْحُجُبِ
اتْرُكْهُ فِي امْتِنِي إِنْ شِئْتَ أَوْ رَكِبِي^(٢) / رَهْزَرًا دِرَاكًا أَعْطَيْتُهُ سَلْبِي
أَيْرَ حِمَارٍ أَقْضِي بِهِ أَرْبِي / فَيْشَةُ أَيْرَ الْحِمَارِ وَابِي
قُرَّةَ عَيْنِي وَمُنْتَهَى طَلْبِي / شَوْقًا إِلَيْهِ وَهَاجَ لِي طَرَبِي
مِثْلُ اضْطِرَامِ الْحَرِيقِ فِي الْخَطْبِ / وَهِيَ تَنَادِي بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ:
فِي جَوْفٍ صَدْعِي^(٣) كَحِجَّةِ الْجَرْبِ / لَيْتَ أَيْوَرَ الرُّجَالِ مِنْ خَشَبِ

[١٩٥/١٨]

هجاء إسكاف بالبصرة فهرب منها

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني أحمد بن محمد الرّازي أبو عبد الله، قال: حدّثني أبو بجير^(٤)، قال: كان ابنُ مُناذرٍ يجلس إلى إسكاف بالبصرة، فلا يزال يهجوهُ بالأبيات فيصبح من ذلك ويقول له: أنا صديقك فاتّق الله وأبقي على الصّدّاقة وابن مُناذرٍ يُلْعُ، فقال الإسكاف: فإني أستعينُ الله عليك وأتعاطى الشعر، فلما أَصْبَحَ غَدَاً عليه ابنُ مُناذرٍ كما كان يفعل، فأخذ يعبث به ويهجوهُ، فقال الإسكاف:

(١) في ب: «... معلّج الحسب». وفي ف: «وابن ثفل معلّج النسب». والمعلّج: الهجين.

(٢) الركب: من أسماء الفرج، وفي ف: أيرك بدل: تركه.

(٣) الصدع: الشق.

(٤) في ف، بيروت: أبو يحيى.

كثُرَتْ أَبْوُتُهُ وَقَلَّ عَدِيدُهُ ورمى القَصَاءُ بِهِ فِرَاشَ مُنَادِرٍ
عَبْدَ الصَّبِيرَيْنِ لَمْ تَكُ شَاعِرًا كَيْفَ ادَّعَيْتَ الْيَوْمَ نِسْبَةَ شَاعِرٍ!

/ فشاع هَذَانِ الْبَيْتَانِ بِالْبَصْرَةِ وَرَوَاهُمَا أَعْدَاؤُهُ، وَجَعَلُوا يَتَنَاشَدُونَهُمَا إِذَا رَأَوْهُ، فَخَرَجَ / مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ وَجَاوَزَ بِهَا، [١٨٦/١٨٦] ٢٣ ١٧
فَكَانَ هَذَا سَبَبَ هَرَبِهِ مِنَ الْبَصْرَةِ.

أَخْبَرَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، قَالَ:

قَالَ ابْنُ مُنَازِرٍ: مَا مَرَّبِي شَيْءَ قَطٍّ أَشَدَّ عَلَيَّ مِمَّا مَرَّبِي مِنْ قَوْلِ أَبِي الْعَسْعَاسِ فِي:

كثُرَتْ أَبْوُتُهُ وَقَلَّ عَدِيدُهُ وَرَمَى الْقَصَاءُ بِهِ فِرَاشَ مُنَادِرٍ

انْظُرْ بِكُمْ صِنْفٌ قَدْ هَجَانِي فِي هَذَا الْبَيْتِ فَتَحَهُ اللَّهُ، ثُمَّ مَنَعَنِي مِنْ مُكَافَأَتِهِ أَنِّي لَمْ أَجِدْ لَهُ نَبَاهَةً فَأَغْضَبَهَا، وَلَا شَرَفًا فَاهْدَمَهُ، وَلَا قَدْرًا فَأَضَعَهُ.

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْعَلَ كَلَامَهُ كُلَّهُ شِعْرًا

أَخْبَرَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي الْكَرَّانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي بِشَرِّ بْنِ دُحْيَةَ الزِّيَادِيُّ أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ:

سَمِعْتُ ابْنَ مُنَازِرٍ يَقُولُ: إِنْ الشُّعْرَ لَيْسَ هُلَّ عَلَيَّ حَتَّى لَوْ شِئْتُ إِلَّا بِشُعْرِ لَفَعَلْتُ.

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مَيْمُونٍ طَائِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا، قَالَ:

رَأَيْتُ ابْنَ مُنَازِرٍ بِمَكَّةَ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى رَجُلٍ يَمْشِي مَعَهُ وَيُنْشِدُ:

إِذَا مَا كَذْتُ أَشْكُوهُمَا إِلَى قَلْبِي، لَهَا شَفَعَا

فَفَسَّرَقَ بَيْنَنَا دَفَرٌ يَفَرِّقُ بَيْنَ مَا اجْتَمَعَا

فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا لَا يُشَبِّهُ شِعْرَكَ، فَقَالَ: إِنْ شِعْرِي بَرَدَ بَعْدَكَ^(١).

ذَمُّ امْرَأَةٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ

أَخْبَرَنِي عَيْسَى بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُيُوبَ الْمَدِينِيُّ^(٢)، قَالَ:

حَدَّثَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيَّ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ ثَقِيفٍ يُقَالُ لَهَا عَمَّارَةٌ، وَكَانَ ابْنُ مُنَازِرٍ

يُعَادِيهِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ:

/ لَمَّا رَأَيْتُ الْقَضْفَ وَالشَّارَةَ وَالْبَزْضَ أَقْبَتْ بِهِ الْحَارَةَ

وَالْأَسَّ وَالرَّيْحَانَ يُرْمَى بِهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الدَّارَةِ وَالْدَّارَةَ

قُلْتُ: لِمَنْ ذَا؟ قِيلَ: أَعْجُوبَةُ مُحَمَّدُ زَوْجُ عَمَّارَةَ

لَا عَمَّرَ اللَّهُ بِهَا رَبْعَهُ فَإِنَّ عَمَّارَةَ بِذِكَارِهِ^(٣)

وَنَحَكَ فِرِّي وَأَعْصِي فَاكِ لِي^(٤) فَهَذِهِ أَخْتُكَ فَارَارَةَ

(١) فِي ف، بِيروتن: «إِنْ شِعْرِي يَدُلُّ بَعْدَكَ».

(٢) ب: الْمَدِينِي.

(٣) فِي هَب: مَذْكَارُهُ. وَبَذْكَارُهُ: كَلِمَةٌ فَارَسِيَّةٌ مَعْنَاهَا بِنْتُ زَنَّا.

(٤) ف: «وَأَعْصِي ذَاكَ بِي».

قال: فوالله ما لبثت عنده إلا مُدْبِدَّة حتى هربت، وكانت لها أُخْتُ قبلها مُتَزَوِّجَةٌ إلى بعض أهل البصرة ففَرَكَتَهُ^(١) وهربت منه، فكانوا يعجبون من مُوافَقَةِ فِعْلِهَا قَوْلَ ابن مُناذر.

شعر له في أبي أمية خالد

قال أبو أيوب: وَحَدَّثْتُ أَنْ أَبَا أُمِيَّةَ^(٢) واسمه خَالِد - وهو الذي يَقُولُ فِيهِ أَبُو نُوَّاس:

أَيُّهَا الْمُقْبِلَانِ مِنْ حَكَمَانَ كَيْفَ خَلَفْتُمَا أَبَا عُثْمَانَ؟
وَأَبَا أُمِيَّةَ الْمُهَذَّبِ وَالْمَا جِدِّ وَالْمُرْتَجَى لِرَيْبِ الزَّمَانِ
- كَانَ خَطَبَ امْرَأَةٍ مِنْ ثَقِيفٍ، ثُمَّ وَلَدَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِي، فَرَدَّ عَنْهَا، وَتَصَدَّى الْقَاضِي أَنْ يُضَمَّتْهُ مَالًا مِنْ
أَمْوَالِ الْيَنَامَى، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يَتَّقْ بِهِ، فَقَالَ فِيهِ ابْنُ مُنَازِدٍ:

أَبَا أُمِيَّةَ لَا تَغْضَبْ عَلَيَّ فَمَا جَزَاءُ مَا كَانَ فِيمَا بَيْنَنَا الْغَضَبُ
إِنْ كَانَ رَدَّكَ قَوْمٌ عَنْ فَتَانِهِمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْخُطَابِ قَدْ رَغِبُوا
قَالُوا: عَلَيْكَ دُيُورٌ مَا تَقُومُ بِهَا فِي كُلِّ عَامٍ تُسْتَخَذَتِ الْكُتُبُ
وَقَدْ تَقَحَّمْ مِنْ خَمْسِينَ غَايَتُهَا مَعَ أَنَّهُ ذُو عِيَالٍ بَعْدَ مَا انْشَعَبُوا
/ وَفِي الَّتِي فَعَلَ الْقَاضِي فَلَا تَجِدَنَّ فَلَيْسَ فِي تِلْكَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبُ
أَرَدْتُ أَمْوَالَ أَيَّامٍ تُضْمَنُهَا وَمَا يُضَمَّنُ إِلَّا مَنْ لَهُ نَشَبُ

[١٩٨/١٨]
٢٤
١٧

بلغه عن ابن دأب قول قبيح فهجاه

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُنْذِرِ الْخَزَامِيَّ يَقُولُ:
بَلَغَ ابْنُ مُنَازِدٍ عَنْ ابْنِ دَأَبٍ قَوْلَ قَبِيحٍ، قَالَ: فَدَعَانِي، وَقَالَ: اكْتُبْ:

فَمَنْ يَتَّبِعِ الْوَصَاةَ فَإِنَّ عِنْدِي وَصَاةً لِلْكُفْهُولِ وَلِلشُّبَابِ
خُذُوا عَنْ^(٣) مَالِكٍ وَعَنْ ابْنِ عَوْنٍ وَلَا تَرَوْا أَحَادِيثَ ابْنِ دَأَبٍ
تَرَى الْغَاوِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا مَبْلَاهِي مِنْ أَحَادِيثِ كِذَابِ
إِذَا التَّمَسَّتْ مَنَافِعُهَا اضْمَحَلَّتْ كَمَا يَرْفُضُ رَفَرَأَقُ السَّحَابِ

قال: فَرُوَيْثٌ، وَافْتَضَحَ بِهَا ابْنُ دَأَبٍ. قال الخزامي: فلما قَدِمْتُ الْعِرَاقَ وَجَدْتُهُمْ قَدْ جَعَلُوهَا:

* خُذُوا عَنْ يُونُسَ وَعَنِ ابْنِ عَوْنٍ *

رثاؤه الرشيد

أَخْبَرَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا الْكُرَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ، قَالَ:

كَانَ الرَّشِيدُ قَدْ وَصَلَ ابْنُ مُنَازِدٍ مَرَاتٍ صَلَاتٍ سَنِيَّةً، فَلَمَّا مَاتَ الرَّشِيدُ رَثَاهُ ابْنُ مُنَازِدٍ فَقَالَ:

(١) فَرَكَتَهُ: كَرِهَتْهُ.

(٢) فِي ب، س: وَحَدَّثْتُ أَنْ أُمِيَّةَ.

(٣) فِي ب: خُذُوا مِنْ مَالِكٍ.

مَنْ كَانَ يَتَكِي لِلْعَلَا مَلِكاً وَلِلْهِمِ الشَّرِيفَةَ
فَلْيَتَكِ هَارُونَ الْخَلِيفَةَ فَتَةً لِلْخَلِيفَةِ وَالْخَلِيفَةَ^(١)

هجاؤه خالد بن طليق

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ:

/ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلِيقٍ وَسَائِرُ بَنِي طَلِيقٍ أَصْدِقَاءَ لَابْنِ مُنَازِرٍ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمَهْدِيُّ الْخِلَافَةَ اسْتَقْضَى خَالِدَ بْنَ [١٩٩/١٨] طَلِيقٍ، وَعَزَلَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَرِّ^(٢)، فَقَالَ ابْنُ مُنَازِرٍ يَهْجُو خَالِدًا مُجَوْنًا وَخُبْنًا مِنْهُ:

أَصْبَحَ الْحَاكِمُ يَا لَدَ سِيسٍ مِنْ آلِ طَلِيقٍ
جَالِسًا يَحْكُمُ فِي النَّاسِ سِيسٍ يَحْكُمُ الْجَسَائِلِيقِ^(٣)
يُدْعِ الْقَضْدَ وَيَهْوِي فِي بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ^(٤)
يَا أَبَا الْهَيْثَمِ مَا كُنْتَ لَهَذَا بِخَلِيقٍ
لَا وَلَا كُنْتَ لِمَا حُمِدَ لَهَذَا مِنْهُ بِمُطِيقٍ
حَبْلُهُ خَبْلٌ غَرُورٍ عِنْدَهُ^(٥) غَيْرُ وَثِيقٍ

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: فَقُلْتُ لَابْنَ مُنَازِرٍ: وَيْحَكَ إِذَا بَلَغَ إِخْوَانُكَ وَأَصْدِقَاءُكَ مِنْ آلِ طَلِيقٍ أَنَّكَ هَجَوْتَهُمْ مَا يَقُولُونَ لَكَ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَعْتَدِرُ إِلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: لَا يُصَدِّقُونَ إِذَا بَلَغَهُمْ أَنِّي هَجَوْتَهُمْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِي.

مرآة المناظر

مدح بني مخزوم لأنهم زاروه في مرضه

أخبرني الحسن بن علي، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَه، قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ^(٦)، عَنْ مَسْعُودِ بْنِ بِشْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُنَازِرٍ، قَالَ:

كُنْتُ بِمَكَّةَ فَاشْتَكَيْتُ، فَلَمْ يُعْذِنِي مِنْ قَرِيشٍ إِلَّا بَنُو مَخْزُومٍ وَحَدَّهَمَ، فَقُلْتُ أَمْدَحُهُمْ:

جَاءَتْ قُرَيْشٌ تَعُوذُنِي زُمَرًا فَقَدْ وَعَى أَحْرَهَا لَهَا الْحَفَظَةَ
/ وَلَمْ تَعُوذُنِي تَيْمٌ وَإِخْوَتُهَا وَزَارَنِي الْغُرَّ^(٧) مِنْ بَنِي يَقْظَةَ
لَنْ يَنْسَحَ الْعِزُّ مِنْهُمْ أَبَدًا حَتَّى تَسْزُولَ الْجِبَالُ مِنْ قُرْظَةَ^(٨)

[٢٠٠/١٨]

ابن عائشة يطلب سماع مريثته في عبد المجيد

/ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ، عَنْ ابْنِ مَهْرُويَه، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّخَعِيِّ، قَالَ:

٢٥
١٧

(١) في ب، مد: للخليفة للخليفة.

(٢) في ف: «عبد الله بن الحسن بن الحسن». وفي بيروت: «عبيد الله بن الحسن بن الحسن».

(٣) الجائلق: رئيس الأساقفة (معربة). وفي «الشعر والشعراء»: «ضحكة يحكم... برأي الجائلق».

(٤) بنات الطريق: طرق صغيرة تشعب من الجادة، وهي الترهات. ومنه المثل: «دع بنات الطريق».

(٥) في ف: عقده.

(٦) في ف، هب: الحسن بن علي.

(٧) في هب: وعادني الغر، وفي ب: وزارني العز.

(٨) قرظة: قرية بوادي عرادات وهو بين اليمن وبين نجد «عن «معجم البلدان» ٣ - ٦٣٨».

[٢٠٢/١٨] كُتِبَ عِنْدَ ابْنِ عَائِشَةَ فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِهِ: أَنْشُدْنِي مَرثِيَةَ ابْنِ مُنَازِرِ عَبْدِ الْمَجِيدِ فَجَعَلَ يُنْشِدُهَا فَكُلَّمَا أَتَى عَلَى بَيْتٍ اسْتَحْسَنَهُ، حَتَّى أَتَى عَلَى هَذَا الْبَيْتِ:

لَا فَيْمَنْ مَآئِمًا كَنُجُومِ اللَّيْلِ زُهْرًا يُخْمِشُنَ^(١) حُرَّ الْخُدُودِ
فَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: هَذَا كَلَامٌ لَيْنٌ كَأَنَّهُ مِنْ كَلَامِ الْمُخَمِّثِينَ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى هَذَا الْبَيْتِ:
كُنْتُ لِي عِصْمَةٌ وَكُنْتُ سَمَاءً بِكَ تَحْيَا أَرْضِي وَيَخْضَرُّ عُودِي
فَقَالَ: هَذَا يَبْتُهَا، ثُمَّ أَنْشَدَ:

إِنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى هَدَّرُكُنَا مَا كَانَ بِالْمَهْدُودِ
مَا دَرَى نَعَشُهُ وَلَا حَامِلُوه مَا عَلَى النَّعْشِ مِنْ عَفَافٍ وَجُودِ
وَأَرَانَا كَالزَّرْعِ يَحْصُدُنَا الدَّهْرُ رَفِمِنْ بَيْنَ قَائِمٍ وَحَصِيدِ
فَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: أَجْعَلْهُ زَرْعًا يَحْصُدُنَا اللَّهُ؟ فَلَيْسَ هَذَا مِنْ كَلَامِ الْمُسْلِمِينَ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: إِنَّهُ يَقُولُ:
يَحْكُمُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ فَيَمْضِي لَيْسَ حُكْمُ الْإِلَهِ بِالْمَرْدُودِ

عاقبه الرشيد على رثائه البرامكة

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني محمد بن موسى، ولم يتجاوز به الإسناد. / [٢٠١/١٨] وَنَسَخْتُ هَذَا الْخَبَرَ مِنْ كِتَابِ ابْنِ أَبِي مَرْزُومٍ الْحَاسِبِ: حَدَّثَنِي ابْنُ الْقَدَّاحِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ قُدَامَةَ الْجُمَحِيِّ، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ مُنَازِرٍ، قَالَ:

حَجَّ الرَّشِيدُ بَعْدَ إِيقَاعِهِ بِالْبَرَامِكَةِ وَحَجَّ مَعَهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكُنْتُ^(٢) مُضِيًّا مُمْلِقًا، فَهَيَّأْتُ فِيهِ قَوْلًا أَجَدْتُ تَنْمِيقَهُ وَتَنَوَّقْتُ فِيهِ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِ التَّرْوِيَةِ وَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِّي وَيَطْلُبُنِي، فَبَدَرَنِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ قَبْلَ أَنْ أَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا شَاعِرُ الْبَرَامِكَةِ وَمَادِحُهُمْ، وَقَدْ كَانَ الْبِشْرَ ظَهَرَ لِي فِي وَجْهِهِ لَمَّا دَخَلْتُ، فَتَنَكَّرَ وَعَبَسَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ الْفَضْلُ: مُرْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْشِدَكَ قَوْلَهُ فِيهِمْ:

* أَنَا بَنُو الْأَمْلَاقِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ *

فَقَالَ لِي: أَنْشُدْ، فَأَبَيْتُ، فَتَوَعَّدَنِي وَأَكْرَهَنِي، فَأَنْشَدْتُهُ:

أَنَا بَنُو الْأَمْلَاقِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ فَيَا طَيْبَ أَخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ مَنَظَرٍ
إِذَا وَرَدُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ بِيَحْيَى وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرٍ
فَنُظِّلُ بَغْدَادَ وَيَجْلُو لَنَا الدُّجَى بِمَكَّةَ مَا حَجَّوْا^(٣) ثَلَاثَةَ أَقْمَرٍ
فَمَا صَلَحَتْ إِلَّا لِجُسُودِ أَكْفُهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ^(٤) إِلَّا لِأَعْوَادِ مَنَبَرٍ
إِذَا رَاضَ يَحْيَى الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ وَحَسْبُكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُدْبِرٍ

(١) فِي ف: يَلْطَمُن.

(٢) فِي ب: «وَكَانَ»، تَحْرِيف.

(٣) فِي هَب: «مَا كَانُوا ثَلَاثَةَ أَبْدَرٍ»، وَفِي ف: «مَا عَشْنَا». وَفِي «مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ» ١٩ - ٥٧: «مَا عَشْنَا ثَلَاثَةَ أَبْحَرٍ».

(٤) فِي ف: أَقْدَامُهُمْ. وَفِي «مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ» ١٩ - ٥٧: «فَمَا خَلَقْتَ إِلَّا لَجُود... وَأَرْجُلَهُمْ...».

تري الناس إجلالاً له وكأنهم غرائيق ماء تحت باز مُصَرِّصٍ^(١)
ثم أتبع ذلك بأن قلت: كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدختهم، وفي / طاعتك لم يلحقهم سُخْطُكَ
ولم تحل بهم نِقَمَتُكَ، ولم أكن في ذلك مُبْتَدِعاً، ولا خلاً أحد من نظرائي من مدحهم، وكانوا قوماً قد أظنني
فضلهم، وأغناني رفدُهم فأثنيت بما أولوا، فقال: يا غلام، الطم وجهه، فلطمت والله حتى سدرت^(٢) وأظلم
ما كان بيني وبين أهل المجلس، ثم قال: اسحبوه علي / وجهه، ثم قال: والله لأحرمتك ولا تركتُ أحداً يعطيك شيئاً^{٢٦}
في هذا العام، فسحبت حتى أخرجت، وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالاً في نفسي وحالي وما جرى علي، ولا والله
ما عندي ما يقيم يومئذ قوت عيالي لعيدهم، فإذا بشاب قد وقف علي، ثم قال: أعزز علي والله يا كبيرنا بما جرى
عليك، ودفع إلي صرة وقال: تبلى بما في هذه، فظننتها دراهم فإذا هي مائة دينار - قال الصولي في خبره: فإذا هي
ثلاثمائة دينار - فقلت له: من أنت جعلني الله فداك! قال: أنا أخوك أبو نواس، فاستعين بهذه الدنانير واعذرني،
فقبلتها، وقلت: وصلك الله يا أخي وأحسن جزاءك.

كافاه جعفر بن يحيى على القراءة بعد تركه الشعر

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدثنا يحيى بن الحسن الربيعي، قال: حدثنا
أبو معاوية الغلابي، قال: قال سفيان بن عيينة:

كأمني ابن مُناذِر في أن أكلّم له جعفر بن يحيى، فكلمته له، وقد كان ابن مُناذِر ترك الشعر، فقال: إن أحب
أن يعود إلى الشعر أعطيتُه خمسين ألفاً، وإن أحب أن أعطيه على القراءة أعطيتُه عشرة آلاف، فذكرت ذلك له، فقال
لي: خذ لي على القراءة، فإني لا آخذ على الشعر وقد تركته.

أخبرني عمي عن الكرائي، عن الرياشي، قال: قال العتيبي:

جاءت قصيدة لا يُدْرَى مَنْ قائلها، فقال ابن مُناذِر:

هَذِهِ الدَّهْمَاءُ تَجْرِي فِيكُمْ
أُرْسِلَتْ عَمْدًا تَجْرُ النُّرْسَاءُ

/ قال شعراً يصف فيه الألفة بين الرشيد وجعفر بن يحيى

قال الكرائي: وحدثني الرياشي قال: سمعت خلف بن خليفة يقول:

قال لي ابن مُناذِر: قال لي جعفر بن يحيى: قُلْ فِي وفي الرشيد شعراً تصف فيه الألفة بيننا فقلت:
قَدْ تَقَطَّعَ الرَّحِمُ الْقَرِيبُ وَتُكْفَرُ الْوَعْدُ وَلَا تَكْتَفِرُ الْقَلْبَيْنِ
يُذْنِي الْهَوَىٰ هَذَا وَيُذْنِي ذَا الْهَوَىٰ فَإِذَا هُمَا نَفْسٌ تُرَىٰ نَفْسَيْنِ

قال مؤلف هذا الكتاب: هذا أخذه من كلام رسول الله ﷺ نقلاً؛ فإن ابن عيينة روى عن إبراهيم بن ميسرة،
عن طاوس، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّحِمَ تَقَطَّعَ، وَإِنَّ النِّعَمَ تُكْفَرُ، وَلَنْ تَرَىٰ^(٣)» مثل تقارب
القلوب.

(١) الغرائيق جمع غرنوق، وهو طائر مائي، أو هو الكركي، والمصرصر: المصوت بشدة.

(٢) سدرت: تحيرت.

(٣) في ب، س: ولم تر.

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدثنا العباس بن ميثون، قال: حدثنا سليمان الشاذكوني قال: كنا عند سُفيان بن عُيينة، فحدثت عن ابن أبي نُجَيْج، عن مُجاهد، في قوله عز وجل: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾^(١) قالوا سَدَادًا، قال: فقال ابنُ مُناذرٍ وهو إلى جَنَبِي: التنزيلُ أبينُ من التفسير^(٢).

خبره مع أبي حية النميري

أخبرني عمي، قال: حدثنا الكُرَاني، عن أبي حاتم، وعن العُثَيِّ، عن أبي مَعْبُد قال^(٣):
مر بنا أبو حية الثُميري ونحن عند ابن مُناذر، فقال لنا: علامَ اجتمعتم؟ فقلنا: هذا شاعر المِضر، فقال له:
[٢٠٤/١٨] أنشدني، فأنشده ابنُ مُناذر، فلما فرغ، قال له أبو حية: / ألم أقل لك: أنشدني؟ فقالوا له: أنشدنا أنت يا أبا حية،
فأنشدهم قوله:

ألا حَيٍّ من أجل الحبيبِ المَغانيَا^(٤) لَيْسَنَ الْبَلَى مَتَالَيْسَنَ اللَّيَالِيَا
إذا ما تَقَاضَى المَرَّةُ^(٥) يومٌ و ليلةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

فلما فرغ، قال له ابنُ مُناذر: ما أرى في شعرك شيئاً يُستَحسن، فقال له: ما في شعري شيءٌ يُعَاب إلا
استماعك إياه، فكادا أن يتَوَاتَبَا، ثم افترقا.

هجا خالد بن طليق وعيسى بن سليمان

أخبرني عمي، قال: حدثني الكُرَاني، عن ابن / عائشة قال:

٢٧
١٧

ولي خالد بن طليق القضاء بالبصرة، وعيسى بن سليمان الإمارة بها، فقال محمد بنُ مُناذرٍ يهجوها بقوله:

الحمْدُ لله على ما أرى خالدُ القاضي وعيسى أمير
لكن عيسى نوَّكه ساعة ونوك هذا منجُّونٌ يَدُورُ^(٦)

وقال في شِيروِيهِ الزَّيَادِي، وشيروِيهِ لقب، واسمه أحمد، وسأله حَاجَةً، فأبى أن يقضيها إلا على أن يمدحه:

يَا سَمِيَّ النَّبِيِّ بِالْعَرِيَّةِ وَسَمِيَّ اللَّيْثِ بِالسَّارِيسَةِ
إِنْ غَضِبْنَا فَأَنْتَ عَبْدٌ ثَقِيفٌ أَوْ رَضِينَا فَأَنْتَ عَبْدٌ أُمِّيَّةٌ

فغضب شِيروِيهِ وجعل يَشْتُمُهُ، وشاع الشُّعْرُ بالبصرة، فكان بعد ذلك إذا قيل لِشِيروِيهِ: ابنُ مُناذرٍ عليك غضبان
أو عنك راض، يَشْتُمُ مَنْ يقول له ذلك.

أخبرني الحَسَنُ بنُ القاسم الكوكبي قال: حدثنا ابنُ أبي الدُّنْيَا قال: سمعتُ محمد بن قُدَامة الجَوْهَرِي يقول:
سمعتُ سُفيان بن عُيَيْنَةَ يقول لمحمد بن مُناذر: كأنك بي قد مِتَّ فَرَيْتَنِي، فلما مات، قال ابنُ مُناذرٍ يرثيه:

(١) الذاريات ٢٥، هود ٦٩.

(٢) في «لسان الميزان» لابن حجر ٥ - ٣٩٣ ط. الهند: فقال ابن مُناذر: معنى التنزيل أبين من التأويل.

(٣) ف: «عن أبي معاوية».

(٤) في ب: «المعاني»، تصحيف، والتصويب من هب، ف.

(٥) في ب: الأمر.

(٦) النوك: الحمق. والمنجون: ما يستقى عليها.

/ إِنَّ الَّذِي غَوِرَ بِالْمُنْحَى
 راحوا بسُفْيَانَ عَلَى نَفْسِهِ^(١)
 هَدَّ مِنَ الْإِسْلَامِ أَرْكَانَا
 وَالْعِلْمِ مَكْسُورَيْنِ أَكْفَانَا
 لَا يُبْعِدُنَا اللَّهُ مِنْ هَالِكٍ
 وَرَثَتَنَا عِلْمًا وَأَحْزَانَا

يفسر كلمات لعبد الله بن مروان

أخبرنا عَمِّي، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْقَزَائِيَّ، قال: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قال:

سَمِعْتُ أَعْرَابِيَّةً تَقُولُ: مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي الْحَزَاةَ؟ فَقُلْتُ لَهَا: وَمَا الْحَزَاةُ؟ قَالَتْ: تَشْتَرِيهَا النِّسَاءُ لِلطَّشَّةِ وَالْخَافِيَةِ وَالْإِقْلَاتِ. قال عبد الله بن مروان: فَسَأَلْتُ ابْنَ مُنَازِرٍ عَنْ تَفْسِيرِ ذَلِكَ، فَقَالَ: الطَّشَّةُ: وَجَعٌ بِصِيبِ الصَّبِيَّانِ فِي رُؤُوسِهِمَا كَالزُّكَامِ. وَالْخَافِيَةُ: مَا خَفِيَ مِنَ الْعِلَلِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى أَذَى الْجَنِّ^(٢). وَالْإِقْلَاتُ: قِلَّةُ الْوَلَدِ. وَأَنْشَدَنِي ابْنُ مُنَازِرٍ بِعَقَبِ ذَلِكَ:

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الصَّفْرِ مَقْلَاتٌ نَزُورُ^(٣)
 أَي قَلِيلَةُ الْفِرَاحِ.

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ، قال: حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ، قال:

سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُنَازِرٍ يَقُولُ: الْعَذْرَاءُ: الْبَتُولُ، وَالْبَتُولُ وَالْبَيْتُولُ وَاحِدٌ، وَهِيَ الْمُتَقَطِّعَةُ إِلَى رَبِّهَا.

قال: وسأله - يعني ابن مناذر - أَبُو هُرَيْرَةَ الصُّيْرَفِيُّ بِخَضِرَتِي فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُ: أَمَّا لَا أَوْ إِمَّا لَا؟ فَقَالَ لَهُ مُسْتَهْزِئًا بِهِ: أَمَّا لَا^(٤)، ثُمَّ التَفْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ أَسَمِعْتَ أَعْجَبَ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ!

/ يَجِبُ عَلَى سَوَالٍ لَمْ يَجِبْ عَنْهُ أَبُو هَبِيبَةَ

أخبرني الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قال: حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُوبٍ، قال: حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ الرَّبِيعِيُّ، قال: حَدَّثَنَا الثَّوْرِيُّ، قال:

سَأَلْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ عَنِ الْيَوْمِ الثَّانِي مِنَ النَّحْرِ: مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تُسَمِّيهِ؟ قال: لَيْسَ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ عِلْمٌ. فَلَقِيتُ ابْنَ مُنَازِرٍ بِمَكَّةَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَعَجِبَ وَقَالَ: أَيْسَقُطُ هَذَا عَنْ مِثْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ! هِيَ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَاتٍ كُلُّهَا عَلَى الرَّاءِ: أَوَّلُهَا يَوْمُ النَّحْرِ، وَالثَّانِي يَوْمُ الْقَرِّ، وَالثَّالِثُ يَوْمُ النَّفْرِ، وَالرَّابِعُ يَوْمُ الصَّدْرِ. فَحَدَّثْتُهُ - يَعْنِي أَبَا عُبَيْدَةَ - فَكَتَبَهُ عَنْ ابْنِ / مُنَازِرٍ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ مُنَازِرٍ الْحَدِيثَ الْمُسْنَدَ، وَنَقَلَهُ عَنْ الْمُحَدِّثُونَ.

بعض روايات له

أخبرني عَمِّي، قال: حَدَّثَنَا الْكُرَانِيُّ، قال: حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودَةَ الدَّارِعِ أَبِي الْجَهْجَهَاءِ، قال:

(١) في «معجم الأدباء» ١٩ - ٦٠: «... على عرشه».

(٢) في ب: «الحق»، تحريف.

(٣) البيت للعباس بن مرداس في «شرح الحماسة» ٣ - ١٥٣ ط. حجازي ضمن قصيدة من تسعة أبيات، مطلعها:

تَرَى الرَّجُلَ النَحِيفَ فَتَزْدْرِيه وَفِي أَثَوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرٌ

(٤) الصواب: «إمَّا لَا» بكسر الهمزة، أي إن كنت لا تفعل غيره.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنَازِرِ الشَّاعِرِ، قَالَ: حَدَّثَنِي سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: كَانَ يَقَالُ: الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْمِذْيُ - مَكْسُورُ الْمِيمِ مَقْصُورٌ - مِنَ النُّفَاقِ، فَقُلْتُ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: الْمَذَاءُ، فَقَالَ: هُوَ كَمَا أَخْبَرْتُكَ، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا الْمِذْيُ؟ قَالَ: اللَّيْنُ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ، وَمَنْ دَرَجَ مَازِيٍّ، وَعَسَلَ مَازِيٍّ.

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَنِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَامِدُ بْنُ يَحْيَى الْبَلْخِيُّ، قَالَ:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَنَازِرِ الشَّاعِرِ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ إِلَى الْقَتْلَى وَهُمْ مُصْرَعُونَ، قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «لَوْ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ حَيٌّ لَعَلِمَ أَنَّ أَسْيَافَنَا قَدْ أَخَذَتْ بِالْأَمَائِلِ»، يَعْنِي قَوْلَ أَبِي طَالِبٍ:

كَلْبَتْكُمْ وَيَبْتَ اللَّهُ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى لَتَلْتَبَسَنَّ أَسْيَافُنَا بِالْأَمَائِلِ^(١)

/ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّخَعِيُّ، قَالَ: [٢٠٧/١٨]

حَدَّثَنَا ابْنُ مَنَازِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا قَامَ بِي»^(٢) مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا الْحَارِيقَةُ أَسْمَاءُ. قَالَ ابْنُ مَنَازِرٍ: الْحَارِيقَةُ: الَّتِي تُجَامَعُ عَلَى جَنْبٍ.

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّنِيفِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنْزِيُّ، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَنَازِرٍ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ الشَّيْطَانُ إِلَى عِيسَى، قَالَ: أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ صَادِقٌ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَأَوْفِ عَلَى هَذِهِ الشَّاهِقَةِ، فَالْتَمِسْ نَفْسَكَ مِنْهَا، فَقَالَ: وَيْلَكَ، أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ: يَا بَنِي آدَمَ، لَا تَبْلُغْنِي بِهَلَاكِكُمْ، فَإِنِّي أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ.

كُتِبَ رَقْعَةٌ فِيهَا شَعْرٌ لَغَلَامٍ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ

أَخْبَرَنِي عِيسَى بْنُ الْحَسَنِ الْوَرَّاقُ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

نَظَرَ مُحَمَّدُ بْنُ مَنَازِرٍ إِلَى غُلَامٍ حَسَنِ الْوَجْهِ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

وَجَدْتُ فِي الْآثَارِ فِي بَعْضِ مَا	حَدَّثَنَا الْأَشْيَاحُ فِي الْمُسْنَدِ
مِمَّا رَوَى الْأَعْمَشُ عَنْ جَابِرٍ	وَعَامِرِ الشَّعْبِيِّ وَالْأَسْوَدِ
وَمَارِوِي شُعْبَةَ عَنْ عَاصِمٍ	وَقَالَ هَاشِمٌ عَنْ فَرْقَدٍ
وَصِيَّةً جَاءَتْ إِلَى كُلِّ ذِي	خَدٍّ خَلَا مِنْ شَعْرِ أَسْوَدٍ
أَنْ يَقْبَلُوا الرَّاغِبَ فِي وَضْلِهِمْ	فَاقْبَلْ فَإِنِّي فَيْكَ لَمْ أَزْهَدْ
نَوَلْتُ فَكَّكُمْ مِنْ جُمْرَةٍ ضَمَّهَا	قَلْبِي مِنْ حُبِّكَ لَمْ تَبْرُدْ

[٢٠٨/١٨] فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَتَى ضَحِكَ، وَقَلَّبَ الرَّقْعَةَ، وَكُتِبَ فِي ظَهَرِهَا: لَسْتُ شَاعِرًا / فَأُجِيبُكَ، وَلَا فَاتِكَا فَأَسَاعِدُكَ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ رَبِّكَ مِنْ شَرِّكَ.

(١) ف: «... بِالْأَمَائِلِ».

(٢) ف: «لِي».

رواية أخرى في خبره مع أبي العتاهية

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله العبدي، قال: حدثنا علي بن المبارك / الأحمر، قال:

لقي أبو العتاهية ابن مناذر بمكة، فجعل يمازحه ويضاحكه، ثم دخل على الرشيد، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا ابن مناذر شاعر البصرة يقول قصيدة في سنة، وأنا أقول في سنة مائتي قصيدة^(١)، فقال الرشيد: أدخله إلي، فادخله إليه وقدّر أنه يضعه عنده، فدخل فسلم ودعا، فقال: ما هذا الذي يحكيه عنك أبو العتاهية؟ فقال ابن مناذر: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: زعم أنك تقول قصيدة في سنة، وأنه يقول كذا وكذا قصيدة في السنة، فقال: يا أمير المؤمنين، لو كنت أقول كما يقول:

ألا يا عتبة الساعة أموت الساعة الساعة

لقلت منه كثيراً، ولكني الذي أقول:

إن عبد المجيد يوم تولى
ما دزى نغسه ولا حاملوه
هد ركناً ما كان بالمهذود
ما على النفس من عفاف وجود

فقال له الرشيد: هاتها فأنشدنيها، فأنشده، فقال الرشيد: ما كان ينبغي أن تكون هذه القصيدة إلا في خليفة أو ولي عهد، ما لها عيب إلا أنك قلتها في سوق، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فكاد أبو العتاهية يموت غماً وأسفاً.

سئل عنه يحيى بن معين فلم

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهران، قال: حدثنا إبراهيم بن الجعيد، قال:

سألت يحيى بن معين، عن محمد بن مناذر الشاعر، فقال: لم يكن بثقة ولا مأمون، رجل سوء نفي من البصرة، ووصفه بالمجون والخلاعة، فقلت: إنما / تكتب شعره^(٢) وحكايات عن الخليل بن أحمد، فقال: هذا [٢٠٩/١٨] نعم. وأما الحديث فليست أراه موضعاً له.

وفاته بعد أن كف بصره

أخبرني الحسن، قال: حدثني ابن مهران، قال: حدثني علي بن محمد التوفلي قال:

رايت ابن مناذر في الحج سنة ثمان وتسعين ومائة، قد كف بصره، تقوده جويرية حرة، وهو واقف يشترى ماء قرية، فرايته وسخ الثوب والبكن، فلما صرنا إلى البصرة أتتنا وفاته في تلك الأيام.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا خلاد الأرقط قال:

تذاكرنا ابن مناذر في حلقة يونس، فقدح فيه أكثر أهل الحلقة، حتى نسبوه إلى الزندقة، فلما صرنا في السقيفة التي في مقدم المسجد سمعنا قراءة قرية من حائط القبلة، فدنوت فإذا ابن مناذر قائم يصلي، فرجعت إلى الحلقة، فقلت لأهلها: قلتم في الرجل ما قلتم، وما هو ذا قائم يصلي حيث لا يراه إلا الله عز وجل.

(١) في هب: «في سنة واحدة مائتي قصيدة»، وفي ب: «ما بين قصائد»، تحريف.

(٢) ف: «إنما يكتب عنه شعراً أو حكايات عن الخليل».

خبره مع أبي خيرة

أخبرني مُحَمَّد بن جَعْفَر الصَّيْدَلَانِي النَّخَوِي قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْبَرْقِي، قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوب، قال: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْهَذَلِي الثَّمَارِي، عن عبد الله بن عبد الصَّمَد الضَّبِّي قال:

كُنَّا يَوْمًا جُلُوسًا فِي حَلَقَةِ هُبَيْرَةَ بْنِ جَرِير الضَّبِّي^(١) إِذْ أَقْبَلَ مُحَمَّدُ بْنُ مُنَازِرٍ فِي بُرْدٍ قَدْ كَسَتْهُ إِيَّاهُ بَانَةٌ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِي، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَخَدِي، وَلَمْ يَعْرِفْ مِنْهُمْ أَحَدًا، ثُمَّ قَامَ فَجَلَسَ إِلَى أَبِي خَيْرَةَ، فَخَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً خَفِيفَةً^(٢)، وَقَامَ مُغْضَبًا، فَقَالَ لِي هُبَيْرَةُ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: مُحَمَّدُ بْنُ مُنَازِرٍ، فَقَالَ: إِنَّا اللَّهُ قَوْمُوا بِنَا، فَقَامَ إِلَى أَبِي خَيْرَةَ، فَقَالَ [٢١٠/١٨] لَهُ: مَاذَا قَالَ لَكَ ابْنُ مُنَازِرٍ؟ قَالَ: سَأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ وَكُنْتُ مَشْغُولًا عَنْهُ فَقَالَ^(٣): / يَا أَبَا خَيْرَةَ إِنْ الْعَشَائِرُ تُغَيِّبُنَا^(٤) لِيَعْلَمِكَ، وَمَا جَعَلَ / اللَّهُ عِنْدَكَ، فَكُنْشَدْنَاكَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ لَنَا، كَمَا كَانَ عَرَادَةُ لِبَنِي نُمَيْرٍ، فَإِنَّهُ تَعَرَّضَ لِجَرِيرٍ فَهَجَاهُ فَعَمَّهُمْ^(٥) فَقَالَ:

عَرَادَةُ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ لُوطٍ لَا تَبْأَلِمَا فَعَلُوا تَبَابَا

أَتَذَرِي مَنْ كَانَ عِنْدَكَ أَنْفَاء؟ قَالَ: لَا، قَالَ: ابْنُ مُنَازِرٍ، وَمَا تَعَرَّضَ لِأَعْرَاضِ قَوْمٍ قَطَّ إِلَّا هَتَكَهَا وَهَتَكَهُمْ، فَإِذَا جَاءَكَ يَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَاجِبُهُ، وَلَا تَعْتَلَّ عَلَيْهِ بِالْبَوْلِ، وَلَا تَطْلُبْ مِنْهُ شَيْئًا، وَكُلَّ مَا أَرَدْتَ مِنْ جِهَتِهِ فَفِي مَالِي، قَالَ: أَفَعَلْتُ. قَالَ: وَكَانَ أَبُو خَيْرَةَ إِذَا سَأَلَهُ إِنْسَانٌ عَنْ شَيْءٍ وَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا يُعْتَلَّ عَلَيْهِ بِالْبَوْلِ. فَمَا شَعَرْنَا مِنْ غَدٍ إِلَّا بِابْنِ مُنَازِرٍ وَقَدْ أَقْبَلَ، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ قَصَدَ أَبَا خَيْرَةَ، فَاتَيْنَاهُ، فَلَمَّا رَأَى جَمْعَنَا اسْتَخِيَا مِنَّا، وَسَلَّمْ عَلَيْنَا وَتَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا خَيْرَةَ، قَدْ قُلْتَ شِعْرًا، وَقَبِيحٌ بِمِثْلِي أَنْ يُسَالَ عَنْهُ فَلَا يَذَرِي مَا فِيهِ، وَإِنِّي ذَكَرْتُ فِيهِ إِنْسَانًا فَشَبَّهْتُهُ بِالْأَفَارِ، فَأَيُّ شَيْءٍ هُوَ؟ فَاحْمَرَّ وَجْهُ أَبِي خَيْرَةَ وَاضْطَرَبَ، وَقَالَ: هُوَ التَّيْسُ الْوَثَّابُ الَّذِي يَنْزُو وَقَضِيئُهُ رِخْوٌ فَلَا يَصِلُ، فَقَالَ: جُزَيْتَ خَيْرًا، وَوُثِبَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُمْنَا إِلَيْهِ وَقَلْنَا: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ عَنَيْتَ هَذَا الشَّيْخَ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَهَبَهُ لَنَا فافْعَلْ؛ فَإِنَّهُ شَيْخُنَا، قَالَ: وَاللَّهِ مَا عَنَيْتَ غَيْرَهُ، وَقَدْ وَهَبْتُهُ لَكُمْ وَكَرَامَةً، وَاللَّهِ لَا يَسْمَعُ مِنِّي أَحَدٌ مَا قُلْتُ فِيهِ، وَلَا أَذْكَرُهُ إِلَّا بِخَيْرٍ أَبَدًا، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَسَاءَ الْعِشْرَةَ أَمْسَ.

/ صوت

[٢١١/١٨]

لَا زِلْتَ تَنْشُرُ أَعْيَادًا وَتَطْشُوِيهَا تَمْضِي بِهَالِكَ أَيَّامٍ وَتُمْضِيهَا^(١)
وَلَا تَقْضَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَلَا بَرَحَتْ تَطْشُوِي لَكَ الدَّهْرَ أَيَّامًا وَتُقْنِيهَا

الشعر لأشجع السلمي، والغناء لإبراهيم الموصلي ثاني مطلق في مجرى البنصر، وفيه لمحمد قريض^(٥) لحن من الثقيل الأول، وهو من مشهور غنائه ومختاره.

(١) ف: «حديد».

(٢) في ف، بيروت: خفية.

(٣) وفي ب، س: «فقلت: آه يا أبا خيرة».

(٤) في ب: «تقضي بها لذ أيام...».

(٥) ف: «قريض».

[٢١٢/١٨]

/ نسب أشجع وأخباره

نسبه

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي والحسن بن علي قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثني علي بن الفضل^(١) السلمي، قال:

كان أشجع بن عمرو السلمي يكنى أبا الوليد من ولد الشريد بن مطرود السلمي، تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة، فشخص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشجع، ونشأ باليمامة، ثم مات أبوه.

كان يعد من فحول الشعراء

فقدت به أمه البصرة تطلب ميراث أبيه، وكان له هناك مال فماتت بها، ورُئي أشجع ونشأ بالبصرة، فكان من لا يعرفه يدفع نسبه، ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعُد في الفحول، وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن، ولم يكن لقيس شاعر مَعْدود، فلما نَجِمَ أشجع وقال الشعر، افتخرت به قيس وأثبتت نسبه، وكان له أخوان: أحمد وحريث ابنا عمرو، وكان أحمد شاعراً ولم يكن يُقَارِبُ أشجع، ولم يكن لحريث شعر، ثم خرج أشجع إلى الرقة والرشد بها، فنزل على بني سليم فتقبلوه وأكرموه، ومدح البرامكة، وانقطع إلى جعفر خاصة وأصفاه مدحه، فأعجب به ووصله إلى الرشيد، ومدحه فأعجب به أيضاً، فأثرى وحسنت حاله في أيامه وتقدم عنده.

شخص من البصرة إلى الرقة لينشد الرشيد قصيدته

أخبرني محمد بن عمران، قال: حدثني العنزي، قال: حدثني صخر بن أسد السلمي، قال: حدثني أبي أسد / بن جديلة، قال: حدثني أشجع السلمي قال:

٣١
١٧

شخصت من البصرة إلى الرقة، فوجدت الرشيد غازياً، ونالتني خلة، فخرجت حتى لقيته مُنصرفاً من الغزو، وكنت قد اتصّلت ببعض أهل داره، فصاح صائح ببابه: مَنْ كان ها هنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس، فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم، وأمرنا بالبكور^(٢) في يوم الجمعة، فبكرنا وأدخلنا، وقُدّم واحد منا يُنشد على الأسنان، وكُنْتُ / أحدث القوم سناً، وأرثهم^(٣) حالاً، فما بلغ إليّ حتى كادت الصلاة أن تجب، فقُدّمت والرشيد على كرسي، [٢١٣/١٨] وأصحاب الأعمدة بين يديه سباطان^(٤).

خاف وجوب الصلاة فبدأ إنشاد الرشيد بما جاء في قصيدته من مدح

فقال لي: أنشدني، فخفت أن ابتدء من أول قصيدتي بالتشبيب فتجب الصلاة ويفوتني ما أردت، فتركْتُ

(١) في ف: المفضل.

(٢) في ب: للبكور.

(٣) في «المختار»: وأرثهم.

(٤) سباط القوم: صفهم.

التَّشْيِيبَ وَأَنْشَدْتُهُ مِنْ مَوْضِعِ الْمَدِيحِ فِي قَصِيدَتِي الَّتِي أَوَّلَهَا:

تَذَكَّرَ عَهْدَ الْبَيْضِ وَهَوَّ لَهَا تَرْبُ وَأَيَّامَ يُصْبِي الْغَانِيَاتِ وَلَا يَصْبُو
فابتدأتُ قولِي في المديح:

إِلَى مَلِكٍ يَسْتَغْرِقُ الْمَالَ جُودُهُ مَكَارِمُهُ تَثُرُ^(١) وَمَعْرُوفُهُ سَكْبُ
وَمَا زَالَ هَارُونُ الرُّضَا بْنُ مُحَمَّدٍ لَهُ مِنْ مِيَاهِ النَّصْرِ مَشْرَبُهَا الْعَذْبُ
مَتَى تَبْلُغَ الْعَيْسُ الْمَرَّاسِيلُ بِأَبِهِ بِنَا فِهْنَاكَ الرَّحْبُ وَالْمَنْزِلُ الرَّحْبُ
لَقَدْ جُمِعَتْ فِيكَ الظُّنُونُ وَلَمْ يَكُنْ بَغِيرَكَ ظَنٌّ يَسْتَرِيحُ لَهُ الْقَلْبُ^(٢)
جَمِعَتْ ذَوِي الْأَهْوَاءِ حَتَّى كَانَتْهُمْ عَلَى مَنْهَجٍ بَعْدَ أَفْتِرَاقِهِمْ رَكْبُ
بَيَّتَتْ^(٣) عَلَى الْأَعْدَاءِ أَبْنَاءَ ذُرِّيَةٍ فَلَمْ يَقَهُمْ مِنْهُمْ حُصُونٌ وَلَا دَرْبُ
وَمَا زِلْتَ تَرْزِيهِمْ بِهِمْ مُتَقَرِّدًا أَنْيْسَاكَ حَزْمُ الرَّأْيِ وَالصَّارِمُ الْعَضْبُ
جَهَذْتُ فَلَمْ أَبْلِغْ عُيُوبَكَ بِمَذْحَةٍ وَلَيْسَ عَلَى مَنْ كَانَ مُجْتَهِدًا عَثْبُ

فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَقَالَ لِي: خِفْتُ أَنْ يَفُوتَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَيَنْقُطِعَ الْمَدِيحُ عَلَيْكَ، فَبَدَأْتَ بِهِ وَتَرَكْتَ التَّشْيِيبَ، وَأَمَرَنِي بِأَنْ أَنْشُدَهُ التَّشْيِيبَ فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهُ، فَأَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَأَمَرَ لِي بِضِعْفِهَا.

أَنْشَدَ الرَّشِيدُ قَصِيدَتَهُ الْمِيمِيَّةَ فَاسْتَحْسَنَهَا وَقَالَ: هَكَذَا تَمْدَحُ الْمُلُوكَ

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمَهْلَبِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ شَبَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَيَّارِ الْجُرْجَانِيِّ وَكَانَ رَاوِيَةً شَاعِرًا مَذَاحًا لِيَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ، قَالَ:

[٢١٤/١٨] / دَخَلْتُ أَنَا وَأَشْجَعُ وَالتَّيْمِيُّ، وَابْنُ رَزِينِ الْخُرَّاسَانِيِّ^(٤) عَلَى الرَّشِيدِ فِي قَصْرِ لَهُ بِالرَّقَّةِ، وَكَانَ قَدْ ضَرَبَ أَعْنَاقَ قَوْمٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، فَجَعَلْنَا نَتَخَلَّلُ الدَّمَاءَ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَيْهِ، فَأَنْشَدَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ قَصِيدَةً لَهُ يَذْكُرُ فِيهَا نِقْفُورًا^(٥) وَوَقَعْتَهُ بِيَلَادِ الرُّومِ، فَتَنَزَّرَ عَلَيْهِ مِثْلُ الدَّرِّ مِنْ جَوْدَةِ شَعْرِهِ، وَأَنْشَدَهُ أَشْجَعُ قَوْلَهُ:

قَضَرُ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ أَلْقَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ
قَصُرَتْ^(٦) سُقُوفُ الْمَزْنِ دُونَ سُقُوفِهِ فِيهِ لِأَعْلَامِ الْهُدَى أَعْلَامُ
تُنِّي عَلَى أَيَّامِكَ الْأَيَّامُ وَالشَّاهِدَانِ الْحِلُّ وَالْإِخْرَامُ
نَتَكَ مِنْ ظِلِّ النَّبِيِّ وَصِيَّةُ^(٧) بَّةً وَشَجَعَتْ بِهَا الْأَرْحَامُ
بَرَقَتْ سَمَاوُكَ فِي الْعُدُوِّ وَأَمْطَرَتْ هَامًا لَهَا ظِلُّ السَّيْفِ وَغَمَامُ
وَإِذَا سَيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ الْعِدَى طَارَتْ لَهْنٍ عَنِ الرُّؤُوسِ الْهَامُ^(٧)

(١) فِي «الْمَخْتَارِ»: فِينَا.

(٢) أ، ب، س: «بَغِيرَكَ مَا ظَنَّ يَسْتَرِيحُ لَهُ قَلْبٌ»، وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَقِيمِ الْوِزْنِ.

(٣) فِي ب، مَا: بَنِيَتْ.

(٤) ف: «الْخَزَاعِي».

(٥) فِي ب: تَغْفُور.

(٦) فِي ف، بِيْرُوت: قَصْر.

(٧ - ٧) الْأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ مِنْ «مَخْتَارِ الْأَغَانِي».

وعلى عدوك يابن عم محمد
فلما تبكته رعته وإذا غفا
رصدان ضوء الصبح والإظلام
سألت عليه سيوفك الأعلام

/ وأنشدته أنا قولي:

٣٢
١٧

* زمن بأعلى الرقمتين قصير *

حتى انتهيت إلى قولي:

لا تبع الأيأم إذ ورق الصبا
خصل وإذ غص الشباب^(١) نصير

فاستحسن هذا البيت، ومضيت في القصيدة حتى أتممتها، فوجه إليّ الفضل بن الربيع: أنفذ إليّ قصيدتك، فلاني أريد أن أنشدتها الجواري من استحسنانه إياها.

/ قال: وركب الرشيد يوماً قبة وسعيد بن سالم^(٢) معه في القبة، فقال: أين محمد البيدق؟ وكان رجلاً حسن [٢١٥/١٨] الصوت يُنشد الشعر فيطرب بحسن صوته أشد من أطراب الغناء، فحضر، فقال: أنشدني قصيدة الجرجاني، فأنشده، فقال: الشعر في ربيعة سائر اليوم، فقال له سعيد بن سالم: يا أمير المؤمنين، استنشدته قصيدة أشجع بن عمرو، فأبى، فلم يزل به حتى أجاب إلى استماعها، فلما أنشدته هذين البيتين:

* وعلى عدوك يابن عم محمد *

والذي بعده، قال له سعيد بن سالم^(٢): والله يا أمير المؤمنين، لو خرس بعد هذين لكان أشعر الناس. أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبي، قال: بلغني أن أشجع لما أنشد الرشيد هذين البيتين:

* وعلى عدوك يابن عم محمد *

والذي بعده، طرب الرشيد، وكان متكئاً فاستوى جالساً، وقال: أحسن والله، هكذا تُمَدح الملوك. أخبرني أحمد بن إسحاق العسكري، والحسن بن علي، قالوا: حدثنا أحمد بن سعيد بن سالم الباهلي، عن أبيه، قال:

كنت عند الرشيد، فدخل إليه أشجع، ومنصور الثمري، فأنشده أشجع قوله:

وعلى عدوك يابن عم محمد
فلما تبكته رعته وإذا غفا^(٣)
رصدان ضوء الصبح والإظلام
سألت عليه سيوفك الأعلام

فاستحسن ذلك الرشيد، وأواماً إلى أشجع أن يقطع الشعر، وعلمت أنه لا يأتي / بمثلها، فلم يفعل، ولما [٢١٦/١٨] أنشده ما بعدهما فتر الرشيد وضرب بمخضرة كانت بيده الأرض، واستنشد منصوراً الثمري، فأنشده قوله:

ما تنقضي حشرة مني ولا جزع
إذا ذكرت شباباً ليس يُرتجع

(١) في ف: غصن.

(٢) ف: سلم.

(٣) في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ - ٨٨٢ ط. المعارف: ... وإذا هدى.

فمرّ والله في قصيدة قلّ ما تقولُ العربُ مثلها، فجعل الرشيد يضرب بمخصّرته الأرض ويقول: الشعر في ربيعة سائر اليوم، فلما خرجنا قلت لأشجع: غمزتك أن تقطع فلم تفعل، وملك! ولم تأت بشيء، فهلاًّ ميت بعد البيتين أو خرس، فكنت تكون أشعر الناس.

اشترى جعفر بن يحيى ضيعة وردها على أصحابها فمدحه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي، قال: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدّثني موسى بن عيسى، قال:

اشترى جعفر بن يحيى المِزغاب^(١) من آل الرشيد^(٢) بعشرين ألف ألف درهم، ورده على أصحابه، فقال أشجع السلمي يمدّحه بذلك ويقول:

ردّ السّباخ نَدَى يَدَيْهِ وَأَهْلُهَا	منها بمنزلة السّمّاك الأعزّل
قد أيقنوا بذهابها وهلاكهم	والدّهر يُوعِدهم بيوم أعصّل ^(٣)
فافتكّها لهم وهم من دفرهم	بين الجران وبين حدّ الكلّكل
ما كان يُرجى غيرُه لفكاكها	يُرجى الكريم لكل خطب مُعْضِل

أنشد جعفر بن يحيى مديحاً له لوقته على وزن قصيدة لحميد بن ثور وقافيتها

/ أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال: حدّثني أحمد بن محمد حرّان^(٤)، عن قدامة بن نوح، قال:

جلس جعفر بن يحيى بالصالحية يشرب على مُستَشرف له، فجاءه / أعرابي من بني هلال، فاشتكى واستماح بكلام فصيح ولفظ مثله يعطف المسؤول^(٥)، فقال له جعفر بن يحيى: أتقول الشعر يا هلالّي؟ فقال: قد كنت أقوله وأنا حدّث أتملّح به، ثم تركته لما صرّث شيخاً، قال: فأنشدنا لشاعرهم حميد بن ثور، فأنشدته قوله:

لَمَنِ الدُّيَارُ بِجَانِبِ الْحُمْسِ	كَمَحَطُ ذِي الْحَاجَاتِ بِالنَّفْسِ
حتى أتى على آخرها، فاندفع أشجع، فأنشدته مديحاً له فيه قاله لوقته على وزنها وقافيتها، فقال:	
ذهبَتْ مَكَارِمُ جَعْفَرٍ وَفِعَالُهُ	فِي النَّاسِ مِثْلَ مَذَاهِبِ الشَّمْسِ
مَلِكٌ تَسْوِمُ لَهُ الْمَعَالِي نَفْسُهُ	وَالْعَقْلُ خَيْرُ سِيَاسَةِ النَّفْسِ
فَإِذَا تَرَاءَتْهُ الْمُلُوكُ تَرَايُوا	جَهْرَ الْكَلَامِ بِمَنْطِقِ هَمْسِ
سَادَ الْبَرَامِكُ جَعْفَرٌ وَهُمْ الْأَلْسَى	بَعْدَ الْخَلَائِفِ سَادَةُ الْإِنْسِ
مَا ضَرَّ مَنْ قَصَدَ ابْنَ يَحْيَى رَاغِباً	بِالسَّعْدِ حُلٌّ بِهِ أَمِ النَّحْسِ

(١) المِزغاب: ضيعة.

(٢) ف: «من الرشيد».

(٣) في ف، بيروت: أعصّل.

(٤) ف: «أحمد بن محمد بن حدان».

(٥) ف: «فشكى واستماح بلفظ لطيف فصيح، وكلام مثله يعطف المسؤول».

طلب منه جعفر وصف مكانه شعراً فقال وأجاد

فقال له جعفر: صِفْ موضعنا هذا، فقال:

قُصُورُ الصَّالِحِيَّةِ كَالْعَذَارَى لِسِنِّ ثِيَابُهُنَّ لَيَوْمِ غُرَسِ
مُطَلَّاتٌ عَلَى بَطْنٍ كَسْتَه أَيَادِي الْمَاءِ وَشَيْئاً نَشِجَ غُرَسِ
إِذَا مَا الطَّلُّ أَثَرُ فِي ثَرَاءِ تَنَفَّسَ نَوُوزُهُ مِنْ غَيْرِ نَفْسِ
فَتَنَفَّسَهُ التَّمَاءُ بِصِبْغِ وَرْسِ وَتَضَبَّحَهُ بِأَكْوُسِ عَيْنِ شَفْسِ^(١)

/ فقال جعفر للأعرابي: كيف ترى صاحبنا يا هلالبي؟ فقال: أرى خاطره طوع لسانه، وبيان الناس تحت [١٨/١٨] بيانه، وقد جعلت له ما تصلني به، قال: بل نُقِرْكَ^(٢) يا أعرابي ونُرضيه، وأمر للأعرابي بمائة دينار ولأشجع بمائتين.

أنس بن أبي شيبه يعجب بشعره ويقدمه إلى جعفر بن يحيى

أخبرني عمي قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَامَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ، قَالَ:

كُنْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَجْلِسِ بَعْضِ إِخْوَانِي أَنْشَدْتُ وَأَنْشَدُ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ أَنَسُ بْنُ أَبِي شَيْخِ النَّضْرِيِّ صَاحِبُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى، فَقَامَ لَهُ جَمِيعُ الْقَوْمِ غَيْرِي، وَلَمْ أَعْرِفْهُ فَأَقُومُ لَهُ، فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ؟ قَالُوا: أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ الشَّاعِرُ، قَالَ: أَنْشَدْنِي بَعْضَ قَوْلِكَ، فَأَنْشَدْتُهُ. فَقَالَ: إِنَّكَ لَشَاعِرٌ، فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى؟ فَقُلْتُ: وَمَنْ لِي بِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى؟ فَقَالَ: أَنَا، فَقُلْ أَيْبَاناً وَلَا تُطِلْ فَإِنَّهُ يَمَلُّ الإِطَالَةَ، فَقُلْتُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ إِطَالَةٍ، فَقُلْتُ أَيْبَاناً عَلَى نَحْوِ مَا رَسَمَ لِي، وَصِرْتُ إِلَى أَنَسٍ فَقَالَ: تَقَدَّمْنِي إِلَى الْبَابِ، فَتَقَدَّمْتُ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ فَدَخَلَ، وَخَرَجَ أَبُو رُمَحٍ الْهَمْدَانِيُّ حَاجِبُ^(٣) جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى، فَقَالَ أَشْجَعُ: فَقَمْتُ، فَقَالَ: ادْخُلْ، فَدَخَلْتُ، فَاسْتَنْشَدَنِي فَأَنْشَدْتُهُ أَقُول:

وَتَرَى الْمُلُوكَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ كُلَّ بَعِيدِ الصَّوْتِ وَالْجَرَسِ
فَلِإِذَا بَدَأَ لَهُمْ ابْنُ يَحْيَى جَعْفَرُ رَجَعُوا الْكَلَامَ بِمَنْطِقِ هَمْسِ
ذَهَبَتْ مَكَارِمُ جَعْفَرٍ وَفِعَالُهُ فِي النَّاسِ مِثْلَ مَذَاهِبِ الشَّمْسِ

/ قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، قال: وكان أشجع يُحِبُّ الثِّيَابَ، وَكَانَ يَكْتَرِي الْخِلْعَةَ كُلَّ يَوْمٍ بِدَرَاهِمِينَ، ^{٣٤}/_{١٧} فَيَلْبَسُهَا أَيَّاماً، ثُمَّ يَكْتَرِي غَيْرَهَا، فَيَفْعَلُ بِهَا مِثْلَ ذَلِكَ، / قَالَ: فَابْتَعْتُ أَثَوَاباً كَثِيرَةً بِيَابِ الْكَرْخِ، فَكَسَوْتُ عِيَالِي [١٨/١٩] وَعِيَالَ إِخْوَتِي حَتَّى أَنْفَقْتُهَا.

الفضل بن يحيى يهب له ضعف ما وهبه إياه جعفر

ثم لقيت المبارك مؤدب الفضل بن يحيى بعد أيام، فقال لي: أنشدني ما قُلْتَهُ فِي جَعْفَرٍ، فَأَنْشَدْتُهُ، فَقَالَ:

(١) فِي مَا: «فَتَغْبِقُهُ بِصِبْغِ لَوْنٍ وَرْسٍ»، وَفِي ف، بِيْرُوت: «وَتَصْبِغُهُ بِكَأْسِ عَيْنِ شَمْسٍ». وَفِي «اللسان»: غَبِقَهُ يَغْبِقُهُ غَبْقاً: سَقَاءٌ غُبُوقاً؛ وَهُوَ الشَّرْبُ بِالْمَشْيِ. وَصَبَّغَهُ يَصْبِغُهُ: سَقَاءٌ صَبُوحاً. وَالصَّبُوحُ: مَا أَصْبَحَ عِنْدَهُمْ مِنْ شَرَابِهِمْ.

(٢) فِي مَد، مَا: تَصْلُكُ. وَفِي «المختار»: نَبْرُكُ. وَفِي ب: نَقْدُكُ.

(٣) فِي ب، س: أَبُو زَنْجِ الْهَمْدَانِيُّ صَاحِبُ جَعْفَرٍ.

ما يَمْنَعُكَ مِنَ الْفَضْلِ؟ فَقُلْتُ: وَمَنْ لِي بِالْفَضْلِ؟ فَقَالَ: أَنَا لَكَ بِهِ، فَأَدْخَلَنِي عَلَيْهِ، فَأَنْشَدْتُهُ:

وما قَدَّمَ الْفَضْلَ بَنَ يَحْيَى مَكَانَهُ عَلَى غَيْرِهِ بَلْ قَدَّمْتُهُ الْمَكَارِمَ
لَقَدْ أَرْهَبَ الْأَعْدَاءَ حَتَّى كَانَمَا عَلَى كُلِّ تَغَرٍّ بِالْمَنِيَّةِ قَائِمُ
فَقَالَ لِي: كَمْ أَعْطَاكَ جَعْفَرٌ؟ فَقُلْتُ: عَشْرَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ، فَقَالَ: أَعْطَاكَ عَشْرِينَ أَلْفًا.

جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى يَجْرِي عَلَيْهِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مِائَةُ دِينَارٍ

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي فَنَنْ، قَالَ: حَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ مُهَلِّهْلٍ، قَالَ:

لَمَّا خَرَجَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى لِيُضْلِحَ أَمْرَ الشَّامِ، نَزَلَ فِي مَضْرَبِهِ، وَأَمَرَ بِإِطْعَامِ النَّاسِ، فَقَامَ أَشْجَعُ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ:

فِتْنَانٌ بِأَغْيَةِ وَطَاغِيَةٍ جَلَّتْ أُمُورُهُمَا عَنِ الْخُطْبِ
قَدْ جَاءَكُمْ بِالْخَيْلِ شَاذِبَةٌ^(١) يَنْقُلُنَ نَحْوَكُمْ رَحَى الْحَرْبِ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَدُورَ بِكُمْ قَدْ قَامَ هَادِيهَا عَلَى الْقُطْبِ

قَالَ: فَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةِ لَيْسَتْ بِالسَّنِيَّةِ، وَقَالَ لَهُ: دَائِمُ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ مُنْقَطَعِ الْكَثِيرِ، فَقَالَ لَهُ: وَنَزَرَهُ^(٢) أَكْثَرُ مِنْ

جَزِيلِ غَيْرِهِ، فَأَمَرَ لَهُ بِمِثْلِهَا، قَالَ: وَكَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مِائَةُ دِينَارٍ مَدَّةَ مَقَامِهِ بِبَابِهِ.

١٨/٢٢٠ / إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ يَنْشُدُ لَهُ قَصِيدَةً فِي الْخَمْرِ أَمَامَ الرَّشِيدِ وَجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ النَّحْوِيِّ صَهِرَ الْمُبَرَّدِ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدِ الْيَزِيدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ

الْمَوْصِلِيُّ، قَالَ:

دَخَلْتُ إِلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا، وَهُوَ يَخَاطِبُ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى بِشَيْءٍ لَمْ أَسْمَعْ ابْتِدَاءَهُ، وَقَدْ عَلَا صَوْتُهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مُقْبِلًا قَالَ لَجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى: أَتَرْضَى بِإِسْحَاقٍ؟ قَالَ جَعْفَرٌ: وَاللَّهِ مَا فِي عِلْمِهِ مَطْعَنٌ إِنْ أَنْصَفَ، فَقَالَ لِي: أَيُّ شَيْءٍ تَرَوِي لِلشُّعْرَاءِ الْمُحَدَّثِينَ^(٣) فِي الْخَمْرِ؟ أَنْشَدَنِي مِنْ أَفْضَلِ مَا عِنْدَكَ وَأَشَدَّهُ تَقْدِيمًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُمَا كَانَا يَتَمَارِيَانِ فِي تَقْدِيمِ أَبِي نُوَّاسٍ، فَعَدَلْتُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ؛ لِثَلَا أَخَالَفَ أَحَدَهُمَا، فَقُلْتُ: لَقَدْ أَحْسَنَ أَشْجَعُ فِي قَوْلِهِ:

وَقَدْ طَعَنْتُ اللَّيْلَ فِي أَعْجَازِهِ بِالْكَأْسِ بَيْنَ غَطَارِفِ كَالْأَنْجُمِ^(٤)
يَتَمَايَلُونَ عَلَى النِّعَمِ كَأَنَّهُمْ قُضِبٌ مِنَ الْهِنْدِيِّ لَمْ تَنْتَلِمِ
وَسَعَى بِهَا الظُّبْيُ الْعَزِيزُ يَزِيدُهَا طِيًّا وَيَغْشِمُهَا إِذَا لَمْ تَغْشِمِ^(٥)
وَاللَّيْلُ مُنْتَقِبٌ بِقُضُلِ رِدَائِهِ قَدْ كَادَ يَخْسِرُ عَنْ أَغْرَارِثِمِ^(٦)
فَإِذَا أَدَارَتْهَا الْأَكْفُ رَأَيْتُهَا تَنْشِي الْفَصِيحَ إِلَى لِسَانِ الْأَعْجَمِ
وَعَلَى بَنَانٍ مُدِيرِهَا عَقِيَانَةٌ مِنْ سَكْبِهَا وَعَلَى فُضُولِ الْمِعْصَمِ

(١) فِي ب، س: شَارِيَّة. وَفِي «الْمَخْتَارِ»: شَازِيَّة. وَفِي مَا: شَارِيَّة. وَمَا اثْبَتَاهُ مِنْ ف. وَالْمَعْنَى: ضَامِرَةٌ يَابِسَةٌ.

(٢) ف، س: وَنَزَرَ الْوَزِيرَ.

(٣) فِي ب، س: «أَيُّ شَيْءٍ تَرَوِي الشُّعْرَاءُ الْمُحَدَّثُونَ فِي الْخَمْرِ».

(٤) الْغَطَارِفُ: السَّادَةُ الْأَشْرَافُ.

(٥) تَغْشِمُ: تَنْظِلُ.

(٦) الْأَرْتَمُ مِنَ الْخَيْلِ: مَا كَانَ فِي طَرَفِ أَنْفِهِ بَيَاضٌ أَوْ كَانَ أَبْيَضَ الشَّفَةِ الْعُلْيَا.

تَغْلِي إِذَا مَا الشُّعْرِيَانِ تَلْظِيَا صَيْفَا وَتَسْكُنُ فِي طُلُوعِ الْمِرْزَمِ^(١)
 وَلَقَدْ فَضَضْنَاهَا بِخَاتَمِ رَبِّهَا بِكُورًا وَلَيْسَ الْبِكُورُ مِثْلَ الْأَيْمِ
 وَلَهَا سُكُونٌ فِي الْإِنَاءِ وَخَلْفَهَا شَغَبٌ يُطَوِّحُ بِالْكَمِيِّ الْمُغْلِمِ
 / تُعْطَى عَلَى الظَّلَمِ الْفَتَى بِقِيَادِهَا قَسْرًا وَتَظْلِمُهُ إِذَا لَمْ يَظْلِمِ

٣٥
١٧

٢٢١/١٨]

/ الرشيد يفضل أبا نواس عليه في وصف الخمر

فقال لي الرشيد: قد عرفتُ تعصُّبك على أبي نواس، وإنك عدلت عنه متعمداً، ولقد أحسن أشجع، ولكنه لا يقول أبداً مثل قول أبي نواس:

يَا شَقِيقُ النَّفْسِ مِنْ حُكْمِ نِمْتُ عَنْ لَيْلِي وَلَمْ أَنْمِ
 فقلت له: ما علمتُ ما كنتَ فيه يا أمير المؤمنين، وإنما أنشدت ما حضرني، فقال: حسبك قد سمعت الجواب.

قال الفضل: وكان في إسحاق تعصُّب على أبي نواس لشيء جرى بينهما.

الوائق يطرب لشعر أشجع ويستعيده

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: اصطبج^(٢) الوائق في يوم مطير، واتصل شربه وشربنا معه حتى سقطنا لجنونا صرعى، وهو معنا على حالنا، فما حرك أحدنا عن مضجعه، وخدم الخاصة يطوفون علينا ويفقدوننا، وبذلك أمرهم، وقال: لا تحركوا أحداً عن موضعه، فكان هو أول من أفاق منا، فقام وأمر بإنباها فأنبهنا فقمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا، وجئت إليه وهو جالس وفي يده كأس، وهو يروم شربها، والخمار يمنعه، فقال لي: يا إسحاق، أنشدني في هذا المعنى شيئاً، فأنشدته قول أشجع السلمي:

وَلَقَدْ طَعَنْتَ اللَّيْلَ فِي أَعْجَازِهِ بِالْكَأْسِ بَيْنَ غَطَارِفِ كَالْأَنْجُمِ
 يَتَمَايَلُونَ عَنِ النَّعِيمِ كَأَنَّهُمْ قُضِبٌ مِنَ الْهِنْدِيِّ لَمْ تَتَلَمَّ
 وَسَعَى بِهَا الظُّبْيُ الْغَرِيرُ يَزِيدُهَا طِيْبًا وَيَغْشِيْهَا إِذَا لَمْ تُغْشِمْ
 وَاللَّيْلُ مُنْتَقِبٌ بِفَضْلِ رِدَائِهِ قَدْ كَادَ يُخَسِّرُ عَنْ أَغْرَ أَرْزَمِ
 وَإِذَا أَدَارَتْهَا الْأَكْفُ رَأَيْتَهَا تَنْشِي الْفَصِيحَ إِلَى لِسَانِ الْأَعْجَمِ
 / وَعَلَى بَنَانِ مُدِيرِهَا عَقِيَانَةٌ مِنْ لَوْنِهَا^(٣) وَعَلَى قُضُولِ الْمِغْصَمِ
 تَغْلِي إِذَا مَا الشُّعْرِيَانِ تَلْظِيَا صَيْفَا وَتَسْكُنُ فِي طُلُوعِ الْمِرْزَمِ
 وَلَقَدْ فَضَضْنَاهَا بِخَاتَمِ رَبِّهَا بِكُورًا وَلَيْسَ الْبِكُورُ مِثْلَ الْأَيْمِ
 وَلَهَا سُكُونٌ فِي الْإِنَاءِ وَخَلْفَهَا شَغَبٌ يُطَوِّحُ بِالْكَمِيِّ الْمُغْلِمِ

٢٢٢/١٨]

(١) الشعريان والمرزم: نجوم.

(٢) في ب، س: أصبج.

(٣) في «المختار»: من سكبها.

تُعْطِي عَلَى الظُّلَمِ الْفَتَى بِقِيَادِهَا قَسْرًا وَتَظْلِمُهُ إِذَا لَسَمَ يَظْلِمُ
فَطَرِبَ وَقَالَ: أَحْسَنَ وَاللَّهِ أَشْجَعَ، وَأَحْسَنَتْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَعِدْ بِحَيَاتِي، فَأَعْدَتْهَا وَشَرِبَ كَأْسَهُ، وَأَمَرَ لِي بِالْفِ
دِينَارٍ.

عَزَى الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ فِي ابْنِهِ الْعَبَّاسِ فَأَحْسَنَ الْعِزَّاءَ وَقَالَ شِعْرًا يَرِثِيهِ
أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِفَّانَ، قَالَ:
ذَكَرَ أَبُو دَعَامَةَ أَنَّ أَشْجَعَ دَخَلَ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَقَدْ تُوفِّيَ ابْنُهُ الْعَبَّاسُ وَالنَّاسُ يُعْزَوْنَهُ، فَعَزَّاهُ فَأَحْسَنَ،
ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي إِنْشَادِ مَرَثِيَّةٍ قَالَهَا فِيهِ، فَأَذَنَ لَهُ فَأَنَشَدَهُ:

لَا تَبْكِينَ بَعْدَ غَيْرِ جَائِدَةٍ / وَكُلُّ ذِي حَزَنِ يَكْسِي كَمَا يَجِدُ
أَيُّ أَمْرٍ كَانَ عَبَّاسٌ لِنَائِبَةٍ / إِذَا تَقَنَّعَ دُونَ السَّوَالِدِ الْوَلَدُ
لَمْ يُدْنِهِ طَمَعٌ مِنْ دَارِ مُخْزِيَةٍ / وَلَمْ يُعْزَلْ لَهُ مِنْ نِعْمَةٍ بَلَدُ
قَدْ كُنْتُ ذَا جَلَدٍ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ / فَبَانَ مَنِّي عَلَيْكَ الصَّبْرُ وَالْجَلَدُ
لَمَّا تَسَامَتْ بِكَ الْأَمَالُ وَابْتَهَجَتْ / بِكَ الْمَرْوَةُ وَاعْتَدَّتْ بِكَ الْعُدَدُ
/ وَلَمْ يَكُنْ لِفَتَى فِي نَفْسِهِ أَمَلٌ / إِلَّا إِلَيْكَ بِهِ مِنْ أَرْضِهِ يَقْدُ
وَحِينَ جُنْتُ أَمَامَ السَّابِقِينَ وَلَمْ / يَلِلَ عِذَارَكَ مَيِّدَانٌ وَلَا أَمْدُ
وَأَفَّاكَ يَوْمٌ عَلَى نَكْرَاءٍ مُشْتَبِلٍ / لَمْ يَنْجُ مِنْ مِثْلِهِ عَادٌ وَلَا لُبْدُ
فَمَا تُكْشِفُ إِلَّا عَنْ مُوَلْوَلَةٍ / حَرَّى وَمُكْتَسِبٍ أَحْشَاؤُهُ تَقْدُ

٣٦
١٧

/ قَالَ: فَبَكَى الْفَضْلُ وَبَكَى النَّاسُ مَعَهُ، وَمَا انْصَرَفُوا يَوْمَئِذٍ بِتَذَاكُرٍ غَيْرِ آيَاتِ أَشْجَعَ. [٢٢٣/١٨]

عَزَى الرَّشِيدُ فِي ابْنِ لَهُ فَأَحْسَنَ وَأَمَرَ بِصَلَتِهِ

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ طَالِبِ الدِّينَارِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ
الْجَهْمِ، قَالَ:

دَخَلَ أَشْجَعُ عَلَى الرَّشِيدِ وَقَدْ مَاتَ ابْنُ لَهُ، وَالنَّاسُ يُعْزَوْنَهُ فَأَنَشَدَهُ قَوْلَهُ:

نَقَصَ مِنَ الدِّينِ وَمِنْ أَهْلِهِ / نَقَصَ الْمَنَایَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ
قَدَّمَته - فَاصْبِرْ عَلَى فَقْدِهِ - / إِلَى أَبِيهِ وَأَبِي الْقَاسِمِ

فَقَالَ الرَّشِيدُ: مَا عَزَّانِي الْيَوْمَ أَحَدٌ أَحْسَنَ مِنْ تَغْزِيَةِ أَشْجَعَ، وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةٍ.

أَذَنَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بِالْوُصُولِ إِلَيْهِ وَحَدَّه دُونَ سَائِرِ النَّاسِ

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَزَّزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ التَّعَمَّانِ السَّلْمِيُّ قَالَ:

كُنَّا بِبَابِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَهُوَ عَلِيلٌ، فَقَالَ لَنَا الْحَاجِبُ: إِنَّهُ إِذْنٌ عَلَيْهِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَشْجَعُ:

لَمَّا اشْتَكَى جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى / فَارَقَنِي النَّوْمُ وَالْقَرَارُ
وَمَرَّ عَيْشِي عَلَى حَيٍّ / كَأَنَّمَا طَعُمْتُهُ الْمُرَارُ

خَوْفًا عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى لَا حَقُّقَ الْخَوْفِ وَالْحِذَارُ
إِنْ يُعْفِهُهُ اللَّهُ لَا تُحْـاذِرُ مَا أَحْدَثَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

قال: فأوصل الحاجب رُفَعَتَهُ، ثم خَرَجَ فأمره بالوصول وحده، وانصرفت سائر الناس.

الرشيد يأمر بتعجيل صلته له

أخبرني الحسن قال: حدثنا العتري، قال: حدثني محمد بن الحسين، عن عمرو بن علي: أَنَّ أَشْجَعَ السُّلَمِيَّ كَتَبَ إِلَى الرَّشِيدِ وَقَدْ أَبْطَأَ عَنْهُ شَيْءٌ أَمَرَ لَهُ بِهِ:

[٢٢٤/١٨]

/ أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً لَهَا عَنَقٌ^(١) بَيْنَ الرُّوَاةِ فَصِيحُ
بِأَنَّ لِسَانَ الشَّعْرِ يُنْطِقُهُ النَّدَى وَيُخْرِسُهُ الْإِبْطَاءُ وَهُوَ فَصِيحُ

فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَقَالَ لَهُ: لَنْ يَخْرَسَ لِسَانُ شِعْرِكَ، وَأَمَرَ بِتَعْجِيلِ صَلَاتِهِ.

مدح محمد بن منصور بشعر كان أحب مدائحه إليه

أخبرني الحسن، ومحمد بن يحيى الصُّولِيّ، قالا: حدثنا العتري، قال: حدثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد، وكان يُقَالُ لأبيه فَتَى الْعُسْكَرِ، قال:

أَقْبَلَ أَشْجَعُ إِلَى بَابِ أَبِي، فَرَأَى أَزْدَحَامَ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَقَالَ:

عَلَى بَابِ ابْنِ مَنْصُورٍ عَلَامَاتٌ مِنَ الْبَذْلِ
جَمَاعَاتٌ وَحُشْبُ الْبَنَاتِ بِ^(٢) تُبْلَا كَثْرَةُ الْأَهْلِ

فَبَلَغَ أَبِي بَيْتَاهُ هَذَانِ، فَقَالَ: هُمَا وَاللَّهِ أَحَبُّ مَدَائِحِهِ إِلَيَّ.

هنا جعفر بن يحيى بولاية خراسان

أخبرني عَمِّي، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قال: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبِزْجِيُّ، قال: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِي، قال:

لَمَّا وَلَّى الرَّشِيدُ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى خُرَاسَانَ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ يُهَيِّئُونَهُ ثُمَّ دَخَلَ الشُّعْرَاءُ فَأَنشَدُوهُ؛ فَقَامَ أَشْجَعُ آخِرَهُمْ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ فَأُذِنَ لَهُ، فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ:

أَنْصَبُ الرُّبِيِّنِ أَمْ تَجْزَعُ فَإِنَّ الدِّيَارَ غَدًا بَلْقَعُ^(٣)
/ غَدًا يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الْهَوَى وَيَكْثُرُ بِأَكْ وَتُسْتَرْجَعُ

حتى انتهى إلى قوله:

وَدَوِّيَّةٌ^(٤) بَيْنَ أَقْطَارِهَا مِقَاطِيعُ أَرْضَيْنِ لَا تُقَطَّعُ

(١) العنق: السير السريع.

(٢) في ف: وحسب الدار.

(٣) البلقع: الأرض الفقيرة التي لا شيء بها.

(٤) الدوية: الصحراء الواسعة.

/ تَجَاوَزْتُهَا فَوْقَ عَيْرَانَةٍ^(١) / من الريح في سِيرهَا أَسْرَعُ
إِلَى جَعْفَرٍ نَزَعَتْ رَغْبَةً / وَأَيُّ فَتًى نَحْوَهُ تَنْزِعُ
فَمَا دُونَهُ لَامَرِيءٍ مَطْمَعُ / وَلَا لَامَرِيءٍ غَيْرُهُ مَقْنَعُ^(٢)
وَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَنْ حَطَّه / وَلَا يَضَعُونَ الَّذِي يَرْفَعُ
يُرِيدُ الْمَلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ / وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى / وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ
تَلَوْدُ الْمَلُوكِ بِأَرَائِهِ^(٣) / إِذَا نَالَهَا الْحَدَثُ الْأَفْظَعُ
بَدِيهَتُهُ مِثْلُ تَذْيِيرِهِ / مَتَى رُمْتَهُ^(٤) فَهُوَ مُسْتَجْمِعُ
وَكَمْ قَائِلٍ إِذْ رَأَى ثُرُوتِي^(٥) / وَمَا فِي فَضُولِ الْغِنَى أَصْنَعُ
غَدًا فِي ظِلَالِ نَدَى جَعْفَرٍ / يَجُرُّ ثِيَابَ الْغِنَى أَشْجَعُ
فَقُلْ لَخِرَاسَانَ تَحِيًّا فَقَدْ / أَنَاهَا ابْنُ يَحْيَى الْفَتَى الْأَرُوعُ

فأقبل عليه جعفر بن يحيى ضاحكاً، واستحسن شعره، وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه، ثم أمر له بألف دينار.

يهون على جعفر بن يحيى عزله عن خراسان

قال: ثم بدا للرّشيد في ذلك التّذبير، فعزل جعفرًا عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب، وعقد له العقد وأمر ونهى، فوجم لذلك جعفر، فدخل عليه أشجع فأنشده يقول:

أَمَسْتُ خِرَاسَانَ تُعْزَى بِمَا / أخطأها من جعفر المرتجى
/ كَانَ الرَّشِيدُ الْمُعْتَلَى أَمْرُهُ / وَلَى عَلَيْهَا الْمُشْرِقُ الْأَبْلَجَا^(٦)
ثُمَّ أَرَاهُ رَأْيَهُ أَنَّهُ / أَمَسَى إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَخَوَجَا
فَكَمْ بِهِ الرَّحْمَنُ^(٧) مِنْ كُرْبَةٍ / فِي مُدَّةٍ تَقْصُرُ قَدْ فَرَجَا

فضحك جعفر ثم قال: لقد هونت عليّ العزل، وقمت لأمر المؤمنين بالعدّ، فسألني ما شئت، فقال: قد كفاني جودك ذلة السؤال، فأمر له بألف دينار آخر.

يمدح محمد الأمين وهو ابن أربع سنين

أخبرني عمي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، عن أبي دُعامة، عن أشجع، قال:

- (١) العيرانة: الناقة الشبيطة. وفي ب، ما: «ريحانة».
- (٢) في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢ - ٨٨٣: ومما خلقه لامريء مطمع ولا دونه لامريء مقنع
- (٣) في ب، ما: «بابوايه».
- (٤) في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢/ ٨٨٣: متى هجته.
- (٥) في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢/ ٨٨٣: «وكم قائل إذ رأى بهجتي».
- (٦) في ب، ما: «ولى عليه». وفي ف: «ولى على مشرقها». وفي «التجريد»: «ولى على مشرقه».
- (٧) في «المختار»: «فكم فك به الرحمن من كربة» ولا يستقيم الوزن.

دخلت على محمد الأمين حين أجلس مجلس الأدب للتعليم، وهو ابن أربع سنين، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته:

ملك أبوه وأُمّه من نَبْعَةٍ منها سراج الأُمّة الوَهَّاجُ
شربت بمكة في رُبَا بطحائها ماء الثبوة ليس فيه مزاجُ

يعني النَبْعَة. قال: فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم، قال: ولم يملك الخلافة أحد أبوه وأُمّه من بني هاشم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، ومحمد بن زبيدة^(١).

يمدح إبراهيم بن عثمان بن نهيك

أخبرني الحسن بن علي، ومحمد بن يحيى الصولي، قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، / قال: حدثنا ^{٣٨}/_{١٧} المهزومي، قال:

لما ولي إبراهيم بن عثمان بن نهيك الشرطة، دخل عليه أشجع، فأنشده قوله فيه:

/ لِمَن المنازلُ مثلُ ظَهْرِ الأرقمِ قَدُمْتُ وَعَهْدُ أُنَيْسِهِا لَمْ يَقْدُمِ
فَتَكُتْ بِهَا سَتَانُ تَغْتَوِرَانِهَا بِالْمُعْصِفَاتِ^(٢) وَكُلُّ أَشْجَمِ مُرْزَمِ^(٣)
دِمْنٌ إِذَا اسْتَبَيْتَ عَيْنَكَ عَهْدَهَا كَرَرْتُ إِلَيْكَ بِنَظَرَةِ الْمُتَوَهِّمِ
وَلَقَدْ طَعَنْتُ اللَّيْلَ فِي أَعْجَازِهِ بِالْكَأْسِ بَيْنَ غَطَارِفِ كَسَالِ أَنْجَمِ
يَتَمَايَلُونَ عَلَى النَّعِيمِ كَأَنَّهُمْ قُضِبْتُ مِنَ الْهَيْدِي لَمْ تَتَلَمَّ
وَاللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ بِفَضْلِ رِدَائِهِ قَدْ كَادَ يَخْشُرُ عَنْ أَغْرَارِثِمِ^(٤)
لِيَنِي نُهَيْكَ طَاعَةً لَوْ أَنَّهَا زُجِمَتْ بِهَضْبِ مُتَالِحٍ لَمْ تُكَلِّمْ
قَوْمٌ إِذَا غَمَزُوا قَنَاءَ عَدُوِّهِمْ حَطَمُوا جَسَوَانِيَهَا بِيَّاسٍ مُحِطِمِ
فِي سَيْفِ إِبْرَاهِيمَ خَوْفٌ وَإِقْعُ لِذَوِي النُّفَاقِ فِيهِ أَمْنُ الْمُسْلِمِ
وَيَبِيْتُ يَكْلَأُ - وَالْعُمُيُونَ هَوَاجِعُ - مَالُ الْمُضْيِيعِ وَمُهْجَةُ الْمُسْتَسْلِمِ^(٥)
لَيْلٌ يُوَاصِلُهُ بَضْوُؤُ نَهَارِهِ يَقْظَانُ لَيْسَ يَذُوقُ نَوْمَ الثَّوَمِ
شَدَّ الْخِطَامَ بِأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفِ حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ الَّذِي لَمْ يُخْطَمِ
لَا يُصْلِحُ الشُّلْطَانُ إِلَّا شِدَّةً تَغْشَى الْبَرِيءَ بِفَضْلِ ذَنْبِ الْمُجْرِمِ
مَنْعَتْ مَهَابَتُكَ النُّفُوسَ حَدِيثَهَا بِالشَّيْءِ^(٦) تَكْرَهُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمِ
وَنَهَجْتُ فِي سُبُلِ السِّيَاسَةِ مَسْلُكاً فَفَهِمْتُ مَذْهَبَهَا الَّذِي لَمْ يُفْهَمِ

(١) «التجريد»: محمد بن الرشيد.

(٢) ف: «بالمعضلات».

(٣) المرزوم: المصوت.

(٤) الأغر: الأبيض، والأرثم: الفرس في طرف أنفه بياض.

(٥) لم يرد هذا البيت في ف. والمضيع: من كثرت ضياعه، وهو موجود في باقي النسخ، وفي «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢/ ٨٨٤.

(٦) في «الشعر والشعراء»: «بالأمر تكرهه».

فوصله وحمله وخلع عليه .

[٢٢٨/١٨] / يراجع جعفر بن يحيى في تقليل عطائه فيزيده

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي، قال: حدثنا الغلابي قال: حدثنا مهدي بن سابق، قال:

أعطى جعفر بن يحيى مروان بن أبي حفصة - وقد مدحه - ثلاثين ألف درهم، وأعطى أبا البصير عشرين ألفاً، وأعطى أشجع - وقد أنشدته معهما - ثلاثة آلاف درهم، وكان ذلك في أول اتصاله به، فكتب إليه أشجع يقول:

أعطيت مروان الثَّـلا ثِـينَ الثـي دَلَّت رِـعائـة^(١)
وأبـا البـصـير وإنـما أعـطيتـني منـهم ثـلاثـة
ما خـانـني حـوْكَ القـريـد^(٢) ضـ ولا اتـهـمت سـوى الحـدائـة

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى.

العباس بن محمد ينشد الرشيد شعراً لأشجع ويدهيه لنفسه

حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني سعيد بن هريم وأبو دعامه،

قالا:

كان انقطاع أشجع إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فقال الرشيد للعباس يوماً: يا عم، إن الشعراء قد أكثروا في مدح محمد بسبي وبسب أم جعفر، ولم يقل أحد منهم في المأمون شيئاً، وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه، فذكر العباس ذلك لأشجع، وأمره أن يقول فيه، فقال:

يَبْعَةُ المَـأـمـونَ آخِـذَةً بَيْنَـانَ الحَـسَقِ فِي أَفْقَةٍ
/ أَحْكِمْتَ مِرْأَتَهَا^(٣) عَقْدًا تَمْنَعُ الْمُخْتَالَ فِي نَفْقَةٍ
لَنْ يَفْكَ المِرْءَ رِبْقَتَهَا أَوْ يَفْكَ الذَّيْنَ مِنْ عُنُقَةٍ
/ وَلَهُ مِنْ وَجْهِهِ وَالِدِهِ صُورَةٌ تَمُوتُ وَمِنْ خُلُقَةٍ

٣٩
١٧

[٢٢٩/١٨]

قال: فأتى بها العباس الرشيد، وأنشده إياها فاستحسنها وسأله: لمن هي؟ فقال: هي لي، فقال: قد سررتني مرّتين: بإصابتك ما في نفسي، وبأنها لك، وما كان لك فهو لي، وأمر له بثلاثين ألف دينار، فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف درهم، وأخذ باقيها لنفسه.

يستعجل عطاء يحيى بن خالد ثم يمدحه

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي، قال:

وعد يحيى بن خالد أشجع السلمي وعداً، فأخّره عنه، فقال له قوله:

رَأَيْتُكَ لَا تَسْتَلِذُ المِطَالَ وَثُوفِي إِذَا غَدَرَ الخَائِنُ

(١) الرعات جمع رعة، وهي عشون الديك، ويريد بتدلي رعائه أنه تكبر وزها.

(٢) ف: «حوز القريض».

(٣) المرات جمع مرة، وهي طاقة الحبل. وفي ما: «مرانها».

وَأَنْتَ لِتُعْجِلَهَا ضَامِنٌ
لِمَعْرُوفٍ صَاحِبِهِ شَائِنٌ

فَمَاذَا تُؤَخَّرُ مِنْ حَاجَتِي
أَلَمْ تَرَ أَنَّ احْتِبَاسَ الثُّوَالِ

فلم يتعجل ما أراد، فكتب إليه:

إِلَيَّ مِنَ الثَّرَاءِ مَعَ الْهَوَانِ
بِرَبِّ صُرُوفِهَا وَمَعِيَ لِسَانِي

رُويَ ذَلِكَ إِنَّ عِزَّ الْفَقْرِ أَدْنَى
وَمَاذَا تَبْلُغُ الْإِيَامُ مِّنِّي

فبلغ قوله جعفرًا فقال له: ويلك يا أشجع! هذا تهذؤ فلا تعد لمثله، ثم كلم أباه ففضى حاجته، فقال:

فَأَصْبَحْتُ لَا أَرْتَاعُ لِلْحَدَثَانِ
طِلَابَ فُلَانٍ مَسْرَّةً وَفُلَانٍ
أَقْلَبَ فِيهِ نَاطِرِي وَلِسَانِي

كَفَانِي صُرُوفَ الذَّهْرِ يَخِي بَنُ خَالِدٍ
كَفَانِي - كَفَاهُ اللَّهُ كُلَّ مُلَمَّةٍ -
فَأَصْبَحْتُ فِي رَغْدٍ مِنَ الْعَيْشِ وَاسِعٍ

جعفر بن يحيى يوليه عملاً ثم يصرفه عنه

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا العنزي عن ابن النطاح، قال:

/ وَلِي جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى أَشْجَعَ عَمَلًا، فَرَفَعَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ رَفَائِعَ^(١) كَثِيرَةً، وَتَظَلَّمُوا مِنْهُ وَشَكَّوْهُ، فَصَرَفَهُ جَعْفَرُ [٢٣٠/١٨] عَنْهُمْ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ مِنْ عَمَلِهِ مَثَلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

وَلَا تَمْتَنِي عَلَى طُولِ الْحَيْنِ
مِنَ الْأَشْجَانِ كَيْفَ أَخُو الشُّجُونِ
وَأَيْنَ أَخُو السُّرُورِ مِنَ الْحَزِينِ
رَوَّاحِلُ غَادِيَاتٍ بِالْقَطِيبِ^(٢)
عِيَانًا سَخَّ مُطَرِدٍ مَعِينِ^(٣)
رِجَالُ رَفِيعَةٍ لَمْ يَغْرِفُونِي
فَقَالُوا بِالَّذِي يَهْوُونَ دُونِي
وَلَوْ أَدْنَيْتَنِي لِتَجَبُّونِي
عَلَيَّ وَغِيثُ عَنْهُمْ عُيُونِي
تَدْرَعُ^(٤) كُلُّ ذِي غَمَزٍ دَفِينِ
وَقَدْ هَيَّأْتُ صَخْرَةَ مَنَجُّونِ^(٥)
وَصَالَتْ فِي الْأَخِشَةِ وَالشُّوُونِ^(٦)

أَمْسِدَةُ مُعَادٍ عَلَيَّ دِينِي
وَمَا تَدْرِي مُعَادٍ إِذَا تَخَلَّسْتُ
تَنَامُ وَلَا أَنَامُ لَطُولِ حُزْنِي
لَقَدْ رَاغَتْكَ عِنْدَ قَطِيبِ مُغْدِي
كَأَنَّ دُمُوعَ عَيْنِي يَوْمَ بَانُوا
لَقَدْ هَزَّتْ سِنَانُ الْقَوْلِ مَنِي
هُمْ جَاوَزُوا حِجَابَكَ يَا بَنَ يَحْيَى
أَطَافُوا بِي لَدَيْكَ وَغِيثُ عَنْهُمْ
وَقَدْ شَهِدْتُ عُيُونُهُمْ فَمَالَتْ
وَلَمَّا أَنْ كَتَبْتُ بِمَا أَرَادُوا
/ كَفَفْتُ عَنِ الْمَقَاتِلِ بِأَدْيَاتِ
وَلَوْ أَرْسَلْتُهُمَا دَمَعْتُ رِجَالًا

(١) الرفائع: جمع رفاعة؛ وهي القصة المرفوعة إلى الحاكم.

(٢) القطيب: الخدم والحاشية.

(٣) في ف: «غياث سح مطرد معين».

(٤) في ب: «تردع».

(٥) المنجنون: الدولا ب يستقى عليها.

(٦) الأخشة جمع خشاش، وهو العود يجعل في عظم أنف البعير، والشوون جمع شأن، وهو عرق الدمع.

/ وكنت إذا هزرتُ حُسامَ قَوْلٍ
لعلَّ الدهرَ يُطْلِقَ من لساني
فأَقْضِي دَيْنَهُمْ بِوَفَاءِ قَوْلٍ
وقد علموا جميعاً أن قولي
وَكُنْتُ إِذَا هَجَوْتُ رَيْسَ قَوْمٍ
بخطِّ مثلِ حَرْقِ النَّارِ باقٍ
أما لئلاَّ بوْدُكَ يابُنَ يَخْيَى
يَشِيمُونَ السَّيْفَ^(٢) إِذَا رَأَوْني
ولو كُشِفَتْ سرائِرُنَا جميعاً
علام - وأنتَ تَغْلَمُ نَضْحَ جَنْبِي
وعَسْفِي كُلَّ مَهْمَةٍ خِلايَ
وَإِخْيَائي الدُّجَى لَكَ بِالْقَوَافِي
تُقَرِّبُ مِنْكَ أَغْدَائِي وَأَتَأَيَّ
ولو عاتبتَ نَفْسَكَ فِي مَكَانِي^(٥)
وَلَكِنَّ الشُّكُوكَ نَأَيْنَ عَنِّي
فإن أنصفتني أحرقتَ منهم

قطعت بِحُجَّتِي عَلى^(١) الوَتَيْنِ
لهم يوماً وَيَسْطُ من يَمِينِي
وَأثْقَلَهُمْ لصدقي بِالْأَدْيُونِ
قَرِيبَ حِينَ أَدْعُوهُ يَجِينِي
وَسَمْتُ عَلَى الدُّوَابَّةِ وَالْجَبِينِ
يلوح على الحَوَاجِبِ وَالْعُيُونِ
رِجَالَاتُ دَوُو ضِغْنِ كَمِينِ
فإن وَلَيْتُ سُلْتُ من جُفُونِ
عَلِمْتُ مَنْ الْبَرِيءُ مِنَ الظُّلَمِ^(٣)
وَأَخَذِي مِنْكَ بِالسَّبَبِ الْمُتِينِ
إِلَيْكَ بِكُلِّ يَعْمَلَةٍ أُمُونِ^(٤)
أُقِيمُ صُدُورَهُنَّ عَلَى الْمُتُونِ -
وَيَجْلِسُ مَجْلِسِي مَنْ لَا يَلِينِي
إِذَا لَنَزَلْتُ عِنْدَكَ بِالْيَمِينِ
بوْدَكَ، وَالْمَصِيرُ إِلَى الْيَقِينِ
بِنُفْجِ الْكَسِيِّ أَتْبَاجِ^(٦) الْبَطُونِ

/ أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر بن المنصور

أخبرني محمد بن يحيى الصولي والحسن بن علي، قالا: حدثنا العتري، قال: حدثنا علي بن الفضل السلمي، قال:

أول ما نجم به أشجع أنه اتصل بجعفر بن المنصور وهو حدث، وصله به أحمد بن يزيد السبيعي وابنه عوف، فقال أشجع في جعفر بن المنصور قوله:

اذْكُرُوا حُرْمَةَ الْعَوَاتِكِ مِنَّا
قَدْ وَلَدْنَاكُمْ ثَلَاثَ وُلَدَا
مَهَّدَتْ هَاشِمًا نَجْمًا قُصِي
إِنْ أَرْمَحَ بُهْشَةً بَنَ سُلَيْمِ^(٧)

يا بني هاشم بن عبد مناف
تِ خَلَطَنَ الْأَشْرَافَ بِالْأَشْرَافِ
وَبَنُو فَالْحِجِ حُجُورَ عَفَافِ
لِعِجَافِ الْأَطْرَافِ غَيْرُ عِجَافِ

(١) العلق: الحبل. وفي ف: «عرق».

(٢) يشيمون السيوف: يدخلونها في أعمادها.

(٣) الظنين: المتهم.

(٤) اليعملة: الناقة النجيبة المطبوعة على العمل. الأمون: الموافقة الخلق المأمونة الكلال.

(٥) ف: «من فوادي».

(٦) الأتباع: جمع تبع، وهو الوسط من كل شيء.

(٧) كذا في «القاموس» (بهث). وفي ف، «المختار»: «بهشة». وفي ب، ما: «بهمة من سليم».

ولأسيافهم فرى غير لـ
معشّر يطعمون من ذروة الشو
راجع في مراجع الأكتاف
ل ويسقون خمرة الأفحاف^(١)
ويسقونه نقيع الدعاف^(٢)

فشاع شعره وبلغ البصرة، ولم يزل أمره يتراقى إلى أن وصلته زبيدة بعد وفاة أبيها بزوجه هارون الرشيد، فأسنى جوائزه، وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء.

الفضل بن الربيع يصله بالرشيد فيمدحه ثم يمدح الفضل

أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن المرزبان، قال: حدثني شيبه بن أحمد بن هشام، قال: حدثني أحمد / بن العباس الربيعي:

أن الذي أوصل أشجع السلمي إلى الرشيد جدّه الفضل بن الربيع، وأنه أوصله له وقال له: هو أشعر شعراء أهل هذا الزمان، وقد اقتطعتك البرامكة، فأمره بإحضاره وإيصاله مع الشعراء ففعل، فلما وصل إليه أنشده قوله:

/ قصر عليه تحية وسلام
فيه اجتلى الدنيا خليفة والتقت
قصر سقوف المزين دون سقوفه
نشرت عليه الأرض كسوتها التي
أنك من ظل النسي وصيبة
برقت سماؤك في العدو وأنطرت
وإذا سيقوك صافحت هام العدا
أنتى على أيامك الأيام
وعلى عدوك يابن عم محمد
فإذا تنبّه رعته، وإذا غفا

نشرت عليه جماله الأيام
للملك فيه سلامة وسلام
فيه لأعلام الهدى أغلام
نسيج الربيع وزخرف الإزها^(٣)
وقرابة وشجعت بها الأرحام
فأما لها ظل الشيف غمام
طارت له عن الرؤوس الهام
والشاهدان: الجلل والإحرام
رصدان: ضوء الصبح والإظلام
سألت عليه سيقوك الأعلام

قال: فاستحسنها الرشيد، وأمر له بعشرين ألف درهم، فمدح الفضل بن الربيع، وشكر له إيصاله إياه إلى الرشيد، فقال فيه قصيدته التي أولها:

غلب الرقاد على جفون المنهد
قد جدّ بي سهر فلم أرق له
ولطالما سهرت لحبّي أغين
أيام أروعى في رياض بطالة
لهو يساعده الشباب ولم أجذ
وعرفت في سهر وليل سرمد
والسوم يلعب في جفون السرقد
أهدى الشهاد لها ولما أسهد
ورّد الصبا منها الذي لم يورّد
بعد الشبيبة في الهوى من مسعد^(٤)

(١) الشول: الناقة. والأفحاف جمع قحف وهو إناء من خشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قدح. وفي ب: «خمرة الإنحاف».

(٢) الأخدعان: عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وغطيا. والدعاف: السم.

(٣) أرهمت السماء: أنت بالرحمة، وهي المطر الضعيف.

(٤) أسعده: أعانه فهو مسعد.

وَحَفِيفَةَ الْأَحْشَاءِ غَيْرَ خَفِيفَةَ / غَضِبْتُ عَلَى أَعْطَافِهَا أُرْدَافُهَا [٢٣٤/١٨]
خَالَفْتُ فِيهِ عَاذِلًا لِي نَاصِحًا
أَقِيمُ مُحْتَمِلًا لِضَيْمِ حَوَادِثِ
وَأَرَى مَخَاسِلَ لَيْسَ يُخْلِفُ نَوُوءُهَا
لِلْفَضْلِ أَمْوَالٌ أَطَافَ بِهَا النَّدَى
يَابْنَ الرِّيعِ حَسَرْتُ شُكْرِي بِالنَّدَى
أَوْصَلْتَنِي وَرَفَذْتَنِي وَكِلَاهُمَا
وَوَصَفْتَنِي عِنْدَ الْخَلِيفَةِ غَسَائِبًا
وَكَفَيْتَنِي^(٤) مِنْ الرُّجَالِ بَنَائِلَ

مَجْدُ وَلَسَةِ جَذَلِ الْعِنَانِ الْأَجْسَدِ
فَالْحَرْبُ بَيْنَ إِزَارِهَا وَالْمَجْسَدِ^(١)
فَرَشَدْتُ حِينَ عَصَيْتُ قَوْلَ الْمُرْشِدِ
مَعَ هِمَّةٍ مَوْصُولَةٍ بِالْفَرْقَدِ
لِلْفَضْلِ إِنْ رَعَدْتُ وَإِنْ لَمْ تَرْعَدِ
حَتَّى جُهِدَنْ جُودُهُ لَمْ يَجْهَدِ
أُولَيْتَنِي فِي عَوْدِ أَمْرِكَ وَالْبَيْدِ^(٢)
شَرَفْتُ فَقَاتُ بِهِ عِيُونَ الْحُسَدِ
وَإِذْنَتَ لِي فَشَهِدْتُ أَفْخَرَ مَشْهَدِ^(٣)
أَغْنَى يَدِي عَنْ أَنْ تُمَدَّ إِلَيَّ يَدِ

يسأل جعفر بن يحيى ابتاع غلام جميل فيجيبه

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حَدَّثَنَا الْعَنْزِي، قال: حَدَّثَنِي صَخْرُ بْنُ أَحْمَدَ السَّلْمِي، / عن أبيه،
قال: ٤٢/١٧

كنت أنا وأشجع بالزُّقَّة جُلُوسًا، فَمَرَّ بَنَا غُلَامٌ أَمْرُدٌ رُومِيٌّ جَمِيلُ الْوَجْهِ، فَكَلَّمَهُ أَشْجَعُ وَسَأَلَهُ هَلْ يَبِيعُهُ مَالِكُهُ؟
فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ أَشْجَعُ يَمْدَحُ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى، وَسَأَلَهُ ابْتِيعَاةً لَهُ فَقَالَ:

وَمُضْطَرِبِ الْوُشَاحِ لِمُقْلَتَيْنِهِ / عَلَانِيٌ مَا لَوْصَلَتْهَا انْقِطَاعُ
تَعَرَّضَ لِي بَنَظَرَةٍ ذِي دَلَالٍ / يُرِيْعُ^(٥) بِمُقْلَتَيْهِ وَلَا يُرَاعُ
لِحَاظٌ لَيْسَ تُحَجِّبُ عَنْ قُلُوبٍ / وَأَمْرٌ فِي السَّيِّئِ يَهْوِي مُطَاعُ
وَوُسْعِي ضَيِّقٌ عَنْهُ وَمَالِي / وَضِيقُ الْأَمْرِ يَتَّبَعُهُ اتِّسَاعُ
وَتَقْوِيلِي عَلَى مَالِ ابْنِ يَحْيَى / إِلَيْهِ حَنْ شَوْقِي وَالنَّزَاعُ
وَتَقَشْتُ بِجَعْفَرٍ فِي كُلِّ خَطْبٍ / فَلَا هُلَاكَ يُخَافُ وَلَا ضِيَاعُ

/ فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ، وَقَالَ: اشْتَرِهِ بِهَا فَإِنْ لَمْ تَكْفِكَ فَازْدَدْ. [٢٣٥/١٨]

يذكر جاريته ريم في قصيدة رثى بها الرشيد

أخبرني الحسن بن علي، قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ، قال:

كَانَتْ لِأَشْجَعٍ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا: رِيمٌ، وَكَانَ يَجِدُ بِهَا وَجْدًا شَدِيدًا، فَكَانَتْ تَحْلِفُ لَهُ إِنْ بَقِيَتْ بَعْدَهُ لَمْ تَعْرِضْ
لِغَيْرِهِ، وَكَانَ يَذْكُرُهَا فِي شَعْرِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَرْتِي بِهَا الرَّشِيدَ:

(١) المجسد: ثوب يلي الجسد.

(٢) في «المختار»: «شكري بالذي...» في عود أمري... .

(٣) ساقط من ف.

(٤) في ب، س: «وكففتني».

(٥) ف، بيروت: «يروع».

ولكن أحزان النساء تطاول
يضرن بدمع عن هوى لبخيل
دبوراً إذا هبت له وقبول^(١)
يميل مع الأيام حيث تميل

وليس لأحزان النساء تطاول
فلا تبخلي بالدمع عني؛ فإن من
فلا كنت ممن يتبع الريح طرفه
إذا دار فسي أتبع الفسيء طرفه

قال: وقال فيهما أيضاً:

من الأرض فابكيني بما كنت أصنع
وأن ليس فيمن وارت الأرض مطمع
ولم تسمعي مني ولا منك أسمع
بكاء فأقصي ما تبكين أذبع
فتاة بمن ولّى به الموت تقنع
عليك بها عام من الجذب يطلع
إذا جعلت أركان بيتك تزرع

إذا غمضت فوقي جفون حفيرة
تعرّك عني عند ذلك سلوة
إذا لم ترني شخصي وتغنك ثروتي
فحيث تذلّين عني وإن يكن
قليل ورب البيت يريم ما أرى
بمن تدفعين الحادثات إذا رمى
فحيث تذرّين من قد رزيت

أحمد أخوه يجيبه شعر ينسبه إلى جاريته ريم

قال: فشكته ريم إلى أخيه أحمد بن عمرو، فأجابه عنها شعر ينسبه إليها، ومدح فيه الفضل أيضاً فاختر شعره

على شعر أخيه وهو:

وأني حياة بعد موتك تنفع
فمالي في طيب من العيش مطمع
يؤدّد فيها شملنا ويصدّع
فتروى بجسمي الحادثات وتشبع
وأخشع مما لم أكن منه أخشع
ولم تزل الراؤون لي تتوجّع^(٥)
على امرأة أو عينه الدهر تدمع
فمثلك أخرى سوف أهوى وأتبع
صباة قلب^(٦) غيها ليس يقشع
منيع الحمى معروفة ليس يمتنع
وبأسأ به أنف الحوادث يجدّع

ذكرت فراقاً والفراق^(٢) يصدّع
إذا الزم من الغرار^(٣) فرق بيننا
ولا كان يوم يابن عمرو وليلة
ولا كان يوم فيه تشوي^(٤) رهينة
/ وألطم وجهاً كنت فيك أصونه
ولو أنني غيّت في اللحد لم تبلى
وهل رجل أبصرته متوجّعاً
ولكن إذا ولت يقول لها: اذهبي
ولو أبصرت عيناك ما بي لأبصرت
إلى الفضل فازحل بالمديح فإنه
وزره تزرّ حلماء وعلماء وسودداً

(١) الدبور: ريح تهب من المغرب، وتقابل القبول، وهي ريح الصبا.

(٢) ف: «والفرق».

(٣) ف: «الغدار».

(٤) ف: «أثوي»، تحريف.

(٥) ف: «في التراب» بدل «في اللحد»، وفي ما: «في البحر».

(٦) ف: «صباة حزن».

وأبدع إذا ما قلت في الفضل مذحة
إذا ما حياض المجد قلت مياها
وإن سنة ضئت بخصب على الورى
وما بعدت أرض بها الفضل نازل
فنعم المنادى الفضل عند ملئة^(١)
/ إليك أبا العباس سارت نجائب
بذكرك نحدوها إذا ما تأخرت
وما للسان المدح دونك مشرع
إليك أبا العباس أحمل مذحة
فرغت إلى جذواك فيها وإنما

[٢٣٧/١٨]

قال: فأنشدنا أشجع الفضل، وحدثه بالقصة، فوصل أخاه وجاريته ووصله.

وقال أحمد بن الحارث: فقبل لأحمد بن عمرو أخي أشجع: ما لك لا تمدح الملوك كما يمدحهم أخوك؟ فقال: إن أخي بلاء علي وإن كان فخراً، لأنني^(٢) لا أمدح أحداً ممن يرضيه دون شعري ويصيب عليه بالكثير من الثواب^(٣) إلا قال: أين هذا من قول أشجع؟ فقد امتنعت من مدح أحد لذلك.

أحمد أخو أشجع يهجو

قال أحمد بن الحارث: وقال أحمد بن عمرو يهجو أخاه أشجع، وقد كان أحمد مدح محمد بن جميل بشعر قاله فيه، فسأل أخاه أشجع إيصاله، ودفع القصيدة إليه فتوانى عن ذلك، فقال يهجو - أخبرني بذلك أحمد بن محمد بن جميل -:

وسائل لي: ما أشجع؟
فريب من الشرّ واع له
بطيء عن الأمر أحظى به
شروء الوداد على قريبه
أسبب بأنني شقيق له
فقلت: يضر ولا ينفع
أصم عن الخير ما يسمع
إلى كل ما ساءني مسرع
يفرق منه الذي أجمع
فأنفي به أبداً أجدع

الفضل بن يحيى يطرب لشعر أشجع ويكافئ منشد

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

[٢٣٨/١٨]

دخلت على الفضل بن يحيى وقد بلغ الرشيد إطلاقه يحيى بن عبد الله / بن حسن، وقد كان أمره بقتله / فلم يظهر له أنه بلغه إطلاقه^(٤)، فسأله عن خبره: هل قتلته؟ فقال: لا، فقال له: فأين هو؟ قال: أطلقته، قال: ولم؟

٤٤
١٧

(١) ف: «نعم المنادى عند كل ملعة».

(٢) ف: «على أنني لا أمدح...».

(٣) ف، بيروت: «من النوال».

(٤) كذا في ف، وفي باقي الأصول: «أنه قتله».

قال: لأنه سألتني بحق الله وبحق رسوله وقربته منه ومنك، وحلف لي أنه لا يحدث حدثاً، وأنه يجيئني متى طلبته. فأتى ساعاً، ثم قال: امض بنفسك في طلبه حتى تجيئني به واخرج الساعة، فخرج. قال: فدخلت عليه مهتئاً بالسلامة فقلت له: ما رأيت أثبت من جنائك ولا أصح من رأيك فيما جرى، وأنت والله كما قال أشجع:

بديته وفكرته سواء إذا ما ناباه الخطب الكبير
وأحزم ما يكون الدهر رأياً إذا عي المشاور والمشير
وصدر فيه للهم اتساع إذا ضاقت بما تحوي الصدور

فقال الفضل: انظروا كم أخذ أشجع على هذه القصيدة، فاحملوا إلى أبي محمد مثله. قال: فوجده قد أخذ ثلاثين ألف درهم، فحملت إلي.

يرثي صديقاً له من بغداد

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة، قال: حدثني محمد بن عجلان، قال: حدثنا ابن خلاد، عن حسين الجعفي، قال:

كان أشجع إذا قدم بغداد ينزل على صديق له من أهلها، فقدمها مرة فوجده قد مات، والنوح والبكاء في داره، فجزع لذلك وبكى، وأنشأ يقول:

وَنَحَّاهَا هَلْ دَرْتُ عَلَى مَنْ تَنُوحُ أَسْقِيَهُمْ فَوَادُّهَا أَمْ صَحِيحُ!
فَمَرُّ أَطْبَقُوا عَلَيْهِ يَغْدَا ذُضْرِيحاً، مَاذَا أَجَنُّ الضَّرِيحُ!
رَحِمَ اللَّهُ صَاحِبِي وَنَدِيمِي رَحْمَةً تَغْثِيدي وَأُخْرَى تَرْوُحُ

وهذه القصيدة التي فيها الأبيات المذكورة والغناء فيها، من قصيدة يمدح بها أشجع الرشيد ويهتبه بفتح هرقله، وقد مدحه بذلك وهتاه جماعة من الشعراء وغني في جميعها، فذكرت خبر فتح هرقله لذكر ذلك.

[٢٣٩/١٨]

/ سبب غزاة الرشيد هرقله

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد، قال:

كان من خبر غزاة الرشيد هرقله أن الروم كانت قد ملكت امرأة، لأنه لم يكن بقي في أهل زمانها من أهل بيتها^(١) - بيت المملكة - غيرها، وكانت تكتب إلى المهدي والهادي والرشيد أول خلافته بالتعظيم والتبجيل، وتدر عليه الهدايا، حتى بلغ ابن لها فحاز الملك دونها، وعاث وأفسد، وفسد الرشيد، فخافت على ملك الروم أن يذهب، وعلى بلادهم أن تعطب؛ لعلمها بالرشيد وخوفها من سطوته، فاحتالت لأنها فسمكت عينه^(٢)، فبطل منه الملك وعاد إليها، فاستنكر ذلك أهل المملكة وأبغضوها من أجله، فخرج عليها نفقور وكان كاتبها، فأعانوه وعصّدوه، وقام بأمر الملك وضبط أمر الروم، فلما قوي على أمره وتمكن من ملكه كتب إلى الرشيد:

كتاب نفقور إلى الرشيد

« من نفقور ملك الروم إلى الرشيد ملك العرب، أما بعد؛ فإن هذه المرأة كانت وضعتك وأباك وأخاك موضع

(١) ف: «... بقي في زمانها من أهل بيتها... الخ».

(٢) سملت عينه: فقأتها بحديدة محمأة.

المُلُوكِ، ووضعت نفسها موضع الشُّوقِ، وإني واضعك بغير ذلك الموضع، وعامل على تطرُق^(١) بلادك والهجوم على أمصارك، أو تؤدِّي إليَّ ما كانت المرأة تؤدِّي إليك، والسلام.

رد الرشيد عليه

فلَمَّا وَرَدَ كِتَابُهُ عَلَى الرَّشِيدِ كَتَبَ إِلَيْهِ :

«بسم الله الرحمن الرحيم - من عَبْدِ الله هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى نَقْفُورِ كَلْبِ الرُّومِ، / أما بعد، فقد فهمت كتابك، وجوابك عندي ما تراه عياناً لا ما تسمعه». ثم شَخَّصَ من شهره ذلك يَوْمُ بِلَادِ الرُّومِ فِي جَمْعٍ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ، وَقُوَادَ لَا يُجَارُونَ نَجْدَةً وَرَأْيَا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ نَقْفُورٌ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَشَاوَرَ فِي أَمْرِهِ.

[٢٤٠/١٨] / أبو العتاهية يذكر هزيمة نقفور ويمدح الرشيد

وَجَدَّ الرَّشِيدَ يَتَوَغَّلُ فِي بِلَادِ الرُّومِ فَيَقْتُلُ وَيَغْنَمُ وَيَسْبِي، وَيُخَرِّبُ الْحُصُونِ وَيُعْقِي الْأَنْثَارَ حَتَّى صَارَ إِلَى طُرُقِ مُتَضَائِقَةٍ دُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَلَمَّا بَلَغَهَا وَجَدَهَا وَقَدْ أَمَرَ نَقْفُورٌ بِالشَّجَرِ فَقُطِعَ وَرُمِيَ بِهِ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، وَأَلْقِيَتْ فِيهِ النَّارُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَبَسَ ثِيَابَ النَّفَّاطِينَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدَ، فَخَاضَهَا، ثُمَّ اتَّبَعَهُ النَّاسُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ نَقْفُورٌ بِالْهَدَايَا وَخَضَعَ لَهُ أَشَدَّ الْخُضُوعِ، وَأَدَّى إِلَيْهِ الْجِزْيَةَ عَنْ رَأْسِهِ فَضَلًّا عَنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

إِمَامَ الْهُدَى أَصْبَحْتَ بِالَّذِينَ مَغْنِيًّا
لَكَ أَسْمَانِ شُكَا مِنْ رَشَادٍ وَمِنْ هُدَى
وَإِذَا مَا سَخِطْتَ الشَّيْءَ كَانَ مُسَخَّطًا
وَأَنْتَ تَرْضَى شَيْئًا كَانَ فِي النَّاسِ مَرْضِيًّا
بَسَطْتَ لَنَا شَرْقًا وَغَرْبًا يَدَ الْعُلَا
فَأَوْسَعْتَ شَرْقِيًّا وَأَوْسَعْتَ غَرْبِيًّا
وَوُشِيتَ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالْجُودِ وَالنَّدَى
فَأَصْبَحَ وَجْهُ الْأَرْضِ بِالْجُودِ مَوْشِيًّا
وَأَنْتَ - أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - فَتَى النَّقَى
نَشَرْتَ مِنَ الْإِحْسَانِ مَا كَانَ مَطْوِيًّا
قَضَى اللَّهُ أَنْ يَنْقَى لِهَارُونَ مُلْكُهُ
وَأَصْبَحَ نَقْفُورٌ لِهَارُونَ ذِمِّيًّا
تَجَلَّلْتَ الدُّنْيَا لِهَارُونَ ذِي الرُّضَا^(٢)

شاعر من أهل جُدَّة يعلم الرشيد بغدر نقفور

فَرَجَعَ الرَّشِيدُ - لَمَّا أَعْطَاهُ نَقْفُورٌ مَا أَعْطَاهُ - إِلَى الرَّقَّةِ، فَلَمَّا سَقَطَ الثَّلْجُ وَأَمِنَ نَقْفُورٌ أَنْ يُغْزَى اغْتَرَّ بِالْمُهْلَةِ، وَنَقَضَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّشِيدِ، وَرَجَعَ إِلَى حَالَتِهِ الْأُولَى، فَلَمْ يَجْتَرِءَ يَخْبِي بَنَ خَالِدٍ - فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ - عَلَى إِخْبَارِ الرَّشِيدِ بِغَدْرِ نَقْفُورٍ، فَكَذَلِكَ هُوَ وَبَنُوهُ الْأَمْوَالُ لِلشُّعْرَاءِ عَلَى أَنْ يَقُولُوا أَشْعَارًا فِي إِعْلَامِ الرَّشِيدِ بِذَلِكَ، فَكُلُّهُمْ كَع^(٣) وَأَشْفَقَ إِلَّا شَاعِرًا مِنْ أَهْلِ جُدَّةَ كَانَ يُكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ، / وَكَانَ مُجِيدًا قَوِيَّ النَّفْسِ قَوِيَّ الشَّعْرِ، وَكَانَ ذُو الْيَمِينَيْنِ اخْتَصَّه فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ وَرَفَعَ قَدْرَهُ جِدًّا، فَإِنَّهُ أَخَذَ مِنْ يَخْيَى وَبَنِيهِ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، وَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَنْشَدَهُ :

(١) وعامل على تطرُق بلادك، أي على السير إليها.

(٢) في «التجريد»: «تحليت للدنيا وللدين بالرضا».

(٣) كع: جبن.

نَقَضَ الَّذِي أَعْطَاكَه^(١) نَقْفُورُ
أَبْشَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ
فَلَقَدْ تَبَاشَّرَتْ الرَّعِيَّةُ أَنْ أَتَى
وَرَجَتْ بِيَمِينِكَ^(٢) أَنْ تُعْجَلَ غَزْوَةً
أَعْطَاكَ جِزْيَتَهُ وَطَاطَا خَدَّهُ
فَأَجَرْتَهُ مِنْ وَقْعِهَا وَكَأَنَّهَا
وَصَرَفَتْ فِي^(٣) طُولِ الْعَسَاكِرِ قَافِلًا
نَقْفُورُ إِنَّكَ حِينَ تَغْدِرُ أَنْ نَأَى
أَظَنَنْتَ حِينَ غَدَرْتَ أَنَّكَ مُفْلِتٌ
/ أَلْقَاكَ حَيْثُكَ فِي زَوَاحِرِ بَحْرِهِ
إِنَّ الْإِمَامَ عَلَى اقْتِسَارِكَ قَادِرٌ
لَيْسَ الْإِمَامُ وَإِنْ غَفَلْنَا غَافِلًا
مَلِكٌ تَجَرَّدَ لِلْجِهَادِ بِنَفْسِهِ
يَا مَنْ يُرِيدُ رِضَا الْإِلَهِ بِسُغْيِهِ
لَا تُضْحَ بِنَفْعٍ مَنْ يَغْشَى إِمَامَهُ
/ تُضْحِ الْإِمَامَ عَلَى الْأَنَامِ فَرِيضَةً
فَعَلَيْهِ دَائِرَةُ الْبَوَارِ تَذُورُ
فَتَحَّ أَنْتَاكَ بِهِ الْإِلَهِ كَيْبَرُ
بِالنَّقْضِ^(٤) عَنْهُ وَافِدٌ وَبَشِيرُ
تَشْفِي النُّفُوسَ نَكَالُهَا مَذْكَورُ
حَذَرَ الصَّوَارِمِ وَالرَّدَى مَحْذُورُ
بِأَكْفُنَا شَعْلُ الضُّرَامِ تَطِيرُ
عَنْهُ وَجَارُكَ آمِنٌ مَسْرُورُ
عَنْكَ الْإِمَامُ لَجَاهِلٌ مَغْرُورُ
هَبْلُكَ أَفْكَ مَا ظَنَنْتَ غُرُورُ
فَقَطَمْتَ عَلَيْكَ مِنَ الْإِمَامِ بُحُورُ
قَرُبْتَ دِيَارُكَ أَوْ نَأَتْ بِكَ دُورُ
عَمَّا يَسُوسُ بِحَزْمِهِ وَيُؤَدِّرُ
فَعَدُوَّهُ أَبَدًا بِهِ مَقْهُورُ
وَاللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ضَمِيرُ
وَالنُّصْحُ مِنْ نَصَحَائِهِ مَشْكُورُ
وَلَأَهْلِيهِ كَفَّارَةٌ وَطَهُورُ

٤٦
١٧

[١٨/٢٤٢]

فتح هرقله

قال: فلما أنشده، قال الرشيد: أو قد فعل! وعلم أن الوزراء احتالوا في إعلامه ذلك فغزاه في بقية من الثلج، فافتتح هرقله في ذلك الوقت، فقال أبو العتاهية في فتحه إياها:

أَلَا نَادَتْ هِرْقَلَةَ بِالْخَرَابِ
غَدَا هَارُونَ يُرْعِدُ بِالْمَنَابِ
وَرَايَاتٍ يَحُلُّ النَّصْرُ فِيهَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَفِرَتْ فَاثْلَمَ
مَنْ الْمَلِكِ الْمُوَفَّقِ لِلصَّوَابِ^(٥)
وَيُيْرِقُ بِالْمُذَكَّرةِ الْقَضَابِ^(٦)
تَمَرُّ كَأَنَّهَا قَطَعَ السَّحَابِ
وَأَبْشَرَ بِالْغَنِيمَةِ وَالْإِسَابِ

قال محمد^(٧): وجعل الرشيد قبل وصوله إلى هرقله يفتح المدن والحصون ويخربها، حتى أتاه على هرقله وهي أوثق حصن وأعزه جانباً وأمنه ركناً، فتحصن أهلها، وكان بابها يطل على وادٍ، ولها خندق يطيف بها،

(١) ف: «أعطيته».

(٢) ب: «بالنقد».

(٣) ب، «التجريد»: «ورجت يمينك».

(٤) ف: «من طول».

(٥) في «التجريد»: «الموفق بالصواب».

(٦) المذكرة القضاة: الداهية الشديدة القاطعة.

(٧) ف: «قال محمد بن يزيد».

فحدثني شيخ من مشايخ المَطْوَعَة ومُلازمي الثُّغُور يقال له علي بن عبد الله، قال: حدثني جماعة أَنَّ الرَّشِيدَ لما حَصَرَ أَهْلَ هِرْقَلَةَ وغمهم وألجَّ بالمَجَانِيقِ والسَّهَامِ والعَرَادَاتِ^(١) فتح الباب^(٢) فاستشرف المسلمون لذلك^(٣) فإذا برجل من أهلها كأكمل^(٤) الرِّجَالِ قد خرج في أكمل السلاح، فنَادَى: قد طالت مُوَاقَعَتُكُمْ إِيَّانَا فليَبْرُزْ إليَّ منكم رجلان، ثم لم يَزَلْ يَزِيدُ حتى بَلَغَ عِشْرِينَ رَجُلًا، فلم يُجِبْهُ أَحَدٌ، فدخل وأغلق بابَ الحِصْنِ وكان الرَّشِيدُ نائمًا فلم يعلم بخبره، إلا بعد انصرافه، فغضب ولام خَدَمَهُ وغلَّمانه على تركهم إِنْبَاهَهُ، وتأسفَ لِقَوْتِهِ، فقيل له: إِنَّ امْتِنَاعَ النَّاسِ مِنْهُ سَيَغْوِيهِ وَيُطْغِيهِ، وأخبر به أن يخرج في عَدٍ فيَطْلُبُ مِثْلَ / ما طلب، فطالت على الرَّشِيدِ لَيْلَتُهُ وأصبح كَالْمُنْتَظَرِ له، ثم إذا هو بالبابِ قد فُتِحَ وَخَرَجَ طَالِبًا لِلْمُبَارَاةِ، وذلك في يوم شديد الحرِّ، وجعل يدعو بأنه يَكُنْتُ لعشرين منهم، فقال الرَّشِيدُ: مَنْ لَهُ؟ فابْتَدَرَهُ جِلَّةُ الْقَوَادِ كَهَرْثَمَةٍ، وَيَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ، وَخُزَيْمَةُ بْنُ حَازِمٍ، وَأَخِيهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَدَاوُدُ بْنُ يَزِيدٍ، وَأَخِيهِ، فَعَزَمَ على إخراج بعضهم، فَضَجَّتِ المَطْوَعَةُ حتى سمع ضجيجهم، فأذن لعشرين منهم، فاستأذَنُوهُ في المَشُورَةِ فَأَذِنَ لَهُمْ، فقال قائلهم: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَوَادُكَ مشهورُونَ بالبأس والنَّجْدَةِ وَعُلُوِّ الصَّوْتِ وَمُدَاوَسَةِ^(٥) الحُرُوبِ، ومتى خرج واحدٌ منهم فقتل هذا العِلْجَ^(٦) لم يكبر ذلك، وإن قتله العِلْجُ كانت وَضِيعَةً^(٧) على العسكر عَجِيبةً وتُلَمَّةً لا تُسَدُّ، ونحن عاقَّةٌ لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يَصْلُحُ للعاقَّة، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُخَلِّينَا نَخْتَارُ رَجُلًا فنخرجه إليه، فَإِنْ ظَفَرَ عِلْمُ أَهْلِ الحِصْنِ / أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قد ظَفَرَ بأعزهم على يد رجل من العاقَّة، ومن أفناء الناس ليس ممن يُوهِنُ قَتْلَهُ ولا يُؤَثِّرُ، وَإِنْ قَتَلَ الرَّجُلُ فَإِنَّمَا اسْتَشْهِدَ رَجُلٌ وَلَمْ يُؤَثِّرْ ذهابه في العسكر ولم يُثْلِمِهِ، وخرج إليه رجل بعده مثله حتى يقضي الله ما شاء^(٨)، قال الرَّشِيدُ: قد استصوبتُ رأيكم هذا. فاخْتَارُوا رَجُلًا منهم يُعَرِّفُ بَابَ الْجَزْرِيِّ، وكان معروفًا في الثُّغُرِ بالبأس والنَّجْدَةِ، فقال الرَّشِيدُ: أخرج؟ قال: نعم، وأستعين الله، فقال: أعطوه فَرَسًا ورُمَحًا وسيفًا وترسًا، فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَنَا بِفَرَسِي أوثق، ورُمُحِي بيدي أَشَدَّ^(٩)، ولكني قد قَبِلْتُ السيفَ والترسَ، فليس سلاحه واستدناهُ الرَّشِيدُ فودَّعَهُ، واستتبعَهُ^(١٠) الدُّعَاءَ، وخرج معه عشرون رجلًا من المَطْوَعَةِ، فلما انقَضَ في الوادي قال لهم العِلْجُ وهو يَعُدُّهُمْ واحدًا واحدًا: إِنَّمَا كَانَ الشَّرْطُ عِشْرِينَ وَقَدْ زِدْتُمْ رَجُلًا، ولكن لا بأس، فنَادَوْهُ: ليس يخرج إليك منا إلا رجل واحد، فلما فَصَلَ / منهم ابنُ الْجَزْرِيِّ تَأَمَّلَهُ الرُّومِيُّ وقد أَشْرَفَ أَكْثَرُ الرُّومِ مِنَ الحِصْنِ يَتَأَمَّلُونَ صَاحِبَهُمَ وَالْقِرْنَ حتى ظَنُّوا أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي الحِصْنِ أَحَدٌ إِلَّا أَشْرَفَ، فقال الرُّومِيُّ: أنصدقُنِي، عما اسْتَخْبِرُكَ^(١١)؟ قال: نعم، فقال: أَنْتَ بِاللَّهِ ابْنُ الْجَزْرِيِّ؟ قال: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَكَفَّرَ لَهُ^(١٢)، ثم أَخَذَ في شَأْنِهِمَا فَاطَّعَنَّا حَتَّى طَالَ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا، وَكَادَ

(١) العرادات: جمع عرادة، وهي آلة من آلات الحرب؛ منجنيق صغير.

(٢) زيادة من ف.

(٣) ف: «كأجمل الرجال».

(٤) مداوسة الحروب: المران عليها وتذليلها. وفي ف: «مدارسة».

(٥) العِلْج: الرجل الضخم من كفار العجم.

(٦) الوضيعة: الحطيطة. وفي ف: «كانت وصمة على العسكر قبيحة».

(٧) ب: «يمضي إليه ما شاء».

(٨) ف: «أسد».

(٩) ف: «وأبعه».

(١٠) في مد: «فيما استخبرك». وفي ب: «عم استخبروك».

(١١) كفر له: انحنى ووضع يده على صدره وطأ رأسه كالركوع تعظيمًا له.

الفرسان أن يقوموا^(١) وليس يَخْدش واحدٌ منهما صاحبه، ثم تحاجزا^(٢) بشيء، فزَجَّ كلُّ واحدٍ منهما برمحه، وأصْلَت سيفه، فتجالدا مَلِيًّا، واشتدَّ الحرَّ عليهما، وتبلَّد الفرسان، وجعل ابن الجزري يضرب الرُّوميَّ الضربة التي يرى أنه قد بَلَغَ فيها فيتقيها الروميُّ، وكان تُرْسُه حديدًا؛ فِسمع لذلك صوت منكر، ويضربه الرُّوميُّ ضرب مُعَدَّر؛ لأن تُرْس ابن الجزري كان دَرَقَةً، فكان العِلْج يخاف أن يَعْضَّ بالسَّيف فيعطب، فلما يُس من وصول كل واحدٍ منهما إلى صاحبه انهزم ابنُ الجزري؛ فدخلت المسلمين كآبة لم لم يَكْتَبُوا مثلها قط، وعَطَّط^(٣) المشركون اختيالاً وتطاؤلاً، وإنما كانت هزيمته حيلةً منه؛ فأتبعه العِلْج، وتمكَّن منه ابن الجزري فرماه بوهق^(٤) فوقع في عنقه وما أخطاه، وركض فاستلَّه عن فرسه، ثم عطف عليه فما وصل إلى الأرض حيًّا حتى فارقه رأسه، فكبر المسلمون أعلى تكبير، واتخذ المشركون ويادروا الباب يُغلقونه، واتصل الخبر بالرشيد فصاحب القواد: اجعلوا النار في المجانيق وارموها فليس عند القوم دفع، ففعلوا وجعلوا الكتان والثَّظ على الحجارة وأضرموا فيها النار ورموا بها السور، فكانت النار تُلصق به وتأخذ الحجارة، وقد تصدَّع فنهافت، فلما أحاطت بها النيران فتحوا الباب مُستأمنين ومُستقبلين، فقال الشاعر المكيُّ الذي كان ينزل جُدَّة:

أصوات

هَوْتُ هَرْقَلَةً لَمَّا أَنْ رَأْتُ عَجَبًا جَوَائِمًا^(٥) تَرْتَمِي بِالتَّقْطِ وَالنَّارِ
كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ قَلْعَتِهِمْ مُصْبَغَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قَصَّارِ

في هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقيل الأول بالنصر.

قال محمد بن يزيد: وهذا كلام ضعيف لين، ولكنَّ قدره عظيم في ذلك الموضع والوقت، وغنى فيه المُغْنُون بعد ذلك. / وأعظم الرشيدُ الجائزة للجدِّي الشاعر، وصُبَّت الأموال على ابن الجزري وقُود، فلم يقبل التَّشْوِيد إلا بغير ^{٤٨}/_{١٧} رِزْق ولا عِوَض، وسأل أن يُعْفَى ويُتْرَك بمكانه من الثُّغر، فلم يزل به طول عمره.

ابن جامع يغني الرشيد بهرقلة

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا أحمد بن علي بن أبي نعيم المروزي قال:

خرج الرشيد غازياً بلاد الروم فنزل بهرقلة، فدخل عليه ابن جامع فغناه:

هَوْتُ هَرْقَلَةً لَمَّا أَنْ رَأْتُ عَجَبًا حَوَائِمًا تَرْتَمِي بِالتَّقْطِ وَالنَّارِ

فنظر الرشيد إلى ماشية قد جيء بها، فظنَّ أن الطاغية قد أتاه، فخرج يركض على فرس له وفي يده الرُّمَح، وتبعه الناس، فلما تبَيَّن له أنها ماشية رَجَعُوا، فغناه ابنُ جامع:

(١) ف: «وكاد الفرسان يقومان».

(٢) ف: «ثم تحاورا بشيء».

(٣) العططة: تتابع الأصوات واختلاطها.

(٤) الوهق: الحبل في طرفه أنشطة يطرح في عنق الدابة والإنسان.

(٥) في «التجريد»: «جوائم».

صوت

رأى في السَّما رَهْجاً^(١) فَيَمَّ نحوه
تَناولت أطرافَ البلادِ بِقُدْرَةٍ
يَجُرُّ دُنييَا وللرَّهْجِ يَنْتَقِري
كَأَنَّكَ فيها تَقْتَفِي أثرَ الخُضِرِ

/ الغناء لابن جاعم ثاني ثقيل عن بَذل وابن المَكِّي. [٢٤٦/١٨]

أشجع يهنيء الرشيد بفتح هرقله

أخبرني هاشم بن محمد أبو دُلَف الخُزاعي، قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيدي، عن إسحاق الموصلي، قال:

لما انصرف الرشيد من غَزاةِ هِرْقَلَةَ قدم الرِّقَّة في آخر شهر رمضان، فلما عيَّد جلس للشعراء، فدخلوا عليه وفيهم أشجع، فبكدهم وأنشأ يقول:

لا زلت تَنشرُ أعياداً وتَطويها
مُسْتَقْبَلاً زينةَ الدُّنيا وَبَهْجَتِها
تَمُضِي بِهالِكَ أَيْامٌ وَتُثْنِيها^(٢)
يَطْوي لِكَ الذَّهْرِ أَيْاماً وَتَطْويها
وَلَيْهَنَكَ الفَتْحُ وَالْأَيْامُ مُقْبِلَةٌ
إِلَيْكَ بِالنَّصْرِ مَغْقوداً نَواصِيها^(٣)
أَمَسَتْ هِرْقَلَةُ تَهْوي^(٤) مِنْ جَوَانِبِها
وَمُلْكُها وَقَتْلَسَتْ النَّاكِثِينَ بِها
ما رُوِيَ الدِّينُ وَالدُّنيا عَلَى قَدَمِ
بِمَثَلِ هَارُونَ رَاعِيهِ وَرَاعِيها

قال: فأمر له بألف دينار، وقال: لا يُشَدُّني أَحَدٌ بعده، فقال أشجع: والله لَأمرُهُ بِالْأَيُّمِ يُشَدُّه أَحَدٌ بعدي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صِلَتِهِ.

حدثني أحمد بن وصيف، ومحمد بن يَحْيَى الصُّولي، قالوا: حدثنا محمد بن موسى بن حماد، قال: حدثني عبد الله بن عمرو الوراق، قال: حدثني أحمد بن محمد بن مَنصُور بن زياد، عن أبيه، قال:

/ دخل أشجع على الرشيد ثاني يوم الفِطْرِ فأنشده: [٢٤٧/١٨]

صوت

اسْتَقْبِلِ العِيدَ بِعُنْزٍ جَدِيدِ
مَدَّتْ لَكَ الْإَيْامُ حَبْلَ الْخُلُودِ

(١) الرهج: القبار أو ما أثير منه.

(٢) جاء في بيتان مكان هذا البيت وهما:

مُسْتَقْبَلاً بِهَجَّةٍ وَزِينَتِها
العِيدُ والعِيدُ وَالْأَيْامُ بَيْنَهُما

والبيتان أيضاً في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٢/ ٨٨٤ مع خلاف في بعض الألفاظ.

(٣) في «الشعر والشعراء» ٢/ ٨٨٤: «وليهنك النصر... إليك بالفتح...».

(٤) «التجريد»: «ترمي من جوانبها».

مُصْعِدًا فِي دَرَجَاتِ الْعُلَا
نَجْمُكَ مَقْرُونٌ بِسَعْدِ الشُّعُودِ
وَاطْلُو رِداءَ الشَّمْسِ مَا أَطْلَعَتْ
نُورًا جَدِيدًا كُلَّ يَوْمٍ جَدِيدِ
تَمْضِي لَكَ الْأَيَّامُ ذَا غِبْطَةٍ
إِذَا أَتَى عِيدُ طَسْوَى عُمَرَ عِيدِ
/ فوصله بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يُغَنَّى في هذه الأبيات.

٤٩
١٧

يصف فتح طبرستان ويمدح الرشيد

أخبرني محمد بن جعفر النخوي، قال: حدثنا محمد بن موسى بن حَمَّاد، قال: حدثني أبو عبد الله النخعي، قال:

دَخَلَ أَشْجَعُ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ:

أَبَتْ طَبْرِسْتَانُ غَيْرَ الَّذِي
صَدَعْتَ بِهِ بَيْنَ أَعْضَائِهَا
ضَمَمْتَ مَنَاجِبَهَا ضَمَّةً
رَمَتْكَ بِمَا بَيْنَ أَحْشَائِهَا
سَمَوْتَ إِلَيْهَا بِمَثَلِ السَّمَاءِ
تَذَلَّى الصَّوَاعِقُ فِي مَائِهَا
فَلَمَّا نَظَرْتَ إِلَى جُرحِهَا
وَضَعْتَ الدَّوَاءَ عَلَى دَائِهَا
فَرَشْتَ الْجِهَادَ ظُهُورَ الْجِيَادِ^(١)
بَنَاءِهَا وَيَسَابِغِهَا
بَنَفْسِكَ تَرْمِيهِمْ وَالْخَيُْولَ
كَرَمِي الْعُقَابِ بِأَفْلَاجِهَا^(٢)
نَظَرْتَ بِرَأْيِكَ لَمَّا هَمَمْتَ
بِتُؤْنِ الرِّجَالِ وَآرَائِهَا
قال: فأمر له بألف دينار.

[٢٤٨/١٨]

/ يمدح الرشيد بعد قدومه من الحج وقد مطر الناس

أخبرني محمد بن جعفر، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثني أبو عمرو الباهلي البصري قال: دخل أشجع بن عمرو الشلمي على هارون الرشيد حين قدم من الحج، وقد مطر الناس يوم قدومه، فأنشده يقول:

إِنَّ يُنَنِّ الإِمَامَ لَمَّا أَنَا
جَلَبَ الْغَيْثَ مِنْ مُتَوْنِ الْغَمَامِ
فَايْتَسَامُ الثَّبَاتِ فِي أَثَرِ الْغَيْدِ
بِتُؤْنِهِ كُسْرَجِ^(٣) الظَّلَامِ
مَلِكٌ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ مُغْضٍ
وَهُوَ مُغْضَى لَهُ مِنَ الْإِعْظَامِ
أَلِفَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ فَمَا يَنْدُ
فَلَكُ مِنْ سَفَرَتَيْنِ فِي كُلِّ عَامِ
سَفَرٍ لِلْجِهَادِ نَحْوِ عَدُوِّ
وَالْمَطَايَا لِسَفَرَةِ الْإِحْرَامِ
طَلَبَ اللَّهُ فَهُوَ يَسْعَى إِلَيْهِ
بِالْمَطَايَا وَبِالْجِيَادِ السَّوَامِي
فِيَدَاهُ يَدٌ بِمَكَّةَ تَذْعُرُو
هُ وَأُخْرَى فِي دَعْوَةٍ^(٤) الْإِسْلَامِ

(١) في الأساس: فرشته أمري: بسطته له كله.

(٢) الفلاة: الصحراء الواسعة، وجمعها فلى، وجمع الجمع أفلاء. وفي ف: «بأنفائها» بدل «بأفلاجها».

(٣) السرج: جمع سراج: المصباح.

(٤) في ف، بيروت: «غزوة».

يذكر حفر نهر ويمدح الرشيد

أخبرني محمد بن جعفر، قال: حدثني محمد بن موسى بن حمّاد، قال: أخبرني أبو عبد الله التّخمي، قال: أمر الرشيد بحفر نهر لبعض أهل السّواد، وقد كان حرب وبطل ما عليه، فقال أشجع السّلمي يمدحه:

أجرى الإمام الرشيد نَهْرًا عاش بعمرائه المَوات
جاد عليه برّيقٍ فيه وسرّ مكثوئهِ الفُرات
ألقمه دَرّةً لَقُوحًا يرّضع أخلافها التّبات^(١)

حلم الرشيد حلمًا مزعجًا ومات بعده فرثاه أشجع

أخبرني جَحْظَة، قال: حدّثني مَيْمُون بن هارون، قال:

[٢٤٩/١٨] / رأى الرشيد فيما يرى النّائم كأنّ امرأة وقفت عليه وأخذت كفّ تراب ثم قالت له: هذه تُزيتك عن قليل، فأصبح فزعًا، وقصّ رؤياه، فقال له أصحابه: وما هذا؟ قد يرى النّاس أكثر ممّا رأيت وأغلظ ثم لا يضرّ. فركب وقال: والله إنّي لأرى الأمر قد قرّب، فبينما هو يسير إذ نظر إلى امرأة واقفة من وراء شباك حديد تنظر إليه، فقال: هذه والله المرأة التي رأيته، ولو رأيته بين ألف امرأة^(٢) ما خفيت عليّ، ثم أمرها أن تأخذ كفّ تراب فتدفعه إليه، فضربت بيدها إلى الأرض التي كانت عليها فأعطته منها كفّ تراب، فبكى ثم قال: هذه والله الثّرية التي أريته، وهذه المرأة بعينها. ثم مات بعد مدّة، فدفن في ذلك الموضع بعينه، اشتري له ودفن فيه، وأتى نعيه بغداد، فقال أشجع يرثيه:

غَرَبْتُ بِالْمَشْرِقِ الشَّنْفُ فُكِّلَ لِلْعَيْنِ تَذَمُّعٌ
مَا رَأَيْتُنَا قَطُّ شَمْسًا غَرَبْتُ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ

يتغزل في جارية حرب الثقيفي ويذمه

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا محمد بن موسى، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال:

كان حرب بن عمرو الثّقيفي نحاسًا، وكانت له جارية مُغَنِّيّة، وكان الشعراء والكُتّاب وأهل الأدب يبتغدون يَحْتَلِفُونَ إليها يسمعونها، ويُنفِقُونَ في منزله التّفقات الواسعة، ويبرّونه ويهدّون إليه، فقال أشجع:

جارية تهزّز أَرادُفُها مُشْبَعَةُ الْخُلُخَالِ وَالْقُلُوبِ^(٣)
أشكو الذي لاقيتُ من حُبّها ويُنْضِ مَولاهَا إلى الرّبِّ
من بُغْضِ مَولاهَا وَمِنْ حُبّها سَقِمْتُ بَيْنَ الْبُغْضِ وَالْحُبِّ
/ فَاخْتَلَجَا فِي الصّدرِ حَتَّى اسْتَوَى أَمْرُهُمَا فَاخْتَسَمَا قَلْبِي
تَعَجَّلَ اللهُ شِفَائِي بِهَا وَعَجَّلَ الشَّقْمَ إلى حَرْبِ

[٢٥٠/١٨]

(١) في ب، مد: «أخلافه». والدّرة: اللّبن أو كثرته، والأخلاف جمع خلف: حلمة ضرع الناقة.

(٢) في ب، مد، ما: «ولو رأيته ألف مرة ما خفيت!».

(٣) القلب: سوار المرأة.

(١) قال مؤلف هذا الكتاب: فأخذ هذا المعنى بعض المحدثين من أهل عصرنا، فقال في مَعْنِيَة تُعَرَفُ بالشاة:

يُحِبُّ الشَّاةُ ذُبْتُ ضَنِّي وطال لزوجها مَقْتِي
فلو أنِّي مَلَكْتُهُمَا لأُعِدَّ فِي الْهَوَى بَخْتِي
فأَدْخِلْ فِي اسْتِهَا أُنْزِي وَلِخِيَةِ زَوْجِهَا فِي اسْتِي^(١)

يهنئ يحيى بن خالد بسلامته من المرض

أخبرني أبو الحسن الأسدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شَيْخ، قال: حدثني صالح بن سليمان، قال: اعتلَّ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ثم عُوْفِي، فدخل النَّاسُ يَهْتُونَهُ بِالسَّلَامَةِ، ودخل أشجع فأنشده:

لَقَدْ قَرَعْتُ شِكَاةَ أَبِي عَلِيٍّ قُلُوبَ مَعَاشِرٍ كَانُوا صَحَا^(٢)
فإن يَذْفَعْ لَنَا الرَّحْمَنُ عَنْهُ صُرُوفَ الدَّهْرِ وَالْأَجَلَ الْمُتَاحَا
فَقَدْ أَمْسَى صَلاَحُ أَبِي عَلِيٍّ لِأَهْلِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا صَلاَحَا^(٣)
إِذَا مَا الْمَوْتُ أَخْطَأَهُ فَلَسْنَا نُبَالِي الْمَوْتَ حَيْثُ غَدَا وَرَاحَا

قال: فما أذن يومئذ لأحد سواه في الإنشاء لاختصاص البرامكة إيَّاه.

يعود علي بن شبرمة في مرضه

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثنا محمد بن عمران^(٤) الضَّبِّي، قال: سمعتُ محمد بنَ أبي مالك الغنوي، يقول:

/ دَخَلَ أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ شُبْرُمَةَ يَعُودُهُ، فَأَنشَأَ يَقُولُ:

إِذَا مَرِضَ الْقَاضِي مَرِضْنَا بِأَسْرِنَا وَإِنْ صَحَّ لَمْ يُسْمَعْ لَنَا بِمَرِيضٍ
/ فَاصْبَحْتُ - لَمَّا اعْتَلَّ يَوْمًا - كَطَائِرٍ سَمَّا بِجَنَاحٍ لِلنَّهْوضِ مَهِيضٍ

قال: فشكره ابنُ شُبْرُمَةَ وَحَمَلَهُ عَلَى بَغْلَةٍ كَانَتْ لَهُ.

منعه حاجب أبان بن الوليد من الدخول عليه فهجاه

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويه، قال: حدثني محمد بنُ عِمْرَانَ، قال: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي مَالِكٍ يَقُولُ: جَاءَ أَشْجَعُ لِيَدْخُلَ عَلَى أَبَانَ بْنِ الْوَلِيدِ الْبَجَلِيِّ، فَمَنَعَهُ حَاجِبُهُ، وَانْتَهَرَهُ غُلَمَائِهِ، فَقَالَ فِيهِ:

أَلَا أَيُّهَا الْمُشْلِيُّ^(٥) عَلَيَّ كِلَابُهُ وَلِي - غَيْرَ أَنْ لَمْ أَشْلِهِنَّ - كِلَابُ
رُويْدَكَ لَا تَفْجَلْ عَلَيَّ فَقَدْ جَرَى بِخُسْرِيكَ^(٦) ظَبْيِي أَغْضِبُ وَغُرَابُ

(١ - ١) ساقط من ف.

(٢) في «الشعر والشعراء»: «... كانت صحاحاً».

(٣) في «الشعر والشعراء»: «لأهل الأرض كلهم صلاحاً».

(٤) ب: «عبدان».

(٥) المشلي: المغري.

(٦) ب، مد: «بجريك»، وظبي أغضب: انكسر قرنه.

علام تَسُدُّ البابَ والتُّرُق قد فَشَا وقد كُنْتَ مَحْجُوباً ومالك بابُ
فلو كُنْتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ الخمرَ سادِراً إذا لم يَكُنْ دُونِي عَلَيْكَ حِجَابُ
ولكنَّه يَمْضِي لِي الحولَ كامِلاً ومالي إِلَّا الأَيْصَيْنِ^(١) شَرَابُ
من الماءِ أو من شَخْبٍ دَهْماءِ ثَرَّةٍ^(٢) لها حَالِبٌ لَا يَشْتَكِي وَحِلَابُ

مرقبري الوليد بن عقبة وأبي زيد الطائي فقال شعراً

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةُ، قال: حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ، قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ، قال: حَدَّثَنِي
ابنُ أَشْجَعِ السُّلَمِي، قال:

لما مَرَّ أَبِي وَعَمَّاي أَحْمَدُ وَيَزِيدُ - وقد شَرِبُوا حَتَّى انْتَشَوْا - بِقَبْرِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَإِلَى جَانِبِهِ قَبْرُ أَبِي زَيْدِ الطَّائِي
- وَكَانَ نَصْرَانِيًّا - وَالْقَبْرَانِ مُخْتَلِفَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُتَوَجِّهٌ إِلَى قِبْلَةٍ مِلَّتِهِ، وَكَانَ أَبُو زَيْدٍ أَوْصَى لَمَّا احْتَضَرَ أَنْ يُدْفَنَ
إِلَى جَنْبِ / الْوَلِيدِ بِالْبَلِيخِ قَالَ: فَوَقَّفُوا عَلَى الْقَبْرَيْنِ، وَجَعَلُوا يَتَحَدَّثُونَ بِأَخْبَارِهِمَا وَيَتَذَكَّرُونَ أَحَادِيثَهُمَا، فَأَنْشَأَ أَبِي
يَقُول:

مَرَرْتُ عَلَى عِظَامِ أَبِي زَيْدٍ وَقَدْ لَاحَتْ بِبَلْقَعَةٍ صَلَوْدٍ
وَكَانَ لَهُ الْوَلِيدُ نَدِيمٌ صِدْقٍ فَنَادَمَ قَبْرُهُ قَبْرَ الْوَلِيدِ
أَنْبَسَا أَلْفَةً ذَهَبْتَ فَأَمْسَتْ عِظَامُهُمَا تَأَنَسُ^(٣) بِالصُّعَيْدِ
وَمَا أَذْرِي بِمَسْنٍ تَبْسُدُ الْمَنَابِيحَ بِأَحْمَدٍ أَوْ بِأَشْجَعٍ أَوْ بِزَيْدٍ
قال: فماتوا والله كما رُبُّهُمْ فِي الشَّعْرِ، أُولَهُمُ أَحْمَدُ، ثُمَّ أَشْجَعُ، ثُمَّ يَزِيدُ.

الصوت

[٢٥٣/١٨]

حَيَّ ذَا الزُّورِ وَانْهَ أَنْ يَعُودَا إِنَّ بِالْبَابِ حَارِسِينَ قُعُودَا
مَنْ أَسَاوِيرَ مَا يُنُونُ^(٤) قِيَاماً وَخَلَاخِيلُ تُذْهِلُ الْمَوْلُودَا
لَا دَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِ الصُّبْحِ مُغِيرَاً وَلَا دُعِيْتُ يَزِيدَا لا دَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِ الصُّبْحِ مُغِيرَاً وَلَا دُعِيْتُ يَزِيدَا
يَوْمَ أُعْطِيَ مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضَيْمًا^(٥) وَالْمَنَابِيحَ يَرْصُدُنِي أَنْ أَحِيدَا

الشَّعْرُ لِيَزِيدَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مُفَرِّغِ الْحَمِيرِيِّ، وَالْغِنَاءُ لِسَيَّاطِ خَفِيفِ رَمْلٍ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ
إِسْحَاقَ، وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ الْمَكِّي أَنَّهُ لَأَبِيهِ يَخْيِي، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِفَلِيحٍ. قَالَ: وَمِنْ هَذَا الصَّوْتِ سُورُ لَحْنٍ:

* تِلْكَ عِرْسِي تَلُومُنِي فِي التَّصَابِي *

(١) الأبيضان: اللبن والماء.

(٢) الثرة: الغزيرة. وشخب اللبن: حلبه. والدهماء: الخالصة الحمرة.

(٣) في ف: «تأنس».

(٤) ب: «ماكانت قِيَامًا».

(٥) «التجريد»: «يوم أعطى مخافة الموت ظلمًا». وفي «الشعر والشعراء»: «يوم أعطى من المخافة ضيماً».

/ أخبار ابن مفرغ ونسبه

نسبه وسبب تلقيب جده مفرغاً

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ^(١)، ولقب جده مفرغاً لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه كله فشربه كله / حتى $\frac{٥٢}{١٧}$ فرغه، فلقب مفرغاً، ويكنى أبا عثمان، وهو من حمير فيما يزعم أهله، وذكر ابن الكلبي وأبو عبيدة أن مفرغاً كان شعاباً بقبالة^(٢)، فادعى أنه من حمير. وقال علي بن محمد التوفلي: ليس أحد بالبصرة من حمير إلا آل الحجاج بن ناب الحميري وبيننا آخر ذكره، ودفع بيت ابن مفرغ.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: أخبرني أحمد بن الهيثم القرشي^(٣)، قال: أخبرني العمري، عن لقيط بن بكر المحاربي، قال:

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري حليف قریش، ثم حليف آل خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس. قال العمري: وكان ابن المكي يقول: كان مفرغ عبداً للضحاك بن عبد عوف الهلالي فأنعم عليه.

قال محمد بن خلف: أخبرني محمد بن عبد الرحمن الأسدي، عن محمد بن رزين، قال: قال الأخفش:

كان ربيعة بن مفرغ شعاباً بالمدينة وكان ينسب إلى حمير، وإنما سمي مفرغاً لتفريغه العس^(٤) وكان شاعراً غزلاً محسنًا، والسيد^(٥) من ولده.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو العيئة قال:

/ سئل الأصمعي عن شعر تبع وقصته ومن وضعهما، فقال: ابن مفرغ؛ وذلك أن يزيد بن معاوية لما سيره [٢٥٥/١٨] إلى الشام وتخلّصه من عباد بن زياد أنزله الجزيرة، وكان مقيمًا برأس عين، وزعم أنه من حمير، ووضع سيرة تبع وأشعاره، وكان النمر بن قاسط يدعي أنه منهم.

وقال الهيثم بن عدي: هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ اليحصبي، من حمير، يخصب بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم^(٦) بن عبد

(١) في «معجم الأدباء» ٤٣/٢٠: «يزيد بن زياد بن ربيعة المعروف بابن مفرغ» بضم الميم وكسر الراء من غير تشديد.
وجاء في كتاب «الوفيات» ٣٨٤/٥: «وأكثر العلماء يقولون: يزيد بن ربيعة بن مفرغ ويسقطون زياداً». وفي «الخرائط» ٢/٢١٢:

و «مفرغ بكسر الراء المشدودة لقب جده».

(٢) الشعاب: من يصلح الصدوع. وقبالة: موضع ببلاد اليمن. وفي «الوفيات» أن مفرغاً كان حداداً.

(٣) ب: «القرظي».

(٤) ف: «وإنما سمي مفرغاً لأنه خاطر على عس لبن فشربه، فسمي مفرغاً لتفريغه العس».

(٥) يريد السيد الحميري الشاعر.

(٦) ب: «خيشم».

شُمس بن وائل بن الغوث بن الهَمَيْسَع بن حَمِير بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْزُب بن قَحْطَان.

أخبرني بِخَبْرِهِ جماعة من مَشَايخِنَا، منهم أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيِّ، عَنْ عُمَرَ بْنِ شَبَّةَ وَمُحَمَّدِ بْنِ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، فَمَا اتَّفَقَتْ رِوَايَاتُهُمْ مِنْ خَبْرِهِ جَمَعْتُهَا فِي ذِكْرِهِ، وَمَا اخْتَلَفَتْ أَفْرَدْتُ كُلَّ مُتَفَرِّدٍ مِنْهُمْ بِرِوَايَتِهِ.

سفره مع عباد بن زياد ووصية سعيد بن عثمان

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ، وَأَخْبَرَنِي الْجَوْهَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ^(١) عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ، وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْهَيْثَمِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ، عَنْ لَقِيطِ بْنِ بَكِيرٍ، قَالُوا جَمِيعًا:

[٢٥٦/١٨] / لَمَّا وَلِيَ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ خُرَاسَانَ، اسْتَصْحَبَ يَزِيدَ بْنَ رَبِيعَةَ بْنِ مُفَرَّغٍ، وَاجْتَهَدَ بِهِ أَنْ يَصْحَبَهُ، فَأَبَى عَلَيْهِ وَصَحِبَ عَبَادَ بْنَ زِيَادٍ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ: أَمَا إِذَا آيَيْتَ أَنْ تَصْحَبَنِي وَآثَرْتَ عَبَادًا فَاحْفَظْ مَا أَوْصِيكَ بِهِ، إِنْ عَبَادًا رَجُلٌ لَثِيمٌ، فَلَيْتَاكَ وَالذَّالَّةُ^(٢) عَلَيْهِ، وَإِنْ دَعَاكَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِهِ فَإِنِهَا خِدْعَةٌ مِنْهُ لَكَ عَنْ نَفْسِكَ، وَأَقِلُّ زِيَارَتَهُ، فَإِنَّهُ طَرَفٌ^(٣) مَلُولٌ، وَلَا تَفَاخِرْهُ وَإِنْ فَاخَرَكَ، فَإِنَّهُ لَا يَخْتَمِلُ لَكَ مَا كُنْتُ أَحْتَمِلُهُ. ثُمَّ دَعَا سَعِيدٌ بِمَالٍ فَدَفَعَهُ إِلَى ابْنِ مُفَرَّغٍ، وَقَالَ: اسْتَعِنْ بِهِ عَلَى سَفَرِكَ، فَإِنْ صَلَحَ لَكَ مَكَانُكَ مِنْ عَبَادٍ وَإِلَّا فَمَكَانُكَ عِنْدِي مُمَهَّدٌ فَاتِّبِنِي، ثُمَّ سَارَ سَعِيدٌ إِلَى خُرَاسَانَ، وَتَخَلَّفَ ابْنُ مُفَرَّغٍ عَنْهُ، وَخَرَجَ مَعَ عَبَادٍ.

قال ابنُ دُرَيْدٍ فِي خَبْرِهِ، / عَنْ مَسْلَمَةَ^(٤) بْنِ مُحَارِبٍ: ٥٣ / ١٧

فَلَمَّا بَلَغَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ صُحْبَةَ ابْنِ مُفَرَّغٍ أَخَاهُ عَبَادًا شَقَّ عَلَيْهِ، فَلَمَّا سَارَ أَخُوهُ عَبَادٌ شَيْعَهُ وَشَيْعَ النَّاسُ مَعَهُ، وَجَعَلُوا يُوَدِّعُونَهُ وَيُوَدِّعُ الْخَارِجُونَ مَعَ عَبَادٍ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، فَلَمَّا أَرَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَنْ يُوَدِّعَ أَخَاهُ دَعَا ابْنَ مُفَرَّغٍ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ سَأَلْتَ عَبَادًا أَنْ تَصْحَبَهُ وَأَجَابَكَ إِلَى ذَلِكَ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ مُفَرَّغٍ: وَلِمَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: لِأَنَّ الشَّاعِرَ لَا يَقْنَعُهُ مِنَ النَّاسِ مَا يَقْنَعُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ؛ لِأَنَّهُ يَظُنُّ فَيَجْعَلُ الظَّنَّ يَقِينًا، وَلَا يَعْدِرُ فِي مَوْضِعِ الْعُذْرِ، وَإِنْ عَبَادًا يَقْدَمُ عَلَى أَرْضِ حَرْبٍ فَيَسْتَغْلِبُ بِحُرُوبِهِ وَخِرَاجِهِ عَنْكَ، فَلَا تَعْذِرُهُ أَنْتَ، وَتُكْسِبُنَا شَرًّا وَعَارًا، فَقَالَ لَهُ:

[٢٥٧/١٨] / لَسْتُ كَمَا ظَنَّ الْأَمِيرَ، وَإِنْ لِمَعْرُوفِهِ عِنْدِي لَشُكْرًا كَثِيرًا، وَإِنْ عِنْدِي - إِنْ أَغْفَلَ أَمْرِي - عُذْرًا مُمَهَّدًا، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ تَضْمَنَ لِي إِنْ أَبْطَأَ عَنْكَ مَا تُحِبُّهُ إِلَّا تَعَجَّلَ عَلَيْهِ حَتَّى تَكْتُبَ إِلَيَّ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: امْضِ إِذَا عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ. قَالَ: فَقَدِمَ عَبَادٌ خُرَاسَانَ، وَاشْتَغَلَ بِحَرْبِهِ وَخِرَاجِهِ، فَاسْتَبْطَأَ ابْنَ مُفَرَّغٍ وَلَمْ يَكْتُبْ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَشْكُوهُ كَمَا ضَمِنَ لَهُ، وَلَكِنَّهُ بَسَطَ لِسَانَهُ فَذَمَّهُ وَهَجَاهُ.

يهجو عباداً ببيت من الشعر

وكان عبَّادٌ عَظِيمُ اللَّحْيَةِ كَأَنَّهَا جُوالِقٌ، فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ مُفَرَّغٍ يَوْمًا مَعَ عَبَادٍ، فَدَخَلَتْ الرِّيحُ فَكَفَشَتْهَا، فَضَحَكَ

(١) ف: «محمد بن الحسن الأحون».

(٢) ب: «الدلالة».

(٣) الطرف: من لا يثبت على صاحب.

(٤) ف: «عن مسلم بن محارب».

ابن مفرغ، وقال لرجل من لحم كان إلى جنبه قوله:

أَلَا لَيْتَ اللَّحَى كَانَتْ حَشِيشًا فَتَغْلِفُهَا خِيُولُ الْمُسْلِمِينَ^(١)

فسعى به اللّحمي إلى عبّاد، فغضب من ذلك غضباً شديداً، وقال: لا يَجْمُلُ بي عقوبته في هذه الساعة^(٢) مع الصحبة لي، وما أُوخِرُها إلا لأشفي نفسي منه لأنه كان يقوم فيشتم أبي في عدّة مواطن، وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال: إني لأجد ريح الموت من عبّاد.

يطلب من عبّاد الإذن في الرجوع

ثم دخل عليه فقال له: أيها الأمير، إني كنتُ مع سعيد بن عثمان، وقد بلغك رأيي في، ورأيت جميل أثره عليّ، وإني اخترتك عليه، فلم أخط منك بطائل^(٣)، وأريد أن تأذن لي في الرجوع، فلا حاجة لي في صُحبَتِكَ، فقال له: أمّا اختيارك إياي فإني اخترتك كما اخترتني، واستصحبتك حين سألتني، وقد أعجلتني عن / بلوغ محبتي^(٤) ٢٥٨/١٨ فيك، وقد طلبت الإذن^(٥) لترجع إلى قومك، فتفضحني فيهم^(٥)، وأنت على الإذن قادر بعد أن أقضي حقك، فأقام. وبلغ عبّاداً أنه يسبه ويذكره وينال من عرضه، وأجرى عبّاد الخيل فجاء سابقاً، فقال ابن مفرغ:

* سَبَقَ عَبَّادٌ وَصَلَّتْ^(٦) لِخَيْتِهِ *

عبّاد يحبسه بدين عليه ويبيعه الأراكة ويردا

وطلب عليه العَلَل، ودسّ إلى قوم كان لهم دين عليه دين، فأمرهم أن يقدموه إليه، ففعلوا، فحبسه وأضرّ به، فبعث إليه أن يعني الأراكة وبُرداً، وكانت الأراكة قينة لابن مفرغ. وبُردٌ غلامه، ربّاهما وكان شديد الضنّ بهما، فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول: أبيعُ المرأة نفسه أو ولده؟ فأضرّ به عبّاد حتى أخذهما منه. هذه رواية مسلمة.

وأما لقيط وعمر بن شبة فإنهما ذكرا أنه باعهما عليه، فاشتراهما رجل من أهل خراسان. قال لقيط: فلما دخلا منزله قال له بُرد، وكان داهية أريباً: أتدري ما اشتريت؟ قال: نعم، اشتريت هذه الجارية. قال: لا والله ما اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة أبداً ما حييت، فجزع الرجل وقال له: كيف ذلك؟ وملك! قال: نحن ليزيد بن ربيعة بن مفرغ، والله ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشره، أفتراه يهجو / ابن زياد - وهو أمير خراسان،^{٥٤} وأخوه أمير العراقيين، وعنه الخليفة - في أن استبطاه ويُمسك عنك، وقد ابتغيتني وابتغت هذه الجارية وهي نفسُ التي بين جنبيه؟ والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته منزلك، فقال: فاشهد أنك وإياها له، فإن شئتما أن تمضيا إليه فامضيا، على أنني أخاف على نفسي إن بلغ ذلك ابن زياد، وإن شئتما أن تكونا له عندي فافعلا، قال: فكتب إليه بذلك. فكتب الرجل إلى ابن مفرغ في الحبس بما فعله، فكتب إليه يشكر فعله، وسأله أن يكونا عنده حتى يُفرج الله عنه.

(١) في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ٣١٩/١، ف: «فتغلفها دواب المسلمين».

(٢) ب، مد: «في هذه السرعة».

(٣) ب: «فلم أحل منك بطائل».

(٤) ب، س: «الآن».

(٥) ف: «فتفضحني قبلهم».

(٦) صلت: جاءت تالية.

[٢٥٩/١٨] / قال: وقال عبّاد لحاجبه: ما أرى هذا - يعني ابن مُفَرَّغ - يُبالي بالمُقَام في الحبس، فَبِغْ فَرَسَه وسِلَاحَه وأثاثه، واقسِم ثَمَنَها بين غُرمائه، ففعل ذلك وقَسَم الثَّمَنَ بينهم، وبَقِيت عليه بَقِيَّةُ حَبْسِه بها. فقال ابنُ مُفَرَّغ يذْكُرُ غُلامه بُرداً وجاريته الأراكَةَ ويَبْعُهما:

شَرِيتَ بُرداً ولو مُلِكتَ صَفَقَتَه لَمَّا تَطَلَّبتُ في يَبْعٍ لَه رَشَدًا
لولا الدَّعِيُّ ولولا ما تَعَرَّضَ لي من الحوادث ما فارقته أَبَدًا
يا بُردُ ما مَسَّنَا بِرُدِّ^(١) أَضْرَبْنَا من قَبْلِ هذا ولا يَغْنالُه وَلَدًا^(٢)
أما الأراكُ فكانتُ من مَحارِمِنا عَيْشًا لَذِيذًا وكانت جَنَّةَ رَغَدَا
كانت لنا جَنَّةً كُنَّا نَعِيشُ بها نَغْنَى بها إن خَشِينَا الأَزَلَ والثَّكَدَا^(٣)
يا لَيْتَنِي قَبْلَ ما نَسَبَ الزَّمانُ به أهلي لَقِيتُ على عُدوانِه الأَسَدَا^(٤)
قد خائنا زَمَنَ لَمْ نَخُشْ عَثْرَتَه^(٥) مَن يَأْمَنُ اليَوْمَ أم مَن ذا يَعْيشُ عَدَا!
لا مَثَنِي النَّفْسُ في بُردٍ فَقَلَّتْ لَها لا تَهْلِكُسي إِثْرَ بُردٍ هَكَذَا كَمَدَا
كَمَ من نَعِيمٍ أَصَبْنَا من لَذائِزِه قُلْنالُه إِذ تَوَلَّى لَيْتَه خَلَدَا

خروجه من السجن وهروبه إلى البصرة

قالوا: وعَلِمَ ابنُ مُفَرَّغٍ أَنه إن أَقام على دَمِّ عِبَّادٍ وهِجاءٍ وهو في مَحْبَسِه زاد نَفْسَه شَرًّا؛ فكان يَقُولُ لِلنَّاسِ إِذا سألوه عن حَبْسِه ما سَبَّه: رجلٌ أَدَبَه أميرُه لِيُقَوِّمَ من أودِه، أو يَكُفَّ من غَرِبِه^(٦)، وهذا لَعَمْرِي خَيْرٌ من جَرِّ الأميرِ ذيلَه على مُداهنة لصاحِبِه، فلما بَلَغَ عِبَّادًا قَوْلُه^(٧) رَقَّ لَه وأَخْرَجَه من السَّجْنِ، / فَهَرَبَ حَتَّى أَتَى البَصْرَةَ، ثم خَرَجَ منها إلى الشَّامِ وجَعَلَ يَنْتَقِلُ في مَدَنِها هارِبًا وَيَهْجُو زِيادًا وولَدَه.

وقال المدائني في خبره:

لَمَّا بَلَغَ عِبَّادُ بنُ زِيادٍ أَنَّ ابنَ المُفَرَّغِ قال:

* سَبَقَ عِبَّادُ وَصَلَّتْ لِحَيْتُهُ *

هجاء في ابن مفرغ ينشده ابنه في مجلس عباد

دعا ابنَه والمَجْلِسُ حافلٌ فقال لَه: أَنشِدْني هِجاءَ أبيك الذي هُجِيَ بِهِ، فقال: أَيُّها الأميرُ، ما كُلَّفَ أَحَدٌ قَطُّ ما كُلِّفْتَنِي، فَأَمَرَ غُلامًا لَه أَعْجَمِيًّا وقال لَه: قُمْ على رَأْسِه، فَإِن أَنشَدَ ما أَمَرْتُهُ بِهِ وإِلا فَصَبَّ السَّوْطَ على رَأْسِه أَبَدًا أو يُنْشِدَه، فَأَنشَدَه أَيْبائًا هُجِيَ بِها أبُوهُ أولُها:

(١) ف، و «رغبة الآمل» ٧٠/٢: «دمر».

(٢) ف: «ولا بعنا لنا ولدًا».

(٣) الأزل: الضيق والشدة.

(٤) ف: «لقيت أهل على عدوانه الأسد».

(٥) ف: «عبرته».

(٦) ف: «ويكف من غربه».

(٧) ب: «فلما بلغ ذلك عباداً من قوله».

قَبَّحَ الْإِلَٰهَ وَلَا يَقْبُحْ غَوْرَهُ وَجْهَ الْحِمَارِ رِبْعَةً بِنِ مَفْرُغٍ
وجعل عبَّاد يتضاحك به، فخرج ابنُ ابنِ مَفْرُغٍ من عنده وهو يقول: والله لا يذهب شتمُ شَيْخِي باطلاً، وقال
يهجوه بقوله:

أَصْرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ أَمَامَةٍ مَسْنُ بَعْدَ أَيَّامِ بِرَامَةٍ
/ فَالْرِيحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَضْحَكُ فِي الْغَمَامَةِ
لَهْفِي عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَتْ عَوَاقِبُهُ نَدَامَةٍ
تَرْكِي سَعِيداً ذَا التُّلْدَى وَالْبَيْتُ تَرْفَعُهُ الدُّعَامَةُ
فَتَحَتَّ سَمَرْقَنْدُ لَهُ وَبَنَى بَعْرُصَتَهَا خِيَامَةَ
وَتَبِعْتُ عَبْدَ بَنِي عَلَا ج^(١)، تِلْكَ أَشْرَاطُ الْقِيَامَةِ!
جَاءَتْ بِهِ حَبِيبَةٌ سَكَّاءُ^(٢) تَحْسَبُهَا نَعَامَةَ
/ وَشَرَنْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدُ بُرْدُ كُنْتُ هَامَةً
أَوْ بَوْمَةً^(٣) تَدْعُو صَدَى بَيْنَ الْمُشَقَّرِ وَالْيَمَامَةِ
فَالِهَوْلُ يَرْكُبُهُ الْفَكَى حَذَرَ الْمَخَازِي وَالسَّامَةِ
وَالْعَبْدُ يَقْرَعُ بِالْعَصَا وَالْخُرُّ تَكْفِيهِ الْمَلَامَةِ

قال^(٤): ثم لَجَّ في هجاء بني زياد حتى تَغَيَّرَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ في أشعاره، فطلبه عُبيدُ اللَّهِ طلباً شديداً حتى كاد
يؤخذ، فلحق بالشام.

واختلفت الرواة فيمن رده إلى ابن زياد، فقال بعضهم: معاوية، وقال بعضهم: يزيد، والصحيح أنه يزيد؛
لأن عبَّاد بن زياد إنما ولي سجستان في أيام يزيد. وقال بعضهم: بل الذي ولَّاه معاوية، وهو الذي ولي سعيد بن
عثمان خراسان.

سعيد بن عثمان يعاتب معاوية لأنه جعل البيعة لابنه يزيد

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِي^(٥)، قالا: حدثنا أحمد بن الحارث، عن
المدائني قال:

دخل سعيد بن عثمان على معاوية بن أبي سفيان فقال: علام جعلت يزيد ولي عهدك دوني؟ فوالله لأبي خير
من أبيه، وأمي خير من أمه، وأنا خير منه، وقد وليتك فما عزلناك، وبنا نلت ما نلت، فقال له معاوية: أما قولك:
إن أباك خير من أبيه فقد صدقت لعمر الله؛ إن عثمان لخير مني، وأما قولك: إن أمك خير من أمه، فحسب المرأة
أن تكون في بيت قومها وأن يرضأها بعلها وأن يتجنب ولدها. وأما قولك: إنك خير من يزيد، فوالله يا بني ما يسرني

(١) بنو علاج: بطن من ثقيف.

(٢) سكاء: صغيرة الأذن.

(٣) ب: «فهامة». وفي «المختار»: «هنافة» بدل «أو بومة». وفي مد، ف: «هي هامة».

(٤) ف: «قالوا».

(٥) ف: «عبد الله بن أحمد الرازي».

أَنْ لِي بِزَيْدٍ مَلَأَ الْغُوطَةَ مِثْلَكَ . وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّكُمْ وَلَيْتُمُونِي فَمَا عَزَلْتُمُونِي ، فَمَا وَلَيْتُمُونِي ، وَإِنَّمَا وَلَّانِي مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ عُمَرُ ، فَأَقْرَزْتُمُونِي ، وَمَا كُنْتُ بِشِ الْوَالِي لَكُمْ ، لَقَدْ قَمْتُ بِنَارِكُمْ ، وَقَتَلْتُ / قَتَلَةَ أَبِيكُمْ ، وَجَعَلْتُ الْأَمْرَ فِيكُمْ ، وَأَغْنَيْتُ فَقِيرَكُمْ ، وَرَفَعْتُ الْوَضِيعَ مِنْكُمْ ، فَكَلَّمَهُ يَزِيدُ فِي أَمْرِهِ فَوَلَّاهُ خُرَاسَانَ .

رجع الحديث إلى سياقة أخبار ابن مفرغ

ينتقل في قرى الشام هاجياً بني زياد

قالوا: فلم يَزَلْ يَنْتَقِلُ فِي قُرَى الشَّامِ وَنَوَاحِيهَا، وَيَهْجُو بَنِي زِيَادٍ^(١)، وَأَشْعَارُهُ فِيهِمْ تَرَدُّ الْبَصْرَةَ وَتَنْتَشِرُ وَتَبْلُغُهُمْ، فَكَتَبَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَقَالَ الْآخَرُونَ: إِنَّهُ كَتَبَ إِلَى يَزِيدَ وَهُوَ الصَّحِيحُ، يَقُولُ لَهُ: إِنْ ابْنُ مُفَرَّغٍ هَجَا زِيَاداً وَبَنِي زِيَادٍ بِمَا هَتَكَ فِي قَبْرِهِ، وَفَضَحَ بَنِيهِ طُولَ الدَّهْرِ، وَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَقَذَفَهُ بِالزَّنا وَسَبَّ وَلَدَهُ، فَهَرَبَ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَطَلَبْتُهُ حَتَّى لَفَظْتُهُ الْأَرْضَ، فَلَجَأَ إِلَى الشَّامِ يَتَمَضَّغٌ لِحَوْمَتِنَا بِهَا، وَيَهْتِكُ أَعْرَاضَنَا، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِمَا هَجَانَا بِهِ لَتَنْتَصِفَ لَنَا مِنْهُ. ثُمَّ بَعَثَ بِجَمِيعِ مَا قَالَهُ ابْنُ مُفَرَّغٍ / فِيهِمْ.

فَأَمَرَ يَزِيدُ بِطَلْبِهِ، فَجَعَلَ يَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، فَإِذَا شَاعَ خَبْرُهُ انْتَقَلَ حَتَّى لَفَظْتُهُ الشَّامَ، فَأَتَى الْبَصْرَةَ وَنَزَلَ عَلَى الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، فَالْتَجَأَ بِهِ وَاسْتَجَارَ، فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ: إِنِّي لَا أَجِيرُ عَلَى ابْنِ سُمَيَّةَ^(٢) فَأَعَزَلْ، وَإِنَّمَا يُجِيرُ الرَّجُلُ عَلَى عَشِيرَتِهِ، فَأَمَّا عَلَى سُلْطَانِهِ فَلَا، فَإِنْ شِئْتَ أَجَرْتُكَ مِنْ بَنِي سَعْدٍ وَشَعْرَائِهِمْ، فَلَا يَرِيكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ مُفَرَّغٍ: بِأَسْتَأْذِنُ بَنِي سَعْدٍ^(٣) وَمَا عَسَاهُمْ أَنْ يَقُولُوا فِيَّ؟ هَذَا مَا لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ.

ثُمَّ أَتَى خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ فَاسْتَجَارَ بِهِ، فَأَبَى أَنْ يُجِيرَهُ، فَأَتَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ فَوَعَدَهُ، وَأَتَى طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ فَوَعَدَهُ، وَأَتَى الْمُنْذِرَ بْنَ الْجَارُودِ الْعَبْدِيَّ فَأَجَارَهُ؛ وَكَانَتْ بَحْرِيَّةُ بِنْتُ الْمُنْذِرِ تَحْتَ عُيَيْدِ اللَّهِ.

[٢٦٣/١٨] / المنذر بن الجارود العبدي يجيره

وَكَانَ الْمُنْذِرُ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَاعْتَرَى بِذَلِكَ وَأَدَلَّ بِمَوْضِعِهِ مِنْهُ، وَطَلَبَهُ عُيَيْدُ اللَّهِ وَقَدْ بَلَغَهُ وَرُودُهُ الْبَصْرَةَ فَقِيلَ لَهُ: أَجَارَهُ الْمُنْذِرُ بْنُ الْجَارُودِ، فَبَعَثَ عُيَيْدُ اللَّهِ إِلَى الْمُنْذِرِ فَأَتَاهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ بَعَثَ عُيَيْدُ اللَّهِ بِالشَّرْطِ، فَكَبَسُوا دَارَهُ^(٤) وَأَنَوَّهُ بِابْنِ مُفَرَّغٍ، فَلَمْ يَشْعُرِ الْمُنْذِرُ إِلَّا بِابْنِ مُفَرَّغٍ قَدْ أَقِيمَ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَ الْمُنْذِرُ إِلَى عُيَيْدِ اللَّهِ فَكَلَّمَهُ فِيهِ فَقَالَ: أَذْكُرُكَ اللَّهَ - أَيُّهَا الْأَمِيرُ - أَنْ تَخْفَرَ^(٥) جَوَارِي فَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ، فَقَالَ عُيَيْدُ اللَّهِ: يَا مُنْذِرُ لِمَ دَحَنْتَ أَبَاكَ وَلِمَ دَحَنْتَ، وَلَقَدْ هَجَانِي وَهَجَا أَبِي ثُمَّ تُجِيرُهُ عَلَيَّ، لَا هَا اللَّهُ^(٦) لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا، وَلَا أَغْفِرُهَا لَهُ، فَغَضِبَ الْمُنْذِرُ، فَقَالَ لَهُ: لَعَلَّكَ تُدَلِّ بِكَرِيمَتِكَ عِنْدِي، إِنْ شِئْتَ وَاللَّهِ لِأَيِّئِهَا بِتَطْلِيقِ الْبَيْتِ، فَخَرَجَ الْمُنْذِرُ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَقْبَلَ عُيَيْدُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ مُفَرَّغٍ فَقَالَ لَهُ: بِشِمَا صَحِبْتَ بِهِ عِبَادًا. قَالَ: بِشِمَا صَحَبَنِي بِهِ عِبَادٌ، اخْتَرْتُهُ عَلَى سَعِيدٍ وَأَنْفَقْتُ

(١) ف: «ويهجو ابني زياد».

(٢) ف: «بني سمية».

(٣) ب: مد، ما: «يا أستاذ بنو سعد».

(٤) كَبَسُوا دَارَهُ: هَجَمُوا عَلَيْهِ فَجَاءَتْ وَاحْتَاطَوْهَا.

(٥) ب: «لَا تَخْفَر». يُقَالُ: خَفَرَهُ: أَجَارَهُ وَحَمَاهُ، وَخَفَرَهُ أَيْضًا: نَقَضَ عَهْدَهُ وَغَدَرَ بِهِ.

(٦) لَا هَا اللَّهُ، أَيِ لَا وَاللَّهِ.

على صُحْبته كلَّ ما أفدته وكلَّ ما أملكه، ^(١) وظننتُ أنه لا يخلو من عقلٍ زياد وحِلْمٍ معاوية وسماحة قريش، فعَدَل عن ظنِّي كله ^(٢). ثم عاملني بكل قبيح، وتناولني بكل مَكْرُوه، مِنْ حِنسٍ وَغُرْمٍ وَشَتْمٍ وَضَرْبٍ، فكنتُ كمن شام بَرْقاً خُلْباً في سَحَابٍ جَهَامٍ، فأراق ماءه طَمَعاً فيه فماتَ عَطْشاً، وما هَرَبْتُ من أخيك إلا لَمَّا خِفْتُ من أن يَجْرِي فيَّ إلى ما يندم عليه، وقد صرْتُ الآن في يَدِكَ، فشأنك فاصنع بي ما أحببت، فأمر بحبسِه.

عبيد الله يستأذن يزيد بن معاوية في قتله

وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله أن يأذن له في قتله، فكتب إليه: إِيَّاكَ وَقَتْلَهُ، ولكن عاقِبْهُ بما يُنْكَلُه ويشُدُّ سلطانَكَ، ولا تَبْلُغْ نَفْسَه، فَإِنَّ له عَشِيرَةً هي جُنْدِي وِبْطَانَتِي، ولا تَرْضَى بِقَتْلِهِ مِنِّي، ولا تَقْنَعُ إِلَّا بِالْقَوْدِ / منك، فاحذر ذلك، واعلم أنه العِجْدُ منهم ومَنِي، وأنتَ مُرْتَهَنٌ بِنَفْسِهِ، ولك في دون تلفها مَدْوَحَةٌ تشفي من [٢٦٤/١٨] الغَيْظِ. فورد الكتاب على عُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد، فأمرَ بَابِنِ مُفَرَّغٍ فَسُقِيَ نَبِيذاً حُلُواً قد خُلِطَ معه الشُّبْرُ ^(٣) فأسهل بطنَه، وطِيفَ به وهو في تلك الحال، وَقُرْنَ بِهِرَةً وَخَزِيرَةً، فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويقولون له بالفارسية: أين چيست؟ فيقول:

آبَسْتُ نَبِيذَ اسْت * عُصَارَاتُ زَبِيشت * سُمِيَّةَ رُوشِيْدِ اسْت ^(٤) :

وجعل كلما جرَّ الخنزيرة ضجت، فجعل يقول:

ضَجَّتْ سُمِيَّةٌ لِمَا لَزَّهَا ^(٥) قَرْنِي لَا تَجَزَعِي إِنَّ شَرَّ الشِّيمَةِ الْجَزَعُ

فجعل يطافُ به في أسواق البصرة والصَّيَّانَ خَلْفَه يصيحون به، وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط، فعرف ابنُ زياد ذلك، فقيل: إنه لما به لا نأمن أن يَمُوتَ، فأمر به أن يُغَسَّلَ، ففعلوا ذلك به، فلما اغتسل قال:

/ يَغْسَلُ الْمَاءُ مَا فَعَلْتُ وَقَوْلِي رَاسِخٌ مِنْكَ فِي الْعِظَامِ الْبَوَالِي

٥٧
١٧

عبد الله يرده إلى الحبس

فردَّه عُبَيْدُ اللَّهِ إلى الحبس، وأمر بأن يُسَلَّمَ مُحْجَماً وَقَدَّمُوا له عُلُوجاً، وأمر بأن يَحْجُمَهُمْ، فكان يأخذُ المِشَارِطَ فيَقْطَعُ بها رقابهم فَيَتَوَارَوْنَ ^(٦) منه، فتركه وردَّه إلى محبسه، وقامت الشُّرَطُ على رأسه تَصَبُّ عليه السيَّاطَ ويقولون له: اخْجُمَهُمْ، فقال:

/ وَمَا كُنْتُ حَجَّاماً وَلَكِنِّي أَحْلَنِي بِمَنْزِلَةِ الْحَجَّامِ نَأْيِي عَنِ الْأَهْلِ ^(٧)

[٢٦٥/١٨]

(١ - ١) التكملة من «المختار»، ف.

(٢) الشبرم: نبات له حب كالعدس مسهل.

(٣) هذه أبيات بالفارسية وردت في «الطبري» ١٧٧/٦ وقد كثر فيها التحريف. والمعنى: الأولاد يسألون: ما هذا؟ ويجيبهم ابن مفرغ: هذا ماء نبيذ، هذه عصارة نبيذ، هذه سمية البغي.

(٤) لزها قرني: شدها وألزمها إياه.

(٥) ف: «فيهربون».

(٦) «المختار»: «عن الأصل».

عباد بن زياد يجمع ما هجاه به ويرسله إلى معاوية

وقال عمر بن شبة في خبره: جمع عباد بن زياد كل شيء هجاه به ابن مفرغ، وكتب به إلى أخيه عبيد الله وهو يومئذ وافد على معاوية، فكان فيما كتب إليه قوله:

إذا أودى معاوية بن حرب / فاشهد أن أمك لم تباشر
ولكن كان أمر فيسه أنس / وقوله:

فبشر شعب قعبك^(١) بانصداع
أبا سفيان واضعة القناع
على وجل شديد وامتناع^(٢)

ألا أبلغ معاوية بن حرب / أنغضب أن يقال أبوك عصف
فأشهد أن رحمك^(٣) من زياد / وأشهد أنها ولدت زياداً^(٤)
مغلغلة من الرجل اليماني / وترضى أن يقال أبوك زاني
كرخم الفيل من ولد الأنان / وصخر من سميّة غير داني

فدخل عبيد الله بن زياد على معاوية، فأنشده هذه الأشعار، واستأذنه في قتله فلم يأذن له وقال: أدبه أدباً وجيلاً منكلاً، ولا تتجاوز ذلك إلى القتل، وذكر باقي الحديث كما ذكره من تقدم.

قالوا جميعاً: وقال ابن مفرغ يذكر جوار المُنذر بن الجارود إياه وأمانه:

ترك قريشاً أن أجاور فيهم / أناس أجارونا فكان جوارهم
فأصبح جاري من خزيمة^(٥) قائماً / وجاورت عبيد القيس أهل المشقر
أعاصير من قسوة العراق المبذر^(٦) / ولا يمنع الجيران غير المشقر^(٧)

[٢٦٦/١٨]

يذكر ما فعله ابن زياد ويستشير قومه

وقال أيضاً في ذلك:

أصبحت لا من بقي قيس فتنصّرني / قيس العراق ولم تغضب لنا مضر
ولم تكلم قريش في حليفهم / إذ غاب ناصره بالشام واحتضروا^(٨)
والله يعلم ما تخفي النفوس وما / سرى أمية أو ما قال لي عمر
وقال لي خالداً قولاً قنعته به / لو كنت أعلم أنسى يطلع القمر

(١) ب، «المختار»: «قعبك». والشعب: الإصلاح والالتئام. والقعب: القدح الضخم الغليظ.

(٢) «المختار»: «وارتياع». وفي «معجم الأدياء» ٤٦/٢٠: «على عجل شديد وارتياع».

(٣) الرحم: القرابة. وروى في «الشعر والشعراء»:

كإل الفيل من ولد الأنان

وأشهد أن إلك من زياد

(٤) في «الشعر والشعراء»: «وأشهد أنها حملت زياداً».

(٥) ف: «المشذر»، والقسو: الغلظ والصلابة.

(٦) ب: «جزيمة».

(٧) المشمر: الجاد المصمم.

(٨) احتضروا: جاءوا.

لو أَنِّي شَهِدْتُني حَمِيرٌ غَضِبَتْ
أو كُنْتُ جَارَ بَنِي هِنْدٍ^(١) تداركني

وقال أيضاً يذكر ذلك وما فعل به ابن زياد:

دَارَ سَلَمَى بِالْحُبْثِ ذِي الْأَطْلَالِ
أَيْسَنَ مِنِّي السَّلَامُ مِنْ بَعْدِ نَأْيِ
أَيْسَنَ مِنِّي نَجَائِي وَجِسَادِي
/ أَيْسَنَ لَا أَيْسَنَ جُئْتِي وَسِلَاحِي
هَدَمَ الدَّفْعَ عَرَضْنَا فِتْدَاعِي
إِذْ دَعَانَا زَوَالُهُ فَأَجْبَنَا
/ أَمْ قَضَيْنَا حَاجَاتِنَا فِإِلَى الْمَوْتِ
لَا وَصُومِي لِرَبِّيَا وَزَكَاتِي
مَا أَتَيْتُ الْغَدَاةَ أَمْرًا دَنِيًّا

دُونِي فَكَانَ لَهُمْ فِيمَا رَأَوْا عَبْرُ
عَوْفُ بْنُ نُعْمَانَ أَوْ عِمْرَانُ أَوْ مَطَرُ

كَيْفَ نَوْمُ الْأَسِيرِ فِي الْأَغْلَالِ
فَارْجَمِي لِي تَحِيَّتِي وَسُؤَالِي
وَعَزَالِي، سَقَى الْإِلَٰهَ غَزَالِي
وَمَطَايَا سَيَّرْتَهَا^(٢) لَا زُحَالِي
قَبْلَيْنَا إِذْ كُلُّ عَيْشٍ^(٣) بِإِلِي
كُلُّ دُنْيَا وَنِعْمَةٍ لَزَوَالِ
تَ مَصِيرُ الْمُلُوكِ وَالْأَقْبَالِ
وَصَلَاتِي أَدْعُو بِهَا وَابْتِهَالِي
وَلَدَى اللَّهِ كَسَابِرُ الْأَعْمَالِ^(٤)

أَيْهَا الْمَالِكُ الْمُرْهَبُ بِالسَّقْنِ لَبْلُ بَلَّغْتَ النِّكَالَ كُلَّ النِّكَالِ
فَاخْشَ نَارًا تَشْوِي الْوُجُوهَ وَيَوْمًا
قَدْ تَعَدَّيْتَ فِي الْقِصَاصِ وَأَذْرَكَ^(٥) دُحُولًا لِمَغْشَرِ أَقْتَالِ^(٥)
لَا تُبْذَلُنَ فَمُنْكَرٌ إِذْ لَا إِلِي
وَيَمِينِي مَغْلُولَةٌ وَشِمَالِي
عَجِبَ النَّاسُ مَا لَهُنَّ وَمَالِي
فَكَمَ السَّجْنُ أَوْ مَتَى إِزْسَالِي
رَاسِخٌ مِنْكَ فِي الْعِظَامِ الْبَوَالِي
قُلْتُ: خُذْهُ فِدَاءَ نَفْسِي مَالِي^(٦)
لَوْ بَغِيرِي مِنْ مَغْشَرِي لَعِيبَ الدَّفْعِ لِمَا دَمَّ نَصْرَتِي وَاخْتِيَالِي
حَافِظِ الْغَيْبِ حَامِدٍ لِلْخِصَالِ^(٧)
وَجُسْدَامٍ أَوْ طَيْسٍ الْأَجْمَالِ^(٨)
أَسْلَمُونِي لِلْخُصْمِ عِنْدَ النُّصَالِ

(١) ب، ما، مد: «هندي».

(٢) ف: «يسرتها».

(٣) ف: «كل شيء».

(٤) ف: «كانت الأعمال».

(٥) الذحل: النار أو العداوة والمقصد، والجمع دحول. والأفتال جمع قتل «بكسر القاف» وهو الشجاع أو المقاتل.

(٦) ف: «فدى لنفسي مالي».

(٧) ف: «حامد لخصالي».

(٨) ف: «وطيس» الأحيال.

الْبَهَائِلُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ فَضَّلُوا النَّاسَ بِالْعُلَا وَالْفَعَالِ
 / وَبَنُو التَّيْسِ تَيْمٌ مُرَّةً لَمَّا لَمَعَ الْمَوْتُ فِي ظِلَالِ الْعَوَالِي
 مَنَعُوا الْبَيْتَ بَيْتَ مَكَّةَ ذَا الْحِجْرِ إِذِ الطَّيْرُ عَكَّفَ فِي الظُّلَالِ^(١)
 وَالْبَهَائِلُ خَالِدٌ وَسَعِيدٌ شَفَسُ دَجْنٍ وَوَضَحٌ كَالِهَالِ^(٢)
 فِي الْأَرُومَاتِ وَالذُّرَى مِنْ بَنِي الْعِيصِ قُرُومٌ إِذَا تُعَدُّ الْمَعَالِي
 كُنْتُ مِنْهُمْ، مَا حَرَّمُوا فَحَرَّمَ لَمْ يُرَأُوا، وَجِلُّهُمْ مِنْ حَالِ^(٣)
 وَذُؤُ الْمَجْدِ مِنْ خُرَاعَةٍ كَانُوا أَهْلٌ وَدِّي فِي الْخُصْبِ وَالْإِمْحَالِ
 خَذَلُونِي وَهُمْ لِيذَاكَ دَعُونِي لَيْسَ حَامِي الذَّمَّارِ بِالْخَذَالِ
 لَا تَدْعِنِي فِدَاكَ أَهْلِي وَمَالِي إِنَّ حَبْلَيْكَ مِنْ مَتِينِ الْجِبَالِ^(٤)
 حَسَرْنَا إِذْ أَطَعْتُ أَمْرَ غَوَاتِي^(٥) وَعَصَيْتُ النَّصِيحَ ضَلَّ ضَلَالِي

يهجو عبادة ويذكر سعيد بن عثمان

وقال يهجو عبادة بن زياد ويذكر سعيد بن عثمان:

أَيُّهَا الشَّاسَاتِمُ جَهْلًا سَعِيدًا وَسَعِيدٌ فِي الْخَوَادِثِ نَابُ
 / مَا أَبُوكُمْ مُشَبِّهًا لِأَيِّهِ فَاسْأَلُوا النَّاسَ بِذَاكَمُ تُجَابُوا
 سَادَ عَبَادٌ وَمُلْكٌ^(٦) جَيْشًا سَبَّحْتَ مِنْ ذَاكَ صُمٌّ صِلَابُ
 إِنَّ عَامًّا صِرْتَ فِيهِ أَمِيرًا تَمَلِّكُ النَّاسَ لَعَامٌ عُجَابُ

يمحو ما كتبه من هجاء على الحيطان بأظافره

قال: واتصل هجاؤه زياداً وولده وهو في الحبس، فردّه عبيدُ الله إلى أخيه عبادة بسجستان، ووكل به رجالاً ووجههم معه، وكان لما هرب من عبادة يهجو / ويكتب كل ما هجاء به على حيطان الخانات، وأمر عبيدُ الله الموكّلين به أن يأخذوه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره، وأمرهم ألا يتركوه يُصَلِّي إلا إلى قبلة النصارى إلى المشرق، فكانوا إذا دخلوا بعض الخانات التي نزلها فرأوا فيها شيئاً مما كتبه من الهجاء، أخذوه بأن يمحوه بأظافره، فكان يفعل ذلك ويحكه حتى ذهبت أظافره، فكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه، حتى سلّموه إلى عبادة فحبسه وضيق عليه. قال عمر بن شبة في خبره: فقال ابن مفرغ:

سَرَتْ تَحْتَ أَقْطَاعِ مِنَ اللَّيْلِ زَيْنَبُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ!

ويروى:

(١) ف: «كالظلال».

(٢) ف: «والكريمان خالد وسعيد»... «وواضح كالهلال».

(٣) ف: «وحلهم بحلالي».

(٤) ف: «متان الحبال».

(٥) ف: «إذ أطعت فيك غواتي».

(٦) ب: «وما لأجيشاً».

* أَلَا طَرَقْتَنَا آخِرَ اللَّيْلِ ذَيْنَبُ *

أَصَابَ عَذَابِي^(١) اللَّوْنُ فَالْلَوْنُ شَاحِبٌ
قُرْنَتْ بِخُنْزِيرٍ وَهَرٍّ وَكَلْبَةٍ
وَجُرْعَتُهَا صَهْبَاءٌ مِنْ غَيْرِ لَذَّةٍ
وَأَطْعَمْتِ مَا إِنْ لَا يَحِلُّ لَأَكْلٍ^(٢)
مِنَ الطَّفْلِ مَجْنُونِيَا^(٣) إِلَى أَرْضِ كَابِلٍ
فَلَوْ أَنَّ لَحْمِي إِذْ هَوَى لَعَبَتْ بِهِ
لَهَوْنٌ وَجَدِي أَوْ لَزَادَتْ بِصِيرَتِي
أَعْبَادُ مَا لِلْؤُومِ عَنْكَ مُحَوَّلٌ
سَيَصُورُنِي مَنْ لَيْسَ تَنْفَعُ عَنْدهُ
/ وَقُلْ لِعَيْدِ اللَّهِ: مَا لَكَ وَالِدُ
كَمَا الرَّأْسُ مِنْ هَوْلِ الْمَيَّةِ أَشِيبُ
زَمَانًا وَشَانَ الْجِلْدَ ضَرْبٌ مُشْدَبُ
تُصْعِدُ فِي الْجُثْمَانِ ثُمَّ تُصَوِّبُ
وَصَلَّيْتُ شَرْقَا يَيْتُ مَكَّةَ مَغْرِبُ
فَمَلُّوا وَمَا مَلَّ الْأَسِيرُ الْمُعَذَّبُ
كَرَامُ الْمُلُوكِ أَوْ أَسْوَدُ وَأَذُوبُ
وَلَكِنَّمَا أَوَدَتْ بِلَحْمِي أَكْلُوبُ
وَلَا لَكَ أُمٌّ فِي قُرْنِشٍ وَلَا أَبُ
رُقَاكَ وَقَرْمٌ مِنْ أُمِّيَّةٍ مُضْعَبُ^(٤)
بَحَقُّ وَلَا يَدْرِي أَمْرُؤُ كَيْفَ تُنْسَبُ!

في أول هذا الشعر غناء نسبه.

صوت

أَلَا طَرَقْتَنَا آخِرَ اللَّيْلِ ذَيْنَبُ
وَقَالَتْ: تَجَبَّنَا وَلَا تَقْرَبْنَا
الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي.

استثارته قومه ببيتين يقرآن على المصلين بجامع دمشق

وقالوا جميعاً: فلما طال مقام ابن مفرغ في السجن استأجر رسولاً إلى دمشق، وقال له: إذا كان يوم الجمعة فقف على درج جامع^(٥) دمشق، ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما يُمكنك من صوتك، وكتبهما في رُقعة، وهما:
أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي قُحْطَانَ قَاطِبَةً
أَضْحَى دَعْيِي زِيَادٍ فَفَقَعَ قَرْقَرَةً^(٦)
عَضَّتْ بِأَنْفِهَا سَادَةُ الْيَمَنِ
يَا لِلْعَجَائِبِ - يَلْهُو بِابْنِ ذِي يَزَنِ!

ففعل الرسول ما أمره به، فحميت اليمانية وغضبوا له، ودخلوا على معاوية فسألوه فيه / فدفعهم^(٧) عنه، ١٧
فقاموا غضاباً، وعرف معاوية ذلك في وجوههم، فردّهم ووهبه لهم، ووجه رجلاً من بني أسد يقال له خَمَخَام

(١) ما، مد: «عداتي».

(٢) ما، مد، ب: «وأطعمت ما لا يحل لأكل».

(٣) ب: «مجلوباً»، ومجنوباً أي مقوداً إلى جنب فرس.

(٤) القرم: السيد. والمصعب: الفحل.

(٥) ف: «مسجد».

(٦) يقال للذليل: هو أذل من فقع بقرقرة أو بقرقر، أي أذل من كماء في أرض منخفضة؛ لأنه لا يمتنع على من جناه، أو لأنه يداس بالأرجل. وفي مد، ما: «فوق قرقرة». وفي ب: «فقع قرقرة»، تحريف.

(٧) ف: «فدافعهم عنه».

- ويقال: جهّام - يريدُ إلى عبّاد، وكتب له عهداً، وأمره بأن يبدأ بالحبس فيُخرج ابنَ مُفرّغ منه ويُطلّقه، قبل أن يعلم عبّاد فيمّ قدّم فينتاله، ففعل ذلك به، فلما خرج من الحبس قرّبت إليه بغلة من بغال البريد فركبها، فلما استوى على ظهرها قال:

عَدَسٌ^(١) مَا لِعَبَّادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ / فإِن الَّذِي نَجَّى مِنَ الْكَرْبِ بَعْدَمَا
تَلَا حَمَ فِي دَرْبٍ عَلَيْكَ مَضِيْقُ / أَنَاكَ بِخَمَخَامٍ فَأَنْجَاكَ فَالْحَقِّي
بِأَهْلِكَ^(٢) لَا تُحْبَسْ عَلَيْكَ طَرِيقُ / لِعَمْرِي لَقَدْ أَنْجَاكَ مِنْ هُوَّةِ السَّرْدَى
إِمَامٌ وَحَبْلٌ لِلْأَنَامِ وَثِيْقُ / سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حُسْنِ نِعْمَةٍ
وَمِثْلِي بِشُكْرِ الْمُتَنَعِمِينَ حَقِيقُ^(٣)

[٢٧١/١٨]

معاوية يعفوه عنه

قال عمرُ بنُ شُبّة في خبره، ووافقه لقيط بن بكير: فلما أُدخِلَ على مُعاوية بكى وقال: ركب مني ما لم يركب من مسلم قط، على غير حدث في الإسلام ولا خلع يد من طاعة ولا جُرم، فقال: ألسن القاتل:

أَلَا أَبْلِغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ / مُغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْيَمَانِي
أَتَغْضَبُ أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ عَفَا / وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ زَانٍ!
فَأَشْهَدُ أَنَّ رَحْمَتَكَ مِنْ زِيَادٍ / كَرَحْمِ الْفِيلِ مِنْ وَلَدِ الْأَتَانِ^(٤)
وَأَشْهَدُ أَنَّهَا وَلَدَتْ زِيَاداً^(٥) / وَصَخْرٌ مِنْ سُمَيَّةَ غَيْرُ دَانٍ

فقال: لا والذي عَظُمَ حَقُّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قُلْتُهُ، ولقد بلغني أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ وَنَسَبَهُ إِلَيَّ.

قال: أفلم تقل:

شَهِدْتُ بِأَنَّ أُمَّكَ لَمْ تُبَاشِرْ / أَبَا سُفْيَانَ وَأَهْمَةَ الْقِنَاعِ
وَلَكِنْ كَانَ أَمْرٌ فِيهِ لَبَسٌ / عَلَى وَجَلٍ شَدِيدٍ وَارْتِيَاعِ
أَوْ لَسْتُ الْقَاتِلُ:

إِنَّ زِيَاداً وَنَافِعاً وَأَبَا / بَكْرَةَ عِنْدِي مِنْ أَعْجَابِ الْعَجَبِ
/ إِنَّ رِجَالاً ثَلَاثَةً خُلِقُوا / فِي رَحْمِ أَنْثَى مَا كُلُّهُمْ لِأَبِ
ذَا قُرَشِيٍّ كَمَا يَقُولُ، وَذَا / مَوْلَى، وَهَذَا بِزَعْمِهِ عَرَبِيٌّ

[٢٧٢/١٨]

في أشعار كثيرة قُلْتُهَا فِي هِجَاءِ زِيَادِ وَبَنِيهِ، اذْهَبْ فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْ جُرْمِكَ، وَلَوْ إِيَّانَا تَعَامَلْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ، فَاسْكُنْ أَيْ أَرْضِ شَيْتَ^(٦). فاختر الموصّل فنزلها، ثم ارتاح إلى البصرة فقدمها، فدخل على عُبيد الله بن

(١) عدس: اسم البغلة، أو كلمة زجر للبالغ.

(٢) ب: «بأرضك». وفي ف: «فنجاك فالحقن».

(٣) «التجريد»، ف: «خليق».

(٤) انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٦٥.

(٥) انظر الحاشية رقم ٥ ص ٢٦٥.

(٦) ف: «أحييت».

زياد، واعتذر إليه وسأله الصّفح والأمان، فأمنه وأقام بها مُدّة، ثمّ دخل عليه بعد أن أمّنه فقال: أصلح الله الأمير، إني قد ظنّنت أنّ نفسك لا تطيب لي بخير أبداً، ولي أعداء لا آمن سعيهم عليّ بالباطل، وقد رأيتُ أن أتباعه، فقال له: إلى أين شئت؟ فقال: كرّمان، فكُتّب له إلى شريك بن الأعور وهو عليها بجائزة وقطّعة / وكُسوة، فشخص $\frac{11}{17}$ فأقام بها حتى هرب عبيد الله من البصرة، فعاد إليها. هذه رواية عُمر بن شُبّة.

رواية أخرى في سبب إنقاذه من ابني زياد

وقال محمد بنُ خلف في روايته، عن أحمد بن الهيثم، عن المدائنيّ، وعن العمريّ، عن لقيط:

أنّ ابن مفرغ لما طال حبسه وبلاؤه، ركب طلحة الطلحات إلى الحجاز، ولقي قريشاً - وكان ابن مفرغ حليفاً لبني أميّة - فقال لهم طلحة: يا مغشّر قريش، إنّ أخاكم وحليفكم ابن مفرغ قد ابتلي بهذه الأعباء من بني زياد، وهو عديداً وحليفكم ورجل منكم، والله ما أحب أن يُجرّي الله عافيته على يدي دونكم، ولا أفوز بالمكرمة في أمره وتخلوا منها، فانهضوا معي بجماعتكم إلى يزيد بن معاوية، فإنّ أهل اليمن قد تحرّكوا بالشّام، فركب خالد بن عبد الله بن خالد^(١) بن أسيد، وأمّية بن عبد الله أخوه، وعمر بن عبيد الله بن معمر، ووجوه خزاعة^(٢) وكنانة / وخرجوا إلى يزيد، فبينما هم يسيرون ذات ليلة إذ سمعوا راكباً يتغنّى في سواد الليل بقول ابن مفرغ ويقول:

[٢٧٣/١٨]

إنّ تركي نكدي سعيد بن عثمان	ن بن عفان ^(٣) ناصري وعديدي
وأتباعي أخا الضراعة واللؤ	م لنقص وفوت شأو بعيد
قلت والليل مطبق بعراه:	ليتني مك قبل ترك سعيد
ليتني مك قبل تركي أخا النج	سدة والحزم والفعال السديد
عشمي أبوه عبد مناف	فاز منها بتاجها المعقود
ثمّ جود لوقيل: هل من مزيد ^(٤)	قلت للسائلين: ما من مزيد
قل لقومي لذي الأباطح من آ	ل لؤي بن غالب ذي الجود:
سامني بعدكم دعي زياد	خطّة الغادر ^(٥) اللثيم الزهيد
كان ما كان في الأراكة واجد	ب بيزد سنام عيسي وجيدي
أوغل العبد في العقوبة والشّد	م وأدّى بطارفي وتليدي
فأرحلوا في حليفكم وأخيك	نحو غوث المستنصر حين يزيد
فأطلبوا النصف ^(٦) من دعي زياد	وسلوني بما ادعيت شهودي

قال: فدعا القوم بالراكب فقالوا له: ما هذا الذي سمعناه منك تغني به؟ فقال: هذا قول رجل والله إنّ أمره

لعجب، رجل ضائع بين قريش واليمن، وهو رجل الناس، قالوا: ومن هو؟ قال: ابن مفرغ، قالوا: / والله ما رحلنا [٢٧٤/١٨]

(١) ب: «إلى خالد بن أسيد».

(٢) ب: «في وجوه خزاعة».

(٣) في «الشعر والشعراء»: «... سعيد بن عثمان فتي الجود...».

(٤) ب: «لو قيل فيه مزيد».

(٥) ف: «خطّة العار واللثيم الزهيد».

(٦) النصف: الإنصاف.

إلا فيه، وانتسبوا له، فضحك وقال: أفلا أسمعكم من قوله أيضاً؟ قالوا: بلى، فانشدهم قوله:

لَعَمْرِي لو كان الأسيرُ ابنَ مَعْمَرٍ
ولو أنهم نالوا أُمِّيَّةً أَرَقَلْتُ^(١)
فأبلغتُ عذراً في لؤيِّ بنِ غالب
فإن لم يُغَيِّرْها الإمامُ بحَقِّها
فناديتُ فيهم دعوةً يَمْنِيَّةً
/ ودافعتُ حتَّى أبلغَ الجهدَ عنهم
فإن لم تَكُونُوا عندَ ظَنِّي بَنَصْرَكُم
بِنَفْسِي وأهلِي ذاكَ حَيًّا ومَيِّتاً
فكم من مُقامٍ في قريشٍ كَفَيْتُهُ
وخصمٍ تحاماهُ لؤيُّ بنُ غالبٍ
وخيرٍ كثيرٍ قد أفأتُ عليكم

١٢
١٧

قال: فاستزجع القومُ لقوله وقالوا: والله لا نغسل رؤوسنا في العرب إن لم نغسلها^(٢) بفكِّه. فأغذَّ القومُ السيرَ حتى قدموا الشام.

وفد اليمانية يذهب إلى يزيد بن معاوية

وبعث ابنُ مُفَرِّغٍ^(٣) رجلاً من بني الحارث بن كعب، فقام على سورِ حمص، فنادى بأعلى صوته الحُصَيْنَ^(٤) ابنَ نُمير - وكان والي حمص - بهذه الأبيات وكان عَظِيمَ الجبهة:

/ أبلغُ لَدَيْكَ بَنِي قَحْطَانَ قاطِبَةً
أَمْسَى دَعْيِي زيادٌ فَقَعَ قَرْقَرَةً
والْحَمِيرِي طَرِيحٌ وَسَطَ مَزْبَلَةٍ
والأَجَبَةُ ابنُ نُميرٍ فوقَ مَفْرَشِهِ
فُومُوا فَقُولُوا: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا
فاكْفُفْ دَعْيِي زيادٍ عن أكارِمنا

[٢٧٥/١٨]

فاجتمعت اليمانية إلى حُصَيْن، فعيروه بما قاله ابنُ مُفَرِّغٍ، فقال الحُصَيْن: ليس لي رأيٌ دُونَ يزيد بنِ أسد، ومَخْرمة بنِ شُرَحْبِيل، فأرسل إليهما، فاجتمعا في مَنْزِلِ الحُصَيْن، فقال لهما الحُصَيْن: اسمعا ما أَهْدَى إليَّ شاعرُكم وقاله لكم في أَخِيكم - يعني نَفْسَهُ - وانشدهم، فقال يزيدُ بنُ أسد: قد جئتُكم بأعظمِ مِنْ هذا، وهو قوله:

(١) أرقلت: أسرعت، من الإرقال وهو ضرب من الخبب.

(٢) مد: «إن لم يغسلها». وفي ما: «إن لم نغسلها». وفي ف: «إن لم نستقلها».

(٣) ب: «وبعث إلى ابن مفرغ رجلاً...» تحريف.

(٤) ف: «الحصن بن نُمير».

(٥) الأَجَبَةُ: العظيم الجبهة. والغتن جمع غنة، وهو صوت من اللهاة والأنف.

(٦) ب، ما، مد: «ماذا تريد إلى الأحقاد والاحن».

وما كنت حجاماً ولكن أحلني بمنزلة الحجام نأبي عن الأصل^(١)

فقال الحُصَيْن: والله لقد أساءَ إلينا أمير المؤمنين في صاحِبنا مرَّتين، إحداهما أنه هَرَبَ إليه فلم يُجِرْهُ، وأُخرى أنه أمرَ بَعْدابه غيرَ مُراقِبٍ لنا فيه، وقال يزيدُ بنُ أسد: إني لأظن أن طاعتنا ستفسدُ ويمحوها ما فعل^(٢) بـابن مفرغ، ولقد تطلَّع من نفسي شيء، للموت أحبُّ إليَّ منه. وقال مخرمةُ بنُ شُرَحْبِيل: أيها الرِّجْلان، اعقلا فإنه لا مُعاويةَ لكما^(٣)، واغرفا أن صاحبكما لا تقدح فيه الغلظة، فاقصدا التضرُّع، فركب القومُ إلى دِمَشقَ / وقَدِموا [٧٦/١٨] على يزيدَ بنِ مُعاوية، وقد سَبَقهم الرِّجْل، فنادى بذلك الشعر يوم الجمعة على دَرَجِ مَسْجِدِ دِمَشقَ، فثارت اليمانية وتكلَّموا، ومَشَى بَعْضُهم إلى بعض، وقَدِمَ وفدُ القُرَشِيِّينَ في أمره مع طلحة الطَّلَحَات، فسَبَقوا القُرَشِيِّينَ، ودخلوا على يزيدَ بنِ مُعاوية، فتكلَّم الحُصَيْنُ بنُ نُعْمِرٍ، فذكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم، وقال: يا أمير المؤمنين، إن الذي أتاه ابنُ زيادٍ إلى صاحِبنا، لا قرارَ عليه، وقد سامنا عبيدُ الله وعَبَادُ حُطَّةٍ خَسَفَ، وقَلَّدانا قِلَادَةَ عَارٍ، فأنصِف / كريمنا من صاحِبِه، فوالله لئن قدَرنا لَنَغْفُوَنَّ، ولئن ظَلَمنا لَنَتَصَرَّنَ. وقال يزيدُ بنُ أسد: يا أمير المؤمنين، إنَّا لو [٧٣/١٧] رَضِينَا بِمُثَلَّةِ ابنِ زيادٍ بصاحِبنا وعظيم ما انتهك منه، لم يَرْضَ اللهُ عَزَّ ذَكَرُه بذلك^(٤) ولئن تَقَرَّبنا إليك بما يُسَخِّطُ اللهُ لِيُأَعِدَّنَا اللهُ مِنْكَ، وإن يَمَانِيَتِكَ قد نَفَرْتُ لصاحِبها نَفَرَةً طَارَ غُرَابُهَا، وما أدري متى يقع، وكلَّ نَائِرَةٍ^(٥) تقدح في المُلْك وإن صَغُرَتْ لم يُؤْمَنَ أن تكبر، وإطفاؤها خيرٌ من إضرارها لا سيما إذا كانت في أنفٍ لا يُجَدَّع، ويد لا تُقَطَّع، فأنصِفنا من ابني زياد^(٦).

وقال مخرمةُ بنُ شُرَحْبِيل، وكان مُتَأَلِّهاً عَظِيمَ الطَّاعَةِ في أهل اليمن: إنه لا يد تحجزك^(٧) عن هواك، ولو مثَلتَ بأخيِنا وتولَّيتَ ذلك منه بنفسك لم يَمُتْ فيه قائم ولم يُعَاتِبْكَ فيه مُعَاتِبٌ، ولكنَّ ابْنِي زياد استَخَفَّانا^(٨) بما يثقل عليك من حَقِّنا، / وتهاوَّنا بما تُكْرِهُهُ مِنَّا، وأنت بيننا وبين الله، ونحن بينك وبين الناس^(٩)، فأنصِفنا من [٧٧/١٨] صاحِبِيكَ، ولينفَعنا بلاؤنا عندك.

فقال يزيد: إنَّ صاحِبكم أتى عَظِيماً؛ نفى زياداً من أبي سُفْيَانَ، ونفى عِبَاداً وَعُبَيْدَ اللهِ من زياد، وقَلَّدَهم طوقَ الحمامة، وما شَجَّعه على ذلك إلا نَسَبُهُ فيكم، وحِلْفُهُ في قُرَيْشٍ، فأما إذ بَلَغَ الأمرُ ما أرى، وأشفى بكم على ما أشفى، فهو لكم، وعليَّ رضاكم.

وفد القُرَشِيِّينَ يقابل يزيد بن معاوية

قال: وانتهى القُرَشِيُّونَ إلى الحاجب فاستأذن لهم، وقال لِلْيَمَانِيِّينَ: قد أَنتَكُم بُرَى الذهب من أهل العراق،

(١) ف: «الأهل».

(٢) ف: «ما صنع».

(٣) يشير إلى حلم معاوية الذي مات، وغضب يزيد.

(٤) ف: «لم يرض الله عمن رضي بذلك».

(٥) النائرة: العداوة والشحناء.

(٦) ف: «ابن زياد».

(٧) في ب، مد: «إنه لا يدع تحجزك عن هواك دون الله ولو مثلت... الخ».

(٨) ف: «استخفا بما يثقل عليك من حقنا».

(٩) (٩ - ٩) التكملة من ف.

فدخلوا وسلّموا والغضبُ يَبِينُ^(١) في وجوههم، فظنَّ يزيدُ الظنون، وقال لهم: ما لكم؟ انفتق فتقُّ أو حدثَ حدثٌ فيكم؟ قالوا: لا، فسكّن.

فقال طَلْحَةُ الطَّلَحَات:

يا أميرَ المؤمنين، أما كفى العربَ مَالَقِيَتْ من زياد، حتى استَعْمَلَتْ عليها ولده يستكثرون لك أحقادها، ويَغْضُونَك إليها، إنَّ عُبَيْدَ الله وأخاه أتيا إلى ابنِ مُقَرِّغٍ ما قد بلغك، فأنصِفْنَا منهما إنصافاً تَعْلَمَ العربُ أنَّ لنا منك خَلَفاً من أبيك، فوالله، لقد خَبَأَ لك فعلُهما خَبِئاً عند أهل اليمن لا تَحْمَدُهُ لك، ولا تَحْمَدُهُ لِنَفْسِكَ.

وتكلمَ خالدُ بن عبد الله بن خالد بن أُسَيْد فقال:

يا أميرَ المؤمنين، إنَّ زياداً رُبِّيَ في شَرِّ حَجَرٍ، ونشأ في أَخْبَثِ نَشْءٍ، فأثبُتْ نِصَابَهُ في قريش، وَحَمَلْتُمُوهُ^(٢) على رِقَابِ الناس، فوثبَ ابنُنا على أخينا وحليفنا / وحليفك، ففعلنا به الأفاعيل التي بَلَّغَتْكَ، وقد غَضِبْتَ له قريشُ الحجاز ويمنُ الشام ممَّن لا أَحِبُّ والله لك غَضَبُهُ، فأنصِفْنَا من ابني زياد.

وتكلمَ أخوه أُمَيَّةُ بنحو ممَّا تكلم أخوه وقال:

والله يا أميرَ المؤمنين لا أَحْطُ رَحْلِي، ولا أَخْلَعُ ثِيَابَ سَفَرِي، أو تُنصِفْنَا من ابني زياد، أو تَعْلَمَ العربُ أنك قد قَطَعْتَ أرحامنا، ووصلتَ ابني زياد بَقْطَعِنَا، وحكمتَ بغيرِ الحقِّ لهما علينا.

وقال ابنُ مَعْمَرٍ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ ابنَ مُقَرِّغٍ طالما ناضلَ عن عِرْضِكَ وعِرْضِ أبيك وأعراضِ قومك، ورمى عن جَفرةِ أهلِكَ، وقد أتى بنو زياد فيه ما لو كان مُعَاوِيَةُ حَيًّا لم يَرْضَ به، وهذا رجلٌ له شَرَفٌ في قومه، وقد نَفَرُوا له نَفَرَةً لها ما بعدها، فأعْتَبَهُم وأنصِفَ الرجلَ^(٣) ولا تُؤْثِرْ مَرْضَاةَ ابني زياد على مَرْضَاةِ الله عزَّ وجلَّ.

يزيد يرحب بالوفدين ويرسل من يطلق ابن مفرغ

فقال يَزِيدُ: مرحباً بكم وأهلاً، والله لو أصابه خالدُ ابني بما ذَكَرْتُمْ لأنصفتهُ منه، ولو رحلتُم في جميع ما تُحِيطُ به العراق لوَهَبْتُهُ لكم، وما عندي إلا إنصافُ المظلوم، ولكنَّ صاحبكم / أسرفَ على القوم. وكتبَ يَزِيدُ ببناء داره، وردَّ ماله وتَخْلِيَةَ سَبِيلِهِ، وآلَ إمْرَةً لأحد من بني زياد عليه، وقال: لولا أنَّ في القَوَدِ بعدما جرى منه فساداً في المُلْكِ لأَقْدَتُهُ من عِبَاد.

وسرَّحَ يَزِيدُ رجلاً من حَمِيرٍ يقال له خَمَخَام، وكتبَ معه إلى عِبَادِ بن زياد: نَفْسَكَ نَفْسَكَ وأن تَسْقُطَ من ابنِ مُقَرِّغٍ شَعْرَةٌ فَأَقِيدَكَ والله به، ولا سُلْطَانَ لك ولا لأخيك ولا لأحدٍ غَيْرِي عليه، فجاء خَمَخَامُ حتى انتزعه جهاراً من الحبس^(٤) بمحضر الناس وأخرجه.

٢٧٩/١٨ / دخوله على يزيد وما دار بينهما

قالوا: فلما دخل على يَزِيدَ قال له: يا أميرَ المؤمنين، اخترَ مِنِّي خَصْلَةً من ثلاث خصال، في كُلِّها لي فَرَجٌ،

(١) ف: «يَبِين».

(٢) ب، مد، ما: «فَأَثَبْتُهُم نِصَابَهُ في قريش وحملت... الخ».

(٣) ف: «فَأَعْنَهُمْ وأنصفهم من الرجل».

(٤) ب، ما، مد: «من المجلس».

إما أن تُقِيدَنِي من ابن زياد، وإما أن تُخْلِي بيني وبينه، وإما أن تُقَدِّمَنِي فتضرب عُنُقِي.

فقال له يزيد: قَبِّحَ اللهُ ما اخترته وخَيْرَتَيْهِ^(١)؛ أما القَوْدُ من ابن زياد فما كنتُ لأُقِيدَكَ من عامل كان عليك، ظلمته وشتَمَتَ عِرْضَه وعَرَضِي معه، وأما التَّخْلِيَةُ بينك وبينه فلا، ولا كَرَامَة، ما كنتُ لأُخْلِي بينك وبين أهلي تقطعُ أَعْرَاضَهُمْ، وأما ضَرْبُ عُنُقِكَ، فما كنتُ لأضربُ عُنُقَ مسلم من غير أن يَسْتَحِقَّ ذلك، ولكني أفعلُ ما هو خير لك مما اخترته لنفسك؛ أعطيك دِيْنَكَ، فإنهم قد عَرَضُواكَ للقتل، واكفُفْ عن ولد زياد، فلا يُلَغِّنِي أنكَ ذَكَرْتَهُمْ، وانزل أي البلاد شئت، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

اعتذاره لعبيد الله بن زياد

فخرج حتى أتى المَوْصِلَ وأقام بها ما شاء الله، ثم خَرَجَ ذات يوم يَتَصَيَّدُ، فلقي دِهْقَانًا على حمار له، فقال: من أين أقبلت؟ قال: من العراق، قال: من أيها؟ قال: من البصرة، ثم من الأهواز^(٢)، قال: فما فعل المَسْرُوقَانِ^(٣)؟ قال: على حاله، قال: أفتَعْرِفُ أَنَاهِيْدُ بنت أَعْنَقٍ؟ قال: نعم، قال: ما فعلت؟ قال: على أَحْسَنَ ما عَهِدْتُ.

قال: فَضَرَبَ بِرِذْوَنِهِ وسار حتى أتى الأهوازَ، ولم يعلم أهله ولا غيرهم بِمَسِيرِهِ.

ثم أتى عُبَيْدَ اللهِ بنَ زياد، فدخل عليه واعتذر إليه، وسأله الأمانَ فأَقْنَه، ثم سأله أن يَكْتُبَ له إلى شريك بن الأعور، فكتب له ووصله.

عودته إلى البصرة وهجاؤه بني زياد

وخرج فأقام بكَرْمَانَ حتى غَلَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ على العراق، وهرب ابنُ زياد / وكان أهلُ البصرة قد أَجْمَعُوا على [٢٨٠/١٨] قتلَه، فخرج عن البصرة هارباً، فعاد ابن مفرغ إلى البصرة، وعاود هِجَاءَ بني زياد، فقال يذكر هَرَبَ عُبَيْدِ اللهِ وَتَرْكَهُ^(٤) أمَّه بقوله:

أَعْبَيْدُ فَلَا كُنْتَ أَوَّلَ فَارِسٍ	يَوْمَ الْهِجَاكِ دَعَا بِحَتْفِكَ دَاعٍ
أَسْلَمْتَ أَثْمَكَ وَالرُّمَاحُ تَنْوَشُهَا	يَا لَيْتَنِي لَكَ لَيْلَةُ الْإِفْزَاعِ
إِذْ تَسْتَغِيثُ وَمَا لِنَفْسِكَ مَانِعٌ	عَبْدٌ تَرُدُّهُ بِدَارِ ضِيَاسِعٍ
هَلَا عَجُوزُكَ إِذْ تَمُدُّ بِثَذِيهَا	وَتَصِيحُ الْأَتْنَزُعُ عَنْ قِنَاعِي
أَنْقَذْتَ مِنْ أَيْدِي الْعُلُوجِ كَأَنهَا	رَبْدَاءُ مُجْفِلَةٌ بِيْطْنِ الْقَاعِ ^(٥)
فَرَكِبْتَ رَأْسَكَ ثُمَّ قُلْتَ: أَرَى الْعِدَا	كَثُرُوا وَأَخْلَفَ مَوْعِدِي أَشْيَاعِي ^(٦)
فَانْجِسِي بِنَفْسِكَ وَابْتَغِي نَفَقًا فَمَا	لِي طَاقَةٌ ^(٧) بِكَ وَالسَّلَامُ وَدَاعِي

(١) ف: «وخيرته».

(٢) ب، ما، مد: «من الإيوان».

(٣) المشرقان: نهر بخوزستان عليه عدة قرى («معجم البلدان»).

(٤) ف: «ويذكر أمه».

(٥) «المختار»، ف: «من أيدي العبيد». والربداء: السوداء الضاربة إلى الغبرة. يشبهها بالنعامة. وفي ف: «ربداء مخلقة».

(٦) ب: «وأخلف موعد الأشياء».

(٧) ف، «المختار»: «لي حيلة».

ليسَ الكَرِيمُ بَمَنْ يُخْلَفُ أُمُّهُ
حَذَرُ الْمَنِيَّةِ وَالرُّمَاحُ تَنْوُشُهُ
مُتَابِطاً سِيفاً عَلَيْهِ يَلْمَقُ^(٣)
/ لا خَيْرَ فِي هَذِرِ يَهُزُّ^(٤) لِسَانَهُ
لَا بِنُ الزُّبَيْرِ غَدَاةٌ يَذْمُرُ^(٥) مُنْذِرَاً
وَأَحَقُّ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ مِنْ أَمْرِي
جَعَدَ الْيَدَيْنِ عَنِ السَّمَاحَةِ^(٦) وَالنَّدَى
/ كَمْ يَا عُبَيْدُ اللَّهِ^(٧) عِنْدَكَ مِنْ دَمٍ
وَمَعَاشِرٍ أَتَيْتَ أَبْخَتَ حَرِيمَهُمْ
أَذْكَرُ حُسَيْنَاً وَابْنَ عُروَةَ هَانِئَاً
وقال أيضاً يذكر هربه:

٦٥
١٧

[٢٨١/١٨]

أَقَرَّ بَعِينِي أَنَّهُ عَنَى أُمُّهُ^(٨)
وقال: عليك الصبر كوني سيئة
وقد هتفت هنذا: بماذا أمرتني؟
فقال: اقصدي للأزد في عرصاتها^(٩)
أخافُ تَيْمَماً وَالْمَسَالِحَ^(١٠) دُونَهَا
وَوَلَّى زُمَاءَ الْعَيْنِ يَغْسِلُ وَجْهَهَا^(١١)
بِمَا قَدَّمْتُ كَفَّاكَ لَا لَكَ مَهْرَبُ
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ جَرَزَتْ جَرِيرَةً
وَمِنْ حُرَّةٍ زَهْرَاءَ قَامَتْ بِسُخْرَةٍ
فَصَبِراً عُبَيْدُ بْنُ الْعَبِيدِ فَإِنَّمَا
وَذُقْ كَالَّذِي قَدْ ذَاقَ مِنْكَ مَعَاشِرُ

دَعَتْهُ فَوَلَّاهَا اسْتَهَ وَهُوَ يَهْرُبُ
كَمَا كُنْتَ أَوْ مُوتِي؛ فَذَلِكَ أَقْرَبُ
إِنْ لِي وَحَدَّثَنِي إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟
وَبُكَرٍ فَمَا إِنْ عَنْهُمْ مُتَجَنَّبُ
وَيُكْرَهُ أَنْ أَعْدَائِي عَلَيَّ تَلْهَبُ
كَأَن لَمْ يَكُنِ وَالذَّهْرُ بِالنَّاسِ قَلْبُ
إِلَى أَيِّ قَوْمٍ وَالذَّمُّاءُ تَصَبَّبُ
عَلَيْهِ فَمَقْبُورٌ وَعَانٍ يُعَذَّبُ
تُبْكِي قَتِيلَا أَوْ صَدَى يَتَأَوَّبُ^(١٢)
يُقَاسِي الْأُمُورَ الْمُشْتَعِدَّ الْمُجَرَّبُ
لَعِبْتُ بِهِمْ إِذْ أَنْتَ بِالنَّاسِ تَلْعَبُ

(١) الجمعاج: الضيق الخشن الغليظ.

(٢) الكراع: الخيل. ويقال: فلان ما ينضح الكراع أي ضعيف الدفاع.

(٣) اليلمق: القباء.

(٤) ف: «يهد لسانه».

(٥) يذمر: يهدد.

(٦) ب، ف: «على السماحة».

(٧) ف: «يا عدي الله».

(٨) ب: «أفر عبيد والسيوف عن أمه».

(٩) العرصة: ساحة الدار، وهي البقعة الواسعة بين الدور التي ليس فيها بناء.

(١٠) المسالِح جمع مسلحة وهي موضع السلاح أو القوم ذوو السلاح.

(١١) ف: «يغسل جفنها».

(١٢) ف: «وكم حُرَّة زهراء». وفي ب، ما: «أو فتى يتأوب». ويتأوب: يرجع.

عَفَفْتُ عَلَى هِنْدٍ وَهِنْدٌ تُسَحِّبُ
بَسِيقَكَ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ تَحْزَبُوا
وَأَنْ كَثُرَ الْأَعْدَاءُ حَامٍ مُذَبِّبٌ^(٢)
وَعِرْقٌ لَكُمْ فِي آلِ مَيْسَانَ يَضْرِبُ

[٢٨٢/١٨]

فَلَوْ كُنْتَ حُرّاً أَوْ حَفِظْتَ وَصِيَّةً
/ وَقَاتَلْتَ حَتَّى لَا تُرَى لَكَ مَطْمَعاً^(١)
وَقُلْتَ لَأُمِّ الْعَبِيدِ أُمُّكَ: إِنَّنِي
وَلَكِنْ أَبِي قَلْبٌ أُطِيرَتْ بَنَاتُهُ^(٣)
وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَيْضاً:

عُبَيْدُ اللَّهِ عُبَيْدُ بَنِي عِلَاجٍ
يُزِنَنَّ عَلَيْكُمْ نَقْعُ الْعَجَاجِ
فَمَا فِي الَّذِينَ بَعْدَكَ مِنْ حِجَاجٍ^(٤)
قُرَى أَبَائِكَ النَّبِطِ الْعَجَاجِ!^(٥)

أَلَا أَيْلُغُ عُبَيْدُ اللَّهِ عُنِّي
عَلَيَّ لَكُمْ قَلَائِدُ بَاقِيَاتٍ
تَدْعِيكَ الْخَضَارِمَ مِنْ قُرَيْشٍ
أَبْنُ لِي هَلْ يَنْشُرُ بَزْدٌ وَزْدٌ
وَقَالَ فِيهِ أَيْضاً:

كَذَاكَ نَسْبُهُ وَكَذَاكَ كَانَا
جَعَلْتَ لِأَنْتِ أُمُّكَ دَيْدَبَانَا^(٦)
وَتَمْنَعُ أُمُّكَ النَّبِطَ الْبِطْنَانَا

١٦
١٧

عُبَيْدُ اللَّهِ عُبَيْدُ بَنِي عِلَاجٍ
أَعْبَدَ الْحَارِثَ الْكِنْدِيَّ أَلَا
/ فَتَسْتُرْ عَوْرَةَ كَانَتْ قَدِيمَا
وَقَالَ يَهْجُو عُبَيْدُ اللَّهِ وَعَبَادًا، أَنْشَدَنَاهُ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ، عَنْ دِمَازٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ،
وَهَذَا مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ طَوِيلَةٌ أَوَّلُهَا:

وَكُلُّ وَصَالٍ حَبْلِي لَا نَقْطَاعِ

جَرَتْ أُمُّ الظُّبَاءِ بَيْنَ لَيْلَى
/ يَقُولُ فِيهَا:

وَلَا أَمْرٍ يَضِيقُ بِهِ ذِرَاعِي
وَلَمْ أَكُ بِالْمُضَلَّلِ فِي الْمَسَاعِي
لِثَامِ النَّاسِ يُغْضِ عَلَيَّ الْقَذَاعِ^(٨)
بِكُفْيِ^(٩) إِذْ تُنَازِعُنِي مَتَاعِي
كَذَاكَ دَوَاؤُنَا وَجَعُ الصُّدَاعِ

وَمَا لَأَقِيسْتُ مِنْ أَيْامِ بُؤْسٍ^(٧)
وَلَمْ تَكُ شِمِيمَتِي عَجْزاً وَلَوْ مَأً
سِوَى يَوْمِ الْهَاجِنِ وَمَنْ يُصَاحِبُ
حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ لَوْ سَلَا حِي
لِبَاشَرِ أُمِّ رَأْسِكَ مَشْرِفِي

[٢٨٣/١٨]

(١) ف: «مطمعاً».

(٢) مذهب: مدافع.

(٣) ب: «ثيابه».

(٤) ف: «خلاج». والخضارم جمع خضرم، وهو السيد الحمول أو الجواد المعطاء.

(٥) ما، مد: «بربي إيليا النبط العجاج». وفي ب، س: «فربي إيليا...». وزندورد: بلد قرب واسط، والعجاج: رعاة الناس (قاموس).

(٦) الديدبان: الرقيب.

(٧) ف: «شر».

(٨) القذاع: الفحش والمشاتمة.

(٩) ف: «لو بكفي سلاحي».

أَفِي أَحْسَانِنَا تُزْرِي عَلَيْنَا
تَبَغَيْتَ الدُّنُوبَ عَلَيَّ جَهْلًا
فَمَا أَسْفِي عَلَى تَرْكِي سَعِيدًا
ثَنَايَا الْوَبَرِ عَبْدَ بَنِي عِلَاجٍ
إِذَا مَا رَايَةً رُفَعْتَ لِمَجْدٍ
فَأَيَّرُ فِي أَسْتِ أُمِّكَ مِنْ أَمِيرٍ
وَلَا بُلْتُ سَمَاؤُكَ مِنْ أَمِيرٍ
أَلَمْ تَرِ إِذْ تُحَالِفُ حِلْفَ حَرْبٍ
وَكَدْتَ تَمُوتُ أَنْ صَاحَ ابْنُ آوَى
وَيَوْمَ فَتَحْتَ سَيْفَكَ مِنْ بَعِيدٍ
/ إِذَا أَوْدَى مُعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ
فَأَشْهَدُ أَنَّ أُمِّكَ لَمْ تُبَاشِرْ
وَلَكِنْ كَانَ أَمْرًا فِيهِ لُبْسٌ

[٢٨٤/١٨]

قال: وكان عباد في بعض حروبه ذات ليلة نائماً في عسكره، فصاحت بنات آوى، فثارت الكلاب إليها، ونفر بعض الدواب ففرع عباد وظنها كبسة من العدو، فركب فرسه ودَّهش، فقال: افتحوا سيفي، فعيَّره بذلك ابن مفرغ. ومما قاله ابن مفرغ في هجاء بني زياد وغنى فيه:

صوت

كَمْ بِالْأُذْرُوبِ وَأَرْضِ الْهِنْدِ مِنْ (٨) قَدَمٍ
وَمِنْ سَرَايِيلِ أَبْطَالٍ مُضَرَّجَةٍ
بِقُنْدُهَارٍ (١٠) وَمَنْ تُحْتَمِ مَنِيَّةُ
غَنَى فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ ابْنُ جَامِعٍ:
أَجَدَ أَهْلُكَ، لَا يَأْتِيهِمْ خَبَرٌ
/ وَلَمْ تَكَلِّمْ قُرَيْشَ فِي حَلِيفِهِمْ

١٧

(١) ف: «وأنت هبلت زائدة الكراع». والكراع من كل شيء: طرفه.

(٢) امرأة لكراع: لثيمة، ولم يرد هذا البيت في ف.

(٣) ف: «عبدا». والوبر: حيوان في حجم الأرنب.

(٤) البراع: الجبان. وجاء هذا البيت في ف مكان الذي قبله.

(٥) «ولا بلت سماءك»: يدعو عليه بالجدب. والمعرس: مكان التعريس أي التزول.

(٦) ف: «عددت».

(٧) القعب: القدح الضخم. وفي «المختار»: «شعب قلبك».

(٨) ب، ما، مد: «... وأرض الروم من قزم». وفي «معجم ياقوت»: «كم بالجروم...».

(٩) خاموا: جبنوا. وفي ف: «ما خافوا».

(١٠) في «معجم ياقوت»: قندهار: مدينة من بلاد السند أو الهند، سار إليها عباد بن زياد وفتحها.

لو أَنِّي شَهِدْتُني جَنِيْرُ غَضِبْتُ إِذَا فَكَانَ لَهَا فِيمَا جَرَى غَيْرُ
رَهْطُ الْأَعْرُ شَرَّاجِيلِ بْنِ ذِي كَلْع وَرَهْطُ ذِي فَائِشٍ مَا فَوْقَهُمْ بَشَرُ^(١)
قُولًا لَطَّلَحَ مَا أَغْنَتْ صَحِيفَتَكُمْ وَهَلْ لَجَارِكَ إِذَا أوردَتْهُ صَدْرُ!
/ فَمَنْ لَنَا بِشَقِيقِي أَوْ بِأُسْرَتِهِ وَمَنْ لَنَا بِنَبِيِّ ذُفْلٍ إِذَا خَطَرُوا!
هُمُ الَّذِينَ سَمَوْا وَالْخَيْلُ عَابِسَةٌ وَالنَّاسُ عِنْدَ زِيَادٍ كُلُّهُمْ حَذِرُ
لَوْلَاهُمْ كَانَ سَلَامٌ يَمُنُّ زِلْتِي أَوْلَى لَهُمْ ثُمَّ أَوْلَى بَعْدَ مَا ظَفَرُوا

[٢٨٥/١٨]

أخبرني محمد بن خلف، عن أبي بكر العامري، عن إسحاق بن محمد، عن القحذمي^(٢) قال: هجا سلام
الرافعي مقاتل^(٣) بن مسمع فقال فيه:

أَبَى لَكَ يَا ذَا الْمَجْدِ أَنْ تُقَاتِلَا زَنَى وَاسْتَحَلَّ الْفَارِسِيُّ الْمُشْعَشَعَا^(٤)

في أبيات هجاه بها فحبسه مقاتل بالعربة^(٥) فركب شقيق بن ثور في جماعة من بني ذهل إلى الحبس
فأخرجه؛ ففصر به ابن مفرغ المثل في الشعر الماضي.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو عبد الله اليماني، قال: حدثنا الأصمعي، عن
عبد الرحمن بن أبي الزناد قال:

قال لي عبيد الله بن زياد: ما هجيت بشيء أشد علي من قول ابن مفرغ:

فَكَّرْ؛ ففِي ذَاكَ إِنْ فَكَّرْتَ مُعْتَبِرُ هَلْ نَلْتَ مَكْرُمَةً إِلَّا بِتَأْمِيرِ!
عَاشَتْ سُمَيَّةٌ مَا تَذِرِي وَقَدْ عَمَرْتَ أَنْ أَبْنَاهَا مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْجَمَاهِيرِ

وروى^(٦) البيهقي في روايته عن الأخول: قال أبو عبيدة:

كان زياد يزعم أن أمه سميّة بنت الأعور من بني عبد شمس بن زيد مناة بن تميم، فقال ابن مفرغ يرّد ذلك
عليه:

فَأَقْسِمَ مَا زِيَادٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَا كَانَتْ سُمَيَّةٌ مِنْ تَمِيمٍ
وَلَكِنْ نَسْلُ عَبْدٍ مِنْ بَعِيٍّ عَرِيقِ الْأَصْلِ فِي النَّسَبِ اللَّثِيمِ

/ يتابع هجاء ابن زياد ويرميه بالأبنة

[٢٨٦/١٨]

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ قال: أنشدني أبو عبيدة لابن مفرغ يهجو ابن زياد ويرميه
بالأبنة:

أَبْلَغُ قُرَيْشًا قَضَاهَا وَقَضِيضُهَا أَهْلَ السَّمَاحَةِ وَالْحُلُومِ الرَّاجِحَةِ

(١) ب: «ذي قابس». وفي ما: «ما مثلهم بشر».

(٢) ما، مد، ب: القحذمي «تصحيف». والقحذمي هو الوليد بن هشام القحذمي.

(٣) ف: «مهلهل بن مسمع».

(٤) ب، مد: «أما لك...». واستحل الفارسي المشعشعا يريد الخمر.

(٥) العربة: موضع. وفي مد: «بالغربة»، تصحيف. وفي ب: «بالغرفة»، تحريف.

(٦) ف: «وقال البيهقي».

أَنْسِي ابْتُلَيْتَ بِحَيَّةٍ سَاوَزْتُه^(١) بَيْدَ لَعْمَرِي لَمْ تَكُنْ لِي رَابِحَةً
صَفَقَ الْمُبَحَّلُ صَفْقَةً مَلْعُونَةً جَرَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَلَايَا فَادِحَةً^(٢)
شَتَانٌ مَنْ بَطَحَاءُ مَكَّةَ دَارُهُ وَيَبْنُو الْمُضَافِ إِلَى السُّبَاخِ الْمَالِحَةِ
جَعَدَتْ أَنْامِلُهُ وَلَا مَنَاجِرَهُ وَبِذَاكَ تُخْبِرُنَا الظُّبَاءُ السَّانِحَةِ
فَإِذَا أُمِّيَّةٌ صَلَصَلَتْ أَحْسَانُهَا فَبُنُو زِيَادَ فِي الْكِلَابِ النَّابِحَةِ
قَالُوا: يُنَاكَ، فَقُلْتُ: فِي جَوْفِ اسْتِهِ وَبِذَاكَ خَبَّرَنِي الصَّدُوقُ الْقَاضِيحَةَ
لَمْ يَبْقَ أَيْرُ اسْوَدَّ أَوْ أَيْبَضُ إِلَّا لَهُ اسْتُكَ فِي الْخَلَاءِ مُصَافِحَةَ

مقتل عبيد الله وشعر ابن مفرغ في ذلك

وأخبرني إبراهيم بن السري بن يحيى، قال: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، قَالَ:

لَمَّا قُتِلَ / عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَوْمَ الزَّابِ، قَتَلَهُ أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ وَيُقَالُ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْثَرِ حَمَلَ عَلَى كَتِيبَتِهِ فَانْهَزَمُوا، وَلَقِيَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَضْرَبَهُ فَقَتَلَهُ، وَجَاءَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: إِنِّي ضَرَبْتُ رَجُلًا فَقَدَدْتُهُ نِصْفَيْنِ فَشَرَّقْتُ يَدَاهُ وَغَرَبْتُ رِجْلَاهُ، وَفَاحَ مِنْهُ الْمِسْكُ، وَأَظْلَهُ ابْنُ مَرْجَانَةَ، وَأَوْمَأَ لَهُمْ إِلَى مَوْضِعِهِ، فَجَاءُوا إِلَيْهِ وَفَتَشُوا عَلَيْهِ، فَوَجَدُوهُ كَمَا ذَكَرَ، وَإِذَا هُوَ ابْنُ زِيَادٍ، فَقَالَ ابْنُ مَفْرَغٍ يَهْجُوهُ:

إِنَّ الَّذِي عَاشَ خَتَّارًا^(٣) بِذِمَّتِهِ وَعَاشَ عَبْدًا قَتِيلُ اللَّهِ بِالزَّابِ
الْعَبْدُ لِلْعَبْدِ لَا أَضِلُّ وَلَا طَرَفُ^(٤) أَلَوْثٌ بِهِ ذَاتُ أَظْفَارٍ وَأَنْيَابِ
إِنَّ الْمَنَاسِيَا إِذَا مَا زُرْنَ^(٥) طَاغِيَةً هَتَكُنْ عَنْهُ سُتُورًا يَبِينُ أَبْوَابِ
/ هَلَا جُمُوعٌ نِزَارٍ إِذَا لَقِيَتْهُمْ كُنْتَ أَمْرًا مِنْ نِزَارٍ^(٦) غَيْرَ مُرْتَابِ
لَا أَنْتَ زَاخَمْتَ عَنْ مُلْكٍ فَتَمَنَعَهُ وَلَا مَدَدْتَ إِلَى قَوْمٍ بِأَسْنَابِ^(٧)
مَا شَقَّ جَيْبٌ وَلَا نَاحَتُكَ نَائِحَةٌ وَلَا بَكْتُكَ جِيَادٌ عِنْدَ أَسْلَابِ
لَا يَتَرُكُ اللَّهُ أَنْفًا تَغْطِئُونَ بِهَا بَنِي الْعَبِيدِ شُهُودًا غَيْرَ غِيَابِ
أَقُولُ بَعْدًا وَسُخْقًا عِنْدَ مَضْرَعِهِ لِابْنِ الْخَيْثَةِ وَابْنِ الْكَوْدَنِ الْكَابِي^(٨)

[٢٨٧/١٨]

الحسين بن علي يتمثل بالبيتين الأخيرين من هذه القصيدة

والقصيدة المذكورة بها غناء فيه منها، وقال:

حَيِّ ذَا الزُّوَرِ وَانْهَهُ أَنْ يُعْوَدَا إِنَّ بِالْبَابِ حَارِيسِينَ قَعُودَا

(١) ب: «ساورتهم». والحية: الأفعى (تذكر وتوث) فيقال: هو الحية وهي الحية.

(٢) لم يرد هذا البيت والذي بعده في ف.

(٣) الختار: الغادر.

(٤) الطرف: الشريف.

(٥) ب: «رزن».

(٦) ف، «التجريد»: «من قرش».

(٧) «التجريد»، ف: «بأحساب».

(٨) الكودن: البرذون الهجين أو البغل. والكابي: المنكب على وجهه.

من أساوير ما يُتُون قِيَاماً
(١) وطماطيم من مشايخ جُونِ (٢)
أَيُّ بِلَوَى مَعِيشَةٍ قَدْ بَلَوْنَا
ودهور لَقِينَا مُوجِعَاتِ
فصبرنا على مواطن ضِيقِ
ظَلَّ فِيهَا النَّصِيحُ يُرْسِلُ سِرّاً
أَفَانَسَ مَا هَكَذَا صَبْرُ إُنْسِ
لَا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِ الصُّبْحِ مُغَيَّراً وَلَا دُعَيْتُ يَزِيداً (٣)
يَوْمَ أُعْطِيَ مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضَيْمًا
وَالْمَنَايَا يَرْصُدُنِي أَنْ أَحِيداً (٤)

/ قال: وهي قصيدة طويلة.

وَتَمَثَّلُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ عِنْدَ بَيْعَةِ يَزِيدَ:
لَا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِ الصُّبْحِ مُغَيَّراً وَلَا دُعَيْتُ يَزِيداً
يَوْمَ أُعْطِيَ مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضَيْمًا
وَالْمَنَايَا يَرْصُدُنِي أَنْ أَحِيداً

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى أَبُو مُوسَى الْعَجَلِيُّ الْعَطَّارُ بِالْكُوفَةِ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ (٤) بْنُ نَصْرِ بْنِ مُزَاحِمِ
الْمِقْرِي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي مَخْتَفٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوْفَلِ بْنِ
سَاحِقٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْمَقْبَرِيِّ قَالَ:

وَاللَّهِ لَرَأَيْتُ حُسَيْنًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ، يَعْتَمِدُ عَلَى هَذَا مَرَّةً، وَعَلَى هَذَا مَرَّةً، حَتَّى دَخَلَ
الْمَسْجِدَ وَهُوَ يَقُولُ:

لَا ذَعَرْتُ السَّوَامَ الْبَيْتَيْنِ.

قَالَ: فَقُلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ إِنَّهُ لَا يَلْبَثُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَخْرُجَ، فَمَا لَبِثَ أَنْ خَرَجَ فَلَحِقَ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ
قَالَ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ: رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٥). وَلَمَّا تَوَجَّهَ نَحْوَ مَكَّةَ قَالَ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ
تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٦).

مروان بن الحكم يعطيه ويكسوه

أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ، عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ:
لَمَّا قَدِمَ ابْنُ مُفَرِّغٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ مَعَ خَمْخَامِ الَّذِي وَجَّهَهُ إِلَيْهِ، فَانْتَزَعَهُ مِنْ عَبَادِ بْنِ زِيَادٍ، نَزَلَ عَلَى مَرْوَانَ بْنِ

(١ - ١) التكملة من ف.

(٢) «الشعر والشعراء» ١ - ٣٢٢: «وطماطيم من سبائيج غتم». والطماطيم: الأعاجم في لسانهم طمطمة أي عجمة لا يفصحون.

(٣) مد، ما: «لا دعوت». وفي «الشعر والشعراء» ١ - ٣٢٢: «لا ذعرت السوام في غلس الليل».

(٤) ب، مد، ما: «الحسن بن نصر».

(٥) القصص / ٢١.

(٦) القصص / ٢٢.

الحكم وهو يومئذ عند معاوية، فأعطاه وكساه، وقام بأمره واسترشد له كُلٌّ مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنْ بَنِي أَبِي الْعَاصِ^(١) / بن أمية، فقال ابنُ مُفَرِّغٍ يَمْدَحُهُ مِنْ قَصِيدَتِهِ:

[٢٨٩/١٨] / وَأَقْمَتُمْ سُوقَ الثَّنَاءِ وَلَمْ تَكُنْ
فَكَأَنَّمَا جَعَلَ الْإِلَٰهَ إِلَيْكُمْ
سُوقَ الثَّنَاءِ تُقَامُ فِي الْأَسْوَاقِ^(٢)
قَبْضَ الثُّفُوسِ وَقِسْمَةَ الْأَرْزَاقِ

كان يهوى أناهيد بنت الأعنق

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازُ، عَنْ أَبِي عبيدة قال:

كان ابنُ مُفَرِّغٍ يهوى أَنَاهِيدَ بِنْتَ الْأَعْنَقِ، وَكَانَ الْأَعْنَقُ دِهْقَانًا مِنَ الْأَهْوَازِ، لَهُ مَا بَيْنَ الْأَهْوَازِ وَسُرَّقٍ وَمَنَازِرِ
وَالشُّوسِ، وَكَانَ لَهَا أَخَوَاتٌ يُقَالُ لَهُنَّ أَسْمَاءُ وَالْجَمَانَةُ، وَآخَرَى قَدْ سَقَطَ عَنْ دِمَازُ، فَكَانَ يَذْكُرُهُنَّ جَمِيعًا فِي شِعْرِهِ،
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي صَاحِبَتِهِ أَنَاهِيدَ مِنْ أَيْبَاتِ:

سِيرِي أَنَاهِيدُ بِالْعَيْرَيْنِ أَمْنَةً
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ مَعْشَرًا جُبًّا^(٣)
السَّارِقِينَ إِذَا جَاعُوا نَزِيلَهُمْ
لَا تَأْمَنَنَّ جِزَامِيًّا نَزَلَتْ بِهِ
جَاوَزَ بَنِي خَلْفٍ تَحْمَذُ جَوْرَاهُمْ
وَالْمَطْعِمِينَ إِذَا مَا شَتْوَةٌ أَزْمَتْ
هُمْ خَيْرَ قَوْمِهِمْ إِنْ حَدَّثُوا صَدَقُوا
الْمَانِعِينَ مِنَ الْمَخْزَاةِ جَارَهُمْ
انْزِلْ بِطَلْحَةٍ يَوْمًا إِنْ مَنَزَلَهُ
قَدْ سَلَّمَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ بِهِمْ طَبَعُ^(٤)
وَلَا سَقَى دَارَهُمْ قَطْرًا وَلَا رُبْعًا
وَالْأَخْيَيْنِ بَطُونًا كُلَّمَا شَبِعُوا
قَوْمٌ لَدَيْهِمْ تَنَاهَى اللَّوْمُ وَالصَّرْعُ
الْأَعْظَمِينَ دَفَاعًا كُلَّمَا دَفَعُوا
فَالنَّاسَ شَتَّى إِلَى أَبْوَابِهِمْ شَرْعُ^(٥)
أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
وَالرَّافِعِينَ مِنَ الْأَدْنَى مَا صَنَعُوا
سَهْلُ الْمُبَاةَ بِالْعِلْيَاءِ مَرْتَفَعُ^(٦)

وفي أسماء اختها يقول:

[٢٩٠/١٨] / تَعَلَّقَ مِنْ أَسْمَاءَ مَا قَدْ تَعَلَّقَا
وَحَسْبُكَ مِنْ أَسْمَاءٍ نَائِيٍّ وَأَنْهَا
سَقَى هَزِيمُ الْإِرْعَادِ مُنْبَجِسُ الْعُرَى
وَتُسْتَرُ^(٨) لَا زَالَتْ خَصِيْبًا جَنَابُهَا
ومثل الذي لاقى مِنَ الْحُبِّ^(٦) أَرْقَا
إِذَا ذُكِرَتْ هَاجَتْ فُؤَادًا مُعَلَّقَا
مَنَازِلُهَا بِالْمَسْرُقَانِ فَسُرَّقَا^(٧)
إِلَى مَذْفَعِ السَّلَانِ مِنْ بَطْنِ دُورَقَا

(١) ف: «من بني العاص بن أمية».

(٢) ف: «وأقام سوقاً للثناء... تعد في الأسواق».

(٣) الطبع: الشين والعيب.

(٤ - ٤) التكملة من ف.

(٥) يقال: الناس في هذا شرع أي سواء.

(٦) ف، و «شرح نهج البلاغة»: «من الشوق». وفي «معجم البلدان»: «من الوجد».

(٧) «معجم البلدان»: «من مسرقان فسرقة»، ومسرقان: نهر بخوزستان عليه عدة قرى. وفي ف: «بالمشرفان فسرقة» تصحيف. وسُرَّقَ إحدى كتوز الأهواز. وفي «شرح نهج البلاغة»: «منبجس الكلبي» بدل «منبجس العري».

(٨) تستر: أعظم مدينة بخوزستان («ياقوت»).

إلى الكَوْنَج الأعلى إلى رامهرمز
إلى قريات الشيخ من فوق سَفَسَقَا^(١)
رامهرمز: بلد من أعمال الأهواز معروف.
بِلَادُ بَنَاتِ الْفَارَسِيَّةِ إِنَّهَا
سَقَتْنَا عَلَى لَوْحِ شَرَابٍ مُعْتَقَا^(٢)
يترك زوجته عند أخواله ويذهب إلى محبوبته أنهايد

أخبرني عمي، قال: حدثنا الكُرَانِي، قال: حدثنا العُمَرِي، عن الهيثم بن عدي، وأخبرنا هاشم بن محمد
قال: حدثنا دَمَازُ أَبُو غَسَّان، عن أبي عبيدة، قال:

لما فَصَّلَ ابْنُ مُفَرِّغٍ من عند معاوية، نَزَلَ بِالْمَوْصِلِ على أقواله من آل ذي العشاء من حمير، قال الهيثم في
روايته: فزَوَّجوه امرأة منهم - ولم يذكر ذلك أبو عُبَيْدَةَ - فلما كان اليوم الذي يكونُ البناء في لَيْلَتِهِ، خرج يَتَصَيَّدُ ومعه
غلامه بُرْد، فإذا هو بدهقان^(٣) على حمار يبيع عِطْرًا وأدهانًا. فقال له ابْنُ مُفَرِّغٍ: من أين أقبلت؟ قال: من الأهواز،
قال: ويحك! كيف خَلَفْتَ الْمَسْرُوقَانَ وَبَرَدَ مَائِهِ؟ قال: على حاله، قال: ما فعلت دِهْقَانَةً يقال لها أنهايد بنت أعنق؟
قال: أصديقة ابْنِ مُفَرِّغٍ؟ قال: نعم، قال: ما تَجِفَّتْ جُفُونُهَا من البكاء عليه، فقال لغلامه: أي بُرْد، أما تسمع؟ / قال: [٢٩١/١٨]
بلى، قال: هو بِالرَّحْمَنِ كافرٌ إن لم يكن هذا وجهي إليها، فقال له بُرْد: أكرمك القوم وقاموا دُونَكَ، وزَوَّجوك
كريمَتَهُمْ، ثم تصنع هذا بهم، وتُقدِّم على ابن زياد بعد خلاصك منه من غير أمره ولا عَهْدٍ منه ولا عَقْدٍ! أبتى أيها الرجل
على نفسك، وأقم بمَوْضِعِكَ، وابنِ بأهلك، وانظر في أمرِكَ، فَإِنْ جَدَّ عَزْمُكَ كُنْتَ حَيْثُذَ وما تختاره. قال: دَغْ ذا عنك،
هو بِالرَّحْمَنِ كافرٌ إن عَدَل^(٤) عن الأهواز ولا عَرَّجَ على شيء غيرها، ومضى لوجهه من غير أن يُعْلِمَ أهله، وقال قصيدته:

سَمَا^(٥) بَرَقَ الْجُمَانَةُ فَاسْتَطَارَا
قَعْدَتْ لَهُ الْعِشَاءُ فَهَاجَ شَوْقِي
دِيَارَ الْجُمَسَانَةِ مَقْفِرَاتُ
/ فلم أملك دُمُوعَ الْعَيْنِ مِثْلِي
بُشْرَقَ فَالْقُرَى مِنْ صَهْرَتَا^(٦)
فَقَلْتُ لَصَاحِبِي: عَرِّجْ قَلِيلًا
بِأَيَّةِ مَا غَدَا وَهُمْ جَمِيعُ
فَقَالَ: بَكَوْا لِفَقْدِكَ مِنْذُ حِينِ
بَدِجَلَةٍ فَاسْتَمَرَّ بِهِمْ سَفِينُ
كَأَن لَمْ أَغْنِ فِي الْعَرَصَاتِ مِنْهَا
لَعَلَّ الْبَرْقَ ذَاكَ يَحْوُرُ^(٧) نَارَا
وَذَكَّرَنِي الْمَنَازِلَ وَالذُّيَارَا
بَلِيْنٌ وَهَجْنٌ لِلْقَلْبِ اذْكَارَا
ولا النَّفْسَ الَّتِي جَاشَتْ مِرَارَا
فَدِيرَ الرَّاهِبِ الطَّلَلِ الْقِفَارَا
نُذَاكِرُ شَوْقِنَا الدُّرْسَ الْبَوَارَا
فَكَادَ الصَّبُّ يَنْتَحِرُ ائْتِحَارَا
زَمَانًا ثُمَّ إِنَّ الْحَيَّ سَارَا
يَشْقُ صُدُورُهَا اللَّجَجَ الْغَمَارَا
ولم أَذْعُرْ بِقَاعَتِهَا صَوَارَا^(٨)

٧٠
١٧

(١) ف: «إلى الكرج». وفي «شرح البلاغة»: «إلى الشرف الأعلى... إلى قريات الشيخ من أنهر أربقا».

(٢) ف: «بنات» بدل «بنات»، و«شراباً مروقاً» بدل «شراباً معتقاً».

(٣) ب، مد، ما: «بدهان».

(٤) ف: «إن عاج عن الأهواز».

(٥) ب، ما، مد: «سقى».

(٦) يحور: يرجع.

(٧) ب، ما، مد: «صهرتاج»، تصحيف، وهي موضع بالأهواز. («معجم ياقوت»).

(٨) الصَّوَارُ (بالضم ويكسر): القطيع من البقر.

ولم أسمع غناءً من خليل وصوت مقرطقي خلع العذارا^(١)

قال: [٢٩٢/١٨] فقدم البصرة فذكر لعبيد الله بن زياد مقدمه، فلم يعرض له، وأرسل / إليه أن أقم آمناً، فأقام بالبصرة شهراً يختلف من البصرة إلى الأهواز، فيزور أناهيد، ويقيم عندها.

ثم أتى عبيد الله بن زياد فقال له: إني امرؤٌ لي أعداء، ولست آمنُ بعضهم أن يقول شيئاً على لساني يحفظ الأمير علي، وأحب أن يأذن لي أن أتحنى عنه، فقال له: حلٌ حيث شئت، فخرج حتى قدم على شريك بن الأعور الحارثي وهو يومئذ عاملُ عبيد الله بن زياد على فارس وكرمان، فأعطاه ثلاثين ألف درهم، فقدم بها الأهواز فأعطاه أناهيد.

ذهب إلى عبيد الله بن أبي بكر فأعطاه وأكرمه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال:

حدثني محمد بن الحكم، عن عوانة:

أن عبيد الله بن أبي بكر كتب إلى يزيد بن مفرغ: إني قد توجهت إلى سجستان فالحق بي، فلعلك إن قدمت علي ألا تندم ولا يذم رأيك. فتجهز ابن مفرغ وخرج حتى قدم سجستان مُسبياً، فدخل عليه فشغله بالحديث، وأمر له بمنزل^(٢) وفرش وخدم، وجعل يطاوله حتى علم أنه قد استتم له ما أمر له به، ثم صرفه إلى المنزل الذي قد هبى له، ثم دعا به في اليوم الثاني فقال له: يا بن مفرغ، إنك قد تجشمت إلي شقة بعيدة، وأوسع لك الأمل فرحلت إلي لأقضي عنك دينك ولأغنيك عن الناس، وقلت: أبو حاتم بسجستان فمَن لي بالغنى^(٣) بعده! فقال: والله ما أخطأت أيها الأمير ما كان في نفسي، فقال عبيد الله: أما والله لأفعلن^(٤) ولأقعلن^(٥) لبثك عندي، ولأحسن صلتك، وأمر له بمائة ألف درهم، ومائة وصيفة^(٦) ومائة نجبية^(٧) / وأمر له بما يُنفقه إلى أن يبلغ بلده سوى المائة ألف، وبمن يكفيه الخدمة من غلمان وأعوانه^(٨)، وقال له: إن من خفة السفر ألا تهتم بخف ولا حافر، وكان مقامه عنده سبعة أيام.

ثم ارتحل وشيعة عبيد الله^(٩) إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها: زلق، ثم قال له: يابن مفرغ، إنه ينبغي للمودع أن ينصرف، وللمتكلّم أن يسكت، وأنا من قد عرفت، فأبقِ على الأمل وحسن ظنك بي ورجائك في، وإذا بدا لك أن تعود فعد، والسلام.

قال: وسار ابن مفرغ حتى أتى رامهرمز، فنزل بقرية^(١٠) أبجر، فنزلت إليه بنتُ الأبجر فقالت: يابن مفرغ، لمن هذا المال؟ قال: لابنة أعتق دهقانة الأهواز، وإذا رسولها في القافلة بكتابها: إنك لو كنت على العهد الأول لتعجلت إلي ولم تسير ثقلاً، ولكن قد علمت أن المال الذي أعطاكه عبيد الله قد شغلك عني، / قال: فأعطى رسولها مالاً على أن يقول فيه خيراً، وقد قال لابنة أبجر في جواب قولها له:

(١) ف: «وصوت مقصب خلع العذارا». والمقرطق: الذي يلبس القرطق؛ وهو قباء ذو طاق واحد (معرب).

(٢) ف: «وأمر له سرّاً بمنزل وفرش».

(٣) ب: «بالغناء».

(٤) ب، مد: «ولأقيم لبثك».

(٥) ف: «ومائة وصيفة ومائة وصيف، ومائة نجبية...».

(٦) ف: «من غلمان ومواليه».

(٧) ف: «عبيد الله بن أبي بكر».

(٨) ف: «بقلمة أبجر».

حَبَانِي عُيَيْدُ اللَّهِ يَا بِنَّةً أَبْجِرَ
يَقَرَّ بَعِينِي أَنْ أَرَاهَا وَأَهْلَهَا
وَحُبَّرُهَا قَالَتْ: لَقَدْ حَالَ بَعْدُنَا
وَقُلْتُ لَهَا لَمَّا أَتَانِي رَسُولُهَا
أُحِبُّكَ مَا دَامَتْ بَنَجْدُ وَشِجَّةٌ^(١)
وَإِنِّي مَلِيَّةٌ يَا جُمَانَةَ بِالْهَوَى

بهذا، وهذا للجُمَانَةِ أَجْمَعُ
بِأَفْضَلِ حَالٍ ذَاكَ مَرَأَى وَمَسْمَعُ
فَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي إِلَيْهَا تَطْلَعُ
وَأَيُّ رَسُولٍ لَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
وَمَا رُفِعَتْ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ إَصْبَعُ
وَصِدْقِ الْهَوَى إِنْ كَانَ ذَلِكَ يُقْنِعُ

/ قال: فلما انتهت رُسُلُ عُيَيْدِ اللَّهِ بن أبي بكرة معه إلى الأهواز قالوا له: قد بلغنا حيث أُمِرْنَا، قال: أجل، ثم [٩٤/١٨] أمر ابنةً أَعْتَقَ أَنْ تَفْتَحَ الباب وقال لها: كُلُّ مَا دَخَلَ دَارَكَ فَهُوَ لَكَ.

يملح عبید الله بن أبي بكرة

وأقام بالأهواز، ودعا نُدَمَاءَ كانوا له مِنْ فِتْيَانِ الْعَرَبِ فلم يبقَ ظَرِيفٌ وَلَا مُغْنٍ إِلَّا أَنَاهُ، وَاسْتَمَاحَهُ جَمَاعَةً قَصَدُوهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالشَّامِ فَأَعْطَاهُمْ، وَلَمْ يُفَارِقْ أَنَاهِيْدَ وَمَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ، وَجَعَلَ الْقَوْمُ يَسْأَلُونَهُ عَنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ وَكَيْفَ هُوَ وَأَخْلَاقُهُ وَجُودُهُ فَقَالَ:

يُسَائِلُنِي أَهْلُ الْعِرَاقِ عَنِ النَّدَى
فَتَى حَاتِمِي فِي سِجِسْنَانَ رَحْلِهِ
سَمَائِلِ نَالَ الْمَكْرُمَاتِ فَنَالَهَا
وَحِلْمٌ إِذَا مَا سَوْرَةُ الْحَقْدِ^(٢) أَطْلَقَتْ
وَأَنَّ لَهُ فِي كُلِّ حَيٍّ صَنِيعَةً
دَعَانِي إِلَيْهِ جَسُودُهُ وَوَفَاؤُهُ
فَلَمْ أَبْقَ إِلَّا جُمُوعَةً فِي جَوَارِهِ
إِلَى أَنْ دَعَانِي زَانَهُ اللَّهُ بِالْعُلَا
وَقَالَ: إِذَا مَا شِئْتَ يَا بَنَ مَفْرَغُ
فَقُلْتُ لَهُ - لَا يُعِيدُ اللَّهُ دَارَهُ -:
وَأَحْمَدْتُ وَرَيْدِي إِذْ وَرَدْتُ حِيَاضَهُ
/ فَاصْبَحَ لَا يَرْجُو الْعِرَاقُ وَأَهْلُهُ
وَإِنَّ عُيَيْدَ اللَّهِ هَتَا رَفْدَهُ

فَقُلْتُ: عُيَيْدُ اللَّهِ حَلَفَ الْمَكَارِمِ
وَحَسْبُكَ جُودًا أَنْ يَكُونَ كَحَاتِمِ
بِشِدَّةِ ضِرْغَامٍ وَبَذَلِ الدَّرَاهِمِ
حُبَّ الْقَوْمِ عِنْدَ الْفَادِحِ الْمُتَفَاقِمِ
يُحَدِّثُهَا الرُّكْبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ
وَمِنْ دُونِ مَسْرَاهِ عُدَاةُ الْأَعْيَاجِمِ
وَيَوْمِيْنَ حِلًّا مِنْ أَلْيَةِ آئِمِ^(٣)
فَأَنْبَتَ رِيشِي مِنْ صَمِيمِ الْقَوَادِمِ^(٤)
فَعُدَّ عَوْدَةً لَيْسَتْ كَأَضْغَاثِ حَالِمِ
أَعْسُودُ إِذَا مَا جَنَّتْكُمْ غَيْرَ حَاشِمِ
وَكُلُّ كَرِيمٍ نُهْزَةٍ^(٥) لَأَكَارِمِ
سِوَاهُ لَنْفَعِ أَوْ لِدَفْعِ الْعِظَائِمِ
سَرَّاحًا وَأَعْطَى رَفْدَهُ غَيْرَ غَانِمِ^(٦)

[٢٩٥/١٨]

(١) الوشيجة: عرق الشجرة.

(٢) ف، «المختار»: «سورة الجهل». وسورة الحقد: حدثه وشدته.

(٣) الآية: القسم. وفي ف، «المختار»: «فلم أثو» بدل «فلم أبقي».

(٤) ف، «المختار»: «فأنبت من ريشي مهبط القوادم».

(٥) النهزة: الفرصة.

(٦) هتأ رفته: أكثره. وفي «المختار»: «غير عاتم» أي غير كاف عنه بعد أن مضى فيه.

يخدع عمه في أناهيد

وقال الهيثم في خبره: كان عمرو بن مفرغ، عم يزيد بن ربيعة بن مفرغ، رجلاً له جاه وقدر عند السلطان، وكان ذا مال وثروة، وذا دين وفضل وصلاح، فكان يُعْتَفَ ابن أخيه في أمر أناهيد عَشِيقَتِهِ، ويعذله ويُعِيرُهُ بها، فلما أكثر عليه أتاه يوماً فقال له: يا عم، جُعِلْتُ فداك، إن لي بالأهواز حاجة، ولي على قوم بها نحو من ثلاثين ألف درهم قد خفت أن تتوى^(١) عليّ، فإن رأيت أن تتجشّم العناء معي إليها حتى تطالب لي بحقي، وتعينني بجاهك^{٧٢} على غرمائي. / وكان عمرو بن مفرغ قد استخلفه ابن عباس عليها؛ إذ كان عامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى آله على البصرة، وكان عامل الأهواز - حين سأل ابن مفرغ عمه أن يخرج معه - ميمون بن عامر أخو بني قيس بن ثعلبة الذي يقال لدراهمه اليوم الميمونية^(٢). فلم يزل ابن مفرغ بعمه حتى أجابه إلى الخروج فاستأجر سفينة وتوجه إلى الأهواز، وكتب إلى أناهيد أن تهَيِّي وتزَيّني بأحسن زيتك، واخرجي إليّ مع جواريك فلاني موافيك، ومنزلها يومئذ بين سُرَق ورامهرمز.

فلما نزلوا منزلها خرجت إليهم. وجلست معهم في هيئتها وزيتها وحليتها وآلتها، فلما رآها عمه قال له: قَبَحَكَ الله! أفهلأ إذ فعلت ما فعلت كنت عِلقت مثل هذه! ^(٣) فقال: يا عم، أو قد أعجبتك؟ فقال: ومن لا تعجبه هذه^(٤) قال: ألجأ هذا منك؟ قال: نعم والله، قال: فإنها والله هذه بعينها، فقال: يا خبيث إنما أشخصتني لهذا، يا غلام ارحل بنا. فانصرف عمه إلى البصرة / وأقام هو معها، ولم يزل يتردد كذلك حتى مات في الطاعون في أيام مصعب بن الزبير. [٢٩٦/١]

لزوم غرمائه له لديون ركبته واحتياله لقضائهما

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا القحذمي قال:

لزم يزيد بن مفرغ غرماءه بدين، فقال لهم: انطلقوا نجلس على باب الأمير، عسى أن يخرج الأشراف من عنده فيروني فيقضوا عني، فانطلقوا به، فكان أول من خرج إما عمرو بن عبيد الله بن معمر وأما طلحة الطلحات، فلما رآه قال: أبا عثمان، ما أفعدك ها هنا؟ قال: غرمائي هؤلاء لزوموني بدين لهم عليّ، قال: وكم هو؟ قال: سبعون ألفاً، قال: عليّ منها عشرة آلاف درهم.

ثم خرج الآخر على الأثر، فسأله ما سأل صاحبه، فقال: هل خرج أحد قبلي؟ قالوا: نعم، فلان، قال: فما صنع؟ قالوا: ضمن عشرة آلاف درهم، قال: فعليّ مثلها.

ابن أبي بكرة يقضي دينه فيمده

قال: ثم جعل الناس يخرجون، فممنهم من يضمن الألف إلى أكثر من ذلك، حتى ضمنوا أربعين ألفاً^(٤).

وكان يأمل عبيد الله بن أبي بكرة، فلم يخرج حتى غربت الشمس، فخرج مبادراً، فلم يره حتى كاد يبلغ بيته،

(١) تتوى: تذهب وتهلك.

(٢) ب: «المأمونية».

(٣-٣) تكلمة من ف.

(٤) ف: «أربعين ألف درهم».

فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ مَرَرْتَ بِابْنِ مُفَرَّغٍ مَلْزُومًا^(١)، وَقَدْ مَرَّ بِهِ الْأَشْرَافُ فَضَمِنُوا عَنْهُ، فَقَالَ: وَاسْوَأُتَاهَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَظُنَّ أَنِّي تَغَافَلْتُ عَنْهُ، فَكَّرْتُ رَاجِعًا، فَوَجَدَهُ قَاعِدًا، فَقَالَ لَهُ: أَبَا عُثْمَانَ مَا يَجْلِسُكَ هَا هُنَا؟ قَالَ: غَرَمَائِي هَؤُلَاءِ يَلْزِمُونِي، قَالَ: / كَمْ عَلَيْكَ؟ قَالَ: سَبْعُونَ أَلْفًا، قَالَ: وَكَمْ ضَمِنَ عَنْكَ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ أَلْفًا، قَالَ: فَاسْتَمْتَعْ بِهَا وَعَلَيَّ دَيْنُكَ [٩٧/١٨] أَجْمَعُ، فَقَالَ فِيهِ يَخَاطَبُ نَفْسَهُ:

لَوْ شِئْتُ لَمْ تَغْنَيَ وَلَمْ تَنْصَبِي	عَشْتُ بِأَسْبَابِ أَبِي حَاتِمٍ
عَشْتُ بِأَسْبَابِ الْجَوَادِ الَّذِي	لَا يَخْتِمُ الْأَمْوَالَ بِالْخَاتِمِ
مَنْ كَفَتْ بُهْلُولُ لَهُ عُدَّةٌ ^(٢)	مَا إِنْ لَمَنْ عَادَاهُ مِنْ عَصِصِ
الْمُطْعِمِ النَّاسِ إِذْ حَارَدَتْ	نَكْبَاؤُهَا فِي الزَّمَنِ الْعَارِمِ ^(٣)
وَالْفَاصِلِ الْخَطَةِ يَوْمَ اللَّجَا	لِلْأَمْرِ عِنْدَ الْكُرْبَةِ الْإِلَازِمِ
جَاوَرَتْهُ حِينَئِذٍ فَأَخَمَدَتْهُ	أُنْثَى وَمَا الْحَامِدُ كَالْأَلَامِ
كَمْ مِنْ عَدُوٍّ شَامِتٍ كَاشِحٍ	أَخْزَيْتَهُ يَوْمًا وَمِنْ ظَالِمٍ
/ أَذَقْتَهُ الْمَوْتَ عَلَى غِرَّةٍ	بِأَيُّضٍ ذِي رَوْثٍ صَارِمٍ

٧٣
١٧

بُدَيْعٍ يَغْنِي شِعْرًا لِبْنِ مَفْرَغٍ فَيَصِلُهُ وَيَكْسُوهُ

أَخْبَرَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

قَدِمَ بُدَيْعٌ^(٤) الْكُوفَةَ، فَغَنَى بِهَا دَهْرًا، وَأَصَابَ مَالًا كَثِيرًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ، ثُمَّ أَتَى الْأَهْوَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَصَحَبَ ابْنَ مُفَرَّغٍ^(٥) فِي سَفِينَةٍ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي نَهْرِ مَغْقِلٍ تَغْنَى وَهُوَ لَا يَعْرِفُ ابْنَ مُفَرَّغٍ بِقَوْلِهِ:

٩٨/١٨]

/ سَمَّا بَرْقُ الْجُمَانَةِ فَاسْتَطَارَا لَعَلَّ الْبَرْقَ ذَاكَ يَعُودُ نَارًا^(٦)

قَالَ: فَطَرَبَ ابْنُ مُفَرَّغٍ وَقَالَ: يَا مَلَّاحُ، كُنَّا بَنَّا إِلَى الْأَهْوَا، فَكَّرَ وَهُوَ يُغْنِيهِ، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا إِلَى الْبَصْرَةِ، وَكَرَّوَا مَعَهُ، وَهُوَ يُعِيدُ هَذَا الصَّوْتَ. قَالَ: وَوَصَلَ ابْنُ مُفَرَّغٍ بُدَيْحًا^(٧) وَكَسَاهُ.

٩٩/١٨]

الصوت

رَضِيْتُ الْهَوَى إِذْ حَلَّ بِي مُتَخَيِّرًا	نَدِيمًا وَمَا غَيْرِي لَهُ مِنْ يُنَادِمُهُ
أَعَاطِيهِ كَأَسَّ الصَّبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	يُقَسِّمُئِنَّهَا مَرَّةً وَأُقَسِّمُهُ

يَقَالُ: إِنَّ الشَّعْرَ لِبَشَّارٍ، وَالْغَنَاءَ لِلزُّبَيْرِ بْنِ دَخْمَانَ، هَزَجٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ وَأَحْمَدُ بْنُ الْمَكِّيِّ.

(١) لَزِمَ الْمَالَ فَلَانًا: وَجِبَ عَلَيْهِ، فَهُوَ مَلْزُومٌ.

(٢) الْبُهْلُولُ: السَّيِّدُ الْجَامِعُ لَصِفَاتِ الْخَيْرِ. وَفِي ب: «لَهُ غُرَّةٌ».

(٣) حَارَدَتِ السَّنَةُ: قَلَّ مَطَرُهَا. وَالنَّكْبَاءُ: رِيحٌ أَنْجَرَتْ عَنْ مِهَابِ الرِّيَّاحِ. وَالزَّمَنُ الْعَارِمُ: الشَّدِيدُ.

(٤) ب: «بُدَيْي».

(٥) ف: «ابْنُ مَفْرَغٍ الْحَمِيرِيِّ».

(٦) ف: «يَحُورُ نَارًا».

(٧) ب: «بُدَيْيَا».

/ أخبار الزبير بن دحمان

[٣٠٠/١]

قدم على الرشيد من الحجاز والمغنون حزبان

قد مَضَتْ أَخْبَارُ أَبِيهِ، وَنَسَبُهُ وَوَلَاؤُهُ فِي مَتَقَدِّمِ الْكِتَابِ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ أَحَدَ الْمُحْسِنِينَ الْمُتَقِينَ الرَّوَاةِ الضَّرَابِ، الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الصَّنْعَةِ، وَقَدِمَ عَلَى الرَّشِيدِ مِنَ الْحِجَازِ، وَكَانَ الْمَغْنُونُ فِي أَيَّامِهِ حِزْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا فِي حِزْبِ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِيِّ وَابْنِهِ إِسْحَاقَ، وَالْآخَرُ فِي حِزْبِ ابْنِ جَامِعٍ وَابْنِ الْمَهْدِيِّ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ أَوْكَدَ أَسْبَابِ هَذَا التَّحْزُبِ وَالتَّعَصُّبِ لِمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِسْحَاقَ^(١) وَكَانَ الزُّبَيْرُ بْنُ دَحْمَانَ فِي حِزْبِ إِسْحَاقَ، وَأَخُوهُ عُبَيْدُ اللَّهِ فِي حِزْبِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ^(٢).

يفني الرشيد من غناء المتقدمين فيفضل أخاه

فأخبرني محمد بن يزيد، قال: حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

لَمَّا قَدِمَ الزُّبَيْرُ بْنُ دَحْمَانَ عَلَى الرَّشِيدِ مِنَ الْحِجَازِ، قَدِمَ رَجُلٌ مَاشَتْ مِنْ رَجُلٍ عَقْلًا وَنُبْلًا وَدِينًا وَأَدَبًا وَسُكُونًا وَوَقَارًا، وَكَانَ أَبُوهُ قَبْلَهُ كَذَلِكَ، وَقَدِمَ مَعَهُ أَخُوهُ عُبَيْدُ اللَّهِ^(٣)، فَمَا وَصَلَا إِلَى الرَّشِيدِ، وَجَلَسَا مَعَنَا، تَخَلَّلْتُ فِي الزُّبَيْرِ الْفَضْلَ فَقُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتِ، أَخْلَقَ بِالزُّبَيْرِ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ أَخِيهِ، فَقَالَ: هَذَا لَا يَجِيءُ بِالظَّنِّ وَالتَّخَيُّلِ^(٤)، وَالْجَوَادُ إِنَّمَا يُمْتَحَنُ فِي الْمِيدَانِ، فَقُلْتُ لَهُ: فَالْجَوَادُ عَيْنُهُ فِرَارُهُ^(٥)، فَضَحِكَ، وَقَالَ: نَنْظُرُ فِي فِرَاسَتِكَ، فَلَمَّا غَنَى بَانَ فَضْلُ الزُّبَيْرِ وَتَقَدَّمَ، فَاضْطَفَاهُ أَبِي وَاضْطَفَيْتُهُ لَأَنْفُسَنَا، وَقَرَّظْنَاهُ^(٥) وَوَصَفْنَاهُ، وَصَارَ فِي حَيْرَانَا.

الرشيد يستعيده صوتاً من صناعته ثلاث مرات

وَعَنَى الرَّشِيدَ غِنَاءَ / كَثِيرًا مِنْ غِنَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ فَأَجَادَ وَأَحْسَنَ، وَسَأَلَهُ الرَّشِيدُ أَنْ يُغَنِّيَ شَيْئًا مِنْ صَنَعَتِهِ، فَالْتَوَى بَعْضَ الْإِلْتَوَاءِ وَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غِنَاءَ الْحُدَّاقِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَغِنَاءَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنْ خَدَمِهِ، وَمَنْ وَفَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِجَازِيِّينَ، وَمَا عَسَى أَنْ يَأْتِيَ مِنْ صَنَعَتِي؟ فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ أَنْ يُغَنِّيَ شَيْئًا مِنْ صَنَعَتِهِ، وَجَدَّ بِهِ فِي ذَلِكَ، فَكَانَ أَوَّلَ صَوْتٍ غَنَّى مِنْهَا:

(١ - ١) التكملة من ف.

(٢) ب: «عبد الله».

(٣) «المختار»: «والمتخمين».

(٤) المثل: «إن الجواد عينه فراره» في «مجمع الأمثال بترتيب الكرمانلي» - ٣٧ ط. طهران، وجاء فيه: الفرار - بالكسر - النظر إلى أسنان الدابة ليعرف قدر سته، وهو مصدر، ومنه قول الحجاج: فررت عن ذكاء، ويروى فراره - بالضم - وهو اسم منه؛ يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه فيغني عن الاختبار حتى لقد يقال: إن الخبيث عينه فراره.

(٥) ف: «وقرظناه».

صوت

ارحلاً صاحبي حان الرجيلُ وابكياني فليس تبكي الطلؤلُ
/ قد تولى النهارُ وانقضت الشمسُ يميناً وحان منها أفولُ
لحن هذا الصوت خفيف ثقيل .

قال :

فسمعتُ والله صنعة حسنة مُتَقَنَّة لا مَطْعَن عليها، فَطَرَبَ الرَّشِيدُ واستَعَادَه هذا الصَّوْت ثلاثَ مَرَّاتٍ، وأمر له بثلاثين ألف درهم، ولأخيه بعشرين ألف درهم. ثم لم يزل زبيرٌ معنا كواحد منا، وانحاز عُبيدُ الله^(١) إلى جنبه إبراهيم بن المهدي، فكان معه. قال حماد: فقلتُ لأبي: كيف كانت صنعة عُبيد الله^(١)؟ قال: أنا أَجْمِلُ لك القول، لو كان زبير مملوكاً لاشتريته بعشرين ألف دينار، ولو كان عُبيدُ الله مملوكاً ما طابت نفسي على أن أشتريه بأكثر من عشرين ديناراً، فقلت: قد أجبتني بما يكفيني.

يغني الرشيد بشعر مدحه به

حدثني رضوان بنُ أحمد الصَّيْدَلَانِي، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بنُ المهدي، ومحمد بن الحارث بن بُسْحُتَر: أنَّ الرَّشِيدَ كتب في إشخاصِ الزَّبيرِ بنِ دَحْمَانَ إلى مدينة السَّلام^(٢)، فوافاهَا وَاتَّفَقَ قُدُومُهُ في وقت خروج^(٣) الرَّشِيدِ إلى الرِّيِّ لمحاربة بِنْدَارِ هُرْمُزٍ أَصْبَهْدِ طَبَرِسْتَانَ، فأقام الزَّبيرُ بمدينة السَّلام إلى أن دَخَلَ الرَّشِيدُ، فلما قدم دخل عليه بالخِزْرَانَةِ^(٤)، وهو الموضع الذي يعرف بالسَّمَّاسِيَّةِ^(٥)، فغَنَاه [٣٠٢/١٨] في أول غنائه صَوْتاً في شِعْرِ قاله هو أيضاً في الرَّشِيدِ مَدَحَهُ به، وذكر خُرُوجَهُ إلى طبرستان وهو:

صوت

أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ لَيْسَ بِمُعْجِزٍ وَأَنْصَارُهُ فِي مَنَعَةِ الْمُتَحَرِّزِ
أَبَى اللَّهُ أَنْ يُعْصِيَ لِهَارُونَ أَمْرُهُ وَذَلَّتْ لَهُ طُوعاً يَدُ الْمُتَعَزِّزِ
إِذَا الرَّايَةُ السَّودَاءُ رَاخَتْ أَوْ اغْتَدَتْ إِلَى هَارِبٍ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ
لَطَاعَتْ لِهَارُونَ الْعُدَاةُ لَدَى الْوَعَا وَكَبَّرَ لِلْإِسْلَامِ بِنْدَارُ هُرْمُزِ^(٦)

لم أجذ هذا الصَّوْت منسوباً في شيء من الكُتُب إلا في كتاب بَذَل، وهو فيه غير مُجَنَس.

وذكر إبراهيم بنُ المهدي أنَّ الشَّعرَ للزَّبيرِ بنِ دَحْمَانَ، وهذا خطأ؛ الشَّعرُ لأبي العَتَاهِيَّةِ وهو مَوْجُود في شِعْرِهِ من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد.

(١) ب: «عبد الله».

(٢) مدينة السَّلام هي بغداد.

(٣) ب: «يخرج الرشيد».

(٤) ف: «الخيزرانية».

(٥) السَّمَّاسِيَّة: منسوبة إلى بعض شمَّاسي النصارى، وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد. («معجم ياقوت»).

(٦) ف: «أطاعت... لذي الوغا... وكفر للإسلام».

قال أبو إسحاق: فاستحسن الرشيد الشعر والغناء، وأمر له بألف دينار فدفعته إليه، ومكث ساعة ثم غنى صوتاً ثانياً وهو:

صوت

وأحور كالغصن يشفي السقام
شربت المدام على وجهه
وقلت مديحاً أرجو به
وأعني بذلك الإمام الذي
ويحكي الغزال إذا مارنا
وعاطيته الكأس حتى انثنى
من الأجر حظاً وتل الغنى
بسه الله أعطى العباد المنى

[٣٠٣/١٨] / لحن هذا الصوت ثاني ثقيل مطلق.

قال: فما فرغ من الصوت حتى أمر له بألف دينار آخر فقبضه، وخف على قلبه واستظرفه، فأغناه في مدة يسيرة من الأيام.

يفني الرشيد بشعر يزيد ندمه على ما فعله بالبرامكة

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو توبة، عن القطراني، عن محمد بن حبيب قال:

كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الأسف عليهم، والتئد / على ما فعله بهم، ففطن لذلك الزبير بن دحمان، فكان يغني في هذا المعنى ويحركه، فغناه يوماً والشعر لامرأة من بني أسد:

من للخصوم إذا جذا الخصام بهم
وموقف قد كفيته الناطقين به
فرجته بلسان غير ملتبس
يسوم التزال ومن للضمير القود^(١)
في مجمع من نواصي الناس مشهود^(٢)
عند الحفاظ وقول غير مردود^(٣)

فقال له الرشيد: أعذ، فأعاد، فقال له: ويحك! كأن قائل هذا الشعر يصف به يحيى بن خالد، وجعفر بن يحيى، وبكى حتى جرت دموعه، ووصل الزبير صلة سنية.

إسحاق يفضل الزبير على أبيه وأخيه في الغناء

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد قال:

كان أبي يقول: ما كان دحمان يساوي على الغناء أربعمائة درهم، وأشبه خلق الله به غناء ابنه عبيد الله، وكان يفضل الزبير بن دحمان على أبيه وأخيه^(٤) تفضيلاً بعيداً. وفي الزبير يقول إسحاق وله فيه غناء وهو:

[٣٠٤/١٨]

(١) ف: «يوم الجدال» بدل «يوم التزال». والقود جمع أقود، وهو من الخيل الذلول المتقاد، أو الشديد العنق لقلة التفاته.

(٢) نواصي الناس: أشرافهم والمتقدمون منهم.

(٣) ف: «بلسان غير مشتبه». وفي «المختار»، ف: «وقلب غير مزود».

(٤) ب: «وأخوته».

أَسْعِذْ بَدْمَعَكَ يَا أَبَا الْعَوَّامِ صَبَّأَ صَرِيحَ هَوَىٰ وَنَضَوَ سَقَامِ
ذَكَرَ الْأَجْبَةَ فَاسْتُجِنَ وَهَاجَهُ لِلشُّوقِ نَوْحُ حَمَامَةٍ وَحَمَامِ
لَمْ يُدِ مَا فِي الصَّدْرِ إِلَّا أَنَّهُ حَيَّا الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ بِسَلَامِ
وَدَعَاهُ دَاعٍ لِلْهَوَىٰ فَأَجَابَهُ شَوْقاً إِلَيْهِ وَقَادَهُ بِزِمَامِ

الشعر والغناء لإسحاق ثقیل أول بالوسطى عن عمرو، وهذا الشعر قاله إسحاق وهو بالرقعة مع الرشيد يتشوق إلى العراق.

إسحاق يغني الرشيد بالرقعة شعراً يحن فيه إلى بغداد

أخبرني عمي قال: حدثني علي بن محمد بن نصر، قال: حدثني جدي حمدون^(١) بن إسماعيل، قال: قال لي إسحاق:

كُنَّا مَعَ الرَّشِيدِ بِالرَّقْعَةِ، وَخَرَجَ يَوْمًا إِلَى ظَهْرِهَا يَصِيدُ^(٢)، وَكُنْتُ فِي مَوْكِبِهِ أُسَافِرُ الزُّبَيْرَ بْنَ دَحْمَانَ فَلَذَكَّرَنِي بِغَدَادَ وَطَيْبِهَا وَأَهْلِهَا وَإِخْوَانِي وَحُرَمِي فَتَشَوَّقْتُ لِدَلِكْ شَوْقًا شَدِيدًا، وَعَرَضَ لِي هَمٌّ وَفَكَّرْتُ حَتَّى أَبْكَانِي، فَقَالَ لِي الزُّبَيْرُ: مَا لَكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ فَشَكَّوْتُ إِلَيْهِ مَا عَرَضَ لِي، وَقُلْتُ:

أَسْعِذْ بَدْمَعَكَ يَا أَبَا الْعَوَّامِ صَبَّأَ صَرِيحَ هَوَىٰ وَنَضَوَ سَقَامِ
وَذَكَرَ بَاقِيَ الْأَبْيَاتِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الْخَبَرَ سَيَنْمِي إِلَى الرَّشِيدِ، فَصَنَعْتُ فِي الْأَبْيَاتِ لَحْنًا، فَلَمَّا جَلَسَ الرَّشِيدُ لِلشُّرْبِ ابْتَدَأْتُ فَغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ لِي: تَشَوَّقْتُ وَاللَّهِ يَا إِسْحَاقُ وَشَوَّقْتُ وَبَلَغْتُ مَا أَرَدْتُ، وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَلِلزُّبَيْرِ بَعْشَرِينَ أَلْفًا، وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ أَيَّامٍ.

الفضل بن الربيع يغضب من إسحاق

أخبرني يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى الْمُتَنَجِّمِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ لِي إِسْحَاقُ، / وَأَخْبَرَنِي بِهِ [٢٠٥/١٨] الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو^(٣) بَنَ أَبِي سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ:

جَاءَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ دَحْمَانَ ذَاتَ يَوْمٍ مُسَلِّمًا، فَاحْتَبَسْتُهُ فَقَالَ: قَدْ أَمَرَنِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ بِأَنْ أُصِيرَ إِلَيْهِ فَقُلْتُ:

أَقْسَمُ يَا أَبَا الْعَوَّامِ وَيَحْكُ تَشْرَبُ وَتَلْهُو مَعَ السَّلَاحِينَ يَوْمًا وَنَطْرَبُ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الْيَوْمَ قَدْ جَاءَ خَيْرُهُ فَخُذْهُ بِشُكْرِ وَاتْرِكِ الْفَضْلَ يَغْضَبُ

/ قَالَ: فَأَقَامَ عِنْدِي فَشَرِبْنَا بَاقِيَ يَوْمِنَا، ثُمَّ سَارَ^(٤) الزُّبَيْرُ إِلَى الْفَضْلِ، فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ تَأْخِرِهِ عَنْهُ، فَحَدَّثَهُ ٧٦/١٧ بِالْحَدِيثِ، وَأَنْشَدَهُ الشَّعْرَ، فَغَضِبَ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ عَنِّي، وَأَمَرَ عَوْنًا حَاجِبَهُ أَلَّا يُدْخِلَنِي الْيَوْمَ وَلَا يَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ، وَلَا يُوصِّلَ لِي رُقْعَةً إِلَيْهِ، قَالَ: فَقُلْتُ:

(١) ب: «جدي عن حمدون بن إسماعيل».

(٢) ف: «يتصيد».

(٣) ف: «عبد الله بن عمرو».

(٤) ف: «صار».

حَرَامٌ عَلَيَّ الْكَأْسُ مَا دُمْتَ غَضِبَانَا وَمَا لَمْ يُعِدْ عَنِّي رِضَاكَ كَمَا كَانَا
فَأَحْسِنُ فَإِنِّي قَدْ أَسَأْتُ وَلَمْ تَزَلْ تُعَوِّدُنِي عِنْدَ الْإِسَاءَةِ إِحْسَانَا
قال: وأنشدته إياهما، فضحك ورضي عني، وعاد إلى ما كان عليه.

وأخبرني الحسين^(١) بن يحيى، عن حماد، عن أبيه بهذا الخبر، فذكر نحو ما ذكره الآخران^(٢) وزاد فيه:
وقلت في عون حاجبه:

عَوْنُ يَاعَوْنُ لَيْسَ مِثْلَكَ عَوْنُ أَنْتَ لِي عُدَّةٌ إِذَا كَانَ كَوْنُ
لَكَ عِنْدِي وَاللَّهِ إِنْ رَضِيَ الْفَضْلُ غُلَامٌ يُرْضِيكَ أَوْ يَرْذَوْنُ
فأني عون الفضل بالشُّعْرَيْنِ جميعاً، فلما قراهما ضحك وقال له: ويلك إنما عَرَّضَ لك بقوله: «غلامٌ يرضيك» بالسَّوْءِ، فقال: قد وعدني ما سمعت، فإن شئت أن تخبرني فأنْتَ أعلم، فأمره أن يرسل إليّ وأتاني رسوله، فصرت إليه ورضي عني.

[٣٠٦/] / إسحاق والزيبر بحكمان حبشياً في غنائهما

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال: حدّثني إسحاق، قال:



كان عندي الزُّبَيْرُ بْنُ دَحْمَانَ يَوْمًا، فغَنَيْتُ لِحْنُ أَبِي^(٣)
أَشَاقَكَ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ طُلُوعُ بَحْمَلٍ مِنْهَا جِيسَرَةٌ وَحُمُولُ!

فقال لي الزُّبَيْرُ: أنت الأستاذ وابن الأستاذ السيد، وقد أخذتُ عن أبيك هذا الصوت وأنا أُغَنِّيهِ أَحْسَنَ، فقلت له: والله إني لا أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ^(٤) فغَضِبَ. وقال: فإنا والله أَحْسَنُ غِنَاءٍ مِنْكَ. وتَلَاخَيْنَا طَوِيلًا، فقلتُ له: هَلُمَّ نَخْرُجْ إِلَى صَحْرَاءِ الرُّقَّةِ، فَيَكُونُ أَكْلُنَا وَشَرْبُنَا هُنَاكَ، وَنَرْضَى فِي الْحَكَمِ بِأَوَّلِ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْنَا، قال: أَفْعَلُ. فَأَخْرَجَنَا طَعَامَنَا وَشَرَابَنَا وَجَلَسْنَا نَشْرَبُ عَلَى الْفُرَاتِ، فَأَقْبَلَ حَبِشِيَّ يَحْفِرُ الْأَرْضَ بِالْبَالِ^(٥)، فقلتُ له: أَرْضَى بِهَذَا قال: نعم، فدَعَوْنَاهُ فَأَطْعَمْنَاهُ وَسَقَيْنَاهُ، وبَدَرَنِي الزُّبَيْرُ بِالْغِنَاءِ، فغَنَى الصَّوْتِ، فَطَرِبَ الْحَبِشِيُّ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ حَتَّى طَمَعَ الزُّبَيْرُ فِي، ثُمَّ أَخَذَتْ الْعُودَ فغَنِيَتْهُ فَتَأَمَّلَنِي الْحَبِشِيُّ سَاعَةً ثُمَّ صَاحَ، وَأَنَّى شَيْطَانُ هُوَ! وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ، فَمَا أَذْكَرُ أَنِّي صَحِحتُ مِثْلَ ضَحْكِي يَوْمَئِذٍ، وَانْخَزَلَ الزُّبَيْرُ.

نسبة هذا الصوت

صوت

شعر لأبي العتاهية يمدح به الفضل بن الربيع وفيه غناء

- (١) ب: «الحسن بن يحيى».
- (٢) ب: «الآخر».
- (٣) ب: «لحن إسحاق».
- (٤) ب: «والله إني لأحب».
- (٥) البال: ما يعتمل به في أرض الزرع. وفي ب: «بالناب».

أشاقك من أرض العراق طُلولُ تحمّل منها جيرة وحُمُولُ
وكيف ألد العيشَ بعد معاشرٍ بهم كنتُ عند التائبات أصولُ!

الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم ثَقِيلُ أَوَّلُ بالسبابة في مجرى البنصر، عن أحمد بن المكي، وفيه للحسين بن محرز ثَقِيلُ أَوَّلُ بالوسطى.

وهذان البيتان من قصيدة مدّح بها أبو العتاهية الفضل بن الربيع، قال: أنشدنيها / عبد الله بن الربيع الربيعي، [٣٠٧/١٨] قال: أنشدنيها / أبو سويد عبد القوي^(١) بن محمد بن أبي العتاهية لجده يمدح الفضل بن الربيع، وإنما ذكرت ذلك $\frac{٧٧}{١٧}$ ها هنا لأنّ من الناس من ينسبهما إلى غيره، فذكرت الأبيات الأولى، وفيها يقول في مدح الفضل بن الربيع:

قبائل من أقصى وأدنى تجمعت فهنّ على آل السريّيع كلول
تمرّ ركب السّفَر تُنْثِي عليهم عليها من الخير الكثير حمول
إليك أبا العبّاس حثّ أهلها منانٍ وحثّت السنّ وعقول
وأنت جبينُ الملِك بل أنت سمعُه وأنت لسانُ الملِك حين تقول
وللملِك ميزانٌ يَدَاكَ تُقيّمُه يزول مع الإحسان حيث يزول

الرشيد يرضى عن أم جعفر بعد أن سمع غناء للزبير من شعر ابن الأحنف

حدثني الصّولي، قال: حدثني المغيرة بن محمد المهلب، قال: حدّثنا الزّبير، قال: حدثني رجل من ثَقِيف،

قال:

غضب الرشيد على أم جعفر، ثم ترصّاهَا فأبَتْ أن ترصّي عنه، فأرق ليْلته ثم قال: افرشوا لي على دَجْلَة، ففعلوا، فقعد ينظر إلى الماء وقد رأى زيادة عَجِيبة، فسمع غناء في هذا الشعر:

صوت

جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبْكَا نِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى وفاضت له من مُقْلَتَي غُرُوبٍ
وما ذاك إلا حين خُبرتُ أَنَّهُ يُمُرُّ بِوَادٍ أَنْتِ مِنْهُ قَرِيبُ
يَكُونُ أَجَاجاً مَاؤُهُ فَإِذَا انْتَهَى^(٢) إِلَيْكُمْ تَلْقَى طَيْبَكُمْ فَيَطِيبُ
فِيَا سَاكِنِي شَرْقِي دَجْلَة كُلُّكُمْ إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ حَبِيبُ

/ الشعر للعبّاس بن الأحنف، والغناء للزّبير بن دَحْمَان، خفيف رمل بالوسطى، عن الهشامي. [٣٠٨/١٨]

فسأل عن الناحية التي فيها الغناء فقيل: دارُ ابنِ المُسَيَّب، فبعث إليه أن ابْعَثْ بِالْمُغَنِّي، فإذا هو الزّبير بن دَحْمَان، فسأله عن الشعر فقال: هو للعبّاس بن الأحنف، فأحضر واستنشدّه، فأنشده إياه، وجعل الزّبير يُغَنِّيهِ وَعَبَّاسٌ يُنْشِدُهُ، وهو يَسْتَعِيدُهُمَا، حتى أصبح، وقام فدخَلَ إلى أم جعفر، فسألَتْ عن سبب دخوله فَعَرَفَتْهُ، فوجَّهَتْ إلى العبّاسِ بِألفِ دِينَارٍ، وإلى الزّبيرِ بِألفِ دِينَارٍ أُخْرَى.

(١) ف: «عبد العزيز».

(٢) ف: «يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى».

الرشيذ يفضل لحنه على عشرين لحناً صنعها زملاؤه

أخبرني عمي، قال: حدّثني عليُّ بنُ محمد، عن جدّه حَمْدُون، قال:

تشوّق الرّشيذ بغداداً وهو بالرقّة، فأنحدر إليها، وأقام بها مدّة، وخلف هناك بعض جواريه، وكانت حظيّة له
فيهن خلفها لمُغاضبة كانت بينه وبينها، فتشوّقها تشوّقاً شديداً، وقال فيها:

صوت

سَلامٌ على النَّازح المُغتَرِبِ تحيئة صَبِّ به مُكْتَرِبِ
غَزالٌ مرانُعه باليلِخِ إلى دير زُكي فِجْسر الخَشَبِ^(١)
أَيامُنْ أَعانَ على نَفْسِه بتخليفه طائِعاً مَنْ أَحَبِ
سَاسُثُرَ والسُّتُرِ من شِيَمَتِي هَوَى من أَحَبِّ لَمَنْ لا أَحَبِ^(٢)

وجمع المغنين، فحضر إبراهيم الموصلي، وابن جامع، وفليح، وزبير بن دحمان، والمُعَلَّى بن طريف،
و^{٧٨}/_{١٧} وحسين بن محرز، وسليم بن سلام، ويحيى المكي، وابنه، وإسحاق، وأبو زكار / الأعمى، وأعطاهم الشعر
[٣٠٩/١٨] وقال: لِيَعْمَلْ كل واحد منكم فيه / لحناً. قال: فلقد عملوا فيه عشرين لحناً، فما أعجب منها إلا بلحن الزُّبَيْرِ
وحده، أعجب به إعجاباً شديداً، وأجازه خاصة دون الجماعة بجائزة سنيّة.

غنى إبراهيم في هذه الأبيات ولحنه ماخوري بالوسطى^(٣)، ولَفْلِيح فيها ثاني ثقيل بالوسطى، ولابن جامع
رمل بالبنصر، ولابن المكيّ ثقيل أول بالوسطى، وللزبير بن دحمان خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر،
وللمُعَلَّى خفيف رمل بالوسطى، ولإسحاق رمل بالوسطى، وللمُحْسِن بن محرز هزج بالوسطى.

صوت

[٣١٠/١٨]

يَا نَاعِشَ الجَدِّ إِذَا الجَدُّ عَشُرُ وَجَابِرَ العَظْمِ إِذَا العَظْمُ انْكَسَرُ
أَنْتَ رَبِيعِي والسَّرْبِيعُ يُنْتَظَرُ وَخَيْرُ أَنْوَاءِ^(٤) السَّرْبِيعِ مَا بَكَرُ

الشعر للعماني الراجز، والغناء لشّارية خفيف رمل، من كتاب ابن المعتز وروايته.

(١) ب: «بقصر الخشب»، وفي ف: «بقصر الحزب». واليلخ: نهر بالرقّة. ودير زكي: دير بالرها.

(٢) ب: «هوى من أحب بمن لا أحب».

(٣) ف: «ولحنه ماخوري بالوسطى ولابن صغير العين خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر وللمُعَلَّى خفيف رمل... الخ».

(٤) ب: «أنواع».

/ نسب العماني وخبره^(١)

[٣١١/١٨]

نسبه

اسمه محمد بن ذؤيب بن مخجن بن قدامة بن بُلَهيّة^(٢) الحَنْظَلِيّ ثم الدَّارِمِي صَلِيّة، وقيل له: العُمَانِيّ، وهو بَصْرِيّ؛ لأنه كان شديد صفرة اللون، وليس هو ولا أبوه من أهل عُمان، وكان شاعراً راجزاً متوسطاً، من شعراء الدولة العباسية، ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدتهم في عصره، مثل أشجع وسلم ومزوان، ولكنه كان لطيفاً داهياً مقبولاً، فأفاد بشعره^(٣) أموالاً جليلة.

يدخل على الرشيد وينشده فيجزل صلته

أخبرني ابن أبي الأزر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن جبر بن رباط الأسدي:

أن عبد الملك بن صالح أدخل العُمانيّ على الرشيد فأنشده:

يا ناعش الجّد إذا الجّد عثرُ وجابر العظم إذا العظم انكسرُ
أنت ربيعي والريبع يُنتظرُ وخير أنواء الربيع ما بكَرُ
فقال له الرشيد: إذا يكر عليك ربيعنا، يا فضل، أعطه خمسة آلاف دينار، وخمسين ثوباً.

قال إسحاق: قال جبر: لما دخل الرشيد الرقة استقبله العُمانيّ، فلما بصر به ناداه:

هارونُ يا بن الأكرمين منصباً لما ترخّلت فصرت كئيباً
من أرض بغداد تؤمّ المغرباً طابت لنا ريح الجنوب والصبأ
ونزل الغيث لنا حتى ربا ما كان من تشير وما تصوباً^(٤)
* فمرحّباً ومرحّباً ومرحّباً *

/ فقال له الرشيد: وبك مرحّباً يا عُمانيّ وأهلاً، وأجزل صلته.

[٣١٢/١٨]

ينشد الرشيد أرجوزة طويلة أثناء قعوده للبيعة لابنه محمد

أخبرني محمد بن جعفر التحوّطيّ صهرُ المبرّد المعروف بابن الصّيدلانيّ^(٥)، قال: حدثنا محمد بن موسى،

(١) ف: «وأخبره».

(٢) ب: «باسية».

(٣) ب، ما: «بفعله». وفي مد: «أفاد أموالاً جليلة».

(٤) ف: «حيث ربا» بدل «حتى ربا». وتصوب: انحدر، ومنه قول الصنوبري:

وكان محمراً الشقيب ن على رماح من زبرجد
أعلام ياقوت نثر

(٥) ف: «المعروف بالصيدلاني».

عن حماد، قال: قال العنبي^(١):

لما وجه الفضل بن يحيى الوفد من خراسان إلى الرشيد يحضونه على البيعة لابنه محمد فقد لهم^(٢) الرشيد،
وتكلم القوم على مراتبهم، وأظهروا السرور بما دعاهم إليه من البيعة لابنه، وكان فيمن حضر محمد بن ذؤيب
العماني، فقام بين صفوف القواد، ثم أنشأ يقول:

لَمَّا أَتَانَا خَبِيرٌ مُشْهُرٌ أَغْرُ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ يُبْصِرُ
جاء به الكوفي والمبصرُ والراكب المنجد والمفسورُ
/ يُخْبِرُ النَّاسَ وَمَا يَسْتَخِيرُ قُلْتُ لِأَصْحَابِي وَوَجْهِي مُسْفِرُ
وللرجال: حَسْبُكُمْ لَا تَكْثُرُوا فإز بهما محمد فأقصروا
قد كان هذا قبل هذا يُذْكَرُ فِي كُتُبِ الْعِلْمِ التِّي تُسَطَّرُ^(٣)
فقل لمن كان قديمًا يتَجَرُّ: قد نُشِرَ الْعَدْلُ^(٤) فبيعوا واشتروا
وشرِّقوا وغربوا وبشروا^(٥) فقد كَفَى اللَّهُ الَّذِي يُسْتَفْذَرُ
بِمَنَسِهِ أفعال ما قد يُخْذَرُ وَالسَّيْفُ عَنَّا مُغَمِّدٌ مَا يُشْهَرُ
وقلِّد الأمر الأغر الأزهَرُ نَوَى السَّمَاكِينِ الَّذِي يُسْتَمَطَّرُ
بوجهه إن كان عام أغْبَرُ سُورَتْ بِهِ أَسْرَةٌ وَمِنْبَرُ
وابتهج^(٦) النَّاسُ بِهِ وَاسْتَبْشَرُوا وَهَلَّلُوا لِرَبِّهِمْ وَكَبَّرُوا
/ شُكْرًا وَمِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَشْكُرُوا إِذْ تَبَيَّنَتْ أَوْتَادُ مَلِكٍ يَغْمُرُ
من هاشم في حيث طاب الغنْصُرُ وَطَاحَ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا يَزِفُرُ
إن بني العباس لم يَقْصُرُوا إِذْ نَهَضُوا لِمَلِكِهِمْ فَشَمَّرُوا
وعَقَدُوا وَنَزَعُوا وَأَمَّرُوا وَدَبَّرُوا فَأَخْكَمُوا مَا دَبَّرُوا
وأوردوا بِالْحَزْمِ ثُمَّ أَصْدَرُوا وَالْحَزْمُ رَأْيٌ مِثْلُهُ لَا يُتَكَسَّرُ
إذا الرِّجَالُ فِي السَّرِّجَالِ خُيِّرُوا يَا أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ الْمُطَهَّرُ
والمؤمنُ الْمُبَارَكُ الْمُؤَقَّرُ^(٧) وَالطَّيِّبُ الْأَغْصَانُ وَالْمُظَفَّرُ
مَا النَّاسُ إِلَّا غَنَمٌ تَنْشُرُ إِنْ لَمْ تَسْدَرْ كُهُم بِرَاعٍ يَخْطُرُ
على قَوَاصِي طَرْقِهَا وَيَسْتُرُ^(٨) وَيَمْنَعُ الذُّنُوبَ فَلَا يُنْفَرُ
فامْنُنْ عَلَيْنَا بِيَدٍ لَا تُكْفَرُ مَشْهُورَةٌ مَا دَامَ زَيْتٌ يُعَصَّرُ

٧٩
١٧

[٣١٣/١٨]

(١) ف: «القمي».

(٢) ب: «فعدلهم»، تصحيف.

(٣) ب: «الذي يسطر».

(٤) ف: «قد يسر العدل».

(٥) ف: «وغربوا وسيروا».

(٦) ف: «وانتجع الناس».

(٧) ف: «المؤمر».

(٨) مد: «على قواصي طوقها ويستر». وفي ب: «على قلوص طرقها ويستر».

وانظر لنا وخلّ مَنْ لا ينظر
لا خير في مُجَمِّمٍ^(١) لا يظهر
وقد ترئّصت فليس تُغذر^(٢)
أنت قائم به أم تسخر^(٣)
وليت شغري والحديث يؤثر
خوفاً على أمورنا ونضجر
/ لأن يموت مغشّر ومغشّر
يهلك فيها دينهم ويوزروا
لصاحب الروم وذاك أصغر
وذاكم العُلج وهذا الجَوهَرُ
والخُلُقَاءُ والتَّيِّبِيُّ الأَكْبَرُ
واعلم وأنت المرء لا يُبصر
منا ذوي العُشرة حتى يُوسروا
ذوي القَرابات بها، واستأثروا
والملك لا رَحم له فيأصبر
فأحكم الأمر وأنت تقدر
واجسر كما كان أبوك يجسر
ولا كتاب يتعمّة لا يُشسر
فليت شغري ما الذي تنتظر
مالك في محمد لا تعذر
أترقذ الليل ونحن نسهرا
والله والله السذي يُستغفر
خير لنا من فتنة تسعر
وقد وقى القوم الذين انتصروا^(٤)
منه وهذا البحر لا يكدر
يُتمي به محمد وجعفر
ونبعة من هاشم وعنصر^(٥)
⁵ (والله يبقيك وتجير)
/ أن الرُّجال إن ولوها آثروا
بها، وضل أمرهم واستكبروا
ذا رَحم والناس قد تغفروا
فمثل هذا الأمر لا يؤخر

١٤/١٨

٨٠
١٧

فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد: أبشر يا عُماني بولاية محمد العهد، فقال: إي والله يا أمير المؤمنين، بشرى الأرض المُجدبة بالغيث، والمرأة التزور بالولد، والمريض المُدنف بالبرء، قال: ولم ذاك؟ قال: لأنه نسيج وحده، وحامي مجده، ومُوري زنده. قال: فما لك في عبد الله^(٦)، قال: مرعى ولا كالسعدان، فتبسم الرشيد وقال: قاتله الله من أعرابي ما أعرفه بمواضع الرغبة، وأسرعه إلى أهل البذل والعائدة، وأبعدّه من أهل الحزم والعزم، والذين لا يُستمنح ما لديهم بالثناء، أما والله إني لأعرف في عبد الله حَزَم المنصور ونُك المهدّي، وعِزّ نفس الهادي، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرَّابعة لنسبته إليها.

/ يرشح القاسم لولاية العهد في أرجوزة ينشدها للرشيد

٣١٥/١٨

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثنا علي بن الحسن الشيباني، وأخبرني به محمد بن جعفر، عن محمد بن موسى، عن حمّاد، عن أبي محمد المطبّخي^(٧)، عن علي بن الحسن

(١) جمجم الشيء في صدره: أخفاه ولم يبيده فهو مجمجم.

(٢) ب: «فلست تغدر».

(٣) ف: «أنا أنت به أم تسهر».

(٤) مد، ما: «انتظروا». وفي ف: «نصروا». ويوزروا: يصابوا بالوزر، وهو الذنب.

(٥ - ٥) التكملة من ف.

(٦) يعني المأمون.

(٧) ب: «المضهنجي».

الشَّيبَانِي، قال: أخبرني أبو خَالِد الطَّائِي، عن جَبْرِ بنِ ضُبَيْبَةَ الطَّائِي، قال: أخبرني الفضل^(١)، قال: حضرتُ الرِّشِيدَ يوماً وجلس للشعراء، فدخل عليه الفضلُ بنُ الرِّبِيع وخلفه العُمَانِي، فأذنَاهُ الرِّشِيدَ واستنشدَه، فأنشدَه أرجوزةً له فيه، حتى انتهى إلى هذا الموضع:

قُلْ لِلْإِمَامِ الْمُقْتَدَى بِأَمْرِ^(٢): مَا قَاسَمُ دُونَ مَدَى ابْنِ أُمِّهِ

* وَقَدَرَضِينَاهُ فَقَمُ فُسْمُهُ *

قال: فتبسَّم الرِّشِيدُ ثم قال: ويحك! أما رَضِيتَ أن أولَّيه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رجلي! فقال له العُمَانِي: ما أردتُ يا أمير المؤمنين قيامَكَ على رَجْلِكَ؟ إنما أردتُ قيامَ العَزَم، قال: فإننا قد وَلَّيناهُ العهد، وأمر بالقاسم أن يحضر. ومَرَّ العُمَانِي في أرجوزته يهدير حتى أتى على آخرها، وأقبل القاسم فأومأ إليه الرِّشِيد، فجلس مع أخويه فقال له: يا قاسم، عليك جائزة هذا الشَّيْخ، فقد سألنا أن نُؤَلِّيك العهد وقد فعلنا، فقال: حكمك يا أمير المؤمنين، فقال: وما أنا وهذا! بل حكمك، وأمر له الرِّشِيد بجائزة، وأمر له القاسم بجائزة أخرى مُفَرَّدة.

٣١٦/١ / يمدح أبا الحرِّ التميمي

أخبرني محمد بنُ مَزِيد، قال: حَدَّثَنَا حَمَّاد بنُ إِسْحَاق، عن أبيه قال:

دخل محمد بنُ ذُوَيْبِ العُمَانِي على أبي الحرِّ التَّمِيمِي بالبصرة، فأطعمه وسقاه وجَلَّله بكساء فقال فيه:

إِنْ أَبَا الْحُرِّ لَعَيْنُ الْحُرِّ يَدْفَعُ عَنَّا سَبْرَاتِ الْقُرِّ^(٣)

بِاللَّحْمِ وَالشَّحْمِ وَخُبْرِ الْبُرِّ وَنُظْفَةِ مَكْنُونَةِ فِي الْجَرِّ^(٤)

يَشْرِبُهَا أَشْيَاخُنَا فِي السُّرِّ حَتَّى نَرَى حَدِيثَنَا كَالدُّرِّ

ويمدح عبد الملك بن صالح فيثبه

أخبرني محمد بنُ مَزِيد، قال: حَدَّثَنَا حَمَّاد^(٥)، عن أبيه، قال:

قصَدَ العُمَانِي عَبْدَ الْمَلِكِ بنَ صَالِحٍ / الْهَاشِمِيَّ مُتَوَسِّلًا بِهِ إِلَى الرِّشِيدِ فِي الْوَصُولِ إِلَيْهِ مَعَ الشَّعْرَاءِ، وَمَدَحَ

٨١
١٧

عَبْدَ الْمَلِكِ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

نَعَثَهُ الْعَرَانِينَ^(٦) مِنْ هَاشِمٍ إِلَى النَّسَبِ الْأَوْضَحِ الْأَضْرَحِ

وَمَغْرُسُهَا سُورَةُ الْأَبْطَحِ إِلَى نَبْعَةِ فَرْعِهَا فِي السَّمَاءِ

فَادْخَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الرِّشِيدِ بِالرِّقَّةِ فَأَنشَدَهُ:

هَارُونَ يَا بَنَ الْأَكْرَمِينَ حَسَبَا لِمَا تَرَحَّلْتَ فَكُنْتَ كَكَبَا

مَنْ أَرْضُ بَغْدَادَ تَوْؤُمُ الْمَغْرِبَا طَابَتْ لَنَا رِيحُ الْجَنُوبِ وَالصَّبَا

(١) ف: «أبو خالد عن يحيى بن صفية الطائي، قال: أخبرني الفضل».

(٢) أم القوم وبهم: تقدّمهم.

(٣) السبرات جمع سبرة، وهي الغداة الباردة.

(٤) ب: «في الحر» والجر جمع جرّة، وهي إناء من خزف.

(٥) ف: «حماد بن إسحاق».

(٦) ف: «العرانيق». وعرانين القوم: سادتهم وأشرافهم.

وَنَزَلَ الْغَيْثُ لَنَا حَتَّى رَبَا مَا كَانَ مِنْ نَشْرِ وَمَا تَصَوَّبَا^(١)
* فَمَرْحَباً وَمَرْحَباً وَمَرْحَباً *

/ فأعطاه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً.

يصف طعاماً قدمه له محمد بن سليمان

أخبرني عَمِّي وَالْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَامِرِيِّ الْقُرَشِيِّ، عَنِ الْعُمَانِيِّ الشَّاعِرِ: أَنَّهُ تَغَدَّى مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا قُدِّمَ إِلَيْهِمْ فُرْنِيَّةً^(٢) فِي لَبَنٍ عَلَيْهَا سَكْرٌ، ثُمَّ تَتَابَعَ الطَّعَامُ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ فِيمَا أَكَلْتَ شِعْراً تَصِفُهُ، فَقَالَ:

جَاءُوا بِفُرْنِيَّةٍ لَهُمْ مَلْبُونٍ	بَاتَ يُسْقَى خَسَالِصَ السُّمُونِ
مُصَوِّمٍ أَكُومَ ذِي غُضُونٍ ^(٣)	قَدْ حُشِيَتْ بِالسَّكْرِ الْمَطْحُونِ
وَلَوْ نَوَا مَا شِئْتُ مِنْ تَلْسُوبِ	مِنْ بَارِدِ الطَّعَامِ وَالسَّخِينِ
وَمِنْ شَرِاسِيفٍ وَمِنْ طُرْدِينَ	وَمِنْ هَلَامٍ وَمَصُوصٍ جُونٍ ^(٤)
وَمِنْ إَوْزٍ فَائِثٍ مَمِينِ	وَمِنْ دَجَاجٍ قَيْتٍ بِالْعَجِينِ ^(٥)
فَالشَّخْمِ فِي الظُّهْرِ وَالْبُطُونِ	وَأَتَّبَعُوا ذَلِكَ بِالْجَوْزِينَ
وَبِالْخَيْصِ الرُّطْبِ وَاللُّوزِينَ	وَفَكَهُوا بَعَثَ وَتِينِ
وَالرُّطْبِ الْأَزَادِ ^(٦) وَالْهَيْرُونَ ^(٧)	مُحَمَّدٌ يَسَا سَيِّدَ الْبَيْنِ
/ وَبِكَرْبَنْتِ الْمُصْطَفَى الْأَمِينِ ^(٨)	الصَّادِقِ الْمُبَارَكِ الْمَيْثُونِ
وَابْنِ وِلَاةِ الْبَيْتِ وَالْحَجُّونِ	اسْمِعْ لِنَعْتِ غَيْرِ ذِي تَغْنِينِ
يَخْرُجُ مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ	إِنْ الْحَدِيثَ فِيكَ ذُو شُجُونِ

سبب تسميته العماني

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي كَامِلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو هَاشِمٍ الْقَيْنِيُّ، قَالَ:

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ ذُوئِبِ الْعُمَانِيِّ الرَّاجِزِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَيُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الْعُمَانِيُّ؛ لِأَنَّهُ أَقْبَلَ يَوْمًا

(١) انظر ص ٣١١ (الحاشية ٤).

(٢) الفرنية: خبز مستدير.

(٣) مصومع: مجمع عال. وفي ف: «أكوم» بدل «أكوم».

(٤) الشراسيف جمع شرسوف: وهو مقط الضلع، وهو الطرف المشرف على البطن. والطردين: طعام للأكراد. والهلام: طعام من لحم عجلة بجلدها أو مرق السكباغ المبرد المصفى من الدهن. والمصوص: طعام يطبخ ويتقع في الخل أو من لحم الطير خاصة.

(٥) ب: «فت».

(٦) الأزاد: نوع جيد من التمر.

(٧) الهيرون: البرّي من التمر والرطب.

(٨) ف: «وابن عم المصطفى الأمين».

وقد خرج من علة ووجهه أصفر، فقال له بعض أصحابنا: يا أبا عبد الله قد خرجت من هذه العلة كأنك جمل عُمانِي، قال: وكانت جمال عُمان تحمل الوز من اليمن إلى عُمان فتصفر، قال: وهو من بني تميم، ثم من بني فقيم.

بمدح عيسى بن موسى فيصليه

قال: فقدم على عيسى بن موسى، فلما وصل إليه أنشده مديحاً له وقد إليه به، فاستحسنه ووصله واقتطعه إليه وخصه، وجعله في جلسائه، فقال العُماني فيهِ:

ما كنت أدري ما رَخاءُ العَيْشِ / ولا لِبستُ الوَشْيِ بعد الخَيْشِ
حتى تمَدَّختُ فتى قُرَيْشِ / عَيْسَى، وَعَيْسَى عند وقت الهَيْشِ^(١)
حين يخف غَيْرُهُ للطَيْشِ^(٢) / زَيْن المقيمين وعِزَّ الجَيْشِ

* راس جناحي وفوق الرِّيش *

ينشد الرشيد قصيدة أثناء حصاره هرقة يذكر فيها بغداد

أخبرني حبيب بن نصر المهلبِي، قال: حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدَّثني أحمد بن علي بن أبي نعيم، قال: حدَّثنا موسى بن صبيح المروزي، قال:

/ خرج الرشيد غازياً بلاد الروم، فنزل بهرقة، ونصب الحرب عليها، فدخل عليه العُماني وهو يذكر بغداداً وطيبها وما فيها أهلها من النعمة، فأنشده العُماني قصيدة له في هذا المعنى، يذكر فيها طيب العيش ببغداد، وسعة النعم، وكثرة اللذات، يقول فيها:

ثم أتوهم بالدجاج الدُّجَجِ / بين قديد وشواء منضَجِ
وبعيط ليس بالملهُوَجِ / فدق الكودني الدُّنِجِ^(٣)
حتى ملأ أعفاج^(٤) بطن نُفَجِ / وقال للقينة: صُبي وامزجي
قال: فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف درهم.

ابن جامع يغني الرشيد شعراً في ضرب هرقة

ثم دخل إليه ابن جامع وقد أمر الرشيد أن يوضع الكبريت والنقط الأبيض على الحجارة، وتُلف بالمشاقة^(٥)، وتوقد فيها النار، ثم توضع في كفة المنجنيق ويُرْمى بها السور، ففعلوا ذلك، وكانت النار تثبت في السور وتصدعه حتى طلبوا الأمان حيثئذ، فغناه ابن جامع وقال:

هوَت هرقله لما أن رأت عَجَباً / حوائماً^(٦) ترتمي بالنقط والنار

(١) الهيش: الفتنة.

(٢) ب، مد، ما: «حين تجف عبرة للطيش».

(٣) لحم عيط: طري. والكودني: القيل. وفي ف: «فدق الكودين الدريج».

(٤) الأعفاج جمع عفج، وهو ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة. وفي ف: «حتى ملأ أنفاج بطن تتجي».

(٥) المشاقة: ما سقط من الشعر والكتان ونحوهما عند المشط.

(٦) ب، مد، ما: «جوائماً».

كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ قَلْعَتِهِمْ مُصْبَغَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قَصَارٍ
فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ أُخْرَى.

يرتجل شعراً في فرس للمهدي فيجيزه

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني أحمد بن سليمان، قال: قال يزيد بن عقال^(١):

/ كنا وقوفاً والمهدي قد أجرى الخيل فسبقها فرس له يقال له الغضبان، فطلب الشعراء فلم يحضر أحد منهم [٣٢٠/١٨]
إلا أبو دلامة، فقال له: قلده يا زئد، فلم يفهم ما أراد فقلده عمامته، فقال له المهدي: يا بن اللخناء، أنا أكثر عمائم
منك؛ إنما أردت أن تقلده شعراً، ثم قال: يا لهفي على العُماني، فلم يتكلم بها حتى أقبل العُماني، فقيل له:
ها هو ذا قد أقبل الساعة يا أمير المؤمنين، فقال: قدموه، فقدموه فقال: قلد فرسي هذا، فقال غير متوقف:

قَدْ غَضِبَ الْغَضْبَانُ إِذْ جَدَّ الْغَضَبُ وَجَاءَ يَحْمِي حَسْباً فَوْقَ الْحَسَبِ
مَنْ إِزَتْ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ وَجَاءَتْ الْخَيْلُ بِهِ تَشْكُو التَّعَبَ
* له عليها ما لكم على العرب *

فقال له المهدي: أحسنت والله، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

[٣٢١/١٨]

/ صوت

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنْ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْعَى لِسَهْ فَيُعْتِنِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعِدْتُ أَتَانِي لَا يُعْتِنِي
الشعر لعروة بن أذينة، والغناء لمخارق ثقل أول بالنصر عن عمرو.

/ أخبار عروة بن أذينة ونسبه^(١)

نسبه

هو عروة بن أذينة، وأذينة لقبه، واسمه يحيى بن مالك^(٢) بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن زحل بن يغمر، وهو الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مذكرة بن إلياس بن مضر بن نزار. وسُمي يغمر بالشداخ لأنه تحمّل ديات قتلى كانت بين قريش وخزاعة، وقال: قد شدخت هذه الدماء تحت قدمي، فسُمي الشداخ. قال ابن الكلبي: الشداخ، بضم الشين.

شاعر وفقه ومحدث

ويكنى عروة بن أذينة أبا عامر، وهو شاعر غزل مُقدم، من شعراء أهل المدينة، وهو معدود في الفقهاء والمحدثين، روى عنه مالك بن أنس، وعبيد الله بن عمر العدوي. أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن عمر بن شبة، وروى جده مالك بن الحارث عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

روى قصة عن جده مالك

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، عن ابن دأب، عن عروة بن أذينة، عن أبيه، قال: حَدَّثَنِي أَبِي مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ:

خَرَجَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي كَانَ مُضْطَلَمًا^(٣)، فخرجت في أثره وخشيت انقراض أهل بيته، فأردت أن أستاذن له من علي، فأدركت علياً عليه السلام بالبصرة، وقد هزم الناس ودخل البصرة، فجنّته فقال: / مرحباً بك يا بن الفقيمة، أبداً لك فينا بدءاً^(٤)؟ قلت: والله إن نصرتك لحق، وإنّي لعلّى ما عهدت أحب العزلة، ثم ذاكرته أمر ابن عمي ذلك، فلم يبعد عنه^(٥)، فكنت آتية أنحدث إليه. فركب يوماً يطوف وركبت معه، فلاني لأسير إلى جانبه إذ مررنا بقبر طلحة، فنظر إليه نظراً شديداً، ثم أقبل عليّ فقال: أمسى والله أبو محمد بهذا المكان غريباً، ثم تمثّل:

وما تَذِرِي وإن أزمغت أمراً بأيّ الأرض يُذركم المقيّل

(١) جاءت هذه الترجمة في الجزء الحادي والعشرون ١٠٥ - ١١١ بعد أن سقطت من نسخة بولاق وموضعها هنا، كما جاءت في نسخة ف وغيرها من النسخ الخطية الموثوقة.

(٢) «مهذب الأغاني»: يحيى بن مالك الليثي الكتاني.

(٣) المصطلم: المقطوع.

(٤) البدء، بفتح الباء: ظهور الرأي بعد أن لم يكن. ويقال: بدا لي في هذا الأمر بدءاً: ظهر لي فيه رأي آخر.

(٥) ف: «يبعد منه».

والله إني لأكرهه أن تكون قريش قتلَى تحت بَطُون الكَوَاكِبِ. قال: فوقع العراقيون يَشْتُمُونَ طَلْحَةَ وسَكَتَ عليّ وسَكَتْ، حتى إذا فَرَّغُوا أَقْبَلَ عليّ عليه السلام عليّ فقال: إيه يابنَ الفُقَيْمَةِ، والله إنه وإن قالوا ما سَمِعْتَ لكما قال أخو جُفَيْي:

فَتَى كَانَ يُذْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُنْعِدُهُ الْفَقْرُ

ثم أردتُ أن أكلّمه بشيءٍ فقلت: يا أميرَ المؤمنين، فقال: وما مَنَعَكَ أن تقول: يا أبا الحسن^(١)! فقلتُ: أَيْبْتُ، فقال: والله إنها لأحِبُّهُمَا إِلَيَّ ولولا الحَمَقَى، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي خُنِفْتُ بِحَبْلٍ حَتَّى أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ عُثْمَانُ مَا فَعَلَ، وما أَعْتَدِرُ مِنْ قِيَامٍ بِحَقٍّ، وَلَكِنَّ الْعَافِيَةَ مِمَّا تَرَى كَانَتْ خَيْرًا.

ذهب مع أبيه لمكة ورأى حريق الكعبة

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ خَلَفَ وَكِيعٌ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَقَافُ، قَالَا: حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ أَذِينَةَ، قَالَ:

قَدِمْتُ مَعَ أَبِي مَكَّةَ يَوْمَ اخْتَرَقَتِ الْكَعْبَةُ، فَرَأَيْتُ الْخَشَبَ وَقَدْ خَلَصَتْ إِلَيْهِ / النَّارُ، وَرَأَيْتُ الْكَعْبَةَ مُتَجَرِّدَةً، مِنْ [٣٢٤/١٨] الْحَرِيقِ، وَرَأَيْتُ الرُّكْنَ قَدْ اسْوَدَّ وَتَصَدَّعَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَمْكِنَةٍ، فَقُلْتُ: مَا أَصَابَ الْكَعْبَةَ؟ فَأَشَارُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالُوا: هَذَا اخْتَرَقَتْ بِسَبَبِهِ؛ أَخَذَ قَبَسًا فِي رَأْسِ رُمْحٍ، فَطَيَّرَتِ الرِّيحُ^(٢) مِنْهُ شَيْئًا، فَضَرَبَتْ أَسْتَارَ الْكَعْبَةِ فِيمَا بَيْنَ الْيَمَانِيِّ إِلَى الْأَسْوَدِ.

وفد على هشام فذكره بشعره في القناعة ولامه ثم ندم فأرسل إليه جائزة

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ وَحَفِظْتُهُ، وَأَخْبَرَنَا بِهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ، وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيُّ قَالُوا: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مَخْرُوسٍ الْوَرَّاقُ بْنُ أَقْبِصَرِ السَّلْمِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ أَذِينَةَ، قَالَ:

أَتَى أَبِي وَجَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَتَسَبَّهَمُ، فَلَمَّا عَرَفَ أَبِي قَالَ لَهُ: أَنْتَ الْقَائِلُ:

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي
أَسَمَى لَهُ فَيُعْتَنِيَنِي تَطَلُّبُهُ
أَنْ السَّيِّئُ هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي^(٣)
وَلَوْ جَلَسْتُ^(٤) أَتَانِي لَا يُعْتَنِيَنِي

هذان البيتان فقط ذكرهما الْمُهَلَّبِيُّ وَالْجَوْهَرِيُّ، وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ فِي خَبَرِهِ الْأَبْيَاتَ كُلَّهَا:

وَأَنْ حَظَّ أَمْرِي غَيْرِي سَيَتَلَّغُهُ
لَا خَيْرَ فَيَ طَمَعٍ يُدْنِي لِمَنْقَصَةٍ
لَا بُدَّ لَا بُدَّ أَنْ يَحْتَازَهُ^(٥) دُونِي
وَعُقَّةُ^(٦) مَنْ قَوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي
/ لَا أَرْكَبُ الْأَمْرَ تُزْزِي بِي عَوَاقِبُهُ
وَلَا يُعَابُ بِهِ عَرَضِي وَلَا دِينِي

[٣٢٥/١٨]

(١) ف: «يا أبا حسن».

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥ - ٤٩٩ ط. المعارف: «فطيرت الريح به».

(٣) في «الشعر والشعراء» ٢ - ٥٧٩: «... فما الإسراف في طمعي». وفي اللسان (شرف): «وما الإسراف في طمعي».

(٤) ف، و «الشعر والشعراء» ٢ - ٥٧٩، و «التجريد»: «ولو قعدت».

(٥) مع، «التجريد»: «يجتازه».

(٦) ف، «التجريد»، س: «وغير من كفاف العيش». وفي «المختار»: «وغفة من كفاف العيش». والغفة: البلغة من العيش.

كم مِنْ فَقِيرٍ غَنِيٍّ النَّفْسُ تَعْرِفُهُ وَمِنْ عَدُوٍّ زَمَانِي لَوْ قَصَدْتُ لَهُ
وَمِنْ أَخٍ لِي طَوَى كَشْحاً فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي لَا نَطِيقُ فِيمَا كَانَ مِنْ أَرِيي
لَا أَبْتَغِي وَضَلَ مِنْ يَغْفِي مَفَارِقَتِي^(٢) وَمِنْ غَنِيٍّ فَقِيرٍ النَّفْسُ مِسْكِينِ
لَمْ يَأْخُذِ النَّصْفَ مِنِّي حِينَ يَرْمِينِي^(١) إِنَّ أَنْطَوَاءَكَ عَنِّي سَوْفَ يَطْوِينِي
وَأَكْثَرُ الصَّمْتِ فِيمَا لَيْسَ يَغْنِينِي وَلَا إِلَيْنُ لَمَنْ لَا يَشْتَهِي لِنِي

فقال له ابن أذينة: نعم أنا قائلها، قال: أفلا قعدت في بيتك حتى يأتبك رزقك؟

وَعَفَلَ عَنْهُ هِشَامٌ، فَخَرَجَ مِنْ وَقْتِهِ وَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَمَضَى مُنْصَرِفًا، ثُمَّ افْتَقَدَهُ هِشَامٌ فَعَرَفَ خَبْرَهُ، فَأَتَبَعَهُ بِجَائِزَةٍ وَقَالَ لِلرُّسُولِ: قُلْ لَهُ: أَرَدْتُ أَنْ تُكَذِّبَنَا وَتُصَدِّقَ نَفْسَكَ. فَمَضَى الرُّسُولُ فَلَحَقَهُ وَقَدْ نَزَلَ عَلَى مَاءٍ يَتَغَدَّى عَلَيْهِ، فَأَبْلَغَهُ رَسَالَتَهُ وَدَفَعَ الْجَائِزَةَ. فَقَالَ: قُلْ لَهُ: صَدَّقْنِي رَبِّي وَكَذَّبَكَ.

قال يحيى بن عروة: وفرض له فريضتين، فكننت أنا في إحداهما.

أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو غَزِيَّةٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ حَبِيبٍ، قَالَ:

خَرَجَ ابْنُ أُذَيْنَةَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَقَدَّوْا عَلَيْهِ، وَكَانَ ابْنُهُ مَسْلَمَةٌ بِنُ هِشَامِ سَنَةَ حَجٍّ أَذِنَ لَهُمْ فِي الْوُفُودِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى هِشَامٍ انْتَسَبُوا لَهُ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا بَنُ أُذَيْنَةَ؟ فَقَالَ:

أَتَيْنَا نُمُوكَ بِأَرْحَامِنَا وَجِئْنَا بِإِذْنِ أَبِي شَاكِرٍ
فَبِإِنَّ الَّذِي سَارَ مَعْرُوفُهُ بِنَجْدٍ وَغَارٍ مَعَ الْغَائِرِ
/ إِلَى خَيْرِ خَنْدِفٍ فِي مَلَكِهَا لِإِدَارِ مِنَ الثَّاسِ أَوْ حَاضِرِ

[٣٢٦/١٨]

فقال له هِشَامُ: مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ أَكْذَبْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ تَقُولُ:

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْعَى لَهُ فَيُعْثِنِي تَطْلُبُهُ وَلَوْ جَلَسْتُ أَنَا فِي لَا يُعْثِنِي

فقال له ابن أذينة: ما أكذبت نفسي يا أمير المؤمنين، ولكني صدقته، وهذا من ذاك. ثم خرج من عنده فركب راحلته إلى المدينة، فلما أمر لهم هِشَامُ بِجَوَائِزِهِمْ فَقَدَهُ، فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ أُذَيْنَةَ؟ فَقَالُوا: غَضِبَ مِنْ تَقْرِيعِكَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ هِشَامُ بِجَائِزَتِهِ.

مَرَّ بِغَنَمِهِ وَرَاحِيهِ نَائِمٍ فَضْرِبَهُ وَقَالَ شِعْرًا

أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمِّي، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ:

كَانَ عُرْوَةُ بْنُ أُذَيْنَةَ نَازِلًا مَعَ أَبِي فِي قَصْرِ عُرْوَةَ بِالْعَقِيقِ، وَخَرَجَ أَبِي يَوْمًا يَمْشِي وَأَنَا مَعَهُ وَابْنُ أُذَيْنَةَ، وَنَظَرَ إِلَى

(١) هذا البيت ساقط من ف. والنصف: الإنصاف. يقال: ما جعلوا بيني وبينهم نصفًا.

(٢) «المختار»: «مقاطعتي».

غنى كانت له في يدي راع يقال له كعب، وهي مُهْمَلَة، وكعب نائم حَجْرَة^(١)، فجعل ابن أذينة يَنْزُو حوله وهو يَضْرِبُهُ ويقول:

لَوْ يَغْلَمُ الذَّنْبُ بِنُؤْمِ كَعْبٍ إِذَا لَأَمْسَى عِنْدَنَا ذَنْبٌ
أَضْرِبُهُ وَلَا يَقُولُ حَسْبِي لَا بَدَّ عِنْدَ ضَيْعَةٍ مِنْ ضَرْبٍ

غنى ابن عائشة بشعره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وحبیب بن نصر المَهْلَبِي، وإسماعيل بن يونس الشَّيْعِي قالوا: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ، قال: حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عن بعض أصحابه، قال:

/ مرَّ ابنُ عائشة المَغْنِي بِعُرْوَةَ بْنِ أَذِينَةَ، فقال له: قل لي أَيْبَانًا هَزَجًا أَغْنِي فِيهَا، فقال له: اجلس، فجلس، [٧/١٨] فقال:

صوت

سَلِّمْ أجمَعَتْ بَيْنَا فإِنْ تَقُولُهَا أَيْنَا!
وقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا زُهْرٌ تَلَاقَيْنَا:
تَعَالَيْنَ فَقَدْ طَابَ لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا
وَعَابَ الْبَرْمُ^(٢) اللَّيْلَ لَلْةِ وَالْعَيْنُ فَلَاعَيْنَا
فَأَقْبَلْنَ إِلَيْهَا مُسَدَّ عَرَعَاتٍ يَتَهَادَيْنَا
إِلَى مِثْلِ مَهَاةِ الرَّم لَلْ تَكُو الْمَجْلَسَ الزَّيْنَا
تَمْنَيْنَ مُنَاهُنَّ فَكُنَّا مَا تَمْنَيْنَا

قال أبو غَسَّانَ: فَحَدَّثْتُ أَنَّ ابْنَ عَائِشَةَ رَوَاهَا، ثم ضحك لما سمع قوله:

تَعْمَيْنَ مُنَاهُنَّ فَكُنَّا مَا تَمْنَيْنَا

ثم قال: يَا أَبَا عامر تَمْنَيْنَكَ^(٣) لَمَّا أَقْبَلَ بِخُرْكَ وَأَذْبَرَ ذَكْرَكَ.

ذُكِرَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَاْمْتَدَحَهُ

قال عمر بن شَبَّةَ: قال أبو غَسَّانَ: فَحَدَّثَنِي حَمَّادُ الْحُسَيْنِي قال:

ذُكِرَ ابْنُ أَذِينَةَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فقال: نِعَمَ الرَّجُلِ أَبُو عامر، على أنه الذي يقول:

وقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا زُهْرٌ تَلَاقَيْنَا

/ وَأَخْبَرَنِي بِهَذَا الْخَبَرِ وَكَيْع، قال: حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتُ، عن الزُّبَيْرِ، عن محمد بن [٨/١٨]

يَحْيَى، عن إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عن قَسْطَاسٍ قال:

(١) حجرة: ناحية.

(٢) البرم: الضجر السؤوم.

(٣) «المختار»: «تمتلك».

مرَّ ابنُ عائشةَ بابنِ أذينةَ، ثمَّ ذكرَ الخبرَ مثلَ الذي قبله.

اعتراض سكينه على ادعائه العفة مع شعر قاله

أخبرني حبيبُ بنُ نصرِ المهلبِ، والحرميُّ بنُ أبي العلاء، قالاً: حدَّثنا الزبيرُ بنُ بكار، قال: حدَّثني أبو معاوية عبدُ الجبار بنُ سعيد المساحقي، وأخبرنا به وكيع، قال: حدَّثنا أبو أيوب المديني، عن الحارث بن محمد العوفي، قال:

وقفت سَكِينَةُ بنتُ الحسين بن عليٍّ عليهما السلام على عُرْوَةَ بن أذينة في موكبها ومعها جوارِيها، فقالت: يا أبا عامر، أنت الذي تزعمُ أن لك مَرُوءَةً، وأن عَزَلَكَ من وراءِ عِفَّةٍ وأنتك تقي؟ قال: نعم، قالت: أفأنت الذي تقول:

صوت

قالت وأبشَّتها وَجَدِي فُبَحْتُ به: قد كنتَ عندي تُحبُّ السَّترَ فاستترِ
ألسَ تَبصرُ مَنْ حَوْلِي؟ فقلتُ لها: غَطَى هَوَاكِ وما أَلْقَى على بَصْرِي^(١)

قال لها: بلى، قالت: هُنَّ خَرَائِرُ إن كانَ هذا خَرَجَ مِن قَلْبِ سليم، أو قالت: من قَلْبِ صحيح.

[٣٢٩/١] في هَذَيْنِ البيتينِ لَعْلُويَةٌ رَمَلَ بالبَنْصرِ، وفيهما لِإِسحاقَ هَزَجٌ بالوسطى، / وفيهما لمَخارِقِ ثَقِيلٌ أولُ بالبَنْصرِ، عن الهشاميِّ وعمرو بن بانه، وذكرَ حَبَشَ أنَ الثَّقيلَ الأولَ لمعبدِ اليَقطِيني.

مركز توثيق مكتبة جامعة القاهرة

تمثل المتوكل للمتصر بشعره

وذكر عليُّ بنُ محمد بن نصر البسَّامي أن خاله أبا عبد الله بنَ حمدون بنِ إسماعيل قال:

كنت جالساً بين يدي المُتوكل، وبين يديه المتصر، فأحضر المعتزُّ وهو صَبِيٌّ صغير، فلعبَ فأفرطَ في اللعب، والمتصر يرمقه كالمنكر لفعله، فنظرَ إليه المُتوكلُ عدَّةَ دفعات، ثم التفتَ إلى المُتصر فقال: يا محمد:

قالت وأبشَّتها وَجَدِي فُبَحْتُ به: قد كنتَ عندي تُحبُّ السَّترَ فاستترِ

قال: فاعتذر إليه المتصرُّ عُذراً قبله وهو مُقَطَّبٌ مُعرض. قال: وكان المتصرُّ أشدَّ خَلَقَ اللهُ بُغْضاً للمعتز، وطعناً عليه. ولقد دخلتُ إليه يوماً ودخل إليه أبو خالد المهلبُ بعد قتل المتوكل وإفضاء الخلافة إليه، ومع المهلبِ دِرْعٌ كأنها فضة، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه دِرْعُ المهلب، فأخذها وقام فلبسها، ورأى المعتزُّ وعليه وشيءٌ مُثَقَّلٌ وما أشبه ذلك، فتمثلَ ببيتِ جرير:

لَبِسْتُ سِلَاحِي والفرزدقُ لُعبَةً عليه وشاحا كَرَجٍ^(٢) وجلاجله

اعترضت امرأة على شعر قاله

أخبرني وكيع، قال: حدَّثني هارونُ بنُ محمد، قال: حدَّثني عبدُ الله بن شُعَيْبِ الزُّبَيْري، قال: حدَّثني عبدُ العزيز بنُ أبي سَلَمَةَ قال:

(١) البيتان في «الشعر والشعراء» ٢ - ٥٧٩ ط. المعارف. وفي «التهذيب» ٢٧ ط. دار الكتب.

(٢) الكَرَج: مهر خشبي يلعب عليه الأطفال.

مَرَّتْ امْرَأَةٌ بِابْنِ أَذِينَةَ وَهُوَ بِفَنَاءِ دَارِهِ فَقَالَتْ لَهُ: أَأَنْتَ ابْنُ أَذِينَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: أَنْتَ الَّذِي يَقُولُ النَّاسُ إِنَّكَ امْرُؤٌ صَالِحٌ^(١)، وَأَنْتَ الَّذِي تَقُولُ:

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْحُبِّ فِي كَبِيدِي عَمَدْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ ابْتَرِدُ
/ هَنَيْسِي بَرَدْتُ بَبَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرَهُ فَمَنْ لِحَرٍّ عَلَى الْأَخْشَاءِ يَتَّقِدُ^(٢)

[٣٣٠/١٨]

أَبُو السَّائِبِ الْمَخْزُومِي يَطْلُبُ إِنْشَادَهُ شِعْرًا قَالَهُ عُرْوَةُ

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرِيُّ بْنُ بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَخْبَرَنَا بِهِ وَكِيعٌ، عَنْ هَارُونَ بْنِ الزِّيَّاتِ، عَنْ الزُّبَيْرِيِّ، عَنْ عَمِّهِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَذَكَرَهُ حَمَادٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الزُّبَيْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ هَذَا قَالَ:

كَانَ عُرْوَةُ بْنُ أَذِينَةَ نَازِلًا فِي دَارِ أَبِيهِ بِالْعَقِيقِ، فَسَمِعَهُ يَنْشُدُ:

صَوْت

إِنَّ النَّبِيَّ زَعَمْتُ فُؤَادَكَ مَلَّهَا جُعِلَتْ هَوَاكَ كَمَا جُعِلَتْ هَوَى لَهَا
فَبَكَ الَّذِي^(٣) زَعَمْتُ بِهَا وَكَلَامُهَا يُبْدِي لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا
وَيَبِيتُ بَيْنَ جَوَانِحِي حُبِّ لَهَا لَوْ كَانَ تَحْتَ فِرَاشِهَا لِأَقْلَهَا^(٤)
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا يَوْمًا وَقَدْ ضَحِيتُ إِذَا لَا ظِلَّهَا
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوَسَ سَلْوَةً شَفَعَ الْفُؤَادُ إِلَى الضَّمِيرِ فَسَلَّهَا^(٥)
بِضَاءٍ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلَبَاقَةٍ فَأَذَقَهَا وَأَجْلَهَا^(٦)
لَمَّا عَرَضْتُ مُسْلِمًا لِي حَاجَةً أَرْجُو مَعُونَتَهَا وَأَخْشَى دَلَّهَا^(٧)
مَنَعَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا
/ فَدَنَا فَقَالَ: لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ مِنْ أَجْلِ رَفِيتِهَا، فَقُلْتُ: لَعَلَّهَا

[٣٣١/١٨]

قَالَ: فَأَتَانِي أَبُو السَّائِبِ الْمَخْزُومِيُّ وَأَنَا فِي دَارِي بِالْعَقِيقِ، فَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ التَّرْحِيبِ: هَلْ بَدَتْ لَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، آيَاتُ لَعْرُوةَ بْنِ أَذِينَةَ، بَلَّغَنِي أَنَّكَ سَمِعْتَهَا مِنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: وَآيَةُ آيَاتٍ؟ فَقَالَ: وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ؟ قَوْلُهُ:

* إِنَّ النَّبِيَّ زَعَمْتُ فُؤَادَكَ مَلَّهَا *

فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ: «فَقُلْتُ: لَعَلَّهَا». قَالَ: أَحْسَنَ وَاللَّهِ، هَذَا وَاللَّهِ الدَّائِمُ الْعَهْدُ، الصَّادِقُ الصَّبَابَةُ، لَا الَّذِي يَقُولُ:

(١) ف، «التجريد»: «يقول الناس: إنك بريء وإنك صالح».

(٢) البيتان في «النتيبه» - ٢٦ ط. دار الكتب، وروي الشطر الأخير من البيت الثاني: «فمن لنار على الأحشاء تنقد».

(٣) معج، «المختار»: «التي زعمت».

(٤) أقلها: أصابها وأتعبها، وهذا البيت ساقط من ف.

(٥) في «الأمالي» ١ - ١٥٦: «شفع الضمير لها إلى فسله»، وفي «المختار»: «شفع الضمير إلى الفؤاد فسله».

(٦) في «الأمالي» ١ - ١٥٦: «بليانه فأرقها وأجلها».

(٧) س: «ذلها».

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ يَمْتَعُونَكَ رَغْبَةً عَنِّي فَأَهْلِي بِي أَضَنْ وَأَرْغَبُ
 اذْهَبْ لَا صَاحِبَكَ اللَّهُ وَلَا وَسَّعَ عَلَيْكَ - يَعْنِي قَائِلَ هَذَا الْبَيْتِ - لَقَدْ عَدَا الْأَعْرَابِيُّ طَوْرَهُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ
 يَغْفِرَ اللَّهُ لَصَاحِبِكَ - يَعْنِي عُرْوَةَ - لِحُسْنِ ظَنِّهِ بِهَا، وَطَلَبِهِ الْعُذْرَ لَهَا. قَالَ: فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الطَّعَامَ فَقَالَ: لَا، وَاللَّهِ
 مَا كُنْتُ لَأَكُلَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ طَعَامًا إِلَى اللَّيْلِ، وَأَنْصَرِفَ.

تذكر ما في هذا الخبر من الغناء

فِي الشُّعْرِ الْمَذْكُورِ فِيهِ لِعُرْوَةَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَالرَّابِعِ مِنَ الْأَبْيَاتِ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى، نَسَبَهُ ابْنُ الْمَكِّيِّ إِلَى
 ابْنِ مِسْجَحٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مِنْ مَنْحُولِهِ إِلَيْهِ، وَفِيهِمَا وَفِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ مِنْ شَعْرِ ابْنِ أُذَيْنَةَ خَفِيفَ ثَقِيلٍ لِابْنِ الْهَرَبِزْدِ،
 وَالْبَيْتُ:

وَبَيْتُ بَيْنَ جَوَانِحِي حُبِّ لَهَا لَوْ كَانَ تَحْتَ فِرَاشِهَا لَأَقْلَهَا

رَأَى لِأَبِي السَّائِبِ فِي شَعْرِ قَالَهُ

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَمِّلِيُّ، قَالَ:
 أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ^(١)، قَالَ: قُلْتُ: لِأَبِي السَّائِبِ الْمَخْزُومِيِّ: مَا أَحْسَنَ عُرْوَةَ بْنَ أُذَيْنَةَ حَيْثُ يَقُولُ:

البحر

[٣٣٢ / ١٨]

لَبِثُوا ثَلَاثَ مَنَى بِمَنْزِلِ غَطِيَّةٍ وَهُمْ عَلَى غَرَضٍ لَعَمْرُكَ مَا هُمْ
 مُتَجَاوِرِينَ بَغْيَرْدَارٍ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ رَحِيلُهُمْ لَمْ يَنْدُمُوا
 وَلَهُنَّ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لُبَانَةٌ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ^(٢)
 لَوْ كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظَعَائِنًا حَيَّا الْحَطِيطُ وَجُوهُهُنَّ وَزَمَزَمُ
 وَكَأَنَّهُنَّ وَقَدْ حَسَرْنَ لَوَاغِبًا يَبْضُ بِأَكْنَافِ الْحَطِيطِ مُرْكَمُ

فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةِ لِابْنِ سُرَيْجٍ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو.

قَالَ: فَقَالَ: لَا، وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَ وَلَا أَجْمَلَ، وَلَكِنَّهُ أَهْجَرُ وَأَخْطَلُ فِي صِفَتِهِنَّ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، ثُمَّ لَا يَنْدَمُ عَلَى
 رَحِيلِهِنَّ، أَهَكَذَا قَالَ كَثِيرٌ حَيْثُ يَقُولُ:

البحر

تَفَرَّقَ أَهْوَاءُ الْحَجِيجِ عَلَى مَنَى وَصَدَّعَهُمْ شَغَبُ النَّوَى صُبْحَ أَرْبَعٍ^(٣)
 فَرِيقَانِ: مِنْهُمْ سَالِكُ بَطْنِ نَخْلَةٍ وَآخَرُ مِنْهُمْ سَالِكُ بَطْنِ تَضْرُعٍ^(٤)

- فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِلدَّلَالِ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ وَحَبَشَ -.

(١) ف: «أخبرنا عبد الله بن عبيدة».

(٢) ف: «لا يتكلم».

(٣) في ف: «منذ أربع». وفي «معجم البلدان» ١ - ٨٥٣: «إلى منى... مشى أربع».

(٤) في «معجم البلدان» ١ - ٨٥٣: تضرع: جبل لكتانة قرب مكة.

فلَم أَر دَاراً مِثْلَهُ غَبَطَةً وملَقَى إِذَا التَّفَّ الْحَجِيجُ بِمَجْمَعٍ
أَقْلَ مُقِيمَا رَاضِيَا بِمَكَانِهِ وأكثرَ جَاراً ظَاعِنَا لَمْ يُودَعِ
انظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ تَقَدَّمَتْ شَهَادَتُهُ عِلْمَهُ وَكِبَا لِسَانَهُ بَيَانَهُ^(١) ، وَهَلْ يَغْتَبِطُ عَاقِلٌ بِمَقَامٍ لَا يَرْضَى بِهِ^(٢) ، وَلَكِنْ
مُكْرَهُ أَخْوَكُ لَا بَطْلَ ، وَالْعَرَجِيَّ كَانَ أَوْفَى بِالْعَهْدِ مِنْهُمَا وَأَوَّلَى بِالصَّوَابِ ، حِينَ تَعَرَّضَ لَهَا نَافِرَةً مِنْ مَنَى ، فَقَالَ لَهَا
عَاتِباً مُسْتَكِيناً :

[٣٣/١٨]

/ عُوجِي عَلَيَّ فَسَلِّمِي جَبْرُ فِيمَ الصُّدُودُ وَأَنْتُمْ سَفَرُ
مَا نَلْتَقِي إِلَّا ثَلَاثَ مَنَى حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا التَّفَرُّ

فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ غِنَاءٌ قَدْ تَقَدَّمَتْ نِسْبَتُهُ فِي أَخْبَارِ ابْنِ جَامِعٍ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ^(٣) .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُوسَى اللَّهْبِيُّ ، قَالَ :
كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ أَذِنَ لِلْقُرَشِيِّينَ فِي السَّلَامِ عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ لَمْ يَأْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ
وَقَالَ : أَكْذَبْنَا إِذَا قَوْلَ الْمُلْحَى - يَعْنِي كَثِيراً - حَيْثُ يَقُولُ :

تَفَرَّقَ أَهْوَاءُ الْحَجِيجِ عَلَى مَنَى وَصَدَّعَهُمْ شَعْبُ النُّوَى صُبْحَ أَرْبَعِ
وَذَكَرَ الْآيَاتِ الْأَرْبَعَةَ .



خَالِدُ صَامَةِ يَغْنِي شَعْرَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ
أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، قَالَ : حَدَّثَ الزُّبَيْرِيُّ ، عَنْ خَالِدِ صَامَةِ ، وَكَانَ
أَحَدَ الْمُغَنِّينَ قَالَ :

قَدِمْتُ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِ نَاهِيكَ بِهِ ، وَهُوَ عَلَى سُرِيرٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ مَعْبُدٌ وَمَالِكٌ
وَابْنُ عَائِشَةَ وَأَبُو كَامِلٍ ، فَجَعَلُوا يُغَنُّونَ ، حَتَّى بَلَغَتْ التَّوْبَةُ إِلَيَّ فَعَنَيْتُهُ :

صَوْت

[٣٤/١٨]

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَنْسَرِي وَغَارَ النَّجْمِ إِلَّا قَيْسَ فَنَسَرِي^(٤)
/ أَرَأَيْتَ فِي الْمَجَرَّةِ كُلِّ نَجْمٍ تَعَرَّضَ لِلْمَجَرَّةِ كَيْفَ يَجْرِي
لَهُمْ مَا أَزَالَ لَهُ مُدِيمَا كَانَ الْقَلْبُ أَضْرِمَ حَرَّ جَمَرِ^(٥)
عَلَى بَنِي أَخِي وَلَّى حَمِيدَا وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْفُو بَعْدَ بَنِي

(١) ف: «وكفى لسانه ببيانه» .

(٢) ف: «وجعل يغتبط عاقل بمقام ولا يرضى به» .

(٣) البيتان في الجزء الأول ص ٤٢٢ (طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر) معزوان للعرجي ، وهو يشيب بيجيرة المعزومية زوجة محمد بن هشام وجاء بعدهما بيت ثالث وهو :

الحِوَلُ بَعْدَ الْحَوَلِ يَجْمَعُنَا مَا السُّدُورُ إِلَّا الْحَوَلُ وَالْهَشَرُ

(٤) في «رغبة الأمل» ٢ - ٢٣٨ : «وغار النجم إلا قيد فتر» . وقيس فتر: مقداره .

(٥) ف: «قديمًا بدل: «مديماً» . وفي «رغبة الأمل» ٢ - ٢٣٨ : «كان القلب سحر حر جمر» .

فقال لي الوليد: أعد يا صام^(١)، ففعلت، فقال لي: مَنْ يَقُولُ هذا الشعر؟ قلتُ: عروة^(٢) بن أذينة يزني أخاه بكرةً. فقال لي: وأبي العيش لا يصفو بعده هذا العيش والله الذي نحن فيه على رَغَمِ أنفه، والله لقد تحجر واسعاً^(٣).

لابن سريج في هذه الأبيات ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو وابن المكي وغيرهما وفيها رمل يُنسب إلى ابن عباد الكاتب، وإلى حاجب الحزور^(٤)، وإلى مسكين بن صدقة.

حدثنا الأخفش، عن محمد بن يزيد، قال: قال الزُّبيري:

حَدَّثْتُ أَنْ سَكِينَةَ بِنْتُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْشَدَتْ هَذَا الشَّعْرَ فَقَالَتْ: مَنْ بَكَرَ هَذَا؟ أَلَيْسَ هُوَ الْأَسْوَدُ الدَّحْدَاحُ^(٥) الَّذِي كَانَ يَمُرُّ بِنَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَتْ: لَقَدْ طَابَ كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَهُ حَتَّى الْخُبْزُ وَالزَّيْتُ.

اعترض ابن أبي عتيق على شعره في رثاء أخيه فخاصمه

وأخبرني الحسن بن عليّ الخفاف، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدثنا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، قال: حدثني عمي، قال:

لَقِيَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ عُرْوَةَ بْنَ أَذِينَةَ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ:

لَا بَكَرَ لِي إِذْ دَعَاؤْتُ بِكَرًا وَدُونَ بَكَرٍ نَسَرَى وَطِينُ

/ حتى فرغ منها، ثم أنشده: [٣٣٥/١١]

* سَرَى هَمِي وَهَمُ الْمَرْءُ يَسْرِي *

حتى بلغ إلى قوله:

* وَأَبِي الْعَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرًا *

فقال له ابن أبي عتيق^(٦): كُلُّ الْعَيْشِ وَاللهِ يَصْلُحُ بَعْدَهُ حَتَّى الْخُبْزِ وَالزَّيْتُ. فغَضِبَ عُرْوَةُ مِنْ قَوْلِهِ، وَقَامَ عَنْ مَجْلِسِهِ، وَحَلَفَ أَلَّا يَكَلِّمَهُ أَبَدًا، فَمَاتَا مُتَهَاجِرِينَ.

(١) ف، مع: «يا أصم».

(٢) ف: «عمر بن أذينة».

(٣) تحجر واسعاً: ضيق على نفسه.

(٤) س: «ينسب إلى أبي عباد الكلب، وإلى صاحب الحرون».

(٥) الدحداح: القصير.

(٦) س، مع: «ابن عتيق».

/ تذكر مخارق وأخباره ^(١)

نسبه

هو مُخَارِقُ بْنُ يَحْيَى بْنِ نَاوُوسِ الْجَزَّارِ مَوْلَى الرَّشِيدِ، وقيل: بل نَاوُوسُ لَقَبَ أَبِيهِ يَحْيَى، وَيَكْنَى أبا الْمُهِتَأ، كناه الرشيد بذلك.

وكان قبله لعاتكة بنت شهدة، وهي من المغنيات المحسنات المتقدمات في الضرب، ذكر ذلك مخارق واعترف به. ونشأ بالمدينة، وقيل: بل كان منشؤه بالكوفة.

بان طيب صوته فعلمته مولاته الغناء

وكان أبوه جَزَّاراً مملوكاً، وكان مُخَارِقُ وهو صبي ينادي على ما يبيعه أبوه ^(٢) من اللحم، فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفاً من الغناء، ثم أرادت بيعه، فاشتراه إبراهيم الموصلي منها، وأهداه للفضل بن يحيى، فأخذه الرشيد منه، ثم اعتقه.

اشترى إبراهيم الموصلي ثم وهبه إلى الفضل بن يحيى ثم صار إلى الرشيد

أخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال حماد: حدثني زكريا مولاهم، وأخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن زكريا مولاهم، قال:

قَدِمْتُ مَوْلَاةً مُخَارِقَ بِهِ مِنَ الْكُوفَةِ، فَتَزَلْتُ الْمُخْرَمَ ^(٣)، وَصَارَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى جَدِّي الْأَصْبَغِ بْنِ سِنَانِ الْمُقَيْنِ ^(٤) وَسِيرِينَ ^(٥) بَنَ طَرْخَانَ النَّخَّاسِ، فَقَالَا لَهُ: إِنْ / هَا هُنَا امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَدِ قَدِمَتْ وَمَعَهَا غَلَامٌ يَتَغَنَّى، فَأَحْبَبَ ^[٣٣٧/١٨] أَنْ تَنْفَعَهَا فِيهِ، قَالَ: فَوَجَّهَنِي مَعَ مَوْلَاتِهِ لِأَحْمَلَهُ، فَوَجَدْتُهُ مُتَمَرِّغاً فِي رَمْلِ الْجَزِيرَةِ الَّتِي بِإِزَاءِ الْمُخْرَمِ وَهُوَ يَلْعَبُ، فَحَمَلْتُهُ خَلْفِي وَأَتَيْتُ بِهِ إِبْرَاهِيمَ، فَتَغَنَّى بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهَا: كَمْ أَمْلُكَ فِيهِ؟ قَالَتْ: عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِهَا وَهُوَ خَيْرٌ مِنْهَا. فَقَالَتْ: أَقْلَنِي، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، فَكَمْ أَمْلُكَ فِيهِ؟ قَالَتْ: عَشْرُونَ أَلْفاً، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِهَا وَهُوَ خَيْرٌ مِنْهَا. فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا تَطِيبُ نَفْسِي أَنْ أَمْتَنَعَ ^(٦) مِنْ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ بِكَبِدِ رَطْبَةٍ، فَهَلْ لَكَ فِي خَصْلَةٍ تُعْطِينِي بِهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَلَا أَسْتَقِيلُكَ ^(٧) بَعْدَهَا؟ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْهَا، فَصَفَّقْتُ عَلَى يَدِهِ ^(٨) وَبَايَعْتُهُ، وَأَمَرَ

(١) جاءت هذه الترجمة في الجزء الحادي والعشرين ١٤٣ - ١٥٩، وسقطت من طبعة بولاق وموضعها هنا، كما جاءت في نسخة ف وغيرها من النسخ الخطية الموثوقة.

(٢) ف: «أبو مخارق».

(٣) المخرم (بكسر الراء): محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى منسوبة إلى مخرم بن يزيد بن شريح.

(٤) المقين من قبيلة تميم: زينه.

(٥) في «المختار»: «شيرين بن طرخان». وفي مج: «بشر بن طرخان»، وفي ما: «ابن طرخان».

(٦) ف، «المختار»: «والله ما تطيب نفسي أن أمنع كبداً رطبة عشرين ألف درهم».

(٧) ف: «ولا أستقيلك». واستقاله البيع: طلب إليه أن يفسخه.

(٨) صفقت على يده: ضربت يدها على يده، وذلك وجوب البيع.

بالمال فأخضر، وأمر بثلاثة آلاف درهم فزیدت عليه، وقال: تكون هذه لهدية تهديتها أو كسوة تكتسبها، ولا تتلمين المال.

وراح إلى الفضل بن يحيى فقال له: ما خبر غلام بلغني أنك اشتريته؟ قال: هو ما بلغك، قال: فأرنيه، فأخضره، فلما تغنى بين يدي الفضل قال له: ما أرى فيه الذي رأيت، قال: أنت تريد أن يكون في الغناء مثلي في ساعة واحدة، ولم يكن مثله في الدنيا ولا يكون أبداً. فقال: بكم تباعه؟ فقال: اشتريته بثلاثة وثلاثين ألف درهم، وهو حر لوجه الله تعالى إن بعته إلا بثلاثة وثلاثين ألف دينار، فغضب الفضل وقال: إنما أردت أن تمنعني أو تجعله سبباً لأن تأخذ مني ثلاثة وثلاثين ألف دينار، فقال له: أنا أصنع بك خصلة؛ أبيعك نصفه هذا المال، وأكون شريكك في نصفه وأعلمه، فإن أعجبك إذا علمته أتممت لي باقي المال. وإلا بعته بعد ذلك وكان الربح بيني وبينك. فقال له الفضل: إنما أردت أن تأخذ مني المال الذي قدمت ذكره، فلما لم تقدر على ذلك أردت أن تأخذ نصفه.

[٣٣٨/١٨] / وغضب، فقال له إبراهيم: فانا أهبه لك، على أنه يساوي ثلاثة وثلاثين ألف دينار، قال: قد قبلته، قال: قد وهبته لك، وغداً إبراهيم على الرشيد، فقال له: يا إبراهيم ما غلام بلغني أنك وهبته للفضل؟ قال: فقلت: غلام يا أمير المؤمنين لم تملك العرب ولا العجم مثله، ولا يكون مثله أبداً، قال: فوجه إلى الفضل فأمره بإحضاره، فوجه به إليه فتغنى بين يديه، فقال لي: كم يساوي؟ قال: قلت: يساوي خراج مضر وضياعها.

فقال لي: ويلك، أتذري ما تقول! مبلغ هذا المال كذا وكذا، فقلت: وما مقدار هذا المال في شيء لم يملك أحد مثله قط؟ قال: فالتفت إلى مسرور الكبير وقال: كذا.

قد عرفت يميني ألا أسأل أحداً من البرامكة شيئاً بعد فتنة^(١)، فقال مسرور: فانا أمضي إلى الفضل فاستؤهبه منه، فإذا وهبه لي وكان عبدي فهو عبدي، فقال له: شأنك. فمضى مسرور إلى الفضل فقال له: قد عرفتم ما وقعتم فيه من أمر فتنة^(٢)، وإن منعتموه هذا الغلام قامت القيامة، واستؤهبه منه فوهبه له، فبلغ ما رأيت. فكان علوية إذا غضب على مخارق يقول له - حيث يقول: أنا مولى أمير المؤمنين - متى كنت كذلك؟ إنما أنت عبد الفضل بن يحيى أو مولى مسرور.

سبب تلقيب أبيه بناووس

أخبرني ابن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه قال:

[٣٣٩/١٨] كان مخارق بن ناووس الجزار؛ وإنما لقب بناووس لأنه بايع رجلاً أنه يمضي إلى ناووس^(٢) الكوفة فيطبخ فيه قدرًا بالليل حتى تنضج، فطرح رهنه بذلك، فدرس الرجل الذي رآه رجلاً، فألقى نفسه في الناووس^(٣) بين الموتى، فلما فرغ من الطبخ^(٣) / مد الرجل يده من بين الموتى وقال له: أطعمني، فغرف ملاء المغرفة من المرقعة فصبتها في يد الرجل فأحرقها، وضربها بالمغرفة وقال له: اصبر حتى نطعم الأحياء أولاً ثم نتفرغ للموتى، فلقب بناووس لذلك، فنشأ ابنه مخارق، وكان ينادي عليه إذا باع الجوز، فخرج له صوت عجيب، فاشترى أبي وأهداه

(١) «المختار»، «فتنة»، ولعله خادم أو جارية.

(٢) الناووس: مقبرة النصارى.

(٣) ف، «التجريد»: «فلما فرغ ناووس من طبخه».

للرَّشيد فأمره بتعليمه فعلمه حتى بلغ المبلغ الذي بلغه.

غنى لرشيد بعد ابن جامع ففاقه

وكان يقف بين يدي الرِّشيد مع الغلمان لا يجلس، ويُعَنِّي وهو واقف، فغَنَّى ابنُ جامع ذاتَ يوم بين يدي الرِّشيد:

كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ قُلْعَتِهِمْ مُصَبِّغَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قَصَارٍ^(١)
مَوْتُ هِرْقَلَةَ لَمَّا أَنْ رَأَتْ عَجَبًا حَوَائِمًا^(٢) تَرْتَمِي بِالنَّقْطِ وَالنَّارِ

فَطَرِبَ الرِّشيد واستعاده عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وهو شعر مُدَحٍّ به الرِّشيد في فتح هِرْقَلَةَ، وأقبل يومئذ على ابن جامع دُونَ غَيْرِهِ، فَغَمَزَ مُخَارِقُ إِبْرَاهِيمَ بَعِينَهُ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْخَلَاءِ، فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ لَهُ: مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا^(٣)؟ قَالَ: أَمَا تَرَى إِقْبَالَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ابْنِ جَامِعٍ بِسَبَبِ هَذَا الصَّوْتِ؟ فَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ أَخَذْتُهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيَحْكَ إِنَّهُ الرِّشيد، وَابْنُ جَامِعٍ مَنْ تَعْلَمُ، وَلَا يُمَكِّنُ مُعَارَضَتَهُ إِلَّا بِمَا يَزِيدُ عَلَى غِنَائِهِ، وَإِلَّا فَهُوَ الْمَوْتُ، وَقَالَ: دَعْنِي وَخَلَاكَ ذَمٌّ، وَعَرَفَهُ أَنِّي أَغْنَيْتُ بِهِ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَلَيْكَ يُنْسَبُ، وَإِنْ أَسَأْتُ فَلَيْتِي يَعُودُ^(٤). فَقَالَ لِلرِّشيد: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَاكَ مُتَعَجِّبًا مِنْ هَذَا / الصَّوْتِ بِغَيْرِ مَا يَسْتَحِقُّهُ وَأَكْثَرِ مِمَّا يَسْتَوْجِبُهُ، فَقَالَ: لَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ جَامِعٍ مَا شَاءَ، قَالَ: أَوْ لَا بَيْنَ [٣٤٠/١٨] جَامِعٍ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَذَا ذَكَرَ، قَالَ لَهُ: فَإِنْ عَبْدُكَ مُخَارِقًا يَغْنِيهِ، فَتَنْظُرُ إِلَى مُخَارِقٍ، فَقَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: هَاتِهِ، فَغَنَّا وَتَحَقَّقْ فِيهِ، فَأَتَانِي بِالْعَجَائِبِ؛ فَطَرِبَ الرِّشيدَ حَتَّى كَادَ يَطِيرُ فَرَحًا، وَشَرِبَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ جَامِعٍ فَقَالَ لَهُ: وَيَلَّكَ، مَا هَذَا! فَابْتَدَأَ يَحْلِفُ لَهُ بِالطَّلَاقِ وَكُلِّ مُحَرِّجَةٍ أَنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ ذَلِكَ الصَّوْتُ قَطُّ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا صَنَعَهُ غَيْرُهُ، وَأَنَّهَا حِيلَةٌ جَرَتْ عَلَيْهِ، فَأَقْبَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ: أَصْدَقْنِي بِحَيَاتِي، فَصَدَّقَهُ^(٥) عَنْ قِصَّةِ مُخَارِقٍ، فَقَالَ لَهُ: أَكْذَلِكَ هُوَ يَا مُخَارِقُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا مَوْلَايَ، فَقَالَ: اجْلِسْ إِذْنًا مَعَ أَصْحَابِكَ، فَقَدْ تَجَاوَزْتَ مَرْتَبَةَ مَنْ يَقُومُ، وَأَعْتَقَهُ وَوَصَلَهُ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ، وَأَقْطَعَهُ ضَيْعَةً وَمَنْزِلًا.

كان سبب عتقه وغناه لحناً غناه أمام الرِّشيد

أخبرني محمد بنُ خَلْفٍ وكيع، وحدثني محمد بنُ خَلْفٍ بنِ المَرْزُبَانِ، قَالَ وَكَيْعٌ: حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُخَارِقٍ، وَقَالَ ابْنُ المَرْزُبَانِ: ذَكَرَ هَارُونُ بْنُ مُخَارِقٍ، قَالَ:

كان أبي إذا غنى هذا الصوت:

يَا رُبَّعَ سَلَمَى لَقَدْ هَيْجَتَ لِي طَرِبًا زِدْتَ الْفَسَادَ عَلَى عِلَاتِهِ وَصَبَا^(٦)
رُبَّعٌ تَبَدَّلَ مِنْ كَسَانٍ يَسْكُنُهُ عُفْرُ الطُّبَاءِ وَظِلْمَانَا بِهِ عُصْبَا^(٧)

(١) المصبغات: الملونات، والأرسان من الأرض: الحزنة. والقصار: المبيض الثياب.

(٢) «المختار»: «جوائمًا». وجاء البيت الثاني في «التجريد» مكان الأول.

(٣) ف: «ما لي رأيتك مفكرًا».

(٤) «التجريد»، ف: «وإن أسأت فعلي يعود».

(٥) «المختار»: «فصدق».

(٦) ف: «نصبا».

(٧) العصب: جمع عُصْبَةٍ، وهي الجماعة.

يبكي ويقول: أنا مولى هذا الصوت، فقلتُ له: وكيف ذاك يا أبت؟ فقال: غَنَيْتُهُ مولاي الرشيد فبكي وشرب عليه رطلاً، ثُمَّ قال: أَحَسَّنْتَ يا مُخَارِقُ فَسَلَنْي حاجتك، فقلتُ: أَنْ تَغْتَقِنِي يا أمير المؤمنين أعتقك الله من / النار، فقال: أَنْتَ حُرٌّ لوجه الله، فَأَعِدِ الصوت، فَأَعِذْهُ فبكي وشرب رطلاً ثُمَّ قال: أَحَسَّنْتَ يا مُخَارِقُ فَسَلَنْي حاجتك، فقلتُ: ضَيْعَةٌ تُقِيمُنِي غَلَّتْهَا، قال: قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِهَا، أَعِدِ الصوت، فَأَعِذْهُ فبكي وقال: سَلْ حاجتك، فقلتُ: يا أمير المؤمنين تأمر لي بمنزل وفرش وخادم، قال: ذَلِكَ لَكَ، أَعِدِ الصوت، فَأَعِذْهُ، فبكي وقال: سَلْ حاجتك، فَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقُلْتُ: حَاجَتِي أَنْ يُطِيلَ اللَّهُ بِقَاءِكَ وَيُدِيمَ عَزَّكَ وَيَجْعَلَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ فِدَاءَكَ، فَأَنَا مَوْلَى هَذَا الصوت بعد مولاي.

المأمون يسأل إسحاق عنه وعن إبراهيم بن المهدي

(١) وذكر محمد بن الحسن الكاتب أنَّ أبان بن سعيد حَدَّثَهُ:

أَنَّ المأمون سأل إسحاق، عن إبراهيم بن المهدي ومخارق فقال: يا أمير المؤمنين إذا تَغَنَّى إبراهيم بن المهدي بعلمه فَضَّلَ مخارقاً، وإذا تَغَنَّى مخارق بطبيعته وَفَضَّلَ صوته فَضَّلَ إبراهيم، فقال له: صدقت (١).

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حَدَّثَنَا المُبَرِّدُ بهذا الخبر فقال: حَدَّثَنِي بعضُ حاشية السلطان:

أَنَّ إبراهيم الموصلي غَنَى الرَّشِيدَ يوماً هذا الصوت فأعجب به وطرب له واستعاده مراراً، فقال له: فكيف لو سمعته من عَبْدِكَ مُخَارِقَ، فَإِنَّهُ أَخَذَهُ عَنِّي وَهُوَ يَفْضُلُ فِيهِ الْخَلْقَ جَمِيعاً وَيَفْضُلُنِي، فدعا بمخارق فأمره أَنْ يُغَنِّيَهُ، وذكر باقي الخبر مِثْلَ الَّذِي تَقَدَّمَ.

كناه الرشيد أبا لنهنا لإحسانه في الغناء

أخبرني الحسن بن علي، قال: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، عن إسحاق بن محمد النَّخَعِيِّ، عن الحسين بن الضَّحَّاك، عن مُخَارِقَ:

أَنَّ الرَّشِيدَ قَالَ يَوْماً لِلْمُغَنِّينَ وَهُوَ مُصْطَبِحٌ، مِنْ مِنْكُمْ يُغَنِّي (٢):

* يَا رَبِّعَ سَلَمَى لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرَباً *

[٣٤٢/١٨] / فَقَمْتُ فَقُلْتُ: أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: هَاتِهِ، فَنَغْنِيَتْهُ، فَطَرِبَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَالَ: عَلَيَّ بِهَرَثَمَةَ بْنِ أُغَيْنَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُرِيدُ مِنْهُ؟ فَجَاءُوا بِهَرَثَمَةَ، فَأَدْخَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَجْرُ سَيْفَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا هَرَثَمَةُ، مُخَارِقُ الشَّارِي (٣) الَّذِي قَتَلَنَاهُ بِنَاحِيَةِ الْمُؤَصِّلِ مَا كَانَتْ كُنْيَتُهُ؟ فَقَالَ: أَبُو الْمُهَنَّا، فَقَالَ: انصَرَفْ، فَانصَرَفَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: قَدْ كُنَيْتُكَ أبا الْمُهَنَّا لِإِحْسَانِكَ، وَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَانصَرَفْتُ بِهَا وَبِالْكُنْيَةِ.

الوائق يعذر غلماناه حين تركوا قصره وذهبوا لسماع غنائه

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ نَصْرِ الْبَسَامِيِّ، قال: حَدَّثَنِي خَالِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدُون، قال:

(١) - (١) هذا الخبر ساقط من ف.

(٢) ف: «يغنييني».

(٣) الشاري: من يبيع نفسه في طاعة الله، واحد الشراة. والشراة: فرقة من الخوارج.

رُحْنَا إِلَى الْوَاتِقِ وَأُمُّهُ عَلِيلَةٌ، فَلَمَّا صَلَّى الْمَغْرِبَ دَخَلَ إِلَى أُمِّهِ، وَأَمَرَ بِالْأَنْبَرِ، وَكَانَ فِي الصَّحْنِ حُضْرٌ غَيْرُ مَقْرُوشَةٍ. فَقَالَ لِي مَخَارِقُ: امْضِ بِنَا حَتَّى نَقْرُسَ^(١) حَصِيرًا مِنْ هَذِهِ الْحُضْرِ فَنَجْلِسَ عَلَى بَعْضِهِ وَنَتَكَيَّ عَلَى الْمُدْرَجِ مِنْهُ، وَكَانَتْ لَيْلَةٌ مُقْمِرَةٌ، فَمَضَيْنَا فَنَرَشْنَا بَعْضَ تِلْكَ الْحُضْرِ، وَاسْتَلْقَيْنَا وَتَحَدَّثْنَا، وَأَبْطَأَ الْوَاتِقُ عِنْدَ أُمِّهِ، فَانْدَفَعَ مَخَارِقُ فَعَنَى:

أَيَا يَيْسَتْ لَيْلَى إِنْ لَيْلَى عَرِيَّةٌ بِرَاذَانَ لَا خَالَ لَدَيْهَا وَلَا ابْنَ عَمٍّ^(٢)

فاجتمع علينا الغلمان وخرج الوراق فصاح: يا غلام، فلم يجبه أحدٌ، ومشى من المجلس إلى أن تَوَسَّطَ الدَّارَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ بَادَرْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: / لِي: وَيْلَكَ، هَلْ حَدَّثَ فِي دَارِي شَيْءٌ؟^(٣) فَقُلْتُ: لَا يَا سَيِّدِي، فَقَالَ: [٣٤٣/١٨] فَمَالِي أَصِيحُ فَلَا أَجَابُ! فَقُلْتُ: مَخَارِقُ يَغْنِي وَالْغِلْمَانُ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، فَلَيْسَ فِيهِمْ فَضْلٌ لِسَمَاعٍ غَيْرِ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنْهُ، فَقَالَ: عُدُّ وَاللَّهِ لَهُمْ يَابْنَ حَمْدُونَ، وَأَيُّ عُذْرٍ! ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى السَّحَرِ.

إبراهيم الموصلي يعرف جودة طبعه فيخصه بالتعليم

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن مَخَارِقًا كَانَ يَنَادِي عَلَى اللَّحْمِ الَّذِي يَبِيعُهُ أَبُوهُ، فَيَسْمَعُ لَهُ صَوْتُ عَجِيبٍ، فَاشْتَرَتْهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ شُهْدَةَ وَعَلِمَتْهُ شَيْئًا مِنَ الْغِنَاءِ لَيْسَ بِالكَثِيرِ، ثُمَّ بَاعَتْهُ مِنْ آلِ الزَّيْبَرِ، فَأَخَذَهُ مِنْهُمْ الرَّشِيدَ وَسَلَّمَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ، فَأَخَذَ عَنْهُ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يُقَدِّمُهُ وَيُؤَثِّرُهُ وَيُخْصِّصُهُ بِالْتَّعْلِيمِ لَمَّا تَبَيَّنَ مِنْهُ وَمِنْ جُودَةِ طَبْعِهِ.

كان عبداً لعاتكة بنت شهدة الحاذقة بالغناء

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب قال: حَدَّثَنِي ابْنُ خُرْدَاذْبَةَ قَالَ:

كَانَ مَخَارِقُ بْنُ يَحْيَى بْنِ نَاوُوسِ الْجَزَارِ، وَكَانَ عَبْدًا لِعَاتِكَةَ بِنْتِ شُهْدَةَ، وَكَانَتْ عَاتِكَةُ أَحَدَاقَ النَّاسِ بِالْغِنَاءِ، وَكَانَ ابْنُ جَامِعٍ يَلُودُ مِنْهَا بِالْتَّرْجِيْعِ^(٤) الْكَثِيرِ، فَتَقُولُ لَهُ: أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ؟ هَلُمَّ إِلَى مَعْظَمِ الْغِنَاءِ وَدَعْنِي مِنْ جُنُونِكَ، قَالَ: فَحَدَّثَنِي مَنْ حَضَرَهُمَا أَنَّ عَاتِكَةَ أَفْرَطَتْ يَوْمًا فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ جَامِعٍ بِحَضْرَةِ الرَّشِيدِ، فَقَالَ لَهَا: أَيُّ أُمِّ الْعَبَّاسِ، أَنَا - يَشْهَدُ اللَّهُ - أَحِبُّ^(٥) أَنْ تَحْتَكَّ شِعْرَتِي بِشِعْرَتِكَ، فَقَالَتْ لَهُ: اسْكُتْ قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ، وَلَمْ تُعَاوِدْ بَعْدَ ذَلِكَ أَذِيَّتَهُ، قَالَ: وَكَانَتْ شُهْدَةُ أُمُّ عَاتِكَةَ نَائِحَةً. هَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ خُرْدَاذْبَةَ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ كَمَا ذَكَرَهُ.

محمد بن داود يغني الرشيد بلحن أخذه عن شهدة فيفوق المغنين

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْغَلَابِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ التُّوْقَلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ [٣٤٤/١٨]

(١) فِي س، ف: «نَبَسْتُ حَصِيرًا».

(٢) رَاذَانَ «بَعْدَ الْأَلْفِ ذَالٌ مَعْجَمَةٌ» الْأَسْفَلُ، وَرَاذَانَ الْأَعْلَى: كُورْتَانُ بِسَوَادٍ بَغْدَادُ تَشْتَمِلَانِ عَلَى قُرَى كَثِيرَةٍ، وَأُورْدُ يَاقُوتُ فِي «مَعْجَمِهِ» ٢ - ٧٣٠ الْبَيْتُ بَعْدَ قَوْلِهِ: وَقَالَ مُرَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّهْدِيُّ فِي رَاذَانَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءَ بَعْدَهُ الْبَيْتَانِ:

وَيَا بَيْتَ لَيْلَى لَوْ شَهِدْتُكَ أَصُولْتَ
وَيَا بَيْتَ لَيْلَى لَا يَسِيْتُ وَلَا تَزَلْ
عَلَيْكَ رَجَالٌ مِنْ فَصِيحٍ وَمِنْ عَجَمٍ
بِلَادِكَ يَسْقِيهَا مِنَ الْوَاكِفِ السَّدِيمِ

وَفِي ف: «بِدَارَانِ» بَدَلُ «بِرَاذَانَ».

(٣) - (٣) سَاقَطَ مِنْ ف.

(٤) رَجَعَ صَوْتُهُ، وَفِيهِ: رَدَدَهُ فِي حَلْقِهِ.

(٥) ف: «أَشْتَهِي».

العبّاس الرّبيعي، أنّه كان هو وابنُ جامع وإبراهيمُ الموصلي وإسماعيلُ بنُ عليّ عند الرّشيد، ومعهم محمدُ بن داودَ بن عليّ، فغنى المغنّون جميعاً، ثم اندفع محمد بن داود فغناه:

صوت

أُمّ الوليد سلّمتني حلمي وقتلتني فتحلّلتني إثمي^(١)
 بالله يا أُمّ الوليد أما تخشين في عواقب الظّلم!
 وتركتني أبغي الطّيب وما لطيبنا بالداء من علم^(٢)

قال: فاستحسنه الرّشيد وكلُّ من حضر وطروا له، فسأله الرّشيد: عمّن أخذته، فقال: أخذته عن شهدة جارية الوليد بن يزيد، قال عبدُ الله بن العبّاس، وهي أُمّ عاتكة بنتُ شهدة.

الآياتُ المذكورة التي فيها الغناء لعبيد الله بن قيس الرّقيات، وتماؤها:

لله دُرّك في ابن عمّك قد زوّدتني سُقماً على سُقْم
 فسي وجهها ماء الشّباب ولم تقبل بمكسروه ولا جهم^(٣)

والغناء فيه لابن مُحرز لحنان، كلاهما له، أحدهما ثقیل الأوّل بالخِصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر خفيف ثقیل الأوّل بالبصر عن / عمرو بن بانه، وفيه لمالك ثاني ثقیل عن الهشاميّ وحَبَش، وفيه لسليمان خفيف رمل بالبصر عنهما، وثقیل أوّل للحسين بن مُحرز.

الوائق يوازن بين جماعة من المغنين ويذكر أثر غناء مخارق

وقال هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك الرّيات، قال أبي:

قال الواثقُ أميرُ المؤمنين: خطأُ مخارق كصواب علوية، وخطأُ إسحاق كصواب مُخارق، وما غنّاني مُخارق قطّ إلا قدّرت أنّه من قلبي خُلِق، ولا غنّاني إسحاق إلا ظننت أنّه قد زيد في ملكي ملك آخر.

قال: وكان يقول: أتريدون أن تنظروا فضلَ مُخارق على جميع أصحابه: انظروا إلى هؤلاء الغلمان الذين يقفون في السّماط. فكانوا يتفقّدونهم وهم وقوف، فكلهم يسمعون الغناء من المغنين جميعاً وهو واقف مكانه ضابط لنفسه، فإذا تغنى مخارق خرجوا عن صوّرهم فتحرّكت أرجلهم ومناكبهم، وبانت أسباب الطّرب فيهم، وازدحموا على الحبل الذي يقفون من ورائه.

يستوقف الناس بحسن صوته في الأذان

قال هارون: وحُدّث أنّه خرج مرّة إلى باب الكُناسة بمدينة السّلام، والنّاس يرتحلون^(٤) للخروج إلى مكة،

(١) تحللي إثمي: أبيحني أو اجعليه حلالاً. وفي «الديوان» - ١٤٩ ط. بيروت: «فتحلي إثمي»، وفي ف: «فتحلي».

(٢) في «الديوان» - ١٤٩:

بـالله يا أمّ البنين أدم تخشي عليك عواقب الإثم
 وتركتني أدمر الطيب وما لطبيكم بالداء من علم

(٣) في «الديوان» - ١٥٠: «وبوجهها ماء الشباب ولم... تقبل بملعون ولا جهم». والجهم: الإبتقال بوجه كربه.

(٤) ف، مج: «يرحلون». وفي ما: «يرحلون».

فنظر إليهم واجتماعهم وازدحامهم^(١)، فقال لأصحابه الذين خرجوا معه: قد جاء في الخبر أن ابن سريج كان يتغنى في أيام الحج، والناس يميني فيستوقفهم بغنائه، وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وأستلهمهم جميعاً، لتعلموا أنه لم يكن ليفضلني إلا بصنعة دون صوته، ثم اندفع يؤذن، فاستوقف أولئك الخلق واستلهمهم، حتى جعلت المحامل يغشى بعضها بعضاً، وهو كالأعمى عنها لما خامر قلبه من الطرب لحسن ما يسمع.

أبو العتاهية يعجب بغنائه إعجاباً شديداً

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة، قال: حدثني ابن أخت الحاركي وأبو سعيد / الرامهرمزي، وأخبرني علي بن [٣٤٦/١٨] سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد الأزدي^(٢)، عن أحمد بن عيسى الجلودي عن محمد بن سعيد الترمذي - وكان إسحاق إذا ذكر محمداً وصفه بحسن الصوت، ثم قال: قد أفلتت منه، فلو كان يُغني لتقدمنا جميعاً بصوته - قالوا:

جاء أبو العتاهية إلى باب مخارق فطره واستفتح^(٣)، فإذا مخارق قد خرج إليه، فقال له أبو العتاهية: يا حُسان^(٤) هذا الإقليم، يا حَكِيم أرض بابل، أصبب في أذني شيئاً يقرح به قلبي، وتنعم به نفسي، فقال: انزلوا، فنزلنا، فغنا، قال محمد بن سعيد: فكدت أسمى على وجهي طرباً. قال: وجعل أبو العتاهية يبكي، ثم قال له: يا دواء المجانين لقد رَقَقْتُ حَتَّى كِدْتُ أَحْسُوكَ، فلو كان الغناء طعاماً لكان غناؤك أداماً، ولو كان شرباً لكان ماء الحياة.

أبو العتاهية يشتهي سماعه حين حضرته الوفاة

نسخت من كتاب ابن أبي الدنيا، حدثني بعض خدام السلطان، قال:

قال رجل لأبي العتاهية وقد حضرته الوفاة: هل في نفسك شيء تشتهي؟ قال: أن يحضر مخارق الساعة فيُغَنِّي:

سُيَعْرَضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي^(٥) وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ
إِذَا مَا انْقَضَتْ عُنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي فَإِنْ غَنَاءَ الْبَاكِيَاتِ قَلِيلُ

سأل أبا العتاهية عن شعره في تبخيل الناس

أخبرني عمي، قال: حدثنا محمد بن علي بن حمزة العلوي، قال: حدثنا علي بن الحسين بن الأعرابي، قال: لقي مُخَارِقُ أبا العتاهية، فقال له: يا أبا إسحاق، أنت القائل:

/ اضْرِفْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِثْ — فَتَ فَلَئِنْ تَرَى إِلَّا بِخَيْلًا

[٣٤٧/١٨]

قال له: نعم. قال: بَخَلَّتِ النَّاسَ جَمِيعاً، قال: فَاضْرِفْ بِطَرْفِكَ يَا أبا الْمُهْتَأِ فَانْظُرْ فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى إِلَّا بِخَيْلاً،

(١) س: «فنظر إلى كثرتهم واجتماعهم وازدحامهم».

(٢) س: «محمد بن يزيد المبرد الأزدي».

(٣) ف: «إلى باب مخارق واستفتح».

(٤) حَسَنُ الشَّيْءِ: جَمُلٌ، فَهُوَ حَاسِنٌ وَحَسَنٌ وَحَسِينٌ وَحُسَانٌ.

(٥) ف، «المختار»: «سُيَعْرَضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي» بالبناء للفاعل.

وإلا فأكذبني بجواد واحد، فالتفت مُخارقاً يميناً وشمالاً ثم أقبل عليه فقال: صدقت يا أبا إسحاق، فقال له أبو العتاهية: فديتك، لو كنت ممّا يُشرب لذُرزت على الماء وشربت.

غنى بين قبرين فترك الناس أعمالهم والتفوا حوله

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني بعض آل نُوبخت، قال:

كان أبي وعبد الله بن أبي سهل وجماعة من آل نُوبخت وغيرهم وقوفاً بكناسة الدواب في الجانب الغربي من بغداد يتحدثون، فإنهم لكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود، وعليه قميص رقيق ورداء مُسهم^(١)، قال: فيم كنتم؟ فأخبروه، فقال: دعوني من وسواسكم هذا، أي شيء لي عليكم إن رميتُ بنفسي بين قبرين من هذه القبور وغطيت وجهي وغثيت صوتاً، فلم يبق أحدٌ بهذه الكناسة ولا في الطريق من مُشتَرٍ ولا بائع ولا صادر ولا وارد إلا ترك عمله وقرب مني وأتبع صوتي؟ فقال له عبد الله: إني لأحب أن أرى هذا، فقل ما شئت، فقال: فرسك الأشقر الذي طلبته منك فمَنَعْتَنِي، قال: هو لك إن فعلت ما قلت، ثم دخلها ورمى بنفسه بين قبرين وتغطى بردائه، ثم اندفع يُغني فغنى في شعر أبي العتاهية:

نَادَتْ بِوَشْكَ رَحِيلِكَ الْيَامُ أَفَلَسْتَ تَسْمَعُ أُمَّ بَكَ اسْتِصْمَامُ!

/ قال: فرأيتُ الناسَ يتقَوَّضُونَ إلى المقبرة أرسالاً^(٢) من بين راكب وراجل وصاحب شَوْل وصاحب جَذِي^(٣) ومازُ بالطريق، حتى لم يبق بالطريق أحد، ثم قال لنا من تحت رداءه: هل بقي أحد؟ قلنا: لا، وقد وجب الرهن، فقام فركب حماره، وعاد النَّاسُ إلى صَنَائِعِهِمْ، فقال لعبد الله: أخضر الفرس، فقال: على أن تُقيم اليوم عندي، قال: نعم، فانصرفنا معهما، وسلّم الفرس إليه وبرّه وأحسن إليه وأحسن رفده.

نسبة هذا الصوت

صوت

نَادَتْ بِوَشْكَ رَحِيلِكَ الْيَامُ	أفلسْتَ تَسْمَعُ أُمَّ بَكَ اسْتِصْمَامُ!
وَمَضَى أَمَامَكَ مَنْ رَأَيْتَ وَأَنْتَ لَدَى	بَاقِينَ ^(٤) حَتَّى يُلْحَقُوكَ إِمَامُ
مَا لِي أَرَاكَ كَأَنَّ عَيْنَكَ لَا تَرَى	عَبْرَاءَ ^(٥) تَمَرُكَ أَنْهَنْ سِهَامُ
تَمِضِي الْخُطُوبُ وَأَنْتَ مُتَّبَعٌ لَهَا	فَإِذَا مَضَتْ فَكَأَنَّهَا أَحْلَامُ

الشعر لأبي العتاهية، والغناء لإبراهيم ثَقِيل أول بالوسطى، وفيه لمُخَارِقُ هَزَج بالوسطى، كلاهما عن عمرو، وفيه رمل يقال: إنه لعلوية، ويقال: إنه لمخارق. عن الهشامي.

(١) سهم الثوب: صور فيه سهاماً؛ فهو مُسهم.

(٢) يتقوضون: يجيئون ويذهبون، وفي «المختار»: «ينفضون». والأرسال جمع رسل: الجماعة من الناس.

(٣) ما، «المختار»: «صاحب شوك وصاحب كرى». والشول جمع شائلة على غير قياس، وهي من الإبل: التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنا.

(٤) ف: «وأنت في الباقيين».

(٥) ف: «عبراً».

بكى أبو العتاهية حين سمع جارية تغني لحناً لمخارق في شعر له

أخبرني جحظة، قال: ذكر ابن المكي المرتجل عن أبيه:

أَنَّ أبا العتاهية دخل يوماً إلى صديق له وعنده جارية تغني، فقال: / أبا إسحاق إن هذه الجارية تُغني صوتاً [٣٤٩/١٨]
حسناً في شعر لك، أفتنشط إلى سماعه؟ قال: هايتيه، فغنته لحناً لعمر بن بانه في قوله:

* نَادَتْ بِوَشِكِ رَحِيلِكَ الْإِيَّامُ *

فعبس وبسر وقال: لا جزى الله خيراً مَنْ صنع هذه الصنعة في شعري، قال: فإنها تُغني فيه لحناً لمخارق،
قال: فلتغنه فغنته، فأعجبه وطرب حتى بكى ثم قال: جزى الله هذا عني خيراً، وقام فانصرف.

وقد روى هذا الخبر هارون بن الزيات، عن حماد بن إسحاق عن أبيه، عن غزوان: أنه كان وعبيد الله بن
أبي غسان، وأبو العتاهية، ومحمد بن عمرو الرومي، عند ابن أبي مريم^(١) ومعهم مُغنية يقال لها بنت إبليس، فغنى
عبيد الله بن أبي غسان في لحن مخارق:

* نَادَتْ بِوَشِكِ رَحِيلِكَ الْإِيَّامُ *

فلم يستحسنه أبو العتاهية، ثم غنى فيه لحناً لإبراهيم بن المهدي فأطربه، وقال: جزى الله عني هذا خيراً.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: بلغني أَنَّ المتوكل دخل إلى جارية من
جواريه وهي تُغني:

مَرْثِيَةٌ كَمَرْثِيَةِ رُحَى

أَمِنْ قَطْرِ النَّدى نَظْمٌ	سَتْ تَغْرُكُ أَمِ مِنَ الْبَرْدِ
وَرِيقُكَ مِنْ سُلَافِ الْكَرِ	مِ أَمِ مِنْ صَفْوَةِ الشُّهُدِ
أَيَّامَنْ قَدْ جَرَى مِثِّي	كَمْ جَرَى الرُّوحُ فِي الْجَسَدِ ^(٢)
صَمِيرُكَ شَاهِدِي فِيمَا	أُقَاسِيهِ مِنَ الْكَمَدِ

/ والغناء لمخارق رمل، فقال لها: ويحك، لِمَنْ هذا الغناء؟ فقالت: أخذته من مخارق، قال: فألقيه علي [٣٥٠/١٨]
الجواري جميعاً، ففعلت، فلما أخذته عنها أمر بإخراجهن إليه، ودعا بالبيد، وأمر بالآل يُغنيته غيرَه ثلاثة أيام
متوالية، وكان ذلك بعد وفاة مخارق.

أدخل أبا المضاء الأسدي بيته وسقاه وغناه وكساه فقال فيه شعراً

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: قال عمر بن نوح بن جرير:

سألت أبا المضاء الأسدي أن يُشِدني فقال: أَتَشِدُّكَ مِنْ شِعْرِي شَيْئاً، قُلْتُ لرجل لقيته على الجسر ببغداد،
فأعجبه مني ما يرى من دماثي، وأقبلتُ أحذته وهو يُنصت لي، وأُنشده وهو يُحسن الإصغاء إلى إنشادي، ويُحدثني
فيحسن الحديث، حتى بلغنا منزله، فأدخلني فغداًني ثم لم يرم حتى كساني وسقاني فرواني، ثم أسمعني والله شيئاً

(١) ف: «عند ابن أبي موسى».

(٢) ف: «في جسدي».

ما طار في مسامعي شيءٌ قط أحسن منه، فلما خرجتُ سألت عنه، فقال لي غلمانه: هذا أبو المهتأ مخارق، فقلتُ فيه:

أعواد الله يوم أبي المهتأ علينا إنَّه يوم نضير^(١)
تغيَّبَ نَحْسُه عَنَّا وأزغى علينا وابسلُ جود^(٢) مطيرُ
فلَمَّا أن رأيتُ القطر فوقِي وأقداحاً يَحُثُّ بها المُديرُ
وأسعدنا بصوتٍ لسو وعاء وليَّ العهد خفَّ به السرير^(٣)
تذكرتُ الحبيبَ وأهل نجدٍ وروضاً نبَّته غَضُّ نضيرُ

قال: فقلتُ له: ولم ذكرتُ نجداً مع ما كنتُ فيه؟ وكان ينبغي لك أن تنساه، قال: كلاً، إنَّ المرء إذا كان فيما يُحبُّ تذكَّرَ أهله، قلت: فما غناك؟ قال: غنائي:

/ وما روضةُ جاد الرِّيحُ بهطلِبه عليها فروأها ورقَّتْ عُصونُها
وهبَّتْ عليها الرِّيحُ حتى تبسَّمت وحتى بدَّتْ فوق الغُصون عِونُها
بأحسنَ منها إذ بدَّتْ وسطَ مَجْلِسٍ وفي يدها عودٌ فصيحٌ يزِينُها
وقد أنطقته والشَّمالُ جَريئةً على عَقْدٍ ما تُلقِي عليها يمينُها^(٤)

[٣٥١/١٨]

قال: فلم يزل يُردِّده عليَّ حتى قَضَيْتُ وطري من لَدُنِّي، وحَفِظْتُهُ عنه.

غنى لإبراهيم الموصلي فجرت دموه ونشج أحرَّ نشيج

أخبرني جَحْظَة، قال: حدَّثني حمَّاد بنُ إسحاق، عن أبيه قال:

دخلتُ على جدِّك إبراهيم وهو جالسٌ بين بابينِ له، ومُخارقٌ بين يديه يُغَنِّيهِ:

يا رَبِّعَ بَشْرَةٍ إنَّ أَضْرَبَكَ الْبَلَى فلقد رأيتُكَ أهلاً مغموراً

قال: واللَّحْنُ الذي كان يُغَنِّيهِ لِمَالِكٍ، وفيه عِدَّةُ ألحانٍ مشتركة، فرأيتُ دُمُوعَ أبي تَجْرِي عِى خَدَّيْهِ من أربعة أماكن وهو يَنشِجُ أحرَّ نشيج^(٥)، فلَمَّا رأني قال: يا إسحاق هذا والله صاحبُ اللواءِ غداً إن مات أبوك.

رأى رؤيا فسرها إبراهيم الموصلي بأن إبليس قد عقد له لواءَ صنعة الغناء

أخبرني الحسنُ بن عليِّ الخَفَّاف، قال: حدَّثني محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدَّثني هارونُ بنُ مُخارق، عن أبيه، قال:

رأيتُ وأنا حَدَثُ كَأَنَّ شَيْخاً جالِساً على سريرٍ في روضةٍ حسنةٍ قد دعاني، فقال لي: غَنِّي يا مُخارق، فقلت: أصوتاً تقترحه أم ما حضر؟ فقال: ما حضر، فغَنَّيْتَهُ بصنعتي في:

(١) ف: «يوم قصير».

(٢) الجود: المطر الغزير، وقد يأتي وصفاً كما ورد في البيت.

(٣) في: «حف به السرور».

(٤) ف: «ما تلقى عليه يمينها»، والشمال: الريح التي تهب من جهة الشمال وتقابل الجنوب. والجرية: الوكيله.

(٥) نشج الباكي نشيجاً: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

صوت

دَعِيَ الْقَلْبَ لَا يَزْدَدُ خَبَالًا مَعَ الَّذِي بِهِ مِنْكَ أَوْ دَاوِي جَسَواهُ الْمُكْتَمَا
وَلَيْسَ بِتَزْوِيْقِ اللِّسَانِ وَصَوِّغِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالذَّمَا

/ وَلَحْنٌ مُخَارِقٌ فِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ، وَفِيهِ لَا بِنَ سُرَيْجٍ رَمَلٍ.

[٣٥٢/١٨]

قال: فقال لي: أحسنت يا مخارق، ثم أخذ وتراً من أوتار العود فلفه على المضرب، ودفعه إليّ، فجعل المضرب يطول ويغلظ، والوتر ينتشر ويعرض حتى صار المضرب كالرُمح، والوتر كالعذبة عليه، وصار في يدي علماً، ثم انتهت فحدثت بروياي إبراهيم الموصلي، فقال لي: الشيخ، بلا شك، إبليس، وقد عقد لك لواء صنعتك، فأنت ما حييت رئيس أهلها.

قال مؤلف هذا الكتاب: وأظن أن الشاعر الذي مدح مخارقاً إنما عنى هذه الرؤيا بقوله:

لَقَدْ عَقَّدَ الشَّيْخُ الَّذِي غَرَّ أَدَمًا وَأَخْرَجَهُ مِنْ جَنَّةٍ وَحَدَائِقِ
لِرَواءِي قُتُونٍ لِلْقَرِيضِ وَلِلْغِنَا وَأَقْسَمَ لَا يُعْطِيهِمَا غَيْرَ حَاذِقِ

أرسل الواثق جواريه إلى بيته ليلصق لهم صوتاً

وذكر محمد بن الحسن الكاتب، أن هارون بن مخارق حدثه فقال:

كان الواثق شديد الشغف بأبي، وكان قد اقتطعه عنّا، وأمر له بخجيرة في قصره، وجعل له يوماً في الأسبوع لتؤبته في منزله، وكان جواريه يختلفون^(١) لذلك اليوم، قال: فانصرف إلينا مرة في نوبته فصلّى الغداة مع الفجر على أسرة في صحن الدار في يوم صائف وجلس يسبح، فما راعنا إلا خدماً بيض قد دخلوا فسلموا عليه وقالوا: إن أمير المؤمنين قد دعا بنا في هذه الساعة، فأعذنا عليه الصوت الذي طرحته علينا فلم يرضه من أحد منا، وأمرنا بالمصير إليك لنصححه عليك، قال: فأمر غلماناه فطرحوا لهم عدة كراسي فجلسوا عليها، ثم قال لهم: ردّوا الصوت، فردّوه، فلم يرضه من أحد منهم، فدعا بجاريته عميم، فردّته عليهم، فلم يرضه منها، قال: / فتحوّل إليهم ثم اندفع فردّ الصوت على الخدم، فخرج الوصائف من حُجَر جواريه حتى وقفن حوالى الأسرة، [٣٥٣/١٨] ودخل غلام من غلماناه وكان يستقي الماء، فهجم على الصحن بدلوه، وجاءت جارية على كتفها جرة من جرار المزمّلات^(٢)، حتى وقفت بالقرب منه، قال: وسبقني عيناى فما كففت دموعها^(٣) حتى فاضت.

ثم قطع الصوت حين استوفاه، فرجع الوصائف الأصاغر سعيّاً إلى حُجَر الجوارى، وخرج الغلام السقاء يشتد إلى بغلة، ورجعت الجارية الحاملة الجرة المزمّلة شداً إلى الموضع الذي خرجت منه، فتبسّم أبي وقال: ما شأنك يا هارون؟ فقلت: يا أبت جعّلني الله فداءك، ما ملكت عيني، قال: وأبوك أيضاً لم يملك عينه.

نام في بيت إبراهيم بن المهدي وهو يغني ثم انتبه وأكمل الغناء

وذكر هارون بن الزيات عن أصحابه قال:

(١) في ما، ف: «يختلفون».

(٢) المزمّلات: جمع مزملة؛ وهي الجرة يبرد فيها الماء، وفي وسطها ثقب فيه قصبة من الفضة أو الرصاص يشرب منها (عراقية).

(٣) ف: «دموعها».

جمع إبراهيم بن المهدي المغنين ذات يوم في منزله، فأقاموا، فلما دخلوا في الليل ثمل مخارق وسكر سُكراً شديداً، فسألوه أن يغني صوتاً، فغنى هذا البيت من شعر عُمر بن أبي ربيعة المخزومي:

قال: ساروا وأمعنوا واستقلوا وبرغمي لو استطعت سبيلا

فانتهى منه إلى قوله: واستقلوا. وانثنى نائماً، فقال إبراهيم بن المهدي: مهْدُوهُ^(١) ولا تُزعجوه، فمهْدُوهُ ونام، حتى مضى أكثر الليل، ثم استقل من نومه فانتبه وهو يغني تمام البيت:

* وبرغمي لو استطعت سبيلا *

(٢) وهو تمام البيت من حيث قطعه وسكت عليه من صوته^(٢).

١ / قال: فجعل إبراهيم يتعجب منه، ويعجب منه مَنْ حَضَره، من جودة طبعه وذكاؤه وصحة فهمه. [٣٥٤/١٨]

محمد بن الحسن بن مصعب يسأل إسحاق عنه وعن إبراهيم بن المهدي: أيهما أحذق غناء

حدثنا يحيى بن علي بن يحيى المُنْجَم، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال: قال محمد بن الحسن بن مصعب:

قلت لإسحاق يوماً: أسألك بالله إلا صدقتني في مخارق وإبراهيم بن المهدي، أيهما أحذق وأحسن غناء؟ فقال لي إسحاق: أجاد أنت؟ والله ما تقاربا قط، والدليل على فضل مخارق عليه أن إبراهيم لا يؤدي صوتاً قديماً ثقيلاً جيداً أبداً ولا يستوفيه، وإنما يُغني الأهازج والغناء الخفيف، وأما الذي فيه عمل شديد فلا يُصيبه.

طلب منه سعيد بن سلم الغناء في شعر ضعيف

أخبرني يحيى، قال: حدثنا أبو أيوب المديني، قال: حدثني بعض ولد سعيد بن سلم، قال:

دخل مخارق على سعيد بن سلم فسأله حاجة، فلما خرج قيل له: أما تعرف هذا؟ هذا مخارق، فقال: ويحكم! دخل ولم نعرفه، وخرج ولم نعرفه، رُدُّوه، فرُدُّوه، فقال له: دخلت علينا ولم نعرفك، فلما عرفناك^(٣) أحببنا ألا نخرج حتى نسمعك، فقال له: أي شيء تشتهي أن أسمعك؟ فقال:

يا ريح ما تصنعين بالدمن^(٤) كم لك من مخو منظر حسن!

فغناه مخارق، فلما خرج قال لبعض بنيه: أبوكم هذا نكس^(٥) يتشهى على مثلي:

* يا ريح ما تصنعين بالدمن *

/ أخبرنا يحيى بن علي، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال: حدثني عمي محمد، قال:

سمعت أبي يقول وقد غنى مخارق: نعم الفسيلة^(٦) غرس إبليس في الأرض.

(١) مهْدُوهُ: مكنوه من النوم.

(٢ - ٢) التكملة من ف.

(٣) ف: «عرفنا».

(٤) الدمن جمع دمنة، وهي آثار الدار.

(٥) النكس: الضعيف الذي لا خير فيه.

(٦) الفسيلة: جزء من النبات يفصل عنه ويغرس، أو النخلة الصغيرة تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس.

جارية تغني صوتاً له بحضرته فتحسن

أخبرني عمي، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قال: سَمِعَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقَارِيَّ مَهْدِيَّةَ جَارِيَةِ يَعْقُوبَ بْنِ السَّاحِرِ تَغْنِي صَوْتاً لِمُخَارِقَ بِحَضْرَتِهِ، وَقَدْ كَانَتْ أَخَذَتْهُ عَنْهُ وَهُوَ:

مَا لِقَلْبِي يَزْدَادُ فِي اللَّهِ وَغِيًّا وَاللَّيَالِي قَدْ أَنْصَجْتَنِي كَيْيَا
سَهَلْتُ بِعَدَدِكَ الْحَوَادِثُ حَتَّى لَسْتُ أَخْشَى وَلَا أَحْذِرُ شَيْئَا
فَأَحْسَنْتُ فِيهِ مَا شَاءَتْ، وَانصرفت محمد بن سعيد، وقرأ على لحنه: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^(١).

قصة رجل حلف بالطلاق أن يسمعه ثلاث مرات

حَدَّثَنِي عمي، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، قال:

كُنْتُ عِنْدَ مُخَارِقَ أَنَا وَهَارُونَ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هِشَامٍ، فَلَعِبَ مَعَ هَارُونَ بِالنَّرْدِ فَقَمَرَهُ مُخَارِقَ مَاتِي رَطْلَ بَاقِلًا طَرِيًّا، فَقَالَ مُخَارِقُ: وَأَنْتُمْ عِنْدِي أَطْعِمُكُمْ مِنْ لَحْمِ جَزُورٍ مِنَ الصَّنَاعَةِ، يَعْنِي مِنْ صِنَاعَةِ أَبِيهِ يَحْيَى بْنِ نَاوُوسِ الْجَزَارِ.

قال: ومَرَّ بهارون بن أحمد فصِيلٌ يُنَادِي عَلَيْهِ، فاشتراه بأربعة دنانير، ووجه به إلى مُخَارِقَ، وقال: يكون ما تطعمنا من هذا الفصيل، فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جَزُورِيَّةً، وعمل من سنامه وكبدته ولحمه غَضَائِرَ^(٢) شُوِيَتْ فِي النَّثُورِ، وعمل من لحمه لوناً يشبه الهريسة بشعير مَقْشَرٍ^(٣) فِي نَهَايَةِ الطَّيْبِ، فَأَكَلْنَا وَجَلَسْنَا نَشْرَبُ، فَإِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ تَصِيحُ مِنَ الشُّطِّ: / يَا أَبَا الْمُهْنَأْ، اللَّهُ اللَّهُ فِيَّ، حَلَفَ زَوْجِي عَلَيَّ بِالطَّلَاقِ أَنْ يَسْمَعَ غِنَاءَكَ وَيَشْرَبَ عَلَيْهِ، [٣٥٦/١٨] فقال: اذهبي وجيئي به، فجاء فجلس، فقال له: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ، فقال له: يَا سَيِّدِي، كُنْتُ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنْ صَنَعَتِكَ فَطَرَبْتُ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَخَفَّنِي الطَّرَبُ، فَحَلَفْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ ثِقَةً بِإِيجَابِكَ حَقَّ زَوْجَتِي، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ دَايَةَ هَارُونَ بْنِ مُخَارِقَ. فقال: وما هو الصوت؟ فقال:

صوت

بَكَرْتُ عَلَيَّ فَهَيَّجَتْ وَجَدًا هُوجُ^(٤) الرِّيحِ وَأَذْكَرْتُ نَجْدًا
أَنْجَنُ مِنْ شَوْقٍ إِذَا ذَكَرْتُ نَجْدٌ وَأَنْتَ تَرْكُتْهَا عَمْدًا

الشعر لحسين بن مطير، والغناء لمُخَارِقَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ، وفيه لإسحاق ثَقِيلٌ أَوَّلٌ آخِرٌ، فغنَّاهُ إِيَّاهُ وَسَقَاهُ رَطْلًا، وَأَمَرَهُ بِالْانْصِرَافِ، وَنَهَاهُ أَنْ يُعَاوَدَ، وَخَرَجَ. فَمَا لَبِثْنَا أَنْ عَادَتِ الْمَرْأَةُ تَصْرُخُ: اللَّهُ اللَّهُ فِيَّ يَا أَبَا الْمُهْنَأْ، قَدْ أَعَادَ زَوْجِي الْمَشْؤُومَ الْيَمِينَ أَنْكَ تُغْنِيهِ صَوْتاً آخَرَ، فَقَالَ لَهَا: أَخْضِرِيهِ، فَأَحْضَرْتُهُ أَيْضًا، فَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ، مَا لِي وَلَكَ! أَيْ شَيْءٍ قَصَّتَكَ^(٥)! فقال له: يَا سَيِّدِي أَنَا رَجُلٌ طَرُوبٌ، وَكُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ صَوْتاً لَكَ آخَرَ فَاسْتَفَزَّنِي الطَّرَبُ إِلَى أَنْ

(١) مريم/١٢.

(٢) ف، ما: «غضائر». والغضائر: القطع.

(٣) ف: «مقشور».

(٤) الهُوجُ: جمع هوجاء، وهي الرياح المتداركة الهبوب كأن بها هوجاً.

(٥) س: «أيش قصتك»!

حَلَفْتُ بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا أَنِّي أَسْمَعُهُ مِنْكَ، قَالَ: وما هو؟ قَالَ لَحْنُكَ:

أَبْلِغْ سَلَامَةً أَنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا^(١) وَأَنْ صَحَبَكَ عَنْهَا رَائِحُونَ غَدًا
هَذَا الْفِرَاقُ يَقِينًا إِنْ صَبَرْتَ لَهُ أَوْ لَا فَإِنَّكَ مِنْهَا مَيِّتٌ كَمَا
لَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي بِي سَوْفَ يُهْلِكُنِي إِنْ كَانَ أَهْلُكَ حُبٌّ قَبْلَهُ أَحَدًا

٣٥٧/١٨ / فَعَنَاهُ إِيَّاهُ مُخَارِقٌ وَسَقَاهُ رَطْلًا، وَقَالَ لَهُ: احْذَرْ وَبِكَ أَنْ تُعَاوِدَ، فَاَنْصَرَفَ. وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ عَاوَدْتَ الصَّبِيحَ
تَصْرُخُ: يَا سَيِّدِي، قَدْ عَاوَدَ الْيَمِينَ ثَلَاثَةً، اللَّهُ اللَّهُ فِيَّ وَفِي أَوْلَادِي، قَالَ: هَاتِيهِ، فَأَحْضَرْتَهُ، فَقَالَ لَهَا: اَنْصَرِفِي أَنْتِ،
فَإِنْ هَذَا كَلِمَا اَنْصَرَفَ حَلَفَ وَعَادَ، فَذَعِيهِ يُقِيمُ يَوْمَهُ كُلَّهُ، فَتَرَكْتَهُ وَانْصَرَفْتُ، فَقَالَ لَهُ مُخَارِقٌ: مَا فَصَّيْتُكَ أَيْضًا؟ قَالَ:
قَدْ عَرَفْتُكَ يَا سَيِّدِي أَنَّنِي رَجُلٌ طَرُوبٌ، وَكَنتِ سَمِعْتَ صَوْتًا مِنْ صَنَعَتِكَ فَاسْتَخَفَّنِي الطَّرِبُ لَهُ فَحَلَفْتُ أَنِّي أَسْمَعُهُ
مِنْكَ، قَالَ: وما هو؟ قَالَ:

أَلِفَ الظُّبَيْ يَعَادِي وَنَقَى الْهَمُّ زُقْسَادِي
وَعَدَا الْهَجْرُ عَلَى الْوَضِّ لَبَّ بِأَسْيَافٍ حِدَادِ
قُلْ لِمَنْ زَيْفٌ وَدِي لَسْتُ أَهْلًا لِسُودَادِي

قَالَ: فَعَنَاهُ إِيَّاهُ وَسَقَاهُ رَطْلًا، ثُمَّ قَالَ: يَا غُلَامَ، مَقَارَعٌ، فَجِءَ بِهَا، فَأَمَرَ بِهِ فَبُطِّحَ، وَأَمَرَ بِضَرْبِهِ فَضْرِبَ
خَمْسِينَ مِقْرَعَةً، وَهُوَ يَسْتَغِيثُ فَلَا يَكْلُمُهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: احْلِفْ بِالطَّلَاقِ أَنَّكَ لَا تَذْكُرُنِي أَبَدًا، وَإِلَّا كَانَ هَذَا دَابُّكَ إِلَى
الْإِلِيلِ، فَحَلَفَ بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ، ثُمَّ أُقِيمَ فَأُخْرِجَ عَنِ الدَّارِ، فَجَعَلْنَا نَضْحَكَ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا مِنْ حُفْمِهِ.

أَشْرَفَ مِنْ بَيْتِهِ عَلَى الْقُبُورِ وَغْنَى بَاكِيًا

أَخْبَرَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ
عُمَرَ بْنِ بَرْيَعٍ، قَالَ:

أَتَيْتُ مُخَارِقًا ذَاتَ يَوْمٍ وَمَعِيَ زُرُورُ الْكَبِيرِ لِنُقِيمَ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ أَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنْ جَنَاحِ لَهُ، وَهُوَ مُشْرِفٌ
عَلَى الْمَقَابِرِ يُعْنِي هَذَا الْبَيْتَ وَيَبْكِي:

* أَيْنَ الْمَلُوكُ الَّتِي كَانَتْ مُسْلَطَةً *

٣٥٨/١٨ قَالَ: فَاسْتَخَسَّنَا مَا سَمِعْنَاهُ مِنْهُ اسْتِحْسَانٌ مَن لَمْ يَسْمَعْ قَطَّ غَنَاءَ غَيْرِهِ، فَقَالَ / لَنَا: اَنْصَرِفُوا، فَلَيْسَ فِيَّ فَضْلٌ
الْيَوْمَ بَعْدَمَا رَأَيْتُمْ. قَالَ مُحَمَّدٌ: وَكَانَ وَاللَّهِ مُخَارِقٌ مَن لَوْ تَنَفَّسَ لِأَطْرَبَ مَن يَسْمَعُهُ اسْتِمَاعَ نَفْسِهِ.

سَمِعْتُ الظُّبَاءَ غَنَاءَهُ فَوَقَفْتُ بِالْقَرَبِ مِنْهُ مَصْغِيَةً

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْكَاتِبُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْمَكِّيَّ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

خَرَجَ مُخَارِقٌ مَعَ بَعْضِ إِخْوَانِهِ إِلَى بَعْضِ الْمَتَنَزَّهَاتِ، فَنَظَرَ إِلَى قَوْسٍ مُذْهَبَةٍ مَعَ أَحَدٍ مَن خَرَجَ مَعَهُ، فَسَأَلَهُ
إِيَّاهَا، فَكَأَنَّ الْمَسْئُولَ ضَنَّ بِهَا. قَالَ: وَسَنَحْتُ ظُبَاءَ بِالْقَرَبِ مِنْهُ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْقَوْسِ: أَرَأَيْتَ إِنْ تَغَنَّيْتُ صَوْتًا
فَعَطَفْتُ عَلَيْكَ بِهِ خُدُودَ هَذِهِ الظُّبَاءِ، أَتَدْفَعُ إِلَيَّ هَذِهِ الْقَوْسَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاَنْدَفَعَ يَغْنِي.

(١) أَفَدَ: دَنَا أَوْ عَجَلَ.

صوت

مما إذا تقول الطُّبَاءُ أفرقة أم لقاء
أم عهدهما بسليمة وفي البيان شفاء
مررت بنا سنانحات وقد دنا الإساء
فما أهازت جواباً وطال فيها^(١) الغناء

في هذه الأبيات ليحيى المكيّ ثقل أول بالوسطى.

قال: فعطفت الطُّبَاءُ راجعةً إليه حتى وقفت بالقرب منه، مُستشرفةً تنظر إليه مصغية تسمعُ صوته، فعجِبَ مَنْ حضر من رجوعها ووقوفها، وناولهُ الرَّجُلُ القوسَ فأخذها وقطَعَ الغناء، فعادت الطُّبَاءُ نفاهاً، ومضت راجعةً على سَنَنِها^(٢).

/ غنى وسط دجلة فتسابق الناس لسماعه

قال ابنُ المكيّ: وحَدَّثني رجلٌ من أهل البصرة كان يَألفُ مُخارقاً ويصحبُه، قال:

كنتُ^(٣) معه مرّةً في طيَّار ليلاً وهو سكران، فلما تَوَسَّطَ دِجْلَةَ اندفعَ بأعلى صوته فغَنَى، فما بقي أَحَدٌ في الطَّيَّار من مَلَّاحٍ ولا غلامٍ ولا خادِمٍ إلا بَكَى من رِقَّةِ صوته، ورأيت السَّمْعَ والشُّرُجَ من جانبي دجلة في صُحُونِ القُصُورِ والدُّورِ يتساعون بين يدي أهلها^(٤) يستمعون غناهُ.

ابن الأعرابي يستكثر الهبة التي أخذها لشعر غناه

حدَّثني الصُّولِيُّ، قال: حدَّثني مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ الحُزْنِيلِيُّ، قال:

كنا في مجلس ابنِ الأعرابيِّ إذ أقبل رجلٌ من ولد سعيد بن سَلَمٍ كان يلزم ابنَ الأعرابيِّ، وكان يُحِبُّه ويأنسُ به، فقال له: ما أَخْرَكَ عَنِّي؟ فاعتذر بأشياء منها أنه قال: كنتُ مع مُخَارِقٍ عند بعض بني الرِّشِيدِ، فَوَهَبَ له مائة ألفِ دِرْهَمٍ على صوت غناهِ إياه، فاستكثر^(٥) ابنُ الأعرابيِّ ذلك واستهوله، وعجب منه وقال له: بأيِّ شيء غناهُ؟ قال: غناهُ بشعر العباس بنِ الأحنف:

صوت

بَكَسْتُ عَيْنِي لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْحُزْنِ وَأَوْجَاعٍ
وإنِّي كُلُّ يَوْمٍ عِنْدَ دَكَمٍ يَخْطِي بِي السَّاعِي

فقال ابنُ الأعرابيِّ: أمّا الغناء فما أدري ما هو، ولكن هذا والله كلام قريب مليح.

(١) ف: «وطال منها».

(٢) السنن: الطريقة.

(٣) ف، ما: «ركبت معه في طيار... الخ». والطيار: القارب السريع.

(٤) يتساعون بين يدي أهلها: يتسابقون.

(٥) ف: «فاستكبر ذلك ابن الأعرابي واستهاله».

لَحْنُ مُخَارِقٍ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مِنْ جَامِعِ صَنَعَتِهِ، وَفِيهِمَا لِإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِيَّ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو بْنِ بَانَةَ. وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِيهِمَا لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ لَحْنًا مَاخُورِيًّا.

١/ ٣٦٠ / نصيح إبراهيم بن المهدي شارية بالآ تشبه به في تزايدِهِ وإلا هلكت

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةُ، قال: حَدَّثَنِي هِبَةُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ، قال:

غَنَّتْ شَارِيَةُ يَوْمًا بِحَضْرَةِ أَبِي صَوْتًا، فَأَحَدُ النَّظَرِ إِلَيْهَا وَصَبَرَ حَتَّى قَطَعَتْ نَفْسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا: أَمْسِكِي، فَاْمَسَكْتَ، فَقَالَ لَهَا: قَدْ عَرَفْتُ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ ذَهَبْتَ؛ أَرَدْتُ أَنْ تَشَبَّهِي بِمُخَارِقٍ فِي تَزَايِدِهِ، قَالَتْ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي. قَالَ: إِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَعُودِي، فَإِنَّ مُخَارِقًا خَلَقَهُ اللَّهُ وَحْدَهُ فِي طَبْعِهِ وَصَوْتِهِ وَنَفْسِهِ، يَتَصَرَّفُ فِي ذَلِكَ أَجْمَعَ كَيْفَ أَحَبَّ، وَلَا يَلْحَقُهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ، وَقَدْ أَرَادَ غَيْرُكَ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ فَهَلْكَ، وَافْتَضَحَ وَلَمْ يَلْحَقْهُ، فَلَا أَسْمَعُكَ تَتَعَرَّضِينَ لِمِثْلِ هَذَا بَعْدَ وَقْتِكَ هَذَا^(١).

غلمان المعتصم يتركونه ويجمعون لسماع مخارق فيعذروهم

أخبرني عمِّي، قال: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ نَصْرِ الْبَسَامِيِّ، قال: حَدَّثَنِي خَالِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ، قال:

كُنَّا بَيْنَ يَدَيِ الْمُعْتَصِمِ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَشْرَبُ إِلَى أَنْ سَكَرْنَا جَمِيعًا، فَقَامَ، فَنَامَ^(٢) وَتَوَسَّدْنَا أُيُدَيْنَا^(٣) وَنَمْنَا فِي مَوَاضِعِنَا، ثُمَّ أَتَبَهُ فَصَاحَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، وَسَمِعْنَا صِيَاحَهُ فَتَبَادَرْنَا نَسْأَلُ عَنِ الْغُلَمَانِ، فَإِذَا مُخَارِقٌ قَدْ أَتَبَهُ قَبْلَنَا فَخَرَجَ إِلَى الشَّطِّ يَتَنَسَّمُ الْهَوَاءَ، وَانْدَفَعَ يُغَنِّي، فَتَلَّاحَقَ بِهِ الْغُلَمَانُ جَمِيعًا، فَجِئْتُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ فَأَخْبَرْتُهُ وَقُلْتُ: مُخَارِقٌ عَلَى الشَّطِّ يُغَنِّي وَالْغُلَمَانُ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، فَلَيْسَ فِيهِمْ فَضْلٌ لَشَيْءٍ غَيْرِ اسْتِمَاعِهِ، فَقَالَ لِي: يَا بَنَ حَمْدُونَ، عَذْرُ وَاللَّهِ وَأَيُّ عَذْرًا ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى السَّحَرِ.

المأمون يسأل إسحاق عن غناء مخارق وإبراهيم بن المهدي

وذكر محمد بن الحسن^(٣) الكاتب أن أبا نَ سَعِيدَ حَدَّثَهُ:

أَنَّ الْمَأْمُونَ سَأَلَ إِسْحَاقَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَمُخَارِقٍ، فَقَالَ: يَا أَمِيرُ / الْمُؤْمِنِينَ، إِذَا تَغَنَّى إِبْرَاهِيمُ بِعِلْمِهِ فَضْلُ مُخَارِقًا، وَإِذَا تَغَنَّى مُخَارِقٌ بِطَبْعِهِ وَفَضْلُ صَوْتِهِ فَضْلُ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ.

١/ ٣٦١

غنى الأمين فخلع عليه جبة ثم ندم حين رآها عليه

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ هَارُونَ بْنِ الزِّيَّاتِ:

حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُخَارِقٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَعَانِي مُحَمَّدُ الْأَمِينُ يَوْمًا وَقَدْ اصْطَبَحَ فَاقْتَرَحَ عَلَيَّ:

اسْتَقْبَلْتُ وَرَقَ الرِّيحَانِ تَقَطُّفُهُ وَعَنِيَرُ الْهِنْدِ وَالْوَرْدِيَّةُ الْجُدَا
أَلَسْتُ تَعْرِفْنِي فِي الْحَيِّ جَارِيَةً وَلَمْ أَخُنْكَ وَلَمْ تَرْفَعِ إِلَيَّ يَدًا^(٤)

(١) ف: «بعد وقبل هذا».

(٢) - ٢) التكملة من ما.

(٣) ف: «محمد بن الحسين الكاتب».

(٤) س: «... ولم أرفع إليك يدًا».

فَغَنِيَّتُهُ إِيَّاهُ، فَطَرِبَ طَرِباً شَدِيداً وَشَرِبَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ وَلِأَنَّ، وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ وَخَلَعَ عَلَيَّ جُبَّةً وَشَيْءٌ كَانَتْ عَلَيْهِ مُذْهَبَةٌ، وَدُرَاعَةٌ مِثْلُهَا وَعِمَامَةٌ مِثْلُهَا تَكَادُ تُغْشِي الْبَصَرَ مِنْ كَثَرَةِ الذَّهَبِ، فَلَمَّا لَبِسْتُ ذَلِكَ وَرَأَاهُ عَلِيٌّ نَدِمَ، وَكَانَ كَثِيراً مَا يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَقَالَ لِبَعْضِ الْخَدَمِ: قُلْ لِلطَّبَاحِ يَا بُنَيَّ بِمَصْلِيَّةٍ^(١) مَعْقُودَةَ السَّاعَةِ، فَأَتَى بِهَا، فَقَالَ لِي: كُلْ مَعِيَ، وَكُنْتُ أَعْرِفُ النَّاسَ بِمَذْهَبِهِ وَبِكِرَاهَتِهِ لَذَلِكَ، فَامْتَنَعْتُ. فَخَلَفَ أَنْ أَكَلَ مَعَهُ، فَحِينَ أَذْخَلْتُ يَدِي فِي الْغَضَارَةِ^(٢) رَفَعَ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفْ نَغْصَتَهَا عَلَيَّ وَاللَّهِ وَقَدَّرْتَهَا عِنْدِي بِإِدْخَالِكَ يَدِكَ فِيهَا، ثُمَّ رَفَسَ الْقَصْعَةَ رَفْسَةً فَإِذَا هِيَ فِي حِجْرِي، وَوَدَّكُهَا^(٣) يَسِيلُ عَلَى الْخِلْمَةِ حَتَّى تَقْدُ إِلَى جِلْدِي، فَقُمْتُ مُبَادِراً فَتَرَعْتُهَا، وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى مَنْزِلِي وَغَيَّرْتُ ثِيَابِي وَعُدْتُ وَأَنَا مَغْمُومٌ مِنْهَا وَهُوَ يَضْحَكُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي جَمَعْتُ كُلَّ صَانِعٍ حَازِقٍ فَجَهَدُوا فِي إِخْرَاجِ ذَلِكَ الْأَثَرِ مِنْهَا فَلَمْ يَخْرُجْ، وَلَمْ أَنْتَفِعْ بِهَا حَتَّى أَحْرَقْتُهَا فَأَخَذْتُ ذَهَبَهَا، وَضَرَبَ الدَّهْرُ بَعْدَ ذَلِكَ ضَرْبَاتَهُ.

[٣٦٢/١٨]

/ يُوَاكِلُ الْمَأْمُونُ وَيَغْنِيهِ فَيَعْبَسُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَدْعُوهُ ثَانِيَةً وَيُكَافئُهُ

ثُمَّ دَعَانِي الْمَأْمُونُ يَوْمًا، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ مَائِدَةٌ عَلَيْهَا رَغِيفَانِ وَدَجَاجَتَانِ، فَقَالَ لِي: تَعَالَ فَكُلْ، فَامْتَنَعْتُ، فَقَالَ لِي: تَعَالَ وَتِلْكَ فَسَاعِدْنِي. فَجَلَسْتُ فَأَكَلْتُ مَعَهُ حَتَّى اسْتَوْفَى، وَوَضَعَ النَّبِيذَ وَدَعَا عَلْوِيَّةَ فَجَلَسَ، وَقَالَ لِي: يَا مُخَارِقُ، أَتُغْنِي:

أَقُولُ التَّمَّاسَ الْعُدْرَ لَمَّا ظَلَمْتَنِي وَحَمَلْتَنِي ذَنْبًا وَمَا كُنْتُ مُذْنِبًا

فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي، قَالَ: غَنَّهُ، فَغَنَيْتُهُ فَعَبَسَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: قَبِّحَكَ اللَّهُ أَهَكَذَا يُغْنِي هَذَا! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلْوِيَّةَ فَقَالَ: أَتُغْنِيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي، قَالَ: غَنَّهُ، فَغَنَّاهُ، فَوَاللَّهِ مَا قَارَبَنِي فِيهِ، فَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ، وَشَرِبَ رَطَلًا، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَاسْتَعَادَهُ ثَلَاثًا، وَشَرِبَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ يُعْطِيهِ مَعَ كُلِّ عَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، ثُمَّ خَذَفَ بِإِصْبَعِهِ^(٤) وَقَالَ: بَرِّقْ يَمَانٍ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ قَطْعَ الشَّرْبِ فَعَلَ ذَلِكَ، وَقَمْنَا فَعَلِمْتُ مِنْ أَيْنَ أُتِيتُ.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ دَعَانِي فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ بَعَيْنُهُ بِأَكْلِ هُنَاكَ، فَقَالَ لِي: تَعَالَ وَتِلْكَ فَسَاعِدْنِي، فَقُلْتُ: الطَّلَاقُ لِي لِأَنِّي فَعَلْتُ، فَضَحَكَ ثُمَّ قَالَ: وَتِلْكَ، أَتَرَانِي بِخِيَلًا عَلَى الطَّعَامِ! لَا وَاللَّهِ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُؤَدِّبَكَ، إِنَّ السَّادَةَ لَا يَنْبَغِي لِعَبِيدِهِ أَنْ تُوَاكِلَهُمَا، أَفْهَمْتُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَعَالَ الْآنَ فَكُلْ عَلَى الْأَمَانِ فَقُلْتُ: أَكُونُ إِذَا أَوَّلَ مِنْ أَضَاعِ تَأْدِيكِ إِيَّاهُ وَاسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةُ مِنْ قَرِيبٍ، فَضَحَكَ حَتَّى اسْتَغْرَبَ^(٥)، ثُمَّ أَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَمَضَيْتُ إِلَى حُجْرَتِي الْمَرْسُومَةِ لِي^(٦) لِلْخِدْمَةِ، وَأُتِيتُ هُنَاكَ بِطَعَامٍ فَأَكَلْتُ، وَوَضَعَ النَّبِيذَ وَدَعَانِي وَبِعَلْوِيَّةَ، فَلَمَّا جَلَسْنَا قَالَ لَهَا: يَا عَلِيٌّ، أَتُغْنِي:

/ أَلَمْ تَقُولِي: نَعَمْ، قَالَتْ: أَرَى وَهَمًا مَنِيَّ وَهَلْ يُؤْخَذُ الْإِنْسَانُ بِالْوَهَمِ!^(٧)

[٣٦٣/١٨]

(١) صَلَّى اللَّحْمَ يَصْلِيهِ صَلِيًّا: شَوَاهُ فَهُوَ مَصْلِيٌّ، وَيُقَالُ: أَتَى بِشَاةٍ مَصْلِيَّةً.

(٢) الْغَضَارَةُ كَسَحَابَةٍ: الْقَصْعَةُ الْكَبِيرَةُ.

(٣) الْوَدَكُ: مَا يَتَحَلَّبُ مِنَ اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ مِنْ دَسَمٍ.

(٤) خَذَفَ بِإِصْبَعِهِ: حَرَكَهُ كَأَنَّهُ يَرْمِي شَيْئًا.

(٥) اسْتَغْرَبَ: بِالْغِ فِي الضَّحْكِ.

(٦) ف، مَا: «الْمَرْسُومَةُ بِي».

(٧) الْوَهْمُ: السُّهْرُ أَوْ الْخَطَأُ.

فقال: نعم يا سيدي، فقال: هاته، فغنّاه، فعَبَسَ في وَجْهِهِ وَبَسَرَ^(١) وقال: قَبَّحَكَ اللهُ، أَتَغْنِي هذا هكذا! ثم أقبل عليّ فقال: أَتَغْنِيه يا مُخَارِق؟ فقلتُ: نعم يا سيدي، وعلمت أنه أراد أن يَسْتَقِيدَ^(٢) لي من علوية ويرفع مني، وإلا فما أتى علوية بما يُعَاب فيه، فغَنَيْتُهُ، فَطَرِبَ وَشَرِبَ رَطَلًا، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وفعل ذلك ثلاث مرّات كما فعل به.

ثم أمر بالانصراف فانصرفنا، وما عاودتُ بعد ذلك مُؤَاكَلَة خَلِيفَة إلى وقتنا هذا.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

استقبلت وَرَقَ الرِّيحَانِ تَقْطُفُهُ وَعَنْبَرُ الْهِنْدِ وَالْوَرْدِيَّةُ الْجُدَا
أَلَسْتُ تَعْرِفْنِي فِي الْحَيِّ جَارِيَةً وَلَمْ أَخْنُكَ وَلَمْ تَمُدُّ إِلَيَّ يَدَا

الشعر - فيما يُقال - لعُمَرَ بن أبي ربيعة، والغناء للغريص خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وأصله يمانى، وفيه لابن جامع هزج.



أَقُولُ التِّمَاسَ الْعُذْرَ لِمَا ظَلَمْتَنِي وَحَمَلْتَنِي ذَنْبًا وَمَا كُنْتُ مُذْنِبًا
هَيْنِي أَمْرًا إِمَّا بَرِيئًا ظَلَمْتِهِ وَإِمَّا مُيْسَأً قَدْ أَنْابَ وَأَعْتَبَا^(٣)

الشعر للأحوص، والغناء لمالك خفيف رمل بالوسطى عن عمرو.

صوت

[٣٦٤/١٨]

أَلَمْ تَقُولِي: نَعَمْ، قَالَتْ: أَرَى وَهَمًا مَنِي وَهْلٌ يُؤْخَذُ الْإِنْسَانُ بِالْوَهَمِ!
قُولِي: نَعَمْ، إِنَّ «لَا» - إِنَّ قُلْتِ - قَاتِلَتِي مَاذَا تُرِيدِينَ مِنْ قَتْلِي بِغَيْرِ دَمٍ!

الغناء لسياط خفيف رمل بالينصر عن عمرو، ولم يقع إليّ لمن الشعر.

يتنافس هو وعلوية في غناء صوت فيسبق علوية

قال هارون: وحَدَّثَنِي أَبُو مُعَاوِيَةَ الْبَاهِلِيُّ، قال:

حَضَرْتُ عَلْوِيَّةَ وَمُخَارِقًا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجْلَسٍ، فَغَنَى عَلْوِيَّةُ صَوْتًا فَأَحْسَنَ فِيهِ وَأَجَادَهُ، فَأَعَادَهُ مُخَارِقٌ وَبَرَزَ عَلَيْهِ وَزَادَ، فَرَدَّ عَلْوِيَّةَ وَتَعَمَّلَ فِيهِ وَاجْتَهَدَ فَزَادَ عَلَى مُخَارِقَ، فَجَثَا مُخَارِقٌ عَلَى رَكْبَتَيْهِ وَغَنَاهُ وَصَاحَ فِيهِ حَتَّى اهْتَزَّ مِنْكَاهُ، فَمَا ظَنَنْتَا إِلَّا أَنَّ الْأَرْضَ قَدْ زُلْزِلَتْ بِنَا، وَغَلَبَ وَاللهُ مَا سَمِعْنَا عَلَى عُقُولِنَا، وَنَظَرْتُ إِلَى لَوْنِ عَلْوِيَّةَ وَقَدْ امْتَنَعَ

(١) بسر: أظهر العيوس.

(٢) يستفيد لي: يأخذ لي بثاري.

(٣) أعتبه: أرضاه بعد العتاب.

وطار دمه، فلما فرغ مخارق توقعنا أن يُغني علوية، فما فعل ولا غنى بقية يومه. قال: وكان مخارق إذا صاح قطع أصحاب النيات.

سأله الأمين أن يغنيه أصواتاً فلم يحسن فأرسله إلى إسحاق ليعلمه

أخبرني وسوسة بن الموصلي، وهو أحمد^(١) بن إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال: قال لي مخارق: دعاني يوماً محمد المخلوع فدخلت عليه وعنده إبراهيم بن المهدي، فقال: غني يا مخارق، فغنيته أصواتاً عديدة، فلم يطرب لها وقال: هذا كله مُعاد، فغني:
* لقد أزمعت للبين هند زياها^(٢) *

فقلت: لا والله ما أحسنه، فقال: غني:

* لا والذي نُحِرت له البُذُن *

/ فقلت: لا والله ما أحسنه، فقال: غني:

* يا دار سغدَى سقى أطلالك الديما *

فقلت: لا والله لا أحسنه، فغضب، وقال: ويلك! أسألك عن ثلاثة أصوات فلا تحسن منها واحداً فقال له إبراهيم بن المهدي: وما ذنبه؟ إسحاق أستاذة وعليه يعتمد، وهو يضايقه^(٣) في صوت يُعلمه إياه، فقلت: قد والله صدق، ما يُعطيني شيئاً ولا يُعلمني، قال: فما ذراؤه؟ فقد والله أعياني، فقال له إبراهيم: توكل به من يصب على رأسه العذاب حتى يُعلمه مائة صوت، قال: أمّا هذا فبعيد، ولكن أذهب إليه عني فمره أن يُعلمك هذه الثلاثة الأصوات، فإن فعل وإلا فصّب السوط على رأسه حتى يُعلمك.

يذهب إلى إسحاق ليعلمه فيكمله إلى جارية له

فدخلت إلى إسحاق، فجلست بغير أمره، وسلّمت سلاماً منكراً. ثم أقبلت عليه فقلت: يا أمير المؤمنين أن تُعلمني كذا وكذا قال: ما أحسنه، فقلت: إني أنفذ فيك ما أمرني به، فقال: تُنفذ في ما أمرت به، ألا تستحي ويحك مني ومن تربيتي إياك! قلت: فلا بد من أن تُعلمني ما أمرك به أمير المؤمنين، قال: فإني لستُ أحسنه ولكن فلانة تُحسّنه، هاتوها. فجاءت وجعلت تُطارحني حتى أخذت الأصوات الثلاثة، وجعل كل من جاء يومئذ لا يحجبه ليروني وجاريتته تُطارحني.

فلما أخذت الأصوات رجعت إلى محمد وأخبرته الخبر وحضر إسحاق، فغنيته إياها، فطرب، وجعل إبراهيم بن المهدي يقول: أحسن والله، أحسن والله، فلما فرغت قال إسحاق: لا والله ما أحسن ولا أصاب هو ولا إبراهيم في استحسانه، ولقد جهدت الجارية جهدها أن يأخذها عنها فلم يتوجه له، ثم اندفع فغناها، فكانني والله كنتُ ألعب عندما سمعتُ.

/ ثم أقبل على إبراهيم بن المهدي فقال له: كم أقول لك: ليس هذا من علمك ولا مما تحسنه وأنت تكابر^(٤)

(١) ف: «وهو ابن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم».

(٢) ف: «زوالها».

(٣) س: «وهو يطابقه».

وَتَدْخِلْ نَفْسَكَ فِيمَا لَا تُحْسِنُهُ! فَقَالَ: أَلَا تَرَاهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُصَيِّرُنِي مُغْتَبِئًا فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: وَلِمَ تَجِدُ ذَلِكَ! أَوْ
أَسْرَرْتَ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْئًا لَمْ تُظْهِرْهُ لِلنَّاسِ وَتُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهُ! وَمَتَى صِرْتَ تَأْتِفُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ تَبْخِجُ بِهِ! فَلَيْتَكَ تُحْسِنُهُ،
وَاللَّهِ مَا تَفَرِّقُ بَيْنَ الْخَطَا وَالصُّوَابِ فِيهِ، وَإِنْ شِئْتَ الْآنَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ ثَلَاثِينَ مَسْأَلَةً مِنْ أَيِّ عِلْمٍ شِئْتَ، فَإِنْ أَجَبْتَ فِي
وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ وَإِلَّا عَلِمْتُ أَنَّكَ مُتَكَلِّفٌ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَقْبِلُنِي بِهَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ! قَالَ^(١): وَمَا هَذَا مِمَّا لَا
أَسْتَقْبِلُكَ بِهِ؟ فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: نَعَمْ اخْتَرْتُ مَا شِئْتَ حَتَّى نَسْأَلَكَ عَنْهُ فَقَالَ: إِنَّمَا يَفْعَلُ هَذَا الصَّبِيانُ^(٢)، وَانْكَسَرُ حَتَّى
رَحِمْتَهُ، فَقُلْتُ لِمُحَمَّدٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَعَلَّكَ تَرَى مَعَ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ، بَلَى وَاللَّهِ إِنَّهُ لِيُحْسِنُ كُلَّ شَيْءٍ
وَمَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ هَذَا غَيْرِي، وَإِنَّهُ لَيَتَقَدَّمُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَجَعَلَ مُحَمَّدٌ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ،
تَشْجُهُ بِيَدٍ وَتَذْهَبُهُ بِيَدٍ، وَتَجْرُحُهُ بِيَدٍ وَتَأْسُوهُ بِيَدٍ.

نسبة هذه الأصوات

صوت

لَقَدْ أَزْمَعْتُ لِلْبَيْتِ هَذَا زِيَالَهَا وَزَمُوا^(٣) إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ جِمَالَهَا
فَمَا ظِيئَةُ أَذْمَاءٍ وَاضْحَةُ الْقَرَا تَنْصُ إِلَى بَرْدِ الظُّلَالِ غَزَالَهَا^(٤)
/ تَحُكُّ بِقَرْنَيْهَا بَرِيرَ أَرَاكِه وَتَعْطُو بِظُلْفَيْهَا إِذَا الْغُصْنُ طَالَهَا^(٥)
بِأَحْسَنَ مِنْهَا مُقْلَةً وَمُقْلِدًا وَجِيدًا إِذَا دَانَتْ تَنْوُطُ شِكَالَهَا^(٦)

[٣٦٧/١٨]

الشَّعْرُ لَكثيرٌ، والغِنَاءُ لمعبدٍ خفيفٍ ثقيلٍ أولٍ بالوسطى عن عمرو، وفيه لابن سُرَيْجٍ فِي الثَّالِثِ والثَّانِي ثَقِيلٌ
أولٌ بالسَّابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ، عَنْ إِسْحَاقَ، وَلِإِبْرَاهِيمَ ثَقِيلٌ أولٌ بالوسطى عن عمرو، فِي الثَّانِي ثُمَّ فِي الثَّالِثِ،
وَفِي كِتَابِ حَكَمٍ: لِحَكَمٍ فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ، وَعَنْ حَبِشَ لَطُونِسٍ فِيهِ رَمْلٌ بِالْوُسْطَى، وَذَكَرَ أَيْضًا أَنْ لِحَنَ مَعْبَدٍ ثَانِي
ثَقِيلٌ.

صوت (٧)

يَا دَارَ سَعْدَى سَقَى أَطْلَالَكَ الدَّيْمَا مُسْقِي الرُّوَايَا وَإِنْ هَيَّجَتْ لِي سَقَمَا
دَارُ خَلَّتْ وَعَقَتْ مِنْهَا مَعَالِمُهَا إِلَّا الثَّمَامَ وَالْأُتُوِيَّ وَالْحُمَمَا^(٨)

الغِنَاءُ لِقَفَا التَّجَارِ ثَقِيلٌ أولٌ بالوسطى عن عمرو والهشامِيَّ وَإِبْرَاهِيمَ.

(١) ف: «فقلت».

(٢) ف: «بالصبيان».

(٣) يقال: زَمَ الْقَوْمُ: تَقَدَّمَهُمْ كَأَنَّهُ زَمَامٌ. وَزَمُوا جِمَالَهَا: أَرْسَلُوهَا مُتَقَدِّمَةً.

(٤) القرا: الظهور. والنص من الشيء: منهأه ومبلغ أقصاه. وتنص غزالها: تسنحه.

(٥) البرير: ثمر الأراك. وتعطو بظلفيها: ترتفع بهما. وطالها ارتفع عنها.

(٦) تنوط: تعلق. الشكال: وثاق بين الحقب والبطان وبين اليد والرجل.

(٧) فِي ف جَاءَ هَذَا الصَّوْتُ ثَالِيًا لِلَّذِي بَعْدَ.

(٨) الثمام: نبت ضعيف لا يطول. والأتوي: الحفير حول الخيمة يمنع السل. والحمم جمع حمة وهو الفصم وكل ما احترق بالنار.

صوت

لا والذي نُحِرَتْ لَه البُذُنُ . وله بِمَكَّةَ قُبُلَ الرُّكُنِ
ما زِلْتُ يَا سَكْنِي أَخَا أَرْقِي مُتَكَنِّفًا بِبِي الهِمِّ وَالْحَزَنِ
أَخْشَى عَلَيْكَ وَبَعْضَهُ شَفَقٌ أَنْ يَفْتَنُوكَ وَأَنْتَ مُفْتَتِنٌ

الغناء لابن سُرَيْج رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق / وذكر الهشامي أنه لسليمان الوادي أوله [٣٦٨/١٨] فيه لحن، ونسبه إبراهيم إلى ابن عبَّاد ولم يُجَنِّسه.

أخبرني عمي: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ، قَالَ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمُؤَدِّنُ، قَالَ: انْحَدَرْنَا مَعَ الْمُعْتَصِمِ مِنَ السَّنِ^(١) وَنَحْنُ فِي حَرَّاقَتِهِ^(٢)، وَحَضَرَ وَقْتُ الْأَذَانِ فَأَذَّنْتُ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الْأَذَانِ انْدَفَعَ مُخَارِقٌ بَعْدِي فَأَذَّنَ وَهُوَ جَائِلٌ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَتَمَنَيْتُ وَاللَّهِ أَنْ دَجَلَةَ أَهْرَقْتُ^(٣) لِي فَفَرَقْتُ فِيهَا.

غَضِبَ عَلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ ثُمَّ صَالَحَهُ وَأَعَادَهُ إِلَى مَرْتَبَتِهِ

أخبرني عمي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدُونَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ:

غَضِبَ الْمُعْتَصِمُ عَلَى مُخَارِقٍ فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُجْعَلَ فِي الْمَوْذُنِ وَيُلْزَمَهُمْ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَأَمَهَلَ حَتَّى عَلِمَ أَنَّ الْمُعْتَصِمَ يَشْرَبُ وَأَذْنَتِ الْعَصْرُ، فَدَخَلَ هُوَ إِلَى السِّتْرِ حَيْثُ يَقِفُ الْمَوْذُنُ لِلسَّلَامِ، ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ جُهْدَهُ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحِمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، الصَّلَاةُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَبَكَى حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُ، وَبَكَى كُلُّ مَنْ حَضَرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَذْخِلُوهُ إِلَيَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا وَقَالَ: سَمِعْتُمْ هَكَذَا قَطُّ؟ هَذَا الشَّيْطَانُ لَا يَتْرَكَ أَحَدًا يَغْضِبُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَأَدْخَلَ إِلَيْهِ، فَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَدَعَا الْمُعْتَصِمَ إِلَيْهِ وَأَعْطَاهُ يَدَهُ فَقَبَّلَهَا، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ عَوْدِهِ فَأَحْضَرَ، فَأَعَادَهُ إِلَى مَرْتَبَتِهِ.

إِسْحَاقُ الْمُوصِلِيُّ يَدِي رَأْيَهُ فِي عُلُوبَةٍ وَمَخَارِقُ

وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٤) الْبَسَامِيِّ، عَنْ جَدِّهِ حَمْدُونَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ:

/ غَنَى عُلُوبَةٌ يَوْمًا بَيْنَ يَدِي إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيِّ:

هَجَرْتُكَ إِشْفَاقًا عَلَيْكَ مِنَ الْأَذَى وَخَوْفَ الْأَعْيَادِ وَاتَّقَاءَ النَّمَائِمِ

فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: أَحْسَنْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ أَحْسَنْتَ، وَاسْتَعَادَهُ ثَلَاثًا وَشَرِبَ، فَقَالَ لَهُ عُلُوبَةُ: يَا أَسْتَاذُ، أَيْنَ أَنَا الْآنَ مِنْ صَاحِبِي - يَعْنِي مُخَارِقًا - مَعَ قَوْلِكَ هَذَا لِي؟ فَقَالَ: لَا تُرِدُ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا، قَالَ: بِي وَاللَّهِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ أَعْظَمُ الْحَاجَةِ، فَقَالَ: إِذَا غَنَيْتُمَا مَلِكًا اخْتَارَهُ عَلَيْكَ وَأَعْطَاهُ الْجَائِزَةَ دُونَكَ، فَضَجَّرَ عُلُوبَةُ وَقَالَ لِإِسْحَاقَ: أَفْ مِنْ رِضَاكَ وَغَضَبِكَ!.

(١) السَّن: مدينة على دجلة.

(٢) الحَرَّاقَةُ: سفينة خفيفة المَر.

(٣) س، ف: «انفردت».

(٤) ف: «عن علي بن البسامي».

نسبة لهذا الصوت

صوت

هجرْتُكِ إشفاقاً عليكِ من الأذى وخوفَ الأعادي واثقَاءَ النمائمِ
وإني وذاك الهجرَ لو تعلّمينَه كساليةٍ عن طفلها وهي رائمٌ^(١)

الشعر لَهلال بن عمرو الأسدي، والغناء لعلوية ثقل أول بالوسطى، عن عمرو.
رأي أبي يعقوب الخرمي في علوية ومخارق
وقال الجاحظ: قال أبو يعقوب الخرمي^(٢):

ما رأيتُ كثلاثة رجال كانوا يأكلون الناس أكلاً، حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرصاص على النار: كان هشام بن الكلبي علامةً نسابةً وراويَةً للمثالب عتيابة، فإذا رأى الهيثم بن عدي ذاب كما يذوب الرصاص، وكان علي بن الهيثم جوثقاً مفقعا^(٣) نيتاً صاحب تقعر يستولي على كل كلام، لا يخفل بخطيب ولا شاعر، فإذا رأى موسى الضبي / ذاب كما يذوب الرصاص، وكان علويةً واحد الناس في الغناء روايةً وحكايةً ودرايةً وصناعةً وجودةً ضرباً وأضراباً وحسن خلق، فإذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب الرصاص على النار.

حج في السنة التي حجت فيها أم جعفر بسبب جارتها بهار

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب، عن ابن خرداذبه قال:

هوي مخارق جارية لأم جعفر، فحج في السنة التي حجت فيها أم جعفر بسبب الجارية، فقال أحمد بن هشام فيه:

يحجُّ النَّاسُ مِنْ بَرٍّ وَتَقْوَى وحجُّ أبي المهنا للتصابي

وهب المعتصم دار مخارق لبونازة خليفة الأفشين فقال عيسى ابن زينب شعراً في ذلك

قال: وكان المعتصم قد هب دار مخارق لمّا قدم بغداد لبونازة خليفة الأفشين، فقال عيسى ابن زينب في ذلك:

يا دارٌ غيّرَ رسمَها يُونازة ويقي مخارق قاعداً في فازه^(٤)
لا تجزَعَنَّ أبا المهنا إنها دُنيا تُنالُ بِذلّةٍ وعَازِزة

أم جعفر تهب له جارتها بهار

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدّثنا عمر بن شبة، وحدّثني محمد بن يحيى الصولي، قال:

(١) رائم من رامت الناقة ولدها: عطف عليه، فهي رائم. وفي الشعر إقواء لاختلاف حركة الروي بالرفع في هذا البيت، والجر في البيت الذي قبله.

(٢) ف: «قال أبو عمرو الخرمي».

(٣) المفقع: الفقير المجهود، وجوثقاً: لقب له.

(٤) الفازة: مظلة من نسيج أو غيره تمد على عمود أو عمودين.

وَجَدْتُ بِخَطِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ: حَدَّثَنِي الْهَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رِيَّاحٍ، قَالَ:

كَانَ مُخَارِقُ يَهُوَى جَارِيَةَ لَأُمِّ جَعْفَرٍ يُقَالُ لَهَا بَهَارٌ^(١)، وَيَسْتُرُ ذَلِكَ عَنْ أُمِّ جَعْفَرٍ، حَتَّى بَلَغَهَا ذَلِكَ، فَأَقَصَّتْهُ وَمَنَعَتْهُ مِنَ الْمُرُورِ بِبَابِهَا، وَكَانَ بِهَا كِلْفًا. قَالَ الصُّوْلِيُّ فِي خَبَرِهِ: فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْخَبَرَ قَدْ بَلَغَ أُمَّ جَعْفَرٍ قَطَعَهَا وَتَجَافَاهَا؛ إِجْلَالًا لِأُمِّ جَعْفَرٍ، وَطَمَعًا فِي السُّلُوكِ عَنْهَا، وَضَاقَ ذَرْعُهُ بِذَلِكَ، فَبَيْنَا / هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي زَلَالٍ^(٢)، وَقَدْ [٣٧١/١٨] انصرفت من دار المأمون، وأُمُّ جَعْفَرٍ تَشْرَبُ عَلَى دَجَلَةٍ، إِذْ حَازَى دَارَهَا، فَرَأَى الشَّمْعَ يَزْهَرُ فِيهَا، فَلَمَّا صَارَ بِمَسْمَعٍ مِنْهَا وَمَرَأَى انْدَفَعَ فَغَنَى:

صوت

إِنْ تَمَنَّعُونِي مَمَرِّي قُرْبَ دَارِهِمْ فَسَوْفَ أَنْظُرُ مِنْ بُعْدٍ إِلَى الدَّارِ
سِيمَا الْهُوَى شَهْرَتْ حَتَّى عُرِفَتْ بِهَا أَنِّي مُحِبٌّ وَمَا بِالْحُبِّ مِنْ عَارِ
مَا ضَرَّ جِيرَانَكُمْ - وَاللَّهِ يُصْلِحُهُمْ لَوْلَا شَقَائِي - إِقْبَالِي وَإِذْبَارِي
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَنْعِي وَلَوْ جَهَدُوا إِذَا مَرَرْتُ وَتَسْلِيمِي بِإِضْمَارِي

الشعر للعباس بن الأحنف، والغناء لمخارق رمل بالوسطى.

فَقَالَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ: مُخَارِقُ وَاللَّهِ، رُدُّوهُ، فَصَاحُوا بِمَلَأَحِهِ: قَدِّمُ، فَقَدِّمُ، وَأَمْرَهُ الْخَدَمُ بِالصُّعُودِ، فَصَعِدَ، وَأَمَرَتْ لَهُ أُمُّ جَعْفَرٍ بِكُرْسِيِّ وَصِنِيَّةٍ فِيهَا نَبِيذٌ، فَشَرِبَ، وَخَلَعَتْ عَلَيْهِ، وَأَمَرَتْ الْجَوَارِي فَغَنَيْنِ، ثُمَّ ضَرَبْنَ عَلَيْهِ فَغَنَى فَكَانَ أَوَّلَ مَا غَنَى:

صوت

أَغِيبْ عَنْكَ بُوْدُ مَا يُغَيِّرُهُ نَأْيُ الْمَحَلِّ وَلَا صَرَفُ مِنَ الزَّمَنِ
فَإِنْ أَعِشْ فَلَعَلَّ الذَّهَرَ يَجْمَعُنَا وَإِنْ أُمِتْ فَقَتِيلُ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
قَدْ حَسَّنَ اللَّهُ فِي عَيْنِي مَا صَنَعَتْ حَتَّى أَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ

الشعر للعباس بن الأحنف، والغناء لمخارق رمل.

/ قَالَ: فَانْدَفَعَتْ بَهَارُ فَغَنَتْ كَأَنَّهَا تُبَايِنُهُ، وَإِنَّمَا أَجَابَتْهُ عَنْ مَعْنَى مَا عَرَّضَ لَهَا بِهِ:

تَعْتَلُّ بِالشُّغْلِ عَنَّا مَا تَلُمُ بِنَا وَالشُّغْلُ لِلْقَلْبِ لَيْسَ الشُّغْلُ لِلْبَدَنِ

فَقَطِنَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ أَنَّهَا خَاطَبَتْهُ فِي نَفْسِهَا، فَضَحِكَتْ وَقَالَتْ: مَا سَمِعْنَا بِأَمْلَحٍ مِمَّا صَنَعْتُمَا، وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ فِي خَبَرِهِ: وَوَهَبَتْهَا لَهُ.

غَنَى الْمَأْمُونُ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ أَحَدُثَ صَوْتِ صَنْعِهِ

وَقَالَ هَارُونُ بْنُ الزِّيَّاتِ:

(١) ف، س: «نهار».

(٢) زلال: شبه قارب يسير في النهر.

حدّثني هارون بن مخارق عن أبيه : أنّ المأمون سأله لما قدّم مكة عن أحدث صوت صنع، فغنّاه :

صوت

أقبلت تحصب الجمار وأقبلت ليرمي الجمار من عرفات
ليتني كنت في الجمار أنا المحصوب^(١) من كف زينب حصيات

الشعر للتميمي، والغناء لمخارق خفيف رمل بالنصر، قال : فضحك، ثم قال : لعمري إن هذا لأحدث ما صنعت، ولقد قنعت بيسير، وما أظن بهار كانت تبخل عليك بأن تخصبك بحصاة كما تحصب الجمار. واستعاده الصوت مرّات.

غنى بشعر للمأمون في جارية له فأبكاها

أخبرني جعفر بن قدامة قال :

حدّثني هارون بن مخارق ، قال : حدّثني أبي ، قال : كنّا عند المأمون يوماً، فجاءه الخادم الحرمي فأسرّ إليه شيئاً ، فوثب فدخل معه ، ثم أبطأ علينا ساعة وعاد وعينه تذرف ، فقال لنا : دخلت الساعة إلى جارية لي كنت أنتحظاها ، فوجدتها / في الموت ، فسلمت عليها فلم تستطع ردّ السلام إلا إيماءً بإصبعها ، فقلت هذين البيتين :

سلام على من لم يطق عندي بينه سلاماً ، فأومى بالبنان المخضب
فما استطعت توديعاً له بسوى البكا وذلك جهد المستهام المعدب

ثم قال : غنّ فيها يا مخارق، ففعلت، فما استعادي ذلك الغناء قط إلا بكى.

حج رجل معه وغناه صوتاً فوهب له حجته

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة، قال : حدّثني أحمد بن أبي العلاء، قال : حدّثني أبي، قال : حجّ رجل مع مخارق، فلما قضيا الحجّ وعادا، قال له الرجل في بعض طريقه : بحقّي عليك غنّي صوتاً، فغنّاه :

رحلنا فشرقنا وراحوا فغرّبوا ففاضت لروعات الفراق عيون
فرفع الرجل يده إلى السماء وقال : اللهم إني أشهدك أنّي قد وهبت^(٢) حجّتي له.

وفاته

وتوفّي مخارق في أوّل خلافة المثلّ، وقيل : بل في آخر خلافة الواثق، وذكر ابن خرداذبة أن سبب وفاته أنه كان أكل قنبيطية باردة فقتلته من فوره^(٣).

(١) ف : «ليتني في الجمار كنت أنا المحسوب».

(٢) ف : «وجهت حجّتي له».

(٣) ف : «فقتلته من يومه».

الهوت

إذا مِتَّ فادفني إلى جنب كَرْمَةٍ تُروِّي مُشاشي^(١) بعد موتي عُروْفُها
ولا تَدْفِنِّي^(٢) بالفلاة فإنني أخافُ إذا ما مِتُّ ألا أذوقَها
عروضه من الطويل، ويُرْوَى:

* إذا رحت مدفوناً فلستُ أذوقها *

الشعر لأبي محجن الثقفي، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيلاً أوّل بالوسطى عن عمرو، وفيه لحنٌ لحنٌ ذكره إبراهيم ولم يُجسّسه.

إلى هنا انتهى الجزء الثامن عشر من كتاب الأغاني،
ويليه الجزء التاسع عشر، وأوله «ذكر أبي محجن ونسبه».



مركز توثيق التراث الحضاري والحضاري

(١) المُشاش: العَظْم.

(٢) في هذا البيت إقواء، وبالرواية الأخرى لا إقواء فيه.



فهرس موضوعات الجزء الثامن عشر

الموضوع	الصفحة
ذكر ذي الرمة وخبره	٢٥٩
ذكر خبر إبراهيم	٢٩٣
ذكر مقتل الزبير وخبره	٢٩٧
ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد	٣٠٤
أخبار خفاف ونسبه	٣١٠
أخبار مجبهاء ونسبه	٣٢٢
أخبار والبة بن الحباب	٣٢٥
أخبار عمران بن حطان ونسبه	٣٣٠
أخبار عمارة بن الوليد ونسبه	٣٣٨
أخبار الأضبط ونسبه	٣٤٢
أخبار الأعشى ونسبه	٣٤٤
أخبار عمرو بن قميشة ونسبه	٣٤٨
أخبار المؤمل بن جميل	٣٥٣
أخبار مساور ونسبه	٣٥٥
أخبار سعيد بن حميد ونسبه	٣٥٩
أخبار ابن مناذر ونسبه	٣٦٩
نسب أشجع وأخباره	٣٩٧
أخبار ابن مفرغ ونسبه	٤٢٥
أخبار الزبير بن دحمان	٤٥٤
نسب العماني وخبره	٤٦١
أخبار عروة بن أذينة ونسبه	٤٦٨
ذكر مخارق وأخباره	٤٧٧
فهرس الموضوعات	٥٠٣